أحمد سعد الدين

فِرْعَونُ ذُو الأَوْتَادِ

تهويد التاريخ والأرض والتراث وأكذوبة الأرض الموعودة





تقديم : منصور عبد الحكيم



فرعون ذو الأوتاد

تهويد التاريخ والأرض والتراث وأكذوبة الأرض الموعودة

أحمد سعد الدين



تطلب منشوراتنا من دور النشر والمكتبات التالية

البلد	أسماء المكتبات
مصر	دار الكتاب العربي: ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت (القاهرة) - مكتبات الشروق - مكتبات ديوان شركة الشرق للمكتبات - مكتبات مؤسسة الأهرام - مكتبات أخبار اليوم - مكتبة منشأة المعارف (الإسكندرية)
ليبيا	طرابلس: المكتبة العلمية - المكتبة العربية - مكتبة السلام - دار الوليد - دار المعرفة - مكتبة ١٧ فبراير (بنغازي) - دار الجيل (بنغازي) - مكتبة الشعب (مصراته)- دار الكلمة (الزاوية)
تونس	إداريات ومعارف سوسة - شركة كتبكم تونس - المركز التونسي للكتاب - دار المعرفة - مكتبة تونس - دار الجيل - دار الاسهامات CLE
الجزائر	دار العزة والكرامة (وهران)، ودار الأنيس (الجزائر العاصمة) وسائر فروعها ومكتباتها بالجزائر
المغرب	الدار العالمية - دار الإنماء الثقافي - دار الثقافة - دار الأمان - مكتبة الألفية الثالثة - وراقة المبادرة - دار إحياء العلوم الزاهرة - الناشر الأطلسي - وراقة الجنوب - مكتبة فرنسا - مكتبة باريس
السعودية	مكتبات جرير - مكتبات العبيكان - مكتبات تهامة - مكتبات الرشد - دار الوراق - مكتبات الشواف - مكتبة المتنبي (الدمام) - كنوز المعرفة (جدة) - روائع المعرفة (جدة) - المكتبة التراثية
الإمارات	مكتبة الجامعة (أبو ظبي) - مكتبة زين المعارف (دبي) - مكتبات دبي للتوزيع - المكتبة التجارية (العين) - مكتبات جرير
الكويت	مكتبات ذات السلاسل - دار الفكر الحديث - مكتبة العجيرى - مكتبة الرسالة - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف - مكتبات جرير
سلطنة عمان	مسقط: مكتبات جرير - أحمد ناصيف 0096892339307
البحرين	المكتبة الوطنية (المنامة) - مكتبات جرير
العراق	دار المدى للعلوم والثقافة (أربيل) - دار التفسير (أربيل) - مكتبة هورمان (أربيل) - مكتبة برايتي (أربيل) - المكتبة القانونية - مكتبة النهضة (بغداد) - مكتبة السنجرى (الموصل) - دار الزمان (دهوك)
الأردن	المكتبة الأهلية - مكتبة دنديس - دار أسامة - مكتبة الفرسان - كشك الثقافة العربية حسن أبو علي - جملون
فلسطين	مكتبة دنديس (الخليل) - مكتبة القدس (القدس الشريف) - دار العماد للنشر (الخليل) - دار الجندي (القدس)
السودان	مكتبات القاضي (الخرطوم - أم درمان) - وادي النيل للتنمية البشرية (الخرطوم)
لبنان	شركة الشرق الأوسط - النيل والفرات كوم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

سورة النمل: 69

إهـــــــــداء

إلى الرجل الذي علمني كل شيء

إلى الذي وضع بصمة لا تُمحى في عقلي ووجداني وقلبي

إلى شمس الحياة التي منذ أن غرُب شعاعها أظلمت الدنيا وما فيها و لم يعد لها بريق

إلى مثلي الأعلى منذ صغري وحتى إلى يوم مماتي

إلى روح أبي رحمه الله ... أهدي هذا الكتاب

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا في ميزان أعماله يوم أن نلقاه

إنه ولي ذلك والقادر عليه

شكر خاص

أتوجه بالشكر الخاص لكل من ساهم في خروج هذا العمل للنور ولكل من أعانني وساعدني بجهد أو بتشجيع أو بكلمة ، وأخص بالذكر الزملاء الأستاذ هاني جلال الذي ساعدني بخبرته الجغرافية الكبيرة ، والمهندس محمد عمر جاد الرب الذي كان صاحب إعادة فكرة نشر الكتاب ، والمهندس أحمد إسماعيل وغيره من الزملاء الأعزاء الذين ساهموا في إثراء الموضوع بالنقاشات المفيدة.

كما أشكر أخي الأستاذ علاء سعد الدين والأخ الزميل ياسر العقبي والزميل المهندس عبد الحميد إبراهيم الذين ساعدوني في النقل والنسخ والكتابة مساعدات بليغة..

وحيث أن القائمة تطول فأشكر كل من ساهم بوقته وجهده في إعانتي على إصدار هذا الكتاب.

مقدمة المؤلف

لا أذكر على وجه التحديد متى كانت أول مرة بدأت فيها بالتفكير والتأمل في حقيقة فرعون وقصته مع موسى عليه السلام فلا بد أن ذلك كان منذ أيام الطفولة، وربما أذكر كذلك كيف كانت تلك القصة دائما ما تثير انتباهي أكثر من غيرها من القصص القرآني ، وكنت أشعر دائما وجود تفسيرات غير مقنعة للكثير من تفاصيل القصة بل ووجود فجوة كبيرة بين القصة القرآنية والتفاسير التي كان رجال الدين والكُتّاب يكافحون من أجل إقناعنا بها في تعارضٍ كبير بين رواية القرآن الواضحة الصريحة وبين الكثير من التفسيرات والتبريرات المتكلّفة لتفاصيل القصة.

لكني مع ذلك أستطيع أن أتذكر بوضوح رحلة البحث الحقيقي التي أدت إلى قراءة كتب عديدة عن الموضوع وقتما كان عمري حينها دون العشرين ربيعا وذلك منذ حوالي سبعة عشر عاماً كاملة!

وأستطيع أيضا أن أتذكر جيدا أول كتاب قرأته في هذا الباب وهو كتاب الأستاذ/ سعيد أبو العينين بعنوان "الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن" ، وهو كتاب شيق جدا في مضمونه لمن يهتم بهذا الأمر وكان بالنسبة لي وقتها كنزا من الكنوز عثرت عليه بعد طول بحث حيث لم يقع في يدي وقتها كتاب غيره يبحث في نفس الموضوع وأعجبتني طريقة البحث والعرض المثير الذي قدمه الكاتب وبالتالي فقد قرأت الكتاب كثيرا مرات عديدة حتى أستطيع استيعاب كل ما ورد به حقا من أفكار تستحق التأمل.

ورغم أن الكتاب لم يشف غليلي ولم يوصلني إلى حقيقة ثابتة بشأن فرعون الذي بدأت أبحث عنه في ركام التاريخ وبين صفحات الكتب وبين قطع الآثار المصرية ، إلا إنه كان بالنسبة إليّ منطلقا قويا لفتح باب جديد من البحث والدراسة لهذا الموضوع المستغلق على كثير من الباحثين بسبب قلة المصادر وتشتت الأدلة عبر التاريخ وتعدد الآراء لدرجة الهوس.

ومنذ ذلك اليوم في عام 1997 تقريبا – منذ قراءتي الأولى للكتاب – وأنا في رحلة بحث مستمرة حتى عام 2007 أي لمدة ما تقرب من عشر سنوات كاملة ، قرأت خلالها عشرات الكتب والمراجع ، واستعرضت فيها كل ما سمعت أنه ورد في ذلك الموضوع واكتشفت خلالها أن كمية الكتب التي تم تأليفها وتصنيفها في هذا الموضوع سواء بشكل مباشر أو بشكل ضمني كانت كمية رهيبة جدا أكبر من الاستيعاب !.

غير أن مسيرة البحث في نهاية تلك السنوات العشر كانت قد حطت رحالها بعدما توصلت إلى نتيجة واضحة بصدد الموضوع وقد كنت خلال تلك السنوات قد وضعت بذرة هذا الكتاب الذي بين أيديكم لكن لبعض الأسباب ومنذ تلك السنة 2007 توقفت عن مواصلة الكتابة ونسيت الكتاب لفترة طويلة بلغت السنوات السبع!!.

كانت الأسباب بالنسبة لي مقنعة للدرجة التي تجعلني أترك مسودات الكتاب وأضرب عنها صفحا ، وأولها هو شعوري أن المزيد من البحث في نفس الموضوع لن يجدي نفعا بعدما توصلت لنتيجة مرضية خاصة مع الموضوعات الأخرى الكثيرة التي خضت في عملية البحث عنها وانشغالي الكبير بأمور الحياة وطلب الرزق التي تشغل جميع العباد.

فضلا عن أنني قد وجدت في بعض تلك المؤلفات التي صنفت في هذا الموضوع من توصل بالفعل للحقيقة وعرضها بأسلوبه بصرف النظر عن وجهته في البحث وهدفه وتوجهه الذي وظفه لأغراض بحثه سواء كان توجها قوميا أو سياسيا أو غيره من التوجهات ، لكن على الأقل هناك من توصل لنفس الحقيقة التي توصلت إليها وبأدلة تتطابق إلى حد كبير مع الأدلة التي اكتشفتها بنفسي ، فكان هذا من دواعي سروري وضيقي في نفس الوقت ، فقد كنت سعيدا لظهور الحقيقة للنور ووصولها للناس ، لكني في نفس الوقت كنت قد تملكني الضيق حيث كان ذلك بالنسبة لي وقتها سببا كافيا للإقلاع عن المضي قدما في استكمال هذا الكتاب حتى لا أقوم بعمل مكرَّر سبقني إليه غيري.

وخلال تلك الفترة لم يطرأ على الموقف أي جديد إلا مناقشات عابرة تنشب من وقت لآخر مع بعض المحيطين بي من أقارب أو زملاء وأصدقاء ، يرددون فيها بلا تدقيق نفس المزاعم التي توارثوها من الأجيال السابقة ويتبنون فيها نفس وجهات النظر

الحالية التي تثار في مجتمعاتنا عن موضوع فرعون وخروج بني إسرائيل وما يتعلق بهما من مواضيع ، فكنت من وقت لآخر أستغرق في تلك النقاشات لأبين لهؤلاء الناس الحقيقة وراء هذا الموضوع ، وأحيانا كنت أستعرض جزئيات كثيرة من هذا الكتاب الذي بين أيديكم ، فتثير تلك الحقائق التي أعرضها عليهم العجب في نفوسهم عندما يسمعونها لأول مرة ، مما دفع بعضهم إلى الإلحاح عليّ مرات عديدة أن أعيد النظر في مسألة نشر هذا الكتاب ويرجع إليهم الفضل بعد الله عز وجل في عودة فكرة نشر الكتاب إلى الصدارة مرة أخرى.

غير أنه وبعد مرور تلك السنوات على تركي للكتاب وبعد أن طواه النسيان لتلك الفترة الطويلة برزت أشياء جديدة جعلتني أفكر مرة أخرى في استكماله والسعي في نشره ، أولها هو ظهور أدلة جديدة لم يتطرق إليها من سبقني لنفس الفكرة واكتشافات أثرية حديثة جعلت النظرية مؤكدة وجلية وقطعية ، غير أن السبب الأقوى في اتخاذي لقرار إنهاء الكتاب وإظهاره للنور هو نصيحة الكاتب الكبير الأستاذ/منصور عبد الحكيم الذي دفعني وشجعني في المضي قدما في استكمال هذا العمل الذي مضي عليه وقتا طويلا ليصبح واقعا على الأرض.

لكن الملفت للنظر حقا أن توجهات هؤلاء الكتاب الذين نجحوا في التوصل لحقيقة فرعون وقومه كانت توجهات يغلب عليها العصبية والقومية التي تحاول باستماتة تبرأة الملوك المصريين من جرائم فرعون لمجرد الدفاع عن مصريتهم وقوميتهم ونفي أن يكون فرعون مصريا لمجرد إزاحة التهمة عن العنصر المصري الذي يرون أنه عنصرا فريدا من نوعه لا يحتمل أن يخرج منه أحد مجرمي التاريخ وأشهر الطغاة على وجه الإطلاق وهو فرعون الذي يضرب به المثل في الاستعلاء والتكبر والطغيان ، وهو مبدأ عنصري بغيض لا أحب أن أجعله هدفا وتوجها لكتاب مثل هذا لكن وفي ذلك الوقت رأيت أنه يجب تبرئة المتهمون بالفرعنة من ملوك مصر وهو من باب إحقاق الحق وإظهاره للجميع وليس من باب العصبية الجاهلية أو القومية بمعناها الضيق.

لذلك لم يكن دافعي في أي وقت من الأوقات الدفاع عن هذه القومية أو تلك بقدر كون توجهي هو كشف الكذب والبهتان الذي طال تلك القصة لفضح أسباب أخرى كثيرة وأهداف عديدة أرادها اليهود وكاتبوا التوراة وعلى رأسها تهويد التاريخ

والأرض والتراث وترسيخ مبدأ الأرض الموعودة من خلال تلك القصة التي يعرفها كل شعوب الأرض تقريبا.

لقد تعددت النظريات وكثرت الفرضيات للحد الذي جعل البعض يشكك في وقوع الأحداث بالفعل ضاربًا بذلك عُرْضَ الحائط بكل النصوص المقدسة عند أصحاب الشرائع الثلاث ، بينما سلم الجميع في مجتمعاتنا الشرقية عقولهم بمنتهى الأريحية والبساطة لليهود ليزرعوا فيها فكرة واحدة تكاد تكون من المسلمات هي أن "فرعون" هو الملك المصري "رمسيس الثاني" أو ابنه "مرنبتاح" مثلما ادعى موريس بوكاي في كتابه الشهير "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم" الذي روج فيه ترويجا سافرا لنظريته التي تفترض وجود فرعونين أحدهما للاضطهاد والآخر للخروج وأسقط تلك النظرية على رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح وهي نفسها نظرية اليهود التوراتية زاعما أن ذلك يؤكد رواية القرآن للوقائع!! ، وانتشرت بالفعل نظريته في جميع الأوساط وعلى صفحات الانترنت وفي المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي ليصبح رمسيس الثاني وابنه بنص التوراة والقرآن في آن واحد هما المتهمين الجاهزين لإلصاق تلك التهم بهما.

غير أن موريس بوكاي في ذلك الكتاب قد وقع في أخطاء فادحة فضحته وفضحت نظريته المزيفة التي يهدف من ورائها لتأكيد المزاعم اليهودية وترسيخ الرواية التوراتية التي نجح في جعلها عقيدة راسخة عند المسلمين أنفسهم بسبب اعترافه المزيف بإعجاز الرواية القرآنية ليضرب بذلك كل الطيور بحجر واحد وسوف أتطرق في هذا الكتاب لجزء خاص جدا عن فضيحة موريس بوكاي ومزاعمه الكاذبة في كتابه الشهير.

إن هذا الكتاب يكشف بكل تأكيد حقيقة التزوير الضخم والمهول للتاريخ الذي تم بواسطة اليهود لشيطنة المصريين وتحويلهم إلى فراعنة طغاة ، بالإضافة إلى تحويل الكنعانيين وهم الفلسطينيون القدماء وكل السكان الأصليين لأرض فلسطين إلى دخلاء مغتصبين لأرض كنعان وإخفاء هوية سكان فلسطين القدماء، ثم انتحال اليهود لصفة السامية التي اخترعوها ومن ثم احتكروها لأنفسهم وإكسابهم لأنفسهم بعدا حضاريا بإدعائهم بناء حضارة مصر ومبالغتهم في المدة التي أقامها بنو إسرائيل في مصر كجزء من السكان الطبيعيين بالإضافة لتضخيم عددهم وكأنهم عنصر سكاني أساسي من مكونات ذلك القطر ، ومن ثم يصبح مبدأ "حدود إسرائيل الكبرى من النيل

للفرات" أمرا مستساغا ومبررا من وجهة نظر كاتبوا التوارة بل ومن وجهة نظر قارئوها والمومنون بها !.

هذا كله بالإضافة لكمية كبيرة من الأكاذيب تم دسُّها في سياق قصة فرعون وموسى عليه السلام لتبرير أشياء أخرى تفصيلية يكون لها مردودا كبيرا فيما بعد ويكون لها مبررات وبُعد وعُمق تاريخي وأصل مقدس من التوراة نفسها.

لذلك كان لزاما علينا أن نوضح – كنشر لوعي مضاد – حقيقة العقلية اليهودية الإجرامية المضللة والمزورة للحقائق على مر التاريخ ، وكان هذا البحث من الأهمية بمكان لضحد أحد أقوى الشبهات التي يروجون لها في هذه الأيام ، وتزمر لها الأوساط اليهودية في مختلف الدول، بأنهم هم بناة الحضارات العظيمة ، وأن العقلية العربية المسلمة أو الشرقية بوجه عام عقلية متخلفة لم تسهم في مسار الحضارة بشيءٍ يذكر وأن الأرض الموعودة - وهي فلسطين - هي أرضهم تاريخيا وإلهيا ووجب عليهم تخليصها من أيدي المغتصبين العرب من الفلسطينيين وغيرهم على حد مزاعمهم الكاذبة.

ولما كانت قصة فرعون مع موسى عليه السلام وقصة وجودهم في مصر هي المنطلق الأكيد الذي بدأوا صياغة قصتهم منه ، فلقد صاغوا معها العديد من الأكاذيب التي تؤدي في النهاية إلى التصديق على أحقيتهم التاريخية والإلهية في الأرض ، مع تشويه مؤكد لحقيقة عروبة فلسطين قبل عصور طويلة من تواجدهم على وجه الأرض.

ولا شك في أنه – وكما ذكرنا – في تحديد شخصية فرعون وقومه – على وجه التحديد - صعوبة شديدة ، نظرا لأسباب كثيرة ولحكمة الله في ذلك ، فهذا الملك قد بلغ قمة الطغيان وفاق كل الطغاة ظلما وجورا ومجاوزة للحد ، حتى أنه إدعى بأنه الرب الأعلى ، وما من إله غيره ، فلم يتوقف الأمر على ادعاءه للألوهية فقط مثلما اكتفي الكثير من المدعين بل أصر على أنه الرب الأعلى والإله الوحيد كذلك ، فأراد الله تعالى أن يجعله نكرةً جزاءً لتجرئه على ذات الله تعالى وتكذيبه لرسالته ، ليس له ذكر إلا على سبيل الامتهان والتحقير ، كما دمر آثاره هو وقومه ، ليمحو أثره من التاريخ ويجعل من محاولة الكشف عن شخصه تحديدا أمرا عسيرا إن لم يكن مستحيلا، فالآثار والتراث المتبقي من الشعوب هي الوسائل الوحيدة التي تربطنا بهذه العصور

البائدة إلا ما أراد الله أن يذكره من أخبارهم ، لذلك كان تدمير آثاره هو وقومه بمثابة الحكم النهائي على طمس شخصية هذا الملك الطاغية ، وجعله نكرة ليس له ذكر ولا تراث تاريخي لا هو ولا قومه الذين اتبعوه ، دأبهم في ذلك كدأب كل الأمم المكذِّبة الأخرى.

وخلافا لما أراده الله تعالى ، حاول اليهود بمكرهم استغلال العتامة التي أصابت سيرة هذا الملك وقومه وندرة المصادر التي تتحدث عن وقائع صراعه مع موسى عليه السلام، فأرادوا أن يلصقوا هوية فرعون ببعض الملوك المصريين الأكثر شهرة في تاريخ مصر القديمة كله ، ونشروا ذلك وأعلنوه واستخدموا كل وسائلهم الإعلامية ، فقاموا بتأليف المؤلفات وتخصيص الأبحاث وتسجيل الأفلام المصطبغة بالصبغة العلمية ، وكرسوا الأموال الضخمة لهذا الغرض ، كل هذا من أجل أن يقولوا فقط أنهم شعب متحضر منذ القدم أسهموا في صنع أعظم الحضارات بل ويرجع لهم الفضل في ذلك ، وأن العرب والمسلمين والشرقيين ما هم إلا طغمة من المتوحشين الجبابرة قساة القلوب، ساعدتهم الظروف والبيئة التي نشأوا فيها في الوصول إلى معيشة كريمة في تلك العصور ، ولو أن هذه الإمكانات – كما يدعون – كانت بأيدي جنسهم لكان الأمر مختلفا ولتوصلوا إلى حضارة تفوق حضارات العالم القديم والحديث مجتمعة ، ثم إن في كذبهم حول هوية قوم فرعون أيضا مأربا خبيثا حيث إن هوية قوم فرعون كانت مرتبطة بهوية من كان يسكن فلسطين في تلك العصور وهو ما سنثبته في كتابنا هذا ، غير أنهم طمسوا تلك الحقيقة من أجل نفي عروبة فلسطين الراسخة قبل ذلك العصر بآلاف السنين ، والتأكيد على مبدأ الأرض الموعودة لهم وهذا جوهر ما يرمون إليه.

إن هذا الكتاب يؤرِّخ لفترة من أهم الفترات في تاريخ مصر ومنطقة الشرق الأدنى ويستعرض :

- تاريخ نشأة الأجناس البشرية والشعوب الناشئة من بعد الطوفان مرورا بالعصور البرونزية المبكرة والوسيطة والمتأخرة.
- طبيعة الظروف والأحداث الجارية خلال تلك الفترة وحقيقة سكان الشرق الأدنى في تلك العصور.
- بداية تواجد بني إسرائيل كقبيلة صغيرة وسط تلك الشعوب الراسخة في القدم.

- يتطرق الكتاب بالضرورة لتاريخ فلسطين والشام في نفس الفترة بالمقارنة مع تاريخ مصر جنبا إلى جنب كتاريخ مقارن حيث أن الأحداث في كلا المسرحين لا ينفصلان عن بعضها البعض.
- يبرهن هذا الكتاب من الناحية التاريخية والدينية والأثرية وبما يتوافق في الأساس مع ما جاء في القرآن الكريم كذب ادعاءات اليهود ومزاعمهم حول هوية فرعون وإثبات الحقبة التاريخية الحقيقية له ، وأصول قومه ومن أين جاءوا ، وأنه كان في حقبة مخالفة تماما لما يدعونه.
- يثبت الكتاب براءة ملوك القبط المصريين من تهمة الفرعنة التي ألصقها بهم اليهود والتوراتيون ، وخاصة الملك رمسيس الثاني وابنه الملك مرنبتاح أشهر ملوك الأسرة التاسعة عشر والمعروفة باسم أسرة "الرعامسة".
- يثبت الكتاب بالأدلة القاطعة أن فرعون وقومه ليسوا من القبط المصريون ولكنهم قوم آخرين نزحوا من خارج مصر يعرفهم المؤرخون العرب باسم "العماليق" ويعرفهم المؤرخون الإغريق باسم " الهكسوس" ويعرفهم المصريون القدماء باسم " العمو".
- يستعرض الكتاب كيف أن اليهود ليس لهم فضل في بناء أي حضارة تذكر ، وأن ما يقولونه ويروجون له فيه محاولة خفية للنيل من القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كما أنهم ليس لهم أي حق يُذكر في تلك الأرض لا من الجهة التاريخية ولا من الناحية الدينية .
- يثبت هذا البحث أيضا بالأدلة المتعددة عروبة أرض فلسطين قبل أن يوجد فيها بنو إسرائيل بآلاف السنين ، وكشف أكذوبة الأرض الموعودة ومملكة إسرائيل الكبرى التي تمتد بزعمهم من النيل للفرات كما يدعون ، متعرضين لكل مزاعمهم بالتفصيل وما يقابلها من حقائق تفند أقاويلهم الباطلة ، ومتناولين في ذات الوقت كل المحاولات والاجتهادات التي بذلت في هذا الصدد – على اختلاف اغراضها – منتهين بثمرة ما توصلنا إليه من حقيقة لا تضحد حول هوية وأصل وحقيقة فرعون وقومه وتحديد هويته بشكل عام وحقبته وعروبة فلسطين التاريخية وعلاقة هذا بذاك.

آملين بذلك أن نكون قد أسهمنا ولو بالقدر اليسير في تصحيح التاريخ الذي تم تزويره عن عمد ، وفي محاولة أيضا لإيجاد وعي بديل وتصحيح الفكر الخاطئ الذي تبناه – للأسف الشديد – الكثير من بني أمتنا غافلين ، وتبيانا للهدف الحقيقي لورود هذه القصة في القرآن الكريم ، وإظهارا لحقيقة أن سنن الله الكونية التي لا تتبدل ولا تتحول هي أيضا لا تتوقف على شخص بعينه ولا حدثٍ بخصوصه ، ولكنها ثابتة باختلاف الأشخاص والأزمنة والعصور.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

أحمد سعد الدين

يناير 2015

a.saad2003@gmail.com

مقدمة للكاتب الأستاذ / منصور عبدالحكيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه خاتم الأنبياء .. والمرسلين وسيد ولد آدم أجمعين .. ثم أما بعد ..

منذ زمن بعيد ولدىَّ يقين أن "الفراعنة" ليسوا مصريين وإنما هم حكام حكموا مصر فترة من الزمن مثل غيرهم من المحتلين الذين احتلوا مصر وحكموها كالرومان وغيرهم .. وقد حدثنا القرآن الكريم عن أحد الفراعنة وهو ما يطلق عليه "فرعون موسى" أى "فرعون" ملك مصر الذى عاصر سيدنا موسى عليه السلام واضطهد بنى إسرائيل ، وذكر القرآن فرعون على أنه حاكم ظالم وكان القرآن صريحا فى تعريف فرعون بأنه اسم لشخص فقال (آل) فرعون أى عائلة فرعون.

وذكر القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام وأبيه وإخوته ومقدمهم لمصر وهم "آل يعقوب" عليه السلام ولم يذكر القرآن اسم ملك مصر وقتها وأطلق عليه (الملك) .. وظل بنو يعقوب فى مصر على دينهم معتنقين التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد وهذا ما يذكره لنا المؤرخون حيث نجد فى تاريخ الطبرى:

عَن ابنِ اِسحاق ، قال:

"قبض الله يوسف ، وهلك الملك الذى كان معه الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق مُلك مصر ، فنشر الله بها بنى إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض - كما ذُكر لى - فى صندوق من مرمر فى ناحية من النيل فى جوف الماء ، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدى "الفراعنة" ، وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام متمسكين به".

لكن سرعان ما تغير هذا السلام والسكون وتغير الوضع بسرعة على بني إسرائيل الذين أصبحوا قبيلة ذات أفراد أكثر وفروع أكثر من ذي قبل خلال فترة إقامتهم في مصر ، فتملك ملك على مصر لم يكن يعرف لهم قدرا ولا لأنبيائهم مقامًا ، وكان ملكًا طاغيةً ظالماً عرف بقسوة القلب ، ويضيف ابن اسحق أيضا :

"حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه ، و لم يكن منهم ملكا أعتى منهم على الله ولا أعظم قولا ، ولا أطول عمرا في ملكه منه ، و لم يكن من الفراعنة من هو أشد غِلظة ولا أقسى قلبا ولا أسوأ مَلَكَةً لبني إسرائيل منه ، يعذبهم فيجعلهم خدما وخِولاً، وصنفهم في أعماله ، فصنف يبنون ، وصنف يحرثون ، وصنف يزرعون له ، فهم في أعماله ، ومن لم يكن منهم في صنعة له من عمله فعليه الجزية ، فسامهم كما قال الله: سوء العذاب ، وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقه".

ثم يقول الطبري: "وأما ابن إسحق فإنه يذكر أن سبب الاضطهاد ما رآه منجمو فرعون وعرافوه" وهو أقرب للمنطق والعقل" وفي ذلك فيقول :

"وذكر لي أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون وحزاته إليه ، فقالوا : تعلم أنا نجد في علمنا أن مولودا من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه ، يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ، ويخرجك من أرضك ويبدل دينك ، فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان وأمر بالنساء يستحيين ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته ، فقال لهن : لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتلتموه ، فكن يفعلن ذلك ، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان ويأمر بالحبالى فيعذبن حتى يطرحن ما في بطونهن ".

وهذا الكلام يدل على أن الفترة بين وفاة يوسف عليه السلام وبين تولي فرعون لملك مصر موصولة لا انقطاع فيها وهو من أكبر الأدلة على أن أحداث قصة يوسف عليه السلام وأحداث قصة موسى عليه السلام مع فرعون كانت في نفس الفترة الزمنية وكانت معاصرة لنفس الأقوام التي كانت معاصرة لبني إسرائيل في مصر وهم الهكسوس العماليق.

وهذا ما أثبته المؤلف في كتابه الذي بين يديك عزيزي القارئ ببراعة واقتدار وبالأدلة المتنوعة من القرآن والأحاديث وأقوال المؤرخين وعلماء الآثار والوثائق والبرديات النادرة، فقد كانت فترة الاحتلال الهكسوسي لمصر غامضة مبهمة وساقطة من التاريخ المصري لذلك لم تُدون تفاصيلها بشكل كامل ، وقد سمح ذلك لليهود أن يقوموا كعادتهم بتزوير التاريخ وفق ما يريدون وبدأوا تزويرهم من التوراة نفسها لتبدأ عملية التهويد منذ عصر مبكر جدا لإعادة كتابة التاريخ وفقا لأهوائهم وأهدافهم المستقبلية ، ولكن القرآن الكريم

المهيمن على ما سواه من الكتب أخبرنا بتفاصيل وأجمل لنا أدلة لم تتوافر في غيره والتي كان من أهمها إخبارنا عن تفاصيل نستطيع من خلالها تصور كيفية هلاك أكبر الجيوش الهكسوسية وموت قائده فرعون ووزيره هامان بطريقة مثيرة غرقا أثناء مطاردته لقبيلة آسيوية بدوية اسمها "بنو إسرائيل" وكل ذلك قبل أن تبدأ معارك أحمس والمصريين على من تبقى من الهكسوس في مصر بعد تلك الوقائع.

وفي هذا يقول المؤلف الأستاذ أحمد سعدالدين :

"فلم يكن من المعقول أن يخرج ملك مصري بكل جيش مصر خلف قبيلة بدوية يتراوح عددها ما بين 4000-6000 فرد ، فبنو إسرائيل لم يكن عددهم "ستمائة ألف" كما ادعت التوراة ، ولا يعقل أن يترجى ملك مصري حاشيته في أن يذروه ليقتل آسيويا من قبيلة بدوية كموسى عليه السلام ولا يعقل أن يكون ملك مصري بتلك الهيمنة الضعيفة كي يتواعد مع موسى في يوم الزينة ويجمع السحرة لذلك ، إنما هو ملك هكسوس آسيوي لغته ولغة قومه مثل لغة موسى ... إنها اللغة الكنعانية بلهجة آرامية وهي من أقدم اللهجات أو اللغات السامية وشقيقة اللغات السامية كالعربية القديمة والعبرانية التي أتت فيما بعد وانبثقت عن اللغة الكنعانية القديمة" ا. ه

لقد سعدت أيما سعادة بمراجعة الكتاب وبالمؤلف الشاب المجتهد الأستاذ أحمد سعد الدين وأسعدني كتابة هذه المقدمة له وأن أقدمه لك عزيزي القارئ لتتعرف على الحقيقة التي أخفاها اليهود ومن هاودهم .. وأتركك للبدء في القراءة والاستمتاع بهذا الكتاب الموسوعى القيم لتغوص في أعماق التاريخ القديم ..

ونسأل الله العظيم أن يتقبل هذا العمل من صاحبه وأن يجعله في ميزان حسناته يوم القيامة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الكاتب / منصور عبد الحكيم

القاهرة أول يناير 2015

الفصل الأول : أحوال مصر وشعوب الشرق الأدنى فى زمن إبراهيم (صلى الله عليه وسلم)

- تمهيد
- شعوب العالم قبل وبعد نوح عليه السلام
- ما بعد الطوفان وموجات الهجرات البشرية
- أصل شعوب الشرق القديم ومواقعهم ونسبهم إلى أبناء نوح
- كذب التوراة الملفَّقة وتزييف حقيقة أصل الشعوب العروبية
- دلائل عروبة الشام وفلسطين وسكانهما منذ فجر التاريخ
- إبراهيم عليه السلام وترحاله بين البلاد
- هل وفد إبراهيم عليه السلام إلى مصر ؟
- عهد إبراهيم وبداية عصر الآباء عند بني إسرائيل
- هل كان إبراهيم يهّوديا ؟
- التركيبة السكانية بعد عصر إبراهيم عليه السلام

تمهيد

لعله من الهام جداً لتفهم طبيعة الأحداث التي جرت في عصر موسى وهارون عليهما السلام والوصول إلى حقيقة فرعون وقومه أن يدرك الباحث والقاريء بعض التفاصيل الجوهرية الهامة عن تاريخ الجنس البشري منذ عهد آدم عليه السلام ومرورا بعصر نوح ثم عصر إبراهيم عليهما السلام ووصولا إلى عصر موسى وهارون عليها السلام.

فالاعتبارات التي سبقت عصر الخروج هي اعتبارات لازمة وحتمية لتفهم طبيعة ما جرى في ذلك العصر فهي التي كونت وشكلت مسرح الأحداث في هذا العصر وما تلاه من عصور، ولا ينبغي مراجعة القصة بكامل تفاصيلها بمعزل عما جرى قبلها حتى نتفهم المسببات والمقدمات التي أدت إلى النتائج الواقعة في عصر الخروج وما بعده.

وتتعدد تلك المقدمات والاعتبارات حول ما يتعلق بأصول السكان والشعوب والأجناس التي كانت منتشرة في مناطق الهلال الخصيب والشرق الأدنى ومصر، وما يتعلق أيضا باللغات واللهجات التي تحدثت بها تلك الشعوب، بالإضافة لضرورة المعرفة بالأحداث الحقيقة التي وقعت في تلك العصور وما داخلها من تحريفات وأفكار خاطئة وادعاءات وتشويهات يجب على دارس تلك الفترة معرفتها وتمييز الحق من الباطل في كل ما يُروى عنها حتى لو كان مشتهرا عند عامة الناس وخاصتهم.

ومن هذا المنطلق كان ولابد من استعراض تاريخ شعوب الشرق القديم بدءاً من الفترة التي كانت بين آدم ونوح عليهما السلام ودراسة حركة الفروع البشرية وانتشارها وهجراتها بعد الطوفان وحتى الوصول إلى عصر خروج بني إسرائيل من مصر وما بعده وصولا إلى فترة ما قبل استقرارهم في أرض فلسطين ودخولهم الأرض المقدسة في عهد داوود وسليمان عليهما السلام.

وكان لابد من الاستعانة بكل المصادر المتاحة لاستعراض كل النظريات ووجهات النظر التي تحدثت عن تلك العصور وماكان يعيش فيها من شعوب وتجمعات بشرية مختلفة ، سواء كان ذلك من كتب التراث الإسلامي والعربي أو ما تم الكشف عنه من آثار وحفائر أو ما تناولته الدراسات والأبحاث العربية والغربية بالإضافة إلى ما تم نشره

من كتب وأعمال بحثية عن نفس الموضوع ، إلى جانب الأعمال الفنية والعلمية التي تم إعدادها كالأفلام الوثائقية والتسجيلية التي تصطبغ بالصبغة التاريخية والعلمية.

لذلك فإن محاولة الفهم والإلمام بالموضوع بمعزل عن كل تلك الجوانب يعطي الباحث نظرة ناقصة وقاصرة عن حقائق كثيرة قد تغيب عنه وبالتالي تؤدي به للوصول إلى نتيجة خاطئة في هذا الموضوع ...

فضلا عن مسألة هامة جدا تتعلق بمعرفة هوية فرعون وقومه وهي أن انكشاف الحقيقية في ذلك الأمر يؤدي بالتبعية إلى تغيير حقائق تاريخية وعقائدية كثيرة تتعلق بتلك القضية وانكشافها سوف يؤدي إلى تغيير النظرة الكلية في قضايا أخرى كثيرة على قدر بالغ من الخطورة والأهمية ولها انعكاساتها على التاريخ والسياسة.

ويبدو أن من قاموا بتزوير وتغيير تلك الحقائق وإخفاء غيرها من التفاصيل الهامة كانوا يدركون مدى أهمية وخطورة ذلك التزوير وتبديل الحقائق وأثره على مجريات الأمور وما سيؤدي إليه من تغيير مفاهيم كثيرة يترتب عليها سلب حقوق واغتصاب أراضي ونشوء الكثير من الحروب والنزاعات والمواجهات خلال تاريخ الجنس البشري عبر العصور.

لذلك فإن محاولات كشف الحقائق وتغيير تلك المعتقدات التي أصبحت ما يشبه العقائد الراسخة ومحاولة إزالة الركام الكثيف من على عقول ومدارك الأمم هي محاولات شاقّة ومضنية وتحتاج الكثير من الجهد والبحث والتدليل بأدلة دامغة وقوية قدر الإمكان حتى تكون مقنعة ومنطقية لتنجح في إقناع أصحاب القناعات الخاطئة الراسخة في عقولهم بالتخلي عن تلك النظريات البالية والأكاذيب المشتهرة والقوالب الجامدة التي تم املاؤها عِلى عقولهم منذ نعومة أظفارهم ودفعهم في المقابل لتبني تلك الحقائق الواضحة التي هي أقرب للعقل والمنطق والتاريخ وصحيح الدين.

وفي هذا الفصل نستعرض بداية القصة من أولها ونتدرج في السرد والطرح والاستدلال حتى نمهد لفترة ما قبل إسحق ويعقوب عليهما السلام وأبنائهما في صحراء كنعان قبل انتقال بني إسرائيل إلى مصر بعد ذلك.

شعوب العالم قبل وبعد نوح عليه السلام

لعلنا كي نستطيع تفهم طبيعة الأحداث منذ البداية علينا أولا أن نتفهم طبيعة التركيبات البشرية التي انتشرت في الأرض قبل وبعد أحداث الطوفان الذي اجتاح الأرض في أيام نوح عليه السلام، فلقد بدأت شعوب العالم القديم في الانتشار والتباين تحديدا من بعد هذا العصر كما هو راجح، أما الفترة التي سبقت بعثته بعد أيام آدم عليه السلام فقد كانت كلها على التوحيد ولم يكن الشرك قد ظهر في الأرض بعد، ويرجح كثير من علماء الإنسان والتاريخ أن بني الإنسان قد بدأ انتشارهم من الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية ، ثم امتدت ذريتهم من هذا المكان إلى جميع الأصقاع من حوله.

يقول الدكتور رشدي البدراوي :

" والأقرب إلى العقل أن آدم وحواء خرجا معا وهبطا إلى الأرض في مكان واحد"، ثم يقول " ويرجح هـ . ج. ويلز في كتابه معالم تاريخ الإنسانية : أن مكان ظهور أول إنسان العصر الحجري الحديث هو مكان ما من آسيا الجنوبية الغربية — وهذا المكان هو اليمن" أ.هـ[1]

ومن ذرية آدم عليه السلام التي كانت متركزة في باديء الأمر في ذلك المكان انتشر أبناءه وأحفاده يجوبون أصقاع المعمورة فيما حول ذلك المكان، فمنهم من انتقل إلى الغرب عبر اليابسة التي كانت في مكان مضيق باب المندب [2] ، ومنهم من انتقل إلى

---

[1] قصص الأنبياء والتاريخ — الجزء الأول — رشدي البدراوي

[2] قرر الجيولوجيون وعلماء تاريخ الأرض بأن البحر الأحمر الذي كان يفصل أفريقيا عن آسيا كان اخدودا منخفضا ، ومكان المضايق في جنوبه عند باب المندب كان أرضا مستوية ، كما كان عند الشمال فيما حول شبه جزيرة سيناء كان أرضا مستوية كذلك ، ثم حدث تحرك لألواح القارات نتج عنه تولد البحر الأحمر وظهور مضيق باب المندب وخليجي السويس والعقبة ، ثم توالت العصور الجليدية لتغطي المضايق بطبقة جليدية متجمدة ، ويحتمل أنه خلال هذه العصور كانت تتخللها هجرات عبر تلك اليابسة ، وقد كان سائدا في كثير من الأوقات الاعتقاد بأن الاحباش من الأجناس الأفريقية لأنهم يعيشون في افريقيا منذ القدم حتى ظن الكثيرون انهم افارقة خالصين ، لكن الحقيقة تقول انهم من قدماء العرب الذين هاجروا في الازمنة السحيقة من اليمن الى الحبشة ، فاللغة الأمهرية الأثيوبية هي لغة سامية بل وفرع من فروع اللغات العربية القديمة ، وحتى إن نظرنا إلى ملامح الاثيوبيين فإنها تدل بشدة على هذا الأصل، ومازال اليمنيون حتى الآن لديهم ثقافة أن اثيوبيا هي البلد الشقيق لهم.

الشرق نحو أواسط وجنوب آسيا ، ومنهم من انحدر إلى الشمال نحو أواسط الجزيرة وشمالها.

ويفترض أن جماعات من ذرية قابيل الذين ارتحلوا شرق اليمن وشمالها وصلوا شمالا إلى أرض ما بين النهرين حيث وجدوا الماء الوفير والأرض الصالحة للزراعة واستقروا في ذلك المكان وكونوا حضارة قديمة بدأت في الألف السادسة أو الخامسة قبل الميلاد.[3]

لكن توجد اعتراضات كثيرة على هذا الافتراض فيذهب آخرون إلى أن بداية انتشار الإنسان كانت من بلاد ما بين النهرين ثم انتشرت منها إلى غيرها من الأصقاع الأخرى ، وهم بذلك يشيرون إلى الحضارة السومرية التي يؤكد العلماء على أنها أول حضارة مدنية في التاريخ ، بينما يذهب غيرهم أيضا إلى أن الإنسان الأول قد هاجر من قارة أفريقيا إلى غيرها من مواقع العالم القديم ولكل نظرية يدعمها بأدلة مختلفة.

وارتبط انتشار الأمم في الأرض بظهور الشرك والعقائد المغايرة للتوحيد، فلقد كانت الأمة التي تعيش قبل نوح عليه السلام كلها على التوحيد، يقول الله عز وجل في كتابه :

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ البقرة 213 ، وذلك كما ورد في الأثر الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

"كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"[4]

وفي رواية أخرى : عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام[5]

ومعنى هذا الكلام أن الأمة والذرية التي كانت تعيش بعد آدم عليه السلام وحتى قبيل بعثة نوح عليه السلام إنما كانت أمة موحدة لله ما زالوا على التوحيد حتى بدأ الناس يشركون بالله وذلك باتخاذهم الاصنام المشهورة والمذكورة في سورة نوح[6] .

---

[3] قصص الأنبياء والتاريخ – الجزء الأول – رشدي البدراوي.

[4] انظر تحذير الساجد للشيخ الألباني .

[5] أثر ثابت انظر تلبيس الجهمية لابن تيمية.

[6] { وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً } نوح23

يقول الشيخ الألباني رحمه الله : "من الثابت في الشرع أن الناس منذ أول عهدهم كانوا أمة واحدة على التوحيد الخالص ثم طرأ عليهم الشرك والأصل في هذا قول الله تبارك وتعالى : وذكر الاية السابقة "أ.هـ [7]

وهذه الحقائق تدحض بشدة كل من زعم أن الدين والشرائع ما هي إلا نتاج قريحة البشر وأن التوحيد هو ثمرة كل مراحل ومحاولات الإنسان السابقة عبر كل العصور في إيجاد دين يدين به وأن الأديان الإبراهيمية — هكذا يطلق عليها الملحدون والمرجفون — ما هي إلا نتيجة لتطور الأديان البدائية على حد زعمهم ، وهذه الحقيقة الناصعة تضرب بكل مزاعمهم وادعائاتهم عرض الحائط بل وتنسف نظرية تطور الأديان من القواعد ، ولا يحتاج المرء إلا لوقفة تأمل عميقة ليدرك مدى تهافت هؤلاء من فلاسفة وطبيعيين وملحدين وغيرهم ، ولا يغرنا كثرة ما أُلِّف في هذا الصدد، فمهما تعددت المؤلفات والآراء تبقى تلك الحقيقة للأبد ، أن الإنسان الأول كان على التوحيد وظل كذلك حتى عهد قوم نوح عليه السلام الذين لم يسبقهم أحد إلى الشرك فأهلكهم الله بذلك.

ويبدو أنه لما ملأت الذرية شمالَ العراق يقال إنه ظهر فيهم خمس رجال صالحين هم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وأحبهم الناس لعدلهم وصلاحهم وعلمهم وتصادف أن ماتوا جميعا في فترة واحدة متقاربة فجزع القوم عليهم فقال رجل من نسل قابيل : هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم حتى تذكروهم ؟ فنحت لهم خمسة أصنام ونصبها لهم ومرت السنون وقدسوها وعبدوها" [8]

وقد ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم . وقد ذكر هذا البخاري في (صحيحه) وأهل التفسير كابن جرير وغيره.[9]

---

[7] تحذير الساجد — الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

[8] بتصرف – قصص الأنبياء والتاريخ — الجزء الأول — رشدي البدراوي.

[9] تفسير الطبري.

وتفترض بعض المصادر بأن شيث بن آدم عليهما السلام كان قد عبر مضيق باب المندب في نفس التوقيت الذي انتشرت فيه ذرية قابيل فيما بين النهرين، وهو الافتراض الذي لم نجده في أحد الكتب السابقة ، وأن بنو شيث ساروا شمالا وعمروا أرض وادي النيل، وولد فيهم إدريس عليه السلام — أخنوخ في التوراة – فآمنوا به واستمر فيهم التوحيد إلا أنهم من بعده عاودهم الضلال وعادوا إلى الشرك ، وكان منهم من بقي على التوحيد ورحلت قبائل منهم إلى الشمال الشرقي ووصلت إلى أرض فلسطين ثم الشام ثم شمال العراق حيث التقوا بأبناء عمومتهم أبناء قابيل.[10]

ولعلهم أرادوا بذلك أن يوفقوا بين التاريخ ورواية العهد القديم وبين الآراء التي ذهبت إلى وجود إدريس عليه السلام في مصر وأنه من علم أهل مصر القدماء علم الفلك والخط بالقلم وحياكة الثياب والزراعة ، وهو اجتهاد مشكور على أية حال.[11]

وبناءا على هذا الافتراض فإنهم يرجحون أن بنو شيث قد اختلطوا بأبناء عمومتهم من بني قابيل حتى ظهر فيهم الشرك ومن ثَمَّ وُلد نوح عليه السلام في هذا التوقيت وبعثه الله تعالى فيهم ليعيدهم إلى سبيل الرشاد.

على أن آراءا أخرى تستبعد حدوث مثل هذه الأحداث بنفس الترتيب، حيث يقر مؤرخون آخرون بأن إدريس كان في الفترة التي سبقت نوح والتي لم يكن الشرك قد ظهر في الناس خلالها، وأنه إنما كان مجددا لملة التوحيد دونما حاجة إلى أن يكون الشرك قد ظهر في الناس بعد.

---

[10] المصدر السابق.

[11] رجحت أقوال كثيرة إلى أن إدريس عليه السلام ولد بمصر وبمدينة منف ، وسموه هرمس الهرامسة وسماه الله عز وجل في القرآن الكريم إدريس ، ويقال أن هرمس الهرامسة لم يكن هو إدريس عليه السلام بل كان هرمس هذا رجل صالح يتبع ملة إدريس ، فتشابهت أقوالهما وسيرتهما ، وأضيفت أخبار إدريس عليه السلام على سيرته ، بينما رجحت أقوال أخرى إن إدريس عليه السلام ولد ببابل فلما وجد أن من أطاعوه نفر قليل نوى الرحلة عنهم وساروا معه حتى أشرفوا على وادي النيل ومن هنا جاء الربط بينه وبين مصر في قصصهم.

حقائق هامة:

وأيا كانت الحقيقة فإن الله تعالى قد أرسل نوحا عليه السلام إلى قومه الذين أشركوا وعبدوا الأصنام بعد أجيال من التوحيد ، ينذرهم من عذاب الله عز وجل ، والجدير بالنظر في هذه القصة أشياءا كثيرة نورد منها :

1. أن قوم نوح هم أول من ابتدع عبادة الأوثان بوحي من الشيطان ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن رب العزة تبارك وتعالى :

"وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنه أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ..."[12]

أي أن هذه الشعوب أشركت بالله بتحريض من الشياطين لتبديل دين الله وهو التوحيد.

2. أن شعوب الشرق القديم في الجزيرة العربية لم تفترق وتنتشر إلا بعد طوفان نوح عليه السلام وأن الله أهلك إلا من كان معه على السفينة بما في ذلك الحيوانات والكائنات والهوام وغيرها ، لذلك أمره الله تعالى أن يأخذ معه من كل زوجين اثنين[13]

لكن كما هو الأمر في كل فرضيات عصور ما قبل التاريخ ينقسم الباحثين إلى فريقين أحدهما يؤكد شمولية طوفان نوح لوجه الأرض جميعا ، والقسم الآخر يرجح أن الطوفان لم يشمل إلا منطقة الشرق أي في شمال الجزيرة العربية أي منطقة الرافدين وامتدادا إلى شرق أوروبا دون سواها من المناطق، ويفترضون أن نوحا أُرسل إلى قومه فقط في وقت كان فيه بعض الشعوب قد انتشرت بالفعل في أماكن غير شمال الجزيرة العربية – ومنها مصر وشمال أفريقيا – وأن ذلك الانتشار كان قد بدأ بالفعل قبيل عصر نوح عليه السلام منذ عصور أبناء آدم الأولين [14] ، أما الفريق الآخر فيرى أن سكان

---

[12] صحيح رواه مسلم وغيره.

[13] {حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ }هود40.

[14] رشدي البدراوي – قصص الأنبياء والتاريخ.

الأرض جميعا حتى عصر نوح عليه السلام لم يكونوا سوى شعب واحد يعيش في مساحاة كبيرة ، لذلك فإن الطوفان على حد وصفهم كان عالميا وغمر أكبر بقعة ممكنة من وجه الأرض وقتها. [15] [16] ، ويأتي على رأس القائلين بهذا الافتراض الحافظ بن كثير رحمه الله. [17]

وأيا كان الرأي الصائب فإنه في النهاية لم يبدأ انتشار وتنوع الشعوب وتباينها بالشكل المفهوم إلا بعد هبوط سفينة نوح واستقرارها وتكاثر أبناءه ونزوحهم وترحالهم بين البلاد، واستقرت السفينة على جبل الجودي وقد نصت التوراة على أن السفينة قد استقرت على جبال أراراط (أرارات)[18] في شمال العراق أو جنوب شرق تركيا على حدود أرمينيا وإيران وتركيا ، وظلت قصة الطوفان باقية في وجدان

---

[15] من كتاب قصص الأنبياء والتاريخ ج 1: "على أن بعض العلماء يميل إلى أن الطوفان كان عاما وأنه أهلك كل من وما على وجه الأرض ولم يبق على وجه الأرض إلا نوح ومن كانوا معه" ، ويؤكد على رأيه بكلام الإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا بعدم عموم الطوفان لوجه الأرض جميعا ، كما يؤكد بأن مصر في ذلك الحين كانت عامرة بالسكان من أبناء شيث وكذلك وسط وجنوب شرق آسيا. ، كما أورد الدكتور محمد بيومي مهران في كتابه " دراسات تاريخية " أدلة كثيرة على صحة هذا الرأي ، كما يؤكد رأيه بأن دعوة نوح عليه السلام كانت لقومه خاصة ، ويستند أنصار هذا الرأي أيضا إلى الأبحاث الجيولوجية وإستنادا إلى دراسة المتحجرات و طبقات علم الأرض إن هناك دلائل على حدوث فيضان في منطقة الشرق الأوسط في العصور القديمة ولكن الأبحاث لم تؤكد المعتقد الديني السائد أن الطوفان المذكور قد شمل جميع أصقاع الأرض ، وتشير دراسات من جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة إن البحر الأسود كان عبارة عن بحيرة في العصر الجليدي وإن درجة حرارة الأرض بدأت بالارتفاع وبدات الكتل الجليدية بالذوبان وإنه قبل مايقارب 7000 عاما حدث إمتداد لمياه البحر المتوسط وحدث طوفان بإتجاه تركيا وكانت قوة الطوفان معادلة لما يقارب 200 مرة قوة شلالات نياجارا.

[16] من كتاب طوفان نوح للأستاذ منصور عبد الحكيم :

[17] قال ابن كثير في البداية والنهاية: أجمع أهل الاديان الناقلون عن رسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس في سائر الازمان على وقوع الطوفان وأنه عم جميع البلاد ولم يبق الله أحدا من كفرة العباد استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم وتنفيذا لما سبق في القدر المحتوم.

[18] يؤكد الدكتور رشدي البدراوي أنه لا تعارض بين نص التوراة التي ذكرت بأن رسو السفينة كان في جبال أرارت وبين نص القرآن الكريم الذي ذكر فيه الله تعالى بأن السفينة قد استوت على الجودي ، حيث يؤكد أن الجودي ما هو إلا إحدى قمم سلسلة جبال أرارات (أراراط) في أرمينيا.

شعوب الشرق والعالم القديم حتى تسللت إلى أساطيرهم بعد أن طالتها أيادي التحريف والتزييف لإخفاء معالم القصة الحقيقية التي كانت هدفها الأسمى التأكيد على معنى التوحيد وإنذار المكذبين والطغاة[19]

3. وبما أن الناس كانوا أمة واحدة فقد كان لسانهم لسان واحد منذ آدم وحتى عهد أبناء نوح عليه السلام، ثم بدأت اللهجات تختلف وتنتشر بانتشار القبائل

---

[19] يقول الدكتور رشدي البدراوي في "قصص الأنبياء والتاريخ" : " لسنا في حاجة بعد ما ورد في القرآن الكريم عن الطوفان لأدلة أثرية تثبت حدوثه والحفريات التي قامت بها ولا تزال تقوم بها بعثات الآثار في جنوب العراق ووسطه كشفت عن شواهد تدل على حدوث طوفان عظيم شمل هذه المناطق ، كذلك عثر على ألواح بها كتابات تحكي قصة الطوفان العظيم في أكثر من مكان أثري وتختلف الروايات عن بعضها فقد أدخلت عليها الخرافات ونسبها كل شعب لنفسه وزعم أن بطلها كان فردا من أبناءه = = وكان الاعتقاد السائد آخر القرن الماضي أن التوراة هي أقدم مصدر لقصة الطوفان ، ولكن اكتشاف هذه الألواح والكتابات غير هذه الفكرة فقد عثر في عام 1853 م على نسخة من رواية الطوفان البابلية وفي الفترة مابين عامي 1889 و1900 م اكتشفت بعثة أمريكية اللوح الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان والتي يعتقد أنها كتبت في عهد الملك الشهير حمورابي عام 1800 ق.م ومن المؤكد أن القصة نفسها ترجع إلى عصر أقدم من ذلك بكثير وبهذا اتضح أن هذه القصص أقدم من العصور التي دونت فيها التوراة وأن كتاب التوراة في ذلك الوقت قد تأثروا بما جاء في قصص الطوفان القديمة فاضافوا كثيرا من التفاصيل والمبالغات التي تصل إلى حدود خيالية أضافوها إلى القصة الحقيقية كما أنزلت على موسى عليه السلام فخلطوا بينها وبين ما جاء في التوراة وخاصة أن التوراة كما يقول هـ.ج. ويلز قد جمعت لأول مرة في بابل أثناء السبي ويقدم كثير من العلماء أدلة على تأثير الأدب البابلي في التوراة ، كما أن آخرين يرون أن التأثر بالأدب البابلي قد حدث قبل ذلك بكثير أثناء فترات اتصال الإسرائيليين بالآشوريين ثم جاء القرآن الكريم ليقول قوله الحق في هذا الصدد وليرد القصة إلى أصلها الإيماني ويتجاوز عن التفاصيل التي لا تخدم القضية الإيمانية ويركز الضوء على تكرار دعوة نوح عليه السلام لقومه ورفضهم دعوته وإيذائه ثم تحديه فكان لا بد من طوفان يبيد هذه الطغمة الكافرة " ثم قال في موضع آخر " وقد عثر أحد الأثريين سير ليونارد دولي في حفائره في أور عام 1929 م على طبقة سميكة من الغرين السميك الذي يقدر بحوالي ثمانية أقدام وستة عشر قدما في بعض المناطق واعتبر ذلك دليلا على حدوث الطوفان العظيم نظرا لكثافة تلك الطبقة ، وفي بلدة أورك (الوركاء حاليا) وفي بلدة كيش وشورباك وجدت طبقة غرينية سميكة تدل على طوفان كبير" ، " كذلك وجدت وثيقة تقول بأن الملكية نزلت من السماء في بلدة إيريدو وتذكر القائمة ثمانية ملوك حكموا ثم جاء من بعدهم الطوفان الذي أغرق الأرض وبعد زوال الطوفان هبطت الملكية ثانية من السماء إلى كيش ثم أوروك " ثم ذكر الدكتور رشدي كلاما كثيرا يذكر فيه قصة الطوفان السومرية وقصة الطوفان البابلية فليراجع في موضعه ، كما ذكر ما يلي" اكتشف في مدينة نيبور أثناء عمليات حفر رواية مكتوبة على كسرة من الفخار يرجع تاريخها إلى 2100 ق.م وجاء فيها أن الإله ظهر ليذيع نبأ حدوث طوفان سيكتسح الجنس البشري وطلب من شخص بعينه أن يبني فلكا ذا سقف قوي لينجوا بحياته وأن يأخذ معه صنوف الحيوانات الأليفة وطيور السماء ، كما وجدت قصة الطوفان أيضا مكتوبة على لوح مهشم في مدينة سيبار ويرجع تاريخ الكتابة إلى العام 1966 ق.م تقريبا ، وفيها إشارة إلى المطر الغزير وإلى السفينة التي امر الملك في شورباك ببنائها وإلى الأفراد الذين أنقذوا من الطوفان بواسطة الفلك ، وواضح مما سبق أن جميع هذه القصص مستقاة مما حدث لنوح عليه السلام : طوفان عظيم أغرق الكافرين والمكذبين وسفينة عظيمة نجا بها نوح والمؤمنون واخذ فيها الحيوانات والطيور التي كانت في هذه المنطقة وعندما انتشر ابناء نوح في الأرض بعد الطوفان أسسوا قبائل ومدنا وممالك وراحت كل دولة تنسج قصة طوفان خاص بها وتنسب الأحداث إلى آلهتها وإلى بطل من أبنائها وهكذا ظهرت هذه الروايات المختلفة عن الطوفان وملأت أدب هذه المنطقة في ذلك الوقت ".ا.هـ

والجماعات وبداية حركات الهجرات من سلالات أبناء وأحفاد نوح عليه السلام ومن لحق به في السفينة من شعوب أخرى، ولعلماء اللغة أبحاثا طويلة في هذا الصدد تثبت أن أصول اللغات كلها واحد، وأن منبعها من الشرق القديم ، فلقد وجد العلماء الكثير من المفردات المشتركة بين اللغات القديمة تصل إلى ثلاثة آلاف مفرد من المفردات والجذور في بعض الأحيان [20].

4. أصل اللغات القديمة كانت اللغة الأم التي يعود إليها أصل كل اللغات الرئيسية التي بدأت كلهجات وأخذت في الظهور والتميز عن بعضها حتى وصلت لذروتها قبل الألف الأولى من ميلاد السيد المسيح ، ثم مالبثت وأن تطورت وتفرعت أكثر فأكثر حتى ظهرت اللغات المعروفة في يومنا هذا على صورتها الحالية، ويشير الكثير من علماء اللغة المعاصرين بأن تلك اللغة الأم – والتي أطلقوا عليها مصطلحا حادثا وهو العروبية أو الجزرية [21]– كانت تضم جذور كل اللهجات التي تطورت إلى اللغات القديمة بما فيها العربية القديمة والمصرية القديمة واللغة السبئية القديمة واللغة الأمازيجية (لغة شعوب البربر وشمال أفريقيا) واللغة الكنعانية القديمة والبابلية القديمة والآرامية (والكلدانية و السريانية فيما بعد) والكثير من اللغات القديمة الأخرى، وهي بذلك أصل كل اللغات القديمة السامية وغيرها – إن جاز لنا الأخذ بمصطلح السامية التوراتي [22]– بل وربما امتد أصل هذه اللغة – العروبية - إلى ما قبل نوح عليه السلام بل وإلى آدم أول البشر باعتبارها اللغة الأم التي انشقت وانبثقت منها كل اللغات في العالم ، ولنا في ذلك

---

[20] أنشأ في هذا الصدد الدكتور علي فهمي خشيم نظرية أكثر من رائعة وبحوث لغوية غاية في البراعة اشتملت على ما سبق بيانه ومنها كتابه " آلهة مصر العربية " وفي مقدمته بيان رائع لخلاصة جهوده في هذا المضمار- فليراجع.

[21] يفضل علماء اللغة الشرقيون إطلاق ألفاظ بديلة على تلك اللغة الأم كأمثال (العروبية – الأعرابية – الجزرية نسبة للجزيرة) بدلا من استخدام لفظ السامية التي يقصد اليهود من وراء تسميتها بهذا أغراضا خبيثة بحيث يحصرون السامية في أبناء يعقوب أي بني إسرائيل وينفونها عمن سواهم من الشعوب والأجناس برغم من أن العرب الحاليين أكثر سامية وفقا لهذا المفهوم ، وهدفهم في ذلك سلب هذه اللغة من أصلها الحقيقي.

[22] وفق تقسيم التوراة فإن الكثير من علماء اللغة الغربيين وعلماء الكتاب المقدس يعتبرون أن اللغة الأم هي اللغة السامية الأصلية Proto-Semitic التي انبثق منها كل اللغات السامية الأخرى.

شواهد منها أسماء الصالحين الذين اتخذوا أصناما قبيل عهد نوح عليه السلام كَوَد وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وكلها أسماء عروبية صرفة تمت بصلة وثيقة بأصول اللغة العربية القديمة[23] ، بل إن أسمَيْ أول البشر آدم وحواء عليهما السلام هما أسماء تمت بصلة وثيقة لاشتقاقات اللغة العربية القديمة أيضا.

ونجد أيضا في أسماء من كانوا يعيشون في عهد إبراهيم وما تلاه من عصور أسماءا عربية الوقع والرنين، والذي يظهر ـــ والله أعلم ـــ أن أبناء إبراهيم والكثير من معاصريه كانوا يتكلمون عربية ذلك الزمان بالإضافة إلى بضع لهجات أخرى، كما أن أم إسماعيل عليها السلام اسمها هاجر، وهذا لفظ عروبي صريح [24] وقد نزل بها إبراهيم عليه السلام إلى مكة، وقابلت قبائل جرهم والعماليق وتخاطبت معهم دونما حاجة إلى وسيط أو مترجم، وقد اشتقت اسم ولدها إسماعيل من (يسمع إيل) كما ورد في كتب أهل الكتاب، ونزل إبراهيم لابنه إسماعيل، وخاطب زوجتيه الجرهميتين العربيتين دونما حاجة إلى وسيط أو مترجم.

وقد رافق ابراهيم أقواماً في شمالي الجزيرة وفي أواسطها هم عرب لا محالة ، وهؤلاء "العرب " الذين كانوا في تنقّل دائم في طول الجزيرة وعرضها كانوا يتكلمون لغة خاصة بهم هي أم اللهجات العربية في التاريخ (أي العربية القديمة بلهجتها الجرهمية)[25] ، فلا بدّ اذاً ان تكون اللغتان قد نشأتا في عهد متقارب ، وان تكونا متقاربتين ، والا لما استطاع ابراهيم التفاهم مع رجال تلك القبائل التي رأينا له علاقات كثيرة بهم حسبما ورد في التوراة نفسها[26] .

---

23 من كتاب طوفان نوح للأستاذ منصور عبد الحكيم.

24 ينسب الكثير من الإخباريين والنسابين السيدة هاجر عليها السلام إلى المصريين وذلك القول يعد كلاما نسبيا سوف نتطرق للأدلة التي تنفيه في فصول الكتاب القادمة.

25 وقد ورد أيضا أن لغة إسماعيل كانت أفصح من لغة جرهم ، فهي أم اللغة المضرية التي فاقت بفصاحتها وبلاغتها سائر اللغات أو اللهجات العربية ، ثم ارتقت في عهد قريش من ذريته بما كانوا يقيمونه لها من أسواق مفاخرة في موسم الحج ، ثم كملت بلاغتها وفصاحتها بنزول القرآن المجيد المعجز للخلق بها.

26 العرب والآراميون – المطران بولس بهنام – بتصرف.

ومن هنا يظهر أن تلك اللغات القديمة كانت – في ذلك الوقت تنوعا على مصدر واحد –، وكانت أقرب ما يكون إلى لهجات متعددة من لغة واحدة أكثر منها لغات متباينة ومختلفة ، فلو افترضنا جدلا أن إبراهيم عليه السلام كان يتكلم الآرامية ، فلا يلزم من ذلك إنكار أن متحدث الآرامية لا يفهم الفروع الأخرى المنبثقة من اللغة الأم، وخاصة مع ما يروى من ترحال إبراهيم عليه السلام بين بلاد الرافدين والشام وتجوله على كل من سكنها من فروع من شعوب الشرق وتحدث معهم جميعا دون أن يحتاج إلى مترجم، فهذه اللغات مجرد تنويع على المصدر أو لهجات لأصل لغوي واحد ليس أكثر من ذلك.

وإذا نظرنا إلى اسم ابن أخي إسماعيل وجدناه (يعقوب) ؛ أي الذي يعقب ويخلف غيره، وهو قد عقب أباه ، كما قال تعالى : "ومن وراء إسحاق يعقوب" [27] فتأصيل

---

27 تذكر التوراة في سفر التكوين تبريرا وتفسيرا لإسم يعقوب عليه السلام ، لكنه لا يعدو كونه تفسيرا موجها كعادة كاتبي التوراة في اختلاق تبريرات عنصرية أو عقائدية تصب في اتجاهات مدروسة وتحمل دلالات خاصة مقصودة بكل تأكيد مهما كانت تلك التبريرات بعيدة كل البعد عن التفسير الحقيقي.

تقول التوراة أن اسم يعقوب عليه السلام جاء من أنه خرج من بطن أمه ويده قابضة بعَقِب (مؤخر قدم) أخيه عيسو : فخرج الاول احمر كله كفروة شعر فدعوا اسمه عيسو ، و بعد ذلك خرج اخوه و يده قابضة بعقب عيسو فدعي اسمه يعقوب و كان إسحق ابن ستين سنة لما ولدتهما. سفر التكوين.

وبموضع آخر بالتوراة سُمّي يعقوب من تعقبه لعيسو : فعندما سمع عيسو كلام ابيه صرخ صرخة عظيمة و مرة جدا و قال لابيه باركني انا ايضا يا ابي ، فقال قد جاء اخوك بمكر و اخذ بركتك ، فقال:ألأن أسمه دُعي يعقوب فقد تعقبني الآن مرتين؟ اخذ بكوريتي و هوذا الان قد اخذ بركتي ثم قال اما ابقيت لي بركة .تكوين27 – 37:34

ويبدو أنه بعد ضياع نصوص قصة يعقوب الأصلية التي كانت بتوراة موسى ، تخبّط الكاتب اليهودي في تعليل اسم يعقوب فاخترع حكاية أن الاسم جاء من إمساك يعقوب بعَقِب (مؤَخَّر رجْل) أخيه عيسو ساعة ولادته.

فنحن نجد في أدبيات اليهود أن عيسو قد خرج أولاً ثم خرج بعده يعقوب على الفور وهو قابض على عقب عيسو.

وورد في قاموس الكتاب المقدس: يَعْقوب ، اسم عبري معناه ((يعقب ، يمسك العقب ، يحل محل)) وهو أحد الآباء الثلاثة الكبار للعبرانيين. وهو ابن اسحق ورفقة وتوأم عيسو، اشتق اسمه من الحادثة التي وقعت عند ولادته

ونجد في المحيط الجامع : يعقوب ابن اسحق ، أوّلا : اسم احد آباء العهد القديم. الاشتقاق الشعبي لاسمه كما في سفر التكوين.

عقب (الذي أمسك بيده عقب أخيه). أو عقب : غشّ (الذي غشّ اخاه مرتين). رأى بعض الشراح أن العنصر الالهي (يعقوب إيل) سقط من الاسم الذي يعني في الاصل : حماه الله =

هذا الاسم في العربية قريب المأخذ لمن تأمله، وهذا كله يدل على وجود تلك اللغة الاشتقاقية العروبية العريقة التي كانت سائدة في هذه المنطقة منذ القدم، وإن اختلفت وتحورت وتطورت إلا أنها لا تخرج عن لغة الاشتقاق.

= وبحث آخرون خارج التوراة حينما استشهدوا باسم يعقوب ايل في الأسماء الأموريّة التي تعود إلى الألف الثانية ق.م. حيث نجد اسم "يعقوب حر" على جعران من أيام الهكسوس وهو اسم ملك من ملوكهم مما يدل على أن الاسم كان مستخدما في تلك العصور.

وحير تصارع جنينين ليخرج أحدهما قبل أخيه ، لا يقوله عاقل. وقال ابن المطهر في كتاب " البدء والتاريخ" : وهذا ما لا أعرف له تأويلا وأصلا.

وقال ابن الجوزي في المنتظم : وإثبات خصومة بين حملين من أبعد الأشياء قد نزهت كتابنا عن مثل هذه الأشياء.

وانحصرت التفسيرات لاسم يعقوب عليه السلام في كتب التفسير والتاريخ وغيرها كتاريخ الطبري ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ، و الكشاف للزمخشري ، والجامع لأحكام القرآن – القرطبي ، وتاج العروس ، والكشف والبيان للثعلبي النيسابوري ، وتفسير الألوسي وبحر العلوم للسمرقندي والبداية والنهاية لابن كثير ، وفي بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ، والدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، وفي تفسير البغوي وغيرها في الكثير من المصادر التي لم تخرج عن التفسيرات التالية :

لأنه أمسك بعقب أخيه التوأم عيصو أثناء ولادته

لأن ذريته (تَعْقُبُه)

أو لأنه كَثُر (عَقِبُه) ونَسْلُه .

لأنه كان (يعقب) أوامرَ الله تعالى ونَواهيَه من كتابه فيَعْمَل بها.

ويبدو أن الاشتقاق الأصح لاسم يعقوب – رغم أن جُل كتب التفسير ربطت تسمية (يَعْقُوبَ) بأخيه عيسو ، ولم تربطها بأبيه إسحاق– إلا أن العديد من المفسرين لاحظوا ربط الآية بين تسمية يعقوب وإسحاق، فقال السهيلي في الروض : لفظ يعقوب أولى بذلك المقام ، لأنها موهبة بعقب أخرى ، وبشرى عقب بها بشرى == وكذلك ما قد يُفهم من كلام ابن كثير ، ومن المعاصرين ما ذكره ابن عثيمين : وسمي يعقوبَ: قيل: لأنه عقب إسحاق ، وما قاله الطيار :سُمِّي من الحدث الذي قام فيه ، وهو كونه يخلف أباه (أي : يعقبه) . ولعل بعض المفسرين قد أشاروا لمعنى اسم يعقوب بقولهم "سيكون لإسحاق عقب من بعده هو يعقوب".

وبما أن اليهود قد أضاعوا النص الأصلي للتوراة أو تحرف عليهم لأغراض موجهة ، فإن الله قد أعاده في القرآن حديثاً صافياً بقوله تعالى : وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ.

ولو تمعنا في الآية الكريمة وقارنا بين معنى : وَمِن وَرَاء ، وبين معنى :يَعْقُوبَ ، لتطابق المعنيان أو كادا. فالأقرب والأوضح أن يكون اسم (يعقوب) مشتقاً من ذلك المعنى وهو الأقرب أن اسم يعقوب من أنه عقب (من وراء) أبيه إسحاق ، وكأن معنى [وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ] هو: (و يَعْقُبُ إسحاقَ يعقوبُ) ، أو : وعُقْب إسحاق يعقوب فيُفهَمُ من الآية أن يعقوب عليه السلام سُمي بذلك على الأرجح لأنه (عُقُب ، عُقْب ، عَقِب ، عَقْب ، عُقُبْان) أبيه إسحاق في مولده ، أي (بعده ، وراءه ، خلفه) ، أو لأن يعقوب يَعْقُبُ إسحاق. فعبارة (وَمِن وَرَاء) كأنها تشرح وتبين معنى اسم يعقوب ، وتربطه بإسحاق .

والجدير بالذكر أن اللغة العربية الفصحى – أو اللغة العربية المعيارية أو القياسية التي نزل بها القرآن – هي أفصح ما نتج عن هذه اللغة العروبية الأم، لم تداخلها الإضافات ولا الألفاظ الغريبة غير الفصيحة كغيرها من الفروع بل احتفظت بالأصل وتجلت في كامل فصاحتها وأوج تطورها في عهود الجاهلية بل وعرّبت ما دخل عليها من ألفاظ غريبة، لذلك تخيرها الله لتكون لغة كتابه الخاتم الذي أنزل على نبيه الخاتم صلوات الله وسلامه عليه.

ما بعد الطوفان وموجات الهجرات البشرية:

كانت طبيعة التركيبات البشرية التي انتشرت في نواحي الشرق الأدنى وما حوله في آونة ما بعد الطوفان ذات أهمية بالغة في التأثير على مجرى الأحداث التي تلت ذلك من عصور، ونعود إلى اللحظة التي نزل فيها نوح وبنوه وذرياتهم ومن آمن معه من غير ذريته[28] من السفينة وكذلك نزلت الحيوانات والبهائم والطيور وانتشروا في الأرض ليعمروها بعد أن كانت مظاهر الحياة فيها قد بادت بفعل الطوفان ، وانتشر الأبناء وزوجاتهم وتكاثروا.

وتشعبت الروايات حول من هم الساميون والحاميون واليافثيون دون أن تبلغ إحداها درجة الصحيح ، ووفقا لذلك التقسيم فقد انتشر أبناء نوح عليه السلام سام

---

[28] ينقسم الباحثين كما هو معتاد إلى فريقين بخصوص ذرية ما بعد نوح عليه السلام : فريق قال بأن كل النـــاس اليوم من ذرية النبي نوح ، فعن قتادة، في قوله: وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ، قال: فالناس كلهم من ذرية نوح ، وعن ابن عباس في قوله تعالى: وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ. يقول: لم يبق إلا ذرية نوح.

وقال الفريق الآخر: كان لغير ولد نوح أيضا نسل ؛ بدليل قوله : " ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوح " [الْإِسْــرَاء : 3]. وقوله : " قِيلَ يَا نُوح اِهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَات عَلَيْك وَعَلَى أُمَم مِمَّنْ مَعَك وَأُمَم سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسّهُمْ مِنَّا عَذَاب أَلِيم " [هُود:48] فعلى هذا معنى الاية : " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ " دون ذرية من كفر أنا أغرقنا أولئك، ومعنى الآية "وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ" قال القرطبي يريد إبراهيم وحده أي أن إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لا من ذرية نوح وهو قول بعيد فالراجح أن إبراهيم من ذرية نوح عليهما السلام ، وفي التوراة في سفر التكوين 32 : هــؤُلاَءِ قَبَائِلُ بَنِي نُوحٍ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ بِأُمَمِهِمْ. وَمِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتِ الأُمَمُ فِي الأَرْضِ بَعْدَ الطُّوفَانِ.

وحام ويافث[29] في كل جهات الأرض، ومن هؤلاء تشعبت قبائل في أنحاء الأرض[30] ، وينسب النسابون العرب وفارس والروم لسام ، وينسبون الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ليافث ، والقبط والسودان والبربر والزنج والحبش لحام.

وينسب آخرون الروم ليافث وهو الأرجح ، بل ويفصل بعض المؤرخين المسألة إلى حد بيان توزيع الذرية على القارات في العالم القديم ، وينص التفصيل على أن أبناء نوح الثلاثة يافث - وهو أكبرهم — و سام - وهو أوسطهم — و حام - وهو أصغرهم — وأن كل أمة من الأمم ترجع إلى واحد من أبناء هؤلاء الثلاثة على كثرة الخلاف في ذلك.

وتوضح الخريطة التالية أن أبناء يافث الابن الأكبر لنوح عليه السلام ، بعد أن هبط من السفينة على جبل الجودي بأرمينيا قد انتشر أبناءه إلى الأصقاع الشمالية البعيدة في كل من قارتي آسيا الشمالية بما فيها روسيا والصين وأوروبا ، ويحتمل كذلك إلى الأمريكتين اللتين كانتا ملاصقتين عند بعض الحدود في مناطق من غرب أوروبا وهو احتمال وارد لكن حدوث ذلك كان في عصور جيولوجية سحيقة قبل تحرك الألواح القارية.

أما أبناء حام الذي كان على مايبدو يحمل صفات ذوي البشرة السمراء فإنه زحف هو وذريته إلى أفريقيا فكان من نسله القبط والبربر والأحباش والزنج ، وينسب بعض الناس سكان وشعوب السند والهند إلى حام أيضا (أنظر الخريطة التالية) وفي ذلك محل نظر فهو غير مرجح من الناحية المنطقية ولا الإثنية.

---

[29] وهم أبناء نوح الثلاثة كما ورد في العهد القديم وفي كتب التراث القديم وكتابات الإخباريين العرب والمسلمين وأهل الكتاب ، على أن كل ذلك منقطع الإسناد وليس عليه خبر مؤكد تأكيدا تاما ، حتى أن ابن خلـدون قـد وصف ذلك في كتابه المقدمة بأنه من "حطام المفسرين وأساطير القصاص" ولكن لا مناص لأي دارس لهذه الجزئية أن يتعرض لمسألة الأنساب كما وردت في مصادرها ، فهي المصادر الوحيدة التي يمكن الرجـوع إليهـا في هـذا الصدد، وقد ورد في الحديث مَا رُوي من قول النبي صلى الله عليه وسلم عن قولِ اللّهِ تعالى : "وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُـمُ الْبَاقِينَ" قالَ :حامٌ، وسامٌ، ويافثُ بالثّاءِ ، لكن الألباني رحمه الله وعلماء الحديث قد ضعفوا إسناد الحديث.

[30] انظر سفر التكوين – 9

وأما أبناء سام، وهم محل نظر وتأمل عميق ، فإن منابع التاريخ والحضارة بدأت عندهم ، وعظائم الأحداث والوقائع جائت من أخبارهم ، وأقاصيص الرسالة والحكم والنبوة وردت من أثرهم وحتى الكتب المنزلة نزلت في مناطقهم وعلى شعوبهم، فميراثهم من الأرض كان ضئيلا مقارنة بميراث أبناء يافث وحام (انظر الخريطة التالية)، فانحصرت سكناهم في جزيرة العرب وماحولها من بلاد الشام والرافدين، وهي مناطق صغيرة إذا ما قورنت بباقي مساحة آسيا والقارات الأخرى كأوروبا وأفريقيا ، لذلك فإن هذه المساحة المحدودة من الأرض قد ضاقت بسكانها وخاصة مع جدوبة وتصحر معظم أجزائها وشح الماء والكلأ والغذاء في مساحات كبيرة منها مع الوقت بعد انجلاء العصور الجليدية الأولى وما تلاها من عصور زراعية جعلت من أرض الجزيرة العربية مروجا[31] ثم تلا ذلك عصور الجفاف والتصحر على أرض جزيرة العرب، فتجلت في شعوبها موجات الهجرات العظيمة المستمرة والمتتالية، وكثرت الحروب والمنازعات على الأرض وعلى حكم الممالك طوال فترة ما قبل التاريخ.



خريطة العالم موزع عليها شعوب العالم وفقا لذرية نوح وأبناءه الثلاثة

[31] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا .أخرجه مسلم في صحيحه من رواية أبي هريرة

وعلى ضيق ومحدودية هذه الأرض مقارنة بباقي قارات العالم التي انتشر فيها اخوة سام الاثنين يافث وحام "المفترضين"، إلا أن منطقة الجزيرة العربية والشام تميزت عن سائر بقاع العالم بمميزات لا توجد فيما سواها، فالأرض المباركة والأماكن المقدسة لم تقع في سواها من أماكن الأرض وأطرافها، فالبيت العتيق فيها، وبيت المقدس فيها، وقبور الأنبياء والصالحين فيها، فضلا عما ميز الله به هذه المنطقة من أن جعل الرسالة والنبوة في أبناء سام دون سواهم على الأقل فيما قصه الله علينا في الكتب المترلة ، وحتى الكتب المترلة التي نزلت كصحف إبراهيم ومزامير داوود وألواح موسى وقرآن محمد عليهم جميعا أفضل الصلوات وأتم التسليم نزلت جميعها في جزيرة العرب والشام، ثم انها كانت أيضا مهد الحضارات الأولى في الشرق بأسره بل وفي العالم بأجمعه، كما كانت تلك المنطقة أيضا منبع اللغات الأولى ومنطلق انتشارها وتنوعها، وعلى هذا فإن منطقة الشرق الأدنى أي جزيرة العرب وأرض الشام والعراق هي رائدة العالم القديم بلا منازع بالإضافة إلى مصر بالطبع ، فكان تاريخ هذه المنطقة بكل تأكيد هو تاريخ البشرية كلها ، غير أن هذا التاريخ قد أعيد كتابته وصياغته على أهواء قوم ارادوا أن يكون التاريخ حكرا عليهم وحدهم دون غيرهم وهم اليهود ، فأرادوا أن يسلبوا هذا التاريخ من أصحابه الحقيقيين، فعاثوا فسادا في تاريخ الأمم السابقة وأعادوا صياغته وكتابته بشكل يخدم أغراضهم، وماكان ذلك يتأتى لهم إلا من خلال تبديل الكتاب المترل عليهم وهو التوراة، فكانت التوراة الملفقة هي الأداة الفعالة لتحقيق أهدافهم الدنيئة تحت ستار الشرعية الإلهية، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وصدق الله إذ يقول:

{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ }البقرة79

ولنا مع تأثير ما فعله اليهود بكتابهم من تبديلات وأغراض ذلك وقفات طويلة تأتي في حينها للتفصيل عن الكلام في هذا الأمر.

أصل شعوب الشرق القديم ومواقعهم ونسبهم إلى أبناء سام بن نوح عليه السلام:

ذكرنا أن شعوب الشرق الأدنى القديم تنسب كلها لسام بن نوح عليه السلام — حسب تقسيم التوراة - ويتوسع البعض في الحكم على أبناء سام الذين استقروا في جزيرة العرب والعراق والشام وبلاد فارس على أن جميع الأمم التي سكنت في هذه المناطق والتي انحدرت من نسل سام هم شعوب عربية خالصة ، غير أن التوسع في الحكم بهذه الكيفية على عروبة أبناء سام جميعهم يكتنفه بعض العيوب وتقابله أكثر من معضلة، إذ أن الفارسيون أبناء فارس — وهم ساميون - لا يعتبرون أنفسهم عرب، ويصرون على وجود تباينا واضحا بين الجنس العربي والجنس الفارسي، ويبرر البعض أن هذا التباين قد نبع من عدم اختلاط أبناء فارس بإخوانهم من أبناء سام الأخرين، وهو الأمر الذي حدث مع كل الشعوب والأعراق التي انحدرت من سام بن نوح عليه السلام ، إلا أن الفرس قد فرضوا على أنفسهم نوعا من العزلة المكانية واللغوية لفترات مديدة فتباين جنسهم نوعا وتباينت لغتهم — والتي تطورت بمفردها في معزل عن اللغات السامية الأخرى - أي لغة العروبيون - أبناء سام - التي انتشرت في كل أصقاع الجزيرة العربية واطرافها على فترات متباعدة.

ويتفق علماء كثيرون على أن شبه الجزيرة العربية تُعتبر مهد الساميين (أبناء سام بن نوح وفقا لرواية التوراة)، وأنها كانت تمثل خزاناً بشرياً هائلاً يفيض كل بضعة قرون فيلقى إلى حدوده البعيدة بمجموعات من المهاجرين، ولقد عرفنا منهم في العراق القديم: الآكديين والعموريين (الأموريين) / العماليق والآراميين وغيرهم.

كما عرفنا منهم في سوريا الكبرى وبلاد الشام : الكنعانيين والعموريين والآراميين أيضا ، بجانب الميديانيين والمؤابيين والعمونيين وغيرهم. على أن هناك شعوباً سامية أخرى بقيت في شبه الجزيرة العربية ـــ الوطن الأم ـــ وتركت آثاراً وحفائر تشير إلى بقايا حضارات قديمة.

وما يعنينا في بحثنا هذا التطرق إلى أبناء سام وثقافتهم وشعوبهم ولغاتهم ، وأبناء سام هم كما تم حصرهم في العهد القديم حسب التقسيم التوراتي وفي كتب النسابين العرب (عيلام — آشور — أرفكشاد — لود /لاوذ — آرام /إرم).

ومن هنا بدأت شعوب الشرق القديم تظهر من خلال تلك الأسماء حسب التقسيم التوراتي فنرى منها مايلي:

1. عيلام بن سام بن نوح : وانحدر منه العيلاميون، وسكنوا في المنطقة الواقعة بين شرق نهر دجلة وغرب بلاد فارس وعاصمتها مدينة سوسة " شوشن " (منطقة خوزستان و الأهواز أو الأحواز كما يطلق عليها البعض).
2. أشور بن سام بن نوح : وانحدر منه الأشوريون، وبنيت المدينة والمملكة المسماة باسمه " أشور " بشمال العراق في المنطقة المحيطة بنهر دجلة (عند الموصل حاليا) ، وتكاثر أبناؤه وكوَّنوا الأشوريين.
3. لود / لاوذ بن سام بن نوح :

ويقال أنه أبو العماليق الذين سكنوا وسط الجزيرة العربية وغربها إلى الشام في الشمال، ولم يذكر في التوراة ولد لاوذ و قال ابن إسحق : وكان للاوذ أربعة من الولد : وهم طسم و عمليق و جرجان و فارس قال : و من العماليق أمة جاسم فمنهم بنو لف و بنو هزان وبنو مطر و بنو الأزرق و منهم بديل و راحل و ظفار و منهم الكنعانيون و برابرة الشام وفراعنة مصر [32] و عن غير ابن إسحاق أن عبد بن ضخم و أميم من ولد لاوذ قال ابن إسحق : و كانت طسم و العماليق و أميم و جاسم يتكلمون بالعربية و فارس يجاورونهم إلى المشرق و يتكلمون بالفارسية.

وكما يبدو أن العموريين – وهم عماليق الشام – والكنعانيين أيضا يجب أن ينسبوا لهذا الأب ، حيث أن كاتبوا التوراة قد تعمدوا إخفاء أبناء لود أو لاوذ بن سام بن نوح في حين أنهم نسبوا الكنعانيين والعموريين إلى حام بن نوح وهو الأمر غير المنطقي بالمرة إلا لغرض يرمون من وراءه لإقصاء العرب الكنعانيين والعموريين العماليق واليبوسيين [33] – وغيرهم من أجداد الفلسطينيين المعاصرين – عن أحقيتهم في أرض فلسطين، فانتساب هؤلاء لحام بن نوح عليه السلام يبعدهم عن مناطق الساميين في

---

[32] يقصد الفراعنة الرعاة أو الملوك الرعاة وهم أنفسهم العماليق الهكسوس الذين احتلوا مصر كما سيأتي بالتفصيل في الفصل الثاني

[33] اليبوسيون : هم بطن من بطون القبائل الكنعانيه من شبه الجزيره العربيه وقد سكنوا في فلسطين وهم أول من سكن وبنى مدينة بيت المقدس على أرجح الأقوال

شبه الجزيرة العربية والشام، ويجعل مقرهم التاريخي غير واضح ، فلا هم سكنوا القارة الإفريقية ككل أبناء حام، ولا هم يستحقون العيش في جزيرة العرب والرافدين والشام كأبناء سام ، وعلى ذلك زعمهم بأن تبقى أحقية الأرض للموعودين فقط من أبناء سام (يشيرون بذلك إلى أنفسهم) ، وهو الأمر الذي سنثبت زيفه تاريخيا خلال هذا البحث بالبراهين القاطعة، كما سنثبت عروبة الكنعانيين والعموريين العماليق واليبوسيين وكلهم أجداد الفلسطينيين المعاصرين وأحقيتهم التاريخية للأرض.

إن تهميش الكنعانيين في التاريخ وفي الكتاب المقدس لليهود يصب في مصلحة العبرانيين بكل تأكيد، حيث حاول عزرا وتلامذته وأعوانه عند كتابتهم للتوراة التقليل (ما أمكنهم ذلك) من أهمية الكنعانيين ، ووجودهم بالأراضي الكنعانية، واعتبروهم على هامش الحياة، وتعمدوا عدم ذكرهم، على أنهم أصحاب الأرض الشرعيين، وبأنهم أول من سكنوا هذه البلاد، ولديهم حضارة وزراعة متقدمة، وصناعات فخارية، ونظم وقوانين وقيم وأخلاق، ولديهم كتب ومؤلفات ولغة خاصة بهم، فالعبرانيين على عكس ذلك تماما، لذا همشوا الكنعانيين وزوروا حضارتهم ونسبوها لأنفسهم، وكأنهم هم أساس الحضارة والرقي، وباقي الأقوام والشعوب حثالات وحيوانات خلقوا لخدمتهم فقط[34].

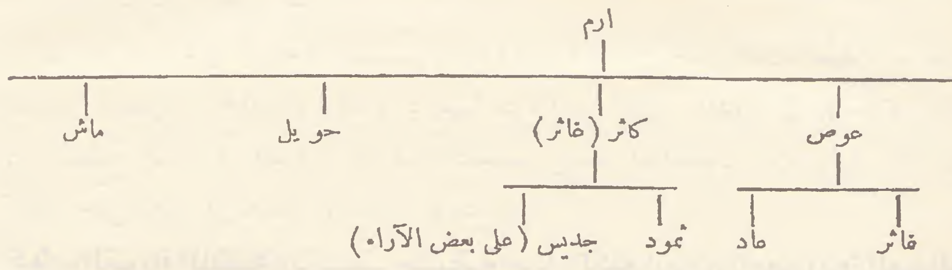
4. آرام أم إرم بن سام ؟ :

وهناك خلط في نطق الاسم ، فلفظ العهد القديم هو آرام ، أما لفظ الإخباريين العرب فهو إرم ، وهم بذلك يعزونه إلى أن يكون الوالد الأول لعاد وثمود والعرب البائدة وعلى ذلك أيضا يكون اثنان من الأنبياء وهما هود وصالح من نسله ، ويقال بأن الآراميين ينسبون إليه أيضا ، ويقول ابن اسحق أيضا : قال وولد إرم : عوص وكاثر/جاثر و عبيل و من ولد عوص عاد و مترلهم بالرمال و الأحقاف إلى حضرموت و من ولد كاثر/جاثر ثمود و جديس و مترل ثمود بالحجر بين الشام و الحجاز.

---

[34] احمد فؤاد القاسم – ألف سؤال وجواب عن بيت المقدس.

يقول جواد علي عن آرام ونسله : وهناك مناسبة أخرى جعلت بعض العلماء يذهبون إلى أن دمشق هي "إرم" أو "إرم ذات العماد"، فقد كانت دمشق -كما هو معروف- من أهم مراكز الإرميين "الآراميين"، وكانت عاصمة من عواصمهم. ولهذا السبب أيضا قال نفر من الباحثين إن "إرم" تعين "أرام"، وأن عادًا من "الآراميين"، وأن "عاد إرم" إنما تعني "عاد أرام"، فالتبس الأمر على المؤرخين وظنوا أن ذات العماد صفة، فزعموا أنها مدينة بناها عاد غير أنه قول لا يؤيده دليل يثبت أن "إرم" في هذا الموضع تعني "أرام". ومن الجائز أن تكون "إرم ذات العماد"، هي التي أوحت إلى النسّابين فكرة جعل "عاد" من نسل "عوص بن إرم"، لتشابه اسم "أرام" و "إرم" عند العرب التى هى "آرآم" فأصبحت عاد من الإرميين[35].



مشجرة أبناء إرم ويظهر فيها عاد وثمود وهم أصناف من العرب البائدة

5. أرفكشاد / أرفخشد بن سام بن نوح:

ومن نسله فالج ويقطان (قحطان أبو العرب القحطانيين كما يبدو) ومن فالج سلسلة نسب مرورا ب " عابر " وتنتهي إلى إبراهيم وابن أخيه لوط عليهما السلام.

وقد حصرت التوراة أبناء سام في هؤلاء المذكورين فقط، غير أن هناك شعوبا أخرى رئيسية يرى الكثير من النسابين والمؤرخين وعلماء الأجناس أنها شعوبا سامية خالصة و لم يذكرها هذا التقسيم التوراتي المشكوك في ثبوته ، وعلى ذلك دلائل لغوية كثيرة ، وقد نسبتهم التوراة إلى غير الساميين كالكنعانيين والعموريين — أو الأموريين العماليق - كما ذكرنا سلفا وكما سيأتي تفصيله، وهو الأمر الذي يرمون من وراءه

---

[35] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام — جواد علي

إلى تأصيل فكرة الشعوب الدخيلة على أرض فلسطين، وعدم أحقية هذه الشعوب في أرض فلسطين كما سنرى في عناوين تالية.

وجدير بالذكر أن مسألة تقسيم الأنساب بتلك الطريقة هي مسألة غير مؤكدة وغير متواترة كذلك ولا يوجد عليها أدلة تثبتها أو تنفيها اللهم إلا ما ورد في التوراة وفي كتب النسابون العرب والإخباريون ، لذلك فإن اعتمادية الباحثين على تلك الأنساب هو من باب الأمر الحتمي لأنه لا يوجد أي خبر مختلف أو قاعدة بديلة يستند إليها الباحثون في تقسيم الأنساب وتصنيف الأعراق والشعوب والأجناس إلا تلك الطريقة التي ليس عليها دليل ..

يقول الدكتور جواد علي :

إن كل ما رُوي من هذا التقسيم وما رواه الرواة من أخبار تلك الطبقات، لم يردْ إلينا من النصوص الجاهلية، وإنما ورد إليها متوترًا من الكتب المدوّنة في الإسلام، لذلك لا نستطيع أن نجرؤ فنقول: إن هذا التقسيم وضعه الجاهليون، وتوارثوا كابرًا عن كابر، حتى وصل إلى صدر الإسلام، ثم منه إلينا.[36]

كَذِبُ التوراة الملفقة وتزييف حقيقة أصل الكنعانيين والعموريين العماليق وغيرهم من الشعوب السامية العروبية :

عمد كاتبوا التوراة إلى نفي الصفة السامية العروبية عن بعض الشعوب التي من غير المبرر أن تنتسب إلى غير الأصل السامي أو ما نقصد به نفس الأصل المشترك للشعوب الشرقية الأخرى التي ذكرناها ، ولهذا التعمد أصل عنصري جلي يتضح في تأصيل مشكلة فلسطين والأرض المقدسة ، فادعاء اليهود بأحقيتهم في أرض فلسطين والتي يطلقون عليها أرض الميعاد ترتكز على عنصرين أساسيين ، ألا وهما :

1. التأكيد على وعد الله لهم بأن يعطيهم تلك الأرض ، حيث يبدأ الوعد لإبراهيم عليه السلام ، ثم ينحصر الوعد بعد تجدده لإسحق ويعقوب مرورا بالأنبياء من نسله – كما تؤكد ذلك التوراة بين الفينة والفينة – ثم ينتهي الوعد بالتحقق

[36] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – جواد علي

عندما يستوطن بنو إسرائيل الأرض المقدسة ليصيروا حكامها تحت لواء الشرعية المستمدة من الله كما يدعون ، وهو ما يشبه وعد بلفور ولكن تحت غطاء من القدسية والدين وفقا لكتابهم المحرف.

2. التأكيد على الأصل السامي لبني إسرائيل مع نفي هذا الأصل من شعوب المنطقة الأصليين وهم الكنعانيون والعموريون العماليق واليبوسيون ، وكلهم شعوب عروبية خالصة – من العرب القدماء – وبالتالي هم ساميون خالصون وفقا لتصنيف اليهود أنفسهم وخرائط النسب السالف ذكرها ، ولكن جاء كاتبوا التوراة ليعلنوا أن الكنعانيين والعموريين — الأموريين العماليق – هم من أبناء حام، وبالتالي لا أحقية لهم في هذه المنطقة وإنما هم مغتصبين ومعتدين على الأرض، ولا أحقية تاريخية لهم في هذه الأرض الموعودة لبني إسرائيل الساميين دون سواهم[37].

وبسبب هذين المبدأين الكاذبين، ادعى اليهود أحقيتهم في تلك الأرض، ودبروا المكائد والخطط لانتزاعها من أصحابها، وارتكبوا المجازر الشنيعة التي لا يعرف التاريخ مثيلا لها في حق تلك الشعوب — أهل فلسطين والشام — عبر حقب التاريخ المختلفة وادعوا ان ذلك بتوصية إلهية كما جاء في كتابهم المنحول، وحاكوا المؤامرات وأشعلوا الكثير من الحروب من أجل ذلك ، وأقاموا الجمعيات والمنظمات السرية التي تتحكم في الاقتصاد العالمي ومقدرات الشعوب وتقوم بإشعال الثورات والحروب والنزاعات

[37] تنسب التوراة في سفر التكوين وأخبار الأيام الأول كلا من صِيدُونَ ، وَحِثًّا وَالْيَبُوسِيَّ وَالأَمُورِيَّ وغيرهم إلى كنعان والذي تنسبه بدوره إلى حام وليس سام !!! ، وبالتالي يبرز التساؤل المنطقي من سبب وجود الحيثيين واليبوسيين والعموريين والكنعانيين وغيرهم من الفروع القديمة في بلاد الشام وهي المعروف وفقا للتوراة أيضا أنها أراضي سام وأبناءه ؟؟؟!!! ، ولا نرى سببا وجيها من وجهة نظرنا في تسريب هذه المعلومة المغلوطة إلا التأصيل لفكرة أن تلك الشعوب دخيلة على فلسطين وهو مبدأ قديم ومبكر لتهويد تلك الأرض بإبعاد أهل كنعان عن موطنهم الأصلى واعتبارهم دخلاء ومحتلين على تلك الأرض.

حول العالم[38]، إلى أن تحقق لهم هدفهم الدنيء بسلب الأرض من أصحابها واغتصابها لصالحهم على أنقاض الدولة الفلسطينية بدءا بحصولهم على وعد بلفور وانتهاءا بإعلان الدولة والذي تحقق لهم في عام 1948 م.

وعلى ذلك يجب أن نعي تماما أن تأكيد التوراة الملفقة على أن الكنعانيين والعموريين العماليق واليبوسيين – وهي الشعوب التي كانت تسكن فلسطين منذ ما قبل الألف الثالث قبل الميلاد بل ويزيد على ذلك – على أنها شعوب دخيلة على مواطن الساميين التي بيناها ليس مجرد خطأ غير مقصود، ولا مجرد معلومة عابرة لا تعنينا في شيء، بل إنها من أهم المنطلقات الثابتة في عقيدة اليهود لسلب أرض فلسطين من أصحابها وإثبات أحقيتها التاريخية لليهود كشعب الله المختار والموعود على حد زعمهم وشرائهم بآيات الله ثمنا قليلا بكتابتهم الكتاب بأيديهم وتحريفهم لكلام الله عن مواضعه.

وعلى ذلك أيضا يجب أن نتأكد من أن الكنعانيين والعموريين العماليق واليبوسيين- وغيرهم من شعوب كانت ساكنة لفلسطين منذ فجر التاريخ – هي شعوب عروبية خالصة وسامية كما يسميها اليهود ، وسوف نفصل الكلام عنهم في حينه لنعرف من أين جاءوا وما هي لغتهم، وما هي الدلائل التي تؤكد عروبتهم ومن ثم انتسابهم للأصل العروبي بلا شك أو ما يسميه اليهود بالعنصر السامي.

---

[38] للفائدة العظيمة يرجى مراجعة كتاب : أحجار على رقعة الشطرنج للكاتب الامريكي وليم جاي كار ، ليعرف القارىء بالحقيقة القاطعة دور اليهود الخفي في إذكاء نيران المؤامرات والنزاعات والحروب عبر العالم في كل حقبه المختلفة فليراجع.

دلائل عروبة فلسطين والشام والقدس وسكانهم منذ فجر التاريخ وكيفية تزوير اليهود لأحقيتها التاريخية:

كان سكان فلسطين والأردن وسوريا ولبنان وكذلك العراق خلال الفترة من الألف الخامسة قبل الميلاد وحتى وقت مبكر من الألف الثاني قبل الميلاد قد تكونوا من مجموعات آسيوية من ذوات الأصل السامي العروبي ، وقد تم الاصطلاح بتسميتهم بالعموريين أو الأموريين وهم صنف أصيل من العماليق طبقا للتسمية الغربية Amorites ، وسوف نورد في حينه كل المعلومات التي تمكنا من جمعها عنهم ، غير أن ما نحتاج إلى ذكره هاهنا هو التأكيد على عروبية هذه الموجات المهاجرة من البشر والتي وفدت من أماكن متفرقة من الجزيرة العربية غير أن جميع أصولهم المحتملة تقطع بعروبتهم وانتسابهم إلى الأصل العروبي السامي ، وقد تبين من الاكتشافات الأثرية في منطقة الشام وفلسطين التأكيد على عروبة الشعوب التي سكنت فيها، وتحول هؤلاء الأقوام — أنصاف البدو — إلى حياة المدنية والحضارة في كل المناطق التي سكنوها، غير أن بعض عناصرهم قد عجزت عن الالتحاق بمستقر لهم في تلك التخوم الآهلة الغنية بالموارد والماء ومصادر الحياة ، فاضطرت للعيش على حدود العمران في البراري الملحقة بالشام وما حولها ، وهؤلاء هم من عرفوا في الكتابات القديمة باسم العبيرو[39]، وكان العبرانيون الذين ينسبون إلى عابر يحملون نفس تلك الصفات وبالتالي فإن العبيرو هم أنفسهم العبرانيون ولا فرق بينهما إلا في اختلاف التسمية وفقة لاختلاف اللهجة.

وهؤلاء العموريون العماليق الذين استقروا في أماكن مختلفة في الشام وفي الهلال الخصيب عموما قد عرفوا بأسماء مختلفة في كل منطقة وتبعا لتوقيت كل موجة من موجات هجراتهم تلك، فعرف منهم إخوانهم الذين هاجروا إلى العراق بالأكاديين

---

39 يقرن البعض تسمية "العبيرو" بتسمية أخرى مشابهة في اللفظ وهي "الخابيرو" وأول من عمم ذلك الربط والمقاربة في اللفظ هو العالم أولبرايت ويبدو أنه قصد بذلك إضفاء بعد تاريخي أطول لبني إسرائيل حيث أن الخابيرو أقوام أقدم بكثير من العبيرو وتواجدو في أدبيات السومريين وغيرهم قبل أن يظهر العبيرو إلى الوجود بأكثر من ألف عام من الزمان ، فظهور الخابيرو في كتابات الشعوب القديمة كانت معاصرة للعصر البرونزي المبكر وأما العبيرو فظهورهم كان في القرن الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد أي في العصر البرونزي المتأخر.

البابليين، وعرف منهم من هاجر إلى شمال العراق بالآشوريين غير أن الأشوريين هم في الراجح من نسل آشور بن سام بن نوح عليه السلام في حين أن الراجح في نسب العموريون العماليق أنهم من نسل لود / لاوذ، وعرف منهم من هاجر إلى ساحل سوريا وفلسطين بالفينيقيين والكنعانيين، وعرف منهم من سكن شمال الفرات بالآراميين وهم من يرجح نسبتهم لآرام بن سام بن نوح عليه السلام وهم الذين قيل أنهم يتصلون بنسب إلى عاد وثمود، وعرف منهم من هاجر إلى فلسطين والأردن بالعموريين الغربيين والكنعانيين واليبوسيين سكان مدينة القدس وهي أصح الأقوال.

ومنذ العصر الحجري النحاسي 5000 – 3000 ق.م نجد دلالات أثرية واضحة على عروبة سكان تلك المناطق وخاصة فلسطين والقدس، فنرى في الكشوف الأثرية أمثلة كثيرة كالفخار الذي عثر على أعداد كثيرة منه في بيت شان/ بيسان وتتميز بلونها الأسود ، والرمادي المصقول ، والأيدي المموجة وقد وجد منه نماذج مشابهة في مصر السفلى ويعود تاريخها إلى عصر ما قبل الأسرات، كما عثر في مجدو على أقدم أنواع الفخار المزين والمنقوش بزخارف كثيرة والملون وبه تطعيم، ويعتبر فخار أريحا من أجمل أنواع الفخار، ويتميز بتعدد أشكاله وتنوعها، وما زال بعضها بشكله حتى الآن دون تغيير ومنها الإناء المعروف باسمه الشعبي "الزبدية- صحن أبو عشرة اللقان" وكذلك الإناء المعروف باسم "البوشة والبقلوشة والزير".

وهذا الحفاظ على الشكل دلالة على استمرارية الأصل العروبي في فلسطين والقدس دون انقطاع منذ تلك العصور وحتى العصور الحالية.

ونجد دلالات أثرية أخرى ترجع إلى العصر البرونزي المبكر الذي حدث فيه انتشار لهذه الأجناس العروبية داخل حدودهم حيث انضم لعرب فلسطين المزيد من العرب القادمين من أرض الرافدين ومن جنوب بلاد العرب وقد أطلق على العرب سكان الساحل السوري (سوريا- لبنان- فلسطين) الكنعانيون وعلى سكان المناطق الداخلية البعيدة عن الساحل العموريون أو الكنعانيون الشرقيون.

وقد عثر على جرار فخارية كان يوضع بها الأطفال الموتى ويدفنون تحت أُسس المباني والهياكل أو المعابد، عثر عليها في تل جازر وبيت شان / بيسان والغسولية وأريحا ، وما زالت هذه العادة الكنعانية العربية تمارس لدى الفلسطينيين فعندما يموت

طفل دون السنة، فإنهم يضعونه داخل جرة فخارية ثم يدفنونه، وهذه العادة الأسطورية تعطي دلالة على استمرارية شعب واحد عموري كنعاني عربي على هذه الأرض.

وكانت هذه القبائل قد تنافست فيما بينها على الرغم من صلة القرابة والجنس بينهم ، فدفعهم ذلك إلى بناء قلاع ضخمة، وأسوار عالية حول مدنهم كي تحمي كل قبيلة نفسها وتدعم حكمها، ولهذا انتشر نظام المدن المستقلة، تؤلف كل مدينة أو مدينتين مملكة ، وكذلك الحال في سوريا ولبنان والأردن، وعلى ذلك فقد انتشر مصطلح "المملكة" في كل بلاد الشام والرافدين وشمال الجزيرة العربية منذ الألف الخامس قبل الميلاد.

وقد راعوا في بناء مدنهم المحصنة أن تكون على تل مرتفع عن سطح الأرض التي حوله بشكل ملحوظ، وأن تكون الأرض منبسطة شيئاً حول التل بحيث يمكن رؤية الأعداء بسهولة إذا قدموا إلى قلعتهم التي يقيمون فوقها مدينتهم، كذلك يجب أن يكون التل بالقرب من مصدر ماء للشرب وربما كان هذا الطراز قد وفد عليهم مع إخوانهم العموريون العماليق الذين وفدوا من بلاد الرافدين والذين نقلوها بدورهم عن العيلاميين أبناء عيلام بن سام الذين كانوا يجاورون بلاد فارس وكثيرا ما تصادموا مع أهل الرافدين وقد سكنوا في المنطقة التي تقع في الأهواز شرق دجلة.

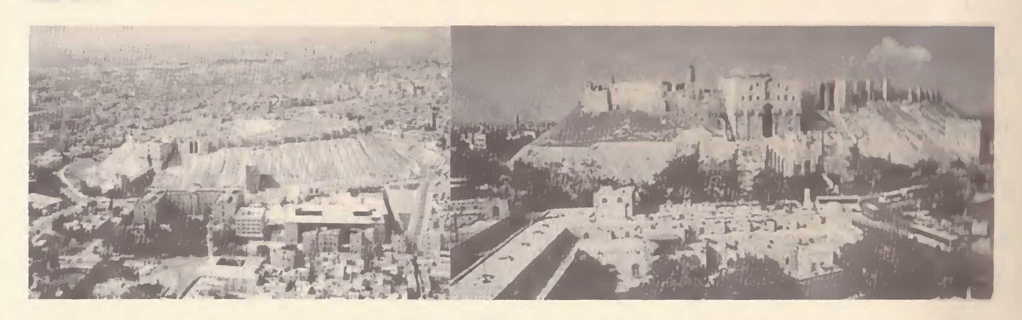
وقد عثر في مدينة اليبوسيين أورشليم على سور ضخم عرضه تسعة أقدام ويمتد في أحد جوانب المدينة لمسافة 49 متراً، وأمامه خندق عرضه أحد عشر متراً ويعود إلى القرن التاسع عشر ق.م.

وظهرت هذه الطُّرز في أريحا وشكيم وتل الجزر وتل بيت مرسيم وكلها مواقع فلسطينية، فقد بلغ ارتفاع أسوار أريحا عن الأساس نحو ستة أمتار ونصف تقريباً، وأسوار مدينة تل الجزر بلغ سمكها خمسة أمتار ويلحق بها أبراج دائرية، أما أسوار مدينة شكيم فقد بلغ ارتفاعها عشرة أمتار.

وقد تفننوا ببناء الاستحكامات وخاصة منذ القرن الثامن عشر ق.م، وهي تتألف من مبان ضخمة مستطيلة الشكل، بنيت من اللبن وعثر عليها في "لايش" و"حاصور" بالقرب من بحيرة طبريا، وهناك استحكامات ترابية عثر عليها في تل قيسان وشكيم

ولاخيش وتل بيت مرسيم وتل العجول وفي مناطق أخرى لصد الهجمات وتعويق العجلات الحربية وكان لكل حصن بوابة ولها ممر أو ممران أو ثلاثة وعلى جانبي كل ممر زوج من الأعمدة الضخمة.





قلعة مدينة حلب السورية (مملكة يمحاض قديما) تمثل نموذجا ممتازا لما كانت عليه طريقة بناء التحصينات على طريقة الكنعانيون والعموريون وشعوب الشرق الأدنى القديمة ومنها الهكسوس برغم ما طرأ عليها من تعديلات في الطراز فيما تلاها من عصور ويلاحظ مدى ارتفاعها بالنسبة لما حولها من أراضي نظرا لبنائها على التلال العالية

ومن الجدير بالذكر أن هذه الطرز المعمارية في بناء المدن المحصنة ذات الطوارات الضخمة المبنية على التلال المرتفعة هي بعينها ذات الطراز الذي بني به مدينة أواريس أو أفاريس عاصمة العماليق الهكسوس التي أقاموها في مصر على أسس مدينة مصرية قديمة في إقليم الشرقية.

وتشير الحفائر الأثرية إلى أن أهل فلسطين خلال عصر البرونز المتوسط أيضا كانوا يقيمون داخل أمثلة تلك المدن المحصنة[40]، بأسوار عالية سميكة ، ومزودة بشرفات وأبراج مراقبة، ومنحدرات مائلة بجوار الأسوار ، وفي بعض المدن كان يحفر خندق حول الأسوار يملأ ماء لحماية المدينة، وكانت بعض المدن محاطة بسورين أو ثلاثة

---

[40] د. وليم ف. أولبريت، آثار فلسطين، مترجم، ص 91-92-93. : مع بداية عصر البرونز المبكر حدث انتشار للعرب داخل حدودهم وظهرت تنقلات بشكل واضح وملموس. حيث انضم لعرب فلسطين عرب قادمون من أرض الرافدين ومن جنوب بلاد العرب. وقد أطلق على العرب سكان الساحل السوري (سوريا- لبنان- فلسطين) الكنعانيون وعلى سكان المناطق الداخلية البعيدة عن الساحل "العموريون".

وأهم مدن الكنعانيين بفلسطين أريحو- بيت شان- شكيم- تل بيت مرسيم- عكو- يافا- عسقلان غزة- بئر السبع- عقرون- تل جاز- تل الفارعة- أورشليم- مجدو- بيت يراح. وقد سموا بالكنعانيين نتيجة لاشتهارهم بالصبغة الأرجوانية الحمراء، التي كانوا يستخرجونها من أصداف بحرية تكثر على الساحل الكنعاني، واسمها أصداف الموركس وهم لم يتاجروا بالصبغة، بل تاجروا بما أنتجته نساؤهم من الثياب المطرزة والمصبوغة بالصبغة الأرجوانية.

وكان هؤلاء قبائل تنافست فيما بينها على الرغم من صلة القرابة والجنس بينهم، فدفعهم ذلك إلى بناء قلاع ضخمة، وأسوار عالية حول مدنهم كي تحمي كل قبيلة نفسها وتدعم حكمها، ولهذا انتشر نظام المدن المستقلة، تولف كل مدينة أو مدينتين مملكة، وكذلك الحال في سوريا ولبنان والأردن.

وقد راعوا في بناء مدنهم المحصَّنة أن تكون على تل مرتفع عن سطح الأرض التي حوله بشكل ملحوظ، وأن تكون الأرض منبسطة شيئاً حول التل بحيث يمكن رؤية الأعداء بسهولة إذا قدموا إلى قلعتهم التي يقيمون فوقها مدينتهم، كذلك يجب أن يكون التل بالقرب من مصدر ماء للشرب.

وقد بنوا مباني دنيوية ودينية وجنائزية. ولكن الاهتمام الكبير وجه إلى (الدفاعات) في جميع المدن، فمثلاً، بلغ سمك خربة كراك نحو ثمانية أمتار، كما عثر على مبنى محصن في خربة كراك، بلغ سمك أسواره نحو ثمانية أمتار، كما عثر المنقّبون على مبنى مستطيل الشكل أطواله تراوح بين (40-30 متراً) وسمك جدران المباني عشرة أمتار. ووجد بالمبنى مدخل في جهته الشرقية، وقد بلغ عرضه نحو سبعة أمتار).

أسوار متتالية، لأن المدينة لها ملك، وبذلك فإن كلمة "مملكة" في سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ، خلال فترات عصر البرونز والحديد ، تعني مدينة أو مدينتين ، وما حولهما من أراضي زراعية ، لأن كل مدينة كانت ملك قبيلة ، ورئيس القبيلة هو الحاكم ، ويلقب أحياناً بالأمير ولكن اللقب الغالب هو "الملك".[41]

وهناك دلائل أخرى كثيرة على عروبة فلسطين منذ تلك العصور القديمة فنرى أن تحقيق الأسماء في تلك العصور يدل على عروبة أهلها كأسماء ملكي مدينة القدس ، "ملكي صادق" المعاصر لإبراهيم عليه السلام وفقا للتوراة [42] و "أدوناي- صادق" في الفترة ما بين 2000 – 1800 ق.م هما من أسماء العلم المعروفة في ذلك العهد وهي أسماء عروبية صرفة وعمورية كذلك [43] ، بل أن اسم القدس الكنعاني هو "أورشليم أو أورشالم" هو إسم عموري كنعاني صرف ، وقد ظهرت هذه المدينة خلال العصر الحجري النحاسي ، ودلت حفائر ايبلا بسوريا ، على أنها – أورشالم - إحدى المدن الكنعانية المعروفة منذ 2500 ق.م واسمها مشتق من اسم الإله الكنعاني "شالم" أي أن اسمها "أورشالم أو أورشليم" يعني " مدينة الإله شالم " (إله السلام).

وتشير الحفائر التي قامت في فلسطين إلى أن هناك وافدين جدداً من سوريا الشمالية، ينتمون إلى سكان فلسطين الذين استقروا قبلهم بآلاف السنين قد نزحوا إليها في عصور تالية عن سابقيهم، ويبدو أن الوافدين الجدد ، هم عموريون وعماليق من القبائل المتجولة التي لم تكن قد استقرت بعد ، وهؤلاء هم الذين وصلوا إلى دلتا النيل باسم العامو أو العماليق، وأطلق عليهم في عصور متأخرة عن ذلك اسم " الهكسوس" وقد تقدم.

ويعتقد بعض الباحثين أن الدافع لذلك اقتصادي ، وربما كان لحصول جدب في منطقة الشرق الأدنى بأسره، وقد أشار إلى ذلك مستشهداً بتسجيل "الملك أوناس

---

41 عبد الرحمن المزين – فلسطين عبر التاريخ.

42 يرجع للجزء الخاص بترحال إبراهيم في البلاد في نفس الفصل ولقاؤه المفترض بملكي صادق كما سيأتي في الصفحات القادمة.

43 د. جواد بولس، لبنان والبلدان المجاورة، ص 103-104، مؤسسة بدران وشركاه للطباعة والنشر، بيروت.

آخر ملوك الأسرة الخامسة في الطريق الجتري الخاص بهرمه ، لأحداث مجاعة شديدة في مصر".

ولذلك نرى أن سكان فلسطين خلال هذه الفترات ، بالرغم من أنهم عموريون وعماليق وكنعانيون فإن هجراتهم أو تنقلاتهم المتتالية والمتفرقة والمتباعدة جعلت أسبقهم أكثر استقراراً وتطوراً ، ولهذا كان هناك سكان مدن محصنة مثل أريحا وشكيم ومجدو وبيت شان ويبوس أورشالم وعسقلان وباهي وشاروهين وبيت شمس وهازور ، وتل بيت مرسيم وعاي وتل الجزر وبئر السبع، وغيرها، ولكن في ذات الوقت كان على جانبي نهر الأردن قبائل بدوية ، ونصف بدوية وذلك في أواخر القرن العشرين قبل الميلاد، وحتى بعد ذلك بقي شرقي النهر مأهولاً بالسكان، ولكنهم ظلوا بدواً رحلاً ، كما تشير إلى ذلك نصوص اللغات المصرية من الأسرة الثانية عشرة.

ويفهم من النصوص المصرية أن فلسطين ابتداء من بداية هذا العصر أصبحت علاقتها أوثق بما يجاورها منها في عصر البرونز المبكر، وخاصة خلال الفترة الممتدة منذ أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ولكن بعد نحو عام 1750 ق.م ، وبعد سقوط الأسرة الثانية عشرة المصرية ، لم تستطع مصر بسط نفوذها من جديد إلا على "جبيل".[44]

وهكذا يتضح لنا من العرض الموجز لتاريخ فلسطين وسوريا خلال كل تلك العصور القديمة، أن شعبها كان عروبياً عمورياً كنعانياً وأن هذا الشعب له ارتباط بالشعب العربي الفلسطيني المعاصر، بدلالة محافظة أهل فلسطين المعاصرين على صناعات وعادات وثقافات أجدادهم الكنعانيين والعموريين العرب وتؤكدها الدلالات الأثرية ، الملموسة والعادات والتقاليد والصناعات التطبيقية المتوارثة حتى الآن.

وعلى خلاف كل تلك الحقائق التاريخية الثابتة نجد في المقابل أن المزاعم الصهيونية تؤكد وبإصرار على عدم انتساب العموريون العماليق والكنعانيون العرب إلى الأصل

---

[44] فلسطين عبر التاريخ – عبد الرحمن المزين.

السامي ، بل ترجعهم إلى حام بن نوح ، والذي سكنت ذريته في القارة الأفريقية ، وبذلك يتحول الكنعانيون والعموريون العماليق - وهم من سكنوا أرض فلسطين قديما - إلى مغتصبين ودخلاء في نظر قراء الكتاب المقدس[45] ، وتقدمهم التوراة على أنهم جاروا على أملاك الساميين - أي بنو إسرائيل - في فلسطين والشام وسكنوا الأرض الموعودة لبني إسرائيل فوجب على اليهود بذلك أن يحرروا الأرض المسلوبة منهم ويطردوهم منها تمهيدا لقيام دولتهم الكبرى من النيل للفرات ووجب على كل الشعوب المؤمنة بالكتاب المقدس أيضا - وفقا لهذا المنطق - أن يساعدوا اليهود في طرد هؤلاء الفلسطينيين الدخلاء المحتلين عن أرض الميعاد التي وعدها الله لبني إسرائيل!!! .

وهذا هو الهدف الأكبر من كل مزاعمهم الكاذبة التي دسوها في كتاب العهد القديم المسمى بالتوراة إفكا منذ عصر مبكر جدا قبل حتى أن يعي فرد واحد مدى شيطانية تلك المزاعم السوداء التي جرفت العالم أجمع إلى حروب مستمرة ونزاعات لا تتوقف حتى يومنا هذا.

يقول المؤرخ الاسكتلندي آن جيمس فريزر "أن الناطقين بالعربية من فلاحي فلسطين هم من ذريات القبائل التي استوطنتها قبل الغزوة الإسرائيلية لها في عهد داوود ، وأنهم ما زالوا متصلين بالأرض ولم يقتلعوا منها وان طلعت عليهم موجات من الفتوح فإنهم ثبتوا وأقاموا".

ويؤكد تلك الحقائق الخاصة بعروبة أهل فلسطين وسوريا منذ قديم الأزل نخبة كبيرة من العلماء الغربيين قبل العلماء الشرقيين ومنهم المؤرخ الفرنسي (رابو بور)، والمؤرخ (برستيد) والمفكر والمؤرخ الفرنسي (غوستاف لوبون) و (ربنسون) و (ويلز) ومؤرخ القرن العشرين (ارنولد توينبي) و(ديمتري برامكي) أستاذ التاريخ القديم والاثار ومدير المتاحف بالجامعة الامريكية ببيروت، والمؤرخ (كلر) ومنقبة الاثار الانكليزية

---

[45] عمد كاتبوا التوراة أيضا إلى تغيير نسب كنعان وإنسابه إلى حام الذي سكنت ذريته القارة السمراء أفريقيا ، وهم بذلك ينفون الحق التاريخي للكنعانيين عن أرضهم في بلاد الشام ، وهو الأمر الذي ينأى عن الصحة تماما ، فالكنعانيين عرب شأنهم في ذلك شأن كل السلالات العربية الأخرى التي تنحدر من سام بن نوح عليه السلام وفقا للتقسيم التوراتي نفسه.

الباحثة (فرنسيس أميلي) و (فيليب حتى) والبروفيسور (جيمس فريزر) و (هنري كتن) و (جورج بوست) و (ظفر الإسلام خان) والاب (مرمرجي الدومنيكي) والانكليزي (ريشمون) و(غاي هاريسون)و (ادم متز)..ومئات غيرهم...

قال المؤرخ الفرنسي (رابوبور): "إن سكان فلسطين يرجعون إلى عهد قديم يقدر بعشرة الاف سنة قبل الميلاد ، وقبل إن يضع اليهود اقدامهم في فلسطين ، كان يقطنها أقوام ولهم حضارات وامجاد مثل الكنعانيين واليبوسيين والفلسطينيين وغيرهم.[46]

وبنفس هذا المفهوم أيضا، تحت عنوان: علماء التاريخ يؤكدون عروبة فلسطين: قال اعلام المؤرخين كروبنسون، وباتو وبرستيد :

"يرجع السكان في فلسطين إلى عهد قديم جدا يقدره بعضهم بعشرة الاف سنة قبل الميلاد وقبل إن يضع اليهود أول قدم لهم في هذه البلاد كان يقطنها اقوام ذوي حضارة ومجد كالكنعانيين والفينيقيين والحيثيين والفلسطينيين وغيرهم... "[47]

وجدير بالذكر أن اليبوسيون بطن من بطون الكنعانيين بنو القدس واقاموا فيها بشكل دائم واستوطنوا فلسطين:

"واليبوسيون هم بناة القدس الاولون كانوا رهطا من بطون العرب الاوائل نشأوا في صميم الجزيرة العربية وترعرعوا في أرجائها ثم نزحوا منها مع من نزح من القبائل الكنعانية واستوطنوا ارض فلسطين"[48]

قال المؤرخ والاثري المشهور أولبرايت Albright :

"إن الكنعانيين كانوا الأساس في تكوين الحضارة في مدينة القدس"[49]

إن للكنعانيين جذور طويلة ضاربة في القدم في القدس بفلسطين قد تمتد الى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد:

46 فتحي فوزي عبد المعطي: المزاعم الصهيونية صفحة (62) سلسلة اقرأ (274) اكتوبر 1965 القاهرة.

47 رفيق شاكر النتشة: الإسلام وفلسطين صفحة (32) منشورات فلسطين المحتلة بيروت/ لبنان.

48 معين احمد محمود: تاريخ مدينة القدس صفحة (27) دار الاندلس – الاردن.

49 عواد مجيد الاعظمي: تاريخ مدينة القدس صفحة (16).

"والكنعانيون عرب من نجد وينسبون هم الاخرون الى سام كنسبة اليبوسين ملوك القدس انفسهم وقد قيل ان كنعان موجود بفلسطين منذ مائة قرن على الأقل أي عشرة ألاف سنة ، فالعرب ومنهم الكنعانيون، واليبوسيون هم اول من استوطن القدس وفلسطين وبلاد الشام"[50]

وهكذا قدر القدس ان يكون العرب هم اول من جاء اليها ووضع الحجر الأول في انشائها وان يكونوا أخر من استقر بها وتم الامر لهم فيها على امتداد تاريخ طويل يزيد على ستة ألاف سنة "[51]

لقد نشأت مدينة القدس منذ يومها الأول عربية عريقة في العروبة وكان العرب هم اول من سكنها وبناها ، وقد بناها العرب اليبوسيون، الذين هم بطن من بطون الكنعانيين، والكنعانيون ساميون نزحوا قديما من الجزيرة العربية"[52]

اما غيرهم من الغرباء كالعبرانيين فقد كانوا يمرون كالغرباء بعد مضي آلاف السنين على استيطان واستمرار العرب الكنعانيين، ثم اليبوسين وغيرهم.[53]

يقول برايت المؤرخ والمتعصب للاسرائيليين: "كان العبرو - يعني العبرانيين - غرباء عن كل بلاد عاشوا فيها وكان اهل تلك البلاد يعني فلسطين يسمونهم الغرباء" [54]

تقول الباحثة الدكتورة فرنسيس أميلي عضوة اللجنة الملكية البريطانية في بحثها لظاهرة استقرار الجنس العربي في فلسطين والقدس:

"ان العرب لا اليهود هم اصحاب تلك الصلة الثابة غير المنقطعة".

---

50 معين احمد محمود: تاريخ مدينة القدس صفحة (19) دار الاندلس — الاردن.

51 الدكتور يوسف غوانمة (رئيس قسم التاريخ في جامعة اليرموك) عروبة القدس في ضوء الحقائق التاريخية صفحة (71-80) مجلة شؤون فلسطينية ك 1984/1م ربيع الاول 1405هـ القدس، وعبد الحميد زايد: القدس الخالدة صفحة (39) 1974م القاهرة.

52 الدكتور يوسف غوانمة (رئيس قسم التاريخ في جامعة اليرموك) عروبة القدس في ضوء الحقائق التاريخية صفحة (71-80) مجلة شؤون فلسطينية ك 1984/1م ربيع الاول 1405هـ القدس، وعبد الحميد زايد: القدس الخالدة صفحة (39) 1974م القاهرة.

53 رفيق شاكر النتشة: الإسلام وفلسطين صفحة (33) منشورات فلسطين المحتلة.

54 رفيق شاكر النتشة: المصدر السابق.

ويقول المؤرخ الاسكتلندي الشهير جيمس فريزر:

"ان الناطقين بالعربية من فلاحي فلسطين هم من ذريات القبائل التي استوطنوها قبل الغزو اليهودي لها في عهد داوود وانهم ما زالوا متصلين بالارض لم ينتقلوا عنها ولم يقتلعوا منها وان طغت عليهم موجات من الفتوح فأنهم ثبتوا وأقاموا."[55]

وتعرض المؤرخ الانكليزي المعاصر ارنولد توينبي والذي يطلق عليه "مؤرخ القرن العشرين" لذات القضية ، فقد أثبت بالأدلة التاريخية الصحيحة: "إن فلسطين هي ارض العرب وان اليهود دخلوها معتدين قديما وحديثا"[56]

قال المؤرخ الغربي جيمس هنري برستيد: "وحين دخل العبرانيون فلسطين وجدوا فيها الكنعانيين (العرب)يقيمون في مدن زاهرة تطوقها الاسوار الضخمة فلم يستطيعوا أن يفتحوا منها إلا المدن الضعيفة.، حتى أورشيلم – وهذه تسمية عربية كنعانية – قد هزئت بحملات مهاجميها العبرانيين بضعة قرون"[57]

يقول المؤرخ العالمي الانجليزي ارنولد دييجل في كتابه تاريخ مصر القديم المطبوع عام 1935:

"ان العرب قبل الاسرة الفرعونية الاولى ظهر منهم قرابة ستون ملكا في مصر وطال حكمهم أكثر من 200 سنة وهؤلاء قدموا إليها من فلسطين كما اظهرت الكشوف الأثرية في شبه جزيرة سيناء."

وتدل التحريات الاثرية والتنقيبات التي اجريت على الآثار، ان تاريخ بلدة ومدينة (اريحا) مثلا يرجع الى ما قبل (سبعة ألاف سنة) قبل الميلاد على الاقل لذلك فقد

---

55 رفيق شاكر النتشة: المصدر السابق.

56 زهدي الفاتح لورنس العرب على خطى هرتزل، صفحة (9-115-116)./23.

57 المؤرخ برستيد في: العصور القديمة، ترجمة داوود قربان صفحة (155-1926)م. والنص مأخوذ عن الدكتور محمد سلامة النحال: فلسطين ارض وتاريخ صفحة (128).

اعتبرها المؤرخون والباحثون انها اقدم مدينة في العالم كما ان اقدم المعابد الكنعانية تقع فيها وهي منطقة (مجدو) وترجع الى ألاف الثالث قبل الميلاد.[58]

وتعتبر أريحا التي تلت أريحا الأولى مدينة كنعانية، والإسم نفسه كنعاني بمعنى القمر، ويعود تاريخها الى 3000 سنة قبل الميلاد، أما أريحا الأولى فتعود الى نحو 8000 سنة ق.م كما اشرنا على ان السكنى في المكان الذي أقيمت فيه المدينة بدأ حوالي 9000 سنة ق.م[59]

وهذا ما دفع الكثيرين من علماء الآثار والأركيولوجيا لاعتبار مدينة أريحا أقدم مدن العالم على الإطلاق.[60]

إبراهيم عليه السلام وترحاله بين البلاد:

كانت البداية الحقيقية لأحداث وجود بني إسرائيل في مصر هي منذ عصر إبراهيم عليه السلام، ولعل لمعرفة طبيعة الأحداث التي كانت تجري في ذلك العصر أهمية كبيرة وصلة وثيقة بالحقبة محل البحث، وخاصة ما كان يجري في غرب آسيا في تلك الآونة، وكانت البداية الحقيقية تبدأ بمولد إبراهيم عليه السلام، وتدعي التوراة أنه ولد على في أرض الكلدانيين (أور الكلدانيين) أي في أطراف بلاد العراق القديمة (جنوب غرب الفرات كما في الخريطة المبينة بهذا الفصل)، ثم جال وارتحل في بلاد ما بين النهرين (ميسوبوتاميا) أو بلاد الرافدين مرورا ببابل وغيزها ، ثم مرورا على حران في شمال سوريا، ثم ارتحل بأهله بعد ذلك إلى أرض الكنعانيين جنوبا (أرض فلسطين القديمة)، ولم يكن على وجه الأرض مؤمنين البتة سواه وامرأته سارة وابن أخيه لوط عليهم

---

[58] راجع المهندس الدكتور احمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ صفحة (84)، والدكتور محسن محمد صالح: في الطريق إلى القدس تقديم الدكتور عماد الدين خليل صفحة (19-20) والدكتورة بيان نويهض الحوت في كتابها الموسوم: فلسطين صفحة (22) وكذلك المؤرخ كلر صفحة (159)، ورشيد جبر الاسعد: رجال صنعوا التاريخ / من أعلام الجهاد في فلسطين/ القائد فرحان السعدي مفجر ثورة 1936 بفلسطين صفحة (16-27).

[59] Knhon Aren، in the holy land. P

[60] Knyon، Digging mp Jericho، p23

السلام، إلا ما ذكرته التوراة عن "ملكيصادق"[61] ، وعن "أدوناي صادق" حيث تزعم التوارة أنهما كانا من المؤمنين بالإله الأعلى وفي ذلك شك كبير على أية

---

[61] ملكيصادق (تكتب هكذا): شخصية توراتية مثيرة للجدل أول ما أتى ذكرها كان في مخطوطات قمران في التوراة التي يسميها أهل الكتاب التوراة المنحولة في سفر يسمى بسفر "أخنوخ" ويحكي السفر عن ولادته العجائبية بلا أب من أم عجوز وانه قد رفع إلى السماء وهو طفل في عصر الطوفان ثم أعادته الملائكة إلى الأرض بعد انقضاءه ، ثم عاود ملكيصادق في الظهور مرة أخرى في سفر التكوين عندما كان ملكا على سالم / أورشليم وخرج لملاقاة إبراهيم عليه السلام أثناء رجوعه من القتال ضد ملوك كسرة كدرلعومر وقدم لإبراهيم خبزا وخمرا ! وفقا للتوراة وبارك إبراهيم وهنأه بانتصاره على من قاموا بالاعتداء على لوط عليه السلام كما هنأه باستعادة الأموال التي سلبت ، وقد قدم إليه إبراهيم في المقابل العشر من الغنائم !! وهو التقليد الذي لا يتم اتباعه إلا مع الكهنة الأعلى رتبة !! وهذا معناه أن ملكيصادق بمفهوم التوراة هو رتبة أعلى من رتبة إبراهيم!!

أما المواضع الأخرى التي ورد فيها اسم ملكيصادق ففي رسالة بولس إلى عبرانيين حيث ادعى فيها بولس بأن السيد المسيح هو كاهن للأبد على رتبة ملكيصادق !!

وهو تأكيد على نفس المعنى السابق ، وبذلك يكون ملكيصادق في عقيدة اليهود والنصارى في رتبة أعلى من رتبة إبراهيم والمسيح عليهما السلام ! لكن بولس يدعي إدعاء آخر لم يذكر من قبل وهو أن ملكي صادق بلا أب وبلا أم وبلا بداية ولا نهاية أيام، وتفسير الإسم : ملك الصدق ، ملك البر ، ملك العدالة ، المشترى/جوبيتر أو ملك الكواكب ، بعض المصادر تفسر الإسم على أنه نعت من إله كنعاني يسمى صادق ويكون معنى الاسم : صادق هو ملكي / إلهي ، عقدت مقارنات بين اسم ملكيصادق وبين أدوناي صادق ملك القدس في وقت لاحق ، واعتقد البعض بأن نطق الاسم هو مالكي زيديك وهو ما يمت بصلة للمشترى = زيديك في اللغة الفينيقية ، وقدتم النص في التوراة السامرية أن مدينة سالم هي مدينة في سفح جبل جرزيم.

يعتقد السامريون أن مكان المعبد الحقيقي هو في جبل جرزيم وليس في القدس / اورشاليم وهو ما يخدم النص BC-3

أحمد فؤاد القاسم – ألف سؤال وجواب عن مدينة بيت المقدس : ملكي صادق) هو ملك اليبوسيين، ومعروف عنه، أنه كان من الملوك الموحدين، ويقال انه كان من الأنبياء، وقد أحبه الملوك الذين كانوا موجودين في المنطقة المحيطة بمملكته، ويقدر عددهم بحوالي (10 إلي 12 ملكا). أحبوه لدماثة خلقه، ويقال بأنهم عينوه ملكا عليهم، وسموه (بملك الملوك)، وكان الملك ملكي صادق، يذهب إلي أحد الكهوف القريبة من مدينة يبوس للتعبد، واسمه يعني بالكنعانية (ملك البر) أو (ملك العدل)، عرف عنه أيضا بأنه كان من المؤمنين بديانة التوحيد، ولهذا يعتقد بأنه كان من الأنبياء الصالحين كسيدنا إبراهيم، وحسب ما جاء في كتب التاريخ، بأن سيدنا إبراهيم، كان قد قام =

حال. ثم تذكر التوراة بأنه عليه السلام قد هاجر إلى مصر عند حدوث المجاعة، وتقرر التوراة أن حاكم مصر حينها قد أهداه وزوجته سارة السيدة هاجر أم إسماعيل عليهما السلام.

ويرى بعض الباحثين أن إبراهيم عليه السلام كان قد ولد في جنوب غرب أرمينيا (البلد التي تحتوي على جبل الجودي التي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام وتقع شمال العراق وسوريا وهي جزء من اقليم تركيا قديما قبل التقسيم السياسي)[62]، وعلى هذا – حسب قولهم – فإن إبراهيم عليه السلام كان آراميا (نسبة لأرمينيا لو اعتبرنا

= بزيارة الملك (ملكي صادق) على ارض يبوس، وقد رحب به ملكي صادق أحسن ترحيب، وقدم لـه الخبـز والخمر، دليلا على حبه وإكرامه له، ودليل على التقائهما وتفاهمهما، وكان هذا أثناء الرحلة التي قام بهـا سـيدنا إبراهيم، عندما غادر الأراضي في منطقة ما بين النهرين من مدينة (أور) عبر مدينة (حران) عابراً نهر الفرات، وكان متجها إلى جبل (نابو) أو جبل (موريا) في الأراضي الكنعانية، في مدينة بيت المقدس. كما يقال بأنه قدم إلي ملكي صادق بعض الهدايا كجزية للمرور عبر أراضيه.

مواضع ذكره في التوراة :

سفر التكوين 14 : قصة لقاء ملكيصادق بإبراهيم عليه السلام بعد رجوع إبراهيم من كسرة ملـوك كـدرلعومر وتحرير ابن اخيه لوط ، وقد خرج ملكيصادق لإبراهيم وقدم له ولمن معه خمرا وخبزا وباركه في حين أعطاه إبراهيم العشر من كل شيء ، كما يفعل بني اسرائيل بكهنتهم اللاويين رغم أن الواقعة قد حدثت قبل أن يظهر للعالم مـا يسمى باللاويين الذي سيأتون فيما بعد من نسل يعقوب الذي هو من نسل إبراهيم ، وفي هذا الموقف دلالات أراد كاتبوا النص إيصالها ومنها الإشارة إلى أن ملكيصادق أعلى في الدرجة الكهنوتية من إبراهيم عليه السلام ، ومنها أن الكهنوت انتقل من ملكيصادق إلى إبراهيم وسلالته لأن ملكيصادق ليس لديه ذرية !!! وذلك رغم أن قـوانين الكتاب المقدس تشترط أن يكون الكاهن من أبوين كهنة.

المزامير – المزمور 110 : 4 : يقول الرب (أنت كاهن للأبد على نحو ملكيصادق) ، ولكن نجد تفسيراتٍ أخـرى من قبل " الجميعة الأمريكية اليهودية الجديدة لنشر الإصدارات " تفسرها كالتالي : (أنت كاهن للأبـد وملـك شرعي بموجب أمري وقراري)!!!

يعالج آخرون ألفاظ وسياق المزمور بطريقة مثيرة للجدل حيث يقولون (أنت كاهن إلى الأبد يا ملكي صادق !) وهو ما تجده في باقي سياق المزامير التي ذكر فيها ملكيصادق ، ويعرف الزوهار ملكيصادق دائما بأنه : الكـاهن هاروني / الكاهن الأعظم ، ولمزيد من التفاصيل والبحث الموسع عن "ملكيصادق" انظر كتاب "ظهورات المسيح الدجال" للأستاذ منصور عبد الحكيم – نشر دار الكتاب العربي.

[62] تقع أرمينيا فى جنوب القوقاز عند ملتقى غرب قارة آسيا وشرق أوروبا وهى بذلك تقع أيضا فى شمال بلاد ما بين النهرين.

أن أصل الآراميين الذين استوطنوا أرض العراق والشام والهلال الخصيب نزحوا بعد الطوفان من أرمينيا مستقر سفينة نوح) ثم هاجر إلى الجنوب حيث بلاد الرافدين القديمة ومنها إلى الشام أرض الكنعانيين (فلسطين حاليا) ويبدو هذا الافتراض — أن الآراميين ينسبون لأرمينيا - بعيدا تماما عن الحقيقة.

والأرجح أن كاتبو التوراة قد عمدوا على إلصاق الصفة الآرامية بإبراهيم عليه السلام[63] للتأكيد على الكذبة التي تصر على اعتبار أن الكنعانيين جنس مختلف عن شعوب المنطقة أو بالأحرى جنس دخيل عليها ، أما الآراميون من وجهة نظرهم فهم من شعوب المنطقة ولا حرج في ذلك لديهم إذ أن مناطق انتشار الآراميين كانت بعيدة عن المنطقة التي يخططون للسيطرة والاستيلاء عليها ، فهي بذلك خارج حدود تطلعاتهم ، أما الكنعانيين فهم من وجهة نظرهم دخلاء يجب أن يظلوا خارج مظلة شعوب المنطقة السامية وتجريدهم من ذلك النسب الذي يمنحهم حق التواجد الطبيعي في تلك الأرض وهو الأمر الذي يعارض خطتهم في تغيير هوية الأرض وتهويدها.

وما يؤكد ذلك أن الآرامية كانت ثقافة أكثر منها قومية أو عرق ، والدليل على ذلك أننا نجد في التاريخ أن هناك أعراقا عديدة من التي كانت تقطن في الشام والرافدين اتصفت بالآرامية رغم انها لا تنتمي إليهم عرقيا اللهم إلا التحدث بلهجتهم واكتساب عاداتهم وذلك نظرا للهجة الآرامية المبكرة التي كانت منتشرة في تلك البقاع في كل مناطق الهلال الخصيب وأجزاء من العراق في ذلك الوقت ، بل إننا نجد أن بعض القبائل التي لا تنتمي لآرام بن سام بن نوح قد تسمت بقبائل آرام أيضا وأصبحت هي الأخرى آرامية بالاكتساب! ، فنجد أكثر من ثلاث أو أربع قبائل قد

---

[63] واستناداً إلى سفر الثنية (26: 5) كان إبراهيم آرامياً:" آرامياً تائهاً كان أبي فانحدر إلى مصر وتغرب هناك في نفر قليل فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة"

أصبحت آرامية اسماً وصفةً لا تمت بصلة لآرام بن سام بن نوح الأب المفترض للآراميين.[64]

ووفقا لكثير من المؤرخين ففي الفترة مابين 1900 — 1760 ق. م تقريبا — طبقا لبعض الأقوال- انطلق ابراهيم عليه السلام وامرأته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام ، ومعه بعض قومه من أرض الكلدان (في أطراف العراق حاليا) إلى أرض كنعان (فلسطين والأردن حاليا) . ثم ارتحل بعد ذلك إلى مصر (حسب رواية التوراة فقط وليس عليها دليل من مصدر آخر) هربا من الجوع والقحط فى أرض كنعان ، ثم عاد بعد ذلك إلى كنعان محمّلا بكثير من الهبات والهدايا والعطايا من حاكم مصر في ذلك الوقت طبقا لهذه الرواية، وكان من بين الهبات أسيرة من العماليق يبدو أنها كانت من أصل كريم ولكنها كانت أسيرة عند ملك العماليق وهى السيدة هاجر ، وقد كان هذا الملك العمليقي مقيم في أقصى شرق مصر في شمال جزيرة سيناء ، لكن هذه الرواية تحتاج للكثير من التدقيق والتحقق للتأكد من صحة كل الافتراضات التي وردت بها.[65]

---

[64] نجد في التوراة إخوة إبراهيم وأبناء إخوته قد أصبحوا آراميين فأخيه ناحور قد أصبح آراميا وبتوئيل بن ناحور ولابان بن بتوئيل كلهم أصبحوا آراميين لمجرد إقامتهم في آرام نهرين أو فدان آرام وهو موقع مدينة حاران / حرّان الواقعة في منطقة الفرات الأوسط فيما بين النهرين ، ونحن نعلم تمام العلم أن جميع أهل إبراهيم عليه السلام وإخوته وأعمامه وجدوده من نسل أرفكشاد بن سام بن نوح بتقسيمة التوراة بينما آرام بن سام يعتبر عمهم الأكبر شقيق أرفكشاد وبالتالي فإن هوية الآراميين ليست محصورة بنسل آرام بن سام فقط ، بل يوجد الكثير من القبائل والفروع أطلقت على نفسها الصفة الآرامية دون أن تكون من نسل آرام بن سام بن نوح كما هو واضح.

[65] يرجح الكثير من المؤرخين والمفكرين أن هاجر أميرة مصرية كانت أسيرة لدى الهكسوس العماليق ، فيقول الأستاذ نبيل السيار في كتابه (عن هاجر عليها السلام):

كانت واحدة من حرائر المصريات المؤمنات الموحدات اللاتي وقعن في أسر أحلاف البدو من الكفرة المشركين عبدة الأصنام (الهكسوس) ، حيث كانت من الفرما (كما في بدائع الزهور لابن إياس) التي تقع على مقربة من عاصمة الهكسوس (أواريس)" أ.هـ ، ونختلف معهم في هذه الرؤية فهاجر كانت من العماليق وقد جاورت حرهم وبعض قبائل من العماليق وهم من قومها أثناء نزولها في مكة عند بئر زمزم وهو ما سنستعرضه في الفصول القادمة.

هل وفد إبراهيم عليه السلام إلى مصر؟

وتعد زيارته عليه السلام لمصر افتراضا وجيها عليه بعض الإشارات غير أن المصدر الوحيد الذي نص على ذكر مصر في زيارته هي التوراة ، وهو الأمر الذي يجعلنا غير قادرين على الاعتماد عليها وحدها تمام الاعتماد ، إلا أن يرد مصدرا آخر يعضدها ويؤكد على ما ورد فيها، فجميع المصادر سواء كانت الإسلامية منها أو الأثرية لم تذكر من قريب ولا من بعيد بإشارة واضحة أن إبراهيم عليه السلام قد وفد إلى مصر، فلا يوجد ذكر لذلك في القرآن الكريم البتة، أما في السنة المطهرة فلم يرد ذكر هذه الزيارة مقرونا بإسم مصر، فنجد ذكر الملك الذي حاول أن يأخذ سارة مذكورا على عمومه " جبار من الجبابرة "، ففي الحديث المتفق عليه يقول النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة:

"لم يكذب إبراهيم إلا في ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله (إني سقيم) ، وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ههنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها من هذه ؟ قال أختي فأتى سارة فقال لها إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك فأرسل إليها فأتي بها قام إبراهيم يصلي فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده . فأخذ ويروى فغط حتى ركض برجله فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق فدعا بعض حجبته فقال إنك لم تأتني بإنسان إنما أتيتني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيم ؟ قالت رد الله كيد الكافر في نحره وأخدم هاجر قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء".[66]

وكما نرى فإن الحديث لم يرد فيه ذكر لمصر ولا لحاكمها، وإنما كان الافتراض من علماء الحديث والمفسرين بأن هذا الجبار هو حاكم مصر في زمن إبراهيم نظرا

---

66 أخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

محاولتهم التوفيق بين ذلك الحديث وبين حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي عند مسلم وغيره، من حديث أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يُسَمَّى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لها ذمة ورحما أو قال ذمة وصهرا فإذا رأيتم رجلين يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها. قال فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها"[67].

ويقرن المفسرين وعلماء الحديث بين الحديثين كمحاولة للتوفيق بين الواقعة في الحديث الأول وبين الذمة والرحم أو الصهر في الحديث الثاني، فيفسرون الرحم والصهر على أنهما يشيران لأم إسماعيل هاجر عليها السلام، وينسبونها إلى مصر بلد القيراط التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم.

على أن هذه الألفاظ غير قطعية الدلالة على أن الذمة والصِّهر أوالرحم تشير إلى هاجر أم إسماعيل عليها السلام ، ولا دليل البتة – غير التوراة – على أن هاجر عليها السلام مصرية الاصل ، ولا تعدو أقوال المفسرين وشراح الحديث عن كونها محاولات للتوفيق بين الروايات وتفسيرها ببعضها البعض خاصة بعد أن وجدوا أن رواية أهل الكتاب فيها نوع من التوافق مع الأحاديث المذكورة ونسوا بذلك أن رواية التوراة غير قطعية الثبوت هي الأخرى فلا يجوز التوفيق بين مصدرين لم يتوافر فيهما قطعية الدلالة والثبوت معا ، فأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم السالفة قطعية الثبوت ولا شك، ولكنها غير قطعية الدلالة في إثبات القدوم إلى مصر، فلا يجوز أن نثبت دلالة هذين الحديثين بمصدر آخر – وهو التوراة – غير قطعي الثبوت.

وإن كان إثبات تلك المسألة أو نفيها لا تعني الكثير بالنسبة للمفسرين وشراح الحديث في عصرهم ومن وجهة نظرهم، فإننا نعلم الآن أن لتلك المسألة أهمية كبيرة في عصرنا الذي تكثفت فيه جهود التهويد على أحسن ما يكون.

ويحاول بعض العلماء اثبات أن لزيارة إبراهيم عليه السلام أثر مسجل عند المصريين، ويذهبون إلى أن تلك الأحداث كانت في عصر مبكر قليلا عن بداية تسلل الهكسوس إلى مصر التي كانت في هذه الفترة قد استقرت نسبيا بعد صراع داخلى

67 أخرجه مسلم فى صحيحه.

على الحكم إثر موت الملك منتوحتب الرابع امير طيبة و ملك مصر، فأصبحت مصر دون وريث و تصارع على الحكم وزيره امنمحات الاول و لم يكن من عائلة ملكية و لكنه كان القائم بالحكم بالفعل، وربما كان الملك منتوحتب الرابع قد زكاه من بعده وكان متسلطا على الجيش، فنشب الصراع بينه و بين حكام الأقاليم خاصة حكام منف وربما هليوبوليس كذلك وواجه أكبر أسرة حاكمة في مصر وكانت الأحق بالحكم لعدم وجود وريث شرعى فى العائلة المالكة فى طيبة فانتصر أمنمحات الاول على حكام منف وهليوبوليس و قتل اميرهم وسبى ابنته (التي يرجحون أنها كانت هي الاميرة هاجر) و فر باقى اهلها الى خارج مصر وذلك وفقا لافتراضهم سالف الذكر.

يقول الطبري:

" أنّ عمرو بن العاص لما ملك مصر أخبرهم بوصية النبيّ صلى الله عليه وسلم بهم ، فقال: هذا نسب لا يحفظ حقه إلاّ نبي ، لأنه نسب بعيد. وذكروا له أنّ هاجر كانت امرأة لملك من ملوكنا ، ووقعت بيننا وبين أهل عين شمس حروب كانت لهم في بعضها دولة ، فقتلوا الملك وسبوها. ومن هنالك تسيرت إلى أبيكم إبراهيم"أ.هـ[68]

وقصة فرار الطبيب سنوحى إلى خارج مصر وعودته فى عصر الملك سنوسرت الأول بعد عفوه عنه، فيها تشابه مع هذه الأحداث ، كما أنها تشير الى ترحيب الملك بعودة المصريين الفارين الى الخارج.

وكان الملك امنمحات الاول قد اهتم بالأمن اهتماما بالغا خاصة انه يعلم انه غير مرحب به من امراء الاقاليم فهناك ثأر متوارث ظل قائما بينه و بينهم و لكنه عامة كان من الملوك البارزين فى التاريخ المصرى واشتهر بكرهه للبدو الذين كانوا يأتون ليقطعوا الطريق ويفسدوا فى ارض مصر فارسل ابنه سنوسرت الاول لمحاربة البدو فى الصحراء الغربية و بنى عدة تحصينات على حدود مصر و فلسطين لمنع تسلل البدو اسماها جدار الحاكم و لبث هذا الجدار طوال حكم الأسرة الثانية عشر.

وتستمر هذه النظرية في افتراض أن الأميرة هاجر ظلت تعانى فى أسره لفترة طويلة حتى تولى الملك سنوسرت الأول الحكم بعد مرض أبيه أمنمحات الاول و تعاطف مع

---

68 تاريخ الأمم والملوك والممالك – ابن جرير الطبري.

السيدة هاجر و لكنه لم يستطع اطلاق سراحها و هى ذات دم ملكى ولها الحق فى حكم منف، فلما وفد إبراهيم عليه السلام وامرأته سارة إلى مصر، أهديت هاجر لهما و اكرم ضيافتهما، ويحاول البعض أن يقرن بين الرسوم الجدارية التي وجدت في مقابر بني حسن بالمنيا عن من يسمى "إبشا" وقومه من العامو أي من البدو الآسيويين، وبين هجرة إبراهيم عليه السلام، حيث كانت زيارة هؤلاء القوم في عهد الملك سنوسرت ، ولا شك أن هؤلاء القوم المصوَرون على جداريات بني حسن تربطهم علاقة وثيقة بالشعوب التي عاصرها إبراهيم عليه السلام وقومه، فهي عينة ممتازة للشعوب الآسيوية التي كانت متواجدة في منطقة الشام في ذلك الوقت والتي كانت قد بدأت تفد إلى مصر طلبا للكلأ والغذاء فكان يسمح لها بين الحين والحين بالدخول مع تسجيل ذلك ورصده ومتابعته في عهد ملوك تلك الأسرة.

وقد سجل المصريون قدوم هؤلاء الأسيويين على جدران مقبرة شخص يدعى (خنوم ــ حتب) فى منطقة بنى حسن فى محافظة المنيا، كان زعيمهم واسمه (ابشا) يحمل لقب (حقا ــ خاست) الذى ورد أيضاً فى قصة سنوهى/سنوحي، ويصور المنظر هؤلاء الأجانب ومعهم نساؤهم وأطفالهم وأمتعتهم محمَّلة فوق ظهور الحمير، وقد أحضروا معهم هدية لحاكم الأقاليم وكان الرجال ملتحين وشعر رؤوسهم غزير أسود اللون، وكانوا يرتدون ملابس مزخرفة بأهداب (شرارشيب) ... وكان بعضهم ينتعل نعلاً ذا سيور، على حين كان البعض الآخر، ومن بينهم زعيم القبيلة، يمشى حافى القدمين، وكان بعض الرجال يحملون أقواساً وسهاماً. أما النساء فكن يلبسن أثواباً مزخرفة أيضاً تغطى أحد الكتفين وتترك الثانى عارية، وكن ينتعلن أحذية حمراء ويضعن فوق رؤوسهن طرحا مثبتة بحبل فوق الرأس تشبه الكوفية والعقال. وقد حاول بعض الباحثين الربط بين هؤلاء الأجانب من الأسيويين وبين قدوم (سيدنا إبراهيم عليه السلام) إلى مصر، ولكن ليس هناك من الأدلة ما يؤيد ذلك. وبغض النظر عن القيمة التاريخية لهذا المنظر، فإن له أهمية خاصة لأنه يعطينا صورة واضحة عن مظهر الأسيويين الذين ينتمى الهكسوس إليهم[69].

---

(69) خالد علي نبهان – فرعون وموسى – مكتبة النافذة.

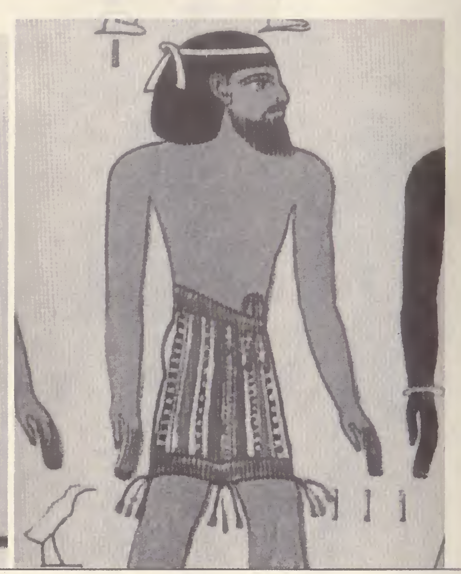




صور من جداريات بنى حسن







صور من جداريات بنى حسن بمصر الوسطى



جداريات بني حسن نموذج ممتاز للشعوب الآسيوية المعاصرة لعهد إبراهيم عليه السلام وما قبله

غير أنه لا يمكننا بأي حال أن نثبت أن هذه الرسوم المسجَّلة على جدران بني حسن تدل على هجرة إبراهيم عليه السلام وقومه تحديدا إلى مصر ولا دليل البتة في القصة

السابقة التي تروي أحداث مصرية داخلية على أن هجرة إبراهيم عليه السلام إلى مصر قد تمت في هذا العصر ، وقد حاول ذلك الدكتور رشدي البدراوي في كتابه قصص الأنبياء والتاريخ بل ولقد ذهب إلى أن هؤلاء القوم هم بعينهم إبراهيم وقومه وهو الأمر الذي لا يمكن الجزم به أو اعتباره صحيحا فلا يوجد دليل قاطع عليه وخاصة أنه – وعلى العكس – يوجد من الدلائل ما ينفيه.[70]

وقد حاول الأستاذ سليم حسن أيضا أن يقرن ما بين هجرة إبراهيم إلى مصر وبين من يسمى ب " ها – عبرى " أو " عبرى – ها "، في كتابه مصر القديمة ما نصه:

" وفي الإمكان البرهنة على وجود علاقة بين الحقائق التي لاحظناها وبين قصص الأنبياء ، فمن المحتمل أن إبراهام (إبراهيم عليه السلام) هو " ها عبرى" أي البدوي (أو "عبرا- ها" كما جرت العادة في اللغة المصرية واللغات القديمة في تبديل المقاطع)، وقد صور يزور مصر في رحلة سلمية ، والواقع أنه قرن غالبا بين رحلته ورحلة "ابشا" الذي سار على رأس قافلة لزيارة مصر في عهد " سنوسرت الأول " كما أسلفنا ومن غريب الصدف أن هذا العصر هو العصر الذي لاحظنا فيه لأول مرة أدلة على وجود الهكسوس في مصر كما سبق تفصيله"أ.هـ[71] .

وتفترض تلك النظرية أن هذه الواقعة كانت فرصة ذهبية للملك في التخلص من آخر من يحمل الدماء الملكية بأن تهاجر خارج مصر كباقى إهلها فلا يبقى منهم فى مصر من له حق فى الملك مع تضاؤل احتمالات العودة بسهولة فى ظل وجود جدار الحاكم فتزوج سيدنا إبراهيم من السيدة هاجر و رزقه الله منها بغلام حليم وهو رسول الله إسماعيل عليه السلام و هو اكبر أبناء إبراهيم عليهم السلام جميعا.

ومع ذلك إذا سلمنا بصحة رواية التوراة القائلة بأن إبراهيم عليه السلام قد وفد إلى مصر، فالمؤكد في هذه الحالة أن الملك الذي وفد عليه إبراهيم عليه السلام لم يكن مصريا من شعب وادي النيل، فكما تبين من كلام الأستاذ سليم حسن أن هذا هو العصر الذي شهد تفكك الدولة المصرية إلى أقاليم واقطاعيات كبيرة في عصر بدأت فيه أمور الحكم تسوء وتسود حالات الفوضي وعدم النظام واستئثار حكام إقليميين

---

70 قصص الأنبياء والتاريخ – الجز الثاني

71 سليم حسن – مصر القديمة – الجزء الرابع

لأقاليم منفصلة[72]، وبذلك يكون الملك الذي عاصر إبراهيم عليه السلام من الهكسوس العموريون أو العماليق الذين يحتمل أن أحدهم كان يحكم اقليم الفرما شرق الفرع البيلوزي المندثر والذي كان يصب في خليج الطينة – بالوظة حاليا في شمال سيناء [73]– وذلك قبل أن يزداد نفوذهم ليستولوا على حكم إقليم شرق الدلتا في مصر بالكامل ومن ثم بداية استيلائهم على الدلتا بأكملها فيما بعد ثم مصر بالكامل حتى حدود مصر العليا.

وتدل الشواهد الأثرية أن الهكسوس العماليق قد تسللوا إلى مصر ببطء وعلى مهل ولأغراض التبادل التجاري فقط، وتعد الجداريات السابقة دليل على بداية تلك الموجات، وكما رأينا كيف ربط بعض المؤرخين بداية هذا التسلل الهادئ بالمجيء المفترض لإبراهيم عليه السلام إلى مصر هربا من الجوع والقحط وفقا للتوراة[74]، مع العلم بأن جميع المؤرخين لم يتفقوا على تأريخ محدد لتلك الزيارة إلى مصر وهو ما يصب في اتجاه عدم تأكيدها.

وأيا كانت حقيقة معاصرة إبراهيم لأي العصرين، فإن للحقبة العامة لدخوله إلى مصر – إذا ثبت ذلك – صلة وثيقة بموضوع هوية قوم فرعون الذين نتحدث عنهم في بحثنا هذا، على أن هذه الأقوال والترجيحات لا تخرج بأي حال من الأحوال عن احتمالين اثنين متقاربين في الزمن ، منها أن الدخول المفترَض لإبراهيم عليه السلام إلى مصر كان معاصرا لفترة حكم الأسرة الثانية عشر المصرية، أو أن دخوله كان معاصرا لبدء استيطان الهكسوس في اقليم الفرما وشرق الدلتا وبداية استئثارهم بحكم هذا الإقليم في عهد الأسرتين الثالثة عشر والرابعة عشر المصريتين المتعاصرتين، وعلى هذا

---

[72] سليم حسن – مصر القديمة – المجلد الرابع.

[73] تقع الفرما القديمة وخليج الطينة والفرع البيلوزي في شرق مدينة بورسعيد الحالية داخل حدود شبه جزيرة سيناء وتحديدا في الشمال الغربي من سيناء وقد كان لها أهمية كبرى في العصور القديمة كأول إقليم مشرف على مصر من الجهة الشرقية.

[74] سفر التكوين – 12.

يكون الملك الذي استقبل إبراهيم — بفرض وفوده إلى مصر - وأراد أن يأخذ سارة زوجته هو من العماليق الهكسوس.

وكما نرى أن مجيء إبراهيم عليه السلام إلى مصر أمر غير مثبت دينيا ولا تاريخيا ، وأن هذه المعلومة قد تسربت إلى التاريخ من التوراة المكذوبة والتوراة فقط، وبالتالي لا يثبت أن إبراهيم عليه السلام قد طاف في كل تلك الأراضي التي يعتبروها دولتهم الكبرى ومنها الجزء الشرقي من مصر، بل وفي ولادته في أرض الكلدانيين شك كبير فلا نعلم على وجه التأكيد أين ولد عليه السلام، ولا نعلم على وجه التأكيد أيضا إن كان قد طاف في بلاد العراق والشام كما ادعوا في كتبهم أم لا، وما عدا ذلك فهو تكهنات لا تغني من الحق شيئا، ولا يثبت على هذا أنه عليه السلام قد طاف بكل هذه الأرض، وحتى استقراره النسبي في أرض فلسطين لم يكن إلا إقامة مؤقتة في الصحراء كبدوي مرتحل، وليس من أصحاب الأرض، إذن فإبراهيم عليه السلام لم يكن له موطن محدد أو ثابت، وهم أنفسهم وصفوه بأنه آرامي تائه[75]، وكذلك كان إسحق من بعده ويعقوب من بعدهما هو وأبناؤه الذين لم يعرفوا إلا معيشة البداوة والترحال على أطراف الأرض.

عهد إبراهيم وبداية عصر الآباء عند بني إسرائيل:

في ضوء ما سبق يصبح في الإمكان التمهيد وإلقاء الضوء على هذه الطائفة من البشر التي عاشت على أطراف المدن والممالك والحضارات في ذلك العصر — وهم العبرانيين- أي البشر العابرين للأراضي والمرتحلين بين المناطق المأهولة ، وهو نفسه العصر الذي بدأ بانتهاج إبراهيم عليه السلام لهذه الطريقة في الحياة واختياره لحياة البداوة والترحال وإقامته في صحراء كنعان / فلسطين ، ثم ميلاد إسماعيل وإسحق ويعقوب عليهم السلام وهم من يعتبرهم كاتبوا التوراة بـــ "الآباء" ومن ثم سموا عصرهم بـــ"عصر الآباء" .

ونستطيع بعد ذلك تفهم مسألة العلاقة بين مسمى العبرانيين وبنى إسرائيل الذين نشأوا فى مصر واتخذوها موطنا لهم منذ هجرة يعقوب (إسرائيل) وأولاده إليها بعد

---

75 انظر سفر التثنية — 25.

تمكن الهكسوس من حكم مصر وإحكام السيطرة عليها بعد تسللهم البطيء الهادئ المتزامن مع القدوم المفترض لإبراهيم عليه السلام إليها وزواجه بالسيدة هاجر.

وتدل أسفار اليهود [76] على أن يوسف عليه السلام كان وزيرا لأحد الفراعنة الهكسوس زمن هجرة أبيه يعقوب وأبنائه إلى مصر، وتعتبر هذه الهجرة بداية ظهور مايسمى ببنى إسرائيل، إلى أن تم خروجهم من مصر بعد ذلك إلى غير رجعة، وأنه إذا قلنا أن كل الإسرائيليين - أى بنى إسرائيل فى ذلك الوقت كانوا من العبرانيين ، فإنه ليس كل العبرانيين فى ذلك الوقت إسرائيليين.

ويخلط الناس بين مسميات ثلاثة ويعتبرونها مترادفة وهي مسميات العبرانيين وبني إسرائيل واليهود ، وهو بالتأكيد نوع من التسامح كما قال الدكتور عبد الجليل شلبي [77] بل هو نوع من التساهل في إطلاق المسميات وتوحيدها كأسماء مترادفة وهي في الواقع ليست كذلك.

وقد بينا من هم العبرانيون وخلصنا إلى أنهم القوم الرحالة من البدو الساميين الذين كانوا يعبرون الأراضي في عالم الشرق القديم وهم من نسل عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام حسب التوراة ، أما الإسرائيليون أو بنو إسرائيل فهم أبناء إسرائيل الإثنى عشر الذين عرفوا بالأسباط ونسلهم وإسرائيل هو إسم فرد وهو نبي الله يعقوب عليه السلام.

أما اليهود فهي تسمية دينية اشتقت من اسم يهوذا بن يعقوب حيث كان جميع أنبياء بني إسرائيل من نسل يهوذا وفقا للتوراة دون إخوته.

ويعد هذا الجيل عند كاتبو التوراة بداية جيل الآباء بالنسبة إليهم، حيث يعتبرون إبراهيم عليه السلام هو أول الخط الإثني (العرقي) لجنسهم المزعوم، على أن إبراهيم عليه السلام يعتبر أبا لجمهور كبير في عرفهم أيضا، ولكن التوراة تؤكد من وقت لآخر

---

[76] (سفر التكوين 39-41-44).

[77] اليهود واليهودية — د. عبد الجليل شلبي : "إننا نتحدث عن هذا الشعب بشيء من التسامح في تسميته ، فنقول مرة الشعب العبراني ، وثانية الشعب الإسرائيلي ، وثالثة اليهودي ، مما يوهم أنها أسماء مترادفة وهي في واقعها ليست كذلك".

دون كلل على تجديد العهد الذي أبرمه الله مع إبراهيم لنسله المخصوص بسلسلة أبناء يعقوب وحدهم دون سواهم من باقي أبناء إبراهيم عليه السلام.

وكان ظهور العبرانيين المرتحلين في هذه الفترة بالذات مرتبطا بإبراهيم عليه السلام، فإبراهيم عليه السلام وأهله كانوا عبرانيين وفقا لهذا المفهوم، ولا ينفي ذلك من يرجحون أن إبراهيم وقومه كانوا آراميين، فالثقافة الآرامية المبكرة كانت أعم في مضمونها من مفهوم العبرانيين الذين كانوا يشكلون لونا من شعوب تلك المناطق ترجح تخصيصهم بصفات معينة تخصهم دون غيرهم ولا ينفي ذلك أن يكون منهم من ينتمي إلى الثقافة الآرامية، خاصة أن الانتساب إلى الآرامية وثقافة كلغة يجعل من متكلمها ومعتنقها آراميا بالانتساب دون أن يكون له علاقة نسب محتملة مع الآراميين أبناء آرام/إرم.

هل كان إبراهيم يهوديا ؟

كان القرآن الكريم حاسما وقاطعا بشأن تلك المسألة التي لا تحتمل الجدل حول عقيدة إبراهيم عليه السلام وهويته ، حيث قال تعالى :

"مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ" آل عمران/67-68.

لكن تقابلنا في التوراة المؤتفكة أيديولوجية شخصية إبراهيم عليه السلام حيث تصور إبراهيم للقاريء على أنه شخصية يهودية ممعنة في الخلط الخبيث بين اليهودية كديانة وكأصل عرقي وهوية، وذلك هو عين ما عكف عليه كتاب التوراة للإيهام بأن إبراهيم عليه السلام هو أبو الآباء لبني إسرائيل أي أبو اليهود في نظرهما، فاستخدام سيرة إبراهيم عليه السلام له تأثير بالغ للتأكيد على مسألة الوعد الممنوح بهذه الأرض مما يكسب قضيتهم بعدا تاريخيا ودينيا ليس من السهل نفيه أو معارضته، وعلى هذا فشخصية أباهم الأول يجب أن تجسد أحلامهم في امتلاك الأرض الكبرى من النيل للفرات، لذلك فإن الإشارة لميلاده في العراق وطوافه في بلاد العراق والشام وتركزه على أرض فلسطين وامتلاكه لجزء منها ثم زيارته لمصر فيها إشارات واضحة على

فكرهم الذي يطمح في الحصول على تلك الأرض تبعا لوعد الله لأباهم الأول – بزعمهم – بأن ذريته سيمتلكون كل هذه الأرض.

إن تعمد كاتبو التوراة في وصف رحلة إبراهيم منذ ميلاده وحتى مماته على أنها رحلة طويلة فيما بين النيل والفرات لَيوحي بالكثير لقاريء التوراة حول هوية تلك الأرض وأحقيتها التاريخية خاصة مع الصورة الزائفة التي تركوها في الأذهان بقصصهم عنه كأب لليهود وحدهم دون سواهم من باقي الذرية.

إن تعمد كاتبوا التوراة على تصوير إبراهيم عليه السلام وإبرازه كيهودي يتصرف تصرفات اليهود ويسلك سلوكهم ويتحرك بعقليتهم ، ومن ثم جعلوا إبراهيم يتحرك تحت سطوة فكرة الأرض الموعودة منذ البداية وأن هذه الأرض - أرض كنعان / فلسطين - سوف تؤول له ولنسله بعد تخليصها من سكانها المعاصرين آنذاك (الكنعانيين وإخوانهم)، وهم في نظر كاتب التوراة غاصبين للأرض وملعونين ، لكن السيادة كانت قد أصبحت لهم – أي للكنعانيين - على الأرض والذرية ، فكان لزاما لذلك أن يُطردوا من تلك الأرض ولكن بعد اللجوء لنفس تلك الأسباب المادية ليقدروا عليهم ويهزموهم ، وهو الأمر الذي لن يتأتى لبني إسرائيل وهم طريدي الصحراء ، بل يلزم أن يستقروا في أرض أخرى (أي أرض مصر) ويستعينوا بأسباب الرخاء والاستقرار حتى يعودوا إليهم وقد قويت شوكتهم وتزايدت ذريتهم وهو تفكير مادي بحت من كاتب التوراة ينأى عن الاعتماد على الله تعالى والاستعانة به ، وهو ما يخالف الأحداث الحقيقية التي لم تكن محصورة في هذا الجانب المادي ، فعند عودة بني إسرائيل مرة أخرى إلى الأرض المقدسة بعد خروجهم من مصر ، لم ينتصروا على العماليق والكنعانيين بقوة سلاح ولا كثرة عدد ولا عتاد ، وإنما انتصروا بإيمان ذلك الجيل الذي حارب مع يوشع بن نون ومن بعده من أنبيائهم وصالحيهم ، بل وبسبب مخالفتهم لأوامر الله ظلوا عقودا طويلة بين شقاء وتطريد وتحت سطوة أعدائهم حتى عادوا لمنهج الله في عهد داوود عليه السلام ومن ثم دخلوا الأرض المقدسة ، وبذلك تتضح أفكار كاتب التوراة التي تصيغ أحداث الماضي الحقيقية في صورة مادية ضيقة ، وتضعها في قالب عنصري واستعماري بغيض.

وقد أمعنت التوراة في إبراز رحلات إبراهيم عليه السلام بدءا من أور أرض الكلدانيين على حدود نهر الفرات وحتى مصر عند وادي النيل مرورا بكل من سوريا وفلسطين وما يليهما من أرض الشام ، وفي ذلك إيماءات صريحة مباشرة وغير مباشرة على أحقيتهم المزعومة في تلك الأرض المزعومة من النيل للفرات على أن يكون مركز مملكتهم الأرض المقدسة الموعودة على حد زعمهم وفي بيت المقدس ، وبذلك يكون أبو الآباء عندهم وهو إبراهيم عليه السلام هو أو الخط الإثني / العرقي لسلالتهم ، وهو أول من مثلهم في أملاكهم الموعودة على حد زعمهم وأول من خطط ومهد لاستيلائهم علها فيما بعد.

من ناحية أخرى ، وعلى الرغم من أن آثار قدماء المصريين وبردياتهم لم تكن تغفل حدثا صغيرا كان أم كبيرا على الإطلاق ، وعلى الرغم من دقتهم واهتمامهم بتسجيل وتدوين الأحداث ، فإننا نجد أن كل ماتركوه لنا حتى الآن لم يشر إشارة واضحة إلى زيارة إبراهيم عليه السلام لمصر ، أو إلى يوسف وموسى عليهما السلام ، فلا يوجد من بين ماتركوه من آثار مايؤيد وقوع تلك الأحداث الهامة من سير الأنبياء في عصور حكم المصريين.

ويبدو العهد القديم والقرآن وكأنهما يرويان قصة عن شخصين مختلفين هما أبراهام وإبراهيم (عليه السلام)، ففي القرآن الكريم بُعث إبراهيم كرسول إلى قوم وثنيين يحمل رسالة سماوية، كان قومه يعبدون السماء والنجوم والقمر وأوثاناً مختلفة، وقف إبراهيم(عليه السلام) في وجه قومه محاولاً أن يردهم عن ضلالتهم إلى الطريق الصحيح، والنتيجة أنه حرك حقدهم وعداءهم تجاهه بمن فيهم والده نفسه.

وفي الحقيقة لا يوجد شيء من هذا في العهد القديم، كذلك قصة رمي إبراهيم في النار وكسره لأصنام قومه غير مذكورة أيضاً. يُصَوَّرُ إبراهيم في العهد القديم على أنه جد اليهود، من الواضح أن هذه الفكرة مأخوذة عن زعماء اليهود الذين يحاولون تثبيت مفهوم السلالة. يؤمن اليهود بأنهم شعب اختاره الله واعتبره النخبة دون غيره من الشعوب، لقد قاموا عن قصد وإصرار بتغيير كتابهم السماوي، وزادوا عليه ليتوافق مع هذا المفهوم، لهذا السبب يصورون إبراهيم على أنه جدُّهم في توراتهم[78].

---

[78] إيفيرت بلاك، آنا إدموندز، المواقع الإنجيلية في تركيا، استنبول: دار الأحمر للطباعة والنشر.

ويؤمن المسيحيون — ولاسيما الغرب - والذين يصدقون بالتوراة أيضا ، أن إبراهيم (عليه السلام) جد اليهود، مع فارق بسيط هو أنهم يعتبرونه نصرانياً وليس يهودياً، وقد اعتنق النصارى الذين لا يهتمون بمفهوم السلالة كما يهتم به اليهود ــ هذا الرأي بشدة، مما أثار الخلاف والنــزاع بينهم وبين اليهود، ويبين لنا القرآن هذا الخلاف بقوله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إبْرَاهِيْمَ وَمَآ أُنْزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإِنْجِيْلُ إلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * هَآ أَنْتُمْ هَؤُلآءِ حَاجَجْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إبْرَاهِيْمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيْفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيْمَ لَلَّذِيْنَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ (آل عمران:65،68).

ويبدو التباين واضحاً بين القرآن والتوراة، فإبراهيم في القرآن هو رسول بعثه الله إلى قومه لينذرهم ويدعوهم إليه، ومن أجل هذا خاصمهم ووقف ضدهم، كان يحذر قومه الذين عبدوا الأصنام وينصحهم بأن يتخلوا عن ممارساتهم الوثنية منذ أن كان شاباً، وكانت استجابة قومه أن عزموا على قتله، وبعد أن نجا من أحقاد قومه وشرورهم، كانت الهجرة آخر الحلول[79].

إن ظهور اليهودية كدين وظهور بني إسرائيل كجنس بعد عصر إبراهيم عليه السلام بقرون طويلة لهو أكبر دليل على عدم يهودية إبراهيم عليه السلام لا من جهة الدين ولا من جهة الأصل ، بل إثباتا جذريا على أن الإسلام هو دين جميع الرسل والأنبياء ، ولم يُستحدث في آخر الزمان إلا نزول الشريعة المحمدية التي نزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين لتؤكد على نفس الشريعة والمنهاج الذي كان عليه الرسل جميعا.

وما يخصنا هنا هو التأكيد على أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا عقيدةً ولا أصلاً وقد بت القرآن الكريم وحسم تلك المسألة حسما مطلقا لا يقبل الجدل.

[79] موقع هارون يحيى على شبكة الانترنت.

التركيبة السكانية بعد عصر إبراهيم عليه السلام:

يتضح من بحثنا السابق طبيعة السكان والشعوب المنتشرة في أنحاء الشرق في تلك الأوقات وأصولهم المشتركة التي استمرت في تشعبها منذ انتهاء الطوفان وحتى عصر إبراهيم عليه السلام ، فنستطيع بكل وضوح تمييز الشعوب العروبية التي كانت منتشرة في الشام وفلسطين في ذلك الوقت، كانت القبائل العماليق العمورية مرتكزة في غرب فلسطين وشمالها وفي ربوع سوريا المختلفة واستقر الكنعانيين في شرقها ، بينما تركز العمونيون الإدوميون في الأردن ، وارتكز الآشوريون في شمال الرافدين وسوريا كما تميز العنصر الحوراني في بعض انحاء سوريا والشام ، وهو العصر الذي شهد بداية انتشار الثقافة الآرامية وظهور لهجتهم وأبجديتهم وتداولها بين الشعوب المنتشرة ، كما شهد ذات العصر نزوح وفود من تلك الشعوب على مناطق الخصب والغذاء كمصر ، حيث بدأ توافد عناصر من العموريون العماليق والكنعانيين على مصر وتركزهم في شرق الدلتا وسيناء.

وأهم ما نود ذكره أن تلك الشعوب التي ذكرناها وغيرها لم تكن هي كل مكونات السكان التي استعمرت تلك المناطق وحدها .. فهناك الكثير من العناصر التي كانت تسكن على اطراف المدن والممالك وتعيش حياة بدوية أو نصف بدوية تعتمد على الكثير من الترحال والتنقل وهم من يسمون بالعبيرو / العبِرو / العبريون / العبرانيون.

وجدير بالذكر أن بداية ظهور قبيلة جديدة فيما بعد تسمى بقبيلة بني إسرائيل تنتمي إلى ذلك العنصر العبراني — أي المرتحل أو البدوي.

وكان لارتحال العناصر الكنعانية والعمورية إلى مصر علاقة وثيقة بارتحال بني إسرائيل إلى مصر في ذلك التوقيت إثر المجاعة الكبيرة التي وقعت في جميع بلاد الشرق في ذلك التوقيت واضطرت كثيرين من السكان إلى التروح من أماكنهم ، كما اضطرت الكثيرين من سكان فلسطين والذين يعيشون على أطرافها في صحراء النَّقَب بالإضافة للبدو الذين يعيشون في أنحاء سيناء إلى اللجوء لمصر للحصول على الغذاء وقت المجاعة.

ومن هنا نفهم أن ذلك التوقيت كان يشهد تهيؤ مسرح الأحداث لوقوع القصة المشهورة ليوسف عليه السلام ومن ثم بداية تواجد بني إسرائيل في مصر كما عرفناها من القرآن الكريم وكما وردت في أسفار التوراة.

الفصل الثاني: بداية نزوح شعوب الشام إلى مصر

- مقدمة عن الهكسوس
- من هم الهكسوس ؟؟؟
- تفسير مسمى الهكسوس
- أصل الهكسوس ومواطنهم الأولى
- صفات الهكسوس
- عِظَم مدنية الهكسوس
- هل كان الهكسوس همجا ووحشيين ؟
- عبرانيون أم عبيرو ؟
- أبناء إبراهيم بين العبرانيين وعلاقتهم بالهكسوس.
- صلة الهكسوس العبرانيين وغيرهم بالصفة الآرامية .
- العماليق ... اللغز الأكبر فى تاريخ الشرق الأدنى.
- الهكسوس العماليق من العرب القدماء وتحديدا العرب البائدة.
- العموريون العماليق..من هم ؟ وما هي فروعهم ؟ وأين تقع بلاد عمورو ؟
- مسميات مختلفة وأصل واحد
- أحوال فلسطين قبل غزو الهكسوس لمصر :
- رواية كتب التراث العربي عن غزو العماليق الهكسوس لمصر
- رواية مانيتون عن الهكسوس
- متى بدأ تواجد الهكسوس فى مصر ؟
- حالة مصر فى أواخر الدولة الوسطى وتدهور الأوضاع والصراعات الداخلية
- انفصال أقاليم مصر واستيلاء الهكسوس على شرق الدلتا
- دعوة إبراهيم ورحلته كرسول للعماليق فى كل البلاد

مقدمة عن الهكسوس

من أكثر موضوعات التاريخ القديم التي يشوبها الغموض والارتباك والتضارب في النظريات والفرضيات هو موضوع تاريخ الهكسوس وسيرتهم ، فلا نكاد نجد مصدرا تاريخيا يسرد تاريخهم ووقائع عصرهم إلا وقد خالطه الوهم أو داخله الخطأ أو امتلأ بالفرضيات التي يعتريها الشك وعدم اليقين أو حتى اعتراها الكثير من تزييف الحقائق وتبديل ما هو حقيقي بما هو مضلل وزائف.

ويرجع ذلك إلى شح المصادر التي تتحدث عن الهكسوس وفترة حكمهم والأحداث التي جرت في تلك الفترة المبهمة من تاريخ مصر والشرق الأدنى ، فلا نكاد نعثر على مصدر متماسك يسرد حقيقة ما جرى في تلك الحقبة الهامة جدا والاستثنائية وغير التقليدية في التاريخ ، اللهم إلا جزء من جدارية محطمة ، أو قطعة من بردية ممزقة، أو طرفا من بعض الكتابات التي تسرد إحدى الوقائع التي جرت في زمانهم الغابر دون أن نجد أنفسنا أمام خيار السرد الناقص أو اطلاق العنان للاستنتاجات والخيال لاستكمال القصة وفقا لفرضيات قد لا تكون صحيحة ويجانبها الصواب.

أضف إلى ذلك التعمد شبه المؤكد الذي نلمسه كلما استعرضنا تاريخهم وما تبقى من عهدهم الغابر وما نجده بين الحين والآخر من تحطيم منظم وتدمير ممنهج لإخفاء أي تاريخ معتبر عنهم مما كان له أعظم الأثر في تزييف حقائق عصرهم وتبديل تاريخهم الحقيقي وفرض لتاريخ بديل.

ويتصور البعض تصورات كثيرة عن الهكسوس منها افتراضهم ان الهكسوس جاءوا لمصر بضع سنين و استعمروها ثم انتهي الامر بطردهم علي يد احمس مؤسس الدولة الحديثة ، ويسود الاعتقاد الخاطئ أيضا بأنهم دخلوا مصر بالقوة الغاشمة والغزو العسكري حتى استولوا على حكمها وهو ما ثبت خطأه تماما ، ويتصور آخرون – كما هو سائد – أن الهكسوس مجرد طُغمة همجية من البشر المتخلفين جاءوا بدافع الجوع ليهاجموا دولة من أصحاب أقدم المدنيات في التاريخ ليحتلوها وليمحوا حضارتها ويطمسوا معالم تقدمها حتى تمكن منهم أصحاب الأرض مرة أخرى

فطردوهم شر طردة وهو الافتراض الذي يجانبه الصواب من نواحٍ عديدة كما سنرى.[1]

كما يفترض البعض وفقا لنفس التصورات أن الهكسوس لم يتركوا أي بصمة حضارية ولا لمسة مدنية في مصر ولا غيرها في البلاد التي دخلوها وهو الأمر الذي يبتعد كليا عن الحقيقة وفقا لمستجدات كثيرة قد طرأت وتم اكتشافها في العقود القليلة الماضية لتغير بذلك الكثير من الأفكار التي كانت سائدة عن الهكسوس وعصرهم وحضارتهم وفترة حكمهم لمصر والشام.

ورغم شح المصادر التي تحدثنا عن الهكسوس ، لكن فترتهم تعد من أهم فترات التاريخ القديم نظرا لأن عصرهم هو العصر الذي يغلب علينا الاعتقاد بأنه قد شهد تواجد مجموعة من الانبياء كإبراهيم و اسماعيل و يعقوب و يوسف والأسباط بل وأيضا موسى وهارون عليهم جميعا السلام.

من هم الهكسوس ؟

يقول الأستاذ سليم حسن: " وتدل شواهد الأحداث أن يوسف كان وزيرا لأحد الفراعنة الهكسوس في مصر"[2]

فمن هم الهكسوس؟ ومن أين أتوا؟، وما هي علاقتهم بالأحداث؟ ومم تتكون أصولهم؟

إن الكلام عن هؤلاء القوم يحتاج إلى إفراد أبحاث ومؤلفات كاملة وهو الأمر الذي لم ينل القسط الوافر من التأليف والتصنيف ، ولكننا سنحاول هنا الإلمام بجميع جوانب الموضوع دون أن نغفل أحد جزئياته الهامة وخاصة تلك التي تخدم أغراض بحثنا هذا ، فالكلام عن هؤلاء لا يرتبط بعرق معين أو بحدث محدود ، ولكنه يرتبط بتاريخ منطقة بأسرها وبمصير وتحركات وتفاعلات مجموعة كبيرة من الشعوب في حقبة من أعقد وأشكل حقبات التاريخ بأكمله.

---

[1] من أصحاب هذا الافتراض الدكتور جمال حمدان الذي وصف الهكسوس بالهمجية وانعدام الحضارة تأثرا بكتابات المؤرخين القدماء كأمثال مانيتون وغيره وهو الافتراض الذي ابتعد عن الحقيقة.

[2] موسوعة مصر القديمة ج 4

ونستطيع الآن أن نجني ثمار أبحاث طويلة على المستوى الأثري والتاريخي والديموجرافي والاجتماعي ، فالكشوف والأبحاث والمؤلفات التي وضعت في ميادين مختلفة عبر فترات متعددة ولأغراض مختلفة أيضا أماطت اللثام عن الكثير من الأمور التي كانت مبهمة في وقت من الأوقات ، فالأبحاث والمؤلفات والكشوف الحديثة كشفت لنا إلى حد كبير حقائق كانت مستغلقة ومستترة عن الهكسوس وعن عصرهم وحكمهم في مصر والشام.

وبرغم أن الغموض ما زال يكتنف الكثير من تفاصيل فترة الهكسوس — أو الملوك الرعاة كما سماهم مانيتون - إلا أن الكثير من الحقائق التي كانت مجهولة قد تبدت مع أحدث الكشوف في سوريا وفلسطين ومصر عن معيشة هؤلاء القوم وطبيعة تركيبتهم البشرية وأصولهم التي كانت غامضة تماما فيما سبق حتى ظهرت خيوط كثيرة تدل على أصولهم العرقية وتركيبتهم الإثنية المختلفة ومظاهر المدنية والتحضر التي كانت سائدة في ثقافتهم.

وقد علمنا أن منطقة الشرق القديم قد شهدت موجات عديدة من الهجرات من مناطق إلى أخرى ، وكانت المنطقة تموج بالتحركات والهجرات اعتباراً من الألف الثاني قبل الميلاد وما قبله ، ففى فترة حكم الأسرة الثانية عشرة المصرية كان لمصر نفوذ سياسى واقتصادى وحضارى فى منطقة الشرق الأدنى القديم ، حتى أنه يمكن القول أن مصر كانت أقوى وأغنى دول المنطقة ، وأنها كانت تستفيد من الخيرات التى كانت تصلها من هذه البلاد، إلى جانب خيرات بلاد النوبة، وشمال أفريقيا، وجزر البحر المتوسط.

وكان المصريون يميزون بين أصناف البدو والشاميين والآسيويين الذين يفدون إلى مصر بأسماء مختلفة مثل شاسو ومعناها البادية أو البدو ، و "منثيو ستت" : البدو الأسيويون وقيل إن هذه الأسماء أطلقت على الآسيويين الذين كانوا على الحدود الشمالية الشرقية المتاخمة لحدود مصر.

على أن المصريين كانوا يميزون صنفا من هؤلاء البشر وتحديدا الذين سكنوا فلسطين وسوريا بإسم يميزهم عن غيرهم ، ألا وهم " العمو " ، وهم من نعرفهم في تاريخ المقارن للشرق الأدنى بإسم "العموريون" ويعرفهم الإخباريون العرب بـــ "عماليق" وهو نفس الإسم الذي ذكرهم به التوراة.

ويذكر الدكتور أحمد شلبي : "والهكسوس هم الرعاة العماليق" ، ويذكر الدكتور لويس عوض : "هؤلاء العماليق استطعنا تحديدهم بجحافل الهكسوس" ، ويضيف: "ولا شك أيضا أن هؤلاء الهكسوس هم العماليق كما تقول التوراة" ، ويذكر المؤرخ الأثري احمد نجيب : "والعمالقة هم أمة الهكسوس" ، ويذكر الأستاذ عبد الحميد جودة السحار: "والمؤرخون العرب يرون أن الهكسوس هم العماليق" ، ويذكر الأستاذ فوزي العنتيل :"يقول جورجي زيدان في كتابه العرب قبل الإسلام أن العمالقة هم الهكسوس"، ويذكر المؤرخ العراقي أحمد سوسة:"وكان المصريون يعرفون الملوك الرعاة باسم الهكسوس وكان العرب يسموهم العمالقة"، ويذكر الباحث العراقي عبد الفتاح الزهيري:"وقد أطلق عليهم الهكسوس لكن العرب سموهم العمالقة"، ويذكر المؤرخ السوري عزة دروزة:"والعمالقة يعني الهكسوس".[3]

على أن كل هذه الأسماء لم تلبث وأن توارت خلف حجاب كثيف من الماضي وحل محلها تسمية مختلفة ظهرت في عصر متأخر عن العصر الأصلي لظهور هؤلاء القوم إلى مسرح الأحداث وهو العصر البطلمي الذي عاش فيه المؤرخ اليوناني "مانيتون"[4] والذي أظهر مصطلحا حادثا لم يكن متعارفا قبل تاريخه وهو"الهكسوس".

ومنذ ذلك الحين سادت تلك التسمية وطغت على غيرها من التسميات لهؤلاء القوم و لم تعد تسمياتهم الأخرى مطروحة أو متداولة خاصة مع التعميم الخاطيء أو المتعمد الذي مارسه علماء المصريات في العصر الحديث عند الحديث عنهم في كل المناسبات.

---

[3] قدماء المصريين أول الموحدين – نديم السيار بتصرف.

[4] مانيتون : مؤرخ مصري قديم من مدينة سمنود في محافظة الغربية؛ كان كاهناً في عهد الملك بطليموس الثاني "فيلادلفوس 280.ق.م" الذي كلفه بكتابة تاريخ مصر القديمة .أخذ مانيتون هذه المهمة على عاتقه واعتمد في كتاباته على الوثائق التي خلفتها الحضارة المصرية والتي كانت تضمها دور حفظ الوثائق بالمعابد بالإضافة إلى كل ما وجده في متناول يديه من وثائق الإدارات الحكومية وغيرها؛ ولسوء الحظ فقدت النسخة الأصلية من تاريخ مانيتون أثناء حريق مكتبة الإسكندرية، و لم يصلنا من هذا التاريخ إلا مقتطفات نقلها بعض المؤرخين، ومنهم على سبيل المثال المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" الذي حاول أن يرفع من شأن بني جنسه ذاكراً أنهم هم الهكسوس الذين غزوا مصر بعد انهيار الدولة الوسطى ، ومن المؤرخين كذلك المؤرخ الإفريقي "جوليوس" الذي نقل في مؤلفه بعض أسماء الملوك التي كانت مدونة في تاريخ مانيتون الأصلي وكذلك "أفريكانوس".

وخضعت التسمية لتفسيرات عديدة وعلى رأسها تفسير المؤرخ اليهودي "فلافيوس يوسفوس"[5] الذي نقل التسمية عن "مانيتون" وادعى أن معناها هو " الملوك الرعاة ".
وترتبط تسمية الهكسوس ببعد آخر ألا وهو أصلهم وعرقهم ، فتفسير يوسفوس المذكور يشير بوضوح إلى أصلهم البدوي وطبيعتهم الاجتماعية وهو ما سيأتي تفصيله في حينه، بالإضافة إلى ما يؤكده جميع المؤرخين والباحثين من أن الهكسوس لم يكونوا من جنس واحد بل كانوا خليطا من قبائل متعدده لكنها كلها قبائل سامية عروربية تنحدر من الجد الكبير لاوذ بن سام.
وهذه الفرضية يكاد يتفق عليها الجميع سواء مؤرخين أو أثريين أو لغويين ، ولا تكاد تجد مرجعا ولا بحثا يتحدث عن الهكسوس إلا وقد أورد تلك العبارة في مقدمة بحثه ...
على أن هذه العبارة نفسها تحتاج إلى مزيد من الضبط والتحقيق لبيان درجة هذا "الاختلاط" وما هو المقصود به.
تذكر الموسوعه المصرية: "ولاشك أن الهكسوس لم يكونوا خليطا واحدا".
كما تذكر موسوعة لانجر " كان الهكسوس جنسا خليطا".
كما يذكر الدكتور سليم حسن صاحب موسوعة مصر القديمة وصاحب الباع الأكبر في المؤرخين العرب في مسأله بحثه عن الهكسوس وأصلهم وخلص إلى أنهم "ليسوا من جنس واحد بل جماعات متنوعه ممن كان يقطن في بلاد الشام وبين النهرين"[6] .

---

[5] فلافيوس يوسفوس : يوسيفوس السكندرى : وهو مؤرخ يهودى مصرى من مدينة الاسكندرية ويعتبر البعض الأب الثانى للتاريخ المصرى القديم وثانى شخصية فى التاريخ يكتب عن التاريخ المصرى وكان ذلك فى عام 70 م وهو عام تدمير بيت المقدس على يد الرومان وقبض عليه وسحب مسجونا كيهودى الى روما. وفى سجنه كتب التاريخ المصرى وادعى أنه كان شديد الدقة فى موضوع اليهود وظهر كتابه الشهير باسم (الرد على ايبون) المصرى الذى يحقر من اليهود انذاك ومما قاله فى هذا الموضوع (ان اليهود كانوا عبيدا فى مصر بالرغم من انهم لم يسيئوا الى مصر المعتزين بها ومن قبل كان أوزارسف معلم الزراعة الاول للمصريين وكان وزيرا فى مصر. وان اليهود ليسوا قوم نجس كما يدعى أيبون وان موسى او ابن الماء لم تكن قصة ادبية بل حقيقة تاريخية وكان نبيا لبنى اسرائيل والذى على يديه تم هلاك مصر وكما جاء من قبل فى نبوات الكنعانيين).

[6] موسوعة مصر القديمة – الجزء الرابع – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ولتحقيق تلك العبارة وضبطها يتحتم علينا معرفة هذا التكوين المختلط من الأجناس الذي تتحدث عنه جميع المصادر، وتحديد ممن كان يتكون الهكسوس.

وفي هذا الشأن تطالعنا المصادر المختلفة عن أن الهكسوس كانوا أقواما من "البدو"، وأحيانا من"العرب" وأحيانا أخرى يطلقون عليهم لفظ "الأعراب" ، ويجزم غيرهم بأنهم كانوا من " الآراميين".

يقول الدكتور جواد علي : والمعروف أن "الهكسوس" الذين حكموا مصر كانوا من العرب في رأي كثير من العلماء ، بل في نظر قدماء المصريين ، كما حكى ذلك الراهب المصري المؤرخ "مانيتو" "Manetho" في كتابه المؤلف باليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد[7].

ويقول عالم الآثار ماربيت باشا :

"إن قبائل الهكسوس كانوا خليطا من العرب وأهل الشام وأكثرهم من الكنعانيين وأطلق عليهم في التواريخ العربية "العمالقة".

وبذلك يكون من الواضح لدينا أن العنصر الغالب في الهكسوس كان صنفا من العرب القدماء يخالطهم بعض المجموعات من الأعراق الأخرى ، لكن العنصر الغالب فيهم هو العنصر العربي أو العروبي السامي وتحديدا العماليق العموريون والكنعانيون وهم من تم تصنيفهم على أنهم من العرب البائدة وقال غيرهم أنهم من صنف الأعراب، فيذكر المؤرخ عزه دروزه : "ويقول البعض إن الهكسوس أعراب".

ويقول د.طه حسين أنهم : " كانوا ممن يسميهم القدماء العرب البائدة"

ويؤكد الدكتور أحمد شلبي : "الهكسوس هم قوم من الاعراب الدين ذكرهم القران الكريم بقوله (الأعراب اشد كفرا و نفاقا).

---

[7] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام — جواد علي غير أن جواد علي قد عاد في كتابه المفصل وذكر أن هجرات الهكسوس والشاسو قد تمت منذ نحو ألفي سنة قبل أن تصبح لكلمة عربي دلالة على الجنس العربي الذي عرف بهذه السمة بعد الاسلام. فمن الخطأ وصف الكتابات الحديثة تلك الهجرات بأنها هجرات عربية، إلى جانب أن الــذين استخدموا كلمة عرب وقصدوا بها البدو هم اليونانيون والرومان. و لم يستخدم قدماء المصريون أو العبرانيــون أو غيرهم من شعوب غرب آسيا كلمة عرب للدلالة على الجنس العربي ، لذلك نفضل أن نطلق على هؤلاء الأقــوام لفظ : شعوب ما قبل العروبة.

على أن بعض هؤلاء المؤرخون والكتاب يصر على وصف الهكسوس في مواضع أخرى بالآراميين [8] فيقول الدكتور عزة دروزة : "يتفق معظم الباحثين علي ان العنصر الغالب في الهكسوس هو العنصر الارامي".

وقد افرد جورجي زيدان فصلا خاصا من كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام للهكسوس مع ترجيحه بأنهم من الآراميين.

ويؤكد هذا الباحث العراقي عبد الفتاح الزهيري بأن الهكسوس قبائل سامية من الآراميين ، على أن الراجح لدينا - كما سنفصله في هذا الفصل — أن كلمة "آرامي" لم تستخدم في كثير من الأحيان للتدليل على عرق أو جنس ولكن للتدليل على صفة وثقافة كانت منتشرة انتشارا واسعا نظرا لانتشار لهجتها — أو لغتها إن جاز لنا وصفها باللغة - وطريقة كتابتها في تلك العصور ، وبالتالي فإن الإدعاء بأن الهكسوس كانوا من الآراميين لا يدل على انتساب عرقي بقدر ما يدل على تأثرهم بالثقافة الآرامية التي كانت آخذة في الانتشار في تلك الآونة.

والخلاصة أن الهكسوس هم فصيلة من فصائل العماليق المنحدرون من عمليق بن لاوذ بن سام وقد اعتبرهم الكثير من المؤرخين العرب وغيرهم من العرب البائدة مثلهم في ذلك مثل قوم عاد وثمود ، وهذا الرأي ربما يكون صائباً ، فقد أثبتت الدراسات والبحوث التاريخية أن منطقة بئر السبع كانت موقعا للعمالقة ، وكذلك الاكتشافات الأثرية على محيط وادي غزة ، وقد كان الهكسوس بذلك القسم الثالث من القبائل الكنعانية الذين لم يسكنوا الممالك والسهول الخصبة ولم يمتهنوا الزراعة وأيضا لم يسكنوا الشواطيء والسواحل ولم يمتهنوا بالصيد والملاحة ولكنهم من الصنف الثالث الذي اختار الرعي والبداوة والجندية والإغارة على الأمم المحيطة بهم ، حيث أفادت البحوث أن الكنعانيون الذين عملوا في التجارة والزراعة سكنوا السهول والجبال كالقدس ونابلس والجليل وجنين ، بينما سكن القسم الثاني على السواحل وعرفوا بالفينيقيين واحترفوا ركوب البحر وصيد الأسماك ، وأما القسم الثالث فهم الهكسوس الذين سكنوا في هوامش وحواف الصحراء واحترفوا الرعي والجندية والفروسية وحياة البراري ومن ذلك اكتسبوا كل مهاراتهم وثقافتهم.

---

[8] انظر كتاب : قدماء المصريين أول الموحدين — نديم السيار.

صورة من جداريات مصر القديمة عن أفراد من شعوب الشام

الصورة النمطية لفرد من العماليق ويظهر فيها نمط الملامح وهيئة الشعر وربطة الرأس



[illegible] من بعض الشعوب القديمة ويظهر فيها على اليمين رجل من كل شعب من شعوب الشام فنجد الرجل الكنعاني والرجل الحيثي والرجل السوري أو العموري



من اليمين إلى اليسار، رجل فينيقي ، رجل من شعوب البحر ، رجل كنعاني ، رجل حبشي ، رجل سوري أو عموري وهم يمثلون عينة من الشعوب القديمة التي عاصرت المصريين القدماء



من اليمين إلى اليسار ، رجل عربي ، ثم رجل شامي ، ثم رجل حبشي ويظهر فيها التباين في لون البشرة والهيئة وتسريحة الشعر



من اليمين إلى اليسار ، رجل عربي ، ورجل نوبي ، ورجل كنعاني ، ورجل حبشي



عينة من الكنعانيين والعموريين ويظهر الرجال الكنعانيين العماليق من اليمين بجزع عاري وتسريحة شعر مميزة مع شريط يربط الشعر ولحية طويلة أما العموري أو السوري على اليسار فيختلف عنه في الزي وهيئة الرأس



A Libyan, a Canaanite, a Syian, and a Nubian, bow to pharaoh. XVIIIth Dynasty

لوحة جدارية من مصر القديمة ويظهر فيها من اليمين إلى اليسار رجل نوبي ثم رجل سوري عموري حليق الرأس ثم رجل كنعاني برابطة الرأس الشهيرة ثم رجل ليبي في أقصى يسار الصورة وكلهم يسجدون لملك مصر برهانا على الولاء والطاعة



عينة من جدارية ويظهر فيها صورة لرجل فينيقي من أوجاريت



عماليق سوريون والذين يعرفون بالعموريين أثناء تقديم هدايا لملك مصر



صورة نموذجية لرجل من الهكسوس الكنعانيين مع حصانه وأمتعته ويظهر فيها هيئته النمطية بالإزار الذي يغطي النصف الأسفل بينما الجزع عاري تماما ويحمل فوق كتفه بضاعة ويصطحب معه فرسه



صورة نمطية لرجل من أحد قبائل عماليق الشام



Phoenicians bringing gifts for the Persian King - Persepolis relief, 5 century B.C.

Relief in the Jubilee Temple of Akhenaten showing a Canaanite I

في الوسط رجال فينيقيون من أوجاريت بأزيائهم الطقوسية وبالأسفل أحد رجال عماليق أرض كنعان بهيئته التقليدية





بعض عماليق الشام في أزياء مختلفة



رجلين من العماليق الكنعانيين فى الوسط بملامحهم المميزة ، وبالأسفل بعض الفينيقيين أمام أحد الملوك





أصناف من عماليق الشام من الكنعانيين والعموريين بأزياء مختلفة على جداريات مصر القديمة



لوحة فنية لأحد العماليق من جبابرة الشام يصارع أسدا ، ويبدو في زيه النمطي التقليدي وربطة الرأس الشهيرة وجسده القوي وهذه الصورة كانت تمثل الهيئة العامة للقبائل الكنعانية والعمورية وحتى العبرانيين حين عاشوا على أرض كنعان



صورة جدارية لرجال عموريون من عماليق سوريا



رجال من بدو الشام أثناء زيارتهم للمراعي البرية في مصر

تفسير مُسمَّى الهكسوس :

نسمع كثيرا عن مسمى الهكسوس، ويتردد الاسم كثيرا لدى المتخصصين الذين يدرسون التاريخ، كما يتردد عند غير المتخصصين الذين ترد على آذانهم اللفظة في مناسبة أو أخرى ، فمن هم الهكسوس؟ وما هو أصلهم ، ومن أين جاءوا ، وما معنى اسمهم؟

كلها أسئلة لها علاقة وثيقة ببحثنا هذا ، والنقاط التالية تلقي الضوء على الإجابات.

إن المدونات المصرية القديمة، لا تذكر، على الإطلاق، اسم الهكسوس، بيد أنَّ بردية تَورينْ تتحدث عن "ستة حكام أجانب" فيما تسرّبت صيغة الاسم الملتبس هكسوس من الكتابات اليونانية عن هذا العصر، ويشك البعض أن الهكسوس قد فرضوا على شعب مصر عبادة آلهة أجنبية بدلاً من عبادة رع[9].

فقد ظهر مسمى الهكسوس أول ما ظهر في كتابات المؤرخ المصري مانيتون ، وفي كتابات المؤرخ اليهودي يوسفوس الذي نقل عنه كما يدعي ، ولم يكن هذا المسمى معروفا قبل هذا الوقت ، بل كانت كتابات المصريين القدماء عن هؤلاء القوم تحمل أسماءا أخرى حاول البعض التقريب بينها وبين لفظ الهكسوس ، كمحاولة الربط بين كلمة " حقاو — خاسوت " التي تعني حكام البلاد الأجنبية وبين لفظة الهكسوس كما أوردها مانيتون، والغريب في هذه المحاولات أن تركيب " حقاو — خاسوت " تم تفسيره باللغة المصرية القديمة، بينما لفظة " هكسوس " قد تم تفسيرها على أنها كلمة سامية قديمة مختلفة عن المصرية، وقد فسر اللفظة المؤرخ اليهودي يوسيفوس في القرن الأول الميلادي ما تَرْجَمَتُه:

"هؤلاء القوم عُرفوا بالهكسوس أي ملوك البدو، فإنَّ المقطع الأوَّل "هك" يعني باللسان المقدَّس "مَلِكاً"، وأمَّا "سوس" فتعني "بدوياً" وذلك إنَّما هو بحسب اللسان الدارج، ومِن هاتين اللفظتين جاءت كلمة الهكسوس. غير أنَّ بعضهم يقول إنَّ هؤلاء الناس كانوا عَرَباً Arabians اهـ[10].

---

[9] جريدة الحياة — العدد 13561 — بتاريخ 28/4/2000 - فاضل الربيعي — مقالة عن المرويات التاريخية العربية...!

[10] الرد على أبيون — فلافيوس يوسفوس.

ويؤكد البعض أن المقطع الأول للفظة " هكسوس" وهو "Hyk " هيك " يعني عند القبائل الآسيوية "رئيس" أو "ملك" أو " حاكم" ، وهو الأمر القريب من تفسير يوسفوس ، غير أننا لا نستطيع أن نثق فيما قاله يوسفوس اليهودي تمام الثقة وخاصة أن لفظة هكسوس هي لفظة مستحدثة على هؤلاء القوم الذين سبق وجودهم على وجود هذا المسمى بأكثر من ألف وخمسمائة عام من الزمان بل ربما يزيد دون أن يظهر لهذا المسمى أي دلالة قاطعة في أي نص أو مصدر موثوق.

ويرى جاردنر أن لفظة هكسوس مشتقة من غير شك من اصطلاح(حيق خاسة / حق خاسوت) أي "رئيس البلاد الأجنبية الجبلية" والتي كانت تعني منذ عهد الدولة الوسطى " مشايخ البدو"[11].

ولو نظرنا في تسمية المصريين لوجدناها لم تعبر في أصلها عن شعب معيَّن بقدر ما عبرت عن صفة لمجموعة من الحكام أطلق المصريون عليهم اسم " حقاو خاسوت " بمعنى حكام البراري أو حكام البلاد الأجنبية.

ويفترض بعض اللغويون أن تفسير مانيتون ويوسفوس لمسمى الهكسوس هو تحوير من بعض مؤرخي الإغريق و المتأغرقين لتسمية " حقا – خاسوت " إلى " الهكسوس " التي ترجمها مانيتون بمعنى "ملوك الرعاة "، ثم ترجمها يوسيفوس اليهودي بمعنى " الأسرى الرعاة" ، وربط بينهم و بين العبرانيين كفئة تابعة لهم، وأقر بأن النبي يوسف " عليه السلام " دخل مصر في عصرهم ، وأنهم – أي العبرانيين – خرجوا مع الهكسوس بعد جلائهم عن مصر.

ولكن آراءا عربية كثيرة تخالف هذه التفسيرات عن تسميتهم ، وتكشف لنا محاولات المستشرقين والعلماء الغربيين في "تَوْرَتَة" المسميات والتاريخ ، وصبغه بالصبغة التوراتية.

ويعتقد بعض المفكرين الآن أن محاولة التقريب بين تلك اللفظة وبين لفظة " حقا – خاسوت " هي محاولات تخلوا من الصحة العلمية والتاريخية بكل المقاييس ، وقد بينوا في أبحاث كثيرة حول هذا الموضوع منذ أكثر من خمسة عشر عاماً أن هذه المقولات

---

[11] تاريخ فلسطين القديم – خزعل الماجدي.

عن الـــ "هيك سوس" ، ما هي إلا سبة توراتية ، وأن هذه الأقوال المغرضة قد أتى عليها المستشرقين لأغراض توراتية.[12]

فيرى الدكتور خزعل الماجدي أن مسمى هكسوس مرتبط بأصلهم الذي يعود إلى ممالك شوتو بالأردن وهو ما يعني أن كلمة هك سوس تعني "أمراء سوت" أو "أمراء شوتو" وهو ماله علاقة بإله الشر عند المصريين الذي اتخذه الهكسوس إلههم الأكبر وأسموه سوتخ بعد دمجه في إلههم المحلي.[13]

بينما يفسر الدكتور محمد بهجت قبيسي كلمة "هيك سوس" ذات المقطعين بأنها كلمة يونانية أتى عليها " مانيتون " صاحب الثقافة اليونانية حيث فسر إياها بأنها تعني: "الملوك الرعاة " وقد حاول الفرنسي " دريوتون " أن يقرب بينها وبين الكلمة المصرية السالفة فكان التفسير هو أن [هيك = حقا]و[سوس = خاسوت] أي أمراء الصحراء والجبال الصخرية (حكام الصحراء أو حكام البراري).

والصحيح أن كلمة [سوس] لا يمكن أن تنقلب إلى [خاسوت]، وكلمة [هيك]إلى [حقا]دون وجه حق لسببين الأول هو أن الكلمة يونانية حاول يوسفوس أن يفسرها على الطريقة السامية حسب مصطلحه فجعل [حقا = حكّا = حاخام] أي حكيم أو حاكم (بفكره التوراتي).

والثاني أن كلمة [سوس] لا يمكن إبدالها بكلمة أخرى هي [خاسوت]والتي فسرت بالجبال الشرقية أو الصحراء.

---

[12] في حوار مع الدكتور محمد بهجت قبيسي — سوريا تحت عنوان "يجب أن نفرق بين اللغة والكتابـــة " ، يشـــير الدكتور أن التفسير الأكثر واقعية لكلمة الهكسوس من وجهة نظر جديدة ، ويرى أن لفظ هكسوس ليس مصـــريا بالمرة وإنما هو لفظ تم اشتقاقه من اللغات السامية القديمة ويعني لفظا قريبا من "أمراء الخيول" ، أو "جنود الخيالـــة" أي الفرسان وهو تفسير واقعي وقريب جدا من الحقيقة لأن العماليق كانوا جنودا وفرسانا يركبون الخيول ، ويقال أن المقطع "سوس" يعني الخيل وهو ما يذكرنا بلفظة "سيسي" التي تطلق على أحد الحيوانات من فصيلة الخيول.

[13] تاريخ فلسطين القديم — خزعل الماجدي.

ومن هنا يرجح الدكتور محمد بهجت قبيسي أن تفسير كلمة "هك سوس" مقطعيا – إذا ما فسرت باللغات السامية العروبية – هو : أصحاب الخيول أو رعاة الخيول.[14]

وقد قرأت بعض الأراء العجيبة في بعض المواقع لأحد الباحثين يفيد بأن كلمة هكسوس تعني "شعب الستة"!!! وغيرها من النظريات العجيبة التي لا علاقة لها بالواقع.[15]

وما نستطيع أن نجزم به فعلا هو أن هؤلاء القوم كان الكثيرون منهم فعلا من رعاة وكان يغلب عليهم الطابع البدوي القبلي الذي سنرى أنهم لم يتخلوا عنه حتى بعد اصطباغهم بالمدنية المصرية واتباعهم لنظام الحكم المركزي على الطريقة المصرية ،

---

[14] محاولة ترجمة كلمة هكسوس إلى أصحاب الخيل أو رعاة الخيل هي محاولة جيدة ولها دلالات واضحة في صفات هكسوس واقتنائهم للخيل لكنها تحتاج أيضا إلى إثباتات لغوية.

[15] يقول الباحث المجهول : تم ترجمة الكلمة المصرية القديمة التي تدل على هذا الشعب لليونانية باسم (هكسوس) وكتبت بأسلوب خاطئ وخبيث Hyksos بينما الهجاء الصحيح للكلمة هوHexos ، حيث تعني كلمة Hexa (هكسا) اليونانية ثم اللاتينية رقم (6). أي أن الكلمة تعني (شعب التسديس).أما عن النطق المصري لكلمة (هكسوس) اليونانية فقد كان (هك شيسو) و(هك) تعني (ملوك)، أما لفظ (شيسو) فهي رقم (6) باللغة المصرية القديمة.وكلنا يعلم أن الشعب الإسرائيلي يقدس الرقم (6)، هذا الشعب الذي رسم شعاره نجمة سداسية والتي اسمها اليوناني واللاتيني والإنجليزي أيضًا (هكساجون)، وهذا الشعب يعتقد أن الخلق تم في (6) أيام واستراح الله وتنفس في اليوم السابع، وأيام عملية الخلق هذه تسمى (هكسا ميرون)، وهؤلاء هم أصحاب الشمعدان السداسي، ومن مقدساته خبز الحضرة، والموجود لاحقًا على مائدة خبز الوجود، والمكون من صفين كل صف مكون من ستة أرغفة تتغير كل ستة أيام ... إلى آخر كل الدورات السداسية الموجودة في توراتهم.ولعل المصريين القدماء قد أطلقوا على هذا الشعب ذلك الاسم (الهكشيسو) لما وجدوه من تناقض فكرة الخلق السداسية الأيام مع الفكرة المصرية عنه، وكذلك أسلوب العمل السداسي الأيام مما كان يتضارب مع المصالح الاقتصادية المصرية. مما جعل المصريين يطلقون على هذا الشعب (شعب الستة) أو (الشعب السداسي) أو (ملوك الستة) أو (حكام السداسيات). وهذا الكلام السابق لا يبدو منطقيًا وخاصة أن فكرة السداسية أتت مع التوراة بعد خروج بني إسرائيل من مصر على عهد موسى؟ أي أنها لم تكن معاصرة لفترة وجود بني إسرائيل أو الهكسوس في مصر! إذن فمحاولة التفسير تلك هي محاولة خائطة لا تمت للواقع بصلة.

أي أن كثيرا منهم كانوا ممن يرعون الحيوانات ويسكنون الصحاري والتخوم الملاصقة لممالك الشرق الأدنى قبل ان يستقروا في حياة مدنية كاملة في مصر.

ونرى من وجهة نظرنا أن المصريين لم يعبروا باسم " حقاو خاسوت " (ومترادفات أخرى مثل عمو) عن قومية معينة بقدر ما عبروا به عن صفات القبلية والأجنبية بوجه عام من وجهة نظر سكان مصر القديمة ، أما لفظة هكسوس فليست سوى كلمة يونانية صرفة وليس لها علاقة بالتركيب المصري " حقاو خاسوت " الذي أطلقه المصريون على هؤلاء القوم ، ولا علاقة لها أيضا بالتفسير اليهودي الذي زعمه يوسفوس لتلك الكلمة اليونانية وخرج علينا بكلمة عجيبة ترجم نصفها بالعبرية والنص الآخر باليونانية ، ليخرج لنا ترجمة مشوهة اشتهرت مع شديد الأسف بشكل كبير حتى في أوساط المتخصصين والباحثين بتخصصاتهم المختلفة.

أما تفسيرنا لتلك الكلمة وهو تفسير جديد تماما من نوعه لم يتطرق إليه كل من حاول تفسير كلمة "هكسوس" على اختلاف تخصصاتهم ، فالكلمة تعني ببساطة حاول تعقيدها لغرض خبيث "يوسفوس" اليهودي : **" الجنود البدو "** وهو معناها باليونانية وهي ما تتطابق مع كلمة " **عماليق** " !!! العربية!!.

إن كلمة "**هك-سوس**" اليونانية تعني ببساطة "**عمو-ليك**" السامية أي "**الجنود البدو**" أو "**فرسان الصحراء**" وهو نفس المعنى الذي أورده المؤرخون العرب عن الشعب الذي غزا مصر وحكمها لفترة من الزمان وأسموهم "**العماليق**" أو "**العمالقة**" بينما أسماهم مانيتون بـ"**الهكسوس**" وترجمها يوسفوس اليهودي "**الملوك الرعاة**" ثم انتشرت بين جميع المؤرخين والمتخصصين دونما تحقيق معتبر ليصبح الهكسوس ببساطة عندهم "الملوك الرعاة"!.

وإذا افترضنا صحة النسب الذي يجعل "عمليق" وهو أبو العماليق المفترَض من أبناء لاوذ بن سام بن نوح ، فإنه لا تعارض بين إسم " عمليق " المستخدم في النسب وبين تركيب "عم-لاق" ومعناها "الجندي البدوي" أو " جندي المراعي" أو "فارس البراري" وفقا للمسميات المركبة في عصرهم ، وهو ما يماثله رغبة الأب في أيامنا الحالية في تسمية إبنه على مسمى يأمل أن يتحقق في ولده في يوم من الأيام كأن يسمي أحدنا ابنه وفقا للمسميات المعاصرة : "فارس" أو "مجاهد" أو "نضال" أو "مبارز" ، وهو ما كان متبعا في تلك العصور حيث كانت الأسماء تطلق على المواليد بالمناسبة التي ولدوا

تيا وتستطيع أن نجد تلك الثقافة متبعة عند كل شعوب الشرق القديمة ، كتسمية "يعقوب = الذي يعقب أباه" أو بالمعنى الدارج "خليفة" وتسمية " عابر = إبن الترحال والبداوة حيث ولدته أمه بعد أن عبرت النهر " ، وتسمية " إسحق / إضحاك = سرور أي الذي جلب لأمه الضحك والسرور عندما بشروا به" وتسمية "إبراهيم = صاحب الإبراه أي البرهان والحجة على الناس أو صاحب الإبراء أي البراءة من الشرك" ، "بنيامين = إبن اليمين " وتسمية " إسماعيل = الله يسمع دعائي "وغيرها الكثير من المسميات في العصور القديمة التي كانت تسمى وفقا للمناسبة التي تجري وقت ولادة المولود.

وهكذا نرى كيف استطاع يوسفوف اليهودي أن يعمم ترجمته الخبيثة ليدَّعي أن الهكسوس هم أنفسهم بني إسرائيل والتي أراد من ورائها تعظيم بني إسرائيل وجعلهم هم أنفسهم "الهكسوس" وأنهم كانوا "ملوك رعاة" ومن ثم يصبحوا في نظر العالم "ملوك الذين حكموا مصر لقرنين من الزمان بإسم الهكسوس" ، وهكذا ببساطة استطاع يوسفوس اليهودي بضربة واحدة أن يعظم من شأن قومه أمام مناظره الروماني "أبيون" الذي حط من قيمة اليهود.

غير أننا قد وجدنا أخيرا وبعد عناء الترجمة الصحيحة لتلك الكلمة المشهورة "هكسوس" والتي ظلت أمام أنظار الجميع كل هذه الفترة بمعناها الواضح الذي أورده المؤرخون العرب ، دون أن يلفت ذلك انتباه جميع العلماء ، تقابلها الكلمة العربية المشهورة الأخرى "عماليق" والتي تعني "جنود الصحراء" أو "الجنود البدو" أو "فرسان البادية".

أصل الهكسوس ومواطنهم الأولى :

تعد مسألة موطن الهكسوس الأصلي من المسائل التي كانت غامضة وما زالت بعض المسائل التي تخص أصلهم قيد البحث حتى يومنا هذا ، على أن المؤكد في هذا الأمر هو أن موطن هؤلاء الهكسوس — العموريون/العماليق هو شبه الجزيرة العربية خاصة شمالها بالإضافة إلى الشام والرافدين على اختلاف في أسبقية هجراتهم عن الأخرى ، وهناك تصورين اثنين لموطن هذه الأقوام السامية الآسيوية والعروبية أيضا ، وقد أوردنا في مقاطع سابقة كيف أن الهجرات الأولى بعد الطوفان قد أثْرت مناطق الشام والرافدين والجزيرة العربية بعناصر بشرية كبيرة ساعدت في تكون الشعوب

المعروفة لتلك الفترة ، وأول هذين التصورين هو أن العموريين/العماليق – وهو المصطلح الراجح لأصل شعوب أغلب تلك المناطق والمادة الخام المكونة لها – ويعني اصطلاحا "البدو الرحل" أو " الرعاة" أو" الأعراب" بمعناها الواسع وكلها لأجناس آسيوية ، قد تكونوا من كل فروع العرب البائدة أو العرب القدماء ، وكما سبق وأن أوضحنا في الفصل السابق أن أبناء سام المذكورين في التوراة هم عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وآرام ، وقد تكون منهم العيلاميين والآشوريين والعرب القحطانيين والعدنانيين والعرب البائدة كأمثال عاد و ثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل والعماليق ومن اشتق منهم كالبدو العبرانيين وغيرهم .

فأما العيلاميين فسكنوا في منطقة الأهواز الواقعة بين العراق وإيران في شرق نهر دجلة ، وأما الآشوريين فسكنوا شمال العراق ، وأما عاد فسكنوا في الأحقاف في حضرموت على أرجح ما قيل فيها ، وأما ثمود فسكنوا في الحجر امتدادا من العلا بالقرب من تبوك في المملكة السعودية وحتى البتراء في الأردن ، وأما العرب القحطانيين فبدأت سكناهم في اليمن ثم ارتحلوا إلى الحجاز ومكة كجرهم وغيرهم من أبناء قحطان ، وأما العرب العدنانيين من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام فسكنوا اتفاقا في مكة وما حولها حتى جاورهم فيها جرهم وبعض قبائل العماليق الآتية من اليمن ، وأما أبناء لاوذ أو لود بن سام ، فهؤلاء يحيط بهم الغموض من كل جانب وذلك لتعمد كاتبوا التوراة إخفاء حقيقتهم ، حيث لم تذكر التوراة أي أبناء للاوذ على خلاف اخوته من أبناء سام ، وأما أبناءه فبينهم الإخباريون العرب من آثارهم الباقية عن الأسلاف الجاهليون دونما مرجع من كتاب أو مصدر موثق ، غير أن المنطق يحدثنا بأن الشعوب السامية العروبية الأخرى – كالكنعانيين والعموريين تحديدا وهم من العماليق – التي لم نجد لها في الكتب نسبا يمتد إلى تلك السلالات المذكورة – يجب أن يكونوا من نسل أحد أو كل الفروع السامية أو العروبية الأخرى التي ذكرناها على سبيل الحتمية المنطقية ، وبناءا على الدلالات اللغوية لهم.

ونستطيع بناءً على ذلك أن نتجرأ ونرجح على أكثر الافتراضات بأن العموريين/العماليق الذين تكونت منهم غالبية شرائح شعوب الرافدين والشام وشمال الجزيرة العربية والهلال الخصيب كانوا من أبناء لود/لاوذ إذا سلمنا لرواية التوراة الذي لم

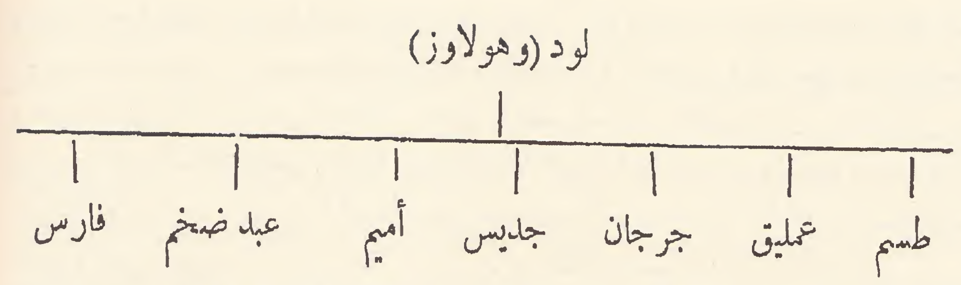
يذكر كاتبوا التوراة نفسها أي أبناء معروفين لـــه [16]، وعلـــى ذلـــك فـــإن كـــلا مـــن
العموريين/العماليق - ومنهم الأكاديين في الرافدين - والكنعانيين واليبوسيين في فلســطين
وسوريا والأردن كانوا من العماليق والذين يعرفهم النسابون بأبناء عمليق بن لاوذ بن سام
بن نوح عليه السلام (على فرضية صحة الرواية التوراتية لأبناء نوح وفرضية وجود عمليق
كحفيد له) ، ومن تبقى ممن اصطلح على تسميتهم بالعرب البائدة كأمثال طسم وجديس
وأميم وعبيل وغيرهم من نسل أبناء سام بن نوح وفقا للتقسيم التوراتي لأبناء نوح.[17]

---

[16] يقول جواد علي – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ولا نجد لـ "لود" أي "لاوذ" ولـدًا في التــوراة. فأولاده المذكورون هم هدية من أهل الأخبار قدمت إليه. أ.هـــ.

ويقول في موضع آخر : وليس في التوراة ذكر لأبناء "لود"، أي: "لاوذ" أهل الأخبار والأنساب, وكل ما فيها أن له نسلًا، وقد عرفوا بـــ"اللوديين", وقد ذكروا مع "كوش" و"فوط" مما يبعث على الظن أنهم إفريقيون (أي حاميون من أبناء حام بن نوح) ولورود اسم جدهم "لود" مع "أشور" و"أرام" و"عيلام"، يرى علماء التوراة أن اللــوديين الذين هم من نسل "لود بن سام" هم شعب من شعوب الشرق الأدنى، لا تبعد مواطنهم عن البابليين والآشوريين، وأنهم غير "اللوديين" الإفريقيين، اللوديين المنحدرين من صلب "مصــرايم" أي: "مصـــر", المــذكورين أيضــا في التوراة.ولهذا فإن الأولاد الذين نسبهم أهل الأخبار إلى "لود"، "لاوذ"، وهم: طسم, وعمليق، وجرجان، وفــارس على رواية، وجديس، وأميم، وعبد ضخم على رواية أخرى ، وأمثالهم ممن لم نذكر من الأولاد، هم هبة منحهــا أهل الأخبار والأنساب لـــ"لاوذ" لا نجد لها ذكرًا في التوراة.

[17] لا يعني بشكل حاسم اطلاق اصطلاح العرب البائدة على تلك الفروع التي عرف منها أقوام شــهيرة مثـل عــاد وثمود وغيرهم أن تكون كل تلك الفروع قد بادت بالفعل ولم يتبق منها أي أثر ، ولا يلزم كذلك افتراض انهم قــد فنوا عن بكرة أبيهم ، ويطالعنا العلم الحديث بآخر أبحاثه وهي أبحاث علم الأجناس الجيني وفقا للتصــنيفات الحديثــة للجينات المعتمدة على فحوص ال DNA والتي تعرف حاليا بإسم الهابلوجروب Habloroup أو البصمة الوراثيــة أو ما يسمى بعلم الجينوم البشري ، وقد تشعبت تصنيفات هذه الأنواع من الفحوصات الجينية لتبحث في علم الأنساب والأجناس القديمة ووضعت خرائط كبيرة وجداول ضخمة وبدأت في تجميع آلاف بل ملايين العينات من الشــعوب المختلفة لتبحث في أصولها ، ومن المثير للاهتمام حقا أحد السلالات التي تم اكتشــاف وجودهــا بــين مكونــات الشعوب الحالية وهي E3b1 وهو الجين الذي تنحدر منه خمس سلالات اكثرها انتشارا ثلاث ســلالات ، الســلالة الاولى هي E3b1a وهي تحمل التحور الجيني M78 واحفادها هم من سكان شمال شرق أفريقيا كما في بعض ســكان مصر والسودان واثيوبيا والصومال ، والسلالة الثانيه E3b1b وهي السلالة البربريه أي الأمازيغ سكان المغرب العــربي وتحمــــــل التحور الجيني M81 ، اما السلالة الثالثه هي E3b1c وتوالدت هذه السلالة في الشــام وتشــكل= =نسبة لاباس بها هناك وتلك السلالة الأخيرة هي التي وجدت في الجزيرة العربية والشام في ازمنة سحيقه ويعتقــد



أبناء لود بن سام بن نوح ويظهر فيهم نسب عمليق وإخوته من الآباء الكبار لجميع قبائل العماليق والعرب البائدة

والفرضيتين المذكورتين لأصل الهكسوس مرتبطة بهذه الحقائق ، فالفرضية الأولى تقول بأن الموجات البشرية التي نزحت من الأناضول وأرمينيا بعد الطوفان فترل هؤلاء

الباحثين ان الهكسوس/العماليق الذين استقروا في الشام وغزوا مصر ينتمون لها ايضا كما ينتمي لها عاد وثمود والعماليق وهي الأمم العربية التي يطلق عليها العرب البائدة رغم استمرار وجود تلك السلالات حتى اليوم في الشام كما رأينا.

لكن بعض باحثي البصمة الوراثية قد أعدوا مؤخرا بحثا آخر بعنوان Legacy of Ancient Canaanites in the DNA of modern Jews وتعني أثر البصمة الوراثية للكنعانيين بين اليهد المعاصرين وقد اعدها الباحثين Aliev AA, Ampilogov AY, Lutak SV, Klyosov AA لتحقيق أصول الكنعانيين والعموريين والعماليق القدماء وكانت ملخص الأبحاث أن هذه الشعوب السامية القديمة تنتمي للسلالة E1b1b1a و E1b1b1c ، كما ركزت أبحاث حديثة أخرى على الوالد الأعلى لتلك السلالات والتي تنتمي إلى الأب E1b1b1.m.35 الذي يرجحون أنه أب لطائفة عريضة جدا من البشر والسلالات الفرعية التي انتشرت في منطقة الشرق الأدنى والشام والهلال الخصيب في فترة ما قبل التاريخ وسماهم الإخباريون بالعرب البائدة رغم أن الكثير من سلالاتهم مازالوا يعيشون اليوم بين شعوب الشرق الأدنى وخاصة في الشام والرافدين , والظاهر و بحسب مشجرة السلالة e أن هذا الأب له ثمان تفرعات هي المعروفة إلى الآن : الأول E1b1b1 : ويحمل نفس أسمه الثاني E1b1b1a V68 : الثالث E1b1b1b : L19/V257 الرابع E1b1b1c M123 : الخامس E1b1b1d V6 : السادس : E1b1b1e M293 السابع E1b1b1f : V42 الثامن: E1b1b1g V92 مما يعيد إلى الذهن تقسيمة التوراة ويذكرنا بالآباء الأوائل في التقسيمة التوراتية مثل " لود" و "أرفكشاد " و"إرم" وأباهم "سام" بن نوح والذي ينسب إليهم قطاع عريض جدا من شعوب الشرق القديم ويعدون الآباء الأول لشعوب الشرق ومنهم العرب البائدة وفقا لمصطلح الإخباريين العرب .

لأبناء (أبناء نوح عليه السلام) وتمركز كل منهم بأهله في منطقة من مناطق الشام والرافدين والهلال الخصيب ، وأما من تأخر منهم في هجرته فلم يجد إلا التخوم الموازية للمدن والممالك ومناطق العمران والصحاري والبراري ليسكنها فهؤلاء هم من عرفوا بدو وأعراب الجزيرة العربية والحجاز والشام وعرف منهم من كان من نسل سام عموما بالعبيرو كما سبق بيانه ، وعرف من كان منهم من نسل عابر بالعبرانيين كما فصلنا ، ولكن بقيت طوائف منهم بعد تصحر الأرض وجدوبها غير راضية عن البداوة فبدأت في موجات للهجرة إلى الممالك التي كانت قد تكونت في كل الأماكن الصالحة للسكنى من الهلال الخصيب ، وبذلك بدأت شعوب تلك المناطق في الظهور واحدة تلو الأخرى بأسماء مختلفة.

أما الفرضية الثانية ، فتشترك مع الأولى في أساسياتها غير أنها تجعل من اليمن منطلقا لتلك الهجرات ، فجعلت بدايات العماليق في اليمن ثم تفرقوا إلى البلاد شمالا حيث مكة وغرب الحجاز فيما يوازي البحر الأحمر ووصولا إلى الشام في الغرب والرافدين في الشرق فتكونت بهم الممالك المذكورة بأسمائها المختلفة.

وفيما بعد تكون تلك الممالك التي قامت في جميع أنحاء الهلال الخصيب ظهرت هجرات تابعة للهجرات الأولى ، بعد حدوث التفاعلات والتصادمات بين هذه الممالك وبعضها البعض على النفوذ فيها ، أو بفعل موجات الجفاف — وهو الأرجح- التي دفعت أجزاء من تلك الشعوب إلى الغرب حيث مصر التي كانت غارقة في الاضطرابات بعد سقوط الدولة الوسطى ، فتزايدت الجماعات المهاجرة إلى مصر تدريجيا خلال بدايات الألف الثاني قبل الميلاد وهو ما عرف فيما بعد بهجرة الهكسوس إلى شرق الدلتا ، والذي أعقبه استيلائهم على شرق دلتا مصر ثم على دلتا مصر بالكامل ثم على أغلب أراضي مصر حتى حدود طيبة.

وعلى ذلك نعلم أن الهكسوس أقوام سامية عروبية يجمعها أصل واحد وفروع كثيرة أتت من الجزيرة العربية في عصور سحيقة عبر الهلال الخصيب حيث مرت بثقافات مختلفة ونقلت لغات ولهجات متعددة واختلطت بشعوب أخرى فتأثرت بها وبثقافتها حتى استقر الحال ببعضهم في مصر في العصر الانتقالي الثاني.

ومن ذلك نرى أن الرأي المقبول نسبيا فيها هو أن هجرة الهكسوس الى مصر كانت ذات صلة بتحركات شعبوية كبيرة هاجرت تباعا من سهول أواسط آسيا

وغيرها ، تحت ظروف طبيعية أو بشرية مختلفة ، منذ أوائل الألف الثاني قبل الميلاد ، ثم تدفقت على أثر ذلك مجموعات أخرى كانت تسكن الشرق الأدنى وقبلها الجزيرة العربية على فترات متقطعة طويلة إلى غرب آسيا ومنها إلى مصر.

واختلفت وسائل تحركاتهم ونتائج هجراتهم من عهد الى عهد، ومن أرض الى أرض، مهما اختلفت الأسماء التي عرفهم التاريخ بها باختلاف الظروف التي ظهرت على مسرح الحوادث فيها، وقد اختلفت الأسماء التي عبر أهلها عن أنفسهم، أو عبر عنهم بها أهل البلاد التي دخلوها .

وكانت عادة الهكسوس أن يؤلفوا في بداية أمورهم إمارات منفصلة، تلحق بعواصمها معسكرات كبيرة تحيطها سياجات و أسوار لبنية سميكة مرتفعة، ويحف بها خندق عميق، وكانوا فيما يقال يضحون بجحش في حفل بناء سور المدينة، ويدفنون تحت السور طفلاً ، و يدفنون خيولهم في مدافن خاصة أو يدفنونها مع أصحابها تنويها باعتزازهم بها وهي العادات التي تدل على أصلهم الكنعاني والعموري حيث احتفظوا بنفس عادات أهل كنعان والشام بل وأقاموا عاداتهم تلك في مصر عند دخولهم إليها.

وقد احتفظت بعض الآثار من أسمائهم ذات الصبغة السامية العروبية باسم "عبد" و ما يمكن قراءته "يعقوب-حار" و"عنات-حار" ، وهي أسماء سامية عروبية وعمورية أو كنعانية خالصة.

ويرجح أن أهم عدد الحرب الجديدة التي أعانت الهكسوس الغزاة هي الدروع التي أكسبتهم مناعة وثقة، والأقواس المركبة الكبيرة المصنوعة من طبقات الخشب و من القرون ومن أوتار شديدة ، وأخيرا عربات الحرب بخيولها والتي استخدمها فيها بعد أحمس الأول واستعان بها في طرد بقايا الهكسوس من مصر كما سنرى لاحقا، وكلها أسلحة معروفة في الشام والرافدين في تلك العصور.

وارتبط بأذواق الهكسوس شيوع أنواع من المشابك والحلي، وزخارف العجلان والأختام، وزخارف الفخار الملون والمشكل على هيئة الطير، وظهور وحدة جديدة للموازين والمقاييس، فضلا عما ارتبط بوجودهم من انتشار الخيول وعربات الحرب والدروع والسيوف المقوسة والأقواس المركبة وكلها أذواق وصناعات

معروفة في كنعان والشام منذ أقدم العصور وهو ما يدل على أصولهم التي أتت من نفس الأصقاع.





(after: C. Doumet-Serhal, *Decade*, p. 142, fig. 12)

فخار تل الضبعة بمصر يتطابق مع فخار صيدون الفلسطينية

وعلى نحو ما عجز الهكسوس عن طمس تقاليد مصر الروحية و اللغوية و الدينية ، فظلت كما هي رغم إسهامهم بكثير من مظاهر المدنية التي طرأت على مصر بوفودهم إليها ، لكن وعلى العكس فقد تأثروا هم بالمدنية المصرية و تطبعوا بها ، و إن لم يمنع هذا من الاعتراف بأنهم جعلوا جنسهم يمثل الطبقة الحاكمة العليا أو جزءا منها على أقل تقدير.

ويرى الدكتور خزعل الماجدي أن أصول الهكسوس تعود إلى ممالك شرق الأردن القوية وهي شوتو العليا وشوتو السفلى وكوشان وأن أقوام شوتو أو سوت هي التي كونت الجزء الأعظم من الهكسوس عندما تحركت أقوام أخرى كالحوريين باتجاه مصر.[18]

[18] تاريخ فلسطين القديم – خزعل الماجدي.

لكن المصادر التي حاولت أن تكشف عن حقيقة أصل الهكسوس أو الملوك الرعاة كما أسماهم مانيتون تعددت وتنوعت، واعتبرها البعض من المسائل المغلقة التي يصعب التوصل إليها ، غير أن الكثير من الباحثين قد كونوا صورة مجزأة تشكلت على مراحل مختلفة من الرحلات البحثية عبر قرن من الزمان، فكانت النتيجة هائلة إذا ما قورنت بآراء من أغلق المسألة واعتبر أصل الهكسوس من المواضيع المبهمة التي يستحيل التوصل إليها ، ومن الذين أبحروا في خضم هذا الصرح الكبير العالم الجليل سليم حسن صاحب موسوعة مصر القديمة، حيث صال وجال في أبحاث المتخصصين حتى وضع لمسات عظيمة وألقى أضواءاً ساطعة على أصل هؤلاء القوم، غير أن الكثير من الباحثين استكملوا مسيرته فيما بعده من عقود حتى توصلوا إلى جانب كبير من حقيقة أصل الهكسوس.

والحقيقة التي توصل إليها الدكتور سليم حسن وغيره هي أن العنصر الغالب على أصل الهكسوس هو العنصر السامي (أي الذي يرجع إلى سلسلة نسب سام بن نوح عليه السلام وفقا للتقسيم التوراتي) ، غير أن من الباحثين من أثبت ما هو أبعد من ذلك ، حيث استقرت آراء الكثير من الباحثين على أن هذا العنصر السامي الغالب على الهكسوس هو العنصر العموري والكنعاني — أي عماليق الشام - وهذا لا يمنع بالطبع من اختلاط هذا العنصر بعناصر أخرى سامية وغير سامية ، غير أن العنصر الغالب كما ذكرنا هو العنصر العموري السامي أو لو شئنا الدقة العنصر العروبي.

والجدير بالذكر هنا أن العموريون والكنعانيون أو العماليق في أحوال كثيرة هم شعوب عروبية سامية حاول كاتبوا التوراة نزع الصفة السامية التي اخترعوها عنهم — كما هو الحال مع شعوب أخرى - لنفي عروبتهم ولسلب أحقيتهم في الأرض ، وحرفوا من أجل ذلك الكتاب المنزل عليهم - بل الأحرى أن نقول الذي كتبوه بأيديهم - ليشتروا به ثمنا قليلا وهو اغتصاب أحقية الأرض لإقامة المملكة التي يحلمون بها منذ قديم الزمان.

يقول الدكتور جواد علي: والعموريون (العموريون العماليق) من الشعوب السامية القديمة التي سكنت في فلسطين والشام وإقليم بابل.[19] [20]

---

[19] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام — جواد علي

[20] No. ، Privatrecht، Aitar، Meissner، 146، P.، Enc Bibl.، 27، P.،Hastings . 178. ff، S.، K. A. T.،42. Schrader

وبما أن الهكسوس قد تسموا بأسماء مختلفة عبر عصور مختلفة لكن المحصَّلة في النهاية واحدة ، فمسمياتهم المختلفة تلك لا تغير من حقيقة أصلهم العرقي ، وسوف نورد جميع مسمياتهم بالتفصيل كما سنبين أنها كلها تدل على عرق واحد اختلطت أجياله مع بقاء الأصل كما هو.

وهذا الشعب المثير للجدل والتأمل والذي أسماه الإغريق واليونانيون باسم هكسوس - وقد تقدم تفسير الإسم - قد عرفهم المصريون باسم العمو / العامو أي البدو الآسيويون ، أما علماء الأجناس والشعوب فقد عرفوهم باسم العموريين أما الإخباريون فيسمونهم العماليق وهو الاسم القريب من مسمى المصريين بل ويكاد يتطابق معه ، كما اختلفت تسميتهم باختلاف موعد هجراتهم والأماكن التي هاجروا إليها ، فعرفوا في سوريا وفلسطين بالكنعانيين والفينيقيين وفي القدس باليبوسيين، وفي بابل والعراق بالأكاديين ولاحقا البابليين وفيما بعد ذلك العصر عرفت طائفة منهم في شمال ووسط الفرات بالآراميين، أما الإخباريين العرب فسموهم العماليق أو العمالقة، وقد ورد عنهم أنهم قد تفرقوا في البلاد عبر موجات هجرات مختلفة في أزمنة متفاوتة وقد حكموا بذلك جميع الممالك تقريبا في العالم القديم في تلك المنطقة.

وقيل أن الهكسوس هم أهل بلاد الصخر ، الشعب الحوري المديني النبطي الأدومي العماليقي، وانهم كانوا من القوة بمكان عظيم ، بحيث استطاعوا السيطرة على دولة قوية ومتحضرة مثل مصر.

ويقول المستشرق الفرنسي سيديو: "استقر بنو قحطان بن أرفكشاد (شقيق فالج) باليمن ، فأقاموا دولة سبأ ودولة حمير، وكان أهل المدن في اليمن يتكلمون بلغة حمير التي تعلمها بنو قحطان من أجدادهم. وكان ظهور العرب المستعربة بعد بني قحطان بزمن طويل... وإذا عدوت بني قحطان وبني إسماعيل، وجدت بلاد العرب تشتمل في سالف الأزمان على بقية من العروق الفطرية تغشى أخبارهم طبقة كثيفة من الغموض، وكل ما يعلم أو يفترض هو أن مجموعة من الأعراق المختلطة والمختلفة المواطن من أهل تلك المنطقة قد جابوا بلاد العراق والهند قبل الميلاد بأكثر من ألفي سنة...

واستولوا على مصر في ذلك الحين باسم الرعاة أو الهكسوس ، وكان العنصر الغالب على لغتهم هو العنصر الآرامي" أ.هـ[21] .

ومع اختلافنا مع وصف الهكسوس بالجماعات المختلطة فإنه يظهر أن الكثير من المؤرخين قد ذهبوا إلى ذلك بسبب أن العماليق الذين تكونت منهم قبائل الهكسوس قد انتشروا فيما بعد ذلك في العصور الخالية في جميع أجزاء بلاد العرب وبذلك فإن اختلاطهم هو اختلاط ثقافي وليس اختلاط في الأصول ، وكانت خاتمة المطاف أن تجمع قطاع كبير منهم في شمال جزيرة العرب مع إخوانهم الأدوميين والموآبيين والعمونيين ، واستولوا على سهول بلاد العرب الصحراوية المجاورة لفلسطين وسورية ، فحالوا دون دخول بني إسرائيل أرض كنعان عند خروجهم لاحقا من مصر.[22]

يقول المؤرخون الإخباريون العرب عن العماليق : هم أولاد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام[23] ، وقد هاجروا عبر فرات العراق إلى بلاد الشام ثم إلى مكة ومنهم من هاجر إلى جزيرة سيناء ومصر وهم من الأقوام السامية العروبية الذين غزوا في بداية الأمر سوريا وفلسطين وكونوا هناك دولا وقتية وكانت ثقافتهم ثقافة الآراميين ولهجتهم خلال القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد وقد يكون هؤلاء من الأطياف التي مثلت بعض مكونات الهكسوس الذين دخلوا مصر فيما بعد.

وقد ورد على لسان مؤرخ العلم "جورج سارتون" مأخوذاً عن المؤرخ ، المصري مانيتون ومجملاً رأيه ما يفيد بأن الفينيقيين أنفسهم من الهكسوس، حيث يقول :

"تكلم أولئك الفينيقيون لغة أقرب إلى اللغة العبرية بصورتها المعروفة حاليا منها إلى أية لغة أخرى من مجموعة اللغات السامية ، ويجوز أن يكون الهكسوس، مع ما في أمرهم من غموض، وهم الذين غزوا مصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد، هم الفينيقيين أنفسهم من غير لبس حين قام أحمس الأول ملك مصر (وهو أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة القرن السادس عشر قبل الميلاد) ، بغزو بلادهم ، ومنذ ذلك

---

[21] تاريخ العرب العام – ل. سيديو.

[22] المصدر السابق.

[23] ويوجد نسب آخر مشابه لنسب العماليق المذكور وهو نسب العمالقة أولاد عمليق بن أشور بن عابر بن إرم بن سام وهؤلاء سكنوا الموصل وبلاد آشور وأخوتهم الآخرين الذين سكنوا شمال العراق .

حين صار الفينيقيون خاضعين للحكم المصري، لكن ذلك لم يدم طويلاً. وكثيراً ما يرد ذكرهم في النقوش المكتوبة بالخط المسماري في تل العمارنة، وحاول بعضهم أن يطرح نير الحكم المصري، وتآمروا مع الحيثيين الذين شجعت قوتهم المتزايدة، وصداقتهم الظاهرة آمال الهكسوس في تحرير أنفسهم".

ونحن نعرف أن أي فاتح عظيم عندما يفتح بلاداً جديدة غير بلاده، ويستقر فيها محتلاً فترة من الزمن قد تقصر أو تطول، فإن أهل البلاد يظلون على كراهيته، إلى أن تواتيهم فرصة طرده فإنهم يطردونه إلى البلاد التي منها وفَد، بل وتدفعهم الحمية إلى ملاحقته حتى عقر داره واحتلاله كما احتلهم، والتاريخ القديم والحديث حافلان بالأمثلة العديدة على ذلك. فالهكسوس عندما استقروا في الدلتا ومصر الوسطى، وجعلوا عاصمتهم أفاريس أو أواريس نجد أن المصريين لم يقبلوا هذا الوجود، فبدأت مقاومتهم أولاً على يد والد أحموس الأول، ثم على يد أخيه، ويدعى "كاموس" ثم على يد "أحمس" الأول الذي تمكن من إحراز النصر لمصر، وطردهم خارج البلاد، إلى أول حصونهم العتيدة القوية بفلسطين وهو حصن "شاروهين" أي تل الفرعة في الطرف الجنوبي لفلسطين بالقرب من بئر سبع ، وقد حاصرهم فيها ثلاث سنوات إلى أن سقطت على يده، وهناك رأي بأن حصار شاروهين دام ست سنوات ويلاحظ بعد سقوط شاروهين أنه لم يتركها أهلها. كذلك حصونهم في "مجدو" تل المتسلم حالياً، والتي حاصرها تحتمس الثالث بعد ذلك لفترة من الزمن، لم يتركها أهلها، وكذلك الحال في أريحا وهازور/حاصور وتل العجول وشكيم وحتى حصونهم في الشمال في سهل البقاع بسوريا، بعد أن هزمها جيش مصر، لم يتركها أهلها. بل بقوا في فلسطين وسوريا ولبنان والأردن، وكل ما حصل لهم أنهم فقدوا قوتهم العسكرية ونفوذهم السياسي، وكل النصوص المصرية وخصوصاً المتعلقة بفتوحات "تحتمس الثالث" توضح أنهم لم يتركوا سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ، بل تشير إلى الغنائم والنصر فقط وهذا يؤكد بدلالات قاطعة أن الهكسوس عموريون وكنعانيون من سكان "فلسطين[24] والشام والرافدين".

---

[24] يقول الأستاذ أحمد عبد الجواد عبد الباقي، المدرس بالقاهرة، نقلًا عن بعض المراجع التاريخية: إن «الهكسوس» الذين حكموا مصر قديمًا كانوا قومًا من أرض فلسطين وكذلك حكى الأستاذ عباس محمود العقاد.

يشير الباحث الكبير الدكتور أنور الرفاعي إلى أصل الهكسوس العربي ، حيث يقول:

"إن أصل هذه الأقوام التي حكمت مصر مدة طويلة من الزمن والتي أسست الأسرتين الحاكمتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة هي من القبائل العربية القادمة عبر سيناء ، وحين أخرج أمراء طيبة الهكسوس من مصر ، أخرجوهم إلى البلاد التي قدموا منها وهي سيناء ، ثم لاحقوهم حتى فلسطين... وكان ذلك قد شجع ملوك مصر على احتلال الشام ومحاولة ضمها إلى الامبراطورية المصرية ، وذكرت النقوش المصرية وخاصة الباقية إلى اليوم، على جدران الكرنك ومعابد الأقصر الكثير من أخبار حملات مصر ضد قبائل البدو المقيمة في فلسطين وسورية".

وهذا ما يؤكد بشكل متواتر ومتواصل على أصل الهكسوس الآسيوي ويشير إلى الشام والرافدين بالتحديد.

ونجد إشارة أخرى حينما حكم الهكسوس مصر فإنهم قد جعلوا بعلاً معادلاً للإله المصري "ست" كما جعلوا زوجته عشيرة / عشتاروث معادلة للإلهة المصرية "ايزيس" وأدخلوا بين سائر الآلهة في مصر أخت بعل ورفيقته "عناة"، كذلك حكمت من الهكسوس سلسلة من الملوك السوريين هناك قبل السلالة الخامسة عشرة ، وكانت أسماؤهم كنعانية وعمورية واضحة ، منها "عنات هار/ عنات حار" وكذلك أسماء قوادهم وأمرائهم التي أبقوها لنا محفورة على التعاويذ والتمائم المصرية وهي بشكل الخنافس/الجعارين وكانت ترمز للخلود عند المصريين القدماء كانت أسماء كنعانية أو عمورية واضحة.

أما الأستاذ عبد الرحمن المزين الباحث الفلسطيني فيقول :

"أن الهكسوس كانوا من أهل فلسطين الذين أقاموا مملكة قوية سيطرت علي مناطق واسعة من الشام وحتي تخوم الجزيرة العربية من جهة الشمال، ثم توسعت غربا باتجاه دلتا النيل، وذلك في إحدي مراحل التدهور السياسي والعسكري للإمبراطورية المصرية. هذه السطور تتفق وما ذكره المؤرخ المصري "مانيتون"[25].

[25] فلسطين عبر التاريخ – عبد الرحمن المزين.

وهكذا نرى مدى اختلاف الآراء حول هوية ذلك الشعب الذي يسمى بالهكسوس وأصله ، والذي امتاز بقوته العسكرية وميله للحرب واستخدام المركبة الحربية التي تجرها الجياد ، لكننا ولا شك الآن قد تكون لدينا بعد كل الأدلة التي تقدمت من أنهم سلالات عروبية من الكنعانيين والعموريين العماليق من سكان الرافدين وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن.

وبالوصول إلى تلك النتيجة التي تؤكد بأن الهكسوس كان غالبيتهم من العرب العماليق المتأثرين بالثقافة الآرامية المبكرة نستطيع بعد ذلك تفهم هؤلاء القوم وطبيعتهم وثقافتهم وأصلهم ولغتهم الغالبة أو لهجتهم السائدة ، وسنتحدث عن كل تلك التفاصيل في عنوان منفصل.

صفات الهكسوس

اتصف الهكسوس بصفات كثيرة نابعة من ثقافتهم وأصلهم العِرقي وطبيعة المجتمعات التي وفدوا إليها وخالطوها قبل مجيئهم إلى مصر.

غير أن الصفة البارزة لهؤلاء القوم هي الصفة العسكرية ، فقد كان الهكسوس وبلا شك أقواما محاربين يتقنون استخدام الأسلحة المتقدمة والوسائل الحربية المميزة ، وهو ما ظهر جليا في استخدامهم للعجلات الحربية التي يجرها الخيول وتطويرهم للقوس المركب الذي كان يعد من التقنيات الحربية الحديثة في عصرهم إلى جانب تطويرهم للدروع والأردية الواقية التي صنعت من البرونز فضلا عن ثقافة إنشاء الحصون ذات الأسوار السميكة والطوارات العالية فوق تلال مرتفعة والتي كانت من ثقافة بعض شعوب بابل والشام والأناضول وفارس في تلك العصور وما قبلها ونقلها عنهم الهكسوس من الأماكن التي أتوا منها ومن الشعوب التي جاوروها ومروا عليها.

وكما استعرضنا في الفصل السابق فإننا نستطيع الآن أن نتصور كيف أنشأ الهكسوس نموذجاً خاصاً من المدنية المحصنة لأجل إيجاد تسهيلات لحماية مركباتهم وخيولهم لأن الحصن الكنعاني الاعتيادي لم يكن بإمكانه تأمين ذلك. وكان هذا النموذج الجديد عبارة عن سياج مستطيل طوله نحو نصف ميل تحيط به أسوار مرتفعة وكثيفة ومنحدرة من الطين المرصوص القاسي. ولزيادة الحرص كانوا كثيراً ما يحفرون خندقاً حوله ، وفي فلسطين تظهر مواقع هازور / حاصور ومعناها جدار أو سياج

وهي اليوم تل القدح شمالي بحيرة طبريا ، وحصن شكيم (وهي اليوم بلاطة خارج نابلس الحديثة)، مخطط الهكسوس المستطيل ، وكانت لا كيش أو لا خيش المعروفة حالياً بتل الحسي من أراضي قبيلة الجبارات تقع شمال مدينة بئر السبع وهو التل الذي عثر فيه سنة 1891 على كتابات قديمة تؤيد ذلك ، وشاروحين / شاروهين وهي تل الفارعة شمال غرب مدينة بئر السبع ، وكلها تعد من مدن الهكسوس بالإضافة لأريحا التي كانت من حصون الهكسوس حوالي 1750 وحتى 1600 قبل الميلاد ، وكانت بيت شمش - وهي قرية وخربة عين شمس غرب القدس على بعد عشرين ميلاً منها على طريق يافا ـــ الخليل - تحت إدارة الهكسوس في هذه الفترة أيضا.[26]

لكن الهكسوس اتصفوا بصفات أخرى عديدة منها قبليتهم الواضحة التي لم يغيرها اصطباغهم بصبغة المدنية المصرية ، فظلوا محتفظين بهذه السمات القبلية لفترة طويلة وهو ما سنبينه لاحقا في الحديث عن العماليق وأصلهم كمكون رئيسي من مكونات الهكسوس.

ويظهر من خلال استقراء الأحداث والآثار والحفائر التي يتوالى العثور عليها في العقود المتأخرة أن الهكسوس كانوا يتسمون بالمهارة العالية في مزاولة التجارة ومزاولة النشاط التجاري مع أقاليم عديدة مما كان له أثر بليغ في اتساع علاقاتهم الدبلوماسية المميزة مع العديد من الشعوب التي عاصرتهم ، لدرجة أننا نجد أثر ذلك في علاقاتهم مع شعوب بعيدة عن محيط مصر كعلاقة ملوكهم بملوك بابل وبشعوب البحر وانتشار ثقافتهم في أصقاع بعيدة كالأناضول والرافدين.

كل هذه المعطيات تنافي بوضوح الأفكار التي انتشرت وتم تعميمها عن الهكسوس وصفاتهم في كتب المؤرخين والأثريين وأساتذة المصريات عن همجية الهكسوس وافتقارهم للحضارة والمدنية ووحشيتهم في التعامل مع غيرهم وخاصة مع شعب مصر أثناء استيلائهم على الدولة المصرية ، ومما زاد ذلك الاعتقاد ما كتبه المصريون أنفسهم عن الهكسوس (العمو) وهو الأمر الطبيعي حيث نستطيع أن نفهم بكل وضوح لماذا وصفهم المصريون بتلك الصفات لأنهم ببساطة كانوا ينظرون إليهم نظرة المستعمر الغاصب الذي حكم مصر رغما عن أهلها ردحا طويلا من الزمن وظل في أعين

[26] فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - الجزء الأول - صفحة (158ــ 159) بقليل من التصرف.

المصريين شعبا دخيلا عليهم و لم يستطيعوا معايشة ذلك الواقع حتى انتهى حكم الهكسوس لمصر.

فمن الطبيعي والبديهي أن يصف الشعب الواقع تحت حكم فئة يعتبرها دخيلة عليه بأبشع الصفات وأحط الوصوف ، وهو ما تجلى في كتابات عصر أحمس الأول وحتشبسوت بل وكل ما وصلنا من مدونات متبقية عن عصر ملوك أسرة التحامسة – الأسرة الثامنة عشر – على أن أكثر ما ثبت الفكرة السلبية عن وحشية الهكسوس وافتقارهم للمدنية والحضارة هو كتابات مانيتون الكاهن المصري الذي تقدم ذكره.

فالألفاظ التي استخدمها مانيتون عن الهكسوس – أو بالأحرى ما نقله عنه يوسفوس – تعبر عن احتقار المصريين لـــ (العمو) أي الهكسوس ووصفهم بأبشع الصفات ، ومما أورده مانيتون في روايته التي وصلتنا أنه :

" لقد نزلت بنا صاعقه من غضب الله فتجرأ قوم من أصل وضيع علي غزو بلادنا و كان مجيئهم أمرا مفاجئا فأحرقوا المدن بوحشية و ساروا في معامله الأهلين بكل قسوه....... الخ "[27].

ويؤكد مانيتون ثانية : "و قد كان هؤلاء الهكسوس يطمعون في محو الشعب المصري"[28].

وهكذا نرى أن وصف الهكسوس الذي نقل لنا عن مانيتون هو وصف سيء إلى أقصى درجة يعطي انطباعا بوحشية الهكسوس وانحطاطهم في أدنى درجات الانسانية والتحضر.

ويؤكد الكثير من المؤرخين باستمرار أن الهكسوس كانوا كفارا و في أحط درجات البدائيه و الوحشية ، وكونهم خطافين سفاحين وهدامين.

فلا عجب بعد ذلك أن نرى عالما فذا مثل دكتور الأثار الألماني بروجش يصف الهكسوس بالتبعية بأسوأ الصفات على غرار ما قاله مانيتون : "لما نزلت الرعاة.

---

27 الرد على أبيون – فلافيوس يوسفوس نقلا عن مانيتون.

28 المصدر السابق.

الهكسوس بأرض مصر سطت ايديهم علي جميع مابها و دمروا البيوت واهلكوا الحرث و اكثروا القتل و ابادوا العباد وفعلوا كل منكر قدروا عليه"[29].

هذه العقائد الراسخة التي ثبتها الكُتّاب والمؤرخون الذين تناولوا سيرة الهكسوس جعلت من محاولة نفي تلك المزاعم وتصحيح الحقائق أمرا عسيرا وقليل الجدوى نظرا لانتشار تلك الفرضيات ورسوخها في أذهان المهتمين بتاريخ تلك الحقبة الغامضة.

وسوف نتناول في النقطة التالية عنصرا هاما في ذلك الصدد ألا وهو عِظَم مدنية الهكسوس كما أننا سنتناول عنصرا آخر عن نفي المزاعم التي تتحدث عن همجيتهم وانحطاط ثقافتهم.

عِظَم مدنية الهكسوس[30]

كان الهكسوس مثقفين ذوى حضارة وعرفان، فنهلت مصر من موردهم، واستنارت بمدنيتهم التي أنتظمت فنون الحرب، ونواحي الصناعة، وأخذت عنهم كثيراً من المخترعات التي لم تُعرف قبل في وادي النيل!

وإذا ألقينا نظرة على حياة الهكسوس كما نتصورها على أثاث الكشوف الأثرية المكتشفة حديثا وما عثر عليه في مقابرهم يتضح لنا أنهم قوم على جانب عظيم من المدنية ، بل كانوا أكثر تقدما في بعض النواحي من جيرانهم في وادي النيل الذين كانوا يعتبرون أقدم منهم ، فصفاقم الحربية ظاهرة في كثير من المواد التي شاهدناها حتى الآن ولكن إذا كان ذلك يستلزم أن ننظر إليهم بأنهم قد بقوا قبيلة — أو مجموعة قبائل - بالمعنى المتعارف لكلمة قبيلة مدة طويلة بعد نزولهم على ساحل البحر الأبيض المتوسط فإن ذلك لا يرتكز على حقائق ثابتة بل على العكس لدينا أمارات عدة على أنهم كانوا يعيشون عيشة منظمة بالمعنى الاجتماعي الصحيح.

فقد خططوا البلاد المنظمة التي راجت فيها التجارة وقد كان صانع الفخار عضوا هاما في الجماعة ، فقد كانت أوانيه الجميلة الصنع يوضع فيها محاصيل الحقول الخصبة،

---

29 مقال للبروفسير هنري بروجش عن "خروج اليهود من مصر".

30 أغلب ما ورد في هذه الفقرة عن عِظَم مدنية الهكسوس منقول من موسوعة مصر القديمة — سليم حسن — منقول عن الجزئين الرابع والعاشر بتصرف.

وكان الحداد وصائغ المجوهرات كلٌ ينتج في صناعته بمهارة فائقة و لم تشهد من قبل السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط اتقانا في ميدان صناعة المعادن مثل ما شهدت من صناع الهكسوس.

والواقع أن هذا الإتقان لم يكن ميسورا قبل تقدم عمل السبائك المعدنية والتفنن فيها وهو ما ظهر على يد الهكسوس في صناعتها.

ولا نزاع في أن التجارة بين الجماعات كانت من الأشغال اليومية العادية ومع هذا فإن البرهان على ذلك كان يظهر للباحث أصعب وأشد تعقيدا من البرهنة على التجارة بين الأقطار النائي بعضها عن بعض ، فنعلم أن قبرص ومصر وفلسطين وسوريا كانت تتجر سويا في مواد مختلفة في خلال عهد استيلاء الهكسوس للبلاد كلها، فقد كان كل ساحل سوريا وفلسطين يذخر بالموانئ البحرية الصالحة للتجارة وكانت المواد الكمالية تأتي من قبرص إلى هذه الموانئ ثم توزع منها إلى الداخل كما كانت محاصيل الهكسوس تشحن إلى قبرص ، فهذه الأدلة وغيرها توضح لنا بجلاء أن حياة الهكسوس كان لها شأن ومكانة راسخة لم يعترف بها كل المؤرخين ، ولا نزاع في أن كل ما أتى به الهكسوس من جليل الأعمال التي أشرنا إليها لا يمكن أن يتم في جو كله حروب مستديمة ، بل يجب أن تعزى تلك الأعمال إلى قوم على جانب عظيم من المهارة قد اعتنقوا طرائق الحياة المتمدينة التي تحيط بهم عندما حطوا رحالهم واستقر بهم المكان.

وكانت فترة حكمهم يتخللها فترة طويلة من السلام والازدهار لمصر وظهر جليًا احترامهم للأديان ، كما حافظوا على اللغة المصرية القديمة باعتبارها اللغة الرسمية للحكومة ، وسمحوا لكثير من المصريين بالخدمة في أعلى مستويات إدارة الدولة ، وقد تعلم منهم المصريون تقنيات عسكرية جديدة خاصة استخدام الحصان والعربة ، لكن لم يتمكن الهكسوس من إخماد مشاعر القومية المصرية طوال فترة بقائهم وحكمهم لمصر.

وقد عقدوا تحالفات مع مملكة كوش النوبية ومع بعض شعوب البحر المتوسط وبالطبع مع أقرانهم في فلسطين والشام ونواحي الرافدين وامتدت تجارتهم وعلاقاتهم التجارية والحضارية في أصقاع عديدة وكانت أغلب فترة حكمهم فترة سلم ورخاء.

والواقع أن تلك الفترة التي يغفلها الباحثون هي في الحقيقة كسب حققته القبائل العمورية والكنعانية من سكان سورية ولبنان وفلسطين والأردن والرافدين — أي الهلال الخصيب بأكمله - وهذا الكسب قد تمثل في وحدتهم أول مرة ، فكونوا قوة ضاربة عسكرية ظهرت لفترة تزيد عن قرن ونصف قرن من الزمن ، وقد أثرت هذه الفترة على جميع أوجه الحياة في فلسطين والشام فعم البلاد رخاء اقتصادي وتجاري.

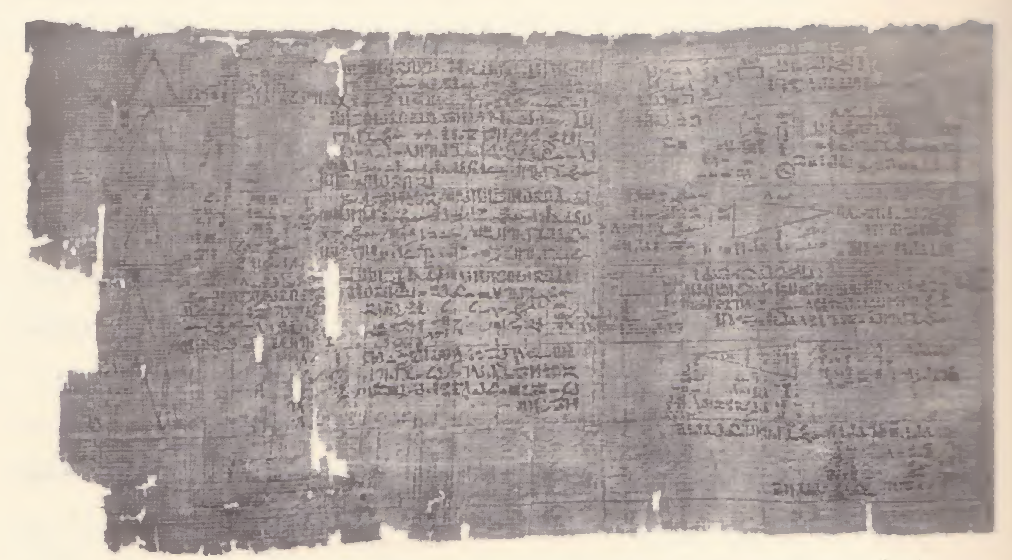
وقد استمرت ثقافة الهكسوس تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص إلى مدة لا يستهان بها في عهد الأسرة الثامنة عشرة التي طردتهم من البلاد[31].

أما ما أثار الدهشة حقا هو العثور على مخطوطة ريند Rhind mathematical papyrus وهي تعد أقدم مؤلَّف علميٍ وصلنا عن علوم الرياضيات في العصور القديمة كما تعدّ من أوسع هذه الوثائق شمولاً وترجع إلى عهد الهكسوس في مصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وأسهمت تلك البردية الهكسوسية أعظم مساهمة في معرفتنا عن الرياضيات المصرية وقد وضعت في الفترة ما بين القرنين السباع عشر والسادس عشر قبل الميلاد وتحت حكم الهكسوس تحديدا.

ولا تتناول البردية أطروحة نظرية ، بل تستعرض قائمة من المسائل العملية التي تواجه الناس في مختلف مجالات الإدارة والبناء ، حيث يغطي النص 84 مسألة تتعلق بالمعادلات الرقمية، وحل المشكلات العملية، وحساب الأشكال الهندسية.

ولبردية رند الرياضية أهمية إضافية كوثيقة تاريخية ، حيث سطر الكاتب فيها أنه يحررها في العام 33 من حكم الملك الهكسوسي أبوفيس، الملك قبل الأخير من الأسرة الخامسة عشر.

31 جميع ما سبق منقول من موسوعة مصر القديمة بتصرف — د. سليم حسن.



بردية ريند التي عثر عليها في مصر وترجع إلى عصر الملك الهكسوسي أبيبي / أبوفيس

وفي عصر الهكسوس هذا وقف يوسف عليه السلام أمام أحد ملوكهم مفسرا لرؤياه ووزيرا له فيما بعد، ويبدو أن الملك قد تنازل لبني يعقوب على أرض جاسان والذي يبدو أنها تقع في شرق الدلتا وتحديدا في جنوب قناة سيزوستريس والممتدة من نواحي مدينة بلبيس المصرية الحالية وحتى جهة الشرق منها عبر الوادي الفسيح المترامي في جهة الشرق وهو وادي طميلات ، وبسبب وجود النبي يوسف عليه السلام في هذا العصر والذي تزامن مع عصر المجاعة فقد تمكن من جعل مصر "خزائن الأرض" كما ذُكر في القرآن الكريم وهو ما يدل على أن مصر كانت مركزا لإدارة الأزمة في الشرق الأدنى بأكمله ، ثم تكتمل الصورة لتخبرنا بأن جميع الشعوب التي تحيط بمصر قد لجأت إليها في ذلك الوقت لمبادلة البضائع والحصول على نصيب من مخزون الغلال الهائل الذي قد تم تخزينه قبل السنوات العجاف كإجراء احترازي نتيجة العمل بالوحي الإلهي الذي تنزل على النبي يوسف عليه السلام في تفسيره لرؤيا الملك المشهورة.

هل كان الهكسوس همجا ووحشيين ؟

أثار غالبية المؤرخين عاصفة عاتية من الانتقادات لشعب الهكسوس الذي استعمر مصر في الفترة مابين القرن الثامن عشر قبل الميلاد وحتى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وأمعن معظمهم في نعتهم بأسوأ صفات الهمجية والفوضوية لأسباب غير مفهومة إلا بسبب تقليدهم لمانيتون وأدبيات قدماء المصريين من الأسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة الطيبيتين التي خرج منهما سقنن رع وكامس وأحمس الذين قادوا الحرب ضد الهكسوس ومن تلاهم من ملوك.

ونحن إن شئنا الإنصاف والوصول للحقيقة في شأن الهكسوس وصفاتهم يجب علينا أن نتحرى الدقة واستقراء كل ما ورد عنهم للاستدلال عن طبيعة هذا الشعب الذي ظلمه المؤرخون وأجحفوا حقه واطلقوا ضده الكثير من الدعاية السلبية لمجرد أن ملوك هذا الشعب الموغل في القدم قد حكموا مصر فترة قصيرة في عمر الزمان لا تقارن أبدا بفترات نظيرة أخرى كفترة حكم اللوبيين / الليبيين لمصر أو البطالمة أو الفرس أو الإغريق أو الرومان.

إن مصدر هذا التشنيع على الهكسوس ينحصر في وصفهم بواسطة المصريين القدماء فقط دون غيرهم بالهمجية والقسوة والوحشية والفوضوية والانحطاط ، وإذا حصرنا هذه الادعاءات فإننا لا نجدها إلا ما قاله عنهم سقنن رع وكامس وأحمس وقواده الحربيين ، بالإضافة لما وصفتهم به حتشبسوت لاحقا من تهمة التخريب والتدمير للحضارة وما قاله كل ملوك التحامسة أحفاد أحمس الأول عنهم من صفات بذيئة لا تنطبق إلا على حثالات البشر.

أما كتابات مانيتون ووصوفه عنهم بما لا يختلف كثيرا عن وصوف ملوك التحامسة فهو لا يختلف كثيرا عما قالوه بل هو تكرارا لما قالوه عنهم ونقلا عن كلامهم وما تم تناقله عبر أجيال طويلة في الوجدان الجمعي منذ العهود القديمة حتى وصل إلى مانيتون الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد أي بعد وقوع الأحداث بما يقترب من خمسة عشر قرنا من الزمان!

ومن هنا نستطيع تفهم نفسية المصريين الذين كانوا يحتاجون وصف عدوهم بأسوأ صفات ممكنة كنوع من الدعاية السوداء ضد أعدائهم ولتبرير أفعالهم تجاههم وتبرير التوسعات الامبراطورية التي قاموا بها في بلاد الشام التي هي منشأ الهكسوس بالإضافة

لإكساب صفات البطولة لأنفسهم حتى يظهروا في مظهر المدافعين عن الهوية المصرية أمام شعبهم في تلك الأوقات.

أما وصوف مانيتون فهي لا تزيد عن ترديد ما توارثه عن أجداده الكهنة الذين ظلوا يصفون الهكسوس بتلك الصفات دون تحقيق كبير لتلك المزاعم الخاطئة ، ولو قال قائل: بأن مانيتون كان يدافع عن الهوية المصرية ضد أقوام غزوا بلاده قبل خمسة عشر قرنا من الزمان لما استطعنا أن نفهم دوافعه تجاههم بعد كل هذه المسافة الزمنية الطويلة التي لا تستطيع إقناعنا بأسباب حميته ضدهم وقد كان الأحرى به أن يصف البطالمة -الذين عاش هو في عصرهم وكانوا محتلين لمصر وقتها — بأحط الصفات وإطلاق أسوأ الدعايات ضدهم لأنه عاصر احتلالهم وسيطرتهم على مصر و لم يعاصر الهكسوس ليعاين حقيقتهم ، لكننا نعلم أنه لم ينتقد البطالمة بنفس القدر أو على الأقل لم يصلنا من تاريخه ما يؤكد ذلك أو ينفيه.

وهكذا نرى كيف تسببت الدعاية السوداء ضد الهكسوس العماليق في جعل كل المؤرخين الذين أتوا في العصور الحديثة يسيرون على نفس النهج في التشنيع والمبالغة في الحطّ من قدر الهكسوس ومن قدر حضارتهم ومدنيتهم حتى أصبح الأمر جزءاً من الوجدان الجمعي في الثقافة العربية والأجنبية فضلا عن سيادة تلك الفكرة في نفوس المصريين المعاصرين لتتلخص الفكرة عندهم عن الهكسوس أنهم غزاة وحشيين وهمجيين لم يضيفوا شيئا لحضارة مصر بل وانتكست مصر في عهدهم وهو ماسوف يتبين للقاريء خطأه في الفصول القادمة ليعلم أن مصر قد وصلت في عهدهم القصير إلى قمة الازدهار الحضاري بل وبلغت الامبراطورية في عهدهم أرجاءا لم يبلغها من سبقهم من الملوك المصريين.

لذلك نرى أنه لا يمكن وصف عهد الهكسوس بالانحطاط والهمجية كما فعل مانيتون ، لأن الهكسوس احترموا تقاليد المصريين واقتبسوا حضارتهم وعبدوا آلهتهم واستخدموا الكتابة الهيروغليفية واعتمدوا على الموظفين المصريين في إدارة شؤون الدولة ويبدو أن كثيرين من السكان المصريين كانوا يتعاونون عن طيب خاطر مع الهكسوس الذين اعتنوا بتشييد الأبنية والمعابد التي تنم عن ذوق فني، ويرجع الفضل

للهكسوس في المحافظة على كثير من النصوص الأدبية والعلمية التي كان ملوكهم يشجعون على استنساخها ونشرها.[32]

إن عهد الهكسوس في مصر لم يكن نكبة على البلاد بل أفادها من وجوه كثيرة فقد نشأت علاقات عائلية وتجارية وثقافية بين المصريين وسكان الشرق الأدنى ولم تنقطع هذه العلاقات بعد خروج الهكسوس وقيام المملكة الحديثة بل ازدادت اتساعاً وقد ساعد الاختلاط بالآسيويين (الأجانب) على تحرير المصريين من مركب العظمة الذي جعلهم ينعزلون في وادي النيل ويستكبرون على جيرانهم وأضاف الهكسوس إلى مصر عنصراً مادياً جديداً فقد انتشرت الخيول في عهدهم والتي استخدموها في المركبات الحربية وشاع استعمال البرونز الذي ساعد على صناعة الأقواس المركبة والسيوف المقوسة والخناجر والحراب البرونزية واستخدام بعض أنواع أدوات السقاية وكذلك عرفت طرق جديدة في النسيج و ادخال بعض الآلات الموسيقية الجديدة.[33]

ولولا هذه الاختراعات العلمية والخبرات الحربية التي اكتسبها المصريون من الهكسوس في حرب التحرير مع الهكسوس لما تمكنت الملكية الحديثة من القيام بالفتوحات الكبيرة في فلسطين وسورية حتى الفرات ، وقد اتحدت مصر وفلسطين وسورية تحت حكم الهكسوس وتوطدت بينها العلاقات الحضارية ولاسيما التجارية واستمرت هذه العلاقات بعد إخراج الهكسوس واستيلاء المصريين على فلسطين وسورية.[34]

ولا نحتاج في هذا الموضوع الإسهاب أكثر من ذلك في تعديد صفاتهم وحضارتهم وفنهم ومدنيتهم واتساع امبراطوريتهم الشاسعة وكيف أنهم كانوا على درجة عالية من الرقي و المدنية والصناعة في ذلك الزمان كما دلت عليه أثارهم المتبقية ، لكن أحيل القاريء إلى ما سيكتشفه في سياق الأحداث القادمة في سطور هذا الكتاب خلال الفصول اللاحقة وكذلك أحيله إلى كتابنا "تاريخ الهكسوس"[35].

---

[32] من كتاب اليهودية في العراء – بين الوهم والحقيقة –"أصل اليهود وإخفاء الحقيقة" – محسن الخازندار.

[33] المصدر السابق.

[34] المصدر السابق.

[35] تاريخ الهكسوس وحكمهم لمصر – للكاتب – تحت النشر.

عبرانيون أم عَبيرو ؟

بعد أن استعرضنا بعض الأفكار عن تاريخ الهكسوس ، نأتي إلى سيرة العبرانيين وهم جنس أو طائفة من البشر لا تعبر بالضرورة عن بني إسرائيل أو عن اليهود كما صار معتقَدا ، بل كان ظهورهم يسبق ظهور بني إسرائيل بقرون ، على أننا نجد خلطا قد أصبح راسخا أيضا في ذهن الكثيرين اليوم بين العبرانيين وبني إسرائيل (مثلما اقترن في الأذهان علاقة الساميين ببني إسرائيل خطأً) ، مع أن ظهور العبرانيين قد سبق ظهور بني إسرائيل ، ولا يمنع ذلك أن بني إسرائيل (يعقوب عليه السلام وأهله) كانوا عبرانيين.

فيقال بأن العبرانيين هم جماعة سيدنا إبراهيم الذين "عبروا" نهر الفرات في أرض العراق وهم في طريقهم الى أرض فلسطين، ويقال أيضا بأنهم جماعة النبي موسى، الذين "عبروا" نهر الأردن مع النبي يوشع بن نون باتجاه غرب النهر، بعد أن تاهوا في الصحراء المصرية، (صحراء سيناء) أربعين عاما، وكان يطلق عليهم في ذلك الحين (العبرو أو العابيرو) أي المارين مر السبيل ، وغيرها من الفرضيات التي تحتاج للتحقيق عن أصل العبرانيين وسبب تسميتهم بذلك.[36]

وإذا كان كل الإسرائيليين الذين نشأوا فى مصر القديمة من العبرانيين ، فليس كل العبرانيين فى ذلك الوقت إسرائيليين ، وبداية معرفة العبرانيين كانت مرتبطة بجنس العبرانيين المنتمين إلى عابر بن سام ، كإبراهيم وغيره ممن ينطبق عليهم هذا التعريف ، وأصل التسمية بالعبرانيين هى : أن العبرانيين هم من ينتسبون إلى قبيلة "العُبْر"، وهى قبيلة أصلها عَابر Eber والذي يبدو أنه ولد أثناء عبور أهله — الذين كانوا عبرانيين أيضا وفقا لهذا المفهوم - للأرض وترحالهم من الشمال إلى الجنوب وذلك في زمن ترحال السلالات البشرية من بعد نوح عليه السلام بعد الطوفان فسموه "عابر" اسما على مسمى حيث يعبر عن حال أهله وطبيعة عيشهم ، وعابر هو حفيد سام ابن نوح عليه السلام ، وأن إبراهيم ونسله من العبرانيين لأن جده الأعلى هو عابر ، فهو إبراهيم ابن تارح (آزر) ابن ناحور ابن سروج ابن رعو ابن فالج ابن عابر حسب رواية

---

[36] أحمد فؤاد القاسم — ألف سؤال وجواب عن بيت المقدس .

التوراة، وتُذكر كلمة العبريين وكلمة عبري Eberite بما يعنى أحفاد عابر [37] . وقد كانت لغة قحطان هى اللغة العربية القديمة وهو ابن عابر أحد أشقاء فالج وبذلك يكون آباء العرب القحطانيين أيضا – طبقا لهذا المفهوم – عبرانيين نسبة لعابر أيضا وجدودهم من العبرانيين الرحل الذين كانوا في ترحال مستمر، ويكون بذلك إسم عابر نفسه هو اسماً على مسمى أي أن صفة العبور لقومه هي التي كانت سببا لتسميتهم له بهذا الاسم حيث ولد أثناء الترحال والعبور.

إلا أنه في التاريخ القديم وقبل ظهور بني إسرائيل بفترة طويلة ظهرت أقوام أخرى لا يجمعها نسب موحد ولا تنتمي إلى أصل واحد ولا تربط بين أفرادها أواصر قومية لأنها كانت تجمع بين الساميين والحوريين وأقوام أخرى ذات أصول مختلفة استنتاجاً من اختلاف أسمائهم الشخصية واتفق على تسميتهم بالـــ "الخبيرو"، وكانت تعزوهم الرغبة في العمل لتحقيق مكاسب مادية عن طريق النهب والسلب وشن الغارات على المجتمعات المستقرة هي التي تجمع الطرفين وتوحد بينهما وإذا ما تعذر على الخابيرو القيام بأعمال النهب والسلب فإنهم كانوا يتحولون إلى جنود مرتزقة في خدمة من يجزل لهم العطاء وقد يتحولون إلى عمال مسالمين أو حتى إلى عبيد عندما تدفعهم الحاجة إلى ذلك وهذا ما دعا الكثير من المؤرخين إلى الاعتقاد بعدم وجود دلالة قومية موحدة للخابيرو / الخابيري [38]، وهم لا ينتسبون كذلك لعابر بشكل صافي ومؤكد مثل العبرانيين ، بل كانت جماعات بشرية مختلطة لا يجمعها إلا نمط العيش وطريقة الحياة ، وقد ذكرت المصادر والحفائر السومرية والأكادية بالعراق أنهم كانوا أقواما رحالة يتنقلون بين الأمصار والتخوم للبحث عن الكلأ والرعي وكانت سمتهم الترحال المستمر والعبور لأراضي الغير ، حيث كانت بلاد الشرق وممالكه في هذه الفترات قد تشكلت وتحددت وضمت شعوبا وأنظمة حاكمة تتعامل مع بعضها البعض بين شد وجذب ، فكان هؤلاء الرحالة البدو لا ينتمون إلى ممالك بعينها ولا إلى شعوب محددة ويمكن نسبة بعضهم إلى الأقوام السامية العروبية على أغلب الظن ، وقد شح نصيبهم من الكلأ والغذاء والماء ، فكان ديدنهم الترحال للبحث عن أسباب الحياة من آبار أو

[37] (سفر التكوين فى التوراة 10:24).

[38] محسن الخازندار – اليهودية في العراء.

وديان أو واحات في داخل الصحراء وفي حدودها ، أو إلتماس الفرصة للاندماج داخل مملكة من الممالك القائمة في ذلك الوقت ، أو حتى بالإغارة عليها إذا وجدوا في أنفسهم العدد والقوة والعتاد للقيام بذلك إذا تطلب الأمر أو وجدوا في خصمهم ضعفا وقلة منعة ، وقد اتفقت تسميتهم بلفظ خبيري / خابيرو.[39]

أما الطائفة الأخرى التي ظهرت بعد تسمية "الخابيرو" بأكثر من عشرة قرون وهي تسمية "عبيرو/عَبِرو" Apiru وتعني "عبريون" أو "عابيرو" "عبيرو" فقد ورد ذكرها في المصادر المصرية القديمة وتحديدا في ألواح العمارنة وبعض النصوص في جبيل وغيرها من المدن الكنعانية الأخرى فيجب التفرقة بينهم وبين " الخابيرو".

وكان تسمية الخابيرو القديمة تطلق على مجموعات البشر التى لاتستقر بمكان ، وليس لها وطن دائم ، وكانت دائمة التنقل والترحال ، وكان ينضم اليهم أثناء تنقلهم بعض الهاربين من العدالة والخارجين عن القانون ، والهجامين والمغيرين من مختلف بلاد الشرق القديم خاصة في بلاد الرافدين وبالتالي فهم لا يربطهم نسب مشترك ولا عرق واحد كالعبرانيين.

أما العبيرو فهم مختلفون من حيث أنهم يمثلون عرق أو نسب محدد وقبائل معينة لكنهم ظهروا على مسرح الأحداث كجماعة سامية وكمحاربين ومهاجمين لممالك فلسطين صفاتهم الترحال وليس لهم أرض محددة ولا وطن معروف ويحاولون بهجومهم على تلك الممالك الحصول على وطن يستوطنون فيه وهو ما ينطبق على بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر.

ومن هنا نستطيع أن نستشف بعض الملامح في علاقة هؤلاء العبيرو بالعموريين / العماليق وبـ"العمو"/ الهكسوس أيضا وأنهم على اختلاف مسمياتهم جميعهم يربطهم الأصل السامي العروبي ومن ثم فهم أبناء عمومة ثم بداوتهم بسبب ترحالهم المستمر.

---

[39] يقال إن الخابيرو هم أقوام من بني آرام عاشوا في برية آرام وعملوا في الأرض التي ملكها عاملوا الملوك فعملوا فيها على أن يكون لهم حصة فيها وهذا هو معنى الخبيرو في اللغة السريانية القديمة وفقا لبعض المدارس على أن هذا التفسير لا يوضح من أين اختطلوا ومع أي الشعوب اختلطوا وكيف ارتحلوا في البلاد مع أنهم كانوا يسعون للحصول على حصة في الأرض ؟

وحول تلك النقطة يقول الأستاذ سليم حسن :أن العبرانيين طائفة من أجناس مختلفة وليسوا جنسا واحدا ، ويقول فى مكان آخر أنهم كانوا على اتصال وثيق بالهكسوس.[40]

ويعزو بعض الكتاب أن بداية استخدام لفظ العبرانيين هى مع بداية خروج إبراهيم عليه السلام مع بعض قومه ومعه زوجته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام . وتطلق عليهم التوراة الحالية صفة sojourners أى القوم الذين لايستقرون بمكان ودائمى الترحال (حرفيا : المقيمون مؤقتا) ..

فيقول الدكتور جمال حمدان أن لفظ " العبريون" مشتق من هجرة إبراهيم وبعض قومه من كلدان إلى كنعان حيث "عبروا" النهر (نهر الفرات ثم نهر الأردن) فسموا بالعبرانيين.

وهو جزء من الحقيقة كما هو واضح لكنه لا يعبر عن بداية النشأة الأولى للعبريين/ العبيرو أو العبرانيون فيما بعد لكنه يعبر عن إحدى مراحله.

ونعلم أن كلمة "عبروا" هى كلمة عربية أو بالأحرى عروبية، واللغة العروبية القديمة هي أصل اللغات الشرقية ، أى أصل العربية والآرامية والكنعانية وغيرها.

ويقول المؤرخ الأمريكي برايت والمعروف بتعصبة للإسرائيليين : " كان العبرو أي العبرانيين غرباء عن كل بلاد عاشوا فيها وكان أهل تلك البلاد يعني فلسطين يسمونهم الغرباء ".

إذن فالعبيرو في أرجح الأبحاث هم العبرانيون الذين ظهروا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد في فلسطين على مسرح الأحداث بعد خروجهم من مصر، وهاجموا بعض المدن الكنعانية والحاميات المصرية في الشام أثناء حكم اخناتون الذي كان منشغلا بإصلاحاته الدينية وصراعة مع كهنة أمون رع ، أما الخابيرو الذين تناولتهم الكتابات الأكادية فهم قوم أخرين لا علاقة لهم بالعبيرو الذين ظهروا في فلسطين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

---

[40] (مصر القديمة جـ 3 ص 196).

أبناء إبراهيم بين العبرانيين وعلاقتهم بالهكسوس:

وكما ذكرنا أن العبرانيين أو العبيرو هم الأقوام البدوية المرتحلة ، وكانت سمتها الأساسية الترحال والتنقل في البلاد ولم يعرف لها وطنا بعينه ، وعلى ذلك فإن الشعوب المكونة للهكسوس أيضا – كما سيأتي – كانت شعوبا آسيوية وسامية عروبية مختلفة ، وعلى هذا فربما جاز لنا أن ندعي بأن الهكسوس أيضا تبعا لهذا يمكن أن يطلق عليهم "عبيرو" كتعريف للمجموعات البشرية الآسيوية والسامية المرتحلة التي لا نستطيع أن ننسبها إلى وطن بعينه ، وكان إبراهيم عليه السلام وأهله عبرانيين تبعا لهذا التعريف غير أنهم كان يميزهم انتسابهم إلى عابر حفيد سام بن نوح عليه السلام وهو جد لكل القبائل العبرية التي كانت تنحدر من نسل عابر بن أرفكشد بن سام بن نوح ، وكذلك سلالته من آل يعقوب وبنيه ، ولكن يحيل البعض إلى أن إبراهيم عليه السلام وكذلك سلالته وذريته كانوا آراميين وقد ذكرنا الفرق بين ذلك ، ولنا عنده وقفة أخرى.

فبالرغم من أن هناك تمييزا واضحا في التوراة بين العبرانيين والآراميين بجلاء ، حيث تذكر بأن يعقوب عليه السلام قد تزوج من آراميتين وهما بنات خاله لابان ، وكذلك فعلها قبله والده إسحق عليه السلام حين تزوج من السيدة سارة الآرامية ، وهو الأمر الذي يلفت النظر إلى تميز الجنس الآرامي عن أقوام العبرانيين حيث كان للآراميين كجنس ما يميزهم عن غيرهم بحدود لغوية وجنسية واضحة ، إلا أن ذلك لم يمنع من انتساب الكثير من الأعراق الموجودة في ذلك الوقت إلى الصفة الآرامية وثقافتهم التي امتدت حدودها فيما بعد العصر البرونزي الحديث إلى آفاق بعيدة في شمال الجزيرة العربية وما حولها في الهلال الخصيب والشام وبلاد ما بين النهرين.

ويرتبط اسم الآراميين في هذا العصر المبكر بجماعات من البدو الرحل كان يُطلق عليهم اسم (الأخلامو) ، رغم أن الكثير من الباحثين يحصر جنس الآراميين على ما صارت إليه الممالك المعروفة في الشام وفي سوريا على وجه الخصوص في عصور متأخرة عن ذلك العصر وهو الأرجح ، لكن منبع الجنس الآرامي كان في شمال بلاد ما بين النهرين بكل تأكيد في وقت مبكر عن هذا الذي بزغت فيه شمس الحضارة الآرامية السورية ، وفي مابين النهرين بدأت اللهجة الآرامية تشق طريقها لتنتشر انتشارا واسعا في كل منطقة الشرق الأدنى ويتوغل المد الآرامي في كل ما حوله سواء بأصول

المهاجرين إلى كل تلك الأصقاع أو باللغة الآرامية – التي كانت لهجة في وقتها – والتي انتشرت انتشارا واسعا وبدأت في الظهور على هيئة لهجات ولكنات مختلفة ، ومنها ظهرت الآرامية السورية التي عرفت فيما بعد انتهاء الألفية الثانية قبل الميلاد.

لذلك فإنه على الأرجح أن إبراهيم عليه السلام وذريته ومنهم يعقوب وبنيه كانوا ينسبون إلى مجموعات العبرانيين الذين يمتد أصلهم إلى عابر ، ثم لم يلبث وأن ألصقت بهم الصفة الآرامية منذ أن ولد إبراهيم عليه السلام في أور أرض الكلدانيين ، ثم اقترن مسمى العبرانيين فيما بعد بمن يسمون بالعبيرو/العبريين والذين لا ينتمون إلى وطن بعينه نظرا لترحالهم المستمر كما سبق ، وأصبح كل بدوي رحال منذ هذا العصر يعتبر من العبيرو أو من العبريين الذين اكتسبو الصفة البدوية التي لا تستقر في وطن محدد ، وبذلك نستطيع أن نخلص إلى أن إبراهيم عليه السلام كان عبرانيا من نسل عابر ، ولد في أرض الكلدانيين وفقا للتوراة فأصبح منتسبا إلى الآراميين بحكم المولد واللهجة والتبعية وليس بحكم الأصل والعرق ، ثم ساد إطلاق صفة العبريين أو العبيرو على كل من كان بدويا رحالا فأصبح إبراهيم عليه السلام ومن بعده ذريته من العبرانيين البدو الرحل نظرا لسكناهم في صحراء كنعان / فلسطين حاليا ، وهجراتهم المتكررة وترحالهم في الأرض واختيارهم لحياة البداوة والتنقل واستمر ذلك حتى الوقت الذي دخل فيه يعقوب وبنيه أرض مصر ، وبذلك يصبحون عبرانيين الأصل ، آراميين اللهجة ، ثم كنعانيين المسكن ، ومن هنا نفهم كيف أن يعقوب عليه السلام والأسباط كانوا يعيشون معيشة بدوية تعتمد على الرعي والترحال ، وإن استقر بهم الحال لفترة في صحراء كنعان ، والتي بدأت منها قصة نبي الله يوسف قبيل انتقاله إلى مصر ومعيشته فيها ثم انتقال كل بني إسرائيل إليها في نهاية المطاف.

ومن هنا نفهم أيضا علاقة العبرانيين والعبريين / العابيرو بقبائل الهكسوس التي كان بعضها من القبائل البدوية المرتحلة ، وهي نقطة هامة ترتكز حولها مفاهيم جوهرية في فهم الموضوع.

يقول المؤرخ فيليب فاراداى Phillip R. Varaday Sr أن الهكسوس والعبرانيين تربطهم صلات نسب ومصاهرة ، كما أنه يتفق أيضا مع بعض المؤرخين من أن هناك علاقة وثيقة بين حكام الهكسوس وتسهيل دخول العبرانيين إلى مصر واستقرارهم فيها، بل ويصل إلى درجة الاتفاق مع ماورد فى كتاب نايت ولوماس Knight & Lomas

من أن إبراهيم عليه السلام كان من الهكسوس ، وأنه وصل لمصر عام 1780 ق.م أو ما قبلها بقليل رغم أننا نرى أن عصر إبراهيم عليه السلام يمكن أن يسبق هذه الفترة بمسافة زمنية كافية.

وأيا كانت درجة صحة هذا الكلام فإنه يتعين علينا فهم أيديولوجية الأحداث التي كانت تدور في أرض فلسطين وأرض مصر ، وطبيعة الشعوب والأجناس التي كانت تعيش في تلك الآونة ، فيذكر لنا التاريخ أن مجموعات متجاورة من الطوائف والقبائل كانت تتحرك في تلك المنطقة نتيجة موجات من الجفاف والمجاعات التي كانت تضرب غرب آسيا بالإضافة إلى ضغط بعض الشعوب على بعضها في نزاعها على حكم ممالك الرافدين والشام ، مما دفع هذه المجموعات إلى التروح البطيء إلى الغرب في اتجاه مصر ، والذي تزامن فيه أن مصر كانت تعيش فترة عصيبة من الاضطرابات السياسية الداخلية ، جعلت من دخول هذه الجماعات أمرا ممكنا ، وتدريجيا ومع الوقت استمرت عمليات استيطان هذه الأخلاط العرقية في شرق الدلتا ، حيث كان لهؤلاء نوعا من أنواع النشاطات التجارية مع أهل مصر، على أنه قد ازدادت حدة حركات التروح تلك مع بداية ظهور الجدب والجفاف الذي ضرب مساحات واسعة من غرب آسيا.

وبينما ذهب الكثير من المؤرخين وعلماء الأجناس إلى الإقرار بأن الهكسوس والعبرانيين مشتركين في الأصل العرقي ، ذهب المؤرخ اليهودي يوسفوس إلى أبعد من ذلك حيث ادعى بأن بني إسرائيل هم أنفسهم الهكسوس ، كما زعم بأن هذا ما تم نقله عن المؤرخ المصري مانيتون ، ولا شك بأن يوسفوس كان يريد بهذا الزعم الإعلاء من قدر قومه الذين كانوا محتقرين من الرومان ، فأراد أن يعظم من قدرهم بأن يجعلهم هم والهكسوس شعبا واحدا وهو الأمر الذي لا يمكن اعتباره صحيحا على مطلقه ، وقد أورد يوسفوس هذا الكلام في معرض كلامه عن قومه في كتابه " الرد على إبيون Against apion الذي كان من الذين يحقرون بني إسرائيل ويذمون فيهم ، فقام يوسفوس بمحاولة الإعلاء من قدر قومه في كتابه المذكور ، ونسب ذلك كله إلى المؤرخ والكاهن المصري مانيتون الذي احترق تاريخه في مكتبة الإسكندرية.

واعتقد كثير من دارسي المصريات مثلما اعتقد يوسفوس أن قصة التوراة عن دخول الإسرائيليين إلى مصر ثم الخروج بعد ذلك لها أصولها في احتلال الهكسوس ثم طردهم منها[41].

وتعد أشهر مؤلفات مانيتون كتاب (تاريخ مصر) الذى كان سيعد المرجع الأول للباحثين في تاريخ مصر القديمة ولكن بقضاء الله فقدت النسخة الأصلية في حريق مكتبة الأسكندرية و لم يتبق إلا بعض صفحات من هذا الكتاب نقلها لنا بعض المؤرخين مثل يوسيفوس وأفريكانوس وغيرهم.

والمتأمل في ادعاءات يوسفوس يجد أن زعمه بأن بني إسرائيل هم الهكسوس ، قد يكون صحيحا إلى حد كبير بالنسبة لهؤلاء الذين حاول أن يدعي عليهم ذلك في وقتها (الرومان) ، حيث لم يكن لهؤلاء الذين يعيشون في حقبته أي دراية بأجناس الشعوب التي كانت تعاصر الهكسوس ولا بأصلها ، فكان بنو إسرائيل الآسيويون الساميون لا يختلفوا كثيرا بالنسبة إليهم عن الهكسوس الذين يحملون نفس الصفات العرقية ، لكن يجب الانتباه إلى أنه يمكننا أن نتقبل أن بنو إسرائيل يمكن أن يعتبروا قبيلة أو طائفة فقط من الطوائف التي كانت تعيش في زمن الهكسوس ، غير أنه لا بد أن نعي أيضا أنه برغم توحد الأصول العرقية بينهما إلا أنه كانت هناك اختلافات قومية تفصل بين كلاهما يمكن ملاحظتها من خلال تباين سلسلة النسب التي كانت تميز بني إسرائيل عن غيرهم ، وذلك لانحدارهم من نسب الأنبياء مرورا بإبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام بالإضافة إلى تميزهم النوعي عن غيرهم بعدم اختلاطهم بغيرهم من القبائل ، فكانت لهم حدود عرقية وهذا ما حفظ لهم ما يسمى في وقتها بـقبيلة " بني إسرائيل".

على أن الصفة المشتركة بين العبرانيون من أبناء يعقوب في ذلك الوقت وبين الهكسوس العماليق الذي وفدوا إلى مصر هو صفة البداوة والرعي التي كانت ملازمة لكليهما كما رأينا ، فقد ذكر القرآن الكريم تلك الصفة على لسان يوسف عليه السلام في قوله :

41 تاريخ فلسطين القديم — خزعل الماجدي.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ 100 سورة يوسف

ونستحضر هنا نصًا توراتيًا يقول عن بني إسرائيل عند دخولهم إلى مصر بأنهم (رعاة) مما لا يجعل أي توراتي يهودي أن ينكره، ألا وهو:

"ثم قال يوسف لإخوته ولبيت أبيه: "أصعد وأخبر فرعون وأقول له: إخوتي وبيت أبي الذين في أرض كنعان جاءوا إليّ، والرجال رعاة غنم، فإنهم كانوا أهل مواشي، وقد جاءوا بغنمهم وبقرهم وكل مالهم، فيكون إذا دعاكم فرعون وقال: ما صناعتكم؟ أن تقولوا: عبيدك أهل مواش منذ صبانا إلى الآن، نحن وآباؤنا جميعًا، لكي تسكنوا في أرض جاسان؛ لأن كل راعي غنم رجس للمصريين"[42].

ونجد في قصة يوسف عليه السلام بذلك بعض الدلالات الهامة على كلامنا هذا وعن كيفية اعتبار الهكسوس ليوسف عليه السلام واحدا منهم لا يختلف كثيرا عن أصولهم الآسيوية البدوية ، فحين ألقي يوسف عليه السلام في الجب ، مرت قافلة من الإسماعيليين والمديانيين– على حد قول التوراة – وكانوا قاصدين ديار مصر من جهة الشام ، فلما أدلوا بدلوهم تعلق فيه يوسف عليه السلام ، فأسرّوه بضاعة وباعوه على أنه من الرقيق فشروه في مصر بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ، وما يلفت النظر في القصة بشكل كبير هو وصول يوسف عليه السلام بأمر ربه سبحانه وتعالى إلى منصب رفيع في ظل عصر الحكام المتسلطين على مصر في ذلك الوقت وهم الهكسوس ، وهو الأمر الذي لا يمكن حدوثه في مصر القديمة أثناء حكم المصريين على أية حال ، ويلقى ذلك الأمر الضوء على هوية القوم الذين كانوا يحكمون مصر وقتها ، حيث أن هؤلاء القوم قد اعتبروا يوسف عليه السلام واحدا منهم لا يختلف كثيرا عن جنسهم الآسيوي السامي الذي يمتد إلى سام بن نوح عليه السلام ، وفي هذا دلالات قوية أيضا على اشتراك الهكسوس والعبرانيين في أصل واحد.

---

[42] سفر التكوين 46: 31-34.

والجدير بالذكر أن التوراة تقيم في شجرة أنسابها وتقسيمها للأجناس علاقات قرابة ونسب ما بين الجنس العربي والجنس العبري فتجعلهم من أصل واحد وتعيدهم دوما إلى سلف واحد مشترك وأدرجوا تحت هذا السلف المشترك : العبرانيين والعرب الشمالية والجنوبية بإرجاعهم جميعا إلى أب بعيد واحد هو "عابر" والواضح على المستوى اللساني باللقب اللغوي أن "عبري" مقلوبها "عربي".[43]

كما يلاحظ الدكتور ولفستون ارتباط كلمة عبري بكلمة عربي ارتباطا لغويا متينا، لأنهما مشتقان من أصل واحد وتدلان على معنى واحد هو البداوة ، وأن كلمة عبري تؤدي المعنى الذي تؤديه كلمة عربي نفسها.[44]

وهكذا نخلص من هذا الكلام بأن بني إسرائيل والهكسوس كانوا يشتركون معا في انتسابهم إلى الشعوب السامية ، ومجيئهم من التخوم الآسيوية ، ولغتهم التي كانت متداولة في ذلك الوقت وفي هذه النواحي من الشام ، وفي أصولهم العِرقية ، كما أنهم يشتركون معهم في معيشتهم البدوية وحياة الرعي عند الكثيرين منهم والتي كانوا يعيشونها قبل دخولهم إلى مصر المتمدنة وبذلك فإن كليهما متطابق في التكوين الاجتماعي كعبرانيين / عبريين (عبيرو).[45]

صلة الهكسوس والعبرانيين وغيرهم بالصفة الآرامية :

أما الصفة الآرامية فلها ارتباط وثيق أيضا بكل من العبرانيين والهكسوس العماليق سواء العموريين أوالكنعانيين ، بل وبكل شعوب تلك المنطقة حيث انتشرت الثقافة الآرامية بينهم منذ العصر البرونزي المبكر ، إلا أن هذه الثقافة الآرامية لم تظهر بجلاء إلا بعد انحسار نفوذ العموريون في تلك الأصقاع بعد عام 1500 ق.م ، وقد بدأ انتشار اللهجة الآرامية وطريقة الكتابة بالحروف والأبجدية الآرامية في بلاد الرافدين وشمال سوريا قبل ذلك العهد بفترة ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، دون أن يكون لانتشار الثقافة الآرامية نفسها دور في ذلك ، فيبدو أن الآرامية كانت لهجة

[43] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت.

44 العرب واليهود في التاريخ – أحمد سوسة.

45 أحمد فؤاد القاسم – ألف سؤال وجواب عن بيت المقدس.

سهلة وفرعا متداولا من بين فروع ولهجات اللغة العروبية الأم ، ويبدو أن الرسم المربع لخط الآرامي هو ما سهل كتابتها وتداولها أكثر من غيرها من اللهجات والفروع الأخرى.

الأبجدية الآرامية

وقد تطرق بعض الباحثين إلى نشوء اللغة الآرامية كلغة حضارية وثقافية ولغة مراسلات استعملها الكنعانيون والانباط والفينيقيون في رحلاتهم البحرية وتجارتهم من خلال سفنهم.

أما بلاد الآراميين فقد بدأت تطلق على منطقة محددة — في شمال الفرات — ولكنها لم تلبث في غضون عام 1500 ق.م وأن انتشرت فيما حولها من أصقاع مصحوبة بانتشار اللهجة والكتابة الآرامية في كل انحاء الشام والهلال الخصيب.

ولا شك أن الكثير من أبناء بلاد الرافدين والشمال السوري وعناصر من الكنعانيين والعموريين العماليق وغيرهم قد تداولوا اللهجة الآرامية ونقلوها إلى غيرهم فيما حولهم من بلاد ، وأصبحت الصفة الآرامية صفة لصيقة بكل من يتقن هذه اللهجة المميزة بصرف النظر عن انتسابه الفعلي للآراميين كجنس مميز أم لا [46]، وذلك ما حدث مع إبراهيم عليه السلام حين نسبوه إلى الآراميين.

---

[46] فقد كانت المميزات الرئيسية التى تميز كل أمة تكون قد تناسلت عن جدٍ مُعيَّن كآرام متى توفرت صفاتها فى إحدى القبائل التى لا تنتمى أصلاً لهذا الجنس الآرامى فى أصوله العرقية – كالتماثل أو التشابه فى تسمية الجد أو السلوك التعميرى أو الاستعمارى أو اتباع نفس الفولكلور الآرامى فى الزى أو العادات والسلوكيات الإجتماعية مما يُشيع إطلاق تسمية آراميين عليهم رغم عدم إنتمائهم الحقيقى والجوهرى لهذا الجنس – مما قد يوقع المؤرخ أحياناً فى الخلط بين الأجناس ، وهذا يفيدنا فى تفهم أن مِن بين هؤلاء أبناء "آرام" حفيد "ناحور" شقيق "إبراهيم" لأنهم توافرت فيهم بمجرد تسمية جدهم باسم آرام الذى تسمى باسم أحد أشقاء جده الحقيقى أرفكشاد وكان هو آرام الذى انحدرت منه الأمة الآرامية الحقيقية .

لكن إشاعة الصفة الآرامية وإطلاقها على قطاع عريض من الأجناس والقبائل القديمة هو خطأ توراتي وعدم دقة قد تكون متعمّدة من كاتبوا التوراة وللأسف تبعهم في ذلك الكثير من المؤرخين والمفكرين العرب المعاصرين [47] ، فنجد في التوراة إخوة إبراهيم وأبناء إخوته قد أصبحوا آراميين فأخيه ناحور قد أصبح آراميا وبتوئيل بن ناحور ولابان بن بتوئيل كلهم أصبحوا آراميين لمجرد إقامتهم في آرام نهرين أو فدان آرام وهو موقع مدينة حاران / حرّان الواقعة في منطقة الفرات الأوسط فيما بين النهرين، ونحن نعلم تمام العلم أن جميع أهل إبراهيم عليه السلام وإخوته وأعمامه وجدوده من نسل أرفكشاد بن سام بنوح بتقسيمة التوراة بينما آرام بن سام يعتبر عمهم الأكبر شقيق أرفكشاد وبالتالي فإن هوية الآراميين ليست محصورة بنسل آرام بن سام فقط ، بل يوجد الكثير من القبائل والفروع أطلقت على نفسها الصفة الآرامية دون أن تكون من نسل آرام بن سام بن نوح كما هو واضح.

بل إننا نجد أن أحد أحفاد ناحور بن تارح (وهو تارح والد إبراهيم في التوراة) كان اسمه آرام بن قموئيل بن ناحور بن تارح ، وقد أصبح بذلك آرام الصغير رأسا لقبيلة آرامية أخرى لا تمت بصلة للآراميين أبناء آرام بن سام سوى أنهم سكنوا في مناطقهم وتحدثوا بلهجتهم الآرامية المميزة واعتنقوا ثقافتهم وعاداتهم.[48]

---

[47] يتحدث النص التوراتي هنا عن الأب الأكبر إبراهيم حيث يصفه بكل تأكيد ووضوح بأنه كان آراميا، ويعلق المؤرخ عزة دروزة على هذا النص من التوراة بقوله (وعلى هذا فإبراهيم آرامي) و يذكر الدكتور محمد إبراهيم الفيومي (أن التوراة تصف إبراهيم الخليل باعتباره من القبائل الآرامية) ، ويؤيده في ذلك المستشرق توردارسون أستاذ اللاهوت في جامعة أيسلندة، ويقول في موضع آخر (والقبائل الآرامية ينتمي إليها الخليل نفسه) ، ويذكر الباحث عبد الفتاح الزهيري (إن تارح والد إبراهيم كان أجداده آراميين كما يذكر المؤرخون أن أم إبراهيم هي أميتالي بنت كرناب الآرامية) ، ويذكر الدكتور الفيومي: (إن اللغة التي كان يتكلم بها إبراهيم والآراميون معه في تلك الأزمان هي اللغة الأم وكانت لغة واحدة تتكلم بها جميع القبائل).

[48] سفر التكوين 22 – 20:22 : "وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أُخْبِرَ وَقِيلَ لَهُ: «هُوَذَا مِلْكَةُ قَدْ وَلَدَتْ هِيَ أَيْضًا بَنِينَ لِنَاحُورَ أَخِيكَ: عُوصًا بِكْرَهُ، وَبُوزًا أَخَاهُ، وَقَمُوئِيلَ أَبَا أَرَامَ، وَكَاسَدَ وَحَزْوًا وَفِلْدَاشَ وَيِدْلاَفَ وَبَتُوئِيلَ".



آثار آرامية

ويبدو أن هذه التسمية جغرافية أيضاً، فهي تعني الأراضي العالية وذلك بالنسبة للرافدين أو هي تعني الأراضي المرتفعة الجبلية.

ومصطلح أرام النهرين (آرام نهرين) كما ورد في التوراة إنما يعني الأقسام الشمالية من الرافدين وبالتحديد المنطقة الواقعة بين منبع البليخ وحتى الفرات وعرفت أيضا بـــ "فدان آرام" ، ولقد عرفت باسم بين النهرين أو "مسوبوتاميا" ومركزها "حرّان/حاران". وكان بولوبيوس 202-120ق.م المؤرخ الإغريقي أول من أطلق هذه التسمية.



فدان آرام وحاران ويظهر على الخريطة مسارات الأنبياء في بلاد الشرق الأدنى القديم

على أن الآشوريين هم الذين أطلقوا اسم أرومو وأرامو وجمعهم أريمي على بلاد أرام وعلى سكان تلك المنطقة.

أما الآراميون الأصليون أبناء آرام بن سام بن نوح كشعب فقد أُطلق عليهم أحيانًا أو فيما بعد "السريانيون" ، وهذا الاسم اكتسبوه من خلال سيطرتهم فترة من الزمان على الأرض التى سيطر عليها الأشوريون فى فترة أخرى من التاريخ فكانت أرض

أشورية أى أسورية أى سورية (بحسب تطور التسمية على مر العصور) ، فأصبحوا سريانيون بهذا المعنى.

وكان هؤلاء السكان قد استقروا منذ الألف الثالث في هذه المنطقة وكانت لهم لهجتهم المتميزة التي حملت فيما بعد اسمهم ، أما وجودهم السياسي فلم يتضح إلا بعد زوال السلطة العمورية أو بعد ضعف نفوذها عام 1500ق.م. وأن تواجدهم المستقر والمشترك أوضح حدود بلاد أرام.

منذ ذلك الوقت تقريباً توسع الآراميون باتجاه الجنوب لكي يستولوا على جميع المنطقة ، ومن المؤكد أن الآراميين لم يكونوا على مستوى واحد من الحضارة.

ويرجع اكتساب الهكسوس العماليق الصفة الآرامية إلى الاختلاط بالشعوب الآرامية التي كانت مستقِرة في تلك المنطقة دون أن تسعى سعيا حقيقيا لنشر ثقافتها في ذلك العصر المبكر نظرا لسطوة العموريين العماليق ومنهم"الهكسوس" أنفسهم على كل مناطق ذلك العالم ، على أن العموريين/العماليق – الذين يطلق على من دخل مصر منهم الهكسوس - كانت لهم صفة مميزة ألا وهي اكتساب الثقافات واللهجات/اللغات من الشعوب التي يغلبونها أو يمرون بها ، وبذلك اكتسبوا الصفة الآرامية فقط بمرورهم ومخالطتهم للقبائل الآرامية وبفعل التجارة والعلاقات المتبادلة معهم ، ومن هنا جاءت صفتهم الآرامية التي لم يكن لها صلة أكيدة بجنسهم أو أصلهم العرقي اللهم إلا في اشتراكهم في الأصل السامي العروبي مع الآراميين ولهجتهم كذلك وربما طريقتهم في الكتابة.

أما علاقة العبرانيون بالآراميين فهي كما أسلفنا علاقة معقدة لكنها باختصار ليست علاقة من جهة الأصل أو العرق ، بل إن أقرباء إبراهيم عليه السلام من نسل جدهم الأكبر أرفكشاد بن سام قد اكتسبوا الصفة الآرامية دون أن يكون ذلك له أي علاقة بآرام بن سام عمهم الأكبر.

فقد ذهب"تارح"إلى"حاران"حيث استقر هناك فى موضع كان يطلق عليه اسم"آرام النهرين"، وبينما إرتحل ابراهيم من هناك ، ظل"ناحور"شقيق"أبرام"(وهو اسم"إبراهيم" فى ذلك الوقت) ، وكان من بين أبناء"ناحور" ، قموئيل والد آرام و"بتوئيل"والد "لابان".

بينما ذهب الفرع الآخر من الأسرة الذى يتمثل فى"أبرام"و"لوط" إبن الأخ الكبير المتوفى لأبرام إلى كنعان ، ولكن ظلت هناك علاقة وصلة بين الفرعين من هذه الأسرة سكان "آرام النهرين" والمهاجرون إلى "كنعان"، فزوجة "إسحق"، واسمها "رفقة" كانت من هناك ، كذلك كانت زوجات "يعقوب" فيما بعد .[49]

وهذا الأمر يفسر الخلط الذى حدث بين الآراميين كشعب وبين العبرانيين فالأصل الآرامى للعبرانيين يعود لإقامة أصولهم فى"آرام النهرين"وليس لانتسابهم لجنس الآراميين ، فآرام النهرين هى المنطقة التى وفد منها"إبراهيم"وهى فى ذات الوقت موطن نساء الآباء الأُوَل حتى من ولد منهم فى بلاد مهجرهم.

وهكذا تنكشف محاولات كاتبوا التوراة في تعقيد العلاقة بين العبرانيين والآراميين والكنعانيين ، ومحاولاتهم المستمرة تلك هي من باب ذر الرماد في العيون والتمويه على أن العبرانيين لم يكونوا إلا قبيلة صغيرة من ضمن قبائل كبرى سبقتها في الوجود وهي الشعوب الكنعانية والآرامية والعمورية وغيرها.

العماليق ... اللغز الأكبر فى تاريخ الشرق الأدنى:

العماليق هو اسم يطلقه العرب على قبائل الكنعانيين والعموريين والعرب البائدة الذين كانوا يسكنون شبة الجزيرة العربية وهم من أقدم الأمم التي سكنت الجزيرة العربية ويعزوهم النسابون إلى ذرية عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح وبعض النسابين يقولون عمليق بن لاوذ بن سام وهو الأصح وفقا لرواية التوراة[50] ، وكان يضرب بهم المثل فى الطول و الجثمان ومنها تم ربط لفظ "عماليق" بالضخامة والطول والجسامة، عاصروا الأنبياء وتفرقوا في البلاد وحكموا

---

[49] راجع تكوين الإصحاحات ٢٤ ،٢٨.

[50] لو حكمنا على الاختلاف الحادث بين النسابين على نسب عمليق بن لاوذ ، فإنه وفقا للتقسيم التوراتي فلاوذ هو شقيق إرم أو آرام كما وردت بالتوراة وبالتالي فإن تعيين لاوذ كأحد أبناء إرم هو خطأ وخلط عند النسابين ، لكن بعضهم رد على ذلك بقوله أن إرم غير آرام وهما شخصين مختلفين ، ف "إرم" هو أحد أبناء لاوذ بن سام بن نوح أما آرام الذي ورد في التوراة فهو إبن سام مباشرة وهو وارد أيضا ولا يتناقض مع النسب الوارد لعمليق عند النسابون العرب.

بلدان كثيرة مثل نجد، البحرين، عمان، مصر، اليمن ، سوريا، الحجـاز، تهامـة، الرافـدين، فلسطين والأردن وأطراف الشام.

وقد أوردت بعض الكتب أخباراً عنهم تمتزج بالأساطير، فاسمهم الذي يـوحي إلى الأذهـان بضخامة أجسامهم قد دفع بعض الرواة إلى المبالغة والتهويل ولا شك أن هذه الروايات وأمثالها من صنع قصاصين يحرصون على استثارة جمهورهم بالخوارق والعجائب[51].

وقد ترددت كلمة "العماليق" كثيراً في الآثار والكتابات الآرامية في حضارات بلاد الشام والعراق وأيضاً في التوراة اليهودية، وقد فسر علماء الآثار معنى الكلمة على انها تعني "جنود البدو"، وهما المقطعين عمو =بدو و "ليق" أو "لاق" = جندي أو جنود.

ويذكر النقش المسماري أن العماليق كانوا بدواً من الجزيرة العربية يتجولون في أواسط بلاد الرافدين وجنوبيها ، وتطلق عليهم المدوّنات السومرية اسم "أمورو" أو "أَمُورُّم" Amurrum العموريين/العموريين أي الغربيين أو أهل الغرب.

ورد ذكر العماليق في المدونات العراقية في الألف الثالث قبل الميلاد، وأطلق الأكاديون عليهم اسم عمورو، وهناك دلائل تشير إلى ازدياد عددهم واشتداد خطرهم على بلاد الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد، منها أن الملك "شوسين" ملك أور، أقام فيها حصناً ليحمي البلاد من هجماتهم، وقد كان العماليق في نظر سكان العراق أقواماً بدوية غير مستقرة تتصف بخشونة الطبع، وقد وصفته أسطورة سومرية: إن السلاح رفيقه ولا يثني الركبة (لا يخضع) ويأكل اللحم نيئاً ولا يمتلك بيتاً طوالَ حياته ولا يُدفن في قبر بعد موته ، وهم بذلك إنما كانوا يصفون إخوانهم من العماليق البدو الذين لم يلحقوا بحياة الحضر مثلهم ، وإلا فجميعهم سواء المتحضر منهم أو البدوي من نفس عرق العماليق المذكور.

---

[51] من المبالغات والتهويل الذي تم حشره في سيرة العماليق ما نقله السمهودي وغيره في رواية تـزعم أن ضـبعاً وأولادها وجدت رابضة في تجويف عين رجل ميت من العماليق، وأنه كانت تمضي أربعمائة سنة لا يموت منـهم أحد وغيرها من الروايات الخرافية والأسطورية التي امتزجت بروايات القصاصين والإخباريين العرب مما دفع البعض لرفض سيرة العماليق في الكتب العربية بالكلية بسبب ما خالطته من خرافات ومبالغات شنيعة.

وقامت مملكة بابل الأولى بتجنيد العماليق كجنود في بابل وكانوا يوزعون عليهم مساحات من الأراضي كمكافأة لهم وتشجيعاً لغيرهم ، وكانت السلاسة الحاكمة في بابل من العماليق العموريون أسرة حمورابي ، وحسب المؤرخ المصري مانيتون فإن النبي إبراهيم ويوسف عليهما السلام وفقا لهذا التعريف كانا ينتميان إلى عنصر العماليق الهكسوس أو يمتون لهم بصلة عرقية قوية.

وكانت تربية الحيوانات العمل الرئيسي للبدو العماليق كما تدل على ذلك المصادر المكتوبة ، فقد كانوا مربوا أغنام في المقام الأول يتجولون بقطعانهم في مناطق البادية بحثاً عن الكلأ والماء، ويعيشون من منتجاتها المختلفة واللبن ومشتقاته والصوف، ولم يترك العماليق البدو نصوصاً أو كتابات بلغتهم، والسبب في ذلك هو أنهم كانوا عند دخولهم مدن بلاد الرافدين والشام بدواً لا يعرفون القراءة والكتابة.

فيما بعد عرفت كلمة "عملاق" كمصطلح يعني في اللغة العربية الطويل أو الضخم لكنها لم تكن تحمل هذا المعنى في العربية القديمة[52]، ويبدو أن قبائل العماليق كانت تتميز بشيء من الطول والجسامة لكن ليس لذلك اللفظ أي علاقة بصفة الضخامة إن

---

[52] معنى عملاق في لسان العرب: العَمْلق الجور والظلم والعَمْلَقةُ اختلاط الماء في الحوض وخُشُورته وحكى ابن بري عن ابن خالويه العَملقُ الإختلاط والخُثُورة ولم يقيده بماء ولا غيره وعَمْلَقَ ماؤُهم قلَّ والجمع عَمَالِيقُ وعَمَالِقةٌ وعَمالق بغير ياء الأخيرة نادرة وعَمْلَقٌ وعِمْلِقٌ وعِمْليق وعمْلاق أسماء والعَمَالقةُ من عادٍ وهم بنو عِمْلاقٍ قال الأزهري عِمْلاقٌ أبو العَمالقة وهم الجبابرة الذين كانوا بالشأم على عهد موسى عليه السلام وفي حديث خبّاب أنه رأى ابنه مع قاصٍّ فأخذ السوط وقال أمَعَ العَمَالقةِ ؟ هذا قَرْنٌ قد طَلَع قال ابن الأثير العَمَالقة الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عادٍ قال ويقال لمن يَخْدَعُ الناس ويَخْلُبهم عِمْلاق قال والعَمْلَقة التَّعْمِيق في الكلام فشَبَّه القُصّاص بهم لما في بعضهم من الكبر والاستطالة على الناس أو بالذين يخدعونهم بكلامهم وهو أشبه الجوهري العَمالِيق والعَمالِقة قوم من ولد عِمْلِيق بن لاوَذَ بن إرَمَ بن سامِ بن نُوح وهم أُمم تفرقوا في البلاد.

رجعنا إلى أصل الكلمة[53]، ويرى بعض المؤرخين المعاصرين أن سكان الجزيرة العربية كانوا ضخاماً حتى عام 1600 قبل الهجرة ، وبقي لهم أحفاد إلى ما بعد ذلك وعرفوا بهذا الاسم، وإن لم يكونوا يحملون ذلك القدر من الطول ولايعمرون مايعمر به أسلافهم.[54]

وورد ذكر العماليق في كتب التاريخ العربية بغزارة وقد ورد ذكرهم ما يقرب من 454 مرة في 355 صفحة في 111 كتاب بل ويزيد عن ذلك إذا تيسر المزيد من الكتب المعروفة.

---

[53] معنى عماليق في تاج العروس : العَمالِيقُ والعَمالِقَة : قومٌ من عاد تفرّقوا في البِلادِ وانْقَرَض أكثرهُم وهم من وَلَدِ عِمْلِيق كقِنْديل أو عِمْلاق مثل قِرْطاس الأخيرُ عن اللّيْثِ ابن لاوَذَ بنِ إرَم بن سام بنِ نوحٍ عليه السلام كما في الصّحاح . وفي المقدِّمة الفاضِلِية أنّ لاوَذَ أخو إرَم وأرفَخْشذ بني نُوح عليه السلام . وقال اللّيْثُ : وهم الجَبابِرَةُ الذين كانوا بالشّام على عهْدِ موسَى عليه السلامُ وقال ابنُ الأثير : هم الجَبابِرَة الذين كانوا بالشّام من بقيّة قوم عاد. وقال ابنُ الجَوّانيّ : عِمْليق : أبو العَمالِقَة والفَراعِنَة والجَبابرة بمِصْر والشّام وكانوا فبانُوا مُنْقَرِضين . وقال السُّهَيْليُّ : من العَماليقِ مُلوكُ مصر الفَراعِنةُ منهم الوَليدُ بنُ مُصْعَب بن اشمير بن لهو بن عِمْليق وهو صاحِبُ موسى عليه السلام والرّيّانُ بنُ الوَليد صاحبُ يوسُفَ عليه السلام . والعَمْلَقَةُ : البوْلُ والسّلْح أو الرّميُ بهما عن ابنِ عبّاد . وقال ابنُ الأثير : العَمْلَقَة : التّعْميقُ في الكَلام . ومنه حَديث خبّاب : أنّه رأى ابنَه مع قاصّ فأخذَ السّوطَ وقال : أمَعَ العَمالِقَة ؟ هذا قرْنٌ قد طلع فشبَّه القُصّاصَ بهم لِما في بعْضِهِم من الكِبَر والاستِطالة على النّاس . والعِمْلاق كقِرْطاس : من يخْدَعُكَ بظَرْفِه ونَصُّ المُحيط : مَنْ يخدَع النّاسَ بظَرْفِه . وفي النّهاية : يُقال لمَن يخْدَع النّاس ويخْلُبُهم: عِمْلاقٌ وقد شبّه القُصّاصَ بالذين يخْدَعونه بكَلامِهم وهذا أشبَه . ومما يُستدرَك عليه : العَمْلق : الجَوْر والظُلْم . والعَمْلَقَة : اختِلاطُ الماءِ في الحوْض وخُثورتُه . وحكى ابنُ برّي عن ابنِ خالَوَيْه : العَمْلَقُ : الاختِلاط والخُثورة و لم يُقيِّدْه بماء ولا غيْرِه . وعمْلَقَ ماؤُهم : إذا قَلّ . والعِمْلاقُ : الطّويل والجَمْع عَماليق وعَمالِقَة وعَمالِقُ بغيْر ياءِ الأخيرةُ نادِرةٌ . وقد سمَّوْا عَمْلَقاً كجَعْفَر وزِبْرِج وقِرْطاس.

[54] خلال القرون البائدة حصل اختلاط واندماج بين عماليق يثرب والقبائل الوافدة عليهم ، وظهرت أجيال جديدة تحمل دماءً مختلطة ، وما لبث العماليق المتميزون بضخامة الأجسام أن قل عددهم تدريجياً ، لكن صفة الجسامة لم تختفي تماما ، بل بقيت منهم بقية وكانت تلك الصفات الجسدية لا تزال باقية إلى عصر النبوة في يثرب ، حيث يذكر في الأثر أن بني أنيف (وهم حي أقاموا مع اليهود قبل وصول الأوس والخزرج) كانوا منهم ، وعندما وصل الإسلام إلى يثرب لم يكن قد بقي منهم إلا أفراد قلائل تميزوا بطول القامة والجسامة الملحوظة.

ونسبهم في كتب التراث العربي أنهم من أبناء عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نـوح كما أوضحنا سابقا، بينما يراهم آخرون أنهم من نسب عمليق بن لاوذ بن سام بن نـوح وكانوا منتشرين في مناطق واسعة جدًّا من الجزيرة العربية والشام والرافـدين وقـد وفـد بعضهم من جنوب الجزيرة العربية ثم رحلوا وسكنوا مـع فـروع العمـاليق الأخـرى في منطقة الرافدين.

وبقي الكثير من العماليق بالجزيرة العربية وانتشروا في أنحائها آخذين في الترحال المستمر، وسكنت قبائلهم الكثيرة في نجد والبحرين وعُمان واليمن وتهامة وبلغوا أطراف بلاد الشام.

وكان العماليق في بادئ الأمر يسكنون جنوب الجزيرة العربيه ثم رحلوا و سكنوا مع الأحفاد الآخرين لنوح عليه السلام فى منطقة الرافدين (العراق) ثم تكاثر أحفاد نوح عليه السلام حتى زاحم بعضهم بعضا فخرجوا من العراق وعادت بعض قبائل العماليق إلى الجزيرة العربية و إنتشروا فى أنحائها وسكنت قبائلهم فى نجد و البحرين و ظفار (عُمان) و اليمن و تهامه وبقيت بعض قبائلهم في أطراف بلاد الشام و فلسطين وسوريا وسلالات كثيرة في العراق والأردن وكل بلاد الرافدين والشام إلى أن وصلوا مصر وحكموها.

ويذكر الطبري أن الذين سكنوا يثرب منهم هم من قبيلة جاسم، ويذكر ابن خلدون قبائل أخرى هي (بنو لَفٍّ - بنو هزان - بنو سعد بن هزان - بنو الغوث بن سعد بن هزان - بنو مطر - بنو الأزرق - بنو الأرقم - بنو عفار - بنو خيبر - بنو قطران - بنو غفار - بنو النار -بنو حراق - بنو راحل - بنو عبيل - بنو السميدع - بنو عمرو - بنو نعيف - بنو نظرون - بنو عبد بن ضخم — جرهم — الكنعانيون)

ويرى الطبري أن جدهم عمليق هو أول من تكلم العربية وهو الخبر المشكوك في صحته لعلمنا أن العربية القديمة كانت على لسان كل القبائل القحطانية على اختلاف لهجاتها بالإضافة إلى أن ذلك يخالف المشهور عند النسابون العرب بأن يعرب بن قحطان هو أول من نطق بالعربية وهو الأمر الذي يحتاج بدوره مزيدا من التحقيق.

كما ذكرتهم أسفار التوراة عـدة مـرات وسمتـهم بـاسمهم العمـاليق حينـاً وباسم الجبارين حيناً آخر ، وذكرت أسماء بعض زعمائهم ومـدنهم العربيـة ، فقـد عاصرت قبائلهم دخول بني إسرائيل من وإلى مصر ، ثم عايشوا قبائلهم التي تعـيش في

مصر تحت نظام الحكم ، واصطدموا مع باقي قبائلهم في معارك عدة بمنطقة سيناء وفلسطين والأردن أثناء وبعد خروجهم من مصر.

قال الطبري : "عمليق أبو العماليق ، كلهم أمم تفرقت في البلاد ، فكان أهل المشرق وأهل عُمان والبحرين وأهل الحجاز منهم، وكانت الفراعنة بمصر منهم، وكانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيّون منهم. وكان الذين بالبحرين وعُمان والمدينة يسمّون جاسم، وكان بالمدينة من جاسم هؤلاء بنو لفّ وبنو سعد بن هزال وبنو مطر وبنو الأزرق، وكان بنجد منهم بديل وراحل وغفّار وبالحجاز منهم إلى تيماء بنو الأرقم ويسكنون مع ذلك نجدا وكان ملكهم يسمّى الأرقم، قال: وكان بالطائف بنو عبد ضخم بن عاد الأول".

ومن هنا نعرف كيف تسمى هؤلاء العماليق بأسماء مختلفة وفقا لهجراتهم وأماكن سكناهم فعرفنا أن الجبابرة الذين كانوا بالشام منهم عرفوا تاريخيا بالكنعانيين والعموريين ، كما أن من دخلو مصر منهم عرفوا عند المصريين بحقاوخاسوت وبلفظ العمو ولاحقا في عصر البطالمة عرفوا على لسان المؤرخين بالهكسوس ، وأما من ظل على بداوته ولم يلحق بالممالك المتمدنة فلم يعرفه الناس إلا بالإسم القديم وهو العماليق.

وقال الطبري أيضاً : والعماليق قوم عرب لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي، وأن عمليق أول من تكلم العربية، فعاد وثمود والعماليق وأُميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب [55].

وننقل هنا كلام جواد علي عن العماليق حيث يقول :

"وحشر الأخباريون العمالقة "العماليق" في هذه الطبقة أيضًا (يقصد طبقة العرب البائدة) ، فنسبوهم إلى "عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح" ، ولم تذكر التوراة أصلهم ونسبهم، وهي لا تشير إلى أبناء "لود" أو "لاوذ" كما يقول له الأخباريون [56].

و"عمليق" جدّ العمالقة (المفترض) ، هو شقيق طسم ، ويذكرون أنهم كانوا أُممًا كثيرة، تفرقت في البلاد، فكان منهم أهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر.

---

55 تاريخ الأمم والممالك.

56 قاموس الكتاب المقدس "2/ 112 فما بعدها The Uni. Jew. Enc. Vol. I. p. 218، P. 24،Hastings

ويعرف أهل عمان والبحرين بـــ "جاسم"، وجاسم هم من نسل عمليق على زعم أهل الأخبار. وكان من العمالقة أهل المدينة، ومنهم "بنو هف" و "سعد بن هزان" و "بنو مطر" و "بنو الأزرق". وكذلك سكان نجد، ومنهم بديل وراحل وغفار، وكذلك أهل تيماء[57].

وكان ملكهم "الأرقم"، وهو من العمالقة[58]. وهو من معاصري "موسى" على رواية الهمداني. وقد أرسل "موسى" عليه جندًا لمقاتلته ففتك بأتباعه أهل تماء وبقية عمالقة الحجاز.[59]

ويذكر بعض أهل الأخبار أن "العماليق" لحقت بصنعاء قبل أن تُسمّى صنعاء، ثم انحدر بعضهم إلى يثرب، فأخرجوا منها "عبيلًا"، وسكنوا في ديارهم، وذهبت "عبيل" إلى موضع "الجُحْفَة"، فأقبل السيل فاجتحفهم، فذهب بهم، فسميت الجحفة[60]. وذكروا أن "موسى" أرسل جيشًا لحرب عماليق يثرب ، ولم نجد في التوراة ذكرًا لمثل هذا الجيش، أو الحرب.

والعمالقة الذين نتحدث عنهم، هم عرب صُرحاء، من أقدم العرب زمانًا، لسانهم اللسان المُضَري الذي هو لسان كل العرب البائدة على حدّ قول أهل الأخبار[61]. بل زعم بعضهم أن عمليقًا، وهو أبو العمالقة، أول من تكلم بالعربية حين ظعنوا من بابل، فكان يقال لهم ولجرهم "العرب العاربة"[62].

ويظهر من فحص هذا المروي في كتب الأخباريين عن العمالقة ونقده أنه مأخوذ من منابع يهودية، فقد ذُكر العمالقة في التوراة، وقد كانوا أول شعب صدم العبرانيين حينما خرجوا من مصر متجهين إلى فلسطين ، وظلوا يحاربونهم، ويكبدونهم خسائر فادحة، وأوقعوا الرعب في نفوسهم، ولهذا ثار الحقد بينهم على العماليق، ويتجلّى هذا

---

57 الطبري "1/ 203" "دار المعارف".

58 الطبري "1/ 203".

59 الإكليل"1/ 74 وما بعدها".

60 الطبري "1/ 20".

61 الطبري "1/ 203 فما بعدها.

62 الطبري "1/ 207 فما بعدها.

الحقد في الآيات التي قالها النبي "صموئيل" لشاءول "saul" أول ملك ظهر عند العبرانيين، قالها لهم باسم إسرائيل: "إياي أرسل الرب لمسحك ملكا على شعبه إسرائيل. والآن فاسمع صوت كلام الرب ، هكذا يقول رب الجنود ، إني افتقدت ما عمل عمليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر ، فالآن اذهب واضرب عماليق ، وحرموا كل ماله، ولا تعفُ عنهم ، بل اقتل رجلًا وامرأة ، طفلًا ورضيعًا ، بقرًا وغنمًا، جملًا وحمارًا" [63].

وهذا الحقد هو الذي جعلهم يخرجونهم من قائمة النسب التي تربطهم بالساميين [64]، وقد كانت منازل العمالقة من حدود مصر فطور سيناء إلى فلسطين. وعدم ذكر العبرانيين لهم في جملة قبائل العرب لا يدل على أنهم لم يكونوا عربًا، فقد ذكرت أن العبرانيين لم يطلقوا لفظة "عرب" إلا على أعراب البادية، ولا سيما بادية الشام ، ثم إن العمالقة من أقدم الشعوب التي اصطدم بها العبرانيون، وحملوا حقدًا عليها، وهم عندهم وفي نظرهم أقدم من القحطانيين والإسماعيليين."[65]

قال بن خلدون في التاريخ :

وأما بنو إسرائيل فليس عندهم ذكر لعمالقة الحجاز وعندهم أنَّ عمالقة الشام من ولد عملاق بن أليفاز- بتفخيم الفاء- ابن عيصو أو عيصاب أو العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وفراعنة مصر منهم على الرأيين وأمّا الكنعانيون الذين ذكر الطبري أنّهم من العمالقة، فهم عند الإسرائيليين من كنعان ابن حام، وكانوا قد انتشروا ببلاد الشام وملكوها، وكان معهم فيها بنو عيصوا المذكورون ويقال لهم بنو يدوم، ومن أيديهم جميعا ابتزها بنو إسرائيل عند المجيء أيام يوشع بن نون، ولذلك

---

[63] صموئيل الأول، الإصحاح الخامس عشر، الآية 1 فما بعدها.

[64] وأبعد من ذلك ما رأيناه في العصر الحالي من فتاوى الحاخامات الإسرائيليون وما يعكس نية اليهـود في إبـادة أعدائهم من الوجود وممارسة التطهير العرقي في حق كل عربي مسلم ، وهو ما توارد إلينا حين سأل أحد الجنـود الإسرائيليون حاخام يهودي سؤال مفاده هل أقتل العربي الأعزل من السلاح والطفل والمرأه فأجابه بهذه الفتـوى يجب معاملة العرب مثل العماليق أي نقتلهم حتى نستأصل ذكراهم في الأرض.

[65] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – العرب البائدة – جواد علي.

تزعم زناتة المغرب أنّهم من هؤلاء العمالقة وليس بصحيح. وأمّا أميم فهم إخوان عملاق بن لاوذ قال السهيليّ:

يقال بفتح الهمزة وكسر الميم. وبضم الهمزة وفتح الميم وهو أكثر ووجدت بخط بعض المشاهير أمّيم بتشديد الميم. ويذكر أنّهم أوّل من بنى البنيان، واتخذ البيوت والآطام من الحجارة، وسقفوا بالخشب وكان ديارهم فيما يقال أرض فارس، ولذلك زعم بعض نسّابة الفرس أنّهم من أميم، وأنّ كيومرث الذين ينسبون إليه هو ابن أميم بن لاوذ وليس بصحيح وكان من شعوبهم وبار بن أميم نزلوا رمل عالج بين اليمامة والشحر وسالت عليهم الريح فهلكوا.

وأما العرب البائدة من بني أرفخشذ بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ فهم جرهم وحضورا وحضرموت والسلف. فأما حضورا فكانت ديارهم بالرسّ، وكانوا أهل كفر وعبادة أوثان، وبعث إليهم نبيّ منهم اسمه شعيب بن ذي مهرع فكذبوه وهلكوا كما هلك غيرهم من الأمم وأما جرهم فكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية، وقال البيهقي: إنّ يعرب بن قحطان لما غلب عادا على اليمن وملكه من أيديهم ولى إخوته على الأقاليم، وولّى جرهم على الحجاز، وولى بلاد عاد الأولى وهي الشحر، عاد بن قحطان، فعرفت به، وولى عمان يقطن بن قحطان انتهى كلام البيهقي، وقيل إنما نزلت جرهم الحجاز، ثم بنى قطور بن كركر بن عملاق لقحط أصاب اليمن، فلم يزالوا بمكة إلى أن كان شأن إسماعيل عليه السلام ونبوّته فآمنوا به وقاموا بأمره وورثوا ولاية البيت عنه حتى غلبتهم عليه خزاعة وكنانة فخرجت جرهم من مكة، ورجعوا إلى ديارهم باليمن إلى أن هلكوا.

أما بالنسبة لمعنى كلمة "عماليق" أو "عمالقة" فقد سبق لنا تفسيرها ولكن نورد هنا بحثا آخر لتفسير اللفظة:

فلفظ " عماليق هذا في أصله الاشتقاقي مركب من قطعتين :

(عم) :

ويعني (بدوي/ عامي أي من عامة الناس) ويأتي في صيغة الجمع (عمو) أو عامو حيث الحرف الأخير (و) هو أداة الجمع في المصرية القديمة ، وهذا الاسم (عامو — عمو) هو الذي كان يطلق على البدو القاطنين بالشام وبلاد الرافدين (العراق) ، وهو

أيضا الاسم الذي كان يعرفهم به قدماء المصريين منذ أقدم العصور وأولئك هم الذين كان منهم (البدو) الذين غزوا مصر وعرفوا باسم الهكسوس .

يذكر الدكتور لويس عوض (ولقد اقترنت هذه القبائل البدوية (العامو) في نصوص مصر القديمة بغزو الهكسوس لمصر) ، ويذكر الدكتور جمال حمدان (والثابت أن الهكسوس هم العامو كما أسماهم المصريون) ، كما يذكر دكتور سليم حسن (إن المصريين كانوا يسمون الهكسوس انفسهم عامو) ، ثم يذكر معرفا (والعمو الهكسوس) ، بل ونجد من ملوك الهكسوس من يحمل الإسم (عمو) بالفعل كما يذكر دكتور لويس عوض (أن أولئك البدو " العمو " كانوا يتكونون من شعبين أحدهما الآراميون) .

(ليق / لاق / لاك) :

وهو مصطلح سامي كنعاني وآرامي يرتبط بـــ (الجنود / الفرسان) ، ففي حضارات العراق القديم كان يتم تجنيد البدو للعمل كفرق من (الجنود المرتزقة) في خدمة الدولة .

وعند قيام مملكة بابل الأولى وهي مملكة أنشأها بدو (العمو – رو: أي العموريون) كانو يوزعون على أولئك الجنود المرتزقة مساحات من الأراضي (أملاك) كمكافأة لهم وتشجيعا لغيرهم على الانخراط في سلك الجندية لخدمة المملكة ، وقد كان يطلق على هذا النوع من الأملاك في اللغة الآرامية المصطلح (لاك) .

تنطق بالكاف المفخمة (لاق) ، القريبة من حرف القاف وبهذا كان يطلق على (الجندي البدوي) تمييزا له عن باقي البدو وباعتباره أن له هذه الامتيازات من الأملاك المرتبطة بالخدمة العسكرية الاسم (عم أي بدوي + لاك أو لاق = عملاك أو عملاق) ثم منهم اشتقت صيغة (عماليق) ، وقد استمر هذا المصطلح طوال العصور البابلية وخاصة أن معظمها كانت ممالك آرامية ثم عنهم انتقل إلى بدو الشام وغيرهم وصار يطلق بوجه عام على كل البدو الذين يعملون في الجندية وحرفتهم الحرب والقتال ، أي إن هذا المصطلح (عماليق) يشير باختصار إلى (الجنود البدو) ، وأولئك هم الذين تحالفوا لغزو مصر وعرف ملوكهم باسم الهكسوس .[66]

---

[66] قدماء المصرين أول الموحدين – نديم السيار بتصرف.

وكما هو واضح فلا علاقة لهذا المصطلح (عماليق) بمعنى العظمة أو الافراط في الطول ... إلخ ، فذلك مجرد تشابه لغوي .

الهكسوس العماليق من العرب القدماء وتحديدا العرب البائدة :

اصطلح الكثيرون من المؤرخين على تسمية العرب البائدة بالعمالقة وقسموهم إلى قسمين كبيرين هما:

أولاً: عمالقة العراق من أكادين وكلدانين بابلين وغيرهم ، وأبرز مثال عليها دولة حمورابي في بابل والأدلة على أن دولة حمورابي عربية كثيرة ومتعددة منها أسماء ملوكهم ولغتهم.

ثانياً: عمالقة مصر، وهم الذين يسميهم المؤرخون (الهكسوس) وهناك بقايا العمالقة ومنها عاد وثمود، وكان مقامهم بمدائن صالح، وطسم، وجديس وغيرهم، هذا بالإضافة إلى دولة الأنباط في بطرا (البتراء)، ودولة التدمريين في تدمر.[67]

ونضيف نحن عليها الأقسام الهامة التالية :

ثالثا : عمالقة الشام ويقال الجبارين أو الجبابرة

رابعا : عمالقة الجزيرة العربية واليمن

يقول الدكتور جواد علي : وجماع العرب البائدة في عرف أكثرها أهل الأخبار، هم: عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وأميم، وجاسم، وعبيل، وعبد ضخم، وجرهم الأولى، والعمالقة، وحضورًا هؤلاء هم مادة العرب البائدة وخامها، وهم أقدم طبقات العرب على الإطلاق في نظر أهل الأخبار.[68]

لقد كانت شبه الجزيرة العربية هي الوطن الأم الذي غَذّى منطقة الشرق الأدنى بالقَوى البشرية على مر العصور، فلا شك أن شعوب شبه الجزيرة العربية هي شعوب عروبية، سواء ما استقر فيها، أو ما كانت تقذف به بين الحين والحين إلى حدودها الشمالية ، الشرقية والغربية ، ومن البديهي أن منطقة الشرق الأدنى التي اتسعت لهذه الشعوب واصطبغت بصبغتها، إنما هي منطقة عربية خالصة، لا تظهر فيها العناصر

---

[67] المجلد الثامن– مجلة المعرفة.

[68] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – جواد علي.

الغريبة إلا على الصورة التي تظهر بها النباتات الطفيلية وسط المساحات الواسعة من الحقول الزراعية.

وقد عكف النسابون العرب والإخباريون في تصنيف هذا العنصر العربي منذ العصور القديمة ، فقسموا الجنس العربي إلى أقسام ثلاثة شهيرة وهي العرب العاربة والعرب المستعربة والعرب البائدة ، وتلك المصطلحات تعني أن هناك صنفا من العرب هو موغل في العروبة وهي صفة متأصلة فيه وهم العرب العاربة ، وصنف آخر قد اكتسب اللسان العربي بمجاورته للصنف الأول لكنه عربي الأصل والموطن وهم العرب المستعربة ، أما الصنف الثالث أو الطبقة الثالثة فهي طبقة أصيلة في العروبة من حيث اللسان والموطن لكنها كانت طبقة مكونة لعناصر أبيدت وهلكت في الدهر لذلك أطلق عليهم العرب البائدة وقد بينا في هذا الفصل كيف أن هذا الصنف الأخير والذي يعنينا في بحثنا هذا لم يندثر بالكامل وأن تسميتهم بالعرب البائدة هو من قبيل اطلاق الجزء على الكل كتمييز لهم أنهم الصنف الذي تعرضت أقوامه للإبادة والإهلاك كعاد وثمود وغيرهم.

وقد شك كثير من المستشرقين في حقيقة وجود أكثر الأقوام المؤلّفة لهذه الطبقة، فعدّها بعضهم من الأقوام الخُرافية التي ابتدعتها مَخِيلةُ الرواة، وخاصة حين عجزوا عن العثور على أسماء مشابهة لها أو قريبة منها في اللغات القديمة أو في الكتب الكلاسيكية، وقد اتضح الآن أن في هذه الأحكام شيئا من التسرّع؛ إذ تمكن العلماء من العثور على أسماء بعض هذه الأقوام، ومن الحصول على بعض المعلومات عنها، ومن حلّ رموز بعض كتاباتهم مثل الكتابات الثمودية. وقد اتّضح أن بعض هذه الأقوام أو أكثرها قد عاشوا بعد المسيح ولم يكونوا مُمْعِنين في القدم على نحو ما تصوّر الرواة. ولعلّ هذا كان السبب في رسوخ أسمائهم في مَخِيلة الأخباريين.[69]

يقول الأستاذ جواد علي أيضا : ونحن جريًا مع عادة أهل الأخبار في تقسيم العرب إلى الطبقات الثلاث المذكورة، نبدأ بذكر الطبقة الأولى من طبقات العرب، وهي طبقة العرب البائدة.

---

[69] كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – جواد علي.

العموريون صنف من العماليق.. من هم ؟ وماهي فروعهم ؟ وأين تقع بلاد عمورو ؟

1. معنى التسمية :

العموريون هو اسم من أسماء العماليق وهي شعبة تمثل أحد الهجرات القديمة إلى بعض مناطق الرافدين وسوريا والأردن ، وقيل إن هذه التسمية تعني سكان الغرب ولقد أطلقها الأكاديون[70] – وهم من العموريين الأوائل – منذ عصر سارجون/سرجون الأكادي على إخوانهم ممن نزحوا باتجاه الغرب (باتجاه سوريا والشام) ، وفي اللغة السومرية أطلق عليهم اسم "مارتو" التي تحمل المعنى نفسه.

2. بلاد عمورو :

ولقد عرفت هذه المنطقة باسم بلاد عمورو وأطلق على البحر الأبيض المتوسط اسم "بحر عمورو العظيم" كما عرف إله العموريين اسم "عمورو" وهو إله الصيد والحرب وزوجته عاشرة/عشيرة ، ربة المسرات والنشاط وتشبه عشتار.

وتمتد حدود بلاد عمورو لتشمل سورية ولبنان والأردن وفلسطين. بل لقد امتدت إلى بلاد الرافدين بين عام 2100-1800 ق.م.

ورأى قوم في أرض "العموريين" الوطن الصالح لأن يكون أرض أبي الساميين، على حين ذهب قوم آخرون إلى تفضيل أرض "أرمينية" على تلك الأوطان المذكورة. وهكذا انقسموا وتشعّبوا في موضوع اختيار الوطن السامي، ولكل حجج وبراهين.

وذهب "كلي" إلى أن الوطن الأصلي للساميين هو أرض "أمورو" "amurru" "العموريين" وتشمل هذه الأرض، في رأيه، بلاد الشام ومنطقة الفرات، من هذه المنطقة هاجر الساميون، وهو قد توصل إلى نظريته هذه من الدراسات اللغوية[71].

---

[70] الأكاديون : هم ساميو الأصل نزحوا من شبه جزيرة العرب. قام من بينهم الملك المؤسس سرجون الأول الذي استولى على بلاد سومر وتوسع شمالاً حتى بحيرة وان، ووصل بفتوحاته إلى المتوسط وأسس بذلك امبراطورية في بلاد ما بين النهرين وأطلق على نفسه ملك الجهات الأربع ، وهم بذلك لا يختلفون في الأصل والعرق عن العماليق والعموريون الذين يعتبرون إخوانهم لكن في هجرات أخرى ومواطن مختلفة.

[71] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – جواد علي.

3. سلالات العموريون وممالكهم:

ففي الجنوب كانت سلالة ايسن في "لارسا"، ثم قضت على هذه السلالة سلالة بابل الأولى التي تزعمها حمورابي وهي سلالة عمورية أيضاً.

أما سارجون ملك أكاد 2350 ق.م فإن أعقابه ينتمون إلى الهوية العمورية ودليل ذلك اسم أحدهم"نارام سين" الشهير وغيره من الأسماء العمورية الصرفة. ولعل ماري "تل الحريري" التي تقع على الفرات في سورية كانت عاصمة الإمبراطورية العمورية.

وفي الشمال فإن سلالة شمشي أدد 1813 ق.م.التي أسست بلاد أشور كانت ذات أصل عموري أيضاً.

وتتابع التنقيبات في التلال الأثرية السورية أعمالها للكشف عن أبعادها. وليست إيبلا "تل مرديخ" إلا حاضرة عمورية لا تقل أهمية عن ماري، بل لعلها كانت أوسع نفوذاً نظراً لموقعها المتوسط من بلاد عمورو.

أما يمحاض "حلب" وترقا "العشارة" وألالاخ "تل عطشانة" وعمريت وقطنة "تل المشرفة" وتل خويرة ، فإنها مواقع هامة حافلة بالآثار المكتشفة أو هي في طريق الاكتشاف ، وهي تؤكد اتساع الإمبراطورية العمورية، هذه الإمبراطورية التي استمرت حتى منتصف الألف الثاني ق.م، حيث ظهر النفوذ المصري واشتد التنازع بين المصريين وبين البابليين والآشوريين والحثيين. وكان الهكسوس من هؤلاء العموريين الذين هاجروا إلى مصر واستمر حكمهم لها من عام 1785 ق.م-1580ق.م على أقوال كثيرة ولقد تم التعرف على ملوك ماري وإيبلا من خلال ألوف الرقُم التي أوضحت أبعاد هذه الإمبراطورية وأوضحت علاقة المدن ببعضها. وتحدثت عن الحروب التي تمت مع الأقوام أو المدن الأخرى.

4. العموريون فى الرافدين :

كانت بابل المدينة الأولى والأجمل بين مدن غربي آسية، ويبدو أن هناك هجرة عمورية أخرى خرجت فعلاً من سوريا الشمالية ، في اتجاه آخر وذلك في فترات متقطعة بين 2300 و2150 وحتى 2000 ق.م، وقد غزت فلسطين، وظهر ذلك واضحاً في حضارة أريحا ولاكيش وتل بيت مرسيم ومجدو وبيت شان، كما غزت الساحل السوري، ويشير إلى ذلك تدمير مدن عصر البرونز المبكر الرابع بفلسطين، كما يظهر أيضاً على ساحل فلسطين، وعلى الساحل السوري في جبيل وأوغاريت وصور وصيداً. ولكن هؤلاء سرعان ما ذابوا في إخوانهم من العموريين والكنعانيين الذين سبقوهم إلى الاستقرار والتطور والسكن داخل المدن المحصنة وترك مرحلة البداوة.

كان العموريين البدو يسمون انفسهم باسماء قبائلهم. تشير مصادر الألف الثالث ق.م المسمارية إلى أن العموريين كانوا جماعات بدوية تغلغلت من الجزيرة العربية إلى أواسط بلاد الرافدين وجنوبيها. وتطلق عليهم المدوّنات السومرية اسم مارتوMar-tu ؛ أما الأكدية فتسمّيهم أَمُورِّم Amurrum أي الغربيين أو أهل الغرب.

انتشر العموريون في أواخر العصر الأكدي في مناطق الجزيرة الفراتية، واستمر تسرّبهم في عصر سلالة أور الثالثة إلى مناطق بلاد الرافدين الداخلية على شكل هجرات قبلية متتالية، كانت تربية الحيوانات العمل الرئيسي للبدو العموريين كما تدل على ذلك المصادر المكتوبة. فقد كانوا مربي أغنام في المقام الأول يتجولون بقطعانهم في مناطق البادية بحثاً عن الكلأ والماء، ويعيشون من منتجاتها المختلفة واللبن ومشتقاته والصوف، وكان العموريون قبائل يقوم على رأس كل منها شيخ مسؤول يسير شؤونها المختلفة بالتشاور مع مجلس يضم كبار رجالات القبيلة ورؤساء العشائر والأسر الكبيرة ولم تكن هناك قوانين مكتوبة تنظم شؤون المجتمع البدوي بل كانت لهم أعراف وتقاليد لها فعل القانون، وهدفها حماية المجموعة القبلية والأفراد معاً، وكانت تتناسب مع الحياة التي تحياها هذه المجموعة.

لم يترك العموريون نصوصاً أو كتابات بلغتهم، والسبب في ذلك هو أنهم كانوا عند دخولهم مدن بلاد الرافدين والشام بدواً لا يعرفون القراءة والكتابة.

وأخذ العموريون حضارة السومريين والأكاديين، فازدهرت مملكة ماري ازدهاراً عظيماً وسيطرت على طرق المواصلات التي تصل الخليج العربي بسوريا والأناضول قرابة قرنين 1950 ق.م - 1750 ق.م.

أما حضارة العموريين فهي حضارة البابليين في جميع وجوهها.

5. العموريون العماليق يحكمون كل ممالك الشرق القديم بأسماء مختلفة :

لا نرى في تاريخ العالم القديم أغرب وأعجب من هذه المجموعات البشرية الهائلة التي عرفت باسم العموريون أو العماليق ، فامتدادهم الجغرافي ليس له مثيل في كل أنحاء الشرق القديم ، وانتشارهم في البلاد لم يضاهيه أي انتشار آخر ، وكانت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يحدث هذا مع هؤلاء الأقوام الذين تميزوا بمميزات عديدة منها قدرتهم على استيعاب الثقافات المختلفة ، وقدرتهم على تعلم اللهجات المتباينة ، والاصطباغ بالثقافات المختلفة ونقلها من بلد لبد أثناء موجات ترحالهم وهجراتهم ، بل وقدرتهم العجيبة على التحول من حياة البداوة إلى حياة التمدن أو العكس إذا استدعى الأمر ، وهذه المميزات مصحوبة بطموح كبير في قيادة العالم وقتها جعل من هؤلاء العموريون حكاما لكل مناطق الشرق القديم بلا استثناء تقريبا ، وقد عرفوا عن الإخباريين العرب باسم العماليق كما عرفوا عند المصريين بالعمو كما بيّنا كثيرا ، ثم إنهم حكمو بابل في العراق بإسم الأكاديين ثم البابليين الذين كونوا السلالات الحاكمة، كما حكموا شمالها باسم الآشوريين ، وأقاموا مملكة عمورو في سوريا وما حولها ، وأقاموا عدة ممالك في باقي بلاد الشام وأجزاء من فلسطين والأردن باسم الكنعانيين واليبوسيين ، بل إنهم حكمو مصر أيضا — كما تقدم — بإسم الهكسوس أو العمو كما عرفهم المصريون ولاحقا عرف الإخباريون العرب عماليق مصر باسم الفراعنة !.

حيث يسجل التاريخ هجرات العماليق العموريون والكنعانيين من الشام والرافدين ووصولهم إلى مصر ، ويفترض الباحثين أن العموريين العماليق العروبيين الساميين وهم عماليق الشام والرافدين قد ضاقوا ذرعا بهجمات الشعوب الآرية (الهندو إيرانية) والتي بدأت في الطغيان عليهم في أماكنهم الواسعة في الرافدين وممالك سوريا والشام ومدنها ، فتحول الكثير منهم إلى البداوة مرة أخرى بعد أن سقطت بعض مدنهم وهو افتراض غير صحيح وسبب غير دقيق تاريخيا.

لكن الأصح هو تزامن ظهورهم على مسرح الأحداث في مصر مع حدوث مجاعات وموجات جفاف في غرب آسيا ، فأحدث ذلك ضغطا على حدود مصر الشرقية دفعت ببعض من عماليق الشام أي العموريين والكنعانيين للتروح إلى شرق مصر.

ثم تبعهم بعد ذلك بعض أصحاب الهجرات الآرية إلى مصر وهي عناصر قليلة جدا، ثم استغلوا ضعف السلطة في مصر فأسقطوها بسهولة وقد كان نفوذهم العسكري قد بدأ بالظهور وذلك خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، واستمر نفوذهم هذا حتى قبيل عصر البرونز المتأخر في مصر، وبقي في بلاد كنعان قوياً حتى خلال القرن الأول من عصر البرونز المتأخر.

ومن هنا يظهر كيف جاءت ثقافة المدن المحصنة والطوارات الضخمة على الطراز الآري - الفارسي إلى مصر، حيث أقيمت عاصمتهم أواريس / أفاريس على هذا الطراز الغريب عن أرض مصر [72]، ولم ينحصر ذلك الطراز على مدن الهكسوس في مصر فقط بل نجده أيضا جلاء في كل مدن سوريا القديمة السالفة الذكر وقد تبين من الصور المدرجة كأمثلة (مراكز العموريون أو الهكسوس في سوريا) ، والمدن الواقعة على نهر الفرات وكذلك مدن فلسطين بما فيها مدينة شاروهين التي بنيت كحصن وتعد من أحصن نقط الهكسوس والتي حاصرهم فيها أحمس لسنوات بعد طردهم من مصر.

وتشير الحفائر أيضاً إلى أن العموريين العماليق وصلوا من شمال سوريا مع بداية عصر البرونز المتوسط، وساندوا الأكاديين أبناء جنسهم فسيطروا على السومريين، وأخضعوهم لسلطانهم ، وذلك نحو 2237 ق.م وقد برز منهم ملك لمدينة عرفت باسم بابل ، واسمه "ساموابم" ولكن سرعان ما أصبح قوياً فعين نفسه ملكاً وذلك في نحو 2105 ق.م وهو يعتبر مؤسس مملكة بابل الأولى، التي كانت عاصمتها مدينة بابل، ولكن هذه المملكة قويت وأصبحت بعد ذلك بقرن كامل ، عاصمة أول امبراطورية عربية عظيمة في أرض الرافدين وذلك على يد حمورابي الشهير.

والناظر بعين التأمل إلى هذه الشعوب يجد أن هؤلاء الذين عرفوا بإسم العموريون لا يمثلون نسبا معينا بقدر ما يمثلوا أغلب الفروع التي تكونت من أبناء سام الخمسة المذكورين في التوراة وغير المذكورين فيها ، فالآشوريون بهذا المفهوم يعدون منهم ،

---

[72] يرجع في هذا إلى الفصل السابق في الفقرة التي تتحدث عن عروبة فلسطين وشعوبها.

والبابليون الأكاديون كذلك ، وكل سكان الهلال الخصيب بأسمائهم المختلفة وفروعهم المتعددة يعدون منهم ، وجميعهم من سكان شبه الجزيرة العربية وفدوا منها بين حين وآخر بعد تصحر أراضي الجزيرة العربية وعدم صلاحية أغلبها للمعيشة وفقدانها أسباب الحياة.

غير أن الجدير بالذكر ها هنا أن منهم أيضا كل الأبناء المجهولين من نسل لاوذ أو لود بن سام بن نوح عليه السلام وفقا للتقسيم التوراتي ، وعلى هذا فإن العموريين هؤلاء وهم من عرفوا عن الإخباريين العرب بإسم العماليق كان منهم من ينسب إلى لاوذ بن سام كما كان منهم من ينسب إلى آرام أو إرم بن سام بن نوح عليه السلام وهو الأمر الذي يشكك في الروايات التي تنسب العماليق إلى أب واحد من أبناء لاوذ بن سام .، فنقرأ في الكثير من مدونات الإخباريين عن وجود العماليق في اليمن جنوبا، ونزوح بعضهم إلى مكة ، بل وإلى يثرب أيضا حيث ينسبون أهل يثرب إليهم ، ومن الإخباريين من يقرر بتفرق العماليق في البلاد ، فكان منهم من تم اعتباره من العرب البائدة لهلاكهم كعاد وثمود وطسم وجديس وغيرهم ، كما كان منهم من بقي حتى عصور تالية كجميع الفروع العربية التي بقي منها الكثيرون حتى يومنا هذا ، وعلى هذا ينبغي النظر إلى العموريين على أنهم هم الامتداد التاريخي القديم للكثير من السلالات العربية الحالية في الشام والرافدين وشمال الجزيرة العربية بل وشمال أفريقيا أيضا ، ومن المنطقي هاهنا أن نستوعب كيف حكم هؤلاء كل ممالك العالم القديم تقريبا بأسماء مختلفة وفي فترات مختلفة متتالية وأحيانا متعاصرة.

مسميات مختلفة وأصل واحد

يبدو أن تمييز الهكسوس بمسمى "حقاو-خاسوت" في مصر القديمة كان يطلق في بادئ الأمر على الطبقة الحاكمة منهم ثم لم يلبث المسمى وأن تم تعميمه على كل الهكسوس فيما بعد.

أما بعد انتشار تفسير مانيتون لكلمة هكسوس وفقا لما نقله لنا يوسفوس فقد ساد في العصر الحديث مسمى الهكسوس وطغى تماما على كل المسميات الأخرى و لم يعد في مدونات التاريخ بمختلف اللغات أي بديل آخر يمكن أن يستخدم للتعبير عن هؤلاء القوم إلا كلمة "هكسوس" رغم أننا نجد لهؤلاء القوم بدلا من المسمى الواحد مسميات عديدة بمشتقاتها كما استعرضنا في كل المحطات السابقة التي توقفنا عندها ومنها العمو ، العموريون / العموريون ، العماليق ، الجنود البدو ، فرسان الصحراء، أمراء الخيل ، الملوك الرعاة ، حكام البلاد الأجنبية ، الهكسوس ، منيو ستت ، حقا خاسوت ... وغيرها من المسميات التي أطلقت على هؤلاء القوم الذين استطاعوا السيطرة على بلاد كثيرة منها مصر وحكموها لفترة طويلة من الزمان .

وأيا كان المسمى المستخدم للتعبير عن هؤلاء الطائفة من البشر فلا نحتاج الآن بعد كل ما استعرضناه من معلومات ومصادر من أن نؤكد أن الهكسوس العماليق كانوا من الساميين العروبيين الذين وفدوا من أرض كنعان / فلسطين ومن سوريا وما حولهما من ربوع الشام والرافدين ، وأن من كان يسكن كل البلاد المحيطة بهم كانوا من نفس الأصول حتى وإن اختلفت المسميات وفقا لثقافة المناطق التي سكنوها واختلاف زمن الهجرات التي وفدوا خلالها.

فنجد المزيد من المسميات التي عرفناها من التاريخ المقارن كالأكاديين البابليين في ممالك بابل والرافدين وهم عموريون من العرب القدماء.

ونجد منهم الأدوميون العمونيون والحشمونيون الذين سكنوا غور الأردن وماحوله وهم أيضا من قبائل العموريون بالإضافة للعنصر البارز القديم الذي استوطن غرب الشام وهو العنصر الكنعاني الذي تسمت كامل الأرض بمسماهم وهي أرض كنعان.

وغيرها الكثير والكثير من الأطياف البشرية التي سكنت في كل أرجاء الشام والرافدين والهلال الخصيب بالكامل وشمال الجزيرة العربية بل وفي أرجاء جزيرة العرب

نفسها حتى اليمن جنوبا كلها بلا استثناء أطياف عروبية تنتمي لقبائل العرب المختلفة وأبناء عمومتهم من العناصر السامية العروبية التي ينتمي لها الهكسوس.

أحوال فلسطين قبيل غزو الهكسوس لمصر :

كانت فلسطين كغيرها من بلاد الشرق القديم عامرة بالسكان الذين استعمروها منذ فجر التاريخ وأنشأوا فيها الممالك المختلفة كمدن مستقلة أحيانا أو موحَّدة مع مدن مجاورة أحيانا أخرى ، وكانت تعرف في تلك الأوقات ببلاد كنعان أو بأرض كنعان ، ويبدو أن لطبيعة الأرض في تلك الأصقاع علاقة بهذا الإسم الذي أطلق عليها فيفسرها المؤرخون بأنها تعني "الأرض الواطئة" أي المنخفضة ومنها اشتق المصدر "كنع/خنع" في اللغات السامية عموما أو "قنع" كما في اللغة العربية وهو يعني "انخفض" و "وطِئ".

ومن هنا نفهم أن الكنعانيون وهم من العموريين العرب الذين من المفترض أنهم هاجروا من الجزيرة العربية في عصور سحيقة إلى فلسطين والشام وبالتالي هم أول من مثلوا سكان أرض كنعان وقد كان مفهوما من هذا المسمى بأنهم سكان الأراضي المنخفضة ، لكن التوراة تربط تسميتهم بإشارة واضحة إلى أحد الجدود المفترضين وهو كنعان بن حام بن نوح وهو الافتراض المشكوك في صحته بالنسبة إلينا.

أما العموريون فتباينوا عن إخوانهم الكنعانيون في الاسم بسبب اختلاف موعد وفودهم منذ هجراتهم المبكرة إلى أرض الشام بالإضافة إلى سكناهم في الأراضي المرتفعة نوعا ، وهو ماله علاقة أيضا بتسميتهم ، ويبدو أن إسم "أمور / عمور " يعني المرتفع أو العالي وهو ما يشير إلى الأراضي العالية أو المرتفعة في الهضاب والجبال التي سكنها العموريون في فلسطين وسوريا والأردن وغيرها من البلاد.

وقد كان من أصناف العموريون والكنعانيون طوائف أخرى بمسميات مختلفة تركزت في بقع مجاورة من أرض فلسطين والشام ، وقد ميزنا منهم الفينيقيون و اليبوسيون والآراميون والآشوريون والبابليون و الهكسوس وهو التسمية التي أطلقت في عصور لاحقة على من هاجر منهم إلى مصر كما رأينا .

ومصطلح (كنعانيون) قد يعني ما له علاقة بصناعة صباغة الجلود، الأرجوان والألوان، أو الاتجار بها، والتي كانت مهنة السكان في العصر البرونزي، و الكنعاني هو تاجر البضائع الأرجوانية، وهناك قول أن الاسم مشتق من الفلاحة، و الكنعاني، هو

الفلاح الذي يسكن في المروج أو العامل بالزراعة، و الكنعانيون تعني أيضا، شعب الجبارين وهو لفظ قرآني [73]، وموطن الكنعانيين الأصلي هو شبه الجزيرة العربية، وارض نجد والحجاز واليمن، وسكن الكنعانيون أرض فلسطين، وسكن الآراميون باقي أرض بلاد الشام من جهة وسط سوريا وشمالها ، وسكن الفينيقيون أرض لبنان، وسكن البابليون أرض العراق، ما بين النهرين، وسكن الآشوريون أراضي شمال العراق ويعتبر العموريون والكنعانيون هم أول من سكن ارض فلسطين الحالية ، ومدينة بيت المقدس، منذ حوالي 3500 عام قبل الميلاد، وعرفت الأراضي التي سكنوها في فلسطين وأقاموا عليها حضارتهم، باسمهم "أرض كنعان".

أما اليبوسيون فهم بطن من بطون القبائل الكنعانية، التي كانت قد هاجرت من شبه الجزيرة العربية أيضا في وقت مبكر جدا ، وسكنت داخل الأراضي الكنعانية التي لم تكن بالطبع في ذلك الزمان قد عرفت بفلسطين بعد وهم أول من سكن وبنى مدينة بيت المقدس ، وقد حدث هذا قبل عام (3500) ق.م.

وعرف عن اليبوسيين بداية حياتهم، بأنهم كانوا وثنيين، ثم تحولوا إلى عبادة بعض الآلهة المختلفة نوعا ، وقد روت التوراة أن الملك (ملكي صادق) كان من الموحِّدين وقال بعض الحاخامات أنه كان من الأنبياء ، و كان يملك كهفا قريبا من ضواحي القدس في ذلك الزمان، ويستعمله للعبادة والاعتكاف، وكما صورت لنا التوراة بأنه كانت يربطه نوعا من علاقة الصداقة مع سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء حيث تروي التوراة أن ملكيصادق قد أستقبل إبراهيم عليه السلام وأكرمه وقدم له الخبز و الخمر فقدم سيدنا إبراهيم بدوره لملكيصادق العشر من الغنائم التي قد غنمها وهي الرواية التي نشكك فيها بكل تأكيد لما تحمله من معان لا تليق بمقام إبراهيم عليه السلام بالإضافة للشكوك التي تحوم حول شخصية ملكيصادق المذكور . [74]

---

[73] قال تعالى : (قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) . سورة المائدة

[74] انظر كتاب ظهورات المسيح الدجال للأستاذ منصور عبد الحكيم – نشر دار الكتاب العربي ، وانظر سفر التكوين في الحديث عن ملكيصادق وواقعة لقاؤه بإبراهيم عليه السلام ، وانظر أيضا الحكاية العجائبية لولادة ملكيصادق بسفر أخنوخ من مخطوطات وادي قمران التي لا يعترف بها اليهود

لكن تلك الواقعة المذكورة وإن لم تثبت فهي تؤكد بأن اليبوسيين كانوا من العرب القدماء.

وكان أول من حكم بيت المقدس من ملوك اليبوسيين هو الملك "سالم/ساليم"، ويقال بأن مدينة بيت المقدس كانت تدعى بمدينة (أور-سالم) نسبة إلى الملك سالم، ومعناها عند الكنعانيين "مدينة السلام"، وقد تطور هذا الاسم مع مرور الزمن حتى أصبح على حالته اليوم. وإن أول من بناها هم العرب اليبوسيون، وبنوا فيها حصناً خاصاً، ليتحصنوا به في حال الحرب، كما بنوا حولها سوراً من الطين[75].

وتظهر فسيفساء، ترجع إلى امبراطورية حمورابي البابلية أمراء محليين كانوا يتقاسمون بلاد كنعان "فلسطين وعمورو، أو سوريا" وكان أهم أولئك الملوك الكنعانيين أو الفلسطينيين ملك "يبوس" أو "أورشيليمو" وكانت تمتد مملكته حتى الكرمل، وهكذا تبدو أورشيليمو، مدينة ملك السلام، معروفة منذ العهد البابلي، وفي جنوب فلسطين في النقب تفيد حفائر "نلسون جلويك" أن النقب كان عامراً بالسكان خلال عصر البرونز المتوسط حيث عثر على "قرى كثيرة صغيرة من الحجر تسكنها أقوام نصف بدوية، منتشرة في كل المنطقة القاحلة التي تقع جنوبي بئر سبع.

وتدل أسماء الآلهة الكنعانية على عروبة أصل سكانها أيضا وأهم هذه الآلهة "عليان بعل- عناة- عشيرة أو عشتر- مت- ايل- حارون- شالم أو شليمو -داجون"[76].

ومن هنا نفهم كما قد برهنا في الفصل السابق أن فلسطين كانت عامرة بالسكان من الكنعانيين والعموريين عمالقة الشام واليبوسيين وكلهم من الشعوب العربية القديمة منذ آلاف السنين قبل التاريخ وأن هذه الطوائف من السكان كانت مستقرة وراسخة المدنية في أرجاء فلسطين والشام منذ عصور طويلة، لكن هذا الاستقرار كان يتهدده

---

[75] أحمد فؤاد القاسم - ألف سؤال وجواب عن مدينة بيت المقدس.

[76] انظر المعتقدات الكنعانية - خزعل الماجدي.

[76] حمورابي : حمورابي (حمورابي بالأكدية تلفظ أمورابي وتعني المعتلي) حكم بابل بين القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد حسب التأريخ المتوسط هو من العموريين، وهو سادس ملوك بابل وهو أول ملوك الإمبراطورية البابلية، ورث الحكم من ابيه سين موباليت ,كانت بلاد الرافدين دويلات منقسمة تتنازع السلطة ،فوحدها مكونا إمبراطورية ضمت كل العراق والمدن القريبة من بلاد الشام حتى سواحل البحر المتوسط وبلاد عيلام ومناطق أخرى. وكان حمورابي شخصية عسكرية لها القدرة الإدارية والتنظيمية والعسكرية. ومسلته الشهيرة المنحوتة من حجر الديوريت الأسود والمحفوظة الآن في متحف اللوفر بباريس، تعتبر من أقدم وأشمل القوانين في وادي الرافدين بل والعالم.

من وقت لآخر موجات ونوبات من الهجمات التي يشنها بعض جيرانهم من الممالك الأخرى حين ينشب صراع ويطفو على السطح ، وبالتالي فإن دوام الاستقرار كان متوقفا على الأحوال السياسية السائدة في منطقة الشام والمناطق المحيطة بها كبلاد الرافدين ومصر وغيرها من البلدان المحيطة.

ومن الملحوظ في تلك الآونة حدوث تغيرات كبيرة في الدول المجاورة مثل بابل وآشور وممالك سوريا كمملكة ماري ووإيبلا وغيرها من الممالك القوية.

فمن المعروف أن القرن الثامن عشر قبل الميلاد شهد بزوغ نجم الملك الأكادي العموري حمورابي [77] والذي بدأ في توحيد ممالك الرافدين وسوريا في إمبراطورية واسعة وضم تلك الممالك المتناثرة في العراق وسوريا إلى دولة بابل الموحدة كما نشر الثقافة البابلية الأكادية ذات الأصل العموري في كل ربوع امبراطوريته مترامية الأطراف.

وربما يكون لفتوحات حمورابي في سوريا والشام بعد ضم ممالك ماري وإيبلا وقطنة وغيرها إلى امبراطوريته الأثر الكبير في نزوح أعدادا كبيرة من البشر والتركيبات السكانية إلى غرب الشرق الأدنى في اتجاه فلسطين ومصر وهو الافتراض الذي يحتاج إلى تحقيق واسع للتأكد من صحته والنظر بتمعن في التاريخ المقارن لكل من مصر وفلسطين والشام والرافدين.

لكنا نقرأ من وقت لآخر أن الهكسوس قد تدافعوا في هجرات هادئة وموجات متعاقبة في اتجاه مصر بفعل ضغط الحيثيين على الرافدين والهلال الخصيب ، في حين أننا نرى تحقيق هذا الافتراض تاريخيًا قد يكون مستحيلا نظرا لأن هجوم الحيثيين المفترض على شمال سوريا والعراق قد تم في عصر متأخر نسبيا وفقا لأحدث الفرضيات عن ذلك الوقت الذي يرجح فيه بداية تواجد الهكسوس في مصر.

يقول الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور:

"تدل ظواهر الأحوال على أن منطقة الشرق الأدنى القديم تعرضت لأحداث كثيرة متتالية في الوقت الذي أشرفت فيه الدولة الوسطى على النهاية، فقد قضت بابل على

[77] ظلت بلاد الرافدين تحت وحدة امبراطورية حمورابي وأبناءه فترة ليست بالقصيرة ولم يبدأ ظهور الحيثيين على مسرح الأحداث إلا في وقت متأخر من حكم سلالة بابل الثانية ، ولم يستولي الحيثيين على بابل إلا في عهد الملك سامسو ديتانا البابلي حفيد حمورابي والذي عاصره الملك الحيثي مورسيليس وكان ذلك في حوالي منتصف القرن السادس عشر ق. م على اختلاف في تأكيد ذلك التاريخ.

الممالك المجاورة لها، بينما أخذ "الحوريون" أو "الميتانيون" يستولون على بعض البلاد السورية- ولا شك في أن هذه التحركات كانت ذات أثر في هجرة وتسلل الكثير من العناصر الآسيوية إلى شرق الدلتا على الأرجح- ولم يمض على استقرارهم وقت طويل حتى أصبحوا قوة يخشاها المصريون، واستفحل خطرهم وزاد إلى أن تمكنوا من فرض سلطانهم على مصر وجعلوا عاصمتهم أواريس".

وهو بذلك يفترض أن تحركات الحوريون الميتانيون إلى سوريا هو ما أدى إلى نزوح السكان الساميون العروبيون إلى شرق الدلتا وهو الافتراض الذي لا يتسق مع التأريخ الثابت والحقائق التاريخية التي تؤكد أن تحركات الميتانيون والحيثيون بدأت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد أي بعد احتلال الهكسوس لمصر بقرنين من الزمان بل وبعد خروجهم منها أيضا.

أما الفرضية التي يمكن قبولها أكثر من غيرها هي بداية نزوح هذه الطوائف الكنعانية والعمورية بدافع الجوع الذي كان قد بدأت بوادره تظهر في التخوم المحيطة بالمدن والممالك المستقرة وقد بدأ يضرب بالجدب صحراء كنعان وشبه جزيرة سيناء التي كانت مسكنا طبيعيا أيضا لقبائل العماليق ، مما دفع هؤلاء بشكل تلقائي وعفوي إلى التروح غربا في اتجاه وادي النيل والتمركز بشكل مكثف وتدريجي في شرق الدلتا وقد كانت الظروف السياسية السائدة في مصر تسمح بمثل ذلك نظرا للصراع الذي كان دائرا على الحكم وعدم استقرار الدولة المصرية تحت حاكم قوي وبالتالي تراخي النظام والضبط مثلما كان معتادا في الدولة المصرية مما أدى إلى عدم التفات السلطة التي كانت تحكم لهؤلاء النازحين الذي استمر تسللهم التدريجي حتى جاءت الفرصة المناسبة ليعلنوا عن أنفسهم ووجودهم كحكام لإقليم شرق الدلتا في مصر.

وبالطبع فإن ذلك الانحلال الذي وقع في مصر في أواخر عهد الأسرة الثانية عشر والثالثة عشر المصريتين قد انعكس بشكل مباشر على فلسطين التي تراخت قبضة مصر عليها بعد السيطرة المعروفة التي كانت في عهد الملك أمنمحات الأول وخلفاءه الأقوياء من ملوك الدولة والوسطى ، فكما هو معلوم من عهد أمنمحات توسعه بحدود المملكة المصرية إلى فلسطين وأجزاء كبيرة من الشام وقد استمرت تلك السيطرة في عهد ورثته من ملوك الدولة الوسطى واستمرت الحملات الحربية على الشام في عصر كل ملوكهم كما تواصلت البعثات للتنقيب في محاجر ومناجم سيناء وأشهرها

مناجم سرابيط الخادم التي ما زالت موجودة حتى اليوم في شبه جزيرة سيناء ، كما نقرأ أيضا عن إخماد ثورات البدو العماليق الذين كانوا يقطنون في سيناء ويسميهم المصريون بـــ"سكان الرمال" وكانوا يتمردون على السيطرة المصرية بين آونة وأخرى لكن القبضة القوية لملوك مصر في الدولة الوسطى لم تتراخى حتى حلت نهاية الأسرة الثانية عشرة ، لكن في عهد الأسرة الثالثة عشرة بدأ عصر الانحلال والتنافس على الحكم مما جعل الفوضى تضرب أطنابها على ربوع مصر وتتراخى قبضة الجيش المصري على فلسطين والشام ومن ثم تتراخى أيضا على حدود مصر الشرقية والغربية وكذلك الجنوبية ، مما فتح المجال لاستقلال حكام الممالك الفلسطينية والشامية بمدنهم وممالكهم مرة أخرى بل وبداية استغلال الفرصة بدخول القبائل الكنعانية والعمورية إلى مصر.

ونستطيع أن نرى طوالَ فترة حكم ملوك تلك الأسرة كيف أن الأحوال كانت مستقرة بعد النشاطات المكثفة للملوك الأول من الأسرة الثانية عشر كأمثال أمنمحات الأول والثاني مرورا بسنوسرت الثالث صاحب الفتوحات العظيمة والحملات الناجحة في سيناء وفلسطين والشام ، إلى جانب صحوة النشاط التجاري مع ممالك سوريا في ذلك الوقت والاحترام الذي كانت تحظى به مصر عند السوريين ، حتى إن الأمر لم يكن يستدعي أي حملات في عهد أمنمحات الرابع الذي ترك له سلفه أمنمحات الثالث المملكة المصرية وهي في أوج عظمتها وقوتها وسلطانها على جيرانها من كل النواحي.

ونرى في نصيحة الملك خيتي من الأسرة العاشرة لابنه "مري كـــا رع" اشـــارات واضحة عن طبيعة الأحوال في فلسطين وسيناء وحدود مصر الشمالية الشرقية وشعوره بالخطر من تلك الأصقاع على المملكة المصرية حيث وجه تعاليمه لابنه عندما شـعر بقرب وفاته وهي التعاليم التي اشتهرت بتعاليم "خيتى" و من أهم عناصر هذه التعاليم فيما يخص حديثه عن سيناء وفلسطين ، حيث حذر ولده بأن أكثر المناطق خطرا على حدود مصر هى المناطق الشمالية الشرقيه في إشارة إلى سيناء وحدود فلسطين المجاورة لها لأنها تتعرض دوما لغزو من القبائل الآسيوية التى تأتى لأرض مصر بحثا عن الـــرزق وعن الحياة كما نصح الملك خيتى ابنه فى تلك التعاليم بعدة نصائح لحل تلك المشـــكلة وأهمها من وجهة نظره أن يقوم بتهجير الشباب ليســـتقر فى تلـــك المنـــاطق ويقـــوم

بتعميرها لأن العدو يخشى مهاجمة الأماكن المعمورة بالسكان وأن الشباب يستطيعون الدفاع عن تلك الأرض اكثر من غيرهم.

وقد كان في رأيه أن الخطر العظيم لا يحيق ببلاده إلا من الأجانب النازحين من آسيا واعتقد كذلك أن العناية يجب أن توجه إلى الشمال مترح أولئك الآسيويين ولعله بذلك كان يسترجع ذكريات مماثلة وقعت قبل ذلك العصر بقرون وهو العصر الانتقالي الأول بعد سقوط الدولة القديمة حيث غزا الآسيويون الدلتا وانتشروا انتشارا كبيرا لكنهم لم يمثلوا قوة منظمة مثلما حدث من الهكسوس في العصر الانتقالي الثاني لكن الأحوال كانت في فوضى كبيرة في العصر الانتقالي الأول قبل أن تستعيد الدولة الوسطى النظام في ربوع القطر مرة أخرى ، كما حذره من أولئك البدو الذين يتمنطقون الحزام موصيا إياه بوجوب إقامة حصونا لصدهم في مصر السفلي.

وقد ورد في تعاليم "مري كا رع" ما نصه:

و"العمو" التعساء ... بلادهم التي يعيشون فيها لا تُسكن ، إذ لا ماء فيها ولا شجر يكثر ، وطرقها وعرة لما يتخللها من الجبال فهم لا يسكنون في مكان معين بل دائما يرخي الواحد منهم لساقيه العنان ، وهم دائما في حرب منذ زمن "حور" ، فهم لا يَهزمون ولا يُهزمون ، وهم لا يعلنون يوم هجومهم ، فمثلهم في هذا كمثل من يقوم بمؤامرة"[78]

وكان لخيتى أنشطة عسكرية عديدة، ليس فقط ضد "طيبة" فى الجنوب، وإنما فى منطقة الدلتا أيضاً، وذلك لمواجهة أخطار جماعات الآسيويين الذين كانوا يقومون بالاعتداء على المسافرين.

وامتد نشاط خيتي العسكرى إلى منطقة البحيرات المرة، وقد نصح ابنه بتحصينها لمواجهة هجمات قطاع الطرق من البدو.

لذلك كان أكبر ضمان ضد جار كهذا ، أن يقيم المصريون المعاقل والحاميات على الحدود وقد فطن لذلك المصريون منذ عهد ما قبل التاريخ فأقاموا الجدران والحصون ، وهو ما كان موجودا على هيئة نقاط حصينة ودوريات تفتيش في عهد الأسرة الثانية عشرة حيث كان الطريق تحت الرقابة الشديدة عند الحدود الشرقية لحماية طريق

[78] موسوعة مصر القديمة – سليم حسن – الجزء الثالث ص 421-422.

"حور" المؤدي إلى شمال سيناء ثم فلسطين وكانت قلعة "ثارو" الحصينة تقع في شمال سيناء (بالقنطرة شرق حاليا وتحديدا بتل حبوة) على طريق حور المذكور والذي يؤدي إلى الصحراء مرورا بوادي طليمات.[79]



موقع الحفريات بتل حبوة – قلعة ثارو

ونفهم من ذلك أنه حتى انتهاء عصر الأسرة الثانية عشرة المصرية كانت الحدود الشرقية محصّنة تمام التحصين وتحت الرقابة المشددة تحسبا لأي هجمات قد تأتي بغتة من الجهة الشمالية الشرقية أي من جهة سيناء وفلسطين ، بل إن سلطات الحاكم المصري في عهد تلك الأسرة كانت ممتدة إلى داخل حدود فلسطين والشام.

لكننا نلمس الشعور بالخطر الداهم والاحتراز المتواصل من قبل الملوك المصريين تجاه سكان فلسطين والشام منذ أواسط عهد الدولة الوسطى حيث تذكر لنا نصوص اللعنات Execration texts المصرية حوالي 1810-1770 ق.م أن قيادات الأمراء والشيوخ المحليين في فلسطين قد نشأت في مدن وقرى كنعان[80] ، وتذكر تلك النصوص التي كتبت على كسر فخارية بالهيراطيقية المصرية القديمة أسماء المدن وحكامها حيث كان المصريون في عاداتهم يكتبون أسماء أعدائهم على الأواني ثم

---

[79] المصدر السابق.

[80] تاريخ فلسطين القديم – خزعل الماجدي.

يحطمونها كأحد طقوس السحر التأثيري الذي يهدف إلى سقوط العصاة.[81] وقد كانت تحتوي على أسماء تسعة عشر مدينة كنعانية من بينها أورشاليم كانت كلها تحت سيطرة القبضة المصرية القوية التي كانت سلطتها تشكل الحملات القوية من آن لآخر على يد الكثير من ملوك الدولة الوسطى.

ولم تتراخ تلك القبضة إلا بحلول الأسرة الثالثة عشر المصرية التي بدأ فيها الانحلال يطل برأسه على الدولة المصرية وتتراخى قبضة المصريين على فلسطين والشام وتنعدم الرقابة على الحدود الشرقية ، وهو ما أفسح المجال تماما لدخول العمو الآسيويون والبدو العماليق القاطنين في سيناء إلى شرق الدلتا دون رقيب أو حسيب فنرى في عهد منتوحتب الرابع كيف بدأت السيطرة تخف وتضعف حتى على شبه جزيرة سيناء حيث كان مضطرا لإرسال عشرة آلاف جندي لتأمين المناجم والمحاجر التي تقع في سيناء بل وتكليف الجنود باقتطاع الاحجار بأنفسهم أحيانا خوفا من هجوم البدو وقبائل العماليق التي كانت تسكن في سيناء في ذلك الوقت على بعثات التنقيب، وهو ما يؤشر على أن عهد منتوحتب الرابع لم يكن مستقرا ولم يخلوا من الاضطرابات والقلاقل.

ووفقا لكل تلك الشواهد فإن سيطرة الكنعانيين على أرضهم في فلسطين بعدما كانت في السيادة المصرية في عهد الدولة الوسطى وتراخي قبضة مصر على سيناء بل وعلى كامل حدودها الشمالية الشرقية نتيجة للانحلال الذي وقع في عهد الأسرة الثالثة عشرة مهد الطريق لوقوع مصر في قبضة قبائل الهكسوس العماليق الآتية من الشرق بمنتهى الأريحية وبسلاسة ودون صدام كبير، بل وقد وردت الإشارات من السلالة الخامسة عشر الهكسوسية تفيد أن ملكها أبوفيس هو "أمير ريتينو" وهو الاسم المصري لفلسطين في حقبة العصر البرونزي الوسيط.[82] وهذا يدل على أن الهكسوس كانوا يسيطرون على حكم مصر وفلسطين في نفس التوقيت وكان سلطانهم ممتد إلى حدود بعيدة داخل أراضي الشام وما حولها أثناء فترة سيطرتهم على مصر أي أنهم حكموا

---

[81] تاريخ فلسطين القديم – خزعل الماجدي.

[82] تاريخ فلسطين القديم – خزعل الماجدي.

امبراطورية واسعة مترامية الأطراف وكانت مصر إحدى المراكز الهامة لتلك الإمبراطورية.

رواية كتب التراث العربي عن غزو العماليق الهكسوس لمصر:

تطالعنا حقيقة واضحة وجلية جدا ألا وهي أن كتب الإخباريين العرب وكتب التراث التي لا يرضى بها المتخصصون أصحاب علم التاريخ والآثار قد ذكرت لنا واقعة غزو العماليق لمصر - وهم من عرفناهم فيما بعد بالهكسوس – قبل حتى اكتشاف حجر رشيد وترجمة كتابته بزمن طويل بل وقبل البحث في موضوع غزو الهكسوس من مصادره الأخرى المختلفة بردح طويل من الزمان ، فقبل معرفة كتابات مانيتون التي وصلتنا عن طريق يوسفوس وأفريكانوس وغيرهما وجدنا في تاريخ محمد بن إسحق[83] وابن عبد الحكم[84] وهما من أقدم المؤرخين الغرب الذين عاشوا في عهد الإسلام بل قد وجدنا عند مؤرخين آخرين جاؤوا بعد تلك الطبقة كلهم يؤرخون لتلك الواقعة بمنتهى الوضوح بأن العماليق قاموا بغزو مصر وتمكنوا من حكمها زمنا كما يذكرون أن إبراهيم ويوسف وأباه يعقوب والأسباط وموسى وهارون عليهم السلام جميعا كانوا معاصرين لملوك العمالقة.

وعلى اختلاف التفاصيل وعدم اتساقها أحيانا وعدم دقتها في أحيان أخرى إلا أن جميعهم أجمعوا بلا استثناء على ثبوت الواقعة تاريخيا وأن مصر عاشت تحت حكم

---

[83] محمد بن إسحق : هو الإمام أبو بكر محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار المدني. كان مولى لقيس بن مخرمة بن المطلب القرشي، ولد في المدينة سنة 85 هـ/703م، وبها نشأ ، وقد ألف ابن إسحاق كتابه المغازي من أحاديث وروايات سمعها بنفسه في المدينة ومصر، ومن المؤسف أن هذا الكتاب لم يصل إلينا، فقد فُقِدَ فيما فُقِدَ من تراثنا العلمي الزاخر، ولكن مضمون الكتاب بقي محفوظا بما رواه عنه ابن هشام في سيرته عن طريق شيخه البكائي الذي كان من أشهر تلامذة ابن إسحاق ، ويعد ابن إسحق أول من كتب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومن أوائل المؤرخين الشرقيين الذين دونوا التاريخ.

[84] ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم مؤرخ من أهل العلم بالحديث. مصري المولد والوفاة (187 هـ-257 هـ). ، وقد صنف ابن عبد الحكم في التاريخ واهتم بتاريخ مصر حيث ألف كتابًا بعنوان فتوح مصر وأخبارها وهو أول ما ألف في التاريخ الإسلامي لمصر وتحدث فيه عن تاريخ مصر قبل الفتح، ثم عن فتح مصر وأخبارها وذكر قضاتها منذ دخول جيوش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص وحتى عام 264 هـ.

العماليق فترة من الزمان وتواترت القصة في كتاباهم جميعا بشكل متسق يدعو للتيقن من وقوعها على خلاف حول بعض التفاصيل المرتبطة بالأسماء والأحداث.

يقول بن خلدون في التاريخ : " ويذكر الاخباريون العرب بأن العمالقة "طمعت " في حكم مصر ، فيقول ابن ظهيره : فطمعت فيهم (أي : في المصريين) العمالقه فملكهم خمسه ملوك من العمالقة ، وقال قتاده : أولهم كان في زمن الخليل ثم الثاني الريان وهو فرعون يوسف عليه السلام".

ويقول بن خلدون أيضا: "ومن هؤلاء العمالقة فيما يزعمون عمالقة مصر وان بعض ملوك القبط استنصر بملك العمالقة بالشام لعهده واسمه الوليد بن دومغ ويقال ثوران بن اراشة بن فادان (فاران) بن عمرو بن عملاق فجاء معه ملك مصر واستعبد القبط (قال الجرجاني) ومن ثم ملك العماليق مصر"

ويقول بن خلدون أيضا : "فخرج عليها إيمين من نسل أتريب طالبا بثأر قريبه أبراحس ولحق بملك العمالقة يومئذ وهو الوليد ابن دومع الذى ذكرناه عند ذكر العمالقة فاستنصر به وجاء معه وملك ديار مصر"[85].

ويؤكد المقريزي نفس الفكرة بقوله: "ذكر القبط أن الفراعنة (أي الفراعنة العماليق) أولهم فرعون إبراهيم و الثانى الريان فرعون يوسف عليه السلام"[86].

ويؤكد أبو عبيد البكري على نفس الخبر بقوله : "فطمعت[87] فيهم العمالقة وهم الفراعنة، وكانوا يومئذ أقوى أهل الأرض، وأعظمهم مُلكا، والعمالقة ولد عِمليق بن لاوُذ بن سام بن نوح عليه السلام، فغزاهم الوليد بن ذومع، أكبر الفراعنة، فظهر عليهم، فملكهم خمسة ملوك من العمالقة: ملك الوليد بن ذومع (دومغ ويقال دوموز) هذا نحواً من مئة سنة [88]، ثم افترسه سبع فأكله، ثم ملك (ولده) الريان،

---

[85] ابن خلدون – التاريخ.

[86] ابن خلدون – التاريخ.

[87] نفس المعلومة يؤكدها المؤرخون العرب بدءا من بن إسحق وبن عبد الحكم وبن ظهيرة وبن خلدون والطبري وياقوت الحموي والمقريزي والمسعودي وغيرهم من المؤرخين العرب والمسلمين بطبقاتهم المختلفة.

[88] فترة ملكه تعد من المبالغات في سياق القصة .

صاحب يوسف عليه السلام[89] ثم دارم بن الريان، وفي زمانه توفي يوسف عليه السلام، ثم غرق في النيل بين طرة وحلوان[90] ، ثم ملك بعده كاغم (كاتم) بن معدان ، ثم هلك، ثم كان بعده موسى ، قال قتادة: الفراعنة ثلاثة : أولهم: سنان "الأشل" صاحب سارة، كان في زمن الخليل عليه السلام بمصر، ثم الثاني "الريان بن الوليد"، وهو فرعون يوسف عليه السلام، ثم الثالث: "الوليد بن مصعب" وهو فرعون موسى عليه السلام ، وقال المقريزي: ذكر القبط أن الفراعنة سبعة، أولهم: طرطيس بن ماريا، وهو فرعون إبراهيم عليه السلام ، والثاني: الوليد بن ذومع، يعني ابنه الريان ، وهو فرعون يوسف عليه السلام ، والثالث: دريوس السامس بن معاديوس ظالما ، وهو فرعون موسى عليه السلام ، وأهل الأثر يسمونه "الوليد بن مصعب".[91]

ويقول ياقوت الحموي عن العماليق : "ولحقت طائفة منهم بالشام وبمصر وتفرقت طائفة منهم في جزيرة العرب إلى العراق والبحرين إلى عمان وقيل إن فراعنة مصر كانوا من العماليق وكان منهم فرعون إبراهيم عليه السلام واسمه سنان بن علوان وفرعون يوسف عليه السلام واسمه الريان بن الوليد وفرعون موسى عليه السلام واسمه الوليد بن مصعب".

يقول المسعودي :

فطمعت فيهم ملوك الأرض، فسار إليهم من الشام ملك من ملوك العماليق، يقال له الوليد بن دومع، فكانت له حروب بها، وغلب على الملك، فانقادوا إليه، واستقام له الأمر إلى أن هلك، ثم ملك بعده الريان بن الوليد العملاقي، وهو فرعون يوسف، وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما في كتابه العزيز، وقد أتينا على شرح ذلك في كتابنا الأوسط، ثم ملك بعده دارم بن الريان العملاقي.[92]

---

[89] وهو الملك الهكسوسي المعروف تاريخيا بـــ "خايان / خيان " كانت فترة حكمه تدور حول الثلاثين عاما.

[90] كانت حلوان واحدة من أقدم مدن مصر القديمة وكانت في الأصل مدينة مصرية قديمة وفيها يوجد أول سد مائي في التاريخ بمنطقة وادي حوف ولكنها اندثرت عبر العصور إلى أن أحياها عبد العزيز بن مروان والى مصر في عصر الأمويين ، أما طرة فكانت معروفة لقدماء المصريين باسم طرويو وكانت أكبر مصدر للحجر الجيري في مصر والذي كان يستخدم في بناء المقابر.

[91] كتاب المسالك والممالك لأبو عبيد البكري المتوفي 1094 م.

[92] مروج الذهب ومعادن الجوهر – المسعودي

وتتلخص رواية المؤرخين العرب أن العمالقة أو العماليق — وهم من عرفناهم بالهكسوس — قد طمعوا في ملك مصر ، فغزاهم ملك يسمى الوليد بن دومع العمليقي، وقاتل الأسرة الملكية التي كانت متركزة في إقليم مصر الشرقي وهو بوابة مصر من هذه الجهة فاستسلموا له وأذعنوا لملكه عليهم ويقال أنه قد خرج في جيش كثيف، وبعث أحد قواده لفتح مصر ثم قدم بعد أن مهد له الطريق فاستباح أهل مصر، وأخذ أموالهم وممتلكاتهم كما ورد عن هؤلاء المؤرخين أنه طغى وتكبر ، وأظهر الفاحشة ، وهي رواية تشبه إلى حد كبير ما رواه مانيتون عن بدء غزو الهكسوس لمصر كما تقدم ، وقد وقعت له طبقا لرواية المؤرخين العرب حادثة بأن هجم عليه سبع فافترسه وأكل لحمه فيما يبدو أنها حادثة صيد أو نحوه وهكذا بدأ حكم الهكسوس العماليق رسميا لمصر في عهد أول ملوكهم.[93]

والجدير بالذكر أن أحد الكتاب الغربيين قد تبنى تلك النظرية في كتابه "العماليق .. هل كانوا هم الهكسوس ؟ "[94] ، ونقلا عن الكتاب يقول :

Several Arabian writers record an invasion of Egypt by the Amalekites. The oral traditions that survived were written down in the ninth to the twelfth centuries A.D. Some of these accounts are patently fanciful or historically garbled، but the essence remains: that at some point in his-tory there were Amalekite Pharaohs who ex-ploited and debased the wealth and might of Egypt.

وترجمة النص السابق كما يلي:

"إن العديد من المؤرخين العرب قد سجلوا غزو العماليق مصر ، وهذا التأريخ الشفهي قد تم تدوينه ما بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر الميلادي ، بعض من هذه الروايات كانت خيالية وواضح فيها التشويهات التاريخية، ولكن يبقى الجوهر الذي يفيد بأنه في وقت ما من التاريخ كان الفراعنة العماليق في مصر مستغلين قوتها وثروتها".

لقد رسّخت عادات التلقي في ثقافتنا العربية المعاصرة تقاليد الازدراء، أو الاستخفاف بـــ "مزاعم" الإخباريين العرب وعدم الالتفات إلى قيمة كثرة من

---

[93] المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي.

[94] The Amalekites.. Were they the Hyksos? Debbie Hurn

إشاراتهم المُصاغة بلغة إسطورية، في غالب الأحيان، وأدت الى عدم الانتباه الى امكانية وجود احتمال آخر غير احتمال "اختلاق الأكاذيب"، وهي تهمة تُبْتَ بطلان كل تعميم لها ، ومن المهم، أن نتطلع - اليوم - الى قراءة أكثر راديكالية في النصوص القديمة، بعيداً من روح الازدراء والتغاضي المقصود عن اشارات لغة، قديمة، نسي العرب أبجديتها: لغة المرْويات التاريخية بكل ظلالها الإسطورية[95].

وفي دراسه رائعه قدمها ايمانيول فيلكوفيسكي عالم الاثار اليهودي عن الهكسوس اثبت فيها ان الهكسوس هم العماليق المشهورين في اسيا في منطقة الشرق الاوسط وهجومهم علي مصر كان مرحله من هجرتهم إلي الغرب بعد أن سيطروا علي مناطق كثيره في كنعان، وهو بذلك قد أكد ما ورد في كتب المؤرخين والإخباريين العرب حول حقيقة أن العماليق المذكورين في الكتب القديمة هم بعينهم الهكسوس الذين احتلوا مصر.

وتتواتر الأخبار في كتب المؤرخين العرب عن ذكر ملوك العماليق أو الهكسوس في مصر منذ عهد إبراهيم عليه السلام فيذكرون عنهم ما يبدو لنا بعد مقارنة ما أوردوه بالرواية التاريخية فيظهر لنا ما يلي :

ملوك ما قبل قيام الدولة العمليقية / الهكسوسية الأولى فى مصر :

ولا نعلم منهم سوى ملك العماليق الذي يرجح أنه كان مسيطرا على سيناء والفرما في شرق بورسعيد حاليا وهو المعاصر لإبراهيم عليه السلام ويقال أنه سنان بن علوان ويقال : طوليس ، وبعضهم يقول أن طوليس هو قائد جيش الملك سنان وقد أرسله للسيطرة على وادي النيل ، ويقال في كتب التاريخ أن نسبه هو :

سنان بن علوان بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح.

* سنان بن علوان

يقول الدكتور محمد راشد حماد :

ثبت في الآثار المصرية أن أول ملوك الهكسوس كان يطلق عليه القبط المصريون القدماء اسم ساناتي وهو لدى المؤرخ مانيتون المصري القديم "ساليتي / ساليتيس " بينما أطلق عليه المؤرخون المسلمون القدماء اسم " سنان " وهو قريب من النطق

---

[95] جريدة الحياة – العدد 13561 – بتاريخ 28/4/2000 – فاضل الربيعي – مقالة عن المرويات التاريخية العربية ...!

المصري "ساناتي" واعتبروه أول ملوك الفراعنة وأنه صاحب سارة امرأة إبراهيم.بما يعني أن إبراهيم وفد إلى مصر في بداية حكم الهكسوس لمصر وكان هذا الملك في مرحله شبابه ، بما في سن أربعين عاما يقل أو يزيد قليلا وهذا كان وراء تعرضه لسارة.[96]

ويبدو أن بداية الصراع المذكور الذي حدث في أواخر الدولة الوسطى وأثناء حكم ملوك الأسرة الثالثة عشر المصرية قد سمح بتنامي نفوذ قبائل العماليق السيناوية والكنعانية والعمورية الوافدة من بلاد الشرق بعد توالي نزوحهم إلى شرق مصر وأخذ في الازدياد لدرجة سيطرتهم على أماكن شاسعة من سيناء ومشارف الدلتا الشرقية وبدرجة تسمح لهم إقامة نوع من الحكم الذاتي القبلي في تلك الأرجاء قبل أن تقوم لهم دولة رسمية في غفلة من ملوك مصر المتصارعين على الملك وقتها.

ويصف الإخباريون حكم مصر بأن العادة قد جرت من بعد طوفان نوح عليه السلام بأن تكون ملوك مصر من القبط أي العنصر المصري الحامي ، أي من ذُرّيّة قبطيم حفيد حام بن نوح وفقا لتقسيم التوراة المعتاد ولكن وتحت ظروف خاصة انتقل الملك إلى العماليق "الساميّين" ، أحفاد سام بن نوح في تلك الفترة المضطربة.

وبلغ التأكيد على هوية حاكم مصر في زمن إبراهيم عليه السلام أن يصف بعضهم صلة القرابة بين ملوك اليمن في ذلك الحين وملوك مصر فيذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه "المُنتظم في التاريخ": بأنّ ملك اليمن "الضحّاك" بن علوان بن عبيد بن عويج (عولج) بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، جعل أخوه "سنان بن علوان" ملكا على مصر.[97]

ويبدو أن سنان هذا الذي عاصر إبراهيم عليه السلام حين قدم إلى حدودها الشرقية من جهة فلسطين هو أوّل عماليق مصر وكان جبّارًا ، جريئًا ، شديد البأس ، مُهابًا لكن يبدو أن ملكه لم يزد عن كونه حكم إقليمي في ربوع سيناء والفرما التي كانت تقع في الشمال الشرقي من خليج السويس الحالي على ساحل البحر المتوسط عند ما يعرف بخليج الطينة.

---

[96] دكتور محمد راشد – ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام – نشر دار الكتاب العربي.

[97] انظر تاريخ بن خلدون حيث يقول : وتقول أهل اليمن في نسبه الضحاك بن علوان بن عبيدة بن عويج، وأنه بعث على مصر أخاه سنان بن علوان ملكا وهو فرعون إبراهيم، قاله ابن الكلبيّ.

أورد ابن الأثير في تاريخه "الكامل في التاريخ" فقال : "خرج إبراهيم عليه السلام مهاجرًا من بابل بالعراق الى القدس بفلسطين ، ومرّ على مصر ، وبها فرعون من الفراعنة الأوّل كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عولج بن "عملاق" بن لاوذ بن سام بن نوح"[98]

وبذلك تكتمل لنا الصورة في مسألة زيارة إبراهيم عليه السلام المفترضة إلى مصر، فنستطيع أن تستنتج بشيء من الخيال أن زيارته كانت لأطراف مصر الشرقية حيث وفد على ملك العماليق "أباخناس / أباشنان" وهو سنان بن علوان وفقا للرواية العربية، والذي سيطر على ذلك الإقليم وكان من ملوك العماليق من جبابرة الشام فيما يبدو من لفظ الحديث المتقدم مرورا بأحداث القصة المعروفة ومحاولته الاستئثار بالسيدة سارة وفشله في ذلك إلى أن أهدى هاجر – وهي إحدى نساء العماليق – لإبراهيم عليه السلام كتصحيحا منه لذلك الخطأ.

أما صاحب الاستبصار فيشير إلى أن : "الفراعنة سبعة وهو كان أولهم" ، يقصد الملك المعاصر لإبراهيم عليه السلام.

وأورد ابن إياس نقلاً عن وهب بن منبه: "أن الفراعنة الذين ملكوا مصر كانوا ستة؛ فأولهم فرعون إبراهيم الخليل عليه السلام ، كان اسمه طوطيس".

أما التلمساني فقد اختص الفراعنة من الملوك بالأنبياء فقط ، وجعل الفراعنة وقفاً عليهم بقوله:

"الفراعنة ثلاثة ؛ أولهم: سنان الأشل صاحب سارة ، كان في زمن الخليل بمصر ، الثاني: الريان بن الوليد ، وهو فرعون يوسف عليه السلام ، الثالث: الوليد بن مصعب، وهو فرعون موسى عليه السلام...". وهو يقصد بذلك الملوك الذين عاصرهم الأنبياء فأسقط من كانوا بينهم من الملوك.

قال بن كثير : "وذكر بعض أهل التواريخ أن فرعون مصر هذا كان أخا الضحّاك الملك المشهور بالظلم ، وكان عاملاً لأخيه على مصر، ويقال كان اسمه سنان بن علوان بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح".

[98] تاريخ ابن الأثير

وعلى هذا إذا وفقنا بين الروايات التي تحدد ملوك العماليق في مصر ما بين سبعة ملوك وخمسة فإننا نستطيع تبين أن العماليق كان لهم نفوذ مبدئي في شرق مصر عند سيناء وشرق الدلتا الحالية قبل أن تكون لهم دولة وأسرة ملكية فيما بعد ويمكن تصور ذلك بالمقارنة بالروايات التاريخية المثبتة عن الهكسوس.

ملوك الدولة العمليقية / الهكسوسية الأولى أو الهكسوس الكبار:

يبدو أن الملوك الرسميين للعماليق قد بدأوا دولتهم الرسمية بعد استيلائهم على إقليم شرق الدلتا ثم دلتا مصر بالكامل وبذلك تكونت أسرتهم الأولى وهي المعروفة تاريخيا بالأسرة الخامسة عشرة الهكسوسية ، وكانت قائمة ملوكهم وفقا لكتب التاريخ الإسلامي والعربي كما يلي :

* أول ملوك العماليق الوليد بن دومع / دوموز / ذومع / دومغ العمليقي وهو أول من دخل مصر من ملوك العماليق وكان بداية لسلسلة ملكية رسمية.

* ثاني ملوك العماليق الريان بن الوليد[99] وهو الملك الذي عاصر يوسف عليه السلام

* ثالث ملوك العماليق دارم بن الريان الذي غرق في النيل وفي زمانه تُوفي يوسف عليه السلام.

---

[99] ويقال إن لهذا الملك قصر في الفيوم ويقال أيضا أنه يقع على بعد 280 كم من عاصمة مصر القاهرة و هو قصر مخسوف منه 30 طابق تحت الارض و الظاهر منه فقط 4 طوابق ويقال أن به سلم أنشأه بعض العلماء والباحثون ليصل حتى الطابق ال25 تحت سطح الأرض ، وتوصف الرحلة إليه بأنها رحلة رهيبة ومليئة بالمخاطر ، وفي محمية وادي الريان الذي تقول بعض المصادر أنه قد تَسَمى بإسم الملك الريان توجد شلالات وادي الريان وهي من أجمل المناظر الطبيعية التي يمكن رؤيتها وهي شلالات جميلة يمكن الإبحار فيها بقارب صغير تشبه إلى حد كبير شـــلالات غابات الامازون ، ويقع القصر المذكور على مسافة إلى الجنوب من وادي الريان حتى الوصول إلى قصر الريان وهو قصر كبير و مهول بداية مدخله قبل القصر بحوالي 3 كيلو متر ، ومن غرائب المشاهدات في مدخل القصر وجـــود أقراص حجرية من الحجر الجيري تشبه الأصداف على الأرض بكميات كبيرة يطلق عليها العامة اســـم "امـــوال فرعون المسخوطة" حيث أنها تشبه النقود الفضية و الذهبية ، ويقال أن حراس القصر ليسوا من البشر بل على هيئة أفاعي غريبة المنظر يقال انها موجوده منذ قديم الزمان.

* رابع الملوك[100] كاسم/ كلسم / أكسامس / كشم / كاشم / كاتم / كاغم / طاشم / قاسم[101] بن معدان بن الريان بن الوليد ولإسمه منطوقات كثيرة عند المؤرخين (ويقال في عهده أتى ملك أو وزير جنّب بني إسرائيل وعزلهم في مكان منفصل).

* خامس ملوك العماليق الوليد بن مصعب أو ظلما بن قومس / ظالما بن قابوس وهو ما يقول المؤرخون العرب أنه فرعون ذي الأوتاد الذي عذب بني إسرائيل وتحدى موسى عليه السلام.[102]

ويتضح من هذا الكلام أن العماليق أو العمالقة كما يسميهم بعض المؤرخين العرب قد طمعوا في ملك مصر أو أتوا بإيعاز من بعض الأمراء المصريين الذين استنصروهم على خصومهم الداخليين أثناء صراعهم معهم على الملك وهو ما ثُبت تاريخيا أولا بغزو الهكسوس لمصر وثانيا بثبوت الصراع الذي نشب بين ملوك الأسرة الثالثة عشر المصرية كما تقدم ، وثالثا بثبوت مسألة إشعال الهكسوس للصراع القائم بين الأمراء المصريين ومساعدة بعضهم على بعض ، وبداية انحلال الدولة المصرية وانفصال الأقاليم وانفصال الهكسوس العماليق بالإقليم الشرقي ثم شرق الدلتا فباقي مصر وفقا لما هو ثابت تاريخيا.

وجدير بالذكر أن هذا الاضطراب الحاصل في كلام المؤرخين العرب حول أسماء هؤلاء الملوك نابع من محاولتهم بكل جهد تعريب تلك الأسماء التي كانت موغلة في القدم و لم تتوافق مع اللسان العربي الفصيح فقاربوا بينها وبين الأسماء المعروفة في اللغة العربية ، وقد يكون العكس هو الصحيح ، لأن الأصل في العماليق الهكسوس هو أنهم

---

[100] بعض المؤرخين يزيدون ملكا في الترتيب الخامس فيضيفون معدان بن الريان بن الوليد.

[101] هكذا لفظه عند المؤرخين العرب المختلفين وواضح من الاختلاف في ضبط الاسم عدم اليقين في تحقيق الاسم الذي أتى من أخبار وآثار بعيدة عن العصر الذي كتبت فيه لا تعتمد إلا على الروايات التراثية التي يغلب عليها الطابع الأسطوري.

[102] نسبه عند المقريزي — في كتاب المواعظ والأخبار : ظلما بن قومس: فرعون موسى، يقال: إن اسمه الوليد بن مصعب بن اراهون بن الهلوت بن قاران بن عمرو بن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح، وإنه من العمالقة.

من العرب البائدة ولسانهم كان العربية القديمة ، فالاحتمال الأرجح هو أن المؤرخين اليونانيين والغربيين هم من قاموا بمحاولة التقريب لأسماء الهكسوس العربية إلى لغاتهم الغربية فشوهوا الأسماء وبدلوا النطق السليم لها بينما احتفظ بها المؤرخون العرب بشكل أفضل وأوقع في النطق كما سنرى ذلك في الفصل القادم.

وحاول هؤلاء المؤرخون والرحّالة الإيغال في زمن الملوك الذين عاصروا الأنبياء، والاعتماد على حقائق ملموسة بشأن تلك الفترة، ولكن كانت تعوزهم الأدلة والحجج، فاعتمد فكرهم على النقل من الأقدمين، ثم على الأخبار المتواترة في المجتمع، فإذا بالأسطورة تتسرب شيئا فشيئا وتزيد وتمعن في المبالغة ، وتصور ما تعرض له الأنبياء وتاريخ نضالهم مع قوى الشر والإنكار فجاءت صياغة هذا الموروث صياغة قصصية في زمن لم يكن القصص فيه قد انفصل عن التاريخ ، فامتزجت الأسطورة بالتاريخ وتوارى الكثير من تاريخ مصر في هذه الفترة بين ركام الخرافة.

ربّما نبعت تلك المبالغات من كونها صادرة من بشرا منتمين الى البداوة ، فأى بدوى مرتحل سيرى بالقطع فى أى أعمال معمارية هائلة كتلك التى أقامها جيرانه فى مصر والعراق أعمالا اعجازيّة خارقة وغير طبيعيّة ، وبذلك فان ذلك العقل البدوى قد لا يتصوّر أن بامكان البشر العاديين إقامة أشياء كالأهرام أو معبد الكرنك أو غيرهما ، خاصة أن هذه المعابد كانت ذات أفنية وساحات ضخمة قائمة على أعمدة شاهقة وأسقف بالغة العلوّ مما قد يكون الدافع وراء تصوّر العقليّة البدويّة البسيطة لتصور أصحابها خارقي الضخامة ، ويتصورون على ذلك أنها قد أنشئت فى الأساس لتناسب حجم وقامات بناتها ، وبالتالى فإن البناة — فى التصور البدوى- لا بد وأن يكونون بشرا ذوو قامات هائلة وأجسام عظيمة الجرم ، وأن هذه المعماريات لكى تقام فإنها تحتاج إلى قوة عضلية لاتتيسّر إلاّ للخارقين.

ورغم ذلك كله -والحق يقال- فإن المؤرخين الإسلاميين قدموا لنا الكثير من المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها في التأريخ لعصور ما قبل الإسلام، وأن كثيرًا منهم قد انتقدوا تلك المبالغات التي جاءت فيما كتب البعض منهم، كما أنه كثيرًا منهم

كذلك قد نبهوا إلى الإسرائيليات والنصرانيات التي تسللت إلى التاريخ العربي القديم[103].

رواية مانيتون عن الهكسوس:

"نزلت علينا لفحة من غضب الله ، فقد تجرأ شعب وضيع الأصل من الشرق لم يتنبأ أحد بإقدامه على غزو بلادنا فسيطروا عليها بالقوة ، ودون صعوبة حتى ولا معركة ، وبعد أن تغلبوا على حكامنا فإنهم أحرقوا المدن بوحشية ، وخربوا هياكل الآلهة وعاملوا السكان كلهم بمنتهى القسوة".

هكذا بدأ مانيتون المؤرخ المصري المتأغرق – وفقا لما نقله عنه يوسفوس اليهودي– كلامه عن الهكسوس وغزوهم لمصر وحكمهم للدولة المصرية ، وكانت كلماته هذه هي العمود الراسخ الذي اعتمد عليه غالبية المؤرخين والأثريين الغربيين والشرقيين على حد سواء في اتهام الهكسوس بالوحشية والقسوة والهمجية وكل الصفات القبيحة التي اشتهرت عنهم رغم بعد معظمها عن الحقيقة.

وفي ترجمة مختلفة في بعض الألفاظ لهذا النص من الواضح أنها قد خضعت للاجتهاد كثيرا :

"لا أعرف لماذا هبت رياح الغضب الإلهى علينا حتى تجاسر فجأة أناس من أصل غير معروف جاؤوا من آسيا فأغاروا في عهد (الملك توتيمايوس / ددومس) على بلادنا مصر واستطاعوا بسهولة ودون قتال أن يستولوا عليها وقد أسر هؤلاء القوم زعماء البلاد وأحرقوا المدن بصورة وحشية وهدموا معابد الآلهة وعاملوا السكان بمنتهى القساوة فقتلوا بعضهم وساقوا النساء والأطفال إلى العبودية".

هكذا بدأ مانيتون كلماته – كما نقل يوسفوس عنه – وهو يصب جام غضبه وسخطه على هؤلاء القوم الذين سبقوا عصره بما يزيد عن الخمسة عشر قرنا من الزمان، ويبدو من كلماته التي تقطر سخطا وكرها لهؤلاء القوم أنه قد تملكت منه كل المشاعر السلبية تجاه من كان يراهم على أنهم محتلون غاصبون عاثوا فسادا في وطنه واستولوا على مقدرات الشعب المصري وكانوا يمضون بثبات في محو الشعب المصري.

---

[103] دراسات في تاريخ العرب – محمد بيومي مهران.

لقد كانت المعلومات عن الهكسوس قبل كشف النقاب عن رموز اللغة المصرية القديمة وغيرها من لغات الشرق القديمة تنحصر فيما رواه "فلافيوس يوسفوس" المؤرخ اليهودي الذي عاش خلال القرن الأول من التاريخ الميلادي ، والمعلومات التي قدمها لنا هذا المؤرخ قد أخذها بدوره عن المؤرخ المصري " مانيتون " المعروف ، وقد كان غرض " يوسفوس " فيما قد زعم أنه قد نقله عن مانيتون العمل جهد الطاقة في الرفع من شأن قومه اليهود الذين كان يحتقرهم كتاب الإغريق ويحطون من شأنهم لذلك أخذ المؤرخ يوسفوس يبرهن للملأ أن اليهود والهكسوس هم عنصر واحد وأنهم خرجوا من مصر منذ حوالي ألف سنة قبل حروب طروادة الذائعة الصيت ، ومما يؤسف له أشد الأسف أنه لم يُعثر حتى الآن عن أصل إغريقي من كتاب مانيتون الذي وضعه في تاريخ مصر ولم يبقى لنا من تاريخه هذا إلا بعض فقرات نقلها لنا بعض الكتاب مثل يوسفوس وغيره.

غير أن ما رواه يوسفوس زعما منه أنه قد نقله عن مانيتون فيه من المغالطات التاريخية والمبالغات ما لايخفى على لبيب ، فقد بالغ في تعداد الهكسوس في مدينة أواريس عاصمة الهكسوس وبالغ في تعداد الجيش الذي يحاصره ، كما لم يحالفه التوفيق في أسماء الملوك المحاربين الذي كافحوا الهكسوس ، ثم إنه نسب القوة للآشوريين في الوقت الذي لم يكن لقوتهم هذا القدر الهائل في هذا العصر ، ثم إنه ختم ماقاله في روايته المزعومة عن مانيتون بأن الهكسوس أو اليهود من وجهة نظره خرجوا من مصر وأسسوا مدينة أورشليم، ولا يخفى على أحد ماهذا من قيمة أثرية في نظر يوسفوس اليهودي بالطبع .

ولا شك أن ما وصلنا عن تأريخ مانيتون لتلك الفترة يفتقر إلى الكثير من الدقة ، وإن شئنا لقلنا المصداقية نظرا لانتقالها عن طريق يوسفوس المؤرخ اليهودي وما لذلك من أغراض سياسية ودينية أرادها يوسفوس في تعظيم شأن قومه وربما كان غرضه في ذلك التعمية على حقيقة الأحداث الأصلية التي وقعت في تلك الفترة و يعزو البعض اضطراب رواية يوسفوس عن مانيتون إلى بعد الفترة التي روى فيها مانيتون روايته وتأريخه والتي ترجع إلى أكثر من ألف عام قبل العصر الذي عاش فيه مانيتون .

والظاهر أن كلمة هكسوس لم تكن معروفة قبل عهد مانيتون وأنه هو من استعملها وسنورد فيما يلي الاقتباسات الهامة التي ذكرها يوسفوس نقلا عن مانيتون ، فيقول يوسفوس[104] :

" إن مانيتون كتب عنا (أي اليهود) ما يأتي ، وإني سأقتبس كلماته كأني وضعته في قفص الشهادة :

(لا أعرف لماذا قد نزلت بنا في عهد توتيمايوس (ددومس) صاعقة من غضب الإله فقد تجرأ قوم من أصل وضيع من الشرق على غزو بلادنا وقد كان مجيئهم أمرًا مفاجئا وقد تسلطوا على البلاد بمجرد القوة في غير صعوبة ما وبدون نشوب واقعة حربية وبعد أن تغلبوا على الرؤساء أحرقوا المدن بوحشية وأزالوا معابد الآلهة من أساسها وساروا في معاملة الأهلين بكل قسوة فقتلوا بعض القوم وسبوا نساء وأطفال أناس آخرين وفي نهاية الأمر نصبوا واحدا منهم اسمه "ساليتيس" ملكا (على الأرجح هو الحاكم شيشي في الكتابات المصرية وسنان في الكتابات العربية) فاتخذوا مدينة منف مقرا له وضرب الضرائب على الوجه القبلي والوجه البحري وترك له حاميات في الأماكن التي كانت أعظم صلاحية للدفاع وقد أمن جناحه الأيمن بوجه خاص لأنه كان يتنبأ بما عساه أن يحدث من اغتصاب الآشوريين بمهاجمته عندما تزداد قوتهم في المستقبل ولما كشف في مقاطعة "سترويت" عن مدينة حسنة الموقع مقامة على الجهة الشرقية من فرع "بوبسطة" عمل على بنائها من جديد وحصن جدرانها ووضع فيها حامية يبلغ عددها نحو 240000 رجل مسلحين لحماية حدوده وكان قد اعتاد زيارة هذا المكان كل صيف لتوزيع الجرايات ودفع أجور الجنود من جهة وكذلك ليلقي عليهم دروسا هامة في فنون الحركات الحربية ولأجل أن يلقي الخوف في قلوب الأجانب من جهة أخرى ثم توفي بعد أن حكم البلاد تسع عشرة سنة بعد ذلك تأتي قائمة من أسماء الملوك التالية "بنون" حكم 44 سنة ، "أباخناس" حكم 36 سنة وسبعة أشهر ، "أبوفيس" حكم 61 سنة ، "يناس" حكم 50 سنة وشهرا ، و"أسيس" حكم 49 سنة وشهرين، وقد كان هؤلاء الملوك الستة الذين يعتبرون حكامهم الأول يطمعون باستمرار في محو الشعب المصري وكان شعب هؤلاء الغزاة يسمون "هكسوس" ومعنى الإسم " ملوك الرعاة " وذلك أن كلمة "هك" معناها في اللغة

[104] الرد على أبيون – فلافيوس يوسفوس – نقلا عن كلام المؤرخ مانيتون كما يزعم يوسفوس في نقله عنه.

المقدسة "ملك" أما ملكة "سوس" فمعناها في اللهجة الدارجة "راعي/رعاة" ومن ثم كانت الكلمة المركبة "هكسوس" ، ويقول البعض إنهم عرب".

ثم يستمر يوسفوس بألفاظه هو قائلا :

"وعلى أية حال فإنه جاء في نسخة أخرى أن كلمة "هك" لا تعني ملوكا بل تدل على العكس بأن الرعاء كانوا "أسرى" وهذا الرأي يظهر لي أكثر احتمالا وأكثر موافقة للتاريخ القديم .

وملوك القوم الذين يطلق عليهم الرعاة ومن تناسل منهم وهم الذين عددناهم فيما سبق قد ظلوا أسياد مصر على نحو ماذكره مانيتون نحو خمسمائة واحدى عشر سنة".

وفي الفقرة التالية يحلل يوسفوس ما جاء في مانيتون:

"وبعد ذلك قام ملوك اقليم طيبة وسائر البلاد المصرية بثورة على الرعاة وشبت نار حرب عظيمة طالت مدتها ويقول أنه في عهد ملك يدعى "مسفرأجموسيس" هزم الرعاة وطردوا من مصر كلها وحوصروا في مكان يدعى أواريس ، ومساحته عشرة آلاف أرورا وكان الرعاة كما ذكر لنا مانيتون قد أحاطوا كل هذه المساحة بجدران عظيمة مبنية حماية لكل متاعهم وغنائمهم ثم يستمر قائلا إن " توموس" ابن "مسفراجموسيس" حاصر الجدران بجيش يبلغ 480000 رجل وحاول أن يجعلهم يستسلمون بالحصار ولكنه لما يئس من بلوغ غرضه عقد معهم معاهدة تقضي بأن يخلوا كل أرض مصر وأن يذهبوا حيث شاؤوا دون أن يضيق عليهم وبمقتضى هذه الشروط غادر مصر مالايقل 240000 من الأسرى جميعا يحملون متاعهم ومخترقين الصحراء إلى سوريا ولما كان الرعب قد أخذ منهم كل مأخذ خوفا من بطش الأشوريين الذين كانوا في خلال هذه الفترة أصحاب السيادة في آسيا فإنهم أقاموا مدينة في الإقليم الذي يدعى "يودا" صالحة لإيواء جمعهم الهائل وقد أطلقوا عليها اسم "أورشليم".

التعليق على رواية يوسفوس[105] :

لقد كانت معلوماتنا عن "الهكسوس" قبل كشف النقاب عن رموز اللغة المصرية القديمة وغيرها من لغات الشرق القديمة تنحصر فيما رواه لنا "فلافيوس يوسيفوس" Flavious Josephus المؤرخ اليهودى الذى عاش خلال القرن الأول من التاريخ الميلادى .

[105] نقلا عن الدكتور سليم حسن — موسوعة مصر القديمة — الجزء الرابع.

والمعلومات التى قدمها لنا هذا المؤرخ قد أخذها بدوره عن المؤرخ المصرى "مانيتون" المعروف. وقد كان غرض "يوسيفوس" الأول فيما نقله عن "مانيتون" العمل جهد الطاقة فى الرفع من شأن قومه اليهود الذين كانوا يحتقرهم كتّاب الإغريق ويحطون من شأنهم، لذلك أخذ المؤرخ "يوسيفوس" يبرهن للملأ أن اليهود والهكسوس هم عنصر واحد، وأنهم خرجوا من مصر منذ حوالى ألف سنة قبل حروب "طروادة" الذائعة الصيت، وهى تلك الحروب التى خلدها "هوميروس" الشاعر اليونانى فى كتاب "الإلياذة" وكتاب "الأوديسى" وقد كان عهد هذه الحروب فى نظر الإغريق تاريخاً سحيقاً فى القدم.

ومما يؤسف له أشد الأسف أنه لم يعثر حتى الآن عن أصل إغريقى من كتاب "مانيتون" الذى وضعه فى تاريخ مصر ولم يبق لنا من كتابه هذا إلا بعض فقرات نقلها بعض الكتّاب مثل "يوسيفوس" وغيره، ومع ذلك فإن هذه الفقرات أو الاقتباسات التى بقيت لنا قد كتبت بعد طرد الهكسوس من مصر بنحو 1300 سنة تقريباً، وعلى ذلك أضحى الاعتماد عليها بوصفها مصدراً تاريخياً لايوثق به كثيراً، وبخاصة إذا كنا نعلم أن بعض الوقائع التى ذكرها لنا "مانيتون" تكاد تكون من الوجهة التاريخية مستحيلة.

على أن هذا لا يحملنا على التخلى عن ذكر بعض الوقائع الصادقة المعقولة فيما رواه، كما سنرى عند فحص المصادر القديمة المصرية الأصلية التى كشف عنها خلال نصف القرن الأخير.

ويحق لنا أن نشك في الحال في الكثير من المعلومات التي إدعى يوسفوس أنه نقلها عن مانيتون ، ومنها الشك في قوة آشور في تلك الفترة من التاريخ وفقا لما إدعاه يوسفوس كما يحق لنا كذلك أن نتشكك في مساحة مدينة أواريس عاصمة الهكسوس وفي عدد الرجال الذي كانوا فيها وقتئذ يضاف إلى ذلك أنه ليس من المعقول أن الهكسوس بعد طردهم من مصر قد استوطنوا بلدة جديدة هي أورشاليم ولكن لا يخفى ماهذه الحقيقة من قيمة في نظر يوسفوس اليهودي.[106]

لقد ارتكب يوسفوس بتلك الإدعاءات جريمة كاملة الأركان حين حاول إعلاء قومه ورفع شأنهم بادعاءه بأنهم هم أنفسهم الهكسوس في مغالطة صارخة ، فبدلا من أن يعترف

---

[106] موسوعة مصر القديمة – د. سليم حسن – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أن بني إسرائيل كانوا يمثلون قبيلة من جملة قبائل الهكسوس قام بتعديل الحقيقة قليلا ليكون بني إسرائيل هم أنفسهم الهكسوس!! ، فضلا عن تضخيم عدد بني إسرائيل وقت خروجهم من مصر ، بالإضافة إلى الادعاء الخفي في ثنايا كلامه عن حكم بني إسرائيل لمصر وهو ما لم يحدث بالطبع ، وغيرها من المغالطات الفجة والصارخة التي قام بها يوسفوس حين ادعى بنقله هذه الرواية عن مانيتون ، وسوف نتناول المزيد من جوانب التحريف والافتراء في كلام يوسفوس اليهودي في الفصل السادس تحت عنوان "جريمة يوسفوس".

متى بدأ تواجد الهكسوس فى مصر ؟:

ذكرنا أن أول ظهور للآسيويين في مصر كان في الدولة الوسطى وتحديدا في عهد الأسرة الثانية عشرة المصرية ، وكما ذكرنا في الفصل الحالي والسابق فإن الزيارة المفترضة لإبراهيم عليه السلام إلى مصر تعد في سياق موجات متتالية من الهجرة في فترات سابقة لزيارة إبراهيم عليه السلام ، وتعد زيارته عليه السلام لمصر افتراضا وجيها عليه بعض الدلالات غير أن الدليل الوحيد عليها هي التوراة كما سبق وأن أوضحنا.

ومنذ أن انتهى عصر الأسرة الثانية عشر المصرية بدأت عرى الدولة المصرية في الانحلال والتفكك ، وعرف هذا العصر بعصر الاضمحلال الثاني ، أو العصر الانتقالي الثاني، ويضم كل من الأسر الحاكمة من الأسرة الثالثة عشر وحتى السابعة عشر.

وقد بدا عصر الانتقال الثانى بقيام اسرة جديدة هى الأسرة الثالثة عشرة التى تأسست فى اللشت بالقرب من الفيوم بعد سقوط الاسرة الثانية عشرة بوفاة أو مقتل الملكة سبك نفرو.

والمعلومات الواردة عن تلك الأسرة متباينة ، فالاعتماد على المعلومات الواردة عنها ينحصر فيما ذكره مانيتون وبردية تورين [107] إلى جانب بعض الاثار لملوك النصف الاول من تلك الاسرة فى اللشت، وقد ثبت عن المورخ المصري مانيتون وكذلك بردية تورين اسماء ستون ملكا فى الاسرة الثالثة عشرة ونعرف عددا من حكام النصف الاول من هذه الاسرة من خلال أثارهم فى المناطق مثل اللشت ودهشور وطيبة أما حكام

---

107 بردية تورين : من المصادر المباشرة لتاريخ الحضارة المصرية القديمة وقد كتب بها أسماء أكثر من 300 ملك من ملوك مصر وسنين حكمهم وأعمالهم من عصر ما قبل الأسرات حتى الأسرة الثامنة عشرة وقد دونت فى عهد الملك رمسيس الثانى.

النصف فلا نكاد نعرف عنهم سوى أسماءهم ، ويشير هذا العدد الكبير من الحكام فى أسرة واحدة إلى عدم الاستقرار السياسى نتيجة الصراع على الحكم بين امراء البيت الملكى ، ويلاحظ على البلاد في فترة حكمهم أن موارد البلاد قد ضعفت وضعف الجهاز الادارى وقلت المشروعات التنموية أو انعدمت لانشغال الحكام بالصراع على السلطة ، مما ادى فى النهاية الى قلة الإنجازات الحضارية فى المنشآت والأعمال الفنية والإنشائية بوجه عام ، و تعتبر فترة حكم هذة الاسرة من الفترات الغامضة فى تاريخ مصر ، ولكن نجد أن حكام طيبة مثلا كان عددهم 60 ملكا ، لذلك من الواضح انهم قد استقلوا بإقليم طيبة عن سائر أقاليم مصر الأخرى ، بل ونجد أن أكثر من ملك قد أعلن نفسه حاكما في ذات الوقت ، ومن الواضح أنه بعد تفكك الاسرة الثانية عشرة قد استغل حكام الاقاليم الوضع المتدهور وبدأوا يحكمون كلٌ في إقليمه في وقت واحد، حيث كان هناك ملكا في طيبة وملكا في اللشت وملكا في منف وملكا في أواريس وملكا في سخا ، وهكذا استأثر بكل إقليم حاكم مختلف ، وأصبحت حالة البلاد اكثر تدهورا ولعل هذة المعلومات مسجّلة فى بردية تورين عن ملوك تلك الاسرة، فنجد نحو 23 ملكا قد حكموا لمدة 52 عاما.

وكان تواجد هؤلاء الآسيويون قد ازداد غزارة في نهاية حكم الأسرة الثانية عشر ، وكان من بين هؤلاء : العموريون بكل أنواعهم التي أسلفنا ذكرها من كنعانيون وعماليق وغيرهم من شعوب الشرق مع بعض العناصر الأخزى المحتملة كالحورانيون ممن تحالف معهم ، ومع نشوب الصراعات بين الأمراء على العرش ، واستقلال حكام الأقاليم بأقاليمهم عن الحكم المركزي ، وجد هؤلاء الآسيويون المتحالفون فرصة سانحة للاستقلال بحكم إقليمهم الذي استقروا فيه ، وإن لم يكن ذلك معلنا إعلانا رسميا في باديء الأمر [108] .

---

108 يشبه تركز الهكسوس لشرق الدلتا في ذلك العصر ما يجري الآن في عصورنا الحالية في كل من العراق والسودان والمغرب ، حيث بدأت أنواع من القوميات المتمايزة في الظهور في هذه البلدان ، كالأكراد في شمال العراق فيما يعرف بإقليم كردستان ، وكان قبل ذلك جزءا لا يتجزأ من العراق مع تمايز سكانه عن باقي سكان العراق ، وكإقليم جنوب السودان الذي كان دائما جزء لا يتجزأ من السودان حتى أعلن سكانه رغبتهم في الاستقلال بحكمه عن الحكومة المركزية ، وكذلك إقليم الصحراء الغربية في المغرب والذي يسعى سكانه للانفصال=

إن هناك ما يكفي من الإشارات الى وجود تحالف قبلي عريض، اشتركت فيه العماليق ومن جاورهم من القبائل المشتركة في الأصل ، قادهم الى السيطرة على الدلتا، وأهمية هذه الفرضية في سياق معالجة تاريخية جديدة، تكمن في أنها تعيد ادراج اصطلاح هكسوس في إطار مختلف، أقل عمومية وغموضاً، لأن المقصود بالقبائل الرعوية، أو ملوك الرعاة، ليس أكثر من توصيف يراد به طمس الأصل : قبائل العرب القدماء الذين يقال عنهم العرب البائدة[109].

ومع الوقت تزايدت رغبة الهكسوس في الانفصال بذلك الإقليم وخاصة مع تزايد أعدادهم في تلك الأراضي نظرا للمزيد من الهجرات الوافدة من آسيا بعد موجات الجفاف والصراعات التي كانت دائرة في غرب آسيا في ذلك الوقت بين شعوب المنطقة ومع ازدياد الوضع الداخلي انحلالا في مصر ، ويذهب بعض الباحثين الذين يرجحون وقوع هجرة إبراهيم عليه السلام لمصر إلى ترجيح تلك الفترة كموعد مرجح لزيارته ، فإبراهيم عليه السلام لم يأت زائرا ولا مرسلا للمصريين على حد قولهم ، بل إنه اتى مهاجرا وزائرا ومرسلا لهؤلاء القوم الذين يشتركون معه في أصله السامي العبراني ، حيث يستطيعون جميعا فهم اللهجات الآرامية والكنعانية جيدا ، وكانت الزيارة المفترضة لإبراهيم عليه السلام لمصر تنحصر في نزوله وأهله إلى إقليم شرق الدلتا الذي كان يسكنه الهكسوس بل يحصره البعض في منطقة الفرما في شمال غرب شبه جزيرة سيناء والتي كانت موطنا دائما لقبائل البدو العماليق ، وفي زيارة إبراهيم عليه السلام إلى مصر – في حال ثبوت وقوعها – في ذلك العصر بالتحديد إشارة ودلالة واضحة على أن كل من كان يعاني من المجاعات والصراعات والنزاعات في غرب آسيا في ذلك الوقت قد تشجع على الهجرة إلى مصر لما بها من أماكن للرعي والكلأ والماء والغذاء حيث كانوا يقدمون التماسات لحكام الأقاليم المصرية بالرعي

-عن حكومة المغرب ، ومع فارق التشبيه فإن ما كان يشكله الهكسوس في ذلك الوقت في إقليم شرق الدلتا هو ذاته ما يشكله الآن سكان هذه الأقاليم المذكورة مع فارق أن الهكسوس لم يكونوا في يوم من الأيام من سكان البلاد الأصليين.

[109] جريدة الحياة – العدد 13561 – بتاريخ 28/4/2000 - فاضل الربيعي – مقالة عن المرويات التاريخية العربية ...!

والاستقرار لفترة في الربوع الخصيبة سواء لرعي أغنامهم أو للتجارة أو للإقامة المؤقتة مع إحضارهم الكثير من الهبات والهدايا لحكام الأقاليم والملوك ليسمحوا لهم بذلك الطلب.

لكن بعد ذلك بسنوات ليست بالطويلة وبعد أن علم الجميع بأحوال مصر المتدهورة ، وانفصال أقاليمها عن حكمها المركزي ، شجع ذلك الآسيويين الوافدين أن يطمعوا في السيطرة على الإقليم الذي كانوا متركزين فيه وهو شرق الدلتا ، وهو العصر الذي شهدنا فيه استئثار الشعوب الآسيوية بحكم إقليم من أخصب وأجود الأقاليم في مصر في ذلك الوقت ، فكان ذلك عاملا قويا ومشجعا لكل من لا يجد مستقرا في غرب آسيا أن يفد إلى مصر ليكون جزءا من تلك الهجرات الواسعة ، وكان من جملة هؤلاء الوافدين فيما بعد يوسف عليه السلام وقبيلة بني إسرائيل الأسباط.

على أن هذه الفرضية — أي زيارة إبراهيم عليه السلام لمصر - يشوبها شائبة أخرى وهي أن الفارق الزمني بين إبراهيم ويوسف عليهما السلام يربو على المائة وعشرون عاما بل قد يصل إلى مائة وخمسين عاما ، فلو ذهبنا إلى أن إبراهيم عليه السلام قد أنجب إسحق عليه السلام وهو في عامه المائة أي بعد عودته من مصر (كما تقول التوراة) ، فإن يعقوب حفيد إبراهيم كان قد بلغ من العمر الخامسة عشر عند وفاة إبراهيم عليه السلام (عمر إبراهيم في التوراة 175 عاما) ، كما أن يعقوب عليه السلام كان قد أنجب يوسف عليه السلام وهو في التسعين من عمره ، ثم قضى يوسف عليه السلام سبعة عشر عاما في كنعان مع أهله قبل أن يباع في مصر وذلك وفقا لرواية التوراة ، وعلى ذلك تكون الفترة منذ ولادة إسحق بن إبراهيم عليهما السلام وحتى دخول يوسف مصر هي كالتالي (حسب رواية التوراة):

- سنين إبراهيم عليه السلام منذ ولادة إسحق وحتى وفاة إبرهيم عليه السلام تقدر بحوالي: 75 عاما.
- سنين يعقوب عليه السلام منذ وفاة إبراهيم وحتى مولد يوسف عليه السلام تقدر بحوالي : 75 عاما.
- سنين يوسف التي قضاها في أهله حتى انتقاله إلى مصر تقدر بحوالي : 17 عاما.

وعلى ذلك تكون الفترة ما بين زيارة إبراهيم المفترضة لمصر وبين دخول يوسف لمصر تقدر بحوالي 167 عاما ، بل قد تزيد عن هذا أيضا إذا ضممنا إلى هذه الفترة السنوات التي قضاها إبراهيم بعد خروجه من مصر إلى أن رزق بإسحق عليهم السلام جميعا.

وإذا افترضنا صحة الفرضية القائلة بمعاصرة إبراهيم عليه السلام لزمن الهكسوس في مصر فإنه يلزم من ذلك أن يكون الهكسوس قد ظلوا في مصر فترة تزيد عن القرون الثلاث ، وهو الأمر الذي يصعب افتراضه حين نعلم أن أقصى تقدير لفترة وجود الهكسوس في مصر هي فترة تزيد على المائتي عام بقليل إن لم يكن أقل من ذلك عند الكثير من المؤرخين [110] .

لذلك فإن أفضل افتراض يمكن تصوره هو وفود إبراهيم عليه السلام إلى الحدود الشرقية لمصر وكانت وقتها تشمل شبه جزيرة سيناء والتي كانت تشرف على أقصى شرق الدلتا عند الفرع البيلوزي المندثر والذي كان يصب في خليج الطينة عند ما يعرف بـــ "بلوظة" حاليا أو "بيلوز" قديما وهي الفرما ، حيث لم يكن لقناة السويس وجود في ذلك الوقت وبالتالي كان الفرع البيلوزي يعبر المنطقة التي تحتلها قناة السويس حاليا ويتجه نحو إلى الشرق نحو ساحل البحر المتوسط شمالا عند شرق بورسعيد حاليا.

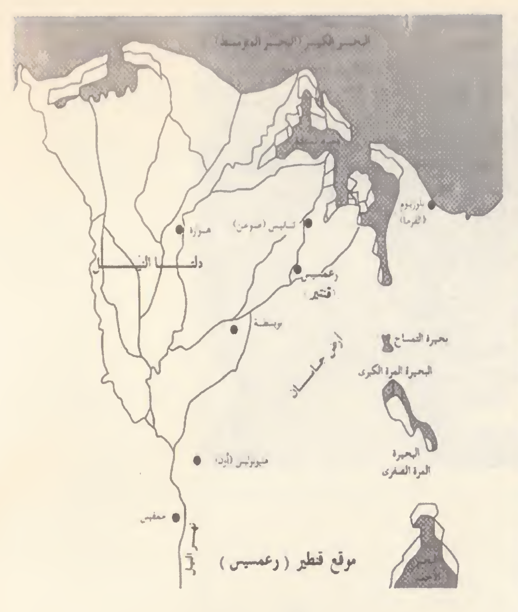
---

[110] كانت نهاية الأسرة الثانية عشر في حوالي نهاية القرن التاسع عشرة قبل الميلاد وبداية القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، ويختلف المؤرخون في تقدير نهايتها وبداية الأسرة الثالثة عشر والرابعة عشر اللتين كانتا معاصرتين لبعضهما البعض ، فيقدر البعض أن نهاية الأسرة 12 وبداية الأسرة 13 كان في عام 1760 ق.م تقريبا ، بينما يحدد البعض الآخر تاريخ بداية الأسرة 13 وبداية العصر الانتقالي الثاني لتوقيت مبكر عن هذا ، وذلك بعام 1803 ق.م تقريبا ، وعلى أي حال ما زال تقدير التواريخ في هذه الحقب أمرا غير دقيق بالمرة ، ولا ينضبط التأريخ وتحديد الأعوام إلا بحلول الدولة الحديثة التي بدأت بأحمس الأول.



خرائط لشرق الدلتا المصرية وقناة سيزوستريس





صورة بالقمر الصناعي لشرق الدلتا ومدينة الفرما ويظهر فيها قناة السويس وما زالت آثار قناة سيزوستريس التي تصب في خليج السويس موجودة وكذلك آثار الفرع البيلوزي الذي يعبر الأرض حتى شمال سيناء بمدينة الفرما القديمة وهي مدينة الهكسوس الأولى في مصر وحصنهم الأخير كذلك وكان هذا الفرع البيلوزي يصب في البحر المتوسط في خليج الطينة (بالوظة حاليا).

وكان من السهل جدا تصور وجود حاكم من العماليق الهكسوس الذين كانوا يسكنون سيناء قبل التاريخ المعروف لاحتلال الهكسوس لمصر بفترة طويلة في تلك المنطقة شمال غرب سيناء وربما كان ذلك خلال فترة الأسرة الثالثة عشر التي كان ملوكها منشغلون تمام الانشغال بالصراع على السلطة ولم ينتبهوا بكل تأكيد لهذا الخطر المتنامي على ملكهم والذي أصبح بمرور الأيام واقعا على حدود وادي النيل الشرقية.

حالة مصر فى أواخر الدولة الوسطى وتدهور الأوضاع والصراعات الداخلية :

علمنا أن الأحوال في عهد الأسرة الثانية عشرة كانت مزدهرة ، وهو العصر الذي بدأ فيه ظهور المد الآسيوي وثقافة قبائل آسيا (العمو والشاسو) كما نرى في عهد الملك سنوسرت الثالث وخلفائه من الملوك.

ثم تلا ذلك عصر تفكك وصراع على الملك وتوالي سريع لملوك الأسرة الثالثة عشر وظهور دلائل على بداية تمركز واستيلاء الهكسوس على إقليم شرق الدلتا عند أواريس/ أفاريس.

وتزامن ذلك مع عهد الملك ددومس في أواخر الأسرة الثالثة عشر ، عند مانيتون (توتيمايوس)

وكذلك الملك أو الأمير بانحسي .

كان الحال في بداية العصر المتوسط/الانتقالي الثاني كالتالي :

- انحلال في عقد المملكة المصرية في عهد الاسرة الثالثة عشر وتتالي سريع على العرش ونزاعات على الحكم وتزامن مع هجرات واسعة من آسيا إلى شرق الدلتا بلغت ذروتها في أواخر عهد الأسرة الثالثة عشر ثم فرض السيطرة على إقليم شرق الدلتا في عهد الملك ددومس ثم في عهد الملك نحسي / بانحسي الذي تقدر الاكتشافات أنه كان خاضعا للهكسوس أيضا.
- استمرار التفكك مع انهيار الأسرة الثالثة عشر وظهور الأسرة الرابعة عشر التي كانت منكمشة في غرب الدلتا في (سخا) مع خضوعها لسلطان الهكسوس الذين سيطروا على معظم الدلتا.
- في نفس الوقت بدأت تظهر في الوجه القبلي أسرة أخرى في طيبة وهي الأسرة السابعة عشرة مع عدم سيطرتها الكاملة على الوجه القبلي حيث تواكب ذلك مع وجود إمارات مستقلة بجوارها في الجنوب وبذلك تحولت مصر إلى أقاليم منفصلة كل إقليم يخضع لسلطة فئة حاكمة مختلفة.

ومن هنا نرى أن نهاية الدولة الوسطى شهدت تواجد أسرات حاكمة معاصرة لبعضها البعض ، وبالتالي لزم لنا كي نتفهم طبيعة الوضع أن نلم بفكرة عامة عن كل أسرة حكمت من تلك الأسر في إقليم مختلف عن الآخر:

- **الأسرة الثالثة عشرة** : تلقت الدولة المصرية هزة قاسية هزت أركان الامبراطورية ولم تحدثنا الكتابات الباقية حديثا شافيا يجعلنا نصل إلى كنهها ومع ذلك فإنا نلمس حقيقتها من اضطراب البيت المالك في الأسرة الثالثة عشرة فما يكاد الملك يستقر في عرشه حتى يغتصب منه الملك ويطرد ثم يتلوه غيره وتتجدد معه المأساة مما يدل على أن البلاد كانت منحدرة نحو الخراب والتدهور المشين وتلك هي إرادة الله ليهيء الأسباب لدخول الهكسوس إلى مصر وحكمها.
- **الأسرة الرابعة عشرة:**استمرار الصراع والنزاع على العرش مع تزايد نفوذ الهكسوس في سيناء بوابة مصر الشرقية ومشارف الدلتا من نفس الجهة ويظهر أن الأسرة الرابعة عشر قد خضعت لنفوذ وسلطان الهكسوس أيضا ، تلا ذلك تزايد في الهجرات من آسيا وسيطرة الهكسوس على الدلتا بقوات عسكرية وتقنيات حربية حديثة وإعلان قيام الدولة الخامسة عشر الهكسوسية التي سرعان ما سيطرت على الدلتا بالكامل بعد وقت قصير، وربما بدأ في عصرها السيطرة على باقي الدولة حتى مصر الوسطى إثر المجاعة المعروفة في القرآن بالسبع العجاف.
- **الأسرة الخامسة عشرة:** وهي الأسرة الهكسوسية الأولى التي شهدت أعظم ملوك الهكسوس وتكونت من خمس أو ست ملوك حكموا لمدة تقارب أو تزيد عن المائة عام.
- **الأسرة السادسة عشرة** : تغير جزئي في الخط الملكي للهكسوس وهو تغير في الفروع أو في الخط الإثني / العرقي للحكام ، ويظهر ذلك في الأسماء وفترات الحكم وهذه الأسرة لم يدم حكمها طويلاً.

انفصال أقاليم مصر واستيلاء الهكسوس على شرق الدلتا:

ويبدو أن المهاجرين الآسيويين الذين كانوا قد بدأو هجراتهم ورحلاتهم إلى مصر قد تكاثروا بشدة بحلول نهاية الأسرة الثانية عشرة ، وخاصة بعد أن تراخت قبضة المصريين على حدودهم بعد أن كانت مشددة في عهد ملوك الأسرة الثانية عشر وفي زمن جدار الحاكم الذي أقامه الملك أمنمحات ، وكان محور تركزهم في مصر في إقليم الشرقية وشرق الدلتا ، وكانت مناطق تواجدهم بغزارة في مدينة أواريس — أفاريس في الشرقية والتي ثبت بأدلة كثيرة متواترة أنها في موقع "تل الضبعة" بمحافظة الشرقية في مصر[111] ويعينها آخرون بأنها "صفط الحنة"[112] ، وآخرون يعينون"تل اليهودية"[113] وآخرون "قنتير"[114] وهو الأمر الذي يحتمل صحة كل الفروض حيث يمكن لمدينة كبيرة كأواريس عاصمة امبراطورية الهكسوس أن تكون واقعة في دائرة واسعة من

---

[111] تل الضبعة : هي منطقة تقع على بعد 7 كم شمال فاقوس، محافظة الشرقية، مصر. وسميت قديما باسم بزوان أو صوعن وهي مدينة مصرية قديمة بناءها الكنعانيون التجار، كانت العاصمة القديمة لسلالات العماليق الهكسوس، المدينة بنيت على خرائب إحدى مدن الدولة الوسطى، بعد سيطرة لهكسوس]على المنطقة قاموا بتحصين المدينة واتخذوها عاصمة لهم.

[112] صفط الحنة : قرية صفط الحنا هي إحدى القرى التابعة لمركز أبوحماد في محافظة الشرقية في جمهورية مصر العربية ، وقد وجد بها العديد من آثار الهكسوس وبقايا عماراتهم المحطمة لذلك ظنها البعض عاصمة الهكسوس أواريس ويبدو أنها كانت إحدى ملحقات العاصمة الهكسوسية بالفعل وأحد مراكزها الإدارية أو ضواحيها.

[113] تل اليهودية : تقع على بعد 25 كم من القاهرة وإلى الشرق من مدينة شبين القناطر بحوالى 3 كم. تقع على الطريق البرى المار من عين شمس (اون) الى وادى الطميلات فى محافظة القليوبية على خط عرض 17 30 5 وخط طول 20 31 5 ، وقد كانت تابعة لمديرية الشرقية قبل ذلك لكنها تتبع التقسيم الإداري حاليا لمدينة شبين القناطر بمحافظة القليوبية ومن الواضح أنها كانت تمثل أحد مواقع إقامة بني إسرائيل عند إقامتهم في مصر في زمان أنبياء الله يعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام.

[114] قنتير : هي إحدى القرى التابعة لمركز فاقوس في محافظة الشرقية في جمهورية مصر العربية ، وقد عينها البعض على أنها جزء هام من عاصمة الهكسوس أواريس ، ويبدو أنها كانت ملحقة أيضا بمواقعهم ومراكزهم الإدارية وكانت تتبع العاصمة.

نفس الإقليم مما يبرر وجود آثار لها في عدة مراكز وما حولها من مناطق وفق التقسيم الإداري الحديث لمحافظات مصر وجميعهم في منطقة واحدة تقريبا من إقليم الشرقية.



قنتير وعزبة حلمى بمحافظة الشرقية من أماكن استقرار الهكسوس العماليق بمصر بشرق الدلتا

لا يوجد ما يدعو للشك في وجود الهكسوس في مصر قبل عام 1740 ق.م بل قد يسبق تواجد نفوذهم في مصر قبل هذا التاريخ بأكثر من نصف قرن بل ويقدرها البعض إلى عهد الملك سنوسرت الأول ، حيث أن هجرة الهكسوس قد بدأت من المنطقة الشرقية للبحر المتوسط حوالي بداية القرن التاسع عشر ق.م.

على أنه يجب علينا التفرقة بين تواجد العناصر المكونة للهكسوس في مصر وظهور ثقافتهم وبين قيام أول أسرة حاكمة لهم ، فكما سبق يتضح أن ظهور ثقافة الهكسوس كثقافة مميزة عن غيرها وتوغلها في كل من سوريا وفلسطين ومصر وشرق البحر المتوسط قد بدأت تظهر بجلاء في صناعات تلك البقاع وثقافتها في بداية القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

وكان الحال في أواخر الأسرة الثانية عشرة المصرية على أسوأ ما يكون ، فكانت البلاد غارقة في صراعات وتناحرات على السلطة ، كما كانت تحاك المؤامرات على الملك ليتم خلعه أو اغتياله ليجلس غيره على العرش والذي لا يلبث بدوره وأن يخلع أو يغتال ليحل محله آخر ، وكان هذا مما غض طرف هذه الأسرة عن التسربات التي

بدأت تتفاقم في شرق الدلتا ، وبدأت الجماعات والقبليات تنتشر في أصقاع إقليم شرق الدلتا ، كما بدأت هذه الجماعات في تكوين قومية مستقلة لهم في هذا المكان الذي تركزوا فيه ، لتقوى شوكتهم بعد انهيار الأسرة الثانية عشر وقيام الأسرة الثالثة عشر التي لم تختلف كثيرا عن عصر اضمحلال الأسرة الثانية عشر ، مما دعا لظهور أسرة مصرية أخرى في غرب الدلتا وهي الأسرة الرابعة عشر والتي كانت تحكم إقليم سخا " إكسيوس " ، مما دفع الهكسوس إلى التفكير في إقامة أسرة خاصة بهم وهي الأسرة التي عرفت بالأسرة الخامسة عشر ، والتي أقامت عاصمتهم أواريس أو أفاريس عاصمة ذات الإقليم والتي عرفت قديما ب " حوت وعرت / حت أواريت " ، وسميت أيضا "سترويت" ولها مسميات كثيرة في عصور مختلفة، فلقد عرفت بأواريس، وزوان، وصوعن في التوراة ، وبررعمسيس فيما بعد في عهد رمسيس الثاني ، كما حاول بعض المؤرخين ربطها بتانيس في عصور لاحقة لعصر الرعامسة لكن تانيس كانت موقعا مختلفا قليلا و لم يتم اقترانها في الموقع بشكل قاطع مع أورايس.

وكانت المنازعات مستمرة أيضا في الأسرة الرابعة عشر كأسلافها الأسرتين الثالثة عشر والثانية عشر ، وكان الهكسوس بلا شك يشجعون على استمرار هذه المنازعات والخلافات بزج مدع جديد للعرش يشدون أزره حتى تستمر فترة الضعف والانحلال في بيت الحكم المصري وما لذلك من فائدة عظيمة للهكسوس في تثبيت ملكهم واستمرار توغلهم في مصر.

ويقدر البعض أن بداية قيام الأسرة الخامسة عشر الهكسوسية تنحصر مابين عامي 1740-1730 ق.م ، على أن تحديد هذا الزمن مبني على تقديرات تحتمل الصحة والخطأ ، وذلك أن إعلان أحد أفراد الهكسوس كملك على البلاد أو حتى على إقليم من أقاليم مصر ربما قد اتخد شكلا رسميا في هذا الوقت الذي عينه المؤرخون كبداية لأول أسرة هكسوسية ، ولكن من المنطقي أن هؤلاء القوم كان بينهم اعترافا داخليا فيما بينهم بتنصيب ملك أو حاكم لهم على جماعتهم وهو الشيء المتعارف عليه في هذه الثقافات والذي سبق اعلان دولتهم بكل تأكيد غير أن هذه الفروضات المنطقية لا يوجد عليها أدلة أثرية أو تاريخية تعضدها.

ويرى الدكتور خزعل الماجدي أن أقوام الشوتو (الشاسو)[115] التي كانت تسكن في شرق الأردن سرعان ما تحولوا إلى أقوام غازية ضمت لها كل من راقت له فكرة غزو مصر من الأقوام والقبائل البدوية المحيطة بها وقد نجح الغزو لأنهم اختاروا توقيتا دقيقا كانت فيه مصر تتفكك إلى ولايات وأقاليم مستقلة وبذلك تهيأ للهكسوس تشكيل الأسرة الخامسة عشر بعد هذه الفوضى التي سادت الدولة المصرية بعد الدولة الوسطى.[116]

ويقول أيضا أن هجوم الهكسوس واستيلائهم على مصر كان رد فعل طبيعي من الأقوام العمورية والبدوية في جنوب بلاد الشام كالأردن وفلسطين على مصر التي كانت تحاول السيطرة على مناطقهم لضمان وضعها الاقتصادي وبالتالي كان احتلال الهكسوس لمصر هجوم مضاد ورد فعل طبيعي ، وتمكن الهكسوس بعرباتهم التي تجرها الخيول وبأسلحتهم المعدنية وبجرأتهم من احتلال الدلتا ثم بدأوا يشيدون المدن المحصنة بطريقة جديدة تعتمد على بناء سياجات مستطيلة طولها يصل إلى نصف الميل وتحيط بها أسوار مرتفعة وكثيفة ومنحدرة من الطين المرصوص القاسي وحول السياج يوجد خندق واسع ، وهي نفس الحصون التي ظهرت في فلسطين قبل ظهورها في مصر على

---

[115] وقد خلط بعضهم بين الهكسوس والشاسو كما فعل محمد صلح ضرار (تاريخ شرق السودان35/1) نقلاً عن جرجي زيدان فذكر أن: (أمة الشاسو من عرب الشام هاجرت إلى إقليم البجة واستوطنت بين النيل والبحر الأحمر كما يتنقل فيها بدو هذه الأيام.... وكلمة الشاسو معناها عرب واشتهروا بالسطو ونهب أموال سكان وادي النيل، ويقال لهم الهكسوس) ، قلت (المؤلف) : لكن هجرات الهكسوس والشاسو قد تمت منذ نحو ألفي سنة قبل أن تصبح لكلمة عربي دلالة على الجنس العربي الذي عرف بهذه السمة بعد الاسلام. فمن الخطأ وصف الكتابات الحديثة تلك الهجرات بأنها هجرات عربية، إلى جانب أن الذين استخدموا كلمة عرب وقصدوا بها البدو هم اليونانيون والرومان. ولم يستخدم قدماء المصريون أو العبرانيون أو غيرهم من شعوب غرب آسيا كلمة عرب للدلالة على الجنس العربي. وقد ذكرنا أن هذا ما أكده الباحثون العرب أمثال الدكتور جواد علي.

[116] تاريخ فلسطين القديم – خزعل الماجدي ، والشاسو هم بدو فلسطين والأردن وكان منهم من يستوطن سيناء وأطراف مصر الشرقية ويقال أنهم من العماليق أيضا لكنهم بدو خالصين لا يتميزون بأي شيء من المدنية ويرفضون الانخراط في المجتمعات المتحضرة.

يد الهكسوس مثل شكيم (نابلس) وبيت شمش (قرية عين شمس الخربة الكائنة غرب القدس وهي ما يعرف الآن بتل الرميلة).[117]

وكانت الفكرة الراسخة في الأذهان عند عامة المؤرخين إلى سنوات مضت أن الهكسوس قد انقضوا على الديار المصرية فجأة واستولوا عليها عنوة ، بل الواقع أنه توجد أسباب عدة تدل على أن أولئك الغزاة كانوا قوة ثقافية في وادي النيل منذ عهد الملك سنوسرت الثاني أي منذ منتصف عهد الدولة الوسطى عندما كانت مصر في أوج عظمتها أو بعبارة أخرى إبان عصرها الذهبي.

والواقع أن الهكسوس كانوا قد استوطنوا في سوريا وفلسطين والأردن — ربما منذ أزمان سحيقة — قبل أن يمتد نزوحهم إلى البلاد المصرية، وتدل الكشوف الأثرية التي تم العثور عليها في مواقع متفرقة من سوريا وفلسطين على تأصل وجود هذه الثقافة في تلك الأصقاع منذ عصور بعيدة تسبق عصر احتلال الهكسوس لمصر بزمن طويل.

ولم يكن ظهور الأسرة الخامسة عشر الهكسوسية هو أول ظهور للهكسوس على مسرح الأحداث، ولكن سبق ذلك توافدهم وتدفقهم المذكور إلى مصر واستقرارهم في شرق الدلتا لأنه أقرب الأقاليم إلى مدخل مصر الشرقي ، وقد بدأ هذا التوافد مبكرا منذ عصر الأسرة الثانية عشر، ولكن ضعف واضمحلال هذه الأسرة التي بدأت قوية حال دون السيطرة على تلك الموجات من الهجرة ، ومع ازدياد ضعف نظام الحكم ازدادت الهجرات باطراد وبدأت ثقافة الهكسوس الوافدة تنتشر في الأصقاع المصرية من صناعات فخارية راقية إلى دخول الحصان ذلك الكائن الذي لم يكن المصريون يعرفونه إلى صناعات البرونز وقوالبه القوية إلى العربة أو العجلة الحربية إلى القوس المركب إلى غيرها من الأنماط الثقافية والصناعية والحربية الجديدة على الدولة المصرية في ذلك الحين.

والمؤكد الذي استقرت عليه البحوث الأخيرة هو أن غزو الهكسوس لمصر لم يتم دفعة واحدة بين عشية وضحاها ولكنه قد تم تدريجيا وعلى مهل فكان يكتسب قوته بمرور الوقت كالشجرة التي تضرب بأعراقها على مر الأيام في أرض خصبة فتزداد نموا وإيناعا ، وبذلك ازداد عددهم مع مرور الوقت إلى أن أصبح لهم سلطان عظيم في

---

[117] تاريخ فلسطين القديم — خزعل الماجدي.

البلاد بتسرهم بهذه الكيفية فكان مثلهم في ذلك كمثل الكاسيين أو الكوشيين الذين استولوا على بابل بهذه الكيفية وعلى هذا الأساس ظهرت الأسرة الخامسة عشر في مصر وهي أول أسرة هكسوسية وأول أسرة أجنبية حاكمة في مصر.

ويضفي مانيتون على غزو الهكسوس وصوفا مبالغة مشحونة بالدعاية السلبية تارة والمآرب الخبيثة تارة أخرى حيث يصفهم أنهم من أصل وضيع وأحيانا في بعض التراجم التي وصلتنا بأنهم أصحاب الأصل المجهول ثم يناقض نفسه حين يقر بأنهم سيطروا بالقوة ودون صعوبة ولا معركة ثم يعود فيقول إنهم أحرقوا المدن بوحشية وخربوا هياكل الآلهة وعاملوا السكان بمنتهى القسوة.

والحق أن كلام مانيتون هذا - إن صحت نسبته - إليه لا يعدو على كونه من الدعاية السلبية التي تبتعد عن الموضوعية تماما لمجرد أن من يتحدث عنهم مانيتون قد احتلوا وطنه في يوم من الأيام السحيقة.

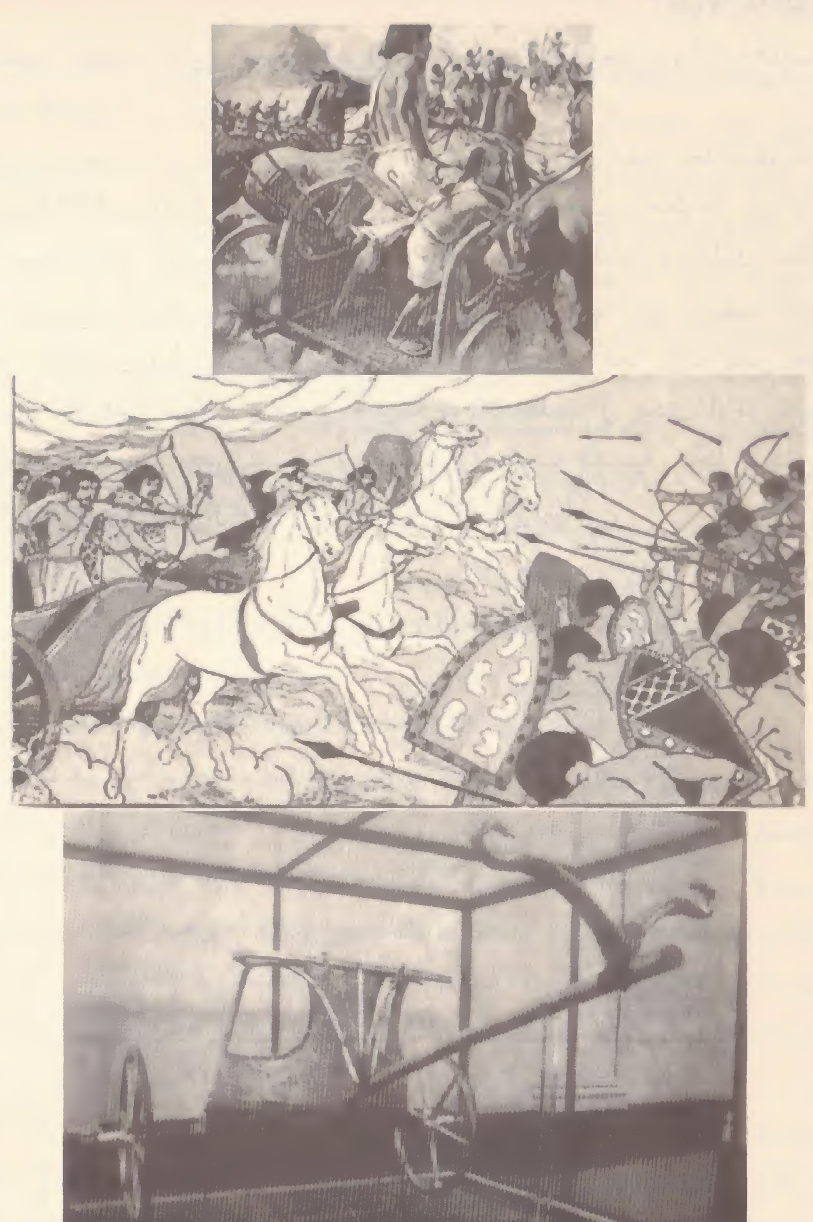
غير أن العصبية والقومية التي تحدث بها لا تغني من الحق شيئا إذا ما وضعت الحقائق في ميزان الحق والإنصاف، حيث أننا لو أعدنا تقييم كل الحقائق المتعلقة بعصر الهكسوس وحكمهم لمصر لوجدنا أن الحقائق الثابتة التي توصل إليها العلماء والأثريون تناقض تماما أغلب ما وصلنا من رواية مانيتون عن الهكسوس ، فقد بينت الكشوف الأثرية الحديثة وآخر الأبحاث عنهم أنهم لم يكونوا قوما همجيين أو بدائيين كما كان متصورا ، ولا يصح أن نتصور عنهم كذلك لمجرد أننا اعتبرنا جزء هام من مكونات شعبهم كانوا من البدو الرحل ، إلا أن ما نقوله من ثقافة خارجية أتت معهم إلى مصر قد أضافت لمدنية مصر الكثير من العناصر الثقافية والاجتماعية والحضارية التي لم تكن معروفة يوما في مصر وهو ما تحدثنا عنه في هذا الباب فيما يتعلق بعظم مدنية الهكسوس.

وما يهمنا هنا في رواية مانيتون بعض التفاصيل التي يمكن الاستعانة بها كحقائق مجردة من الميول العصبية والقومية التي بدأ بها حديثه ، حيث أورد في روايته كلاما عن أول حكام الهكسوس واسمه "ساليتيس" كما أعطانا فكرة عامة عن تمركز الهكسوس داخل مصر ومحاولتهم تحصين مواقعهم وتقوية جيوشهم بها والأهم أنه تكلم عن ملوك الهكسوس وفترات حكمهم المفترضة وقد أخذ عنه كل من أتى بعده تقسيمه للأسرات

التي حكمت مصر ومن ضمنها أسرتي الهكسوس الحاكمتين وهما الخامسة عشر والسادسة عشر.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري :حكم الهكسوس مصر بعد سقوط المملكة الوسطى (1675- 1570 ق.م) إذ استفادوا من ضعف الحكومة المركزية ومن استخدامهم العربات الحربية التي لم تكن معروفة في مصر آنذاك، وكذلك استفادوا من استخدام السهم الآسيوي القوي الذي يُعَدُّ أكثر تركيباً من السهم الذي كان يستخدمه المصريون.ولم يتم غزوهم لمصر دفعة واحدة (كما كان يُظَنُّ حتى عهد قريب) وإنما تم على شكل موجات أخذت شكلاً سلمياً في بادئ الأمر حيث كان الرعاة البدو يدخلون مصر للسقيا والتجارة.ثم أخذت العملية شكل تَسلُّل وأخيراً شكل الغزو،وهي عملية استغرقت في مجموعها عدة قرون.[118]

[118] موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – دكتور عبد الوهاب المسيري.



في الأعلى لوحات تصورية تمثل معارك الهكسوس مع المصريين، وفي الأسفل نموذج للعجلة الحربية التي تجرها الجياد

دعوة إبراهيم ورحلته كرسول للعماليق في كل البلاد:

كانت كل هذه الذرية الهائلة التي انتشرت في كل بلاد الشرق الأدنى من أصل واحد ، قبائل متآخية وأبناء عمومة ، فروع عديدة من أصل واحد ، لغتها واحدة لا يتميز لسان عن لسان إلا في اللهجة ، عادات واحدة ، ثقافة واحدة ، ومن هذه الوحدة في اللغة والعادات والثقافة والأصل كان لا بد من تنفيذ السنة الإلهية بإرسال أنبياء لإنذار هؤلاء القوم وإعادتهم إلى ملة التوحيد التي حادوا عنها وانحرفوا إلى عبادة الأوثان والنجوم والكواكب بل وعبادة الملوك أحيانا.

وكان أول رسول إلى هؤلاء الأقوام المنتشرة في كل الأصقاع مترامية الأطراف هو إبراهيم عليه السلام ، هذا الرسول الذي قطع مسافات شاسعة يعجز عن قطعها البشر فقط من أجل تبليغ رسالات الله عز وجل وإعادة البشر من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

وكان إبراهيم عليه السلام من نفس أصل العماليق ، هؤلاء العماليق الذين تعددت فيهم الأقوال ووردت الأخبار المختلفة في أصلهم ، فنجد عماليق من ولد لاوذ بن سام بن نوح، ونجد قبيلة عمليق بن إرم بن سام بن نوح ونجد أيضا قبيلة أخرى تسمت بالعماليق من عمليق بن يلمع بن عابر من نسل سام بن نوح وكلهم إخوة وأبناء عمومة من نفس الأصل ويتحدثون نفس اللغة على اختلاف مواطنهم ولهجاتهم ، وبالتالي فإن إبراهيم عليه السلام وجميع أبناءه كانوا رسلا إلى هؤلاء الأقوام بجميع فروعهم.[119]

يقول الدكتور محمد راشد حماد:

"لم يفد إبراهيم إلى مصر بسبب الجوع كما قالت التوراة فإبراهيم حينما جاء إلى مصر لم يكن هدفه الأساسي البحث عن الطعام فإن أحاديث المشناه الإسرائيلية تؤكد أن إبراهيم عليه السلام كان لديه الإمكانيات المادية التي تجعله يتجاوز أزمة الجوع

---

[119] كانت قبيلة عمليق بن إرم / آرام بن سام بن نوح من العرب التي يقال عنها عرب بائدة وهم إخوان عاد وثمود وسكنوا الشام والأردن وشمال الجزيرة العربية وشرق العراق ، أما قبيلة عمليق بن لاوذ فهم من سكنوا فلسطين أو كنعان وسوريا وجاوروا أبناء عمومتهم في بعض مناحي العراق ، وتوجد قبائل عمليق بن يلمع بن عابر من نسل أرفكشاد بن سام بن نوح وهم من كانت قبائلهم تعيش في ما بين النهرين والفرات الأوسط وهاجر منهم الكثير إلى الشام وتجولوا في بُلاد كثيرة ودخل بعضهم صحراء كنعان وغرب آسيا من جهة سيناء الشرقية ويقال أن كثير من قبائل عماليق مصر المسمون بالهكسوس كانوا من تلك القبائل.

والقحط ، لكن زيارته كانت من أجل نشر دعوة الإسلام بين كل من يتكلم بلغته أينما حل أو أقام والحاكم الذي وفد إليه إبراهيم في ذلك الوقت على أطراف مصر الشرقية عند الفرما كان من العماليق الهكسوس ويتكلم بلغة إبراهيم ، وكان الهدف الأساسي هو دعوة قبائل الهكسوس العماليق التي جمعها الله تعالى في مصر بعد أن وفدت من مواقع متفرقة بعيدة عن بعضها البعض وكان هناك ثمة علاقة مابين هذه القبائل البدوية جميعا سواء في حاران أو أرض كنعان أو في مصر أو في شبه الجزيرة العربية وهذه الأماكن جميعها قد انتقل إليها إبراهيم حاملا راية التوحيد ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به ، وكان تجمع كل تلك القبائل السامية في مصر يعد تسهيلا على إبراهيم عليه السلام في نشر دعوته.[120]

ويذكر الأستاذ نديم السيار في كتابه :

أن هجرة إبراهيم عليه السلام تزامنت مع بدء هجرة الهكسوس إلى مصر وتركزهم في أقاليم الدلتا الشرقية.[121]

وهو بذلك يرجح أن إبراهيم عليه السلام قد دخل مصر في بداية العصر الذي تركز فيه الهكسوس في شرق الدلتا كحكام لذلك الإقليم.

كما يرجح أن هجرته عليه السلام قد تمت في عصرهم ويدلل على ذلك بكلام الاستاذ عبد الوهاب النجار ود. أحمد شلبي والسحار ود. محمود بن الشريف.

ويقول العقاد : "معظم المنقبين يعينون تاريخ إبراهيم ويجعلونه معاصرا لدولة الرعاة في مصر ، وولادة إبراهيم في هذه الفترة ترجحها الكشوف والأحافير كما ترجحها النتائج التي تمثلت في سيرته عليه السلام".

ومما يؤيد هذه الوجهة كلام البري وابن ظهيرة وبن إياس وابن عبد الحكم وغيرهم من أن الملك الذي استقبل إبراهيم في مصر في ذلك الحين كان من العماليق ويرجحون أن هذا الملك كان أول العماليق.

---

[120] دكتور محمد راشد – ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام – نشر دار الكتاب العربي.

[121] قدماء المصريين أول الموحدين – نديم السيار.

وهذا الكلام بالطبع لا يخلوا من صحة فمن المحتمل أن زيارة إبراهيم عليه السلام لمصر كانت في ذلك العصر الذي بدات فيه قبائل الهكسوس في الاستيطان في شرق الدلتا والاستئثار بحكم إقليم شرق الدلتا في وقت كان حكم الأقاليم وانفصالها أمرا قائما في مصر وذلك قبل أن تسقط مصر بالكامل في قبضة الهكسوس (دون جنوبها).

كما يؤيد هذا الاحتمال اشتراك إبراهيم عليه السلام والهكسوس في الأصل المشترك فإبراهيم عليه السلام سامي الأصل ومن العبرانيين نسبة لجده عابر ، كلداني المولد والمنشأ حسب التوراة آرامي اللغة ، وان اختُلف في أصل قومه الذين كانوا عبرانيين من نسل عابر ، فمهما كان الاختلاف في أصله العرقي (ولا نتحدث هنا عن مولده ونشأته ولغته وانتسابه بل عن جذوره العرقية) ، إلا إنه يجوز في النهاية تسميته بالأرامي ، فهو في النهاية أصبح آراميا بالتبعية والثقافة واللغة ، وكذلك الهكسوس فإن الطابع الغالب على جانب من ثقافتهم ولغتهم هو الطابع الآرامي كما تقدم برغم أصولهم العرقية السامية أيضا والتي كان يغلب عليها العنصر العموري العربي المبكر.

وبذلك يصح أن نقول إن الهكسوس في مصر كانوا في نطاق دعوة إبراهيم إلى التوحيد بل هم من عين قوم إبراهيم المنتشرين في البلاد وكانوا فرعا هاما مكون من مجموعة قبائل متحالفة يشتركون جميعا مع قوم إبراهيم بالصلات العرقية القريبة فهم أبناء عمومة ، وغني عن الذكر انتشار هؤلاء الهكسوس الرعاة وغيرهم في مناحي الشام ومصر وبلاد ما بين النهرين حيث كانت تلك البلاد خاضعة لسيطرة أنواع كثيرة منهم وتلك هي المناطق التي تجوَّل فيها إبراهيم عليه السلام وكان ترحاله بينها.

الفصل الثالث: يوسف في مملكة الهكسوس

- أواريس ... مسرح الأحداث
- قصر الملك الريان في أواريس !
- سر منح حقوق التنقيب للبعثة النمساوية برئاسة اليهودي مانفريد بيتاك!
- حياة إسحق ويعقوب وبنيه في صحراء كنعان
- الإسماعيليون ينتشلون يوسف من الجب
- انتقال يوسف من صحراء كنعان إلى مصر وإقامته في بيت العزيز
- مراودة امرأة العزيز ليوسف ومحنة السجن ..
- ودخل معه السجن فتيان .... مؤامرة في قصر الملك :
- يوسف يفسر رؤيا الفتيان ويدعوهما إلى الله:
- رؤيا الملك :
- براعة المصريين في تأويل الأحلام وتصنيف الكتب في ذلك :
- الهكسوس يجهلون علم تأويل الأحلام :
- يوسف عزيزا لمصر
- إشكالية الإثبات التاريخي والأثري لوجود بني إسرائيل في مصر
- دلائل على معاصرة يوسف للهكسوس ودخول الأسباط أرض مصر في زمنهم:

- الملك خيّان / خايان الهكسوسي هو ريّان بن الوليد العمليقي في الأدبيات العربية وصاحب رؤيا المجاعة في القرآن والتوراة:
- المجاعة :
- مصر .. خزائن الأرض في العالم القديم:
- يعقوب والأسباط في مصر
- أرض جاسان:
- كيف تملك الهكسوس على أرض مصر حتى حدود طيبة بعد أن كانوا في الدلتا ؟
- اتساع الدولة المصرية في عهد الهكسوس
- ملوك العماليق الستة أو ملوك الهكسوس الكبار:
- مقارنة بعض أسماء ملوك وحكام الهكسوس مع المصادر التاريخية المعروفة:
- أمراء الهكسوس أو الهكسوس الصغار أو ملوك القبائل والمقاطعات:
- اسم يعقوب يظهر في الآثار المصرية / الهكسوسية :
- اسم "قارون" يظهر في الآثار المصرية / الهكسوسية
- وفاة يوسف عليه السلام:
- بنو إسرائيل في مصر من بعد نبي الله يوسف:
- بنو إسرائيل ... ملوكا!!!

- **أواريس ... مسرح الأحداث**

قرون طويلة مرت على بنائها في شرق الدلتا ... ثم تلاها بقرنين اقتحام المصريين لأورايس عاصمة الهكسوس في مصر بأعنف طريقة ممكنة ...

ولم يبق أحمس ورفاقه حجرا على حجر ...

لقد دمروا المدينة تدميرا كاملا وجعلوا عاليها سافلها ولم يبق منها شيئا يذكر بعد أن نسفوا بنيانها من القواعد ..

ما يقرب من ثلاثة آلاف وخمسمائة عام كاملة مرت على تلك الواقعة ... ذهبت خلالها مدينة أورايس إلى غياهب النسيان وطواها الزمان في طياته وأصبحت أثرا بعد عين ...

لم يحدث في تاريخ مصر بطولها وعرضها أن تدمرت مدينة من المدن بتلك الطريقة إلا مع مدينتين اثنتين ... مدينة آخت-آتون عاصمة إخناتون في تل العمارنة ، ومدينة أورايس عاصمة الهكسوس في شرق الدلتا بمحافظة الشرقية المصرية والتي نتحدث عنها هاهنا...

على ثرى أواريس أو أفاريس أو هواريس - التي تتعدد طرق النطق باسمها - وطأت أقدام الأنبياء خطوات طاهرة ، فنبي الله يوسف عليه السلام قد وصل إلى مصر أيام الهكسوس وأقام في المكان الذي كان يطلق عليه في ذلك الوقت صوعن / زوان "صان الحجر حالياً" حيث وصل إلى مكان مرموق كما قال الله تعالى في كتابه الكريم "قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" وانتهى الأمر بمجيء يعقوب والد يوسف وإخوته وأعطاهم سيدنا يوسف قطعة أرض في إقليم "أرابيا" أوصفط الحنة أو فاقوس حسب رأي بعض الدارسين وفقا لرواية التوراة.

وولد موسى عليه السلام علي هذه الأرض وألقته أمه بتابوته في اليم الذي يقال إنه "ترعة السماعنة" حيث التقطه آل فرعون وتربي بمصر إلى أن خرج إلى أرض مدين عن طريق سيناء ثم آتاه الله الرسالة فعاد إلى مصر مرة أخرى لإنذار فرعون وإنقاذ بني إسرائيل من استعباده.

وبسبب غياب أي كتابات تدل على موقع المدينة وبتلف كل ما يتعلق بفترة الهكسوس بطريقة مريبة لم يحاول أحد عبر كل هذا التاريخ أن يبحث عن أي أثر للمدينة أو عما تبقى منها وخاصة أن موقعها بالتحديد كان مجهولا يلفه الغموض ...

ومرت عقود طويلة على علماء المصريات والتاريخ الذين أمعنوا في طرح النظريات والافتراضات المتتالية لتحديد موقع عاصمة الهكسوس في مصر ، انحصر غالبيتها في محيط محافظة الشرقية في شمال مصر ، وأخفقت أغلب المحاولات في تعيين الموضع بدقة.

لكن في عام 1885 م بدأ السويسري "إدوارد نافيل" أعمال الحفر لأول مرة في منطقة "تل الضبعة" بمحافظة الشرقية بدلتا مصر ، ثم تبعه بعد ذلك في أعمال الحفر والتنقيب "لبيب حبشي" عالم المصريات الحبشي بين عامي 1941 و 1942م للبحث عن أنقاض مدينة أورايس المندثرة بين عامي 1966 و 1969 وما بعد عام 1975 تم التنقيب في الموقع بشكل منهجي ومنظم من قبل المعهد النمساوي للآثار لكن التقدم لم يكن على المستوى المنشود خلال تلك العقود.

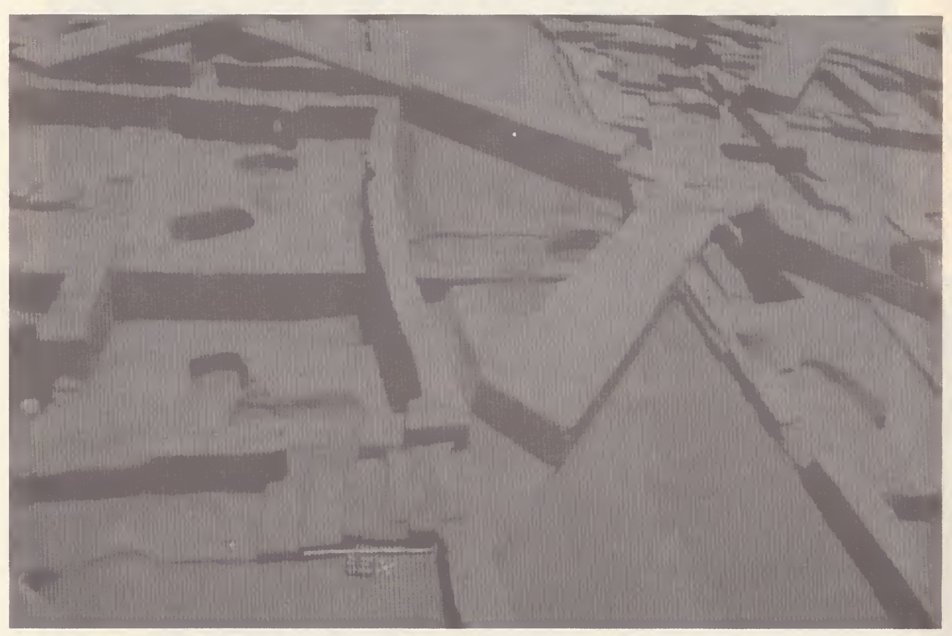
واستمرت تلك التنقيبات بواسطتهم لكن وبعد استحداث وسائل جديدة حتى ظهرت للنور أطلال مدينة أواريس وأنقاضها التي كانت مطمورة تحت الأرض الزراعية عام 2010 م وقد تم الكشف عن موقع المدينة المفترض في تل الضبعة وتكللت كل تلك الجهود بالنجاح مؤخرا عندما أعلنت البعثة النمساوية[1] عن عثورها على أنقاض مدينة أورايس تحت الأرض بمنطقة تل الضبعة وذلك بعد استخدام تكنولوجيا التصوير الراداري وبالمسح الأثري الجيوفيزيقي وتمكن علماء البعثة من كشف الخطوط العريضة للمدينة وتم اكتشاف مدينة كاملة تقبع تحت الأرض بشوارعها وبيوتها وقصورها وآبارها وحتى مقابرها بل والأدهى من ذلك اكتشاف مسار قديم لأحد فروع النيل المندثرة التي كانت تمر بالمدينة بالإضافة إلى جزيرتين كانتا موجودتين داخل ذلك الفرع القديم وميناء نيلي على شاطئه ومعبدين آسيويين كبيرين متماثلين تمام

---

[1] مشروع التنقيب عن حفائر تل الضبعة بمحافظة الشرقية بمصر هو مشروع مشترك للمعهد النمساوى للآثار بالقاهرة و معهد المصريات لجامعة فيينا ومفوضية مصر والمشرق بالأكاديمية النمساوية للعلوم ، و الحفائر ممولة من وزارة التعليم و العلوم و الثقافة الفيدرالية النمساوية (BM:BWK)، و الصندوق الوطني للعلوم (FWF)، بواسطة جامعة فيينا و الأكاديمية النمساوية للعلوم و معهد ما قبل التاريخ الإيجى بفيلادلفيا مدعومين من المجلس الأعلى للآثار الذي كان يرأسه د. زاهى حواس الأمين العام وقتها، و السفارة النمساوية بالقاهرة والسفير كـــورت سبلينجر، كما اشترك في ذلك المشروع كلا من المدير العام للدلتا و سيناء ، د. عبد المقصود و مدير منطقة شرق الدلتا إبراهيم سليمان وغيرهم ، مما يدل على عظم وأهمية الموقع بالنسبة لمن تولى التنقيب ولمن يقف خلفهم أيضا.

التماثل مع المعابد الكنعانية التي كشف عنها بحاصور ومجدو في فلسطين، مما أعطى للبعثة النمساوية صاحبة الكشف صورة عامة للتخطيط العمراني للمدينة بالكامل وبالتالي تحديد كل معالم المدينة على حدة.

تم ذلك في عام 2010 م وبعد مشوار طويل من البحث والتنقيب خلال عقود عديدة، وبدأت معالم مدينة مطمورة تحت الطمي والركام الهائل تظهر للعيان في منطقة تل الضبعة بمحافظة الشرقية المصرية.

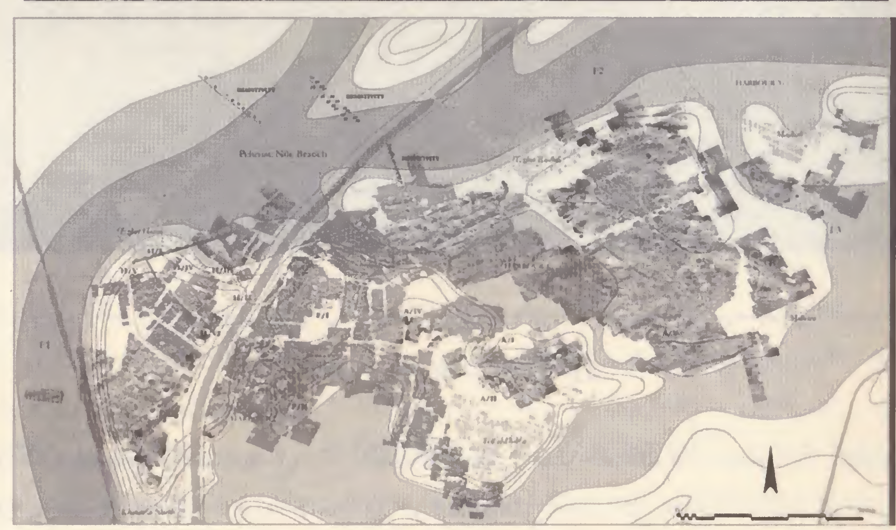


أحد المنازل الكبيرة المكتشفة في موقع تل الضبعة بالشرقية ويظهر فيه تقسيمة المنزل وسلم من الطوب اللبن يؤدي من الطريق إلى داخل المنزل

وكان الموقع المكتَشف في تل الضبعة يغطي مساحة قدرها حوالي 2 كيلومترين مربعين، هو في حالة خراب كامل في الوقت الحالي بعد كل ما مر به من عوامل هدم وتعرية عديدة خلال القرون الطويلة التي مرت به منذ أن تم تدميره ، لكن الحفريات أظهرت أن تلك البقعة التي تمثل المدينة الغابرة كانت مركزا حضاريا متطورا ومحط

لحركات التجارة النشطة فضلا عن وجود ميناء كان يستقبل ما يزيد عن ثلاثمائة سفينة خلال مواسم التجارة المختلفة في العام الواحد.





المسح الجيوفيزيائي لمدينة تل الضبعة – عزبة حلمي – شمال قرية الختاعنة

أما القطع الأثرية المتناثرة التي وجدت في مواقع قريبة تشير لوجود معبد تم تشييده في فترة الهكسوس يحتوي على صنائع مختلفة أتت من جميع أنحاء بحر إيجة.

أما الملفت هو العثور على لوحات تتطابق إلى حد كبير مع اللوحات الجدارية للحضارة المينوية التي وجدت في جزيرة كريت في قصر كنوسوس ، وقد تم العثور على تلك اللوحات المتشابهة في تلك المواقع التي تم تعيينها كمواقع للمعابد التي تقع في مدينة أورايس ، وهي واحدة من ثلاث مواقع أخرى تم العثور فيها على آثار مانوية خارج مدينة ثيرا وكريت مثل آلالاخ في سوريا وقرية الكابري في فلسطين المحتلة ، مما يدل على أن الهكسوس كانت تربطهم علاقات ديبلوماسية وربما تجارية بالحضارة المانوية في كريت وثيرا باليونان لذلك اعتقد بعض علماء الآثار بوجود مستعمرة مانوية في أورايس على إحدى الجزر التي كانت في فرع النيل المندثر والذي كان مارا بمدينة أواريس في ذلك الوقت.



لوحة جدارية ترجع للحضارة المانوية

كما يجدر بالذكر أن الهكسوس كانوا على علاقة وثيقة مع الأوجاريتين وذلك من خلال ما بينته الحفريات في أواريس عاصمة الهكسوس، وقد أشارت العديد من

المصادر القديمة إلى أوجاريت وحضارتها ومدى تقدم سكانها وازدهار الصناعة والتجارة مع حضارات البحر الأبيض المتوسط وكانت لأوغاريت أهمية تجارية كبيرة[2]، وهو ما يؤكد الدلائل المتواترة بأن تولي الهكسوس لحكم مصر قد منحهم سلطة التحكم بالطرق التجارية عبر البحر الأبيض المتوسط وطرق التجارة في الشرق الأدنى عبر فلسطين والشام وغيرها.

وفي بعض الحفائر التي تمت في بعض الجدران المصنوعة من الطوب اللبن في غرب المعبد المتعين وجدت آثار مقبرة تحتوي على بعض الآثار مثل بعض السيوف النحاسية وغيرها من المقتنيات المختلفة.

---

[2] أغاريت أوأوغاريت ، بالإنجليزية Ugarit :هي مملكة قديمة في سورية كشفت أنقاضها في تل أثري يدعى رأس شمرا وكذالك في رأس ابن هاني تتبع محافظة اللاذقية على مسافة 12 كم إلى الشمال من مدينة اللاذقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

أوغاريت مدينة أثرية قديمة وقد بينت الحفريات والأسبار الأثرية أن موقع رأس شمرا يشمل على حوالي 20 سوية أثرية (استيطان) تعود حتى العام 7500 ق.م. إلا أنه مع حلول الألف الثاني قبل الميلاد تضخم الاستيطان في الموقع لتتشكل ما عرف باسم أوغاريت هذا الاسم الذي كان معروفًا قبل اكتشافها – صدفة في العام 1928م- من خلال ذكرها في نصوص مملكة ماري، حيث تذكر النصوص زيارة الملك زميري ليم في العام 1765 ق.م لأوغاريت، ومن رقيم آخر عثر عليه أيضًا في وثائق ماري، وهو عبارة عن رسالة من ملك أوغاريت إلى ملك يمحاض بعاصمتها حلب، يرجوه فيها أن يطلب من ملك ماري (مملكة ماري على نهر الفرات في سوريا) أن يسمح له بزيارة قصر ماري الذي كان ذائع الصيت في ذلك الوقت، وإن دل هذا على حرص أغاريت على إقامة علاقات طيبة مع ملك ماري فإنه يدل في نفس الوقت بأنه يحرص أن تكون هذه العلاقة عن طريق وبمعرفة ملك يمحاض القوي في حلب. وكذلك ورد ذكر أوغاريت في النصوص الحثية المكتشفة في الأناضول -وسورية ورسائل تل العمارنة المكتشفة في مصر. وتبين من الحفريات أن أوغاريت كانت عاصمة لمملكة بلغت مساحتها 5425 كم مربع تقريبًا في القرنين الخامس عشر والثاني عشر قبل الميلاد وهي فترة ازدهار المملكة ، ويـُقدّر عدد سكان مدينة أوغاريت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بـ 8000- 6000 نسمة وذلك اعتمادًا على بقايا البيوت العشرة آلاف المكتشفة فيها، أما سكان باقي المملكة فيقدرون بـ 50000 إلى 35000 نسمة، موزعين على 150-200 قرية ومزرعة تابعة للعاصمة. وتبين النصوص وجود سكان حوريين وحيثيين وقبارصة في العاصمة أوغاريت، كذلك بعض الجبيليين والأرواديين والصوريين والمصريين.

وفي هذا الموقع المعين لأورايس من المفترض أن يكون هناك آثار باقية لكل المحتويات الضخمة التي كانت بالمدينة سواء القلعة الكبيرة التي بناها الهكسوس في مدينتهم المحصنة أو مرافق ومستودعات التخزين الضخمة ومستودعات الغلال ومعسكرات الجيش وغيرها من المنشآت الهامة التي من المؤكد أن المدينة قد احتوت عليها.

والعجيب في الأمر هو ما اكتشفته البعثة من سلسلة طويلة للآبار والعيون متعددة الأشكال والأحجام ، فرغم مرور فرع قديم من فروع النيل بالمدينة إلا أن المدينة كانت تتمتع أيضا بالعيون والآبار غزيرة الماء مما يظهر من المسح الأثري.

وطبقا لما أفادته البعثة الأثرية في تقاريرها المتتالية بشكل دوري أن حفر جميع هذه المساحة دفعة واحدة مستحيل خاصة أن أجزاء كبيرة من الموقع المفترض للمدينة يقع تحت أراض زراعية ما زالت تستخدم حتى اليوم.

وتوالت الكشوف الأثرية في المنطقة الواحد تلو الآخر في العشر سنوات الأخيرة تحديدا رغم أن عالم المصريات النمساوي اليهودي البارز مانفريد بيتاك وهو عضو في مجلس إدارة معهد علم المصريات بجامعة فيينا ومؤسس معهد الاثار المصري النمساوي بالقاهرة وهو القائم بأعمال تلك البعثة وعمودها الأساسي كان قد رجح منذ زمن بعيد وجود عاصمة الهكسوس أفاريس في تلك الأنحاء تحديدا وذلك منذ منتصف تسعينات القرن الماضي .

لكن الأثر الأبرز الذي كشفت عنه البعثة داخل أطلال تلك المدينة الغابرة المحطمة هو أحد القصور الضخمة والمقام على مساحة تصل لحوالي عشرة آلاف متر مربع.

وقد كانت المفاجَأة التي تبدت للباحثين أن القصر لايتوافق مع طريقة بناء القصور المصرية وانما يتطابق مع القصور الملكية بسوريا وهي أحد المواطن الأساسية للهكسوس كما سبق وأن بينّا.

وكان مانفريد بيتاك قد بدأ هو وفريقه منذ عام ٢٠٠٥ في كشف منطقة أحد القصور منذ عهد الهكسوس والذي تبين لاحقا أنه قصر للملك خايان / خيان أحد أقوى ملوك الهكسوس وأشهرهم على الإطلاق وهو من سبق وأن رجحنا تطابقه وقاربنا اسمه مع من أسماه المؤرخين العرب بالملك "الريان" وهو الملك الذي عاصر يوسف عليه السلام وهو صاحب الرؤيا الشهيرة.

ومن الكشوف المثيرة التي عثر عليها بالموقع هو اكتشاف مقبرة داخلية لأنثى فرس مدفونة داخل القصر وكان ذلك من المفاجآت التي واجهت البعثة ومـــن ثـــم تـــم اعتبارها الحيوان المفضل لدي حكام الهكسوس وهي تعتبر أقـــدم آثـــار الخيـــول المدفونة بمصر.[3]

وجدير بالذكر أنهم بالإضافة إلى الحصان الذي أدخلوه إلى سورية ومنها إلى مصر فقد أتى الهكسوس بالمركبة إلى كلا البلدين، وكانت المركبة التي تجرها الخيل من أدوات الحرب، ولابد أن ظهورها ترك نفس التاثير الذي تركته الدبابة أو الغازات السامة كأنه "سلاحا سرياً" آخر كما حدث في الحرب العالمية الأولى لاحقا ، أما الحصان نفسه فقد ألقى الرعب في قلوب السكان المصريين لأنهم لم يشاهدوه من قبل، فلا عجب إذا أهتم الهكسوس بدفنه في قبر خاص أو مع صاحبه كما تدل البقايا في تل العجول أو غزة القديمة ، ويقال إنه بعض الحالات كان يقدم الحصان كذبيحة ويؤكل لحمه لكن ذلك الافتراض غير مؤكد من الوجهة الأثرية.



مقبرة داخل باحة أحد القصور بأواريس لأنثى فرس

[3] اعتبر المؤرخون أن أول من استخدم الخيل في تنقلاتهم والمركبة التي تجرها الخيول هم الهكسوس وقد تم تسميتهم بأصحاب العربات الحديدية ، وهناك بقايا أثار أخرى في فلسطين والشام تماثل ما عثر عليه في أواريس تدل على حبهم وتعلقهم الشديد بالحصان حيث وجد في المدافن بقايا حصان مدفون مع صاحبه، وهذه الأثار في تل العجول أو (غزة القديمة).

وهذا بالفعل يدلل على الكثير من الأفكار التي توحي لنا بطبيعة الهكسوس وثقافتهم التي تحدثنا عنها كثيرا خلال هذا الفصل ، وهو ما يؤكد الفرضيات القائلة بأن الهكسوس كانوا متمرسين في تربية الخيول بل وكانوا يجلونها أعظم الإجلال ويعتبرونها جزءا من حياتهم للدرجة التي تجعل أحد ملوكهم يخصص مكانا في فناء القصر لدفن أحد أحصنته.

وأكدت عضوة البعثة النمساوية إيريني فوستنر أن الحفائر التي قامت بها البعثة فى تل الضبعة منذ عام ٢٠٠٦ أسفرت عن اكتشاف قصر يعود إلى منتصف عصر الهكسوس (حوالي ١٦٦٤ . قبل الميلاد) ، عثر بداخله على العديد من الأختام لأحد ملوك الهكسوس البارزين وكشف فى أرشيفه عن رسائل دبلوماسية تبادلها ملوك الشرق الأوسط القديم ، ومترل قديم قائم بذاته يتكون من جانبين مع حجرات عديدة وافنية ملحَقة إلى شماله وشرقه.



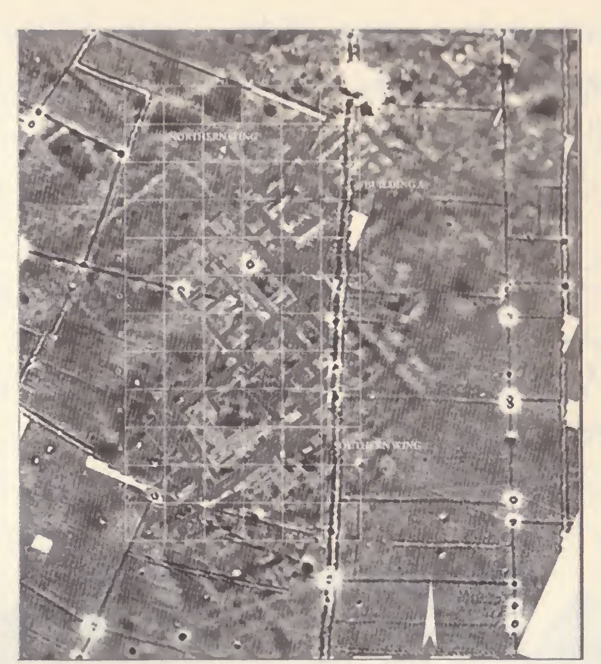
ختم طيني محروق يحمل اسم المالك خايان

Khayan



أحد الأختام الملكية التي تعود للملك خايان / خيان

والتي تم العثور عليها في الموقع



المسح الجيولوجي بعزبة حلمي يبين أحد القصور المقام على مساحة شاسعة تبلغ 8000 م2 ويقدر أنه للملك خايان / خيان

إلا أن الكشف الحقيقي لموقع المدينة والكثير من الآثار المكتشفة فيها لم يتم العثور عليها إلا بعد تحديد موقعها بالمسح الجيوفيزيقي باستخدام الرادار كما ذكرنا ، فتم اكتشاف مجموعة كبيرة من الأواني الفخارية والمقابر والبيوت والقصور والألواح الطينية الصلبة وغيرها من الكشوف العديدة في تلك المنطقة.

ومن بين كل تلك الكشوف فقد تم الإعلان عن أحد الألواح المكتوب بالكتابة المسمارية القديمة والذي أعلنت عنه جامعة فيينا عام 2009م واعتبرت أن هذا اللوح هو من أقدم الوثائق بمصر بالخط المسماري ودللت على ذلك بأنه يعد برهانا على العلاقات الدبلوماسية الواسعة للهكسوس مع الدول الخارجية ، فقد تم اكتشاف جزء من لوحة للخط المسماري باللغة الأكادية من أواخر العصر البابلي (حوالي 1600 إلى 1550 قبل الميلاد) لكن البعض يرجح أنها تسبق ذلك التاريخ قليلا لتتزامن مع فترة حكم الملك خايان ملك الهكسوس الذي يظن أنه قد تقلد الحكم (1653 - 1614 قبل الميلاد)، وهي الفترة التي تتزامن مع العصر البابلى المتأخِّر ، وقد رجح البروفيسور بيتاك أن الموضوع يخص

أقدم وثيقة للخط المسماري في مصر ويكشف عن العلاقات الدبلوماسية الواسعة لمملكة الهكسوس على غير ما كان متوقع ، وهو الأمر الذي يؤكد ما ذكرناه في هذا الفصل من قبل من اتساع امبراطورية الهكسوس وتحالف ملوكهم بمصر مع ممالك الشام والرافدين أو الهلال الخصيب بشكل عام ووقوع أماكن كثيرة في الشام والهلال الخصيب تحت سلطانهم.



ختم من الطين المحروق باسم الملك خيان / خايان

ويعتقد بيتاك اليهودي الديانة أن الهكسوس لم يأتوا بالمصادفة الي مصر وإنما قد تم جلبهم بواسطة المصريين لاستخدامهم كعمال وجنود وبحارة ، ويفترض كذلك أن الهكسوس قد استغلوا فترة من فترات ضعف الحكام المصريين وقاموا بالسيطرة علي الحكم.

ومن بين الكشوف أيضا بقايا طابعة ختم من الطين المحروق محفور عليها بالكتابة المسمارية اسم أحد كبار الموظفين فى الدولة، ويمكن أن يعود تاريخها للعصر البابلى القديم، خاصة فترة حكم الملك حمورابى (1792–1750 قبل الميلاد) ، وهذا الختم هو الثانى من نوعه الذي يعثر عليه في تل الضبعة بعد القطعة التي تم العثور عليها في قصر الملك خايان ملك الهكسوس.



موقع مدينة أورايس / أفاريس في شرق الدلتا المصرية ويظهر في الخريطة فروع النيل المندثرة التي لم تعد موجودة اليوم والتي امتدت حتى شمال سيناء

وأقر مانفرد بيتاك أن هذان الختمان لهما أهمية أثرية كبيرة حيث إنهما أقدم الأختام البابلية التى يتم العثور عليها فى مصر فهما يؤرخان إلى 150 عاماً قبل اكتشاف أختام مشابهة داخل مدينة تل العمارنة مدينة اخناتون كما أنهما دليلان على أن الهكسوس كانت لهم علاقات تجارية مع الشرق الأدنى وصلت إلى بابل.

ويقال أن أواريس هي زوان أو صوعن التي ذكرت في التوراة لكنا نعرف أن صوعن وأواريس مدينتان مختلفتان[4] أما أواريس فقد كان اسمها القديم قبل الهكسوس

---

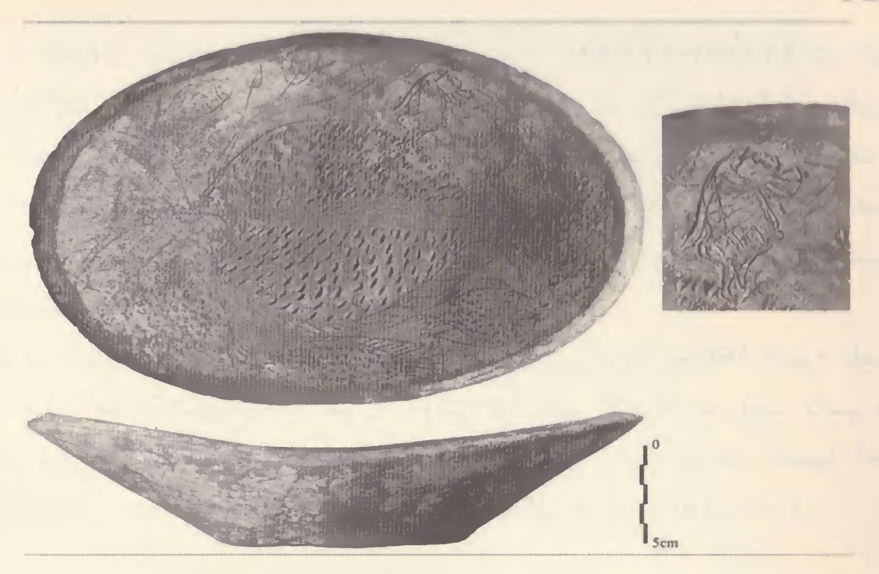
[4] صوعن / زوان في التوراة : مدينة مصرية على الضفة الشرقية من الدلتا وعلى فرع النيل الطافي ، وقد بنيت بعد حبرون بسبع سنين وفقا للتوراة وكانت هذه الأيام في أيام إبراهيم (سفر العدد 13: 22) ، وقد وجدت صوعن على الأقل منذ عهد الأسرة السادسة وجعلها أول ملوك الأسرة الثانية عشرة عاصمتهم ليراقبوا الهجمات الشرقية عليهم. حصّنها الملوك الرعاة واحتفظوا بها بالقرب من عاصمتهم "أفاريس/أواريس" ، وسيأتي التفصيل عن تلك المدينة في الفصل الرابع.

بالمصرية القديمة: حوت وعرت / حت أواريتس Ḥaʔat-Wūrat أي البيت الكبير أو القصر الكبير ، وتنطق باليونانية: أورايس أي أن الاسم المتداول حاليا هو الاسم اليوناني للمدينة ، وهي مدينة مصرية قديمة بناها الكنعانيون التجار في مصر أو بنيت خصيصا لتصبح مركزا لحط رحال قوافل الكنعانيون الآتية من الشرق إلى مصر ، وقد بنيت المدينة على خراب إحدى مدن الدولة الوسطى ، وبعد سيطرة الهكسوس على المنطقة قاموا بتحصين المدينة واتخاذها عاصمة.

ويقرن الكثير من الباحثين هذا الاسم بالاسم الحالي لقرية بمحافظة الفيوم المصرية تسمى قرية "هوارة المقطع" أو "هوارة" والتي بها أحد الأهرام المعروف باسم هرم هوارة ، وهي أيضا اسم قبيلة واسعة الانتشار في مصر وشمال افريقيا ينسبها البعض للعرب والبعض يعتبرها من قبائل البربر المنتشرة بشمال أفريقيا والمغرب العربي.



من المصنوعات الفخارية التي تم العثور عليها في الموقع وتمثل جزء من مجسم لفرس النهر



أحد الأوانى التي عثر عليها تحمل رسوما لبعض الأسماك مصنوعة من الطين الرسوبى وبعض الرسوم الهزلية كأنثى فرس النهر تقوم على أرجلها الخلفية مع سكين فى يدها



إحدى الحفر الدائرية التي عثر عليها في الموقع تحتوي على الساقين الخلفين لأحد الحيوانات (ذكر العجل)، وواضح أن ذلك يخص أحد الطقوس أو الشعائر الدينية

ومن المستغرب حقا أن نرى هذا التقليد في مدينة أواريس تحديدا[5]، فهذا يدل بشدة على أن من قام بدفن الجزء الخلفي للعجل لم يقم باستهلاكهما وهو ما يذكرنا بشدة بطريقة الذبح على الطريقة اليهودية "كشروت" أو "كوشر" وبالعبرية כשרות، والكشروت هي تسمية عامة تطلق على ما يحلّ أكله من الطعام عند اليهود، وتعتبر اليهوديّة الأصناف المباحة من صنف الطعام الـ "كوشير" وهو طعام "الكوشر" (الحلال) حسب الأحكام اليهودية، مثل الحلال في الإسلام. أما غير الكوشر فيسمى طريفه טרפה.

ويسرد سفر اللاويين والتثنية مبادئ أحكام الكوشر لكن التفاصيل تم تفصيلها في الشريعة الشفوية المشناه والتلمود ، وهي مفصَّلة أيضا في كتابات الحاخامات.

وتحظر الكشروت أكل الشيليف (نوع من الشحم) والعصب الوركي، لهذا فالجزء الخلفي من جسد الحيوان يمر بعملية تستهلك الكثير من الوقت تسمى نيكور حتى يكون قابل للاستهلاك من قبل اليهود حيث يتم انتزاع العروق والعصب الوركي والذي يسمى بـــ "عرق النسا " ، لكن عملية النيكور مكلفة ونادراً ما يتم تطبيقها خارج إسرائيل في الوقت الحالي ، حيث يتم بيع مؤخرة جسد الحيوان المذبوح حسب الشحيطه في بقية أنحاء العالم في قسم المحال التي لا تلتزم بالكشروت.[6]

---

[5] تكرر العثور على مثل تلك المدفونات الطقوسية في مواقع المدن القديمة بسوريا وفلسطين وقد روعي فيها نفس النمط كالحفر الدائرية ووجود النصف الخلفي للذبيحة التي تكون عادةً أحد العجول.

[6] نقلا عن تفسير بن كثير بتصرف في قوله تعالى : كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، قال ابن عباسٍ : لما أصاب يعقوب عليه السلام عرق النسا وصف الأطباء له أن يجتنب لحوم الإبل فحرمها على نفسه ، وقيل أنه حرم على نفسه أن يأكل الجزء الذي به عرق النسا من كل الذبائح واتخذته بنو إسرائيل من بعدهه سنة ، وقال عطية العوفي : إنما كان ذلك حراما عليهم بتحريم يعقوب ذلك عليهم . وذلك أن إسرائيل قال حين أصابه عرق النسا : والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد، ولم يكن ذلك محرّما عليهم . وقال الكلبي : لم يحرمه الله عز وجل في التوراة عليهم وإنما حرمه بعد التوراة بظلمهم وكفرهم ، وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله تعالى عليهم طعاما طيبا ، أو صب عليهم رجزا وهو الموت، فذلك قوله تعالى : فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية . وقوله: وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية – إلى قوله : ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون .

ويعطي هذا انطباعا فريدا عن هذا الأثر المتروك في مدينة أواريس ، حيث أننا نعرف من خلال قراءاتنا المتواصلة في أدبيات بني إسرائيل والعهد القديم كيف أن كثيرا من الطقوس والشعائر التي يمارسها اليهود الآن هي في الأصل طقوس وشعائر وثنية وشعوبية تم إدخالها في نص الكتاب المقدس والادعاء بأنها من الوحي المنزل ومن الشريعية الموسوية.

لذلك فإننا لا نستبعد أن تكون مسألة ترك الجزء الخلفي من الذبيحة كما هو واضح في الصورة التي تم التقاطها في حفائر مدينة أواريس هي عادة كنعانية قديمة تعلمها بنو إسرائيل ونقلوها عن الكنعانيين أو العكس.

أما إذا فرضنا عكس ذلك الافتراض الأول أن الهكسوس المعاصرين لبني إسرائيل قد اكتسبوها منهم – وهو الأقرب – للصواب وهو التفسير الوحيد لوجود هذا الجزء الخلفي من الذبيحة في أحد مواقع الحفر بمدينة أواريس.

- **قصر الملك الريان في أواريس !**

ويعتبر القصر الملكي للملك خايان هو أعظم ثمرة من ثمرات التنقيب في موقع مدينة أورايس القديمة بتل الضبعة على الإطلاق ، فمنذ ظهور معالم القصر على خريطة المسح الجيولوجي منذ عام 2004 شمال قرية الختاعنة الحديثة بجوار مجموعة كبيرة من الأبنية تمتد من الجنوب إلى حافة القرية ، إلى الشمال لبعض مئات الأمتار فقد تم الاستدلال علي منطقة القصر مع حجرات عديدة و أفنية ملحقة بالقصر ظهرت بصور المسح الجيولوجي.

وفي مطلع عام 2008 بدأ العمل بالموقع وتمت الحفائر بجوار قناة ديدامون لاستكشاف البقايا الأثرية والتوصل لمعرفة أفضل لتاريخها ، ويتجة القصر من الشمال إلى الجنوب (شمال الموقع) ، تماما مثل قصر الأسرة الثامنة عشر بعزبة حلمى ربما تكون نقطة البداية لتقاليد بناء القصر الملكى فى هذا الجزء من أفاريس .

كانت المجموعة شاسعة الامتداد وتغطى منطقة تزيد عن 8000 متر مربع و قد أكدت الحفائر التى تمت منذ موسم 2006 الانطباع أن المنطقة عبارة قصر يعود إلى منتصف عصر الهكسوس، و قد أتاح العثور على العديد من الاختام فى المجموعة إلى نسبة القصر إلى الملك خايان أحد ملوك الهكسوس البارزين.

وتم العثور على قواعد مترل قائم بذاته ، يتكون من جناحين مع حجرات عديدة وأفنية ملحقة إلى شماله و شرقه ويكون الدخول الى المبنى فى الغالب من ناحية شمال – شرق ، ويوجد فناء ؛ كشف غن حفر عديدة تعرف " بحفرة القرابين"، و المعروفة جيدا من أماكن اخرى فى تل الضبعة، يتكون الحشو فى الغالب من فخار منهشم مثل حوامل دائرية، وجرار مستدقة القاعدة ، وكؤوس وعظام حيوانات وقد وجد بأحد الحفر التى تحتوى فقط على الساق الخلفية لعجل ذكر لها مثيلتها داخل منطقة المعبد السورى – الفلسطينى / المصري الذى يعود الى أواخر الدولة الوسطى وعصر الإنتقال الثانى.

إضافة الى الفخار عثر على كثير من عظام الحيوانات (ماشية، غنم / ماعز، وسمك، و طيور، و فرس النهر) فى الحفر. و تمتد المناضد حول الفناء ربما أستخدمت لوضع القطع مؤقتا أو مقاعد للمشاركين فى تلك الوجبات.

و لكن من غير الواضح فى أى مناسبة كانت تحدث تلك الوجبات و تسلسل وضع القطع فى الحفرة . أن التواجد الواضح لفرس النهر سواء فى مجموعات الفخار كأوانى على شكل معين او مرسوم على أطباق سمك مصنوعة من الطين الرسوبى (كأنثى جنى تقوم على أرجلها الخلفية مع سكين فى يدها) ، أو عظام حيوانات تشير إلى وفرة الثمار خلال عيد أو وديعة الأساس.

يوجد أماكن كثيرة من الواضح أنها استخدمت لأنشطة طقوسية كثيفة . كشف عن مجموعة من الحفر. كلهم مستديرى الشكل ، بعضهم ممتلئ بكثافة بجرار مستدقة القاعدة ، وكؤوس، وحوامل دائرية وعظام حيوانات وبعضهم خال . و يلاحظ فى تل الضبعة من وقت لآخر الكشف عن حفر تم حفرها و لكن لم تملىء بأى قطع ، و السبب وراء هذا غير معروف.

أحد الحفر بها الرجل الخلفية لعجل ذكر فقط ، مثال جيد لهذا النوع من الحفر معروف فى منطقة المعبد ، وكقاعدة عامة ترتبط هذة الحفر عادة مع المعابد مما يدل على أنها أحد الطقوس المعروفة في الثقافة الهكسوسية والكنعانية وكذلك العمورية أيضا وهي تختلف عن حفر القرابين الأخرى المنتشرة في كل المواقع الأثرية بتل الضبعة.

ويتكون المحتوى الأساسى لتلك الحفر مثل مثالنا هذا عبارة عن أطباق ، وكؤوس، وحوامل دائرية، وجرار مستدقة القاعدة وكؤوس مصغرة، أى أوانى مترلية

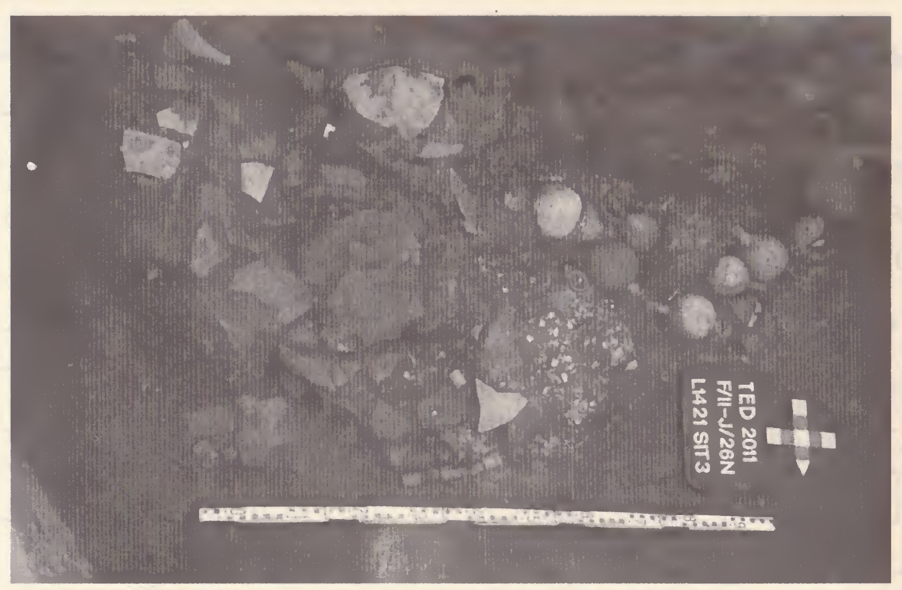
معتادة، ليست كل الأوانى التى كشفت فى الحفر كاملة، ربما كانت تلك الأوانى تهشم عن عمد خلال القيام بالطقوس بناءا على تفسير فيرا موللر، كما عثر فى أحد الحفر على بصمة ختم عليها اسم لملك غير معروف، و غير واضح هل هذا جزء من الوديعة الأصلية أم تنتمى الى أعادة حشو الحفرة.

عثر لأول مرة على هذة الحفر فى منطقة القصر، لكن ليس بالضرورة فى سياق منزلى ويبدو أنه ربما قد تم استخدام هذا الجزء من القصر كمنطقة مقدسة لإقامة الطقوس والشعائر.

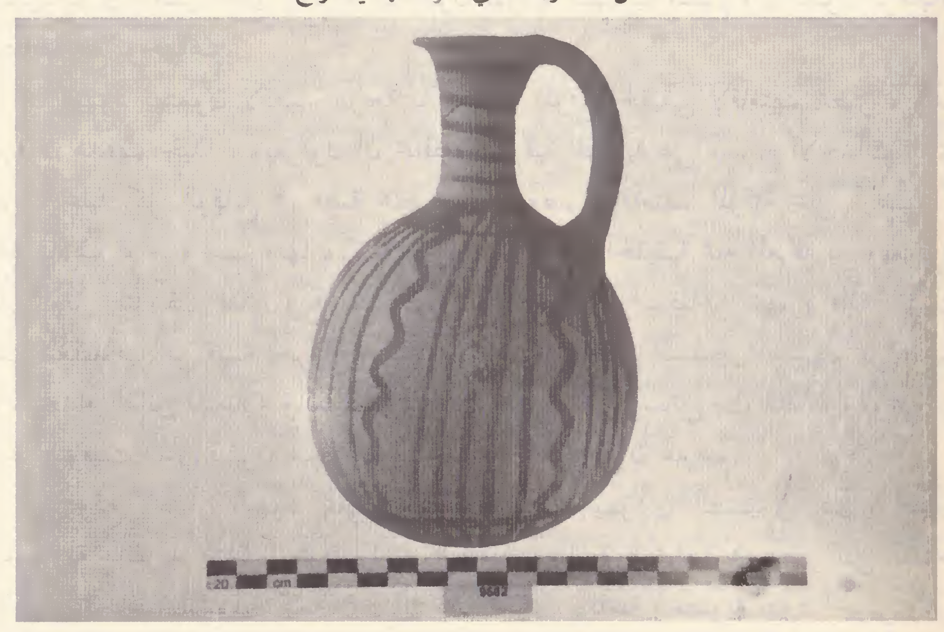
وتلك هي المرة الوحيدة التي تسفر فيها الحفائر عن العثور على مبنى ملكى يعود إلى الأسرة الخامسة عشر منذ أكثر من 40 عاما فى تل الضبعة ، يتكون المبنى من تخطيط غير معتاد مع حجرات عديدة و أفنية. الجزء أ عبارة عن وحدة مركبة و ربما استخدم لأغراض إدارية . يمكن العثور على العمارة والمواد الثقافية لهذة المجموعة فى إطار الثقافة المصرية و الشرق الادنى القديم.



تمثال لفرس النهر عثر عليه في الموقع



بعض الفخاريات التي عثر عليها في الموقع



أحد نماذج الصناعات الفخارية لعصر الهكسوس والتي عثر عليها في أطلال مدينة أواريس ويلاحظ تطابقها مع الصناعات الفخارية للكنعانيين في نفس الآونة

- **سر منح حقوق التنقيب للبعثة النمساوية برئاسة اليهودي مانفريد بيتاك!**

لليهود طريقة ماهرة جدا في العبث بآثار مصر في الأونة الأخيرة ، فالإسرائيليون يعلمون تمام العلم أنه من الصعب عليهم الحصول على تصاريح بالتنقيب والبحث على أرض مصر منذ فترة الستينات وما بعدها ، لذلك يلجأ اليهود إلى الاستعانة بعلمائهم الذين يتجنسون بجنسيات غربية مختلفة ليكونوا هم الأداة الفاعلة في الوصول إلى ما يبحثون عنه.

وهذا ما حدث في أهم الكشوف التي يهتم بها اليهود من آثار مصر على وجه الإطلاق وهي المدينة التي عاشوا فيها مجموعة من الأحداث التي تمثل أهم ما وقع لهم في ماضيهم وكانت منطلقا لتاريخهم كله كما يعلم الجميع ، فلم يترك اليهود اكتشاف مدينة أواريس يقع بأيدي غيرهم من المكتشفين ، فوقع اختيارهم على أحد أكبر علماء المصريات في العصر الحالي بشرط أن يكون يهوديا صهيونيا مثلهم وأن تكون توجهاته متطابقة مع توجهاتهم.

إن اليهود يهتمون لأقصى درجة باكتشاف الموقع الحقيقي لإقامتهم بمصر ، وهم يعرفون هدفهم جيدا ، ويعرفون أن محافظة الشرقية المصرية هي مسرح الأحداث الذي جرت عليه كل الوقائع في قصة هجرتهم إلى مصر وإقامتهم المؤقتة على أرضها ثم اضطهادهم ثم خروجهم منها ، كما يعرفون الأحداث الحقيقية تمام المعرفة بل ويعزفون على أوتار التزييف الذي وقع بكتابهم في تلك القصة واستطاعوا بمهارة فائقة تثبيت تلك المعتقدات عن قصة الخروج عند العالم بأسره بما فيهم المسلمين أنفسهم عن طريق الاستخدام الفائق للإعلام والسينما والكتب وغيرها من وسائل بث الثقافة والوعي في نفس التوقيت الذي يبقون هم وحدهم عالمين بالحقيقة دون غيرهم.

لقد وقع اختيار اليهود على عالم المصريات اليهودي الصهيوني ذي الجنسية النمساوية مانفريد بيتاك ليكون رئيس البعثة النمساوية الرئيسية في مصر بتل الضبعة وفاقوس بمحافظة الشرقية كما أن هناك بعثة أخرى برئاسة وعضوية يهود آخرين وهي بعثة قنتير، وكلاهما أخطر من بعضهما ومن المؤكد أنهم يعملون لحساب الصهيونية العالمية ويهود إسرائيل ، ومثلهم في ذلك مثل كل البعثات الأخرى المشبوهة التي تعمل تحت ستار الدول الصديقة بل والمانحة أيضا لتكاليف البعثات.

وهو أسلوب بارع جدا كما نرى وهو الأسلوب الوحيد المتبع حاليا ويبدو أنه أسلوب ناجح أيضا مع هيئة الآثار المصرية التي تكتفي بالإجراءات الرسمية الروتينية بحسن نية ، لكن تلك الإجراءات الرسمية هي المعتمدة لتتيح للمعاهد والمؤسسات الأثرية المعتمدة والرسمية تولي مسؤليات التنقيب والبحث عن الآثار المصرية في المواقع المختلفة .

وقد استقبل الدكتور زاهي حواس البروفيسير مانفريد بيتاك أول مرة عندما كان مديرا لآثار الجيزة كما التقاه الدكتور محمد عبدالمقصود في صان الحجر في عام 2000م وأحسنوا به الظن دون علم منهم بنواياه هو وبعثته المشبوهة التي قدمت أعلى مستوى من الدعم والمنح لدفع هيئة الآثار المصرية للموافقة على منحهم الترخيص بالتنقيب في هذه المواقع بعينها.

إن جرائم البعثات الأجنبية التي تستتر خلف جنسيات بلاد صديقة غير مشبوهة بالنسبة لمصر هي جرائم فادحة بكل المقاييس ولا نعلم على وجه اليقين حجم التهريب والاستغلال للآثار التي يتم العثور عليها في تلك المواقع خاصة مع اعتقاد هؤلاء اليهود المستترين خلف جنسيات أخرى بقدسية الموقع بالنسبة إليهم فهو مسرح الأحداث الذي يعتقدون أنه شهد وجود أنبيائهم وآبائهم في عصورهم الأولى ، ولنا أن نتخيل مدى القدسية التي يحملها المكان بالنسبة إليهم.

لقد منحت دولة النمسا الدكتور زاهي حواس أعلى وسام لديها ربما لموافقته منح البعثة رخصة التنقيب بنية حسنة من جهته ، لكن ما يبدو هو أن لهذه القضية أبعادا أخرى يجهلها الجانب المصري ، والسؤال هو : هل إلى هذه الدرجة يمثل هذا الموقع أهمية قصوى بالنسبة لحكومة النمسا التي أنفقت الملايين من أجل نجاح تلك البعثة ؟

بالطبع فإن النمسا كدولة قد لا يعنيها الكثير في الحصول على هذا الترخيص أو نجاح البعثة بقدر ما يعني دولة أخرى تقبع في الجوار ويعنيها إلى أقصى درجة كل ما سيظهر في ذلك الموقع لأنه ببساطة يعني بالنسبة إليهم تاريخهم الحقيقي الذي لا يريدون لغيرهم معرفته ، وهذه الدولة هي الكيان الصهيوني!.

وقد أكد أحد المتخصصين في مصر وهو الدكتور صبحى عطية يونس عضو لجنة الآثار بالمجلس الأعلى للثقافة وأستاذ الآثار والحضارات القديمة بكلية الآداب بجامعة المنصورة — أن ما يجري الآن في تلك المواقف بمحافظة الشرقية هو نوع من تنامي

التوغل اليهودى فى مصر من خلال الحفريات عن الآثار، مؤكداً عن وجود أطماع لليهود فى منطقة شرق الدلتا فى محافظة الشرقية بقرية تل الضبعة تحديدا ، وأن ما يحدث الآن هو أن جماعات متعصبة صهيونية تريد إيجاد أصل تاريخي مدعم بالأدلة على وجود بني إسرائيل في هذه البقعة من أرض مصر.

وأكد الدكتور صبحي عطية أنه حتى ثورة 1952 كانت توجد سيطرة كاملة وإحكام تام للأجانب على مصلحة الآثار المصرية لإعادة صياغة التاريخ المصرى القديم وفق الرؤية التي يرونها والآثار التى تستخرج تكتب مثلما يريدون هم ، وأن علم الآثار بدأ توراتياً — أي من وجهة النظر التوراتية اليهودية - وأن علماء الآثار القدامى كلهم كانوا يبحثون عن الأماكن المقدسة التى وردت فى الكتاب المقدس، سواء فى أرض فلسطين أو فى مصر أو بلاد النهرين فى العراق وهذا العلم بدأ بهذا الشكل وكان مرتبطاً ارتباطاً أساسيًّا بإنشاء دولة إسرائيل، ولذلك فإن أغلب العلماء الذين عملوا فى هذا المجال بنسبة تصل إلى 70% منهم من الصهاينة وعندما يتكلمون عن آثار فلسطين يحاولون أن يجعلوها جزءاً من التاريخ اليهودى فى حين أن من المؤكد أنها لا علاقة لها باليهود لا من قريب أو من بعيد حتى الحفائر التى تتم فى الأنفاق تحت المسجد الأقصى تكون آثاراً يونانية في الغالب أو رومانية أو سامية قديمة وأن صلة الصهاينة بدأت مع فلسطين بهذا الشكل والمصيبة الكبرى أنهم يحاولون صنع ذلك في مصر الآن لإثبات جذورهم التاريخية على أرضها.

ويتضح من ذلك أن اليهود لهم أطماع فى منطقة شرق الدلتا بمصر تحديدا، لأنها طوال تاريخها هى مدخل لمصر وهى البوابة الشرقية ، وأن هناك نية منهم للعبث بآثار مصر وبالتاريخ المصري حيث تم السماح لهؤلاء العلماء اليهود دون قصد من هيئة الآثار المصرية بإنشاء حفائر لمدة 50 سنة متواصلة فى مكان واحد فى منطقة صان الحجر من أجل اكتشاف آثار يهودية ، ثم جاء الدكتور لبيب حبشى "عالم آثار مصرى" اكتشف أن هذه المنطقة فى فاقوس تضم قرية قنتير وتل الضبعة وعزبة رشدى الكبيرة وعزبة رشدى الصغيرة وعزبة حلمي وتأكد بالفعل أنها عاصمة الهكسوس القديمة وليس في صان الحجر كما كان يُعتقد سابقا والجديد في الأمر أنهم بدأوا في الادعاء بأن بها آثارا إسرائيلية!! ، وبالتالي يتحدثون عن محل إقامة بني إسرائيل في مصر حين دخلوا في عهد الهكسوس.

ولا يحتاج الأمر الآن لمزيد من التوضيح عن السبب في سعي مانفريد بيتاك العالم اليهودي النمساوي للحصول على هذا التصريح بالتنقيب في أهم موقع من مواقع التاريخ الهكسوسي في مصر.

• حياة إسحق ويعقوب وبنيه فى صحراء كنعان

ولنرجع مرة أخرى عند آخر نقطة تركنا فيها شعوب كنعان والشام بعد عهد إبراهيم عليه السلام وقد تعرفنا على طبيعة التركيبة السكانية وقتها ، ورأينا كيف سكن كل إبراهيم عليه السلام ومن بعده بنيه وأحفاده في صحراء كنعان وجاورتهم تلك الشعوب الكنعانية من العماليق وغيرهم نفس معيشة البداوة والترحال.

ومنذ اليوم الأول الذي تواجد فيه إبراهيم عليه السلام في أرض كنعان وبعد ترحاله وانتقاله من مدينة إلى مدينة فإنه قد استقر أخيرا هو وقومه في الصحراء على أطراف المدن والممالك الكنعانية ، فتخبرنا التوراة أنه قد استقر في بئر سبع في صحراء النقب جنوب فلسطين قبل حتى أن تسمى ببئر سبع.

"وأقام إبراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها فقال ابيمالك لإبراهيم ما هي هذه السبع النعاج التي اقمتها وحدها فقال أنك سبع نعاج تأخذ من يدي لكي تكون لي شهادة بأني حفرت هذه البئر لذلك دعا ذلك الموضع بئر سبع لانهما هناك حلفا كلاهما " سفر التكوين 28-31

وهو ما يعني استقرار إبراهيم عليه السلام نسبيا في صحراء كنعان الجنوبية وهي صحراء النقب في جنوب فلسطين حاليا بعد أن سمح له "أبيمالك" وهو ملك "جرار" بالإقامة في أرضه التي تشملها صحراء النقب ، وأكرمه أبيمالك وسمح له بالبقاء في أرضه، لكن يبدو أنه خشى من نجاحه وتعاظمه وانتشار ذريته في أرضه وفقا لرواية التوراة لذلك سعى أبيمالك ومعه رئيس جيشه فيكول لإقامة معاهدة أو ميثاق مع إبراهيم خشية أن ينقلب عليه أو على نسله وذريته.

وغالبًا كان سبب الزيارة أن إبراهيم قد فترت مودته بطريقة شعر بها أبيمالك فأتى للبحث عن السبب ، وكان غضب إبراهيم راجعًا بسبب بئر الماء التي انتزعها عبيد أبيمالك فحرم منها إبراهيم وقومه ، وغنيٌّ عن القول أن الآبار في هذه المناطق هي وسيلة الحياة.

وهذه الواقعة تبين كيف كان إبراهيم عليه السلام يقيم في الصحراء بعيدا عن المدن وكيف أنه اعتاد هو وقومه وذريته معيشة البداوة والترحال والإقامة في الصحراء منذ أن ترك أرض آبائه السابقين التي كان يقيم فيها في أرض الكلدانيين كما ذكرت التوراة.



مدن وقرى أرض كنعان فلسطين القديمة وصحراء النقب مكان إقامة إبراهيم وإسحق ويعقوب وبنيه ويسميها اليهود حاليا أرض الموعد أو أرض الميعاد

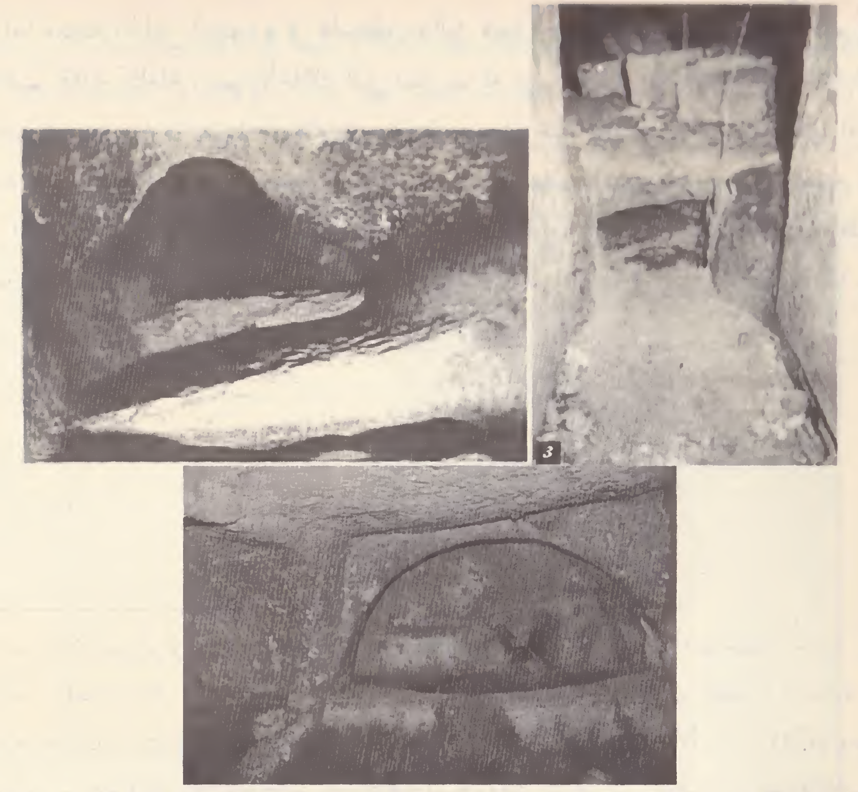
أما مدينة الخليل الشهيرة في فلسطين والتي فيها الحرم الإبراهيمي حاليا[7] فلم يُقم بها إبراهيم إقامة كاملة رغم الأملاك التي صارت له بين مدينتي بئر السبع[8] ومدينة الخليل، ورغم وجود سارة عليها السلام في مدينة حبرون عند وفاتها كما تذكر التوراة ورغم قيامه عليه السلام بدفن زوجته في تلك المدينة بالكهف الذي اشتراه من "عفريم الخيتي" أو "الحثي"[9] إلا أن الإقامة الفعلية لإبراهيم وجميع قومه وأعماله كلها كانت وظلت في صحراء النقب الفلسطينية وحتى إقامة ذريته من بعده ظلت في تلك المنطقة كما سيأتي.

---

7 المسجد الإبراهيميّ، أو الحرم الإبراهيميّ الشريف بمدينة الخليل التي كانت تسمى قديما مدينة "حبرون" أو مدينة "أربع" وفقا لما ذكر في التوراة ، وهذا الحرم عند اليهود معروف باسم كهف البطاركة أو مغارة المكفيلة (بالعبرية :מערת המכפלה مغارة المخبيلة) (وبالانجليزية بالإنجليزية: Cave of Machpelah) وهو الاسم المذكور عندهم في التوراة للمغارة التي يقوم عليها المسجد والتي اشتراها النبي إبراهيم من "عفرون الحثي" ليدفن فيها زوجته سارة بعد موتها، و"المكفيلة" كلمة سامية تعني "مزدوجة" للدّلالة على أن المغارة كانت تتكون من كهفين .كما يُسمّى بـــ كهف البطاركة ، (بالإنجليزية Cave of the Patriarchs) كون المغارة ضمّت مدفن الأنبياء ، يُعتبر أقدم بناء مُقدّس مُستخدم حتى اليوم دون انقطاء تقريبًا، وهو رابع الأماكن المُقدّسة عند المسلمين، وثاني الأماكن المقدّسة عند اليهود بعد جبل الهيكل وجاءت قُدسيته كونه بُني فوق مغارة مدفونٌ فيه كلٌ من النبي إبراهيم وزوجته سارة، وولديهما إسحق وولده يعقوب وزوجتيهما رفقة وليئة، كما يُوجد بعض الروايات تذكر أن يوسف وآدم وسام ونوح مدفونون هناك أيضًا.

8 بئر السبع – بالعبرية: באר שבע من أكبر وأقدم مدن فلسطين التاريخية، تقع اليوم في لواء الجنوب الإسرائيلي على بعد 71 كم جنوب غرب القدس .وهي أكبر مدن منطقة النقب الصحراوية، إذ تسمى أحيانا "عاصمة النقب". وتعتبر المدينة، المركز الإداري والتجاري لهذه المنطقة التي تمتد جنوبا حتى مدينة إيلات.

9 والدليل على عدم تملكه شيئا في مدينة حبرون أو الخليل لاحقا أنه طلب من الحثيين أن يبيعوا له قطعة من الأرض أو مغارة ليدفن فيها زوجته الميتة حيث قال لهم كما في التوراة : "انا غريب ونزيل عندكم اعطوني ملك قبر معكم لادفن ميتي من امامي" التكوين 23-4.



صور نادرة ملتقطة لكهف المكفيلة الذي دفن فيه سارة وإبراهيم ويعقوب وإسحق ورفقة وليئة عليهم السلام ويقع في مدينة حبرون أو الخليل وفقا لاسمها الحالي وقد ذكرت التوراة أن إبراهيم عليه السلام اشترى المغارة من الحثيين لأنه لم يكن يملك شيئا في حبرون

أما إسحق عليه السلام فمعيشته البدوية في الصحراء لم تكن استثناءا أيضا ، فمثله كمثل إبراهيم عليه السلام في ذلك حيث تؤكد التوراة تغرب إسحق مثل إبراهيم في أرض جرار[10] وهي أيضا في صحراء النقب جنوب فلسطين وتقع على مسافة حوالي 6 أميال جنوب شرق غزة.

ولا ينسى كاتبوا التوراة تجديد وعد الأرض الموعودة في أي مناسبة كانت ، فقاموا بتكرار نفس صيغة الوعد الذي سبق لإبراهيم ، فتكرر الوعد لإسحق حينما كتبوا :

[10] تقع " جرار" حاليًا بالقرب من غزة ويوجد مكانها " خربة جرار" .

"لأني لك ولنسلك أعطى هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء وأُعطى نسلك جميع أمم الأرض" سفر التكوين

وتؤكد التوراة مجددا تكرار المجاعة مرة أخرى غير المرة التي وقعت في عهد إبراهيم عليه السلام : "وكان في الأرض جوع غير الذي كان في أيام إبراهيم" تكوين

حيث وقع جوع في الأرض لكن إسحق لم ينزل إلى مصر كأبيه إبراهيم وفقا للتوراة بل تغرب في جرار كطلب الرب ، وتقول التوراة أن الفلسطينيون قد طمسوا آباره ، فمضى إلى وادي جرار ومنها إلى بئر سبع حيث كان الوعد والبركة المذكورين وتجديد العهد الذي وهبه لأبيه وفقا لزعم التوراة.

و لم يلبث إسحق وأن زاد في تجواله داخل الصحراء الكنعانية فانتقل أيضا إلى وادي آخر يسمى "روحوبوت" أي (الأماكن الرحبة أو المتسعة) حيث حفر هناك بئرا جديدة بنفس الاسم ، وهي في المنطقة التي تدعى حاليًا "وادي الرحيبة"، تقع على بعد حوالي 19 ميلًا جنوب غربي بئر سبع ، وقد شعر إسحق أن الله قد أعطاه مكانًا رحبًا ومتسعًا وجاد عليه بالبركات بغير نزاع.

أما يعقوب بن إسحق فقد تغرب لفترة طويلة في فدان آرام في حران[11] عند خاله لابان شقيق أمه رفقة وذلك بسبب سرقته لبكورية أخوه عيسو وهربه من وجهه وفقا للسبب الذي أوردته قصة التوراة الملفقة ، لكنه بعد أن أصبح يملك الزوجات والذرية والغنم والمواشي والأموال وبعد مرور عشرون عاما كاملة فقد قرر بعد أن جاءه الوحي بذلك - وفقا للتوراة - أن يرتحل من حران ويعود إلى الأرض التي ولد فيها وهي أرض كنعان ، تقول التوراة :

"وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في ارض كنعان" تكوين 37-1

وهكذا يتضح أن إبراهيم عليه السلام وجميع ذريته بدءًا من إسحق ثم يعقوب والأسباط لم يسكنوا المناطق مأهولة في أرض كنعان وإنما انحصرت سكناهم على الصحراء واستمرت حياتهم على البداوة والترحال والعيش في الخيام بعيدا عن المدن والممالك الفلسطينية ويتكرر ذكر "الغربة" التي عاشها كل منهم في تلك الأرض وعلى

---

[11] حاران / حران : مدينة بين النهرين، على نهر بليخ وهو فرع للفرات وتقع على مسافة 280 ميلًا إلى الشمال الشرقي من دمشق وتقع حاليا داخل الحدود التركية.

النقيض نجد الوعد المتكرر الذي يعد كل واحد فيهم بتملك أرض غربتهم تلك وهي أراضي كنعان وتوريثها لذريتهم وجعل تلك الذرية كعدد نجوم السماء ورمال الأرض.

• الإسماعيليون ينتشلون يوسف من الجب

كان يوسف عليه السلام هو أول من دخل مصر من بني إسرائيل ، وكان نسب يوسف وفقا للتوراة ووفقا للمؤرخين العرب : يوسف بن يعقوب / إسرائيل بن إسحق بن إبراهيم ، لذلك لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بـــ : الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم [12].

وكان أبيه يعقوب عليه السلام قد تزوج من ابنتي خاله لابان وأنجب منهما اثنى عشر ولدا كان من بينهم النبي يوسف عليه السلام وهم الذين أطلق عليهم وعلى نسل بعد ذلك "الأسباط".

وتذكر التوراة سبب الحقد الذي حقده إخوة يوسف عليه وتبرر هذا الحقد بقولها :
وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لأَنَّهُ ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ، فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصًا مُلَوَّنًا ، لَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ أَنَّ أَبَاهُمْ أَحَبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ أَبْغَضُوهُ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُكَلِّمُوهُ بِسَلاَمٍ [13].

ولما رأى رؤياه سمع بها إخوته فغاروا منه وامتلأوا منه غيظا علي غيظهم :
فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا مُلْكًا أَمْ تَتَسَلَّطُ عَلَيْنَا تَسَلُّطًا؟» وَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ مِنْ أَجْلِ أَحْلاَمِهِ وَمِنْ أَجْلِ كَلاَمِهِ.

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم:
﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:4]

وتتطابق التوراة في هذه الجزئية التي تروي الحلم الذي رآه يوسف فتقول :
"ثُمَّ حَلُمَ أَيْضًا حُلْمًا آخَرَ وَقَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ حَلُمْتُ؟ حُلْمًا أَيْضًا، وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا سَاجِدَةٌ لِي"

[12] البخاري ومسلم.
[13] سفر التكوين 37 – 3:4.

لكن رواية التوراة دائما ما تختلف في بعض التفاصيل التي لم يذكرها القرآن وهي زيادات منكرة كما نرى حيث تقول التوراة:

" وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ"

حيث تذكر التوراة أن يوسف قد قص الرؤيا على إخوته وليس فقط على أبيه ، ولك القرآن كان واضحا في تلك النقطة تحديدا ، فكان رد أبوه :

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ . سورة يوسف 5

بينما تقول التوراة أن يعقوب عليه السلام وبخ ابنه يوسف على رؤياه التي تعظم من نفسه وتقلل شأن أهله جميعا بجواره :

"فَانْتَهَرَهُ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: مَا هذَا الْحُلْمُ الَّذِي حَلُمْتَ؟ هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الأَرْضِ؟ فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ، وَأَمَّا أَبُوهُ فَحَفِظَ الأَمْرَ."

لذلك تآمر إخوة يوسف عليه ليستأثروا بحب أباهم واهتمامه حسب ظنهم :

﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٨) ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ (٩) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (١٠) قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ (١٣) قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (١٤) ﴾

وكعادتهم ذهب أبناء يعقوب ليرعوا غنم أبيهم فطلبوا منه إرسال يوسف معهم :

لكن التوراة تدعي بأن يعقوب عليه السلام أرسل يوسف ليطمئن على اخوته

"فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ مِنْ بَعِيدٍ، قَبْلَمَا اقْتَرَبَ إِلَيْهِم، احْتَالُوا لَهُ لِيُمِيتُوهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هُوَذَا هذَا صَاحِبُ الأَحْلاَمِ قَادِمٌ ، فَالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْهُ وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الآبَارِ وَنَقُولُ: وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ ، فَنَرَى مَاذَا تَكُونُ أَحْلاَمُه».

ولكن أخاه رأوبين أشفق على يوسف وأصر على عدم قتله :

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾. سورة يوسف

وتؤكد التوراة على نفس الرواية :

" فَسَمِعَ رَأُوبَيْنُ وَأَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَقَالَ: «لاَ نَقْتُلُهُ. ، وَقَالَ لَهُمْ رَأُوبَيْنُ: «لاَ تَسْفِكُوا دَمًا. اِطْرَحُوهُ فِي هذِهِ الْبِئْرِ الَّتِي فِي الْبَرِّيَّةِ وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَدًا». لِكَيْ يُنْقِذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ لِيَرُدَّهُ إِلَى أَبِيهِ ، فَكَانَ لَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ أَنَّهُمْ خَلَعُوا عَنْ يُوسُفَ قَمِيصَهُ، الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهِ، وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ ، وَأَمَّا الْبِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ[14] ".

واقترح آخر أن يبيعوه للإسماعيليين وفقا لرواية التوراة :

"ثم جلسوا لياكلوا طعاما فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولاذنا ذاهبين ليترلوا بها إلى مصر ، فقال يهوذا لإخوته ما الفائدة أن نقتل اخانا ونخفي دمه ، تعالوا فنبيعه للاسماعيليين ولا تكن ايدينا عليه لانه اخونا ولحمنا فسمع له إخوته ، واجتاز رجال مديانيون تجار فسحبوا يوسف واصعدوه من البئر وباعوا يوسف للاسماعيليين بعشرين من الفضة"[15]

ويؤكد القرآن نفس الرواية التي تروي بيع يوسف للقافلة السيارة وهي التي نسبتها التوراة للإسماعيليين[16] :

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾. سورة يوسف

---

[14] سفر التكيون 37 – 18:24.

[15] سفر التكوين 37 - 25.

16 كان الإسماعيليون من سكان مديان، وكان تجار القافلة التي اشترت يوسف خليطًا من الشعبين، والشعبان هما من أولاد إبراهيم، ويبدو أنه قد حدث تزاوج واسع بين المديانيين والإسماعيليين، وإختلطت القبيلتان (تك 37: 25 – 28، 36، قض 8: 24) ويتفق معظم العلماء على أن بلاد مديان كانت تطلق على المنطقة الواقعة حول خليج العقبة، وتزوج موسى صفورة ابنة يثرون كاهن مديان (خر 2: 16 – 21)" ، يقول أحد الآباء الرهبان بدير مار مينا ؛ " التجار الذين إشتروا يوسف من إخوته كانوا من المديانيين ، وجاء وصفهم بالإسماعيلين، لأنه كان قد حدث تزاوج واسع بين المديانيين والإسماعيليين، وإختلطت القبيلتان، ونظرًا لأن الإسماعيليين كانوا من أعظم قبائل بلاد الغرب لذلك أطلق إسمهم على المديانيين "، وقد كانت قبائل الإسماعيليين تسكن الجزء الشمالي من شبه جزيرة العرب على حدود فلسطين وأرض ما بين النهرين، وقد عُرفوا أنهم تجار رُحَّل يتنقلون من مكان إلى آخر، أما المديانيون فكانت أرضهم تمتد من خليج العقبة إلى موآب وطور سيناء، وكانوا يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر، وقد سكن موسى بينهم قبل أن يبعثه الله إلى آل فرعون وبني إسرائيل.

• انتقال يوسف من صحراء كنعان إلى مصر وإقامته في بيت العزيز

باعت القافلة التجارية التي أسمتها التوراة بقافلة الإسماعيليون ويقال المديانيون – وهم متوحدون في النسب[17] – يوسف عليه السلام لموظف كبير يدعى (فوطيفار / فوطيفا رع) وفقا لرواية التوراة ، لكن القرآن يحدثنا عن لقب الرجل وليس اسمه ، ولأول مرة يظهر فيها اسم "العزيز" ، وهو لقب غريب عن المصريين ويبدو أنه من ألقاب الوزراء وأصحاب المناصب الرفيعة في دولة الهكسوس ، ويبدو أن يوسف رغم ذلك قد تلقى تعليما مصريا ونشأ نشأة مصرية في بيت هذا الرجل الذي يبدو أنه كان جزءا من نظام الحكم المركزي الذي حافظ على الطابع المصري في الحكم المركزي مع إضافة طابعهم الخاص واختياراتهم الدينية والسياسية ، ومن الواضح أن العزيز الذي نزل يوسف عليه السلام في بيته كان من هؤلاء الموظفين الذين عملوا لدى الهكسوس في فترة حكمهم ، وهو أكبر منصب بعد منصب الملك.

وتصف التوراة هذا الرجل بأنه : خصي فرعون رئيس الشرط ...[18]

---

[17] يقول بن جرير الطبري في تاريخ الأمم والملوك : وذكر أن بائعه الذي باعه بمصر كان مالك بن دعر بن يوبب بن عفقان بن مديان بن ابراهيم الخليل ، وهو بهذا الخبر يعزو الذي باعه في مصر إلى المديانيون ، ويتشابه هذا إلى حد كبير مع رواية التوراة.

18 قاموس الكتاب المقدس | دائرة المعارف الكتابية المسيحية: خصيّ :

تعني الكلمة الشخص الذي جرّد أو حرم من قواه الجنسية، وكانوا يستخدمون الخصيان في بلدان الشرق قديمًا في الدور الداخلية (اش 56 3 ومتى 19 12) . وكثيرًا ما كان أولئك الخصيان يحتلون المراكز الرفيعة ومراتب السلطان والجاه، ورئيس الخبازين كانوا كلهم خصيانًا (تك 37 36 و40 2 و7) . وقد خدم الخصيان بلاط ملوكبابل (دانيال 1 3) وفارس وكانوا حرسًا على أبواب قصورهم (استير 1 10 و2 21) . وكان خصي يشرف على دار حريم الملك في فارس (استير 2 3 و14) . وانتدب خصي ليرافق الملكة (استير 4 5) . كما خدم الخصيان في بلاط الملك آخاب وابنه وخدموا إيزابل الملكة أيضًا (1 مل 22 9 و2 مل 8 6 و9 32) كما استخدمهم داود في بلاطه (1 أي 28 1) وغيره من الملوك اللاحقين في مملكة يهوذا. وكان حامل كاس الملك هيرودس ومقدم طعامه، ورفيقه إلى غرفة النوم من الخصيان، كما كان خادم زوجته الحبيبة ماريمنا خصيًّا أيضًا، على ما يقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي.

وقد نصت الشريعة الموسوية على أن لا يدخل خصي أو مجبوب في جماعة الرب (تثنية 23 1) . ولكن الله يعد في أشعياء 56 4 و5 بأن يكون لهؤلاء مكان في بيت الرب.

والكلمة في العبرية هي סריס ساريس وقد تعني ضابطًا أو موظفًا، وتستخدم عادة للدلالة على الموظف المنوط به الإشراف على أجنحة النساء في قصور الملوك أو الملوك أو الولاة في الشرق (تك 240، أس 101،

وكلمة "خصي" التي وردت في التوراة في ذلك الموضع تعني أنه قد حرم من الإنجاب لكونه خصيا

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا

وهذا معناه أنهم لم يكن لهم ولد مما يبرر اتخاذ يوسف ولدا وهذا يرجح كون هذا العزيز خصيا كما ذكر في التوراة والله أعلم.

82و14و15، دانيال 31و8و9). وثمة خصيان كانت لهم زوجات مثل فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط (تك 3637، 139و7 – 20). وكان أغلب الخصيان من أسرى الحروب. وكان محرمًا حسب الشريعة على كل رجل من نسل هرون فيه عيب أن يتقدم لخدمة الرب، وكان ذلك يشمل مرضوض الخصي (لا 1621و19)، بل إن الحيوان مرضوض الخصي كان لا يقبل ذبيحة للرب (لا 2422). وكان النهي واضحًا وقاطعًا أن لا يدخل مخصي بالرض أو مجبوب في جماعة الرب (تث 123). ولكن تنبأ إشعياء أنه في ملك الميسا لا يقل الخصي ها أنا شجرة يابسة، لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما يسرني ويتمسكون بعهدي. إني أعطيهم في بيتي وأسواري نصبًا واسمًا أفضل من البنين والبنات. أعطيهم اسمًا أبديًا لا ينقطع (إش 356-5).

ويذكر العهد القديم أنه كان لداود الملك خصيان (أخ 128)، كما أن هناك خصيانا في بلاط أخآب ملك إسرائيل (1مل 922، انظر أيضًا 2مل 68)، وفي قصر إيزابل في يزرعيل (2مل 329). وكذلك كان ليهوياكين وصدقيا ملكي يهوذا (2مل 1224و15، إرميا 229، 1934)، ولجدليا بن أخيقام الذي أقامه نبو خذ نصر ملك بابل واليًا على يهوذا (إرميا 1641). وقد أنذر إشعياء النبي حزقيا الملك بأنهوذا تأتي أيام يحمل فيها كل ما في بيتك وما خزنه آباؤك إلى هذا اليوم، إلى بابل.. ومن بنيك الذين يخرجون منك الذين تلدهم يأخذون فيكونون خصيانًا في قصر ملك بابل (إش 639و7).

وقد اطلقت الكلمة على بعض أشخاص شغلوا مراكز مرموقة مثل فوطيفار رئيس شرطة فرعون (تك 3637)، ورئيسي السقاة والخبازين في قصر فرعون (تك 240و7)، ونثملك الخصي الذي كان له مخدع عند مدخل بيت الرب (2مل 1123)، وعبد ملك الكوشي الخصي الذي كلم الملك صدقيا لإنقاذ إرميا النبي من الجب (إرميا 738-13)، والخصي الذي كان وكيلًا على رجال الحرب في أورشليم (إرميا 2552).

وعندما جاء الفريسيون الى الرب يسوع ليخربوه في موضوع الطلاق، ذكر أن ليس الجميع يقبلون كلامه لأنه يوجد خصيان ولدوا هذا من بطون أمهاتهم. ويوجد خصيان خصاهم الناس. ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات. من استطاع أن يقبل فليقبل (مت 319-12)، وليس المقصود أنهم خصوا أنفسهم حرفيًا (وهو ما ظنه البعض، كم فعل أوريجانوس، ثم عاد وأدرك خطأه)، ولكن المعنى والمقصود هو أنهم امتنعوا عن كل شهوة جنسية تحارب النفس (1بط 112)، ليتفرغوا بكل طاقاتهم وأوقاتهم لخدمة الرب كما فعل الرسول بولس (1كو 59، انظر أيضًا 1كو 257 – 33) وهذه النصرة الناتجة عن ضبط النفس أعظم بما لا يقاس من الحالة السلبية وغير الإنسانية... في الخصي الحرفي.

غير أن كلمة الخصي تعني أيضا بأنه كان من كبار رجال الدولة المقربين للملك غير أن التوراة بذلك تبعد منصب العزيز عن المفهوم من سياق القصة من أنه المتحكم في جميع موارد واقتصاد البلاد وحاصلاتها الزراعية بالنيابة عن الملك ، وكان بعضهم هؤلاء الخصيان يشغلون مراكز رفيعة في البلاط الملكي في دول عديدة ، وربما كما كانت هذه الكلمة تطلق أحيانا على الأشخاص موضع الثقة دون أن يكونوا خصيانًا وهو المرجح هنا في حالة عزيز مصر الذي ربى يوسف عليه السلام.

لكن التوراة هنا حصرته في وظيفة محددة وهي : رئيس الشرط وهو ما يختلف مع دور العزيز الذي تقلده يوسف فيما بعد.

إن وجود الخصيان في دولة الهكسوس ثابت من خلال كل تلك الدلائل التي وردتنا عنهم وعن عاداتهم الموروثة ، بينما أنه من الثابت أيضا أن عادة الإخصاء بين المصريين القدماء لم تكن معروفة لديهم حيث إنهم كانوا يدعون إلى كثرة ذريتهم ويلجأون إلى الوصفات الطبية والرقى والتعاويذ الدينية التي تيسر لهم الإنجاب.[19]

ويحتمل أن منصب العزيز هو منصب يشبه بشكل كبير منصب الوزير في عرف الممالك الأخرى ، وقد يبدو أن كل عزيز منهم له وظيفة محددة من وظائف الدولة مثل وظائف الوزراء وهو الأقرب للمنطق.

وبوجود يوسف في بيت العزيز فقد مكن الله له أن يكون شخصا ذو حيثية في بيت أحد أصحاب الوظائف في أكبر المدنيات في العالم القديم وهي مصر ، ويبدو أنه تعلم فيها ما لم يكن قد تعلمه قبل أن يفد إليها عليه السلام بالإضافة إلى ما آتاه الله من العلم والحكمة والنبوة ، قال تعالى :

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

ويذكر المؤرخون العرب تلك الوقائق فنوردها كما أوردها بن خلدون في تاريخه قائلا:

---

[19] دكتور محمد راشد حماد – تاريخ ملوك مصر القديمة

واشتراه من العرب عزيز مصر[20] وهو وزيرها أو صاحب شرطتها قال ابن اسحق واسمه اطفير بن رجيب وقيل قوطفير وكان ملكها يومئذ من العماليق الريان بن الوليد بن دومغ وربى يوسف عليه السلام في بيت العزيز فكان من شأنه مع امرأته.

• مراودة امرأة العزيز ليوسف ومحنة السجن ..

تقول التوراة عن قصة الإغواء الشهيرة التي حاولت امرأة العزيز القيام بها :

وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ امْرَأَةَ سَيِّدِهِ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ وَقَالَتِ: «اضْطَجعْ مَعِي .«فَأَبَى وَقَالَ لامْرَأَةِ سَيِّدِهِ: «هُوَذَا سَيِّدِي لاَ يَعْرِفُ مَعِي مَا فِي الْبَيْتِ، وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَدِي، لَيْسَ هُوَ فِي هذَا الْبَيْتِ أَعْظَمَ مِنِّي ، وَلَمْ يُمْسِكْ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَكِ، لأَنَّكِ امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟».

وفي نفس السياق يقول القرآن الكريم:

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

وفي كلا الروايتين – التوراتية والقرآنية – نجد استعفاف واستعصام يوسف عليه السلام وهو نبي معصوم عن الوقوع في الفحشاء .

وبسبب رفضه فعل الفاحشة اضطرت امرأة العزيز أن تلجأ إلى أسلوب آخر :

"وَكَانَ إِذْ كَلَّمَتْ يُوسُفَ يَوْمًا فَيَوْمًا أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ لَهَا أَنْ يَضْطَجعَ بِجَانِبِهَا لِيَكُونَ مَعَهَا ، ثُمَّ حَدَثَ نَحْوَ هذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ فِي الْبَيْتِ ، فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ قَائِلَةً: «اضْطَجعْ مَعِي!». فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ"

وهو نفس ماذكر في القرآن الكريم دونما اختلافا كبيرا :

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ﴾.

---

[20] وقد قيل قديما : أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال لامرأته "أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا" والمرأة التي أتت موسى وقالت لأبيها "يا أبت استأجره" القصص: 26، وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما.

وحاولت امرأة العزيز أن تلصق التهمة بيوسف عليه السلام رغم أنها هي الغاوية:

وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ، أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتْهُمْ قَائِلَةً: «انْظُرُوا! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُل عِبْرَانِيٍّ لِيُدَاعِبَنَا! دَخَلَ إِلَيَّ لِيَضْطَجعَ مَعِي، فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ ، وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ، فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَى بَيْتِهِ ، فَكَلَّمَتْهُ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ قَائِلَةً: «دَخَلَ إِلَيَّ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُدَاعِبَنِي، وَكَانَ لَمَّا رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ، فَكَانَ لَمَّا سَمِعَ سَيِّدُهُ كَلاَمَ امْرَأَتِهِ الَّذِي كَلَّمَتْهُ بِهِ قَائِلَةً: «بِحَسَبِ هذَا الْكَلاَمِ صَنَعَ بِي عَبْدُكَ»، أَنَّ غَضَبَهُ حَمِيَ ، فَأَخَذَ يُوسُفَ سَيِّدُهُ وَوَضَعَهُ فِي بَيْتِ السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ أَسْرَى الْمَلِكِ مَحْبُوسِينَ فِيهِ.

لكن تلك الرواية تختلف عن رواية القرآن في بعض التفاصيل حيث أن رواية التوراة تصور أن امرأة العزيز حاولت فضح يوسف عند أهل البيت أولا ثم احتفظت بقميصه كدليل على جريمته حتى يأتي زوجها في حين أن رواية القرآن واضحة في تلك الجزئية أن الأحداث أتت سريعة وأنهما تسابقا للوصول إلى الباب بعد رفض يوسف الرضوخ لطلبها في محاولة منها لمنعه جسديا ولا توجد أي فترة زمنية تفصل تلك الوقائع بقدوم زوجها من الخارج تقول الآيات:

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾

ثم إن الرواية التوراتية لم تتطرّق للتحقيق الذي وقع من العزيز لمعرفة من هو المذنب الحقيقي :

"فَكَانَ لَمَّا سَمِعَ سَيِّدُهُ كَلاَمَ امْرَأَتِهِ الَّذِي كَلَّمَتْهُ بِهِ قَائِلَةً: «بِحَسَبِ هذَا الْكَلاَمِ صَنَعَ بِي عَبْدُكَ»، أَنَّ غَضَبَهُ حَمِيَ ، فَأَخَذَ يُوسُفَ سَيِّدُهُ وَوَضَعَهُ فِي بَيْتِ السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ أَسْرَى الْمَلِكِ مَحْبُوسِينَ فِيهِ. وَكَانَ هُنَاكَ فِي بَيْتِ السِّجْنِ"

لكن رواية القرآن تروي ذلك التحقيق وشهادة أحد أهلها عليها وظهور براءة يوسف عليه السلام:

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ

ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

ولم يرو القرآن أن هؤلاء القوم قد اتخذوا القرار بإلقاء يوسف عليه السلام إلى السجن إلا بعد حين:

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ(35)

وهو ما يعني أن هؤلاء القوم بعد أن احتكموا إلى الحق والعدل مالوا عنه بعدما تأكدوا من لزوم حبس يوسف لإثبات براءة امرأة العزيز أمام الناس خاصة أن الكلام كان قد بدأ ينتشر في المدينة ، ففي نظر عامة الناس واحد منهما يجب أن يكون مذنبا، وبالطبع لن يكون المذنب امرأة العزيز بأي حال ، لذلك وجب في نظرهم ظلم يوسف وإلقاءه في السجن.

ولا تروي التوراة أيضا شيئا البتة عن واقعة النسوة اللاتي قطعن أيديهم لكن يرويها القرآن الكريم بمنتهى الوضوح والبيان:

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾

قال بن خلدون : "فكان من شأنه مع امرأته زليخا ومكثه في السجن وتعبيره الرؤيا للمحبوسين من أصحاب الملك ما هو مذكور في الكتاب الكريم".

- **ودخل معه السجن فتيان .... مؤامرة في قصر الملك :**

وتذكر التوراة بأن هذين الفتيين قد دخلا السجن نتيجة مؤامرة على ملك مصر من العماليق ، وأن كل منهما كان يشغل وظيفة في بلاط الملك ، ولما دخلا السجن رأى

كل منهما رؤيا فقصها على يوسف عليه السلام نظرا لما رأياه من سيماء الصلاح والتقوى على يوسف الصديق .

وتقدم التوراة تبريرا مقنعا لسجن الفتيان اللذين دخلا مع يوسف السجن ، فتبين لنا أن الفتيان أحدهما كان رئيس سقاة الملك والآخر كان رئيس خبازي الملك المسئول عن طعامه.

ويبدو أن الملك خايان أو الريان ملك الهكسوس العماليق الذي كان يوسف عليه السلام معاصرا له قد تعرض لمؤامرة في محاولة لقتله مسموما ، وتطرق الشك إلى أحد الرجلين المذكورين فقاما بحبسهما حتى يتحققا من الأمر :

"وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ سَاقِيَ مَلِكِ مِصْرَ وَالْخَبَّازَ أَذْنَبَا إِلَى سَيِّدِهِمَا مَلِكِ مِصْرَ، فَسَخَطَ فِرْعَوْنُ عَلَى خَصِيَّيْهِ : رَئِيسِ السُّقَاةِ وَرَئِيسِ الْخَبَّازِينَ ، فَوَضَعَهُمَا فِي حَبْسِ بَيْتِ رَئِيسِ الشُّرَطِ، فِي بَيْتِ السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُوسُفُ مَحْبُوسًا فِيهِ، فَأَقَامَ رَئِيسُ الشُّرَطِ يُوسُفَ عِنْدَهُمَا فَخَدَمَهُمَا ، وَكَانَا أَيَّامًا فِي الْحَبْسِ"

ويحدثنا القرآن عن نفس الأحداث:

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

والواقع الذي يقرب إلى الذهن أن هذان الفتيان كانا قد اتهما في مؤامرة دبرت للقضاء على الملك ، حيث تم وضع السم في الطعام المقدم للملك ، وهذا على مايظهر أنه قد أثر في الملك أيما تأثير وكاد يقضي عليه ، لولا أن نجاه الله من تلك المؤامرة ، فلما علموا أن السم لا يمكن أن يكون خارجا إلا من خلال طعام أو شراب ، فقد تم بناءا على ذلك اتهام ساقي الملك وخباز الملك أو طاهيه ، وهما الفتيان اللذان ذكرهما الله في سورة يوسف.

يقول الدكتور محمد راشد حماد:

وقد دبرت مؤامرة ومكيدة للتخلص من الملك الذي كان يعيش يوسف في عصره وكانت وسيلة المتآمرين هي رشوة صاحب طعام الملك ليدس له السم في طعامه ، ولكن تم الكشف عن هذه الخطة المدبرة ووجهت أصابع الاتهام إلى كل من صاحب الطعام وصاحب الشراب وتم إيداعهما في السجن مع يوسف والذي سبق اتهامه

بمراودة امرأة العزيز وبعض نسوة المدينة التي يعيش فيها ثم ما لبث أن تم التحقيق فيما نسب لهذين الفتيين من اتهامات وتبين للمحققين براءة صاحب الشراب من التهمة الموجهة إليه بينما أدين صاحب الطعام وثبت بالأدلة أنه وراء دس السم للملك في طعامه وحكم عليه بالإعدام صلبا بينما عاد صاحب الشراب لخدمة الملك.[21]

يقول ابن جرير الطبري:

عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: حبسه الملك، وغضب على خبازه، بلغه أنه يريد أن يسمّه فحبسه، وحبس صاحب شرابه، ظن أنه مالأه على ذلك، فحبسهما جميعا، فذلك قول الله عز وجل: "وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيان.[22]

يرجح الأستاذ نديم السيار في كتابه[23] أنهما كانا من الهكسوس وأن أسمائهما كما ذكرها الطبري أسماء آرامية خالصة (أي أسماء سامية باللهجة الآرامية)، وكان أحدهما صاحب شراب الملك والآخر صاحب طعامه ، وهو رأي صائب ومنطقي ويتطابق مع النصوص التي وردت في ذلك في التوراة وغيرها.

نديم السيار :

يذكر الطبرى : [عن عكرمة : أدخل مع يوسف السجن الذى حبس فيه فتيان من فتيان الملك .. احداهما كان (صاحب طعامه).. و الاخر كان (صاحب شرابه)[24]

و يذكر ابن كثير [قيل : كان احداهما ساقى الملك .. والاخر خبارة - يعنى الذى يتولى طعامة-] .[25]

ونحن نعرف ان هاتين الوظيفتين بالذات .. من أكثر الوظائف حساسية بالنسبة لأى حاكم ..- فما اسهل ان يدس السم مثلا فى طعام او شراب لاغتياله-..

ولا يمكن ان يتولاهما الأ من يكونا موضع ثقة كاملة و مطلقة من الملك نفسة - ومدبرى شئون قصرة- وعلى هذا .. فإن أول شرط فيمن يتولى أيا من هاتين الوظيفتين ان يكون من نفس جنسهم -حتى يأمنوا له ويثقوا فيه_.

---

[21] دكتور محمد راشد - ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام - نشر دار الكتاب العربي.

[22] تاريخ الأمم والملوك - بن جرير الطبري.

[23] قدماء المصريين أول الموحدين - نديم السيار.

[24] تاريخ الطبرى /342/1.

[25] قصص الانبياء /326/1.

و بالتالى يستحيل افتراض كونهما مصريين .

وهذا أمر بديهى .. خاصة اذا ما علمنا درجة العداء التى كانت قائمة آنذاك بين المصريين والهكسوس ومدى الكراهية المتناهية التى كانت يكنها كل المصريين القدماء آنذاك لاولئك الغرباء المحتلين لبلادهم .. ولا شك ان كل المصريين فى تلك الفترة كانوا فى حالة غليان .. اذ يحدثنا المؤرخون عن ثورات مصرية كانت تستعر من حين الى حين ضد اولئك المحتلين[26] .

اذن يستحيل ان يكون من يأمنه الملك الهكسوسى على طعامه وشرابه واحدا من المصريين القدماء .

وهذا امر منطقى وبديهى جداً.

وليس هنالك ادنى شك فى أن صاحبى السجن هذين (ساقى الملك و معد طعامه) كانا من نفس جنس الهكسوس.

وهذه الدلائل وغيرها تشير بوضوح إلى هوية من كانوا يعيشون ويحكمون مصر في عصر يوسف عليه السلام وهم العماليق الهكسوس.

- **يوسف يفسر رؤيا الفتيان ويدعوهما إلى الله:**

وَحَلُمَا كِلاَهُمَا حُلْمًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، كُلُّ وَاحِدٍ حُلْمَهُ، كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ تَعْبِيرِ حُلْمِهِ، سَاقِي مَلِكِ مِصْرَ وَخَبَّازُهُ، الْمَحْبُوسَانِ فِي بَيْتِ السِّجْنِ ، فَدَخَلَ يُوسُفُ إِلَيْهِمَا فِي الصَّبَاحِ وَنَظَرَهُمَا، وَإِذَا هُمَا مُغْتَمَّانِ ، فَسَأَلَ خَصِيَّيْ فِرْعَوْنَ اللَّذَيْنِ مَعَهُ فِي حَبْسِ بَيْتِ سَيِّدِهِ قَائِلاً: «لِمَاذَا وَجْهَاكُمَا مُكْمَدَّانِ الْيَوْمَ؟»، فَقَالاَ لَهُ: «حَلُمْنَا حُلْمًا وَلَيْسَ مَنْ يُعَبِّرُهُ». فَقَالَ لَهُمَا يُوسُفُ: «أَلَيْسَتْ للهِ التَّعَابِيرُ؟ قُصَّا عَلَيَّ، فَقَصَّ رَئِيسُ السُّقَاةِ حُلْمَهُ عَلَى يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: «كُنْتُ فِي حُلْمِي وَإِذَا كَرْمَةٌ أَمَامِي، وَفِي الْكَرْمَةِ ثَلاَثَةُ قُضْبَانٍ، وَهِيَ إِذْ أَفْرَخَتْ طَلَعَ زَهْرُهَا، وَأَنْضَجَتْ عَنَاقِيدُهَا عِنَبًا، وَكَانَتْ كَأْسُ فِرْعَوْنَ فِي يَدِي، فَأَخَذْتُ الْعِنَبَ وَعَصَرْتُهُ فِي كَأْسِ فِرْعَوْنَ، وَأَعْطَيْتُ الْكَأْسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: «هذَا تَعْبِيرُهُ: الثَّلاَثَةُ الْقُضْبَانِ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّام ، فِي ثَلاَثَةِ أَيَّام أَيْضًا يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ وَيَرُدُّكَ إِلَى مَقَامِكَ، فَتُعْطِي كَأْسَ فِرْعَوْنَ فِي يَدِهِ كَالْعَادَةِ الأُولَى حِينَ كُنْتَ سَاقِيَهُ.

[26] الموسوعة المصرية /مج1/جـ 1/ص 39.

ودائما وأبدا يدلل القرآن الكريم على إعجازية كلماته ورشاقة أسلوبه وإحكام بيانه فيروي تمام القصة وتفسير الرؤى بطريقة مختصرة لكنها جامعةٌ مانعةٌ:

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ (٤١) ﴾

وتذكر كلا من التوراة والقرآن طلب يوسف الذي وجهه إلى ساقي الملك بأن يذكر قصته للملك ليبين أنه قد سجن ظلما دون أن يرتكب أي جريمة تذكر :

وَإِنَّمَا إِذَا ذَكَرْتَنِي عِنْدَكَ حِينَمَا يَصِيرُ لَكَ خَيْرٌ، تَصْنَعُ إِلَيَّ إِحْسَانًا وَتَذْكُرُنِي لِفِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُنِي مِنْ هذَا الْبَيْتِ ، لأَنِّي قَدْ سُرِقْتُ مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ، وَهُنَا أَيْضًا لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا حَتَّى وَضَعُونِي فِي السِّجْنِ.

أما القرآن فيستمر بنفس الصياغة الإعجازية البليغة في رواية القصة :

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾

وتروي التوراة أيضا كيف تحقق التأويل الذي أوّله يوسف عليه السلام لرؤيا الرجلان :

فَلَمَّا رَأَى رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ أَنَّهُ عَبَّرَ جَيِّدًا، قَالَ لِيُوسُفَ: «كُنْتُ أَنَا أَيْضًا فِي حُلْمِي وَإِذَا ثَلاَثَةُ سِلاَلِ حُوَّارَى عَلَى رَأْسِي ، وَفِي السَّلِّ الأَعْلَى مِنْ جَمِيعِ طَعَامِ فِرْعَوْنَ مِنْ صَنْعَةِ الْخَبَّازِ. وَالطُّيُورُ تَأْكُلُهُ مِنَ السَّلِّ عَنْ رَأْسِي ، فَأَجَابَ يُوسُفُ وَقَالَ: «هذَا تَعْبِيرُهُ: الثَّلاَثَةُ السِّلاَلِ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ ، فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ عَنْكَ، وَيُعَلِّقُكَ عَلَى خَشَبَةٍ، وَتَأْكُلُ الطُّيُورُ لَحْمَكَ عَنْكَ ، فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، يَوْمِ مِيلاَدِ فِرْعَوْنَ، أَنَّهُ صَنَعَ وَلِيمَةً لِجَمِيعِ عَبِيدِهِ، وَرَفَعَ رَأْسَ رَئِيسِ السُّقَاةِ وَرَأْسَ رَئِيسِ الْخَبَّازِينَ بَيْنَ عَبِيدِهِ، وَرَدَّ رَئِيسَ السُّقَاةِ إِلَى سَقْيِهِ، فَأَعْطَى الْكَأْسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ، وَأَمَّا رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ فَعَلَّقَهُ، كَمَا عَبَّرَ لَهُمَا يُوسُفُ ، وَلكِنْ لَمْ يَذْكُرْ رَئِيسُ السُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ".

وبما أن يوسف نبي مرسل من الله تعالى ، فقد اغتنم الفرصة ليدعوا هذان الفتيان إلى الله تعالى لما رأى من أنهما ليسا مؤمنين بالله يعبدان من دون الله آلهة آخرين ، فقال لهم:

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. يوسف 37-40

وفي معرض دعوته الفتيان إلى الله فقد عقب يوسف عليه السلام بقوله على أن كل تلك الآلهة الباطلة ما هي إلا أسماء تم تسميتها وهي من اختراع البشر وما أنزل الله بها من سلطان ، وأن الحكم لله وحده لا شريك له في عبادته وحكمه ، ثم أتبع قوله هذا بتفسير الرؤيتين ، وهو منهج راقي اتبعه الرسل لدعوة الناس ، حيث لم يندفع يوسف عليه السلام برغم علمه وقدرته على التأويل في تفسير الرؤى أولا ، بل إنه اقتنص الفرصة ودعاهما إلى الله تعالى في وقت يحتاجون فيه لفتواه ، مما يكون له أكبر الأثر في نفوس المستمعين الطالبين للفُتيا.

ونرى في نهاية ذلك المشهد كيف أن الساقي قد ظهرت براءته بإدانة الفتى الآخر صاحب طعام الملك ، فالسم قد اكتشف في الطعام وليس في الشراب مما برأ ساحة الساقي وأدان صاحب الطعام أو الخباز ، وهو ما فسر به يوسف عليه السلام رؤى الفتيان ، وقد أوصى الساقي بأن يذكره عند سيده عندما يعود إلى وظيفته ولكن الشيطان قد أنسى الفتى أن يذكر يوسف إلا بعد سنين طويلة كما سنرى.

- **رؤيا الملك :**

وفي ليلة من الليالي رأى الملك خايان أو الريان بن الوليد عند المؤرخين العرب حلماً مزعجا لم يستطع فهم معناه فجعل يقصه على ملأه ، وتطالعنا التوراة بتفاصيل الرؤيا لكنها تصف أن ذلك كان على مرتين حيث رأى في كل مرة حلما مختلفا:

وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَى حُلْمًا: وَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ النَّهْرِ، وَهُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ طَالِعَةٍ مِنَ النَّهْرِ حَسَنَةِ الْمَنْظَرِ وَسَمِينَةِ اللَّحْمِ، فَارْتَعَتْ فِي رَوْضَةٍ، ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ أُخْرَى طَالِعَةٍ وَرَاءَهَا مِنَ النَّهْرِ قَبِيحَةِ الْمَنْظَرِ وَرَقِيقَةِ اللَّحْمِ،

فَوَقَفَتْ بِجَانِبِ الْبَقَرَاتِ الأُولَى عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ، فَأَكَلَتِ الْبَقَرَاتُ الْقَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ وَالرَّقِيقَةُ اللَّحْمِ الْبَقَرَاتِ السَّبْعَ الْحَسَنَةَ الْمَنْظَرِ وَالسَّمِينَةَ. وَاسْتَيْقَظَ فِرْعَوْنُ ، ثُمَّ نَامَ فَحَلُمَ ثَانِيَةً: وَهُوَذَا سَبْعُ سَنَابِلَ طَالِعَةٍ فِي سَاقٍ وَاحِدٍ سَمِينَةٍ وَحَسَنَةٍ ، ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ سَنَابِلَ رَقِيقَةٍ وَمَلْفُوحَةٍ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ نَابِتَةٍ وَرَاءَهَ ، فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الرَّقِيقَةُ السَّنَابِلَ السَّبْعَ السَّمِينَةَ الْمُمْتَلِئَةَ ، وَاسْتَيْقَظَ فِرْعَوْنُ، وَإِذَا هُوَ حُلْمٌ ، وَكَانَ فِي الصَّبَاحِ أَنَّ نَفْسَهُ انْزَعَجَتْ، فَأَرْسَلَ وَدَعَا جَمِيعَ سَحَرَةِ مِصْرَ وَجَمِيعَ حُكَمَائِهَا ، وَقَصَّ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ حُلْمَهُ، فَلَمْ يَكُنْ مَنْ يُعَبِّرُهُ لِفِرْعَوْنَ.

وتذكر التوراة أنه جمع الحكماء والكهان والعرافين لذلك ، ولكنه فوجئ بجهلهم هذا العلم الذي يحتاج إلى حكمة بالغة ودراية واسعة، ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾يوسف44 ، وهو ما كان يفتقر إليه هؤلاء القوم الذين كانوا يجهلون كل شيء عن هذا العلم الكبير ، وهو ما يلفت النظر إلى هويتهم ، وأنهم ليسوا مصريين ولا ينتمون إلى سكان وادي النيل، فالمصريين كانوا عالمين بتفسير الأحلام، ولهم دراية كبيرة لدرجة أنهم قد أعدوا المعاجم والقواميس لمفردات الأحلام كما تقدم، ويظهر ذلك فيما تبقى من آثارهم ومدوناتهم.

أما القرآن فيوجز لنا القصة في كلمات بليغة كعادته :

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٞ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾

عن ابن إسحاق قال: ثم إن الملك الريان بن الوليد رأى رؤياه التي رأى فهالته، وعرف أنها رؤيا واقعة، ولم يدر ما تأويلها، فقال للملأ حوله من أهل مملكته: (إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف).[27]

ولما أنزعج الريان من الحلم استدعى حاشيته سائلا إياهم تفسير الرؤيا له فأجابوه:

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ سورة يوسف

وفي تلك الأثناء تذكر ساقي الملك الذي كان حبيسا مع يوسف في السجن قدرة يوسف عليه السلام في تأويل الرؤى وتذكر كذلك وعده ليوسف الذي نسيه منذ سنين بأن يذكر قضيته عند الملك :

---

[27] تفسير الطبري.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾

ومن هنا يتضح عجز حاشية الملك الريان عن تعبير الرؤيا وهو ما يشير إلى عدم مصريتهم بوضوح، فالمصريون كانوا بارعون في تأويل الأحلام وصنفوا المصنفات في ذلك، ولهذا السبب ظهرت كرامة يوسف عليه السلام حين لجأ إليه الهكسوس العماليق في تأويل رؤيا الملك وفي إدارة أزمة المجاعة التي ستحل قريبا.

- **براعة المصريين فى تأويل الأحلام وتصنيف الكتب في ذلك :**

يقول سيرج سونيرون في كتابه الكهان في مصر القديمة[28]:

"تذكر اللوائح اليونانية التي تعدد مختلف أنواع المدارس الكهنوتية وظيفة "مفسر الأحلام"[29]، ونعلم جيدا بأنه كان من عادة الكهان المؤمنين في العصر القديم النوم في المعبد، بأمل الحصول على حلم مسبق يمكن أن يرشدهم إلى ما يجب فعله، ... " أ.هـ

ثم يقول أيضا " وعندما يجب التفسير في اتجاه ما للرؤية الليلية لحظة الاتصال العجيب ، كان من المحتم اللجوء إلى اختصاصي " أ.هـ.

ثم يؤكد على حقيقة الأمر في مقالته بقوله "فقد عثر في برديات مقبرة الأموات في طيبة على كتب تفسير الأحلام، وكانت المعطيات فيه مصنفة كما يلي: إذا رأى إنسان نفسه في الحلم .... وعمودين متوازيين إلى اليسار: يعمل هذا الشيء أو ذاك، إلى اليمين : هذا شيء جيد (أو سئ)، هذا يعني أن .... " أ.هـ.

---

[28] الكهان في مصر القديمة – تأليف سيرج سونيرون – ترجمة عيسى طنوس – الطبعة الأولى 1994 – الأهالي للطبع والنشر والتوزيع – دمشق.

[29] كان مفسر الأحلام في مصر القديمة يحظى بتقدير إجتماعي كبير للدرجة التي جعلت المصريين القدماء يقومون ببناء معبد خاص بمفسري الاحلام وكان تحت حماية إله الاحلام سيرابيس Serapis.

ويعرض لنا سونيرون أمثلة لمعاجم تفسير الأحلام عند المصريين القدماء من واقع البرديات التي عثر عليها فيقول :

" وفيما يلي بعض الأمثلة المستخرجة من هذا الكتاب :

إذا رأى رجل نفسه في الحلم

وهو يفتح الخمر = جيد = هذا يعني أنه سيفتح فمه ليتكلم

وهو يجلس على شجرة = جيد = معناه تدمير كافة مآسيه

وهو يقتل أوزة = جيد = يعني قتل جميع أعدائه

وهو يزور بوزيريس = جيد = يعني أن عمره سيكون طويلا

وهو ينظر في بئر عميقة = سيء = يعني أنه سيوضع في السجن

وهو يأخذ النار = سيء = يعني أنه سوف يقتل أو يذبح

وهو ينظر إلى قزم = سيء = يعني أنه سيؤخذ منه نصف حياته ..... إلخ".[30]

ثم يختم سونيرون مقالته بقوله :

" هذا العلم كان مخصصا لأعضاء هيئة الكهنوت – كهنة بيت الحياة " أ.هـ[31]

ونجد في بعض البرديات الأخرى مجموعة من الأحلام مع تأويلاتها ، ويبدأ كل حلم منها بـ"إذا رأي إنسان نفسه في حلم" وبعد ذلك وصف مقتضب للحلم ثم عبارة توضح إذا كان الحلم جيد أم سيئ وأخيراً تفسير الحلم وكأمثلة على ذلك نقرأ ما يلي من ترجمة بعض البرديات:

إذا رأي إنسان نفسه في حلم يأكل لحم حمار ، جيد ، يعني ترقيته ...

جالساً على شجرة ، جيد ، يعني زوال كل أمراضه ....

يحدق في جب عميق ، سيئ ، يعني وضعه في السجن ....

يأكل بيضة ، سيئ ، يعني تلف ممتلكاته فلا يمكن إصلاحها ....

ومن هذه البرديات نجد أن المصريين مارسوا تأويل الأحلام واخترقوا نفس الحالم وفسروا ما يراه في الحلم.

وهناك ورقة بردي قديمة أخرى تقول: "لو أن أمرأة قبلت زوجها في الحلم لواجهت المتاعب، ولو أنها ارتبطت بحمار فسوف تعاقب على خطأ عظيم، أما

---

[30] جزء من نص مستخرج من بردية شستر – متحف انجلترا.

[31] سونيرون – سبق بيانه.

الارتباط بماعز فالموت السريع قادم، وولادة القطة معناه إنجاب أطفال كثيرين، أما ولادة الكلاب فهو انجاب للولد".

ونجد مسألة الأحلام وأدبياتها عند المصريين القدماء في كثير من المواضع بدءاً من رسائل الموتى أو الرسائل التي كان يتركها الميت قديما وتتضمن بعض الأحلام التي سجلها داخل مقبرته والكثير من الأنواع الأخرى للحلم عند المصريين القدماء ومنها احلام الخوف والشفاء.

واعتقاد المصريين بظهور الالهة قديما في الاحلام وخاصة في احلام الملوك وكان الملوك المصريين يعتبرون تلك الأحلام دلالة علي منحهم القدسية طوال عمرهم وبعد مماتهم ويوجد امثلة كثيرة علي ذلك والتي من أشهرها حلم الملكة حتشسوت والتي استطاعت من خلاله ان تحكم مصر بدلا من تحتمس الثالث لمجرد رؤيتها لحلم رأته فسره لها الكهنة.

ويوجد العديد من الأمثلة في الأدب المصري القديم عن الكثير من الاحلام للملوك وكذا الاشخاص العاديين ومنها حلم لوحة (نب – اي بو – سنوسرت) الموجودة الان في المتحف البريطاني وغيرها من المقتنيات الاثرية التي توضح الاحلام عند المصري القديم مثل اناء احشاء في متحف فيينا وعليه أيضا احد احلامه ، وما أكثر الرموز القديمة للحيوانات وغيرها التي وردت في احلام المصريين قديماً وتحدثت عنها كتاباتهم العديدة.

ويعتبر من اهم الأحلام في الادب المصري القديم كنماذج علي هذه الاحلام هي الأحلام التي وردتنا من خلال أدبيات المصريين كحلم "نفر كا سوكر" وحلم الملك زوسر وفيما بعد نجد حلم الاسكندر الاكبر وحلم بطليموس وهما من الأمثلة الشهيرة في التاريخ.

أما أحلام الافراد فلها نصيب أيضا من كتابات المصريين مثل حلم "جحوتي ام حاب" وحلم "ايبوي" وحلم "با شري بتاح" وغيرهم وقد وردت تلك الأحلام بتفسيراتها من خلال الكتابات الجدارية القديمة والبرديات .[32]

---

[32] الاحلام في عقيدة المصري القديم د.احمد كامل -- دار النجوم للنشر .

وهكذا نرى أن قدماء المصريين في وادي النيل وبدءا منذ أقدم عصور حضارتهم ومرورا بكل عصور الحياة التالية كانوا عالمين بتفسير الأحلام بل كان المصريون القدماء أول من اعتقد بأن الأحلام إيحاء مقدس وكانوا يسمونها الرسل الغامضة إلى النائم للإنذار بالعقاب أو المواساة والتعزية والتبصير، وكانوا يولون هذا الأمر اهتماما بالغا لارتباطه بعقيدتهم ، واعتقادهم بأن الأحلام هي وحيٌ من الآلهة ، لذلك خصصوا له الاختصاصيين في هيئة الكهنوت والذين كانت مهمتهم ترتكز على الإلمام الكامل بتفسير أي تفاصيل ترد في الأحلام ، وخاصة الأحلام الملكية ، وأحلام الحاشية وصنفوا الكتب في ذلك بل وكان لديهم برديات موسوعية تضم معجم لتفسير الأحلام وأسموه : قاموس الأحلام ، وهو ما يدل على سعة الحيلة التي كانت لدى المصريين في ذلك العلم.

ويذكر الكاتب محمد أبو رحمة عن دراية المصريين بالتأويل[33]:

" كان المصريون يعلمونه ويدرسونه ويطبقونه عمليا ، بل وصلوا في هذا الشأن إلى حد تشخيص الأمراض النفسية من خلال تفسير الأحلام ، وفي هذا يقول د. عبد المحسن الخشاب : " وكان المفسرون لهذه الأحلام الكهنة الرسميين في المعبد وغيرهم من مفسري الأحلام ومن غير سلك الكهنوت".[34]

- **الهكسوس يجهلون علم تأويل الأحلام :**

هذا ما كان عليه المصريين من دراية بتفسير الأحلام وبراعتهم في هذا الصدد وهو ما كان يفتقر إليه الهكسوس العماليق أولئك القوم الرعاة الذين لم يكونوا على أي دراية بهذا العلم الثقيل ، فكان ردهم على مليكهم أكبر دليل على أنهم ليسوا بمصريين:

أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ. سورة يوسف

ولما لم يجد الملأ من العماليق الهكسوس بدا من تفسير رؤيا الملك ، نظرا لجهلهم بهذا العلم حيث لم يكن لهم خبرة بهذا العلم كما أوضحنا ، إذا بساقي الملك الذي كان مسجونا مع يوسف في سجنه - وكان الشيطان قد أنساه أن يذكر يوسف عند

---

[33] الإسلام والدين المصري القديم – محمد أبو رحمة – مكتبة مدبولي.

[34] تاريخ اليهود القديم بمصر – د. عبد المحسن الخشاب.

الملك - إذا به يتذكر فجأة أمر يوسف عليه السلام ، فيطلب من الملأ أن يرسلوه إلى السجن حيث يوسف عليه السلام ، ليستفتيه في رؤيا الملك :

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ سورة يوسف

وبعد ما علمناه عن دراية المصريين الواسعة بعلم تفسير الأحلام فليس من المنطقي أن تكون إجابتهم على ملكهم كهذه الإجابة غير المتوقعة منهم حين سألهم تفسير حلم رآه، لكن هؤلاء القوم الذين لا يتقنون هذا الفن أجابوه بأنهم غير عالمين بتأويل الأحلام.

كما أنه من غير المنطقي أيضا أن يستعين المصريين رواد تفسير الأحلام برجل من العبرانيين ليفسر لهم رؤيا الملك ، لكن من المنطقي والمفهوم لجوء الهكسوس العماليق الذين كانوا يحكمون مصر وقتها لواحد من بني عِرقهم ومن نفس ثقافتهم ليفسر رؤيا الملك ، فهو بالنسبة إليهم رجل موهوب ومميز لمعرفته بعلم يجهلونه ، بينما لم يكن يمثل بالنسبة للمصريين تميزا لأنهم يتقنون نفس العلم مع الفارق أن علمه كان وحيا من الله.

ويلاحظ أن مستشاري الملك من الهكسوس لم يكن لديهم علم بتأويل الأحلام أو الأحاديث.[35]

فنجد فرعون الذي عاصر موسى يحلم حلما يؤرقه يرى فيه نارا تخرج من بيت المقدس في فلسطين وتتجه إلى قصوره ومساكن قومه في مصر فتحرقها ولا يبقى منها شيء وقد أوله له أهل العلم والمعرفة في زمانه بأنه سيخرج من بني إسرائيل طفل يكون نبيا مرسلا من الله فيخرج بني إسرائيل إلى بيت المقدس ويكون هلاك فرعون وزوال مملكته على يديه.[36]

وهذه النقطة تحديدا تمثل أحد الأدلة الهامة على معاصرة يوسف عليه السلام لحكم الهكسوس العماليق في مصر.

---

[35] دكتور محمد راشد – ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام – نشر دار الكتاب العربي.

[36] أحمد عثمان – تاريخ اليهود / إبن كثير تفسير القرآن العظيم – المجلد الأول.

• يوسف عزيزا لمصر

تأويل رؤيا الملك وظهور براءة يوسف وتمكينه في الأرض

يقول ابن خلدون :

"ثم استعمله ملك مصر عند ما خشي السِّنة والغلاء على خزائن الزرع في سائر مملكته بقدر جمعها وتصريف الارزاق منها وأطلق يده بذلك في جميع أعماله وألبسه خاتمه وحمله على مركبه ويوسف لذلك العهد ابن ثلاثين سنة فقيل عزل اطفير العزيز وولاه وقيل بل مات اطفير فتزوج زليخا وتولى عمله وكان ذلك سببا لانتظام شمله بأبيه واخوته لما أصابتهم السنة بأرض كنعان".

و لما خرج يوسف عليه السلام من السجن واستدعاه ملك مصر أدرك في نفسه القدرة على تحقيق مصالح الناس بإدارة غذائهم وأقواتهم ، فسأل الملك توليته على ذلك ووافق الملك أن يجعله في هذا المنصب فورا على سبيل التكريم ورغبة في إدارته للأزمة بعلمه الإلهي.

يقول ابن كثير في تفسيره: "وسأل العمل بقدرته عليه ولما فيه من المصالح للناس، وإنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض، فأجيب إلى ذلك رغبة فيه أو تكرمة له" انتهى.

ويتحدث القرآن عن تقلد يوسف عليه السلام منصب عزيز مصر:

﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:78].

قال الإمام القرطبي في تفسيره: خاطبوه باسم العزيز إذ كان في تلك اللحظة عزيزاً لمصر بعد عزل الأول أو موته.

ويروى في الأثر أن الملكِ الريان قال ليوسف عليه السلام : "لستُ أعظم منك إلاّ بالكرسي".

وكانت تلك المكانة العالية تمكّنه من مساعدة كل الناس وبالذات الفقراء وأصحاب الحاجة ، في زمن كان يعمّ فيه القحط والجوع والفقر على سائر البلاد والعباد ، وكانت وفاة يوسف عليه السلام في زمن دارم بن الملك الريّان.

- **إشكالية الإثبات التاريخي والأثري لوجود بني إسرائيل في مصر**

إن الأدلة الأثرية في كل من فلسطين ومصر لا توفر لنا أية إثباتات قاطعة على وجود بني إسرائيل في تلك الفترة لا في أرض كنعان ولا في أرض مصر ولا في غيرهما، وتغلق الباب أمام أي احتمال للقصة المروية في الكتب المقدسة من بداية معيشتهم في صحراء كنعان ثم هجرتهم إلى مصر ثم الخروج من مصر أو رحلة الأربعين عامًا في صحراء سيناء، وهي النظرية التي يعتمدها أتباع مدرسة كوبنهاجن ولهذا السبب، تنحى كثير من علماء الآثار عن التحقيقات الأثرية لقصة موسى والخروج ووصفوا ذلك بأنه "جدل عقيم".

فبعد أبحاث استمرت لقرن من الزمان قام بها علماء الآثار وعلماء المصريات اتضح أنه ليس ثمة دليل أثري أو تاريخي مباشر يؤكد رواية الخروج من السبي المصري أو الهروب أو رحلات البرية ، لكن بعض العلماء يعزون ذلك بأن ثقافة بني إسرائيل لم تكن ثقافة متميزة عن محيطها في ذلك الوقت ، فلم تكن سوى جزء من الثقافة الكنعانية كجزء من الشعب الكنعاني لا غير ، فثقافة المستوطنات الإسرائيلية القديمة المذكورة في العهد القديم كنعانية بامتياز، والكثير من الطقوس المذكورة في العهد القديم والشعائر التعبدية تعود للطقوس الكنعانية في العبادة ، ويبقى الفخار من تقاليد الكنعانيين المحليين، والأبجدية المستخدمة كلغة عبرية معتمدة عن اليهود هي الكنعانية القديمة.

ويقدر الآثاريون أن المعلم الوحيد تقريبا الذي يميز القرى "الإسرائيلية" عن الأماكن الكنعانية هو عدم وجود عظام خنزير، رغم أنه لا يزال يدور جدل حول ما إذا كان هذا علامة حقيقية أو أنه راجع إلى عوامل أخرى كنقص وجود الخنزير كحيوان يعيش في تلك المناطق على سبيل المثال من عدمه.

لكنا نرى أن هناك الكثير من الشواهد الأخرى التي تدلل على صحة القصة ووقوعها يقينا من خلال استقراء جديد لأدلة وشواهد لم تدخل في حسابات الكثير من هؤلاء العلماء نظرا لعدم اعتبارهم للعديد من المصادر الأخرى كالقرآن الكريم والسنة النبوية بالإضافة إلى عدم عقد المقارنات اللازمة بين كل الشواهد في أكثر من موقع داخل مصر وفلسطين وغيرهما لتكتمل الصورة وتظهر الأدلة واضحة وجلية.

وتتناول الفقرة التالية الأدلة القاطعة والشواهد الظنية على حد سواء التي تفيد بمعاصرة يوسف عليه السلام وبني إسرائيل لعصر الهكسوس العماليق في مصر.

- **دلائل على معاصرة يوسف للهكسوس ودخول الأسباط أرض مصر فى زمنهم:**

لم يتردد كل المؤرخين قديما وحديثا في الاتفاق على قول واحد وهو أن يوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام وعشيرتهما قد نزلوا على مصر أثناء حكم الهكسوس.[37]

وقد ذهب إلى ذلك الكثير من المؤرخين والمفكرين والإخباريون العرب بل والكثير من علماء الآثار والكتاب المقدس ونورد هنا أسماء بعض المؤرخين المعاصرين ومنهم د. أحمد شلبي، الاستاذ عاطف طبارة، وموريس بوكاي، وجورج رو، والمؤرخ العراقي د. أحمد سوسة، ود. عطية القوصي أستاذ التاريخ بجامعة الكويت، والسحار وغيرهم الكثير.

كما يذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار (أن ملك مصر في عهد يوسف عليه السلام كان من العمالقة).[38]

ومن هؤلاء أيضا ابن ظهيرة ، والطبري وابن كثير .

ويذكر أحمد كمال باشا أن يوسف عليه السلام قد بيع لوزير الملك (أبيي رع كنن) الهكسوسي، وأن هذا الملك هو الذي أطلقه من السجن وعينه أمينا على خزائن الأرض كما جاء في القرآن.

ويشير الأستاذ نديم السيار أن يوسف عليه السلام كان قد عاصر ملكين من ملوك الهكسوس تبعا لكلام المؤرخين كالطبري وغيره، ويعينون اسم الأول بأنه (الريان) ثاني ملوك العماليق على حد قول المؤرخين ، ويقول البعض بأنه قد آمن بالله، ويعينون اسم الملك التالي له بأنه (قابوس) وأنه أبَى أن يؤمن بالله.

يروي د.احمد شلبي: "وكان السلطان لايزال في أيدي الرعاه الهكسوس "ويذكر الشيخ عبد الوهاب النجار: "ان ملك مصر في عهد يوسف كان من العمالقه"، ويقول

---

[37] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت.

[38] قصص الأنبياء – د. عبد الوهاب النجار.

ابن كثير أيضا: "وكان الذي اشتري يوسف من اهل مصر عزيزها وكان يومئذ رجل من العماليق "ويقول د .سليم حسن في موسوعة مصر القديمة: "وتدل الشواهد علي ان يوسف كان وزيرا لأحد الفراعنة الهكسوس في مصر"، ويذكر أن يوسف عليه السلام قد توجه بدعوه التوحيد الي الملك الهكسوسي، بعض المؤرخين قال انه آمن و الاخرون قالوا لم يؤمن ، حيث ذكر الطبري و الثعلبي وابن كثير انه آمن ومات على التوحيد بينما ينكر هدا ابن ظهيره فيقول : (لم يؤمن الريان) و الريان هنا هو الملك الذي كان معاصرا ليوسف عليه السلام ويذكر الطبري : (ثم مات الريان فملك بعده قابوس و كان كافرا فدعاه يوسف الي الايمان بالله فلم يستجب له، وعليه فإن يوسف عليه السلام كان من الآراميين والآراميون من جنس الهكسوس ولغة يوسف كانت الآرامية و اللغه الآرامية من جنس لغه الهكسوس، يقول تعالى: "و ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم" سورة ابراهيم. فكان يوسف نبيا مبعوثا الي الهكسوس.[39]

- **لقب العزيز:**

لم يعرف أبدًا في تاريخ مصر القديمة بأسره لقبا مثل هذا اللقب!، لقد عرفت مصر الوزراء والحجاب والمساعدين والكهان وكبار الموظفين في الدولة لكنها أبدا لم يمر عليها في جميع كتابات وأدبيات تاريخ مصر القديم لقب لأحد الوظائف الكبرى في الدولة يعرف بـــ"العزيز".

واعتمادنا على القرآن الكريم في ذلك الأمر هو مبدأ لا نرتضى سواه بديلا ، فاللقب الذي تفرد به القرآن الكريم لا يضاهيه ما أورده كاتبوا التوراة حين وصفوا هذا العزيز بصفة " خصي فرعون"! وقد سبق لنا الحديث عن تلك الصفة ومعناها في المراجع المختلفة ورغم أن هؤلاء الــ " خصيان " كانوا في بعض الدول ذوو مناصب كبرى ومنهم مقربين بدرجة كبيرة من الملوك إلا أن وصف القرآن له بـــ "العزيز" يختلف كل الاختلاف عن تلك الصفة التي أوردتها التوراة.

[39] من كتاب " قدماء المصريين أول الموحدين " للأستاذ نديم السيار.

إن عجز كاتبوا التوراة عن الالتزام بدقة هذا اللفظ وتوفيق اللفظ القرآني لتلك النقطة لهو أكبر دليل على تحريف التوراة وعدم دقتها وهو ما يظهر في كل مناسبة نحاول فيها عقد مقارنة بين أحداثها والأحداث القرآنية أو حتى الأثرية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الآثار المصرية صمتت كعادتها عن ذلك الاسم كما صمتت عن القصة بأكملها لأنه وببساطة لم يتطرق المصريون للأحداث لأسباب تعود إلى أنها وقعت بين قبيلة من القبائل الأجنبية عنهم مع حكام غرباء عنهم في معركة لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، وقد يكون السبب هو تدمير كل الأدلة والتسجيلات التي سجلت وقائع فترة الهكسوس حتى خروجهم من مصر.

غير أننا نجد أثرا واحدا ولو بعيدا في الآثار والتاريخ المكتوب قديما وهو ما ورد الينا عن الكاهن والمؤرخ مانيتون عن أحد الحكام والذي يظهر أنه كان من رؤساء القبائل العمليقية وصاحب منصب كبير في دولة الهكسوس يسمى "أسيس/أسيث" وهو ما تم المقاربة بينه وبين لقب "العزيز" بسهولة ، ويبدو بعد تلك المقاربة أن اللفظ القرآني والتسمية العربية هي الأدق وأن ما أورده مانيتون وغيره عن ذلك اللقب هو نقل مشوه للكلمة من لغتها الأصلية ، حيث ثبت لنا أن تسميات هؤلاء القوم هي تسميات عربية أصيلة أو أقرب ما يكون إليها.

إن لقب العزيز القرآني لهو أكبر دليل على أن يوسف عليه السلام كان معاصرا للهكسوس العروبيون الذين كانوا يتحدثون بعربية ذلك الزمان أو أقرب ما يكون إليها من لهجات عروبية.

- **الجهل بتأويل الأحلام:**

من المؤكد أن الحيرة ستصيب أي عالم مصريات أو دارس لتاريخ مصر القديم حين يسمع أن حاشية فرعون من حوله قالوا للملك :

﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾. سورة يوسف

فمن يعرف تفاصيل التاريخ المصري يدرك جيدا أن هذا الكلام لا يمكن أن يأتي على لسان المصريين البتة.

لكن إذا علمنا أن الملك وحاشيته كانوا من غير المصريين فيمكن لنا وقتها أن ندرك أن ذلك الرد من حاشيته هو رد منطقي جدا فالمصريون كانوا مهرة لدرجة كبيرة في

ذلك الفن بينما كان العماليق الهكسوس عن تلك العلوم الروحانية التي يبدو أنهم لم يكن لهم فيها حظا ولا نصيبا.

لم يجد الملأ من العماليق الهكسوس فردا واحدا منهم يستطيع أن يفسر رؤيا الملك ، فهم جاهلون بهذا العلم كل الجهل ، لم يرد عليهم في ذلك أحد الكهان أو العلماء أو رجال الدين الذين يستطيعون تفسير الأحلام وتأويل الرؤى ومن أين يأتون به وقد كانت حياتهم وثقافتهم بعيدة كل البعد عن تلك العلوم بالجانب الروحاني وهم إما أهل صحراء وبداوة أو أهل فروسية وحروب لا وقت لديهم للتأمل والخوض في تلك الروحانيات والغيبيات.

لقد تربى الكثير من هؤلاء العماليق على الثقافة البدوية وحياة الترحال ، أما من عاش منهم في المدن أو على أطرافها فلم يسمع من قبل عن تأويل الأحلام إلا عند كهنة حاذقين ورجال دين عالمين أو حكماء فاهمين ، ولم يكن العماليق يتصفون بتلك الصفات ولا يعرفون من يتقن هذه الفنون.

وكان المصريون الواقعين تحت احتلال العماليق يعلمون تأويل الأحلام جيدا لكن لم يكن العماليق الهكسوس ليلجأوا للمصريين أبدا فيما يخص رؤيا الملك.

لذلك كان من المقبول عند الملك وحاشيته أن يلجأ ساقي الملك إلى يوسف العبراني الذي هو من نفس جنسهم وبيئتهم خاصة أن الساقي يعلم جيدا براعة يوسف في هذا المضمار.

إذن فمن المنطقي والمفهوم لجوء الهكسوس العماليق الذين كانوا يحكمون مصر وقتها لواحد من بني عرقهم ومن نفس ثقافتهم ليفسر رؤيا الملك ، فهو بالنسبة إليهم رجل موهوب ومميز لمعرفته بعلم يجهلونه ، بينما لم يكن يمثل بالنسبة للمصريين تميزا لأنهم يتقنون نفس العلم مع الفارق أن علمه كان وحيا من الله.

وهذه النقطة تحديدا تمثل أحد الأدلة الهامة على معاصرة يوسف عليه السلام لحكم الهكسوس في مصر.

• الأبحاث الغربية الحديثة:

بالاطلاع على الأبحاث الغربية الحديثة خلال الخمسون عاما الأخيرة نجد أن السواد الأعظم من علماء المصريات الغربيين قد ذهبوا إلى تعيين فترة يوسف عليه السلام

بالعصر الانتقالي الثاني أي من عام 1786-1570 قبل الميلاد وهي الفترة التي علمنا عنها أن المجموعات الآسيوية المعروفة بإسم العماليق أو الهكسوس قد حكمت الدولة المصرية ، ومن هؤلاء العلماء البارزين كنت .أ. كتشن وستيجرز وفيرجوت وغيرهم من مشاهير علماء المصريات.

وهم قد توصولوا إلى تلك النتائج إما بحسابات توراتية أو بدلائل تاريخية وأثرية مستمدة من القصة وتفاصيلها ، ولا مجال هنا لإفراد أدلتهم التفصيلية ، لكن تلك الأدلة بالطبع سنتطرق إليها متفرقة ونحن نبحر في رحلة البحث حتى نصل إلى الحقائق المؤكدة بخصوص تلك الوقائع.

• سهولة انتقال بني إسرائيل إلى مصر وتولية المناصب للأجانب في عهد الهكسوس:

إن الانتقال إلى مصر من خارجها وقت الحكم المصري في المملكة الوسطى وحتى الأسرة الثانية عشرة المصرية كان شيئا صعبا لا يتم إلا بتصريح من السلطات ويتم تسجيله بمنتهى الدقة في السجلات اليومية حيث الرقابة الشديدة التي كانت مفروضة على الحدود الشرقية تحديدًا ، وتطالعنا الكثير من الدلائل والمدونات من العصور المصرية المختلفة عن وسائل الأمن والرقابة التي كان يمارسها المصريون على الوافدين من الأجانب الآسيويين القادمين من التخوم الشرقية لمصر.

لكن وكما علمنا كيف تراخت تلك القبضة المصرية على الحدود الشرقية في عهد الأسرة الثالثة عشر المصرية التي شهدت الصراع على الحكم وانفصال الأقاليم والمقاطعات ووجود أكثر من ملك وأكثر من أسرة حاكمة في نفس الوقت مما شغل السلطات عن فرض الرقابة التي كانت معروفة في عهود أسلافهم في الأسر التي سبقتهم.

لذلك فإن تصور دخول بني إسرائيل أبناء يعقول إلى مصر في عصور الحكم المصري وهذه السهولة من أجل الإقامة في مصر هو تصور مستبعد وبعيد عن الواقع ، حيث أن المصريون في غالبية الأحوال لم يكونوا من المرحبين بالشعوب الآسيوية بشكل عام وشعوب البدو والصحراء بوجه خاص.

لقد أتى بنو إسرائيل إلى مصر كقبيلة من أهم القبائل الآسيوية التي جاءت متعلقة بأذيال العماليق وهم أولاد وأحفاد النبي يعقوب ومنهم كل الأنبياء الذين أرسلوا لأحلاف الهكسوس وقد قوبلت تلك القبيلة بالترحاب من قبائل الهكسوس وقد أكرموها وأعطوها أحسن الأراضي الزراعية ووصل واحد من أبنائها وهو يوسف ليكون الرجل الثاني في البلاد بعد ملكهم وذلك قبل أن ينقلبوا عليهم ويحاربوهم .[40]

لذلك فالراجح هو وقوع الأحداث في عهد الهكسوس الآسيويين مما جعل من مسألة انتقال قبيلة بني إسرائيل من صحراء كنعان إلى مصر أمرا سهلا وممكنا حيث أن كلا البلدين كانا من ضمن الولايات الهكسوسية وكانت امبراطورية الهكسوس في عصر الملك خايان / الريان بن الوليد تشمل مصر والشام بما فيها أرض كنعان وسوريا وامتدت لبلاد الرافدين، فانتقلوا من كنعان التي يحكمها الهكسوس إلى مصر التي يحكمها الهكسوس أيضا مما جعلهم لا يشعرون بكونهم أغراب حيث عاشوا وسط نفس الأقوام التي كانوا يعيشون فيها فأصبحوا قبيلة هكسوسية وأصبح لهم ملكا فيها كباقي القبائل التي لكل منها ملك هو رئيسها وزعيمها، بل وتبوؤوا مناصب جيدة كذلك في مصر الهكسوسية.

د. محمد راشد

"تولية الأجانب مناصب قيادية في الدولة ليست من عادة المصريين"

لم يسمح المصريون لأي أجنبي أسيوي أن يتولى منصباً هامًّا في البلاد حيث أن المصريين القدماء كانوا ينظرون إلى البدو باعتبارهم جنسا غير مرغوب فيه لأنهم كانوا يفتقرون إلى العديد من الصفات الحميدة التي يتحلى بها المصريون كشعب مدني متحضر في ذلك الوقت المبكر.

لكن وعلى عكس ذلك نجد في قصة فرعون دلالات تشير إلى توليه فرعون لقارون وهو من قوم موسى البدو الآسيويين في أحد المناصب القيادية الهامة وهذا ما أكده القرآن الكريم في محكم آياته ، ويعتقد أنه قد عينه على خزائن الأرض باعتبار أن هذا المنصب أصبح بنو إسرائيل يتوارثونه عن يوسف عليه السلام وكان يعد قارون الشخصية الثانية في مصر في إدارة فرعون بعد هامان وقد سمح له فرعون بجمع ثروة

---

[40] فرعون من قوم موسى – م. عاطف عزت.

ضخمة من الأموال حتى إن العصبة من الرجال كانت تعجز عن حمل مفاتيح خزائن أمواله كما أنه كان ملك قبيلة بني إسرائيل خلفا لكل ملوكها كما سبق وأن أوضحنا.[41]

•

• ملة الهكسوس وكفران الآخرة:

تلفت آيات القرآن الكريم في سورة يوسف نظرنا نحو نقطة بعينها تتحدث عن ملة القوم الذين كانوا يعيشون بمصر في زمن يوسف عليه السلام ، فيقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام:

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَاءِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

وهذا معناه أن يوسف عليه السلام يصف إعراضه عن ملة القوم الذين كانوا يعيشون في زمنه سواء في أرض كنعان أو في مصر وهم نفس القوم وعلى نفس الدين!

ويظهر لنا من تلك الآيات كيف أن يوسف عليه السلام أخبرهم بأنه ليس على ملة قوم يتصفون بصفات ألا وهي أنهم لا يؤمنون بالله ، ويكفرون بالآخرة.

ونلاحظ هنا عدم تطابق هذا الكلام على أهله الذي أتى منهم ، وهم آل النبي يعقوب الموحدين وهذا يعني أيضا أنه لم يكن يتحدث عن ملة المصريين لأن المصريين ببساطة كانوا يؤمنون بالآخرة وهو أمر ثابت ومعروف عند كل المؤرخين والآثريين يؤمنون بالآخرة إيمانا كاملا – برغم تعدديتهم في العبادة – وكانوا يؤمنون بالبعث والجنة والنار والثواب والعقاب ، وعلى هذا قامت عقيدتهم كلها في مسألة المقابر وتحنيط الموتى وغيرها من المسائل والتفاصيل التي تستحق إفراد مؤلفات وأبحاث كاملة

[41] ملوك مصر القديمة – د.محمد راشد حماد

في هذا الصدد[42] ، فمتون الأهرام وكتاب الموتى والتحنيط والمقابر وعقيدة البعث والخلود والحساب في الآخرة ورحلة الموتى في العالم الآخر المصورة على المقابر والمعابد والبرديات كلها تشهد بإيمان المصريين الراسخ بالآخرة.

ومن هذا يتبين لنا أن هؤلاء القوم الذين يتحدث عنهم يوسف عليه السلام هم قوم لا يعرفون الله تعالى ولا يؤمنون به وكذلك لا يؤمنون بالآخرة أو اليوم الآخر، وأما الفتيان فهم من هؤلاء القوم الذين كانوا يعبدون أربابا متفرقون ، ويتضح من ذلك أن من كانوا يحكمون البلاد وقتها كانوا من غير المصريين .

وقد أجمع غالبية المؤرخين وعلماء المصريات والتاريخ المقارن وأكثر العلماء المرموقين في علم المصريات إلى أن من كان يحكم مصر في عصر يوسف عليه السلام هم قبائل الهكسوس النازحة من آسيا والتي احتلت شمال مصر في الفترة مابين 1780 إلى 1540 قبل الميلاد تقريبا ، أي ما يزيد عن المائتي عام ، ويرجح البعض رأيان في هذا الصدد :

أحدهما : يفترض أن يوسف عليه السلام قد دخل مصر في عهد الأسرة الثالثة عشر والرابعة عشر المصريتين (واللتان كانتا معاصرتان لبعضهما البعض) والتي سادت في عصريهما الاضطرابات والفتن والثورات وحالة عارمة من الفوضَى وعدم الاستقرار بسبب الصراع على الملك، وأن الهكسوس إنما استولوا على شمال الدلتا في تلك الآونة التي كان فيها يوسف عليه السلام في السجن، مما قد يفسر دخول بعض أصحاب المناصب في البلاط إلى السجن ، كما قد يفسر أيضا طبيعة المؤامرات والعصيان الذي شهدته البلاد في هذا العصر نتيجة مقاومة الغزاة الناجم عن استيلاء الهكسوس على السلطة دون حرب، أو أن هؤلاء المغضوب عليهم من قبل السلطة قد دع بهم إلى السجن نتيجة نفس حالة الاضطرابات التي سادت قبيل استيلاء الهكسوس على السلطة، ويتجه هذا الرأي إلى أن الملك الذي رفع من قدر يوسف عليه السلام بعد خروجه من السجن فمكنه من أعلى منصب في المملكة هو من أوائل ملوك الهكسوس

---

[42] يقول الدكتور رشدي البدراوي في كتابه "قصص الأنبياء والتاريخ – الجزء الأول " : آمن المصريون القدماء أنه بعد القبر يوجد بعث وحينئذ يحاسب المرء على أفعاله أمام محكمة الموتى " أ.هـ ، كما يورد من الأدلة الكثيرة من النصوص القديمة عند المصريين للتأكيد على هذه الحقائق.

وأنه استعمل يوسف عليه السلام مستعينا بعلمه وحكمته في مواجهة المجاعة القادمة التي علم مجيئها بعد تأويل يوسف لرؤياه ، وبذلك تكون – حسب هذه الفرضية – فترة بقاء يوسف في السجن هي فترة انتقالية بين حكم المصريين وبين حكم الهكسوس لمصر.

والرأي الثاني وهو الأقوى والأرجح عندنا : أن يوسف عليه السلام قد دخل مصر في عهد الهكسوس وليس قبله ، وأنه يحتمل أن تلك الاضطرابات كانت معهودة في عصرهم حيث كان الصراع على السلطة ينشأ بعد انتهاء فترة حكم كل ملك هكسوسي نتيجة عدم اعتيادهم على الحكم المركزي الذي تحالفت عليه قبائلهم والذي كان يكفل الانتقال السلس للسلطة بين الأب وابنه في هذه العصور وهو النظام المصري الصارم المتبع لآلاف السنين والذي كان نظاما دينيا قبل كل شيء[43]، بينما كانت السلطة بين الهكسوس تنتقل بين القبائل التي تكون مجموعة من العشائر المتحالفة، ويبدو أنه كان ينشب صراع بينهم على أحقية أحدهم للسلطة في بداية قيام دولتهم في مصر ، وبذلك – استنادا لهذا الرأي – يرجح أن يوسف عليه السلام قد دخل مصر في عهد ملك من ملوك الهكسوس ثم سجن في عصره مع بعض المتهمين بالتآمر على الملك وظل مسجونا حتى ظهرت براءته فوضعه الملك على رأس السلطة في مصر – في منصب العزيز – وجعله على خزائن الأرض والمتصرف الأول فيها لمواجهة الأزمة القادمة.

ومع ترجيحنا للفرضية الثانية فأيا كانت إحدى هاتين الفرضيتين صحيحا فإن الأحداث التي تلت خروج يوسف عليه السلام من السجن وقعت كلها في عصر الهكسوس العماليق الساميين العروبيين وهذا ما تدل عليه الآيات والأحداث التالية كما سنرى.

---

[43] يرتبط مفهوم تولي الملك عند المصريين القدماء بمفهوم ديني بحت، وهو أن الملك الذي يحكم البلاد لابد وأن يكون من دماء ملكية خالصة نظرا لاعتقادهم بأن الملك ما هو إلا ممثل للآلهة على الأرض وأنه ظل الإله على الأرض، والممثل لإرادتهم بين الناس، بل تعدى الأمر إلى ادعائهم بأن الملك هو ابن الآلهة في عصر الدولة الحديثة، ومن هنا نتفهم طبيعة النظام الملكي في مصر القديمة وكيف كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بعقيدة المصريين القدماء واستلزامه لنظام الحكم الوراثي لنفس تلك الأسباب.

كان عزيز مصر من أشراف قبائل الهكسوس وأحد كبار رجال مملكتهم وقد تبين ليوسف أن هؤلاء القوم الذي يعيش في كنفهم ينكرون وجود الله ولا يعتقدون في البعث والنشور بعد الموت.

بينما كان المصريون القدماء يعتقدون في الآخرة فنصوصهم ومناظرهم المصورة تؤكد هذا الإتجاه الديني حيث صوروا موتاهم وقد بعثوا أحياء مرة أخرى يقفون أمام الإله ليحاسبهم عن أعمالهم وأقوالهم في الدنيا فمن رضى الإله عنه فجنات وعيون ومقام كريم ومن سخط عليه ولم يجز قبوله فبالنار يحرق وفي الظلام والعذاب والآلام يعيش.[44]

وصحب المصريون في مقابرهم طعام وشراب وأثاث وكافة المتعلقات الشخصية بحيث لا ينقصهم شيء في الحياة الكريمة في العالم الآخر وفقا لمعتقدهم.

وحافظ المصريون على جثث موتاهم وصوروا المحكمة الإلهية في العالم الآخر.[45]

ويواصل القرآن الكريم تأكيده على أن القوم في عهد موسى عليه السلام لا يختلفون عن القوم في عهد يوسف عليه السلام فهم جميعا لا يؤمنون بالآخرة ولا يعتقدون في لقاء مع الله بعد موتهم بمعنى أنهم ينكرون البعث والنشور وبالتالي فلا يؤمنون بيوم الحساب ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك :

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ القصص

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ غافر

- **يقول الدكتور محمد راشد :**

ومن هذا يتضح أن فرعون وجنوده وقومه لا يؤمنون بأن أعمالهم وأقوالهم في الدنيا خيرها وشرها تدوّن وتسجل عليهم ثم يحاسبون عنها من قبل إله عادل لا يظلم أحدا مثال ذرة وبذلك فهم لا يؤمنون بالجنة التي يدخلها الصالحون أو النار التي يحشر فيها المجرمون المتكبرون.

---

[44] رمضان علي – حضارة مصر القديمة – الجزء الثاني.

[45] نجيب ميخائيل – مصر والشرق الأدنى القديم – حضارة العراق القديمة – الجزء السادس.

كما يعتقدون أن الموت نهاية لا يتبعها نشور أو قيام من الموت وأن أجساد موتاهم لن تدب فيها الحياة مرة أخرى.[46]

- **توقيت المجاعة في زمن الهكسوس والاستعانة بيوسف العبراني:**

وكما تقدم في تفصيل هذا الأمر في هذا الفصل فإن تلك المجاعة قد وقعت على سبيل التقريب في أواخر القرن الثامن عشر قبل الميلاد أو أوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد.

لكن العثور على دليل من الآثار المصرية لإثبات وقوع المجاعة في عصر الهكسوس تحديدا هو أمر صعب جدا إن لم يكن مستحيلا بسبب ما نعلمه جيدا من شح المصادر والآثار المكتشفة لهذا العصر.

لكن علم التاريخ المقارن جعل من أشياء كثيرة كانت تبدو مستحيلة فيما مضى أشياءا ممكنة في الوقت الحالي ، فتذكر مصادر مختلفة أن العصر البرونزي الوسيط قد شهد وقوع مجاعات أكثر من مرة على فترات متباعدة في منطقة الشرق الأدنى متضمنة الرافدين والشام ومصر ، ومنها ما وقع في أواخر العصر البرونزي الأوسط الذي يمتد من (2000 – 1600 ق. م) ، وهو ما يشير إلى نفس التوقيت المرجح لدخول بني إسرائيل إلى مصر أثناء المجاعة في أواسط القرن السابع عشر قبل الميلاد.

أما في مصر فيوجد بالثقافة الشعبية الكثير من المعلومات والآثار التي تشير إلى تواجد الأنبياء ومنهم يوسف عليه السلام ، ففي مصر في أكثر من مكان ارتبط بقصة يوسف عليه السلام سواء في الدلتا أو مصر الوسطي أو الصعيد، وهناك أكثر من موقع أثري يطلق عليه اسم «مخازن يوسف» ويعتقد العامة أنها بالفعل المخازن التي استخدمها يوسف عليه السلام لمواجهة المجاعة[47].

---

[46] دكتور محمد راشد – ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام – نشر دار الكتاب العربي.

[47] جريدة الشرق الأوسط – المجاعة في عهد سيدنا يوسف – د. زاهي حواس - مقالة بالعدد 11258.

ورد في مقالة بجريدة الحياة :

"وهناك ما يكفي من الإشارات الى هذه المجاعة التي تصفها التوراة بــ "مجاعة أرض كنعان"، فيما تصفها المصادر العربية القديمة بــ "مجاعة مكة" الأولى ، فضلاً عن الإشارة القرآنية الصريحة الى مكة، التي كانت في وادٍ غير ذي زرع. وهذا يؤخذ في إطار السرد القرآني لسنوات القحط السنوات السبع العجاف التي ضربت مصر كذلك[48].

فمن الناحية الأثرية نجد في أحد مقابر العصر الانتقالي الثاني كتابات لقصة تتشابه مع قصة يوسف وجاء فيها:

"جمعتُ القمح كصديق لإله الحصاد والآن عندما ظهرت المجاعة ودامت عدة سنوات كنت أوزع القمح على سكان المدينة كل عام" وهي كتابات ترجع إلى زمن الهكسوس وفيها إشارة إلى مجاعة رهيبة وحاكم إقليم قام بتوزيع الغلال التي كان قد اختزنها بناءا على تعليمات حاكم البلاد وأن الأرض في النهاية انتقلت ملكيتها من أصحابها إلى ملكية الملك ثمنًا للقمح، وهو ما يتشابه مع قصة يوسف عليه السلام بل يتطابق معها.

أما المفاجأة هي النصب الحجري الذي تم العثور عليه في أعلى تلال جزيرة سهيل جنوب أسوان، والذي يخبرنا بسبع سنوات من المجاعة مرت بها أرض مصر بسبب انخفاض فيضان النيل ونقص شديد قد حدث في الحبوب والغلال وأن الملك قد رأى في المنام أن حل الأزمة يكون بتقديم قرابين لإله المقاطعة حتى ينجلي الجدب والجفاف عن مصر.

وجدير بالذكر أن النص يتحدث عن أن تلك الواقعة قد حدثت في عهد الملك زوسر بينما أن تاريخ صنع النصب كان في عهد البطالمة !!! ، وهو الأمر الذي يثير شكوكا كثيرة حول دقة الأسماء التي تتحدث عنها القصة.

ففي بادئ الأمر نسبه البعض للملك زوسر لكن لم يلبث وأن تبين أن الحجر قد تم صناعته في عصر البطالمة ، والمثير للانتباه هو حدوث تلك المجاعة لمدة سبع سنوات وهي فترة تتطابق مع ما جرى في عصر يوسف عليه السلام ، وهذا يثبت أن القصة

---

48 - جريدة الحياة – العدد 13561 – بتاريخ 28/4/2000 - فاضل الربيعي – مقالة عن المرويات التاريخية العربية ...!

معروفة ومسجلة لكن تم عزوها لأشخاص آخرين ونسبوها لفترة مختلفة عن الفترة الحقيقية، ولذلك فهي تعد دليلا قاطعا يؤكد وقوع القصة في مصر لكننا ما نزال نفتقر إلى أي تفصيل يبين الفترة الزمنية الدقيقة لأحداث المجاعة التي وردت فيها.

ويرى بعض المؤرخون أن القصة متطابقة مع قصة يوسف عليه السلام وأن الكهنة قد أمروا بنقشها في عهد البطالمة حوالى عام 196 ق.م لتصيغ وقائع مفترضة الوقوع في عهد زوسر الذي سبق عصر البطالمة ب 2500 عاما كاملة !!!، وقد نقشت قصة المجاعة تلك بالنقش الغائر على تلك اللوحة بجزيرة سهيل بأسوان وأن صانعوها إنما قلدوا قصة يوسف عليه السلام وما حدث مع الملك حين رأى رؤيا السبع العجاف، ومن ثم اسقطوا تلك الرؤيا بطريقة مختلفة على الملك زوسر الذي ينتمي للدولة القديمة بدلا من الملك خايان / الريان الهكسوسي لتمجيد الآلهة المصرية بدلا من الإشارة إلى عصر نبوة يوسف وأحداثه الحقيقية.

نفس القصة كررها كهنة معبد الإلهة إيزيس بجزيرة فيلة وأن العطاء الملكى من زوسر كان لهم وكلا الروايتين البطلميتين ربما كانوا ادعاء ولكن الأهم فى القصة انهم أعطوا صلاحية لوعد زوسر وبذله العطاء لألاف السنين وكأنه بالنسبة لهم نطق مقدس!.

وما يؤكد ذلك الاستنتاج أن تفاصيل اللوحة تروي أن الملك رأى فى المنام أن مصر ستتعرض لتوقف الفيضان لمدة سبع سنوات عجاف، وعندما استشار كبير الكهنة أمحوتب أشار عليه ببناء معبد ل "خنوم" (المصور) رب "آبو" (التي هي جزيرة اليفانتين بأسوان جنوب مصر حاليا) وهو أحد تجليات الإله الخفى/المحتجب "آمون".

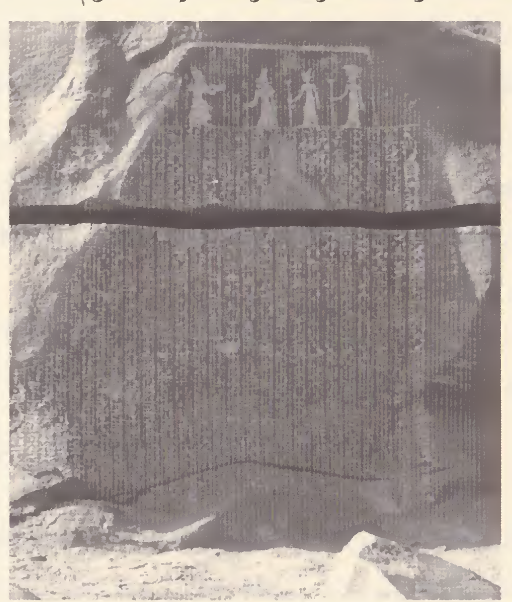
يقول الدكتور محمد راشد حماد في كتابه ملوك مصر القديمة :

ومما يؤكد أن هذا الحدث يرجع إلى عصر يوسف عليه السلام أن المجاعات التي حدثت في مصر على امتداد تاريخها لم تكن تستمر كل هذه السنوات المتصلة باستثناء المجاعة التي وقعت في عصر يوسف عليه السلام وكان ذلك لإرادة الله عز وجل، وذكر تلك المجاعة في لوحة جزيرة سهيل بأسوان والتي كتبت في عهد بطليموس الثاني 284– 246 قبل الميلاد كان تحريفا من الكهنة حيث نسبوها إلى وزير مصري يدعى

إيمحوتب والذي نال شهرة كبيرة منذ عصر الدولة القديمة حتى العصر اليوناني الروماني.[49]

ومن هنا يتضح اقتباس وانتحال قصة يوسف والمجاعة لإيجاد مبرر لتمجيد إله تلك المقاطعة وإضفاء صفات القدرة والإعجاز على هذا الإله الوثني ولتمجيد الملك زوسر المشهور في كافة العصور وهو صاحب أقدم هرم فى التاريخ وهو الهرم المدرج بسقارة بالجيزة المصرية.

ويوجد هذا النقش الصخرى عند أعلى نقطة بجزيرة سهيل، والنقش يصور الملك زوسر وهو فى وضع التقدمات لثالوث إلفنتين المكون من (الإله برأس كبش "خنوم" وزوجته الألهة "ساتت" وابنتهم الألهة "عنقت") ، ومما هو جدير بالذكر أن هذا النقش يشير إلى حدوث مجاعة فى عصر الملك استمرت لمدة 7 سنوات وانتهت بعد أن تم نصح الملك بعمل التقدمات والهبات والصلوات للإله خنوم .



لوحة المجاعة – صنعت في العصر البطلمي لكنها تؤرخ لأحداث عصر يوسف عليه السلام وتسجل واقعة المجاعة التي استمرت 7 سنوات

[49] دكتور محمد راشد – ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام – نشر دار الكتاب العربي.

ويوجد دليل قوي علي انها مختلقه من كهنة خنوم وقد أيد هذا الاستنتاج العالم الفرنسي الشهير جاستون ماسبيرو ، ويرجح الكثير من علماء المصريات أنها قد تكون لقصة اصلية وتم تغيير الأسماء لسبب ما.

إذن لم يَعْدُ الأمر كونه محاولة من كهنة الإله خنوم في عهد بطليموس من تعظيم إلههم خنوم وإلصاق المعجزة بملك عظيم من الدولة القديمة وهو زوسر ، ومن الواضح تطابق القصة مع أحداث المجاعة في عهد يوسف عليه السلام التي جرت في عهد الملك الهكسوسي خايان / الريان ملك العماليق.

يقول الدكتور محمد راشد أيضا في تأكيده عن عدم حاجة المصريون لوجود أجنبي لمواجهة المجاعات:

يبدو أن الملك في عهد يوسف عليه السلام لم يكن مصريا إذ تنقصه الخبرة والدراية في اسلوب التعامل مع المجاعات أو كيفية تخزين الغلال وكيفية جمعها من الفلاحين وكيفية توزيعها وصرفها على الناس في حالات المجاعات وقد أكد كثير من المؤرخين أن يوسف عليه السلام كان يعيش في عصر الهكسوس تلك القبائل البدوية التي لا تعرف إلا حرفة الرعي وحياة الجندية ولا تشكل حرفة الزراعة بالنسبة لهم أية أهمية تذكر ولم يكن المصريون القدماء بحاجة إلى يوسف حيث إن لديهم خبرات سابقة في مواجهة المجاعات والنصوص المصرية تؤكد ذلك وكذلك المناظر وما عثر عليه من آثار.[50]

ويقول الدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن:[51]

إن الشيء المنطقي الوحيد أن يكون الهكسوس المحتلون الأجانب عن مصر قد استعانوا بآسيوي أجنبي مثلهم في حكم البلاد.

وقد امتنع القبط أو المصريون القدماء عن تعيين أجانب في الوظائف الرفيعة طوال تاريخهم على عكس الهكسوس ، حيث كان من شروط التعيين في المناصب الهامة في مصر القديمة عند القبط أن يكون من وقع عليهم الاختيار لشغلها ذوي جنسية مصرية

---

[50] المصدر السابق.

[51] الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم – د. عبد الراضي محمد عبد المحسن.

ولم يكن مسموحا لأجنبي مهما كانت صفته ومهما كانت مكانته أن يتولى منصبا هاما في البلاد.[52]

لكننا نجد تعيين يوسف عليه السلام في منصب العزيز بكل سهولة في عصر الهكسوس الذي هو من نفس جنسهم وأصلهم أمرا مستساغا ومألوفا ولا غضاضة في حدوثه.

وهذه الأدلة الأثرية وغيرها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الأحداث قد وقعت في عهد الهكسوس العماليق وأنهم قد استعانوا بيوسف العبراني — الذي هو من جنسهم وأصلهم — لإدارة الأزمة والعبور بالمملكة إلى بر الأمان وهو الأمر الذي لا يمكن للمصريين أن يفعلوه وهم رواد الزراعة وتخزين الغلال في العالم القديم ، ولا يمكننا أن نتصور استعانتهم برجل عبراني بدوي من خارج بلادهم ليعلمهم كيفية مواجهة المجاعة وتخزين الغذاء!

• كتابات الإخباريين العرب تؤكد معاصرة يوسف عليه السلام للهكسوس:

إن التأكيد على معاصرة يوسف وأنبياء بني إسرائيل للعماليق حينما كانوا ملوكا على مصر قد بلغ حد التواتر المعنوي واللفظي عند المؤرخين العرب والمسلمين بما لا يدع مجالا للشك من وقوع تلك الأحداث في زمنهم ، وفيما يلي نستعرض أقوال بعضهم باختلاف طبقاتهم:

قال أبو الفداء : "ثم ملك بعده ابنه الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف ونزل مدينة عين شمس.[53]

قال بن خلدون: "وكان فرعون يوسف أيضا منهم (من العماليق) وهو الرّيان بن الوليد بن فوران"[54]

وقال بن خلدون أيضا في موضع آخر: "وقال غيره: الريان فرعون يوسف وهو الّذي تسميه القبط نقراوش وأنّ وزيره كان أطفير وهو العزيز وأنّه آمن بيوسف، وأنّ

---

[52] محمد بيومي مهران – مصر – الجزء الثالث.

[53] تاريخ أبي الفداء.

[54] تاريخ بن خلدون.

أرض الفيّوم كانت مغايض للماء فدبّرها يوسف بالوحي والحكمة حتى صارت أعزّ الدّيار المصرية."[55]

وقال بن جرير الطبري: "عن ابن إسحاق: وهلك الملك الذي كان معه الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر ، فنشر الله بها بني إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض ، كما ذكر لي ، في صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء".[56]

وقال بن جرير أيضا :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "كَانَ اسْمُ الَّذِي اشْتَرَاهُ قِطْفِيرَ ، وَقِيلَ إِنَّ اسْمَهُ أَطْفِيرُ، بْنُ رُوحَيْبَ، وَهُوَ الْعَزِيزُ، وَكَانَ عَلَى خَزَائِنِ مِصْرَ، وَالْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الرَّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ، رَجُلٌ مِنَ الْعَمَالِيقِ، كَذَلِكَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، فَأَمَّا غَيْرُهُ فَإِنَّهُ قَالَ: كَانَ يَوْمَئِذٍ الْمَلِكُ بِمِصْرَ وَفِرْعَوْنُهَا الريان بن الوليد بن ثَروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لَاوِذَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ".

قال بن الأثير :

ثم إن الملك وهو الريان بن الوليد بن الهروان بن اراشه بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح رأى رؤية هائلة رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحازة والعافة فقصها عليهم[57]

قال الهمداني في الاكليل: "ومن ولد ودّان: الفراعنة بمصر والمشهور أنهم من العماليق منهم الريّان بن الوليد. ويُقال: الوليد بن الريّان وهو الملك في عهد يوسف".

قال المسعودي في مروج الذهب:

فسار إليهم من الشام ملك من ملوك العماليق، يقال له الوليد بن دومع، فكانت له حروب بها، وغلب على الملك، فانقادوا إليه، واستقام له الأمر إلى أن هلك، ثم ملك

---

[55] المصدر السابق.

[56] تاريخ الرسل والملوك – التفسير للطبري.

[57] الكامل في التاريخ.

بعده الريان بن الوليد العملاقي، وهو فرعون يوسف، وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما في كتابه العزيز.[58]

وقال المسعودي أيضا:

ذلك أن الريان بن الوليد ملك مصر لما رأى رؤياه في البقر والسنابل وعبَرَها يوسف عليه السلام استعمله على ما كان يلي من أرض مصر، وقد أخبر الله بذلك عند إخباره عن نبيه يوسف بقوله "اجعلني على خزائن الأرض، إني حفيظ عليم .[59]

المنتظم في التاريخ :

والطائفة التي كانت منهم بالشام (يقصد العماليق) يقال لهم الكنعانيون وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها، وهم الجبابرة المعروفون ، والطائفة التي كانت بمصر يقال لهم الفراعنة، ومنهم فرعون يوسف، وكان اسمه الريّان بن الوليد.

• محل إقامة بنى إسرائيل بالقرب من عاصمة الهكسوس

تؤكد التوراة أن الملك قد أسكن بني إسرائيل في أرض جاسان وهي من أخصب الأرض في مصر وهي ما تعرف اليوم بـ "بلبيس" وهي مدينة مصرية تقع في محافظة الشرقية وكانت تقع ملاصقة لأواريس القديمة عاصمة الهكسوس ، ويبدو أن تلك المدينة كانت شهيرة بتربية المواشي والأغنام وكانت مليئة بالمراعي والمروج والزراعات الخصبة.

وشهدت مدينة بلبيس المصرية تلك لقاء نبي الله يوسف بأبيه النبي يعقوب، والذي استقر هو و70 فردا من أهله، علي أرضها حيث كانت تمثل آنذاك جزءا من أرض "جاسان" بناء علي وصية ملك مصر "الريان" لوزيره "يوسف" كنوع من التكريم له ولأهله ، ويروي الكثير من المؤرخين أن جاسان هي بعينها مدينة بلبيس الحالية أو تشملها بداخلها والتي تقع في محافظة الشرقية ومازالت حتى اليوم معروفة بخصوبتها وشهرتها بالمراعي وتربية المواشي والأغنام والحيوانات بجميع أنواعها.

[58] مروج الذهب ومعادن الجوهر – المسعودي.

[59] المرجع السابق.

وعلى أرض بلبيس أيضا توفي نبي الله يعقوب بعدما أوصى أبناءه بضرورة نقل جثمانه ليدفن الي جوار أبيه إبراهيم داخل مغارة "عفريم الحثي" بفلسطين وهو ما قام به بالفعل نبي الله يوسف ومثبت تاريخيا.

وبعد سنوات توفي يوسف هو الآخر علي أرضها وأوصي بني إسرائيل بضرورة أن يحملوا رفاته معهم عند خروجهم من مصر ليدفن إلي جوار والده وجده، ولذا فقد تباركت أرضها بجثمانه الشريف لسنوات، ولد خلالها نبي الله موسي والذي اختلفت الروايات بشأن مكان مولده بالتحديد فقيل في إحداها ولد في بلبيس وفي رواية أخري أن بني إسرائيل كانوا قد تكاثروا، وانتقل فريق منهم للعيش بقرية "قنتير" بمدينة فاقوس التي تبعد عن بلبيس بنحو 40 كم شمالا.

وتعيين "بلبيس" تحديدا موقعا لسكنى بني إسرائيل قد ورد في كلام العديد من المؤرخون العرب ومنهم بن خلدون الذي سبق ذكره في السطور السابقة.

ومنهم بن خلدون الذي قال:

"واشتراه من العرب عزيز مصر وهو وزيرها أو صاحب شرطتها قال ابن اسحق واسمه اطفير بن رجيب وقيل قوطفير وكان ملكها يومئذ من العماليق الريان بن الوليد بن دومغ وربى يوسف عليه السلام في بيت العزيز فكان من شأنه مع امرأته زليخا ومكثه في السجن وتعبيره الرؤيا للمحبوسين من أصحاب الملك ما هو مذكور في الكتاب الكريم ثم استعمله ملك مصر عند ما خشى السنة والغلاء على خزائن الزرع في سائر مملكته بقدر جمعها وتصريف الارزاق منها وأطلق يده بذلك في جميع أعماله وألبسه خاتمه وحمله على مركبه ويوسف لذلك العهد ابن ثلاثين سنة فقيل عزل اطفير العزيز وولاه وقيل بل مات اطفير فتزوج زليخا وتولى عمله وكان ذلك سببا لانتظام شمله بأبيه واخوته لما أصابتهم السنة بأرض كنعان وجاء بعضهم للميرة وكال لهم يوسف عليه السلام ورد عليهم بضاعتهم وطالبهم بحضور أخيهم فكان ذلك كله سببا لاجتماعه بأبيه يعقوب بعد أن كبر وعمى (قال ابن إسحق) كان ذلك لعشرين سنة من مغيبه ولما وصل يعقوب إلى بلبيس قريبا من مصر خرج يوسف ليلقاه ويقال خرج فرعون معه وأطلق لهم أرض بلبيس يسكنون بها وينتفعون"[60].

---

[60] تاريخ بن خلدون.

ويقال أن بنيامين أخو يوسف عليه السلام والكثير من الأسباط أبناء يعقوب مدفونون في بلبيس ، لكن يحمل أهالي موقع "تلٍ اليهودية" – وهو موقع آخر مختلف عن موقع بلبيس – ويقع على مساحة 35 فداناً ذكريات لموروثات شعبية عن تاريخ بني إسرائيل حين سكنوا تلك البقعة ، حيث يوجد في ذلك المكان موقعا أثريا كبيرا والذي كان يتبع مركز بلبيس إداريا كتابع للوحدة المحلية لقرية «غيتة» بقرية «السلام» ويتبع حاليا محافظة القليوبية لوقوعه بجنوب شرق مدينة شبين القناطر وقد استوطن اليهود هذا الموقع تحديدا في العصر البطلمي واختاروه من بين كل الأماكن الأخرى لأسباب لا تخفى على أحد كما هو واضح ، فالموروث الشعبي لديهم أيضا يدل على أن ذلك الموقع كان تابعا لأرض جاسان التي سكن فيها بنو إسرائيل في أيام يوسف عليه السلام ، ويبدو أن موقع تل اليهودية قد استخدمه بنو إسرائيل وقت إقامتهم في مصر كمكان للدفن يجاور مساكنهم من ناحية الغرب.

- **المركبات التي جلبها الهكسوس**

ورد ذكر المركبات في مواضع مختلفة في القصة التوراتية فتارة نرى الملك وهو يرسم يوسف عزيزا على مصر ويركبه مركبة :

"اركبه في مركبته الثانية و نادوا امامه اركعوا وجعله على كل ارض مصر" خروج.

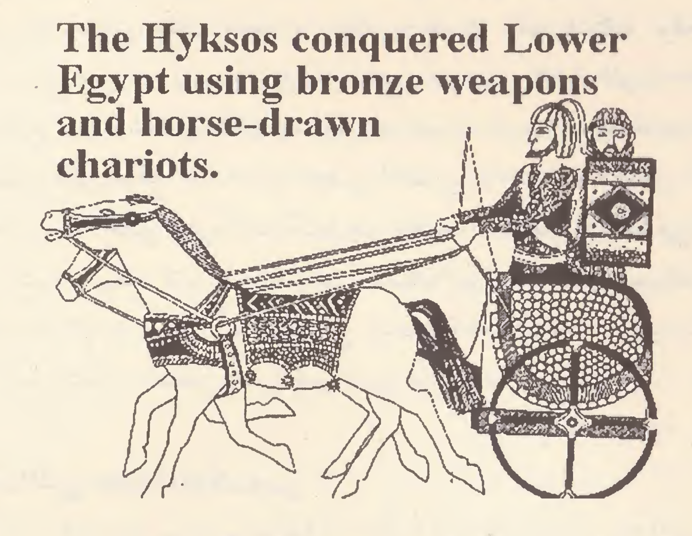
وتارة نرى يوسف يأتي بأباه وإخوته من أرض كنعان باستخدام العجلات:

"فانت قد امرت افعلوا هذا خذوا لكم من ارض مصر عجلات لاولادكم ونسائكم و احملوا اباكم و تعالوا".

وغيرها من المواضع الأخرى للدرجة التي تجعل يعقوب عليه السلام يتأكد أن القافلة التي أتت لتأخذه إلى يوسف هي بالفعل مرسلة منه وليس من غيره فدللت التوراة على ذلك:

"ثم كلموه بكل كلام يوسف الذي كلمهم به و ابصر العجلات التي ارسلها يوسف لتحمله فعاشت روح يعقوب ابيهم." سفر الخروج.

ومن المعروف أن العجلات قد تم البدء في استخدامها في مصر وكان اول من استخدمها هم الهكسوس وتلك حقيقة تاريخية تكلمت عنها كل كتب تاريخ مصر القديم ، فالعجلات لم تكن معروفه قبل هذا التاريخ للمصريين ولا للعبرانيين.



صورة قديمة لعجلة حربية من عجلات الهكسوس تجرها الخيول

يقول الدكتور محمد راشد حماد تحت عنوان "مركبات الهكسوس واستئناس الخيل":

"مما لا شك فيه أن الآسيويين قد عرفوا المركبات والجياد منذ عصور قديمة جدا وتؤكد كل من الاكتشافات الأثرية والوثائق ذلك فقد عرفت المركبات في بلاد النهرين منذ أسرة أور التي يرجع تاريخها إلى 2500 قبل الميلاد وقد عثر في كيش على طراز متقدم من هذه المركبات كما عثر على هياكل لجياد في فلسطين يرجع تاريخها إلى أربعة آلاف عام قبل الميلاد وكذلك على هياكل لجياد أيضا في منطقة بوهن من عصر الدولة الوسطى ، كما عرف الإغريق القدماء الجياد وترجع ابتداء من العصر النيوليثي كما عثر على دفنات للجياد ترجع إلى عام ألفين قبل الميلاد"[61].

ويبدو أن قبائل شبه الجزيرة العربية قد عرفوا الجياد وقاموا باستئناسها وتدريبها حيث ذكر المؤرخون المسلمون أن إسماعيل عليه السلام قد عرف استخدام الجياد في

---

[61] ملوك مصر القديمة – دار الكتاب العربي.

رحلات الصيد والقنص أو تنقلاته بين قبائل شبه الجزيرة العربية لدعوتهم لدين الإسلام.

وقد ورد في التوراة ذكر العجلات الحربية في أكثر من موضع :

"فقام يعقوب من بئر سبع وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونسائهم في العجلات التي أرسلها فرعون لحمله" تكوين 5/46.

"فشد يوسف مركبته وصعد لاستقبال إسرائيل أبيه إلى جاسان ولما ظهر له وقع على عنقه زمانا"تكوين 29/46.

"عندما توفي يعقوب ودعه المصريون وداعا حارا وصعد معه مركبات وفرسان فكان الجيش كثيرا جدا" تكوين 9/50.

ولا يعتقد أن المصريين القدماء(القبط) قد عرفوا المركبات والجياد فجأة في عهد أحمس الأول ولكن من المؤكد أن هذا الاستخدام سابق لعصر هذا الأمير.

وقد بدأ اهتمام القدماء المصريين بالمركبات والجياد على نطاق واسع خلال عصر الدولة الحديثة ، حيث انتشرت ورش النجارة المتخصصة في صناعة المركبات والتي نجد مناظر صناعتها على جدران مقابر كثيرين من أشراف هذا العصر.

- **عقوبة الصلب ليست عقوبة مصرية:**

عرف المصريون الخوزقة كعقوبة وطريقة للتنكيل بالأعداء منذ أقدم العصور، حيث إن أقدم مصدر تاريخي وردت فيه عقوبة الصلب أو الخوزقة على عامود أو قائم هي شريعة حمورابي[62] الذي حكم إمبراطورية بابل في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، لكن الصلب بمعناه الفعلي لم يرد عليهم ، حيث أن الصلب هو طريقة خاصة جدا للتنكيل

---

[62] حمورابي (حمورابي بالأكدية تلفظ امورابي وتعني المعتلي) حكم بابل بين القرنين السابع عشر والثامن عشر ق. م حسب التأريخ المتوسط هو من العموريين أي من جنس العماليق ، وهو سادس ملوك بابل وهو أول ملوك الإمبراطورية البابلية، ورث الحكم من ابيه سين موباليت، كانت بلاد الرافدين دويلات منقسمة تتنازع السلطة، فوحدها مكونا إمبراطورية ضمت كل العراق والمدن القريبة من بلاد الشام حتى سواحل البحر المتوسط وبلاد عيلام ومناطق أخرى ، واشتهر حمورابي بمسلته الشهيرة التي كتب عليها شريعته والتي تضم أقدم مجموعة قوانين مكتوبة في التاريخ للدرجة التي جعلت الولايات المتحدة تنقش تمثاله واسمه على جدران المحكمة الدستورية الأمريكية.

بالمجرمين أو الأعداء ، وظلت تلك الطريقة متبعة عبر عصور كثيرة إلى أن جاء عصر الرومان وطوروا الطريقة بصناعة الصليب الذي يتقاطع فيه العمود الأفقي مع العمود الرأسي بشكله الشهير ، حيث أنه قبل تلك العصور لم يكن قد اتخذ هذا الشكل واقتصر على طريقته التقليدية في جزوع الشجر والنخل والأعمدة العالية كوسيلة للتنكيل والتعذيب والتشهير بالخصوم.

وهذه العقوبة تحديدا لم يعرفها المصريون بهذا الشكل ، وإنما كان العرب والشاميون في كل مواطنهم يعرفونها جيدا ، وخاصة أهل الشام والعراق في تلك العصور القديمة.

وسوف نفصل الكلام عن تلك العقوبة وتعلقها بالهكسوس العماليق على وجه الخصوص في الفصل الرابع.

- **يوسف البدوي العبراني رسول إلى العماليق البدو:**

إن من سنن الله عز وجل في عباده أن يرسل الرسل إلى أقوامهم وبلسانهم، ولم يخرج أبدا من هذه القاعدة أي رسول أو نبي في جميع الأمم منذ خلق آدم عليه السلام، وكان الاستثناء الوحيد في هذه القاعدة هو خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم فبعثه الله للناس كافة بعد أن كان أي رسول يبعث لقومه خاصة.

وهذه الحقيقة المسلم بها لا يستطيع أحد من الناس معارضتها بأي دليل تاريخي أو شرعي وسيأتي الكلام في حينه عن تفصيل الأدلة في الفصل الخامس.

ونلاحظ أنَّ الله سبحانه ذَكَرَ في كتابه أنَّ يوسف قال لأبيه وإخوته لَمَّا دَخَلوا عليه مصرَ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ، وهذا يفسِّر لنا القواسمِ المشتركة بين يوسف وقومه وبين مَن كانوا يحكمون مصرَ في تلك الحقبة، ويجعل قولَ مؤرخي العرب بأنَّ هؤلاء الحكام كانوا مِن العرب العماليق قولاً معتمدا وموثقا.

ومِمَّا يعضد ذلك أنَّنا وجدنا المؤرخَ المصريَّ مانيتون يَذكر في قصة هؤلاء الهكسوس أنَّ هنالك مَن قال بعروبتهم! فقال فيما نَقَلَه عنه المؤرخ اليهودي يوسيفوس في القرن الأول الميلادي ما تَرجَمَتُه :"هؤلاء القوم عُرفوا بالهكسوس أي ملوك البدو، فإنَّ المقطع الأوَّل "هك" يعني باللسان المقدَّس "مَلِكاً"، وأمَّا "سوس" فتعني "بدوياً" وذلك إنَّما هو بحسب اللسان الدارج. ومِن هاتين اللفظتين جاءت كلمة الهكسوس. غير أنَّ بعضهم يقول إنَّ هؤلاء الناس كانوا عَرَباً Arabians اهـ.

ونقلا من ترجمه كتاب أغسطس ماربيت باشا[63] :

"ولا ينبغي لنا أن نغفل هنا عن ذكر أن يوسف بن يعقوب أحد أنبياء بني إسرائيل إنما جيء به إلى الديار المصرية بحسب الظن القوي والتخمين الجلي في عصر الملوك الرعاة المذكورين (الهكسوس العماليق) وأن قصة رحلته المطربة وسيرة إقامته بمصر المعجبة المقصوصة في ضمن سفر الخليقة (سفر التكوين) من التوراة إنما كان مكان واقعتها مقر مملكة أحد هؤلاء الملوك وميدان حصولها إحدى عائلات هاتيك الدول الأجنبية (الأسر الحاكمة الأجنبية يقصد الملوك الأجانب من الهكسوس العماليق) التي كانت متغلبة في ذلك العصر على بعض الأقطار المصرية فلم يكن يوسف بن يعقوب وزيرا لأحد الحكام الأصليين (المصريين القدماء من القبط) ولا فاز بالقبول لدى أحد الملوك الأهليين بل إنما تلقاه وإلى أعلى المراتب رقاه ملك من الملوك الرعاة الذي هو من أبناء سام ولد نوح مثله وكلاهما من جنس واحد أصله وفصله!".

والجملة الأخيرة من كتاب ماربيت باشا توضح هذه النقطة بجلاء وتفصل القول في هوية الهكسوس وهوية بني إسرائيل في تلك الأزمان الغابرة ، فيوسف عليه السلام كان من أبناء سام ونبي عبراني بدوي إلى العماليق الساميين العروبيين مثله ولا يمكن أبدا أن تتبدل سنة الله مع بني إسرائيل والأقوام التي جاورتهم وشاركتهم الأصل وهو ما تحقق في تلك الوقائع بلا شك.

وخلاصة القول: أن دعوة يوسف عليه السلام للفتيين الذيْن كانا معه في السجن وقد تبين لنا كيف أنهما ساقي الملك وخباز الملك أو صاحب طعامه وهما من العماليق الهكسوس تؤكد أن يوسف عليه السلام كان رسولا للعماليق وقبائل الهكسوس التي حكمت مصر وليس رسولا للمصريين لاختلاف الأصل واللغة كما أن دعوته للملك الريان / خيان الهكسوسي تدل على نفس الأمر وقد أثبتنا من قرائن كثيرة أنه الملك الذي نصّب يوسف عليه السلام عزيزا على مصر في عهده.

---

[63] قناصة أهل العصر من خلاصه تاريخ مصر أو تاريخ قدماء المصريين – تأليف أغسطس ماربيت بك-ترجمة وصياغة عبد الله ابو السعود افندي طبعه مصر سنه 1864 ، وهو أقدم كتاب مطبوع عن تاريخ مصر القديم.

- **تمثال تل الضبعة ... هل هو ليوسف عليه السلام ؟:**

بين عامي 1984 و 1988 عثرت البعثة النمساوية بقيادة عالم الآثار اليهودي مانفريد بيتاك وهي نفسها البعثة التي اكتشفت آثار أواريس عاصمة الهكسوس في تل الضبعة وقنتير بمحافظة الشرقية على أثر فريد من نوعه.

وكان هذا الأثر عبارة عن حطام تمثال يبلغ ارتفاعه حوالي المترين وهو جالس ممسكا فيما يبدو أنه عصا وهي عادة من العادات الكنعانية التي كانت شائعة في هذا الوقت للإشارة إلى الحكمة والسلطة ويبدو من ملابس التمثال أنها كانت مخططة على النمط الكنعاني وكان طراز الشعر على شكل الفطر وهو الشكل المميز لهيئة الشعر الكنعاني والعموري ، وكان من الواضح ميل البروفيسير وبعثته إلى أن هذا التمثال يخص يوسف عليه السلام ورغم أن القصر الذي تم العثور على التمثال بداخله لم يكن قصرا ملكيا إلا أنه من الواضح أنه كان يخص أحد كبار الموظفين أو الوزراء في الدولة وهو ما جعل البروفيسير ذو الخلفية التوراتية يشك في أن التمثال هو ليوسف عليه السلام.

تم العثور على هذا الأثر غير التقليدي في نواحي محافظة الشرقية بمصر وهي المكان المرجح لعاصمة الهكسوس بالدلتا، وكان كل ما تبقى من هذا التمثال هو الجزء العلوي من الرأس والعنق والكتف اليمنى ، وقد وجد الجزء الجزء السفلي من الوجه بالإضافة إلى العيون التي لابد أنها كانت مرصعة وقد اقتلعت وهو ما يتضح من الشكل التالي:



التمثال المحطم الذي عثر عليه في أطلال أواريس القديمة

وقد تم تصميم التمثال ليحمل خصائص الشخيات الملكية والذي كان شائعا عند المصريين وغيرهم ، لكن ما كان مثيرا للاهتمام هو أن هذا الشخص كان مميزا جدا بخصائص الشخصيات الآسيوية وفقا للون الجلد الممثل في التمثال بالإضافة لهيئة شعر الرأس الذي يبدو من بقايا الطلاء أنه كان يميل للأحمرار ولون بشرته الذي اتضح من بقايا الطلاء أيضا أنها تميل للأصفر الباهت وهو اللون الذي كان يستخدم عند المثالين القدماء في مصر للتمييز بين لون بشرة المصريين والأجانب عن مصر بالإضافة إلى نمط الملابس المخططة التي تشبه الملابس الكنعانية بالألوان الأسود والأحمر والأبيض.

وقد تم تقدير الفترة التي صُنع فيها التمثال وهي حوالي عام 1700 قبل الميلاد وهي نفسها الفترة التي تواجد فيها الهكسوس العماليق في مصر.

والمفاجأة أنه تم العثور على تماثيل مشابهة في نواح قريبة من موقع العثور على التمثال الأول وكانت متطابقة معه من حيث التكوين والتصوير وسمات الفن.

لكن هناك من لم يكتفي بالترجيح والتخمين بأن التمثال يخص يوسف عليه السلام، فهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير فقد تم إنتاج بعض الأعمال الفنية التالية باستخدام بعض الصور التي تم التقاطها للأثر وتم تجميع عدد من الصور من المتحف المصري بالقاهرة والمتحف البريطاني ومتحف اللوفر وتم إعادة تصميم الأشكال التي التقطت باستخدام برنامج أدوب فوتوشوب Adobe photoshop .

وقد قام المصمم الذي حاول إعادة تجسيد الشكل باستخدام تطبيقات الجرافيك بإعادة بناء الوجه عن طريق الاستعانة ببعض التماثيل التي تخص نفس الفترة والحصول على رأس تمثال مناسب لنفس وضعية التمثال المعثور عليه وأخيرا وقع اختياره على التمثال الشهير لأوسركون الأول الذي عثر عليه في جبيل ويقيم الآن في متحف اللوفر في باريس.

ثم كان من الضروري العثور على تمثال جالس نموذجي من أواخر الدولة الوسطى لتكون بمثابة جسم التمثال. وقد عثر على التمثال المطلوب يرتدي عباءة كاملة.

كانت الخطوة النهائية هي طلاء التمثال وتلوينه بألوان قياسية تحاكي نفسي الألوان التي ظهرت في صورة الآسيويين الممثلة على جدران مقابر بني حسن والتي استعرضناها من قبل على أنها نموذج ممتاز للأقوام الآسيوية التي كانت تفد إلى مصر في أيام إبراهيم

ويعقوب عليهما السلام ، وقد صنعت هذه اللوحة قبل جيل واحد يسبق عصر يوسف عليه السلام في التسلسل الزمني الصحيح.

وقد وضع صاحب التصميم كل هذه العناصر التي جمعها لتركيبها معًا ليحصل في نهاية المطاف لصورة مشابهة إلى حد بعيد لمسؤول رفيع من مسئولي الهكسوس منشأه آسيوي وقد عاش في قصر بأواريس.

والسؤال الكبير هو: هل تمثل هذه الأجزاء المكسورة التي تم العثور عليها والتي تعد واحدا من أثمن آثار عصور العهد القديم التوراتي تمثالا ليوسف عليه السلام ؟

بالطبع لا نستطيع الجزم بذلك على أنه حقيقي ، لكننا على أقل تقدير نستطيع اعتباره أحد الأدلة التي يمكن الاستئناس بها.





جزء من التمثال المعثور عليه وآخر على اليمين يحمل نفس الطراز معثور عليه في موقع آخر







النماذج التي استخدمها المصمم في إعادة هيكلة صوَرة التمثال واستكمال تفاصيله بواسطة برامج الجرافيك



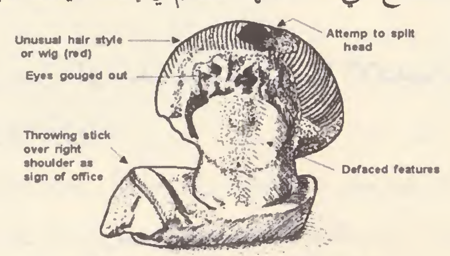
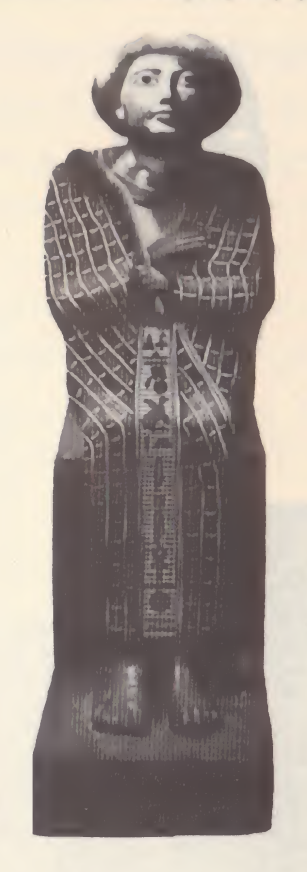


Fig. 3. Is this the damaged head of Joseph's statue?

على اليمين تبدو البقايا التي عثر عليها في موقع أواريس وعلى اليسار صورة نفس الجزء من التمثال بعد إعادة تركيبه ببرامج الجرافيك





الرسم التخيلي للتمثال باستخدام البقايا التي عثر عليها ويظهر على اليسار الرسم الكروكي للتمثال وعلى اليمين التصميم الكامل بعد إعادة رسمه وتركيبه بواسطة برامج الجرافيك

الملك خيّان / خايان الهكسوسي هو ريّان بن الوليد العمليقي في الأدبيات العربية وصاحب رؤيا المجاعة في القرآن والتوراة:

الملك خيان أو خايان الهكسوسي هو الريان بن الوليد في الأدبيات العربية !!! عبارة تلخص الكثير من البحث والتحقيق الذي استغرق وقتا طويلا لأتأكد من تلك الحقيقة قبل أن أقرها وأسطرها في هذا الكتاب لتطوف بأذهان القراء في كل مكان يذهب إليه الكتاب !!

لقد ظلت الفجوة عميقة للغاية بين كتابات المؤرخين العرب وبين اكتشافات الأثريين والمصريولوجيين والمؤرخين الغربيين فيما يختص بالهكسوس ، إلى أن أصبح الأمر ضرورة حتمية لتكثيف البحث والمقارنة بين كل المصادر التاريخية للوصول إلى حقائق ثابتة حول هذا التاريخ.

وكما تقدم في الفصل الثاني وفي هذا الفصل فقد قمنا بالتوضيح في أكثر من موضع الرواية التي أوردها الإخباريون والمؤرخون العرب عن الملك الذي عاصره يوسف عليه السلام وعاش يعقوب عليه السلام في مصر في أواخر حياته في عصر هذا الملك وهو الريان بن الوليد.

وقد كان الربط بين الريان وبين أي اسم مسجل في الآثار أمرا مستبعدا منذ فترة طويلة خاصة مع نبرة التشكيك المستمر والمتواصل عند كل المتخصصين في علوم التاريخ والإيجيبتولوجي والآثار نظرا لنظرتهم المستنكرة والرافضة لكل ما ورد بكتب التاريخ الإسلامي والعربي بسبب ما تخلل هذا التاريخ من بعض المبالغات والأقاصيص التي صيغت بطريقة أسطورية بعيدة عن الواقع في أحيان كثيرة.

لكنا رأينا أن المنهج الأسلم في هذا الأمر هو عدم رفض تلك الأخبار بالكلية بل انتقاء الأخبار المنطقية التي تتفق مع الروايات التاريخية المنضبطة والأخبار التي وردت في الكتب المقدسة لتكتمل الصورة بذلك ويتكون لدينا تصور معقول للأحداث بلا مبالغات وبلا غموض في نفس الوقت.

ومن بين كل الأخبار التي أوردها المؤرخون العرب عن العماليق كان هناك ذكر الملك :

الريان بن الوليد الذي ذكر المؤرخون أنه الملك الذي عاصره يوسف عليه السلام وبلغ ذكره من الكثرة حد التواتر عند كل هؤلاء المؤرخين.

وقد كان متخصصوا التاريخ والآثار دائما ما يقللون من شأن تلك الأخبار زاعمين أن تاريخ مصر لا يحتوي على مثل تلك الأسماء عربية الوقع والرنين ، وأن تلك الأخبار ليس لها أي نفع يجدي حين نسمع اسما كـ"الريان بن الوليد" جنبا إلى جنب مع أسماء مصرية كـ "زوسر" و "رعمسيس" و"تحتمس" ، لكن المواصلة في البحث ومقارنة كل المصادر التي تتحدث عن حدث واحد يجعل من اكتشاف الحقيقة أمرا ممكنا ، خاصة بعد ما وصلنا من أن منظرين كثيرين شرقيين وغربيين قد ذهبوا بشكل كبير إلى

أن يوسف عليه السلام لم يكن في عهد الملوك المصريين وإنما – كبقية أنبياء بني إسرائيل – قد عاصر أحد ملوك العماليق الذين عرفهم المتخصصون بالهكسوس.

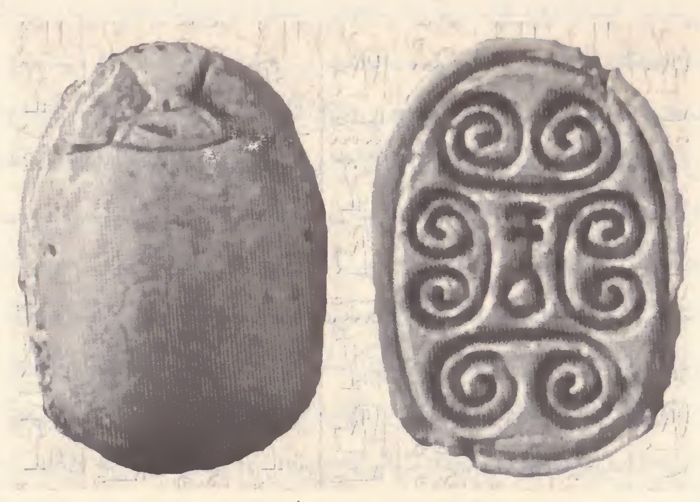
ومع المزيد من البحث فقد تبين أن الملك خيان / خايان[64] تحديدا قد برز من بين ملوك الهكسوس كإمبراطور يحكم رقعة واسعة من الأرض يدخل في نطاقها حدود مصر حتى شمال طيبة ، بل يقال في أحدث النظريات أنه سيطر على طيبة أيضا ، بالإضافة إلى بقعة كبيرة من أرض كنعان والشام والرافدين وامتدت علاقاته التجارية في بلاد النوبة وجزر البحر المتوسط كجزيرة كريت وغيرها والتجارة الواسعة التي كانت ممتدة حتى بابل بالعراق وقد تبين ذلك من آثاره في كل تلك الأماكن!



تمثال لأسد محفور عليه اسم الملك خايان / الريان بن الوليد عثر عليه في بغداد

---

[64] خالد علي نبهان – التحليل اللغوي لأسماء الهكسوس – مقال : خيان Khayan ويسميه (مانيتون) : (يانا أو جاياناس jayanas ، وهو المعروف لدى الآثار باسم : (ساو سرن رع) بقى في الحكم حوالى خمسين سنة ، كما يقول (مانيتون) المعنى الصحيح لـ (خيان) = الزعيم، الرئيس، أو كبير القوم أو القائد أو (حاكم المجندين الشباب) .



جعران من عهد الملك خيان / الريان بن الوليد

وخيان / خايان هو ملك من الأسرة الخامسة عشرة وهي الأسرة الأولى الهكسوسية في مصر القديمة وفقا لتقسيم مانيتون لفترة الهكسوس إلى أسرتين ، ويعتقد أنه تولى الحكم لمدة نحو ثلاثون عاما إلى أربعون عاما! ، في الفترة من 1620 وحتى 1580 قبل الميلاد على اختلاف في تعيين فترة الهكسوس عند مدارس كثيرة تحوم حول القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد.

ووفقا لعالم المصريات الدانماركي كيم ريهولت فإن قائمة تورين قد أرخت لهذا الملك فترة حكم وصلت إلى ثلاثين عاما وذلك من خلال العدد الكبير من القطع الأثرية التي وجدت لذلك الملك الهكسوسي.

ويقال أن يوسف عليه السلام قد دبر له الفيوم بالوحي والهندسة وكانت أرضها مغايض للماء لا تزرع من ماء النيل ولا تنتج شيئا من الغلال والكلأ فأخرج يوسف عليه السلام الماء إليها بحفر المجاري المائية الكبرى لتصل مجرى النهر الذي يأتي من قبل الفيوم إلى داخل البلدة لتتغذى بالماء الوفير وعمر القرى مكان تلك المغايض فنشأت الفيوم في ثوبها الجديد كما يقال أنه أول من استخدم المقاييس بالنيل وأنه اسهم كثيرا في مشاريع الإصلاح الزراعي بالأرض المصرية وله أماكن كثيرة مسماة بإسمه في مصر خاصة بالفيوم كبحر يوسف وهو الفرع الذي يصل من الجنوب إلى الفيوم وهو

مصدرها الأساسي من ماء النيل ، كما يوجد مركز بالفيوم أيضا يسمى الصديق يوسف وهو أحد المراكز الستة بالفيوم، وبصمات يوسف عليه السلام واضحة جدا وجلية بتلك المحافظة أكثر من غيرها وتأثر الناس والتراث الشعبي بذلك واضح أيضا ، وبافتراض صحة تلك الأخبار فإن يوسف عليه السلام بذلك قد استكمل المشاريع الزراعية الكبرى التي كان قد بدأها ملوك الأسرة الثانية عشرة مثل سنوسرت وغيره والمشتهرين بالمشاريع الزراعية وخاصة بالفيوم حين استخدموا المنخفض الكبير والمسمى اليوم ببحيرة قارون كخزان ضخم للمياة في موسم الفيضان ليستخدم ماؤه بعد ذلك بعد انحسار الفيضان في ري الأراضي بفتح القنوات من البحيرة إلى الأراضي الزراعية ، ولم يبقى إلا أن يتم وصل الفيوم بالماء بشكل متصل ليذهب الماء إلى كافة أراضيها وتصبح بذلك من أخصب الأراضي الزراعية المعروفة في مصر.

ومن الجدير بالذكر أن الوادي الواقع حاليا بمحافظة الفيوم المصرية والمعروف بإسم محمية وادي الريان قد تم تسميته أيضا بإسم الملك الريان بن الوليد ويقال أيضا أن جيش الريان كان رابضا بهذا الوادي وأن الملك كان له قصرا بتلك المنطقة وقد أقام بتلك النواحي أثناء اشتغال يوسف عليه السلام بإتمام المشاريع الزراعية ومشاريع الري بمدينة الفيوم.

يقول المقريزي : "ومَلَكَ ابنه الريان بن الوليد بن دومع: أحد العمالقة، وكان أقوى أهل الأرض في زمانه وأعظمهم ملكا"[65].

والقبط تسميه: نهراوش، وقيل: فرعون يوسف، اسمه: الريان بن الوليد بن ليث بن قاران بن عمرو بن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح ، ويقال أنه كان عظيم الخُلُق جميل الوجه عاقلا، فوعد الناس الجميل، وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين وفرّق المال فيهم.

وملك رجلا من أهل بيته يقال له: أطفين، وهو الذي يقال له: العزيز، وكان عاقلا أديبا مستعملا للعدل والعمارة، فأمر أن ينصب له سرير من فضة في قصر الملك يجلس عليه، ويخرج وجميع الكتاب والوزراء بين يديه، فكفى نهراوش ما خلف ستره، وقام بجميع أموره وخلاه للذاته، فأقام على قصفه مدّة والبلد عامر، فقصده رجل من

---

[65] المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي.

العمالقة، وسار إلى مصر في جيوشه، فخرج إليه وقاتله وهزمه، وسار خلفه، ودخل الشام وعاث هنالك، فهابته الملوك ولاطفته.

وقيل: إنه بلغ الموصل، وضرب على أهل الشام خراجا وخرج لغزو بلاد المغرب في تسعمائة ألف، ومرَّ بأرض البربر، وجلا كثيرا منهم، ومرَّ إلى البحر الأخضر، وسار إلى الجنوب، فقدم النوبة وعاد إلى مدينة منف، وكان من خبر يوسف معه ما ذكر عند ذكر الفيوم[66].

والقرآن الكريم خاطبه بالملك[67] ، ولم يذمّه ، بل بيّن كيف قرّب يوسف منه وأكرمه واستوزره .. قال تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي... ﴾ يوسف (54).. وقال تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ... ﴾ يوسف 43..

وقد قال بعضهم إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات بعد حين.

تفسير البيضاوي ونقرأ فيه (وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو إطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته).

يقول الباحث خالد علي نبهان[68] : وهذا الملك قد تم العثور على آثار له فى مناطق عدة من مصر نفسها ، فى جنوبى طيبة فى الصعيد ، وفى المناطق الممتدة إلى الشمال حتى بوبسطة شرقى الدلتا ، كما تم الكشف عن آثار باسمه فى خارج مصر ، فى مدينة كنوسوس حاضرة جزيرة كريت حيث عثر على غطاء آنية من الرخام يحمل اسمه ولقبه الكامل " الإله الطيب / الراعي الصالح ، سوسرنرع ، ابن رع ، خيان " . كما عثر على تمثال صغير لأسد من الجرانيت عليه اسمه فى مدينة بغداد . وقد أغرت هذه

---

[66] المصدر السابق.

[67] يرى بعض الناس أن ذكر الحاكم أيام يوسف بلقب "الملك" بينما ذكر الحاكم في أيام موسى بلفظ " فرعون " هو دليل على أن موسى عليه السلام كان معاصرا للقبط المصريين على خلاف الحاكم أيام يوسف عليه السلام ، وهو استدلال خاطئ من كل الاتجاهات لأن كلمة "الملك" هي عبارة عن لقب أما "فرعون" فهو اسم علم كما سيتضح في الفصل الرابع.

[68] التحليل اللغوي لأسماء الهكسوس – مقال.

الاكتشافات بعض الباحثين على الاعتقاد بأن الملك خيان كان يسيطر على مملكة مترامية الأطراف تشتمل على الشرق الأدنى كله . ولكن من الواضح أن علاقات مصر التجارية فى عصر الهكسوس ، وفى عهد هذا الملك بالذات ، عادت إلى نشاطها ، ووصلت البضائع المصرية ، وهدايا الملوك إلى بقع كثيرة من الدول المجاورة ، ومنها كريت ، وآسية الصغرى ، وسورية ، وبلاد الرافدين . كما تشير هذه الاكتشافات الأثرية ، ويؤكد لقبه الحورى الذى كان يسبق اسمه على عادة الفراعنة المصريين وهو (موحِّد الأراضى) إلى أن مصر بكاملها كانت تخضع بالفعل لسيادته ، وأنه كان من أهم ملوك الهكسوس . ويبدو أن علاقاته فى الجنوب مع بلاد النوبة لم تكن تتصف بالحيوية والنشاط اللذين اتصفت بهما مع فلسطين وبلاد الشرق الأدنى الأخرى ، كما رأينا ، ويبدو أن النوبة السفلى شهدت فى عهده قيام مملكة نوبية تدعى كوش امتدت أراضيها بين إلفانتين (قرب أسوان) إلى سمنه ، فعطل قيامها اتصال مملكة كرما الإفريقية بالهكسوس وحال دون الاتصالات التجارية النشطة[69].

يقول المقريزي : " وهو من أعظم وأفضل وأشهر الفراعنة على الإطلاق ، وإنّ حكمه لمصر كان في زمن النبيّ يوسف عليه السلام ، وكان عظيم الخُلُق ، جميل الوجه ، عاقلًا، ومن أقوى أهل الأرض في زمانه وأعظمهم مُلكاً ، وكانت تلك البلاد قد إختلّ أمرها لّما زالت "دولة القبط الأولى" عنها وملكها " العمالقة" (أي العرب البائدة).. وكان خراجها في زمن فرعون الاوّل تسعين الف الف دينار.. ولكن في ايام الريّان بن الوليد ، ونائبه يوسف عليه السلام ، وصل خراجها الى أكثر من مائة الف الف دينار .. أي وصل الى قمّة الذروة بالرغم من سنوات الجدب التي نزلت بهم"[70].

وهذا معناه أن الدولة المصرية في عهد إمبراطورية الهكسوس قد وصلت لقمة مجدها وازدهارها وزادت ثروة البلاد زيادة هائلة بسبب حسن إدارة مواردها وتحويل الأزمة إلى فرصة عظيمة للازدهار ، واللافت للإنتباه أنه في عهد الملك الريّان ونائبه النبي يوسف أوجدا نظاما عادلا وإنسانيّا وحضاريّا ...

وذكر الأسدي: بأنّ الجبايات في ذلك الزمن كانت تُجبَى سنويًّا ، و كانت تقوم على العدل والإنصاف والرسوم الجارية من غير تأوّل ولا إضطّهاد ، ولا

---

[69] حالد علي نبهان – التحليل اللغوي لأسماء الهكسوس

[70] المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار

مشاحنة وكان يُصرف للأرامل والأيتام فرضًا معيّنا لهم من بيت المال حتى وإن كانوا غير محتاجين اليه ، وذلك لكي لا تخلو اماهم من برّ يصل اليهم ، كما كان يُصرف الى الكهنة وأئمّتهم وسائر بيوت صلواتهم".

وكان يُنادى في الناس:برئت الذمّة من رجل كشف وجهه لفاقة ، فليحضر (إلينا) فلا يُردّ عند ذلك أحد ، والأُمناء جلوس (بإنتظار قدومهم) من كتاب "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار"[71].

وهذا الملك تحديدا هو الذي رفع راية دولة الهكسوس العماليق وجعل مجدها وشهرتها تبلغ الآفاق بسبب استعانته بيوسف عليه السلام وانصياعه للوحي الذي منه استقى يوسف علمه وقدرته على إدارة الأزمة.

وقد وجدت له آثار في بابل وكريت وجزر البحر وقد كان معروفا حتى الأناضول شمالا.

وذكر محمد بن إسحاق ان صاحب مصر الملك الريان قد أسلم أي آمن بالله تعالى على يدي يوسف عليه السلام [72].

وجاء في تاريخ أبي الفداء: بأنه لما مات العزيز الذي كان اشترى يوسف جعل فرعون يوسف موضعه على خزائنه كلها ، وجعل القضاء اليه ، وحكمه نافذاً ، ودعا يوسف الملك الريّان الى الايمان ، فآمن به ، وبقي كذلك الى ان مات.[73]

وذكر ابن الأثير بأن الملك "الريّان بن الوليد" لم يمت حتى آمن بدين يوسف، ومات ويوسف حيّ.[74]

وذكر ابن كثير بأنّه: لما وُلّي يوسف عمل مصر دعا الملك الريّان الى الايمان فآمن .. ولاحقا وفي زمن موسى عليه السلام آمنت أيضا حفيدته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريّان بن الوليد.

[71] المصدر السابق.

[72] تاريخ بن اسحق.

[73] المختصر في أخبار البشر.

[74] الكامل في التاريخ.

و يذكر الطبرى [قال بعض اهل الكتاب : فلما تمت ليوسف ثلاثون سنه استوزة فرعون ملك مصر .. وان هذا الملك امن.] [75].

و يذكر الثعلبى [وكان الملك يومئذ بمصر و نواحيها "الريان" .. ويروى ان هذا الملك ما مات حتى امن بيوسف و تبعه على دينه] [76].

و يذكر ابن كثير [و يذكر محمد بن اسحق ان صاحب مصر _الملك_ أسلم على يد يوسف علية السلام .. والله اعلم] [77].

ويقال أن الريان قد اسلم على يد يعقوب لما دخل مصر [78].

وقد ورد بالتوراة أن يعقوب قد بارك هذا الملك وأهل بيته وهذا يعني أن الله سيبارك لهذا الملك في حكمه وستمتد هذه البركة سنوات طوالا وسيحفظ الله ملكه وهو ماحدث بالفعل فقد ورد في روايات المؤرخين القدماء أن ذرية هذا الملك قد حكمت مصر أجيالا عديدة.[79]

تقول التوراة :

"ثم أدخل يوسف يعقوب أباه وأوقفه أمام فرعون وبارك يعقوب فرعون" سفر التكوين 7/4.

وقد عثر للملك خيان / الريان على جعارين عدة وأختام كثيرة باسمه في جهات مختلفة وكان يحمل الألقاب التالية :

- حاكم البلاد الأجنبية "خايان"
- الإله الطيب / الراعي الصالح (الراعي الصالح) : خيان
- الإله الطيب / الراعي الصالح " سوسرن رع "
- ابن الشمس " خايان "
- حاكم المجندين " خيان " ، وواضح أنها تعني أنه حاكم للمجندين من كل تحالف القبائل أي قائد الحلف العسكري وجنود المرتزقة.

---

[75] تاريخ الطبرى / 1/ 363.

[76] العرائس /70 .

[77] قصص الانبياء / 1/ 336.

[78] بدائع الزهور.

[79] دكتور محمد راشد حماد – تاريخ ملوك مصر القديمة – الناشر دار الكتاب العربي.

- اللقب الحوري : حور ضام الأرضين (وهي لا تُطلق إلا على الملوك الذين حكموا القطرين الشمالي والجنوبي بمصر).
- "خيان" محبوب قرينه " كا "

وبالإضافة إلى كل تلك الألقاب نجد أن أهم ظاهرة في حكمه هي أنه قد تواجد له آثار خارج القطر المصري في جهات نائية بعيدة جدا ، فقد وجدت له آثار وجعارين في سوريا وفلسطين من جهة وتماثيل وأختام في بغداد وكريت من جهة أخرى.

وقد رجِّح بعض العلماء على أن وجود آثاره في تلك النواحي يدل على سيطرة الهكسوس على ممالك العالم القديم في الشام والرافدين أيام عظمة مجدهم.

لكن رجِّح البعض الآخر أن ذلك الانتشار لهذا الملك كان بفعل التجارة ، ونحن نضيف على ذلك أن آثاره وجدت في كل تلك الأقطار أثناء وقوع المجاعة وقدوم الوفود إلى مصر من كل أنحاء الشرق القديم ومن الطبيعي أن يحمل الوافدون آثاره إلى خارج مصر أثناء العودة لبلادهم.

وهكذا نرى كيف أن الملك الريان المسمى بالآثار "خيان/خايان" كان ملكا عظيما وصاحب سلطان عظيم وامبراطورية واسعة وقد قرب إليه يوسف عليه السلام وجعله العزيز ونصبه نائبا له وفي عهده ازدهرت امبراطورية الهكسوس العماليق واتسعت اتساعا شاسعا وفي عهده وقعت المجاعة العظيمة لمدة سبع سنوات لكنها تحولت إلى نعمة كبرى حيث كانت سببا في زيادة ثراء مملكته الشاسعة، وقد آمن بدعوة يوسف عليه السلام ومات على ذلك.

المجاعة :

يبدو أن المجاعة قد ضربت بأطنابها في ربوع الهلال الخصيب بأكمله منذ بداية الألفية الثانية قبل الميلاد وحتى منتصفها ، ومن الواضح أن ذلك الجوع كان قد أصبح شيئا دوريا يحدث على فترات في تلك الأزمنة ، فنرى ذلك قد تم ذكره في عهد إبراهيم عليه السلام ، ويبدو من آيات القرآن الكريم وحتى أسفار العهد القديم أن عوامل كثيرة في ذلك الوقت دفعت شعوب الشام للتروح إلى مصر وعلى رأس تلك الأسباب المجاعة ، مما دفعهم للانحدار إلى مصر طلبا للكلأ والمرعى والطعام الذي كان شحيحا في زمن المجاعة.

فنجد في سفر التكوين :

وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لأَنَّ الْجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا. تك 11-10



مسار رحلة إبراهيم من الرافدين إلى الشام ودخوله إلى مصر وفقا للرواية التوراتية – موقع الأنبا تكلا

ومعنى ذلك أن المجاعة قد ضربت أرض كنعان على أقل تقدير فضلا عن باقي بلاد الهلال الخصيب والشام ومن ثم الجزيرة العربية ذات البيئة الصحراوية القاحلة في معظم مناطقها ، ومن الواضح أيضا أن أرض سوريا قد أصابتها المجاعة مثل كنعان وهو السبب الذي يدفع إبراهيم عليه السلام وغيره للجوء إلى مصر بدلا من اللجوء لسوريا مثلا فمن الواضح أن مصر ظلت في تلك العصور هي الملجأ الوحيد لقبائل العماليق الكنعانية والعمورية التي كانت تعيش في الشام وغيرها من الشعوب الأخرى ، ومن الواضح أيضا أن الجفاف قد ضرب كل منطقة الشرق الأدنى بما فيها مصر والهلال الخصيب وهذا ثابت جيولوجيا وتاريخيا ، لكن مصر كانت هي الدولة الوحيدة وقتها

التي كانت قادرة على إدارة هذا النوع من الأزمات حتى من قبل مجيء يوسف عليه السلام لذلك أطلق الله عليها اسم "خزائن الأرض" دون غيرها من البلاد! .

وتؤكد التوراة مجددا تكرار المجاعة مرة أخرى في عهد إسحق عليه السلام غير المرة التي وقعت في عهد إبراهيم عليه السلام : "وكان في الأرض جوع غير الذي كان في أيام إبراهيم" تكوين.

حيث وقعت مجاعة كبيرة في أرض الشام لكن إسحق لم يترل إلى مصر كأبيه إبراهيم وفقا للتوراة بل تغرب في جرار كطلب الرب.

ثم يأتي زمن يعقوب عليه السلام وفي عهده تتكرر المجاعة والجفاف مرة أخرى فتقول التوراة :

" وابتدأت سبع سني الجوع تاتي كما قال يوسف فكان جوع في جميع البلدان وأما جميع ارض مصر فكان فيها خبز"[80] .

لذلك كان التروح إلى مصر من قبل كل البلاد المحيطة أمرا طبيعيا بعدما اشتهر أمر الوفرة الكبيرة من الغذاء التي كانت متاحة في أرض مصر :

"وجاءت كل الأرض إلى مصر ليوسف لتشتري قمحًا لأن الجوع كان شديدًا في كل الأرض"[81] .

ومعنى ذلك أن أرض مصر كانت لا تمر بنفس الظروف التي يمر بها سائر العالم القديم ، لكن العهد القديم يطالعنا أيضا أن المجاعة مالبثت وأن أتت على أرض مصر :

" وَلَمَّا جَاعَتْ جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ وَصَرَخَ الشَّعْبُ إِلَى فِرْعَوْنَ لأَجْلِ الْخُبْزِ، قَالَ فِرْعَوْنُ لِكُلِّ الْمِصْرِيِّينَ: «اذْهَبُوا إِلَى يُوسُفَ، وَالَّذِي يَقُولُ لَكُمُ افْعَلُوا ، وَكَانَ الْجُوعُ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ، وَفَتَحَ يُوسُفُ جَمِيعَ مَا فِيهِ طَعَامٌ وَبَاعَ لِلْمِصْرِيِّينَ. وَاشْتَدَّ الْجُوعُ فِي أَرْضِ مِصْرَ".

لكن بسبب استغلال يوسف عليه السلام الإمكانيات الواسعة المتوافرة في مصر كالصوامع والمخازن الضخمة في تخزين الحبوب والغلال ومواجهة الجفاف واستغلال الفيضان وهندسة الصوامع والمخازن الكبيرة فإن مصر عبرت الأزمة وأمدت كل من

---

[80] سفر التكوين 41-54.

[81] سفر التكوين 41: 57.

وفد عليها من الشعوب بالحبوب والغلال والغذاء مقابل البضائع وهو ما سيأتي ذكره في الفقرات التالية من هذا الفصل عند ذكر مصر كخزائن للأرض وسلة طعام العالم القديم.

وتستمر القصة المعروفة حين أرسل يعقوب عليه السلام أبناءه إلى مصر للحصول على الغذاء :

فَلَمَّا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ، قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: "لِمَاذَا تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ؟" وَقَالَ "إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ. انْزِلُوا إِلَى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هُنَاكَ لِنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ"، فَنَزَلَ عَشَرَةٌ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِيَشْتَرُوا قَمْحًا مِنْ مِصْرَ[82].

وكانت مصر في ذلك تحت حكم الهكسوس العماليق وكان ملك مصر من الهكسوس وهو الريان بن الوليد أو الملك خايان ، وكان الشعب المصري تحت حكم الهكسوس مغلوبا على أمره فاتبع سياسه ترضي الحاكم والمحكوم خاصة أن عوام المصريين كانوا أمام طائفة غريبة عنهم من البشر لم يعرفوا صفاتها و لم يتعاملوا معهم من قبل فضلا عن وجود فترة طويلة قادمة وهي فترة المجاعة وتقدر بسبع سنوات بالإضافة لسبع سنوات قبلها من العمل الشاق للتحضير لتلك المجاعة ، والقيام بنشاطات مضنية من زراعة مكثفة إلى تخزين للغلال ليتم اسهلاك كل ما تم تخزينه خلال سنوات العمل عندما تحل سنوات المجاعة.

أما باقي الشعوب في منطقة الشرق الأدنى التي وقعت بها المجاعة فلم تقم أي دولة من دولها بالتجهز لتلك المجاعة لعدم توافر المعرفة والعلم بقدوم المجاعة ولا بكيفية مواجهتها ولا بالإمكانات التي تساعد في مواجهة لذلك كانت مصر هي مصدر الغذاء الوحيد لمنطقة الشرق الأدنى في ذلك الوقت لذلك أسماها يوسف عليه السلام في ذلك الوقت "خزائن الأرض".

قام النبي يوسف بتخزين القمح والغلال خلال سنوات الوَفره وكان هناك مميزات للفلاحين والمزارعين الذين قدموا القمح في سنوات الوفرة والرخاء من أجل التخزين في مخازن الغلال الخاصة بالدولة ، فهؤلاء يستطيعون الحصول على القمح في زمن المجاعة

[82] سفر التكوين : 42- 1:3 .

وتتكفل الدولة بصرف مستحقات كل منهم ، أما الذين لم يقوموا بتخزين القمح مقدما فإنهم مجبرون على شراءه في زمن المجاعة أو بمبادلته بالبضائع الثمينة وبسعر الحبوب في زمن المجاعة وهو سعر مضاعف عن الأسعار العادية !

وعندما حلت المجاعة كانت الحصة المعتادة هي حمل بعير من القمح لكل إنسان أو مواطن من المواطنين الذين يعيشون في مصر تكفيه لفترة من الزمن قد تكون شهرية أو سنوية وما إلى ذلك من طرق لتنظيم صرف الغذاء خلال المجاعة.

وأما لأجانب والوافدون من خارج الدولة المصرية فكان يصرف لهم لهم حمل بعير بمقابل مادي ولم يكن يعطي أي عطاء من غير مقابل في وقت الأزمات ، وشاع في وقت المجاعة شراء ممتلكات الاغنياء في مقابل الغذاء ، وهي نظرية اقتصادية بارعة وضعها يوسف عليه السلام موضع التنفيذ كسياسة للتعامل مع الأزمة ، فحصل من الأغنياء في الدولة المصرية على ثرواتهم من الذهب والفضة والمقتنيات الثمينة وجواريهم والكثير من الأراضي وكل الممتلكات الصالحة في التبادل لكن كان أهم الثروات التي كانت تهم الحكام الهكسوس في ذلك الوقت هما الأرض والمواشي.

مصر .. خزائن الأرض في العالم القديم:

قال تعالى :

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ يوسف



صورة من قبر في طيبة ترجع إلي 1420 قبل الميلاد وتظهر عملية حصاد ومعالجة الحبوب ؛ في الأعلى نري غربلة الحبوب برميها في الهواء بواسطة مجارف خشبية ؛ في الأسفل تقاس كمية الحبوب بالمكاييل قبل عملية التخزين.

إن ما تحمله هذه الكلمات البسيطة الواردة في سورة يوسف من دلالات وأمارات ظاهرة لتصف بدقة حال وشؤون ذاك الزمان ، وحينما نسترجع ما حدث بدْءاً من رؤيا الملك التي تنبأت بقدوم المجاعة:

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) ﴾ يوسف/43-49

وقال تعالى :

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ /54-55

ونرى من ذلك أن تأويل الرؤيا هو ما كان سببا مباشرا لخروج يوسف عليه السلام من السجن .

يقول ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى إخبارا عن الملك حين تحقق براءة يوسف عليه السلام ونزاهة عرضه مما نسب إليه قال «ائتوني به أستخلصه لنفسي» أي أجعله من خاصتي وأهل مشورتي «فلما كلمه» أي خاطبه الملك وعرفه ورأى فضله وبراعته وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكمال قال له الملك «إنك اليوم لدينا مكين أمين» أي إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة فقال يوسف عليه السلام «اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم» ، ومن تفسير يوسف علية السلام لرؤيا الملك المتعلقة بسنوات الجدب السبعة ومن القرآن في قوله «قال تزرعون» نفهم أن مجتمع مصر القديم كان مجتمعاً زراعياً وأن السنوات السبع العجاف ستلحق الضرر الكبير بالمحاصيل والغلال، وفي رد يوسف عليه السلام : «اجعلني على خزائن الأرض» ، في هذا الطلب إشارة واضحة منه لتوليته علي خزائن موجودة وهذا يشير إلي حقيقة تاريخية تطرقت لها علوم الآثار والتاريخ الحديث أن النشاط التخزيني وهندسة الصوامع وحفظ الغلال في مصر كان علما ممنهجا عند المصريين القدماء وكان معروفا من أقدم العصور بكل ما يشتمله ذلك من تخزين وإحصاء وتصريف المحاصيل الزراعية وأسرار التخزين والحفظ لتلك الحبوب وإنشاء للصوامع والمخازن النموذجية وخلاف ذلك من نشاطات كثيرة تلحق بعملية التخزين والحفظ.

ويزيد القرطبي في تفسيره للآية من سورة يوسف قوله تعالى: «قال اجعلني على خزائن الأرض» قال سعيد بن منصور: سمعت مالك بن أنس يقول: مصر خزانة الأرض؛ أما سمعت إلى قوله: «اجعلني على خزائن الأرض» أي على حِفظها.

«إني حفيظ عليم» : (أي حفيظ على ما وليت وعليم بأمره) وفي التفسير أيضا: إني حاسب كاتب؛ وأنه أول من كتب في القراطيس. وقيل: «حفيظ» لتقدير الأقوات «عليم» بسني المجاعات.

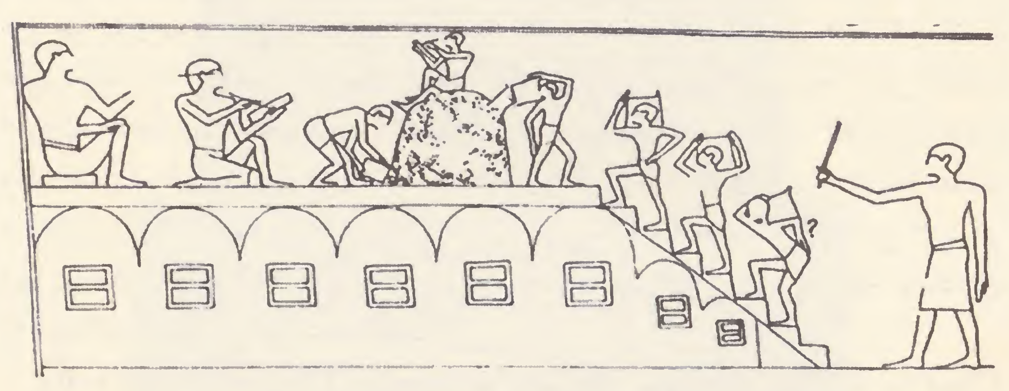
وفي المقارنة بين ما يخبرنا به القرآن الكريم وما يتحدث عنه علم الآثار والتاريخ عن هذه الحضارة والتي تمتلك أطول تاريخ مستمر لدولة في العالم القديم، نجد التطابق التام بين ما أخبر عنه القرآن وما أكدته الكشوف الحديثة ذلك من أن هندسة الصوامع وعلوم تخزين وحفظ الحبوب كانت معروفة في مصر منذ أقدم عصور الزراعة والتي كان يمارسها المصري القديم جنبا إلى جنب كنظام لصيق للنظام الزراعي.

يقول البروفيسور جولز جانيك Jules Janick بأن من عاشوا في منطقة وادي النيل ما بين 3000 و 4000 قبل الميلاد قد قاموا بتأسيس سلطة حاكمة أنشأت أولي أشكال الأهرامات وأسست كذلك تقنية زراعية متقدمة، ويقول بأن نهر النيل فرض زراعة مصر القديمة عبر الامتدادات الطويلة للأراضي الزراعية المحاطة بالجبال العمودية والمغمورة بإيقاع ثابت من الفيضانات الموسمية، يقول المؤرخ اليوناني هيرودت (425-484) واصفاً مصر علي أنها (مساحة قليلة الأمطار لكنها خصبة جداً ، مصر هبة النيل)، ويؤكد البروفيسور جولز مرة أخري بأن دراسة التاريخ المصري يؤكد علي جذور عريقة في مجال الزراعة، والعالم الحديث مدين لهذه الحضارة العظيمة والتي ساهمت في العديد من إبداعات الزراعة الأساسية.[7]

ولا بد أن عملية الزراعة قد اقترنت بتقنيات إدارية وعمليات تخزين متطورة شديدة التنظيم وهنا نعود للبروفيسور جولز جانيك والذي يقول بأن عمليات تخزين الحبوب والمحاصيل في وقت لاحق من الحضارة المصرية قد أضحت وظيفة رسمية في دولة مصر القديمة حيث شُيِّدت صوامع ومخازن الحبوب العامة، ففي معبد أبو سمبل الذي بناه الملك رمسيس الثاني من الأسرة الثامنة عشرة نحتت فيه الكلمات الآتية: (أنا الإله بتاح أعطي لرمسيس الثاني محاصيل متواصلة ليطعم الأرضين طوال الوقت وحزم هذا الحصاد كرمل الشاطئ ومخازنه تقترب من السماء وأكوام حبوبه كالجبال) .



صورة منحوتة من قبر يقع في بني حسن وتظهر عملية خزن الحصاد ومراقبة الجودة، وكاتب ملاحظات وقائد مع سوط.



صورة من قبر في طيبة تظهر عمال يحملون غلال من الحبوب بينما يسجل الكتبة ويحصون الكمية.



صورة من قبر في بني حسن، تظهر كاتب يفحص ويحصي مخزون من العنب

من جانب آخر، فقد أظهر فريق من علماء الآثار برئاسة نادين مولر Nadine Moeller، أستاذة مساعدة بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو، عن كشف أثري في سنة 2008، وهو عبارة عن تجمع لسبع صوامع كبري لخزن الغلال ومنشأة إدارية ضخمة كانت تستخدم في تسجيل بيانات الحبوب الواردة والمصروفة، وذلك

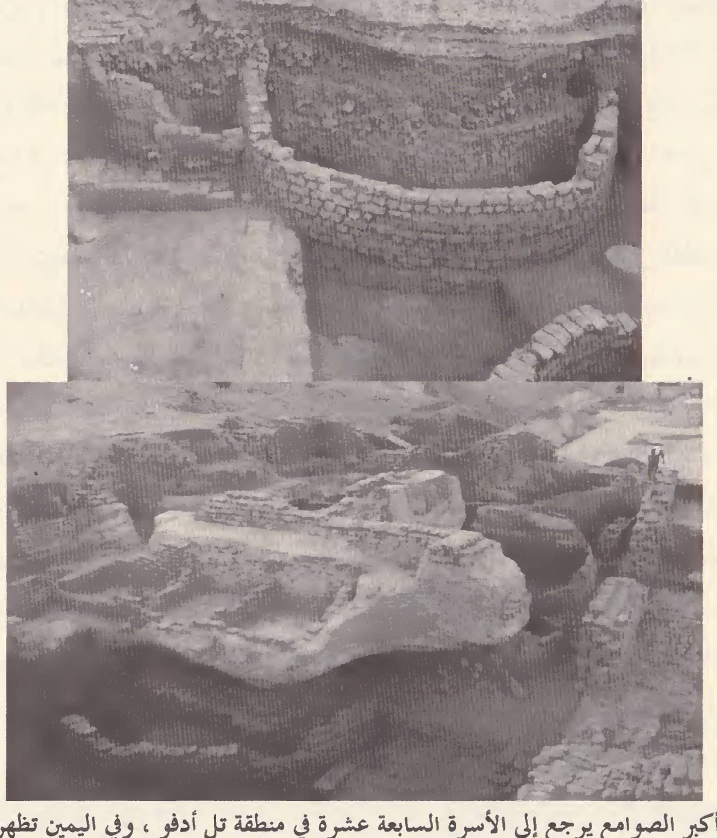
أثناء أعمال التنقيب التي أجريت في تل أدفوا بمحافظة أسوان في صعيد مصر،[83] وهذه المنشأة المكتشفة تتألف من مخزن للحبوب يتكون من سبع صوامع كبري لتخزين الغلال والصوامع ذات شكل دائري مبني من الطابوق ويصل قطر الصومعة ما بين 5.5 و 6.5 متر، ويقع مبني الإدارة بصوامعه السبعة وسط المجتمع الحضري لمنطقة الكشف، ويشير حجم الصوامع المكتشفة إلي مدي ازدهار هذا المركز الحضري ، وقد شيدت صوامع الغلال هذه على جانبي رواق رحب ذي أعمدة، بينما امتدت المكاتب الإدارية في الجزء الأمامي من المنشآت .هذا وقد عثر فريق التنقيب أيضا على السجلات المدونة عن حركة الحبوب بالإيراد والصرف، إذ كانت السجلات تختم في نهاية كل عملية على حدة، ولكن الجديد في هذا الموقع يتمثل في العثور على قطع صغيرة من الفخار المحروق استخدمت كأجزاء من السجلات التي دونت عليها بيانات الصادر والوارد وقد أشارت البروفيسور مولر إلى أن عملية تخزين الحبوب في مصر القديمة كانت ترتبط بالزراعة الكثيفة وتوجيه الاستفادة إلى الاحتفاظ بالفائض للفترات التي لا يتوافر فيها ما يكفي من الحبوب، وفضلا عن ذلك بنيت صوامع الغلال لمواجهة الزيادة في الاستهلاك الناجمة عن نمو عدد السكان.

ويقدم هذا الكشف الأثري معلومات وفهم متواضع حول تطور المدن لحضارة اشتهرت بآثارها المعمارية، يقول جيل ستين Gil Stein مدير معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو معلقاً علي أهمية هذا الكشف، ما يحمله هذا الكشف الأثري كون أن النظرة التقليدية القديمة للحضارة المصرية كانت متحيزة حيث أنها ركزت جهودها في عمليات التنقيب علي المعابد والمقابر فالتجمعات التي تشتمل علي بقايا

---

83 عن بحث للآثارى النخيلى محمود رفاعى ــ مدير عام التوثيق الأثرى بأسوان : تبين أنه لا توجد علاقة نهائيا بين سور الكاب الذى يحيط بمدينة الكاب وبين مخازن سيدنا يوسف عليه السلام، وأن الاعتقاد فى أن هذا المكان هو مخازن يوسف التي أدار بها أزمة المجاعة هو اعتقاد خاطيء وليس له سند تاريخى أو أثرى، لأن مدينة الكاب بآثارها أسبق من عهد يوسف بآلاف السنين واستمرت بعده كذلك بآلاف السنين، وأنها كانت مدينة متكاملة ولا تنحصر على المخازن فقط ، بالإضافة إلى كونها تقع في الحدود التي كان يسيطر عليها ملوك طيبة في ذلك الوقت ولا علاقة لمن يحكم الأقاليم الشمالية بمدينة الكاب الواقعة في إقليم طيبة الجنوبي ، كذلك فإن الشواهد تشير إلى أن سيدنا يوسف عاش فى المناطق الشمالية وله مشاريع زراعية في الفيوم والشرقية فى عصر الهكسوس ولم يعش فى الجنوب وبالتالى فإن كانت له مخازن فهى فى الشمال.

المدن المصرية قد دفنت تحت المدن الحديثة أو تهدمت بالأنشطة الزراعية ولذا فإن الموقع المكتشف في تل أدفوا يعتبر واحداً من الآثار القليلة جداً سهلة الوصول بغية تفعيل الدراسات العلمية.



أكبر الصوامع يرجع إلي الأسرة السابعة عشرة في منطقة تل أدفو ، وفي اليمين تظهر إحدى مناطق تنقيب في تل أدفو توضح طبقات متراكبة لمستوطنة مع مجموعة من صوامع الخزن ترجع للأسرة السابعة عشرة 1620–1650 ق.م.

وكخلاصة فإن القران الكريم في قَصصه وخبرة كان يُنبئ ويشير لأحداث وقعت في الغيب الماضي لم يعرفها أو حتى يجزم بها أحد، لتطاول العهود واضطراب الأحوال والأدوار، وفي تفسير سيدنا يوسف علية السلام لرؤيا ملك مصر حين قال في كتاب

الله : "قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ» إشارة واضحة إلي أن مجتمع تلك الفترة اشتغل وأمتهن الزراعة ومن رده كذلك علي ملك مصر حين قال: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف/:55] نفهم وبوضوح مرة أخري وجود مخازن للحبوب والغلال الزراعية طلب يوسف عليه السلام توليته عليها، لأخذ ما يلزم من تدابير إزاء المجاعة، إذاً فقد أخبرتنا القصة القرآنية علاوة علي سيرة النبي يوسف علية السلام وبكلمات معدودة بحالة مجتمع في حقبة داخل حضارة استمرت لفترة زمنية طويلة، فكل من الزراعة وأسلوب الخزن المنظم كان سائداً في حضارة مصر وكما رأينا، وخبر القصة معجز في أبلاغة عن غيب ماضي لا يتعارض مع الحقائق التاريخية البعيدة عن الظنون والمدعومة بالكشف العلمي الصريح، ولا يسعنا هنا إلا أن نسلم ونشهد بأنه ولا ريب وحي السماء من تكفل بإخراج كلمات هذا النبي الصالح وأحداث القصة من الزمن الغابر هناك إلي الحاضر هنا[84].

ونلاحظ أن الله عز وجل قد ذكر لفظة " خزائن الأرض" إشارة إلى خزائن مصر ، ولنا هنا وقفات هامة نوجزها فيما يلي:

1. كانت الحضارة منذ فجر العصور القديمة مرتكزة في الشرق القديم وخاصة في مصر ، حيث لم يشهد التاريخ بأسره حضارة بازغة في كل المجالات مثلما شهد حضارة مصر القديمة ، التي كانت وسوف تظل المنبع الذي نشر الحضارة في البشرية جمعاء ، ولنا أن نتيقن بأن الحضارة في العالم القديم لم يكن لها وجود على الإطلاق سوى في الشرق ، فلم يكن للغرب وقتها وجود يذكر ، ففي الوقت الذي بنى فيه المصري القديم أهرامه كانت الشعوب في أوروبا ما زالت تعيش في الكهوف ، ومن ثم كانت مصر سيدة العالم القديم بلا منازع لأنها كانت أكثر حضارات الشرق تقدما وازدهارا.
2. كانت مصر بحكم موقعها وطبيعتها الجغرافية اللتان لم يوجدا إلا فيها ، مآل كل خيرات قارة أفريقيا الذاخرة بالخيرات الغير مستغلة حتى يومنا هذا ، فكانت مياه نهر النيل الوفيرة تصب بأكملها في مصر ، ولا نعرف مكانا على

[84] الحسين محمد الجربة – جامعة عمر المختار – ليبيا.

وجه الأرض يصلح لتسميته بهذا الاسم إلا "مصر وادي النيل" البلد الزراعي الأول في العالم القديم ، ومجمع ومصب كل فروع النيل ، ومحط المياه الآتية من أعمق أعماق القارة الأفريقية ، وكان كل الطمي الآتي من أعماق أفريقيا يستقر في أراضيها الزراعية ، فتمثلت الخصوبة على أحسن ما يكون في أرض مصر ، فبرع أهلها في الزراعة الفائقة التي اعتمدت على نظام الفيضان الموسمي ، والذي كان يحافظ – بل يزيد – من خصوبة تربتها عاما بعد عام ، فكانت المحاصيل وفيرة ، والغلال أكثر من أن تحصَى أو تُعَدّ ، فاستحقت مصر بذلك أن تكون خزائن الأرض بحق.

3. عرف المصريون إلى جانب علمهم بالزراعة وبراعتهم فيها وسبقهم لكل ممالك العالم القديم في هذا المضمار ، عرفوا أساليب ووسائل لم يفطن إليها غيرهم وذلك لنفس الأسباب المتقدمة ، فعرفوا نظم تخزين الحبوب والغلال ، وأقاموا الصوامع ، والمخازن والمستودعات المعدة خصيصا لهذا الغرض ، وهو الأمر الذي قلما كان يفكر فيه غيرهم من الشعوب ، الذين ما كانوا ينتجون سوى ما كان يكفي قوتهم بالكاد ، فلم يكن لدى هؤلاء الشعوب أي داع لإقامة مثل تلك الصوامع والمستودعات بهذه الأحجام والسعات ، ومن ثم لا نجد بطول التاريخ من كان يعرف تخزين الغلال والحبوب مثل المصريين القدماء ، إلى جانب غزارة إنتاجها حينذاك من القمح والشعير والغلال التي تنتج من محاصيل أراضيها الخصبة ، وما كان يجبَى إليها من الدول المجاورة كجزية مفروضة في أيام الرخاء ، وقد أجمع المفسرون على ذلك.



لوحة حجرية من مصر القديمة تمثل موسم الحصاد ودرس الحبوب وتخزينها

ونصوص المصريين تشهد بهذا ، وما دون في البرديات وعلى الجداريات المختلفة ، وحتى ما تخلف من صور مرسومة تفيد باعتناء المصريين الشديد وتنظيمهم الفائق في تخزين الحبوب والغلال في الصوامع والمخازن ، وبراعتهم في ذلك ونجاحهم فيه على مر ألاف السنين ومنذ قبيل عهد الدولة القديمة في الوقت الذي لم يعرف فيه أحد شعوب العالم القديم مثل ذلك النظام والدراية الكاملة بتخزين الغلال وحفظها لفترات طويلة.

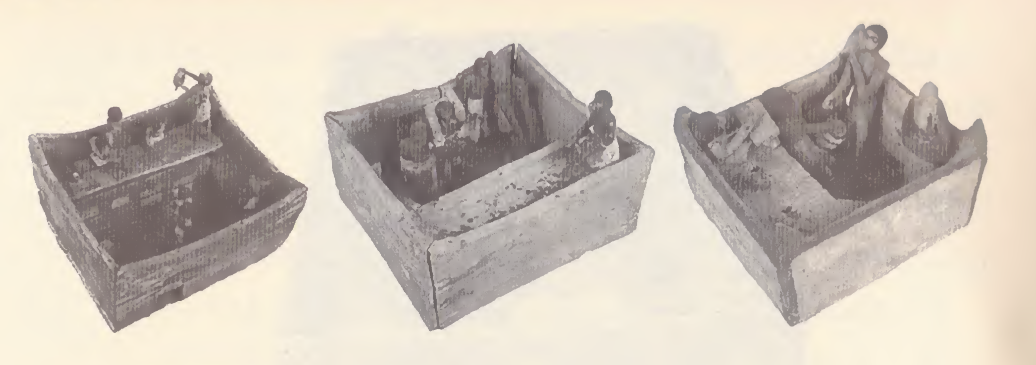
وكان للمصريين القدماء عيدا سنويا يسمى عيد الحصاد ، والنقش الجداري التالي يتحدث عن الحياة اليومية.

وكانت تعتبر مواسم البذر والحصاد مواسم وأعياد عظيمة ويشارك الملك فيها . ويتألف الرسم المرفق من صفوف أربعة، أعلاها يصور الحصاد والدراس، كما يصور الصف الثاني حصر الغلال وتصنيفها، ويسجلها الكتاب والعمال أمام المخازن.

واقتصر الصف الثالث على مناظر إعداد الأواني وتعبئتها بالجعة. وثمة عمال آخرون يعدون الخبز، من بينهم امرأة تنقي الغلال، وأخرى تطحنها.

ويصور الرابع منظر صنع الجرار. كما نرى منظرا نادرا للنحاتين يعملون، وقد أنجزوا نحت تمثالين وصقلهما. وغيرهم من الصاغة منهمكون في وزن المعدن، وصهره وطرقه.

كما يسترعى النظر ما نجد هنا من شرح للمناظر، وحوار العمال، مسجلاً بالهيروغليفية، مثل: تعبئة الجعة، والتصفية والطحن. وكذلك تشجيع أحد العمال زميلا له، أن "اطحن جيدا"، وجواب الآخر، "إني لأطحن بكل قواي".









العمل فى صوامع الغلال والحصاد وغرس الحبوب







نماذج مختلفة لصوامع الغلال وصور لأنشطة المصريين أثناء موسم الحصاد ودرس الحبوب وتخزينها ، وبالأسفل نموذج لصومعة ضخمة بخمس غرف خزين، طليت باللون الأسود؛ باستثناء الجزء العلوي الذي طلي باللون الأبيض. وطليت الأبواب باللون الأصفر، مع خطوط بنية تمثل المقابض. ولكل غرفة خزين سقف مقبب وباب صغير في وسط الواجهة. ويوجد إلى اليسار درج يؤدي إلى داخل الصومعة؛ وربما أيضاً إلى السطح.

وهناك العديد والعديد من المناظر الأخرى التي توضح مواسم الحصاد في مصر القديمة ، وصوامع الغلال التي أتقن صنعها واستغلالها المصريون القدماء ، والصور التالية تعبر عن بعضا من هذه المظاهر.

ولما كان يوسف عليه السلام عالما بفنون وطرق التخزين وإقامة الصوامع والمستودعات ، وعلى علم من الله تعالى حيث يقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف22

ويقول يوسف لملك مصر واصفا نفسه لثقته بالله تعالى الذي علمه :

{ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ } يوسف55

لذلك كان يوسف هو المؤهل الأول لتلك المهمة نظرا لجهل هؤلاء الهكسوس البدو الذين أتوا من الصحراء ، وحديثو عهد بالزراعة والاقتصاد ، ولاستحالة أن يفكر ملك من الملوك المحتلين الأجانب أن يولي هذا المنصب الهام لأحد أفراد الشعب المحتل (المصريين)، فكان يوسف وافدا من أرض البدو ولكن الله تعالى قد آتاه من العلم ما يفوق علم هؤلاء الرعاة الذين لم يعهدوا في حياتهم من قبل صنعة الزراعة وتخزين الغلال ، ويعد هذا دليلا آخر على أن هؤلاء الأقوام لم يكونوا من المصريين بأية حال ، وسبق وأن أوضحنا كيف كان المصريون على دراية كاملة بالطرق السليمة لتخزين الغلال خلال عهود طويلة سبقت يوسف عليه السلام ، فلو كان هؤلاء القوم الذين كانوا يحكمون البلاد من المصريين لما كانت أدنى مشكلة في تأويل رؤيا الملك ولا في الاستعداد لأزمة الجفاف التي كانت تلوح في الأفق.

ونرى أيضا في بعض نصوص المصريين ما نصه (الملك خيتي الثاني):

" إنني غني بقمح الشمال حيث كانت الأرض في جفاف ، فأعشت مدينتي وأذنت للصغير أن يحمل لنفسه من قمح الشمال مع زوجته ، وللأرملة مع ولدها ، ونزلت عن الضرائب التي وجدت آبائي قدروها"[85] .

ومن عصر الأسرة الحادية عشر نقرأ :

[85] مصر في القرآن والسنة – د. أحمد عبد الحميد يوسف.

" لقد كلت قمح الصعيد ، الذي يحيي تلك المدينة بأسرها ، في قصر الحاكم أمير الكهان جفاي ، في سنين الضيق والشدة"[86] .

ويروي أميني من الأسرة الثانية عشر " وكان أن حدثت أعوام المجاعة ، فكان أن حرثت الحقول من إقليم الوعل حتى تخومه الجنوبية والشمالية ، وأعشت أهله وكفيته غذاءه فلم يبق فيه جائع ، إذ أعطيت الأيم كالسيدة ذات الزوج ولم أميز عظيما على صغير"[87] .

يقول الكاتب محمد أبو رحمة في كتابه " الإسلام والدين المصري القديم "[88]

إن هذه الوثائق التاريخية التي تعود إلى زمن يسبق وجود يوسف عليه السلام بمصر بسنوات قليلة – لهي دليل دامغ على أن المصريين – وهم مجتمع ذو حضارة زراعية عريقة– كانوا يقومون بتخزين القمح في زمن القحط والمجاعات ، وهذه الوثائق تشهد أيضا للمصريين بخبرة طويلة وإدارة حسنة ، ولم تولد هذه الخبرة فجأة ، بل إنها امتدت إلى آلاف من السنين لم تسبق دخول بني إسرائيل إلى مصر فحسب ، بل وجودهم ذاته على كوكب الأرض ، فقد تم العثور على مطامير لتخزين الحبوب في مدينة الفيوم ، يبلغ عددها 165 مخزنا ، ويعود تاريخها إلى الألف الخامسة قبل الميلاد"[89] .

وفي مكان آخر بالفيوم أيضا عُثر على مطامير يعود تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد .[90]

وعن أسلوب صنع هذه المطامير يقول د. إبراهيم الشتلة :

"المصريين خرجوا بمطامير عن منطقة المساكن وحفروها فوق ربوة عالية بعض الشيء بعيدة عن مساكنهم ، ورتبوها في ساحتين ترتفع إحداهما عن مستوى الأخرى، وحفروا كل مطمورة فيها على هيئة مستديرة ، تفاوت قطرها بين القدم والثلاثة أقدام، وكسوا قاعها وجوانبها بأغشية من الخوص والقش والحصير وأعواد الأثل

---

[86] المرجع السابق.

[87] المرجع السابق.

[88] سبق ذكره.

[89] جذور الحضارة المصرية – د. إبراهيم يوسف الشتلة.

[90] المرجع السابق.

وكانوا يكسون جدرانها في أغلب الأحوال بالطين، واحتفظت مطاميرهم ببقايا نادرة من القمح والشعير وبذور الكتان ونباتات أخرى"[91].

وهكذا نرى أنه لم يعد أي شك في أن المصريين القدماء كانوا بارعين في كلا من مضمار تفسير الأحلام ، كما في مضمار مواجهة الأزمات وموجات الجفاف والمجاعات ، مع علمهم العظيم بفن تخزين وطمر الحبوب والغلال ، وهو ما كان يفتقر إليه الهكسوس البدو ، الذين أرسل الله يوسف عليه السلام ليعلمهم كيفية مواجهة الأزمة ، ويكون ذلك سببا في تمكينه في الأرض.

يعقوب والأسباط فى مصر

وعلى أثر تلك المجاعة التي استمرت سبع سنين كاملة كما في قصة يوسف وإخوته ويعقوب عليه السلام هاجر آل يعقوب جميعا وعددهم سبعون نفسا من صحراء كنعان إلى مصر حيث يؤكد العهد القديم والقرآن أن يعقوب وأبناءه الاثنى عشر قد تركواِ صحراء كنعان الجنوبية في خضم مجاعة شديدة واستقروا في جاسان في شمال مصر.

يقول المسعودي : قال المسعودي دخل يعقوب إلى مصر مع ولده الاسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف في سبعين راكبا وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى صلوات الله عليه نحوا من مائتين وعشر سنين.

ويقول بن خلدون : "وكان وصول يعقوب صلوات الله عليه في سبعين راكبا من بنيه واستقروا جميعا بمصر".

ويقول أيضا : "وكان ذلك سببا لانتظام شمله بأبيه واخوته (أي حينما تقلد يوسف منصب العزيز بمصر) لما أصابتهم السنة بأرض كنعان وجاء بعضهم للميرة وكال لهم يوسف عليه السلام ورد عليهم بضاعتهم وطالبهم بحضور أخيهم فكان ذلك كله سببا لاجتماعه بأبيه يعقوب بعد أن كبر وعمى (قال ابن اسحق) كان ذلك لعشرين سنة

---

[91] المرجع السابق.

من مغيبه ولما وصل يعقوب إلى بلبيس قريبا من مصر خرج يوسف ليلقاه ويقال خرج فرعون معه وأطلق لهم أرض بلبيس[92] يسكنون بها وينتفعون".

ولا شك عندنا أن قدوم يعقوب والأسباط إلى مصر قد تم في عصر الهكسوس أيضا، يقول زينون كاسيدوفسكى:

"ويتوقع أن تكون عشيرة يعقوب قد جاءت مصر مع زحف الهكسوس أو بعد أن أقاموا سيطرتهم فيها . وقد أستقبل يعقوب ومن معه استقبالاً طيباً فى مصر لأنهم كانوا أقرباء المحتلين،.. ومن جهة أخرى ليس من الصعب أن نتوقع أن الفراعنة الهكسوس لم يثقوا بالمصريين ، وكانوا يثقون بأنسابهم الآسيويين الذين يجمعهم معاً المنشأ واللغة"[93].

وفي زمن "الريان" دخل "يعقوب" وأولاده مصر، واجتمع بولده يوسف ، وهم يومئذ ثلاثة وتسعون نفساً ، مابين رجل وامرأة وطفل ، ويقال أنهم كانوا سبعون نفسا ، فأقاموا بها وتناسلوا إلى أن خرجوا مع "موسى" عليه السلام .

أرض جاسان:

وهي منطقة خصيبة في مصر كثيرة المرعَى للقطعان والمواشي في ذات الوقت حيث تتقاطع أرضها داخل أرض الدلتا الخصيبة التي كان يطلق عليها أرض رعمسيس في بعض أوقات مصر القديمة وبين الأرض الواسعة شبه الصحراوية التي تقع إلى الشرق من دلتا النيل حتى مشارف سيناء وكان يطلق على تلك المساحة وادي طميلات ، وهي المنطقة المعروفة الآن بالجزء الممتد من شرق وجنوب شرق محافظة الشرقية إلى بلبيس والزقازيق في اتجاه الغرب ومن جوار أبي زعبل إلى البحر ومن برية جعفر إلى وادي طميلات ويقال أن بلبيس التي تنتمي لنفس المحافظة كانت جزء من جاسان ، وقد أعطاها يوسف لأبيه وإخوته فسكنوا فيها هم وذريتهم من بعدهم طوال فترة بقائهم في مصر وكانت تعد من "أفضل الأرض" أي أكثرها خصوبة وأصلحها للرعي حيث كانت مليئة بالمراعي وهي بذلك كانت مجاورة للعاصمة أواريس عاصمة الهكسوس التي كان فيها مقر الحكم وقصر الملك في الجنوب منها ، وكانت أرض جاسان وفقا لذلك الوصف تعد محمية طبيعية منعزلة عن باقي مصر وعما يحيطها من

[92] بلبيس : هي مركز من مراكز محافظة الشرقية في مصر.

[93] الواقع والأسطورة في التوراة – زينون كاسيدوفسكي.

أراضي وذلك لانحصارها بين فرع النيل المندثر المسمى بقناة سيزوستريس من جهة الشمال حيث كانت جاسان تقع إلى الجنوب منه ويحدها من الشرق البحيرات المرة ومن الغرب فروع النيل الأخرى التي كانت تجري في أرض الدلتا وبذلك تمكن بنو إسرائيل من العيش بشكل منعزل عن باقي أراضي مصر وسكانها داخل تلك المحمية ، وهناك استقبل يوسف أباه وإخوته لما حضروا من أرض كنعان.

وذكر بن خلدون في تاريخه أن يوسف عليه السلام استقبل يعقوب عليه السلام حين مجيئه إلى مصر بأرض بلبيس بالشرقية ويروى أن الملك بنفسه كان في استقبال نبي الله في ذلك المكان وأطلق لهم أرض بلبيس يسكنون بها وينتفعون ، وكان وصول يعقوب صلوات الله عليه في سبعين فردا من بنيه.

وطبقا لرواية التوراة ورواية المؤرخين بالإضافة للشواهد الأثرية والتاريخية المختلفة فإن جاسان المذكورة في التوراة هي المنطقة الممتدة ما بين شرق الدلتا حيث محافظة الإسماعيلية الحالية وما بين الزقازيق وبلبيس وهي بذلك كانت تقع جنوب مركز فاقوس الذي يحتوي على آثار مدينة أواريس عاصمة الهكسوس القديمة.



خريطة قديمة تبين مسار رحلة بني إسرائيل من أرض كنعان إلى أرض جاسان بمصر

ويقال إن مدينتي بيثوم / بيتوم ورعمسيس اللتان ذكرا بالعهد القديم كانتا تقعان في أرض جاسان ، كما يقال أن منيا القمح والواقعة الآن في محافظة الشرقية قد سميت بذلك لشهرتها بزراعة القمح وتخزينه منذ القدم وأنها كانت من المدن التي يخزن بها القمح والغلة منذ عهد يوسف عليه السلام.

وقد اشتهرت محافظة الشرقية المصرية أيضا بالخيول العربية الأصيلة وهذا لا يرجع فقط إلى تاريخ الفتح العربي لمصر وما بعده لكنه يرجع الى عصور بعيدة في التاريخ منذ دخل الحصان لأول مرة الى مصر في عهد الهكسوس وتركزت تربيته ورعايته في الشرقية قبل أي جزء اخر في مصر[94] .

كيف تملك الهكسوس على أرض مصر حتى حدود طيبة بعد أن كانوا فى الدلتا ؟ :

يطالعنا التاريخ القديم بأحداث استيلاء الهكسوس على الحكم وبدون حرب – كما أوضحنا – وكيف أنهم تركزوا في البداية على هيئة طوائف نازحة في شرق الدلتا وفدوا من أجل ممارسة التجارة ورغبة في بعض الاستقرار حيث الماء والغذاء الوفير ، والذي لم يكن متوفرا في الأماكن التي نزحوا منها ، وبدأت حركات التروح هذه منذ عهد الأسرة الثانية عشر، ثم ازداد تواجدهم بكثافة في عهد الأسرة الثالثة عشر والذي تزامن مع بداية موجات الجفاف في غرب آسيا وتزامن أيضا مع عهد الفوضى وانتشارها في مصر وتدهور السلطة الملكية ، والذي كان له أعظم الأثر في استيلاء الهكسوس على شرق الدلتا في عهد الأسرة الرابعة عشر والتي لم ينتهي وجودها إلا وكان للهكسوس السلطة المطلقة على أراضي الدلتا بالكامل .

ويمكن لنا أن نتصور حدوث هذا التوغل الهكسوسي في المملكة المصرية إبّان عصور الضعف والتفكك التي سادت في مصر إثر انهيار الأسرة الثانية عشر ، وخلال الأسرة الثالثة عشر والذي هيأ للهكسوس الاستيلاء على السلطة في أراضي الدلتا على أحسن ما يكون .

---

[94] مؤمن محمد سالم – فرعون وقومه كانوا هكسوسا.

غير أننا لا نعرف على وجه التأكيد كيف استطاع الهكسوس الاستيلاء على الأراضي المصرية بالكامل دون حرب ؟ ، ولماذا لم يفرضوا سلطتهم بالكامل لتشمل طيبة (الأقصر حاليا) في جنوب مصر ؟ ، حيث تم إبعاد الحكام المصريين إلى هناك لتنحصر سلطتهم على أرض طيبة فقط دون غيرها من أرض مصر ، حيث ظلوا ماكثين بل منفيين هناك طوال فترة حكم الهكسوس بالكامل.

هذه الأسئلة لم يستطع الإجابة عنها علماء المصريات والتاريخ على وجه اليقين ، بل كانت كلها محض افتراضات لا تستند إلى دليل أثري أو تاريخي.

والجواب يأتي في عبارة مقتضبة جدًّا وهي " الأرض مقابل الغذاء " ، وتفسير هذه العبارة يعد من أكثر الافتراضات منطقية وأقربها للصحة ، ذلك الافتراض الذي ينص على أن يوسف عليه السلام قايض المصريين على أراضيهم في مقابل الغذاء لصالح الهكسوس في أيام المجاعة والقحط ، حيث أن يوسف عليه السلام قد استثمر الأزمة على أحسن ما يكون وأخذ يقايض الشعوب ببضائعهم مقابل الغذاء ، وكانت تلك الشعوب قد بدأ الجوع ينخر في كيانها نتيجة المجاعات ونوبات الجفاف التي ضربت المنطقة في غرب آسيا ، وطالت أماكن كبيرة من قارة أفريقيا وصولا إلى منابع النيل نفسها ، فدفعت شعوب آسيا إلى اللجوء لمصر طلبا للغذاء ، والجدير بالذكر أن المصريين أيضا الذين كانوا يعيشون تحت الاحتلال الهكسوسي كانوا يعيشون نفس الأزمة الطاحنة ، وأصابهم الجوع كغيرهم من الشعوب وخاصة مع توقف الزراعة في سنوات الجدب السبع ، وخاصة مع هجرة الكهنة والعلماء والاقتصاديين والحكام إلى طيبة في الجنوب ، وتركوا الشعب المصري يقاسي الأمرين تحت الاحتلال والمجاعة ، ولا شك أن الكهنة والعلماء الذين استوطنوا الجنوب في طيبة إلى حين ، كانوا على علم بكيفية مواجهة الأزمة الطاحنة أثناء المجاعة والجفاف ، خاصة مع ما كان يتوافر لهم في جنوب مصر دون شمالها من مياه ولو بالقدر اليسير مما كان يساعدهم على مواصلة العيش ، فعاشوا اكتفاءا ذاتيا يكفيهم العيش به أثناء فترة الجفاف الطويلة ، بما يضمن لهم عدم اللجوء للهكسوس الذين سيطروا على المخزون الأكبر للحبوب والغلال في الشرق بأسره بفضل براعة يوسف عليه السلام وعلمه الذي علمه الله .

وفي آيات القرآن دليل على مقايضة يوسف عليه السلام للشعوب بالبضائع والأموال والثروات مقابل الغذاء ، حيث يقول تعالى :

﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ {62} يوسف

وقال تعالى في نفس السورة :

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ {88}

وهذه الآيات تبين مدى ما وصل إليه أهل البدو والحضر سواء بسواء من جدب ومجاعة وقحط ، ومدى الفاقة التي وصلوا إليها بعد أن نفذت أموالهم وبضائعهم الجيدة التي كانوا يقايضونها في مقابل الغذاء ، فظل يوسف عليه السلام يقايض أهل البدو والحضر ببضائعهم في مقابل الغلال طوال سنوات الجدب والقحط .بمن فيهم المصريين أنفسهم الذين تركهم حكامهم وكهانهم وعلمائهم وأصحاب الرأي والوجاهة فيهم وهاجروا إلى طيبة فما كان لديهم أي حيلة ولا علم في مواجهة الجفاف ، فصار المصريون الفقراء مغلوبين على أمرهم ، يمتلكون الأراضي ولا يزرعونها لندرة الماء ، ولا يجدون ما يقوتهم هم وأبنائهم ، فانتقل بهم الحال لمقايضة المواشي والخيول والأغنام بعد أن نفذت أموالهم وبضائعهم ، حتى وصل بهم الحد إلى نفاذ كل ما يمتلكون فلم يجدوا بعد ذلك ما يقايضوه في مقابل الغذاء.

وتحدثنا الرواية التوراتية لقصة يوسف عليه السلام كيف قايض يوسف عليه السلام المصريين بأراضيهم مقابل الغذاء.

يقول ابن ظهيرة : فلما كان يوسف عليه السلام في السنين المُجدبة اشترى جميع أراضي مصر وعقاراتها للعزيز صاحب الرؤيا، وهو " الريّان"، ثم استنبط له من قراها كثيراً، ومنها مدينة الفيوم[95].

ويلاحظ أن يوسف عليه السلام قايض المصريين أنفسهم والكنعانيين أيضا بما يملكون من فضة ومواشٍ والخيول الآتية من آسيا في بادئ الأمر مقابل الخبز والغلة في سنوات القحط ، ويلاحظ أيضا وجود الخيل كعنصر من عناصر المقايضة.

فلما فرغت الفضة من ارض مصر ومن أرض كنعان أتى جميع المصريين إلى يوسف قائلين أعطنا خبزا ، فلماذا نموت قدامك.لأن ليس فضة ايضا. فقال يوسف هاتوا

[95] الفضائل الباهرة لابن ظهيرة

مواشيكم فاعطيكم بمواشيكم ان لم يكن فضة ايضا. فجاءوا بمواشيهم الى يوسف. فاعطاهم يوسف خبزا بالخيل وبمواشي الغنم والبقر وبالحمير. فقاتهم بالخبز تلك السنة بدل جميع مواشيهم (47 – 15: 17.

ويلاحظ هنا أيضا – حسب الرواية التوراتية – أن المصريون (والمقصود الحكام المصريون والكهنة وكبار الموظفين والجيش وكل من له علاقة بالسلطة) قد نفوا إلى أقصى أرض مصر ، لأن جميع أرض مصر أصبحت ملكا للملك ، لكن كاتبوا التوراة بالغوا في الأمر فادعوا أن جميع المصريين قد خرجوا من أراضيهم وحقولهم ، لكن الحقيقة أنهم ظلوا في أماكنهم وأصبح جميع الشعب عاملا لدى الملك على أراضيه ، ما عدا أرض الكهنة والتي كانت متاخمة لمعابدهم ، ومن المعروف أن أكبر نصيب من الأراضي كانت للكهنة المصريين في تلك العصور كانت لكهنة آمون رع في الجنوب ، والتي كانت متاخمة لطيبة ولأنها كانت أوقافا للمعبد ولآلهة المعبد.

"فاشترى يوسف كل ارض مصر لفرعون ، إذ باع المصريون كل واحد حقله ، لأن الجوع اشتد عليهم ، فصارت الارض لفرعون ، واما الشعب فنقلهم الى المدن من اقصى حد مصر الى اقصاه ، إلا أن ارض الكهنة لم يشترها ، إذ كانت للكهنة فريضة من قبل فرعون. فأكلوا فريضتهم التي أعطاهم فرعون. لذلك لم يبيعوا أرضهم" [96].

ويلاحظ هنا أن التوراة تؤكد أن الحاكم الهكسوسي كان يخرج أيضا فريضة لكهنة طيبة ، وهو الأمر الذي يبدو مستغرَبا في حالة إذا ما كان الحاكم وقومه غزاة على أهل البلد ، وبهذا تنصب رواية التوراة على فرضية أن الحاكم والشعب كلاهما من جنس واحد وشعب واحد وهو ما تبين خطؤه.

كما يلاحظ أيضا استخدام التوراة للفظة فرعون في قصة يوسف عليه السلام ، كما استخدمت مع الملك الذي عاصره إبراهيم عليه السلام ، وكذلك استخدمت مع فرعون الملك الذي عاصر موسى عليه السلام ، وهذا التعميم ورد أيضا في كتابات المؤرخين العرب الذين أطلقوا على ملوك العماليق كلهم اسم فرعون كلقب ، وهذا يؤكد أن الرواية التوراتية وكذلك روايات المؤرخين العرب وإن احتوت على أحداث حقيقية ، إلا أنها قد داخلها الكثير من الأحداث المفتراة والملفقة والتي يغلب عليها الطابع الأسطوري أقرب منه إلى الحقيقة ، لذلك يجب علينا أن نتعامل بحذر مع الكثير

---

[96] سفر التكوين.

مما جاء بها إلا ما توافق منها مع ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة كذلك مع ما ورد أيضا في كتب التاريخ الموثقة.

يقول بن عبد الحكم عن الليث بن سعد قال: حدثني مشيخة لنا، قال:

اشتدّ الجوع على أهل مصر، فاشتروا الطعام بالذهب حتّى لم يجدوا ذهبا، فاشتروا بالفضّة حتى لم يجدوا فضّة، فاشتروا بأغنامهم حتى لم يجدوا غنما، فلم يزل يبيعهم الطعام حتى لم يبق لهم فضّة ولا ذهب ولا شاة ولا بقرة فى تلك السنتين فأتوه فى الثالثة فقالوا له: لم يبق لنا إلّا أنفسنا وأهلونا وأرضونا. فاشترى يوسف أرضهم كلّها لفرعون، ثم أعطاهم يوسف طعاما يزرعونه على أن لفرعون الخمس.[97]

وبفرض صحة الفرضية السابقة ، فإن الشعب المصري بذلك كان يعيش الأمرين ، حيث كان يعيش تحت الاحتلال الهكسوسي ، وكان محاصرا في أرضه بين أسياد الدلتا الجدد الذين يعيشون في شمال البلاد والذين يملكون كل خيرات البلاد ويقبضون على خزائن الأرض ، وبين الإقليم الجنوبي الذي يضم طيبة والذي عاش فيه أسياد الجنوب المصريين ، والذي فضل أن يعيش فيه الحكام المصريين والكهنة والعلماء وعلية القوم وأصحاب المناصب الرفيعة ، وتركوا الشعب دون معين ، خاصة وعندما بدأت المجاعة تضرب الأراضي المصرية ، فازداد تمسك هؤلاء الحكام والكهان بإقامتهم في الجنوب أكثر وأكثر ، وهاجر من بقى منهم في أرض مصر إلى طيبة ليلحق بقومه.

وتعد من أحدث النظريات حاليا تلك النظرية التي يتبناها بعض علماء المصريات من أن امبراطورية الهكسوس قد شملت طيبة أيضا في عهد الملك خايان / الريان بن الويد ، والذي ربما أدخل إقليم طيبة في حدود إمبراطوريته الواسعة منذ وقت حدوث المجاعة التي قايض فيها الناس على أراضيهم بسبب سياسة مقايضة الأرض مقابل الغذاء التي اتبعها يوسف عليه السلام مع الأغنياء والإقطاعيين.

وهكذا أصبحت أرض مصر بكاملها من شمالها المطل على البحر المتوسط ، وحتى حدود طيبة جنوبا ملكا للهكسوس ، حيث أصبحت كل أرض مصر مملوكة للحاكم الأجنبي ملك الهكسوس دون الخوض في حرب ضد المصريين الذين أنهكتهم المجاعة والانهيارات السياسية.

[97] فتوح مصر والمغرب – بن عبد الحكم.

اتساع الدولة المصرية فى عهد الهكسوس

تكونت إمبراطورية الهكسوس في مصر والشام وامتدت لآماد بعيدة وصلت إلى أجزاء من الرافدين أي العراق وشمالا حتى جنوب الأناضول حسب بعض الدلالات وبعد بناء عاصمتهم أواريس في الدلتا واصلوا تمددهم جنوبا فاحتلوا منف وأقاليم مصر الوسطى حتى بلغوا شمالي أسيوط ثم احتلوا الصعيد حتى حدود طيبة.[98]

لكن أحدث النظريات الحالية عند بعض العلماء الغربيين يستدلون بشواهد كثيرة أن امبراطورية الهكسوس امتدت وتوسعت لأكثر من ذلك حيث ضمت طيبة وهي الأقصر الحالية في جنوب مصر إلى حدود الدولة في عهد الملك خيان / الريان بل وامتد سلطان الدولة إلى إقليم النوبة ودولة الكوشيين جنوبا بالسودان وقد ثبت ذلك من السجلات التي عثر عليها تؤرخ لتواصل النشاط التجاري مع تلك النواحي ووجود بعض الشواهد الأثرية للهكسوس بأماكن متفرقة منها.

والأقرب للعقل أن تلك السيطرة لم تكن دائما بالحرب والهيمنة العسكرية بل كانت في بعض الأقطار بعقد التحالفات كما حدث في أقاليم الشام الشمالية أو بفرض الجزية على مقاطعات الحكم الذاتي كطيبة وغيرها.

ملوك العماليق الستة أو ملوك الهكسوس الكبار:[99]

تتفق الشواهد الأثرية مثل بردية تورين وغيرها مع رواية مانيتون عن ملوك الهكسوس مع ما ورد في كتب التاريخ العربية عن أن ملك الهكسوس العماليق في مصر قد اقتصر على حكم ستة ملوك فقط لا غير وهم ما يعرفون تاريخيا بملوك الأسرة الخامسة عشر الهكسوسية التي تواجدت في العصر الانتقالي الثاني في الفترة ما بين القرن الثامن عشر والقرن السادس عشر قبل الميلاد.

---

[98] تاريخ فلسطين القديم – خزعل الماجدي.

[99] خالد علي نبهان – التحليل اللغوي لأسماء الهكسوس : وبلغ عدد ملوك الهكسوس من الأسرة الخامسة عشرة ستة أطلق عليهم اسم (الهكسوس الكبار) وكان يعاصرهم عدد من الملوك الأجانب الذين كانوا ، على ما يبدو ، يحكمون فى الوقت ذاته فى مناطق محدودة المساحة ، وهم ملوك الأسرة السادسة عشرة ، ويطلق عليهم اسم (الهكسوس الصغار) . ولما كان هؤلاء حكاماً محليين فإن آثارهم أقل بكثير من آثار الهكسوس الكبار ، وعرف من أسمائهم ثلاثة ، كان واحد منهم يحمل اسماً سامياً هو (عنات هر) ، يتضمن اسم المعبودة الكنعانية المعروفة عنات ، وقد عثر لأحدهم على خنجر مصنوع من البرونز الدمشقى فى منطقة سقارة.

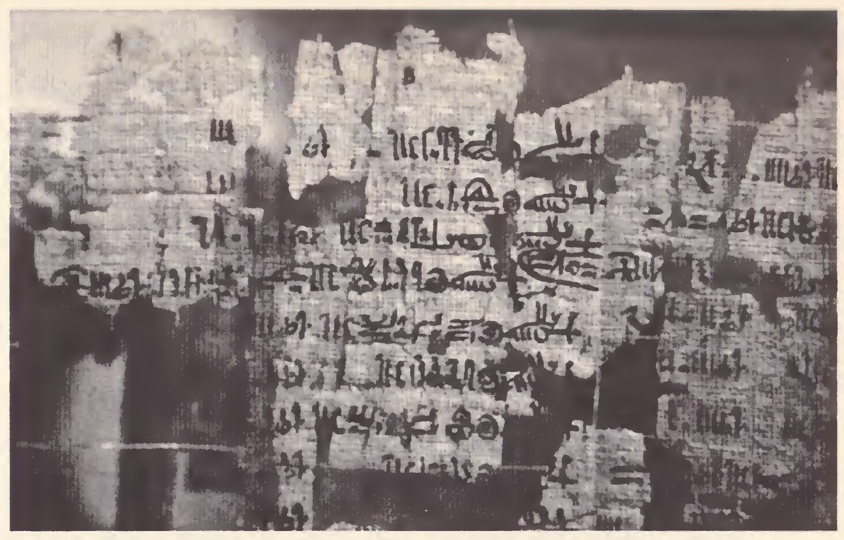
لكن مانيتون قد ناقض نفسه حين نقل عنه أفريكانوس في قوائمه المختصرة أسماء تصل إلى 32 ملكا من ملوك الهكسوس وأسماهم الأسرة السادسة عشر بالإضافة لإيراده 43 ملكا من ملوك الأسرة السابعة عشرة المصريين سكان طيبة وهي الأقصر وادعى بأن هناك نفس العدد من ملوك الهكسوس الـــ43 قد حكموا جنبا إلى جنب مع ملوك طيبة وهي الأعداد المشكوك في صحتها بكل تأكيد!.

وتأتي بردية تورين الممزقة لتؤكد وجود ست ملوك على الأقل حكموا في العصر الانتقالي الثاني أي عصر الهكسوس رغم كل ما طالها من تمزيق وطمس وفقدان في كثير من أجزائها[100].



---

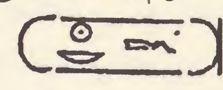
[100] تنسب هذه البردية إلى مدينة تورين الايطالية حيث تحفظ بمتحفها؛ وقد ذكر أنه عثر عليها في منف وأنها وصلت إلى إيطاليا في أوائل القرن التاسع عشر، وأصبحت ملكا لمتحف مدينة "تورين" الإيطالية عام 1820 ميلاديا وفى عام 1824 بدأ "جان فرانسوا شامــپليون" يهتم بالتواريخ التي جاءت على هذه البردية، وبدأ في فحصها في متحف "تورين"، حيث وجدها ممزقة إلى أكثر من خمسين قطعة، وحاول بعد عناء شديد ترميمها وجمعها. وفى عام 1826م حاول أحد العلماء الألمان (ويدعى "سيفارث Seyffarth) "تحسين عمل "شامــپليون" الترميمي، فاطلع على البردية من الوجه والظهر. ومن المؤكد أن البقايا الصغيرة التي أعيد ترميمها قد رممت بطريقة غير سليمة، إذ ما زالت محاولات تصليح ترميمها الخطأ جارية حتى الآن. وتؤرخ البردية لعهد الأسرة التاسعة عشرة وتضم 300 اسم مبتدئة بأسماء الآلهة الذين حكموا مصر ومنتهية بأسماء ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وترجع وترجع بردية تورين إلى عصر الملك رمسيس الثاني، وقد اكتشفت بردية تورين في دير المدينة بطيبة بواسطة برناردينو دروفتي (المعروف بقنصل نابليون) قبل عام 1824م تقريبا، وقد كتبت هذه البردية حوالي عام 1160 ق.م على ورق بردي بالخط الهيراطيقي، وكتبت أسماء الملوك المهمين باللون الاسود، وقسمت البردية إلى مجموعات نسبت كل مجموعة منها إلى العاصمة التي استقرت فيها.



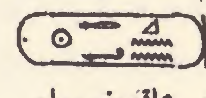
بردية تورين الممزقة التي تحتوي على قائمة ملوك مصر القديمة

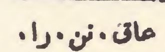
لكنا الآن نستطيع وبكل ثقة أن ندعي بأن ملوك الهكسوس لم يكونوا بكل هذه الكثرة التي لا تتناسب أبدا مع الفترة الزمنية لحكمهم والتي تنحصر وفقا لآراء المدارس المختلفة ما بين 150-250 عاما.

لكن تظهر معضلة أخرى تحتاج لتفسير وهي وجود جعارين وشواهد أثرية أخرى لأعداد كبيرة من الحكام الهكسوس التي وجدت في أماكن متفرقة لأشخاص يحملون ألقابا ملكية واضحة كأمثال : ابن الشمس ، الإله الطيب / الراعي الصالح / الراعي الصالح ، حاكم البلاد الأجنبية ، وغيرها من الألقاب التي كانت تعطى للملوك في مصر القديمة وتم إطلاقها على حكام الهكسوس جريا على نفس العادة.

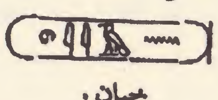


نبو • خبش • را •

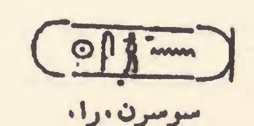




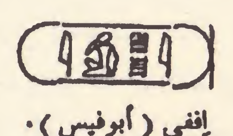
عاق • نن • را •



خيان •



سوسرن • را •



إففى (أبوفيس) •

خراطيش ملكية لبعض ملوك الهكسوس

لكن المخرج من تلك المعضلة كان سهلا ميسورا حين علمنا أن حكم الهكسوس العماليق كان حكما مركزيا قائما على التحالف بين القبائل وكان لكل قبيلة أمير أو رئيس أو زعيم أو ملك وهو اللفظ الذي كانت تفضله جميع الشعوب السامية في الشرق الأدنى.

لذلك نستطيع وبكل يقين أن نتأكد بأن هذه الأسماء الكثيرة وفترات الحكم الطويلة التي تحتاج لحيز طويل جدا يصل لمئات السنين ليتمكنوا من حكم مصر كانت أسماء لأمراء الهكسوس ورؤساء القبائل أو ملوكها إن شئنا الدقة وفقا لمسميات الهكسوس وقتها ولم تكن أسماء للحكام المركزيين الذين حكموا الدولة المصرية وكان غالبيتهم متواجدين في نفس العصر ومعاصرين لبعضهم البعض بل ومعاصرين للحكام الكبار الذين كانوا يحكمون القطر بأكمله ، وكان كل منهم يحكم قبيلته في مقاطعة مختلفة عن الأخرى أو مجاورة لقبيلة أخرى في نفس المقاطعة يحكمها ملك مختلف.

ومن العجيب حقا أن نعرف أن غالبية المصادر المعتمدة للتأريخ المصري وتوثيق فترات حكم الملوك المصريين لم تذكر حكام الهكسوس من قريب أو من بعيد وهذا يرجع لأسباب عديدة منها أن المصريين القدماء اعتبروا فترة حكم الهكسوس من الانتكاسات التي مرت بتاريخ مصر القديم وغيرها من المبررات التي أمعن فيها المؤرخون الغربيون .

لكنا نرى أن عدم ذكرهم لم يكن لهذا السبب فقط ، ولكن ثمة سبب آخر عرفناه من القوائم الأخرى التي ذكرتهم وهو أن جميع المصادر التي أتى فيها ذكر ملوك الهكسوس هي إما محطّمة أو مهشمة أو مفقودة أو ممزقة وهو ما ينطبق على بردية تورين نفسها التي وجد الأثريون بها ذكر لستة حكام من الهكسوس مع العلم بأن ما يحيطها من أسماء قد فقدت أو وجدت ممزقة أو غير واضحة مما زاد الصعوبة في تحقيق أسمائهم وتوثيق فترات حكمهم.

أما ما زاد الطين بلة هو أن المصدر الثاني الذي يمكن التحقيق من خلاله وعقد المقارنات معه للتوصل للحقائق بشأن الهكسوس هو تاريخ المؤرخ المصري مانيتون المفقود والذي من المعروف أنه قد فقد في حريق مكتبة الاسكندرية وقد كانت النسخة الوحيدة داخل القطر المصري أما النسخة الأخرى في اليونان فلم تظهر للنور ولم يعلم عنها أحد شيئا بعد تاريخ حريق الاسكندرية.

وكانت الجريمة الأكثر براعة هي قيام يوسفوس اليهودي بالادعاء بالنقل من تاريخ مانيتون المفقود فقام بالادعاء بأن الهكسوس هم اليهود ثم ادعى أيضا أن كلمة هكسوس معناها الملوك الرعاة ليُكسب قومه مكانة في دفاعه عنهم أمام مناظره أبيون الذي كان يحط من قدر اليهود.

أما جريمته الكبرى فنعتقد أنها في إخفائه الأسماء الحقيقة الدقيقة والتاريخ الحقيقي للهكسوس وذلك ليتمكن من الإدعاء بتفاصيل قصة أخرى قريبة من الحقيقة لكنها محرفة في بعض تفاصيلها ليتوصل بذلك إلى صورة مغايرة للواقع التاريخي وهو ما نجح فيه إلى حد بعيد وكان ما فعله يوسفوس من أهم المحطات المبكرة لتهويد تاريخ تلك الفترة تحديدا لما لها من أهمية عند بني قومه من اليهود.

وهذا الذي دفعنا للتفكير في أنه من المحتمل جدا أن يكون هذا الفقدان والضياع والتحطم قد طال هذه الآثار والمدونات عن عمد لإخفاء الحقيقة لأغراض سنعرفها في الصفحات القادمة.

غير أننا حاولنا الاجتهاد بقدر المستطاع وعقدنا المقارانات الواسعة للوصول للحقيقة حول هؤلاء الحكام المجهولين ومحاولة اكتشاف أسمائهم وتاريخهم المطمور من جديد ، ونحسب أننا قد توصلنا إلى شيء في هذا الأمر للربط بين التاريخ المقارن واكتشفنا أن هناك روابط وإشارات حتى وإن كانت بعيدة بين أسماء هؤلاء الملوك الذين تم إبهام تاريخهم وهوياتهم عن عمد ، والجدول التالي فيه مقارنة بين أسماء بعض ملوك الهكسوس العماليق من المصادر المختلفة سواء كانت المصادر المصرية القديمة مثل قوائم الملوك والقطع الأثرية المختلفة والبرديات والجعارين وغيرها وبين المصادر المكتوبة مثل ما وصلنا من تاريخ مانيتون عن طريق يوسفوس وأفريكانوس وغيرهم وبين التاريخ العربي الذي كتبه المؤرخون العرب والمسلمون.

- **مقارنة بعض أسماء ملوك وحكام الهكسوس مع المصادر التاريخية المعروفة:**

م	بردية تورين (قائمة ملوك مصر القديمة)	صيغة الإسم من التاريخ المكتوب عند مانيتون / يوسفوس / أفريكانوس	صيغة الإسم على الجدارين والآثار	صيغة الإسم أو اللقب عن المؤرخين العرب	ملاحظات
1	أباخنام : لم يرد ذكر اي ملك باسم مطابق لاسم "ساليتيس" في قوائم الملوك ورجح البعض أنه من الأسماء المفقودة ويظن آخرون أن اسمه كان في بعض الآثار المصرية "سيتي / سايتي"	أباشنان / أباخناس / باخنم[102] صار يعتقد أنه نفسه الملك "ساليتيس/سايتيس/شاليك" الذي ذكره مانيتون / يوسفوس في كتاباتهم وقد ورد بتنويعات مختلفة مثل : ساليطيس / ساليتيس[103] شيشي / سيتي / سايتي	لم يتم مقاربة الاسم مع أي اسم آخر في المعثور عليه وقد حاول بعض الباحثين التوحيد بين أباخناس / أباشنان وبين أبيب / إففي لكنها مقاربة بعيدة	سنان سنان بن علوان سنان بن الأشل طوليس	ورد عند المؤرخين العرب أنه الملك الذي عاصره إبراهيم عليه السلام وهو الذي كان يريد أخذ سارة ، ويروي بعضهم أنه أخو الملك الضحاك المشهور باليمن واسمه الضحاك بن علوان. ويبدو أن سنان بن علوان كان يقيم في أحد الأقاليم الشرقية في مصر وهو إقليم الفرما الذي يقع في شمال شبه جزيرة سيناء ويشرف على الدلتا الشرقية وذلك أثناء انشغال حكام مصر وملوك الأقاليم بالصراع على الحكم مما أعطى فرصة لقبائل العماليق بالسيطرة على الإقليم الشرقي وبسط نفوذهم على تلك النواحي. وقال المؤرخون العرب أن حاكم مصر العمليقي الأول كان يدعى سنان بن علوان". وهذا ما يقول به المسعودي الذي يحذف اسم علوان ويُبقي على اسم الملك: سنان. اعتبره البعض ساليتيس / سليطيس أنه وزيرا لأول حاكم هكسوسي وقالوا إنه قائد عسكري للملك الوليد بن دومغ العمليقي ويحتمل أنه تنصب ملكا على بعض المقاطعات أو القبائل ، بل ويحتمل أنه صار ملكا بعد الوليد بن دومغ ولم يرد ذكر ساليتيس / ساليطيس في تلك الروايات العربية. بينما ينقل يوسفوس عن المؤرخ مانيتون أن الملك ساليتس (والذي يعتقد أنه شيشي كما في المصرية) أخذ يجمع الضرائب من الإقليمين الشمالي والجنوبي كما أنشأ ثكنات وقواعد عسكرية في أهم الأماكن وقام بتحصين المنطقة الشرقية خوفاً من أن يزداد الأشوريون قوة ويطمعوا في مملكته ويهاجموها ولذلك أقدم على إعادة بناء مدينة (حت-أواريت / أواريس) ذات موقع ممتاز إلى الشرق من فرع النيل البوباسطي تسمى حسب التقاليد الدينية القديمة " آواريس" فحصنها بأسوار متينة جداً وأسكن فيها حوالي 240 ألفاً من الجنود المجهزين بأسلحة ثقيلة وكان الملك يأتي إلى هذه المدينة في الصيف لتوزيع القمح على الجنود ودفع رواتبهم والعناية بتدريبهم وإجراء الاستعراضات العسكرية التي تدب الرعب في نفوس الأجانب.

[102] خالد علي نبهان – تحليل أسماء الهكسوس – مقال : ابخناس Ibikhnas : ويعرف في الآثار باسم : (أبي خنس) وقد حكم سبعاً وعشرين سنة من سنة 1715 إلى 1688 ق.م.

[103] ساليتيس : ملك الهكسوس يسمى (سليت) — في اليونانية Salatis : ويرى د.علي فهمي خشيم في كتابه رحلة الكلمات أنها على صلة بلفظ (السلطان) ثم صارت علماً عليه ، واللقب الفصيح : السليط ، أي المتسلّط ، ويرى الأستاذ خالد نبهان أن ما ذكره المؤرخ اليهودي (يوسفوس) أن أول ملوك الهكسوس ملك يدعى (ساليتيس) أو (شلاتيس) ويمكن أن يكون الأصل من (سل) أو (شل) — ومنها اشتق (المشلشل) وهذا يعني أن ساليتس (شلاتيس) = (المشلشل) وهو سنان بن علوان ، ويرى الدكتور علي فهمي خشيم أن (سلت) أو (حلت) هما أصل واحد ومصدر واحد ومن هنا يرى أن ساليتيس لها علاقة بجالوت وكلاهما من العماليق.

م	بردية تورين (قائمة ملوك مصر القديمة)	صيغة الاسم من الآثار / مانيتون / يوسفوس / أفريكانوس	صيغة الاسم على الجعارين والآثار	صيغة الاسم أو اللقب عن المؤرخين العرب	ملاحظات
2	أبب / أبيب / أبيبي / إففي ملك الوجهين القبلى والبحرى " ابن الشمس عاو سر رع " أبو فيس	أبوبي / أبيي	أبيب / أبوفيس	الوليد بن دومغ العمليقي	ورد عند المؤرخين العرب أن بعض حكام مصر المتصارعين على الحكم في ذلك العصر الانتقالي استعان بملك يدعَى الوليد بن دومغ العمليقي وهو ملك من ملوك العماليق ليستنصر به على خصومه من الحكام المحليين في مصر ، فطمع العماليق في مصر أكثر وأكثر وتجرأ الوليد بن دومغ فأرسل قائد عسكري على رأس جيش لمناصرة بعض الأمراء على بعض ، ثم طمع في مصر فدخلها بجيش كثيف وسيطر على إقليم شرق الدلتا فيما يبدو وفقا لرواية الإخباريين وهو يعد بذلك أول ملوك العماليق الرسميين وبه تبدأ الأسرة الخامسة عشر في مصر. وأبوفيس هذا غير أبوفيس الآخر ، حيث يوجد ملك آخر يحمل نفس الإسم لكنه يختلف في اللقب الحوري أو الشمسي الملكي وقد ورد ذكره بالآثار بإسم الإله الطيب / الراعي الصالح رب الأرضين "ابن الشمس نب خبش رع " أبو فيس. ويحاول بعض الباحثين توحيد هذا الملك بالحاكم "ساليتيس / سالاتيس" عند مانيتون فهو يروي نفس القصة تقريبا كما نقلها عنه مانيتون واقترح البعض بأن ساليتيس هو القائد العسكري للوليد والمعروف بإسم أبيب أو أبوفيس وهو ما يحتاج إلى المزيد من التحقيق بلا شك.

م	بردية تورين (قائمة ملوك مصر القديمة)	صيغة الإسم من الآثار / مانيتون / يوسفوس / أفريكانوس	صيغة الإسم على الجعارين والآثار	صيغة الإسم أو اللقب عن المؤرخين العرب	ملاحظات
3	خيان حاكم البلاد الأجنبية (حقا خا سوت) "خيان"	بانانس / أبانانس / إيان / يناس	خايان / خيّان	ريان بن الوليد / الريان بن الوليد	هو الملك الذي عاصره يوسف ويعقوب عليهما السلام وهو صاحب الرؤيا المشهورة بالسبع العجاف وفي عصره تم تمكين يوسف وأصبح عزيزا لمصر وقد آمن بدعوة يوسف عليه السلام ومات على ذلك والتقى في حياته بيعقوب عليه السلام ، وفي عصره تم تخزين الغلال والحبوب ومقايضتها مع أهل مصر وأهل البلاد الأخرى اللاجئين إلى مصر وفي عهده امتدت امبراطورية الهكسوس من مصر إلى أرجاء الهلال الخصيب والشام وازدهرت الثروة في أيدي العماليق واشتهر شهرة واسعة لاستعانته بيوسف عليه السلام. وقد وجدت له تماثيل صغيرة وجعارين في أرجاء كثير في بلاد الشرق. (راجع حديثنا عن الملك خيان / الريان في هذا الفصل)
5	لم يقترن ذكر "دارم" بإسم مشابه لأي ملك في قوائم الملوك ولعله من الأسماء المفقودة	لم يرد ذكره عند مانيتون	لم يتم مقاربة الإسم مع أي اسم آخر في المعثور عليه	دارم بن الريان دريموش داريوس	وهو إبن الملك الريان وفقا للروايات العربية وتوفي يوسف عليه السلام في عصره ، وبعد موت يوسف عليه السلام بفترة غرق دارم في النيل بين طرة وحلوان وفقا لكلام الإخباريين العرب وقد تقدم ذكره في هذا الفصل.
6	ورد ذكر أحد الملوك باسم "بينم" في قوائم الملوك	ورد ذكره عند مانيتون بإسم "بيعون/ بنون Benon/ بينون Be'on" وحاول البعض مقاربته مع اسم "فرعون" لكن يوسفوس قال إن الملك الذي طرد اليهود هو أحمس نفسه!	بيون / بيعون	الوليد بن مصعب قابوس بن مصعب	هناك من يرجح بأنه هو بنفسه "فرعون" الذي عاصر موسى عليه السلام لكن لا يوجد دليل على ذلك ، أما العرب فقالوا إن اسم فرعون هو "الوليد بن مصعب" وهو الإسم الذي يطلقه المؤرخون العرب على فرعون موسى عليه السلام !! ، ويقول بعضهم أن الوليد وقابوس هما شخص واحد ويقول البعض أنهما أخوين ، وهو اضطراب ظاهر عندهم في تعيين اسم فرعون.

م	بردية تورين (قائمة ملوك مصر القديمة)	صيغة الاسم من الآثار / مانيتون / يوسفوس / أفريكانوس	صيغة الاسم على الجعارين والآثار	صيغة الاسم أو اللقب عن المؤرخين العرب	ملاحظات
7	لم يرد ذكر أسيس في قوائم الملوك	أسيس / أسيث (لقب أمير أو وزير)	لم يعثر له على جعارين أو آثار	عزيز / العزيز	وهو منصب يبدو في سياق القصة أنه أحد الحكام الكبار تحت منصب الملك مباشرة لكنه يكون متصرفا ومعنيا بأحد شئون الدولة الكبرى ، فمثله كعزيز الشرطة مثل العزيز الذي ربى يوسف وتسميه التوراة فوطيفارع / فوطيفار بينما أسماه المؤرخون العرب إطفير / قطفير ، وعزيز الزراعة وصوامع الغلة وهو المنصب الذي تقلده يوسف عليه السلام. والعزيز لقب لهذا المنصب لم يعرفه المصريون لكنه لقب عربي عمليقي كان معروفا عند الهكسوس العماليق.

وتوجد مجموعة أخرى لم يتضمنها الجدول وهم باقي ملوك العماليق الستة الذين ورد ذكرهم عن المؤرخين العرب كما ورد ذكرهم في الآثار والقوائم بأسماء مختلفة ومنهم سكير-هار أو ما يمكن نطقه صقر-حر وقد ذكرنا هنا بهذا الجدول سنان بن علوان وهو الملك المعاصر لإبراهيم عليه السلام وكان بأقصى شرق مصر عند الفرما بشمال سيناء كما أوضحنا من قبل.

وذكرنا أيضا الوليد بن دومغ العمليقي وهو أول ملك يتمكن من الحكم المركزي في مصر ، والملك خيان أو ريان بن الوليد وهو أعظم ملوكهم على الإطلاق وهو الذي رأى حلم المجاعة الشهير وعاصر يوسف واستوزره وآمن به حتى مات ، ونذكر منهم أيضا الأسماء التالية:

- **دارم بن الريان**

وهو الملك الرابع بعد سنان بن علوان والوليد بن دومغ وريان بن الوليد وهو "دارم بن الريَّان بن الوليد" أي أنه وفقا لرواية المؤرخين العرب ابن ريان بن الوليد .. وكان حكمه في زمن النبيّ يوسف الذي كان عزيز مصر منذ عهد الريان ، وبعد موته عليه السلام ، جاء في منصب "العزيز" مكانه رجلا خبيثا وشرّيرا.. فقام بأذى الناس وظلمهم وأخذ أموالهم.. وقد تأذى من أفعال دارم هذا كل من القبط والعماليق من قومه وبني إسرائيل فأجمع الكلّ على ذمّه .. فركب النيل للنزهة ، وثار به ريح عاصف فغرق.

يقول المقريزي :

"وملك بعده (أي بعد الريان) دارم بن الريان وسمته القبط "ويموص" وكان يوسف مدبر أمره بوصية أبيه ومات لعهده فأساء السيرة وهلك غريقا في النيل"[101].

ويذكر المقريزي أيضا أن دارم قد خالف سنة أبيه ، وكان يوسف خليفته أي نائبه كما كان نائبا للملك الريان ، فقبل منه تارة وخالفه تارة، وظهرت في أيامه بعض المعادن من فضة وغيرها في أرض مصر فحصل منه شيئا عظيما[102].

---

[101] المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزي.

[102] المصدر السابق.

ودارم هو التي تروي المرويات العربية عنه أنه ركب النيل للتزهة في نهاية عصره فغرق، فلم يوجد إلا بناحية شطنوف[103]، وقيل أن غرقه: فيما بين طرة وحلوان[104].

- **أكسامس / كاشم بن معدان بن دارم بن الريان**

وقد ورد اسمه بصيغ متعددة منها كاسم/ كلسم / أكسامس / كشم / كاشم / كاتم / كاغم / طاشم / قاسم ، وهو اضطراب واضح في ضبط الاسم كما يظهر ، لكنا نوردها هنا للاستئناس ويقال إنه وضع الناس في مراتب، وقسم الأعمال والمقاطعات ، وأمر بإنشاء الأبنية والمباني ، واهتم بالصناعات، ووسع على الناس في أرزاقهم، وأمر بتنظيف الهياكل والمعابد وتجديدها والعناية بأوانيها ومحتوياتها وزاد في القرابين وهو خامس الملوك العماليق وفقا للروايات العربية ومن عده السادس فقد أخطأ فقد سبقه سنان بن علوان والوليد بن دومغ وابنه الريان ثم دارم بن الريان ثم كاشم بن معدان الذي لم يكن أباه ملكا أو لم يستمر في الملك.

ويقال إنه طال ملكه وأنه قد أنشأ مدنا كثيرة وأعمالا جيدة في القطر المصري وأقام سبع سنّين بأجمل أمر ومات وزير أبيه فاستخلف رجلا من أهل بيت المملكة يقال له ظلماً بن قومس وكان حكيما متعدد المواهب وبارعا في كل فنّ وورد في سيرت ظلما بن قومس عجائب وخرافات لا تصدق ولا فائدة من إيرادها هنا غير أنه كان يتطلع للملك وقد اتهمه الناس بأنه قتل كاشم بن معدان بالسم[105].

- **لاطيش بن اكسامس**

ويروي المقريزي عن سيرة لاطيش بن اكسامس ويعدد فيه الصفات السيئة وساق فيه العديد من الروايات والمبالغات التي لا فائدة من المرور عليها وتخلص جميعها إلى أنه كان ظالما وهو أول من بدأ في اضطهاد بني إسرائيل في مصر ونزعهم من مكانتهم

---

[103] شطانوف قرية بمحافظة المنوفية بالدلتا شمال مصر.

[104] المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي.

[105] المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي.

وألغى فيهم الملك الذي كانوا عليه وحط من قدر قبيلتهم التي كانت في زمن يوسف عليه السلام ذات مركز وسلطة بين قبائل العماليق[106].

• قابوس بن مصعب / الوليد بن مصعب

وهذا هو فرعون عند الإخباريون العرب ، وبعضهم يسميه الوليد بن مصعب، وقيل هو من العمالقة وهو سابع الفراعنة العماليق إذا بدأنا العد بالملك سنان بن علوان ، أما إذا احتسبنا الملوك بدءا من الملوك المركزيين الذين حكموا الدولة المصرية بكل أقاليمها ومقاطعاتها وفرضوا الجزية على باقي المقاطعات والأقاليم التي ظلت تحت الحكم الذاتي فإننا نبدأ بالوليد بن دومغ ويصبح ترتيب هذا الملك – الوليد بن مصعب – السادس بين ملوك العماليق.

أمراء الهكسوس أو الهكسوس الصغار أو ملوك القبائل والمقاطعات:

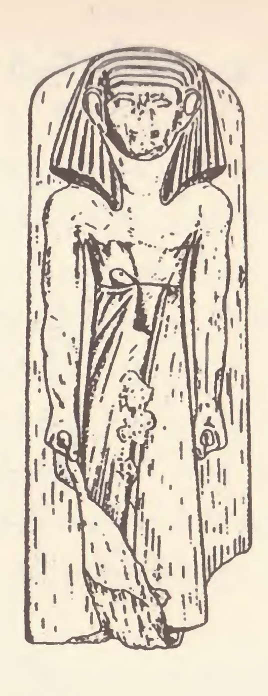
من واقع الآثار المحدودة المعثور عليها لفترة الهكسوس داخل مصر وخارجها ومن واقع القوائم التي سبق ذكرها بالإضافة إلى ما نُقل لنا عن تاريخ مانيتون بواسطة يوسفوس وأفريكانوس وجوليوس فقد تجمع لدى العلماء مجموعة كبيرة من الأسماء التي من المفترض أنها لحكام الهكسوس.

وقد ذكرنا من قبل كيف أن تلك الأسماء الكثيرة يستحيل أن يكون أصحابها قد حكموا مصر كملوك لها ولكنهم كانوا مجرد حكام لقبائلهم وأمراء مقاطعات كانوا موجودين في نفس الوقت الذي كان فيه الملوك يحكمون البلاد.[107]

---

[106] المصدر السابق.

[107] خالد علي نبهان – التحليل اللغوي لأسماء الهكسوس – مقال : وبلغ عدد ملوك الهكسوس من الأسرة الخامسة عشرة ستة أطلق عليهم اسم (الهكسوس الكبار) وكان يعاصرهم عدد من الملوك الأجانب الذين كانوا ، على ما يبدو ، يحكمون فى الوقت ذاته فى مناطق محدودة المساحة ، وهم ملوك الأسرة السادسة عشرة ، ويطلق عليهم اسم (الهكسوس الصغار) . ولما كان هؤلاء حكاماً محليين فإن آثارهم أقل بكثير من آثار الهكسوس الكبار ، وعرف من أسمائهم ثلاثة ، كان واحد منهم يحمل اسماً سامياً هو (عنات هر) ، يتضمن اسم المعبودة الكنعانية المعروفة عنات ، وقد عثر لأحدهم على خنجر مصنوع من البرونز الدمشقى فى منطقة سقارة .

تمثال ملكي من عصر الهكسوس

ونلاحظ في أن هؤلاء الحكام قد تلقّبوا بالألقاب الملكية المصرية واقترن اسم بعضهم بـ"رع" إله المصريين ، وبعضهم قد تم تلقيبه بلقب "الإله الطيب / الراعي الصالح" ويقال أن هذا اللقب يعني "الراعي الصالح" ، كما تم تلقيب بعضهم بلقب "ابن الشمس" ، وفيما يلي بعض الأمثلة من أسماء ملوك القبائل الهكسوسية:

- الإله الطيب الراعي الصالح "عاقنن رع ابن الشمس " أبو فيس (وهو الأمير الهكسوسي الذي بدأ المصريون الحرب ضد الهكسوس في عهده[108].

[108] أبوفيس : أبو بمعنى : صاحب ، مالك لكذا = ذو ويقال أبو الفضل ، أبو الخير ، أبو الجود ، أى متملك له ، موصوف به ، انظر د.على فهمى خشيم : (اللاتينية العربية) ، ص 37 ، (فيس) = (في) وتعنى (الحية) والسين (زائدة لغوية) ، وقد يشير معنى اللقب إلى الارتباط بالحية (في) أو ادعاء الألوهية مثلما ارتبط اللقب (فرعون) بالحية وادعاء الألوهية أيضاً! وكانت الفتيات فى مصر القديمة يعلقن فى رقابهن ما يعرف برقية (أبو فيس) المعبود وهو ثعبان الكوبرا الضخم . كذلك كانت توضع تماثيل هذا الإله فى البيوت لحمايتها ، وبصفة عامة عبد =

- حاكم البلاد الأجنبية (حقا خا سوت) " سمقن"
- حاكم البلاد الأجنبية (حقا خا سوت) " عانت هر"
- الإله الطيب / الراعي الصالح "عا حتب رع "
- الإله الطيب / الراعي الصالح "مرو سر رع "
- الإله الطيب / الراعي الصالح "وازد"
- الإله الطيب / الراعي الصالح "خع وسر رع "
- الإله الطيب / الراعي الضالح "سخع ن رع "
- الإله الطيب / الراعي الصالح "ماع اب رع "
- الإله الطيب / الراعي الصالح "نب تاوى رع"
- الإله الطيب / الراعي الصالح "خع مو رع"
- ابن الشمس "ششى "
- ابن الشمس "سكت"
- ابن الشمس "إع"
- ابن الشمس "عامون"
- ابن الشمس "قار"

اسم يعقوب يظهر في الآثار المصرية / الهكسوسية :

وجد اسم يعقوب- هر أو ما يحتمل قرائته يعقوب-حار / يعقوب-إل / يعقوب-حر على أحد جعارين فترة الهكسوس ومكتوب باللغة المصرية القديمة وبالكتابة الهيروغليفية التصويرية ، واعتقد البعض أنه ملك من ملوك الهكسوس المركزيين لكن الأرجح هو أن الاسم قد تم تسجيله على هذا الجعل / الجعران على أنه حاكم قبيلة أو أمير مقاطعة أي أنه ملك من ملوك قبائل الهكسوس المتحالفة التي كان لكل منها ملك

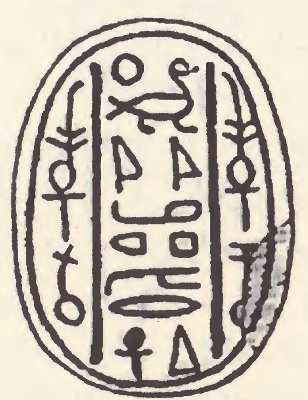
- المصريون الثعبان السام (الكوبرا) فى شكلين مختلفين ، وإن كان كل منهما يؤدى وظيفة الحماية عينها : الأول فى صورة الآلهة بوتو حامية ملك مصر ، والثانى هو الصل حامى إله الشمس وزميله ، العلاقة إذاً وثيقة بين اسم الملك (أبوفيس) و(الحية).

أو أمير ويحكمون في الوقت ذاته بعض المقاطعات وهم من أصبح يطلق عليهم الآن (الهكسوس الصغار).

ورغم كل العلامات الواضحة على أن الاسم يخص سيدنا يعقوب عليه السلام حين كان ملكا لقبيلته في مصر وحاكما لها في عصر الهكسوس إلا أننا لا نجد عالما واحدا يتبنى تلك النظرية لأسباب غير مفهومة.

لكن الآن يمكننا الترجيح بشكل كبير على أن هذا الأثر الفريد من نوعه يؤكد على حقيقة وجود بني إسرائيل في مصر في عهد الهكسوس تحديدا كما يؤكد على أن يعقوب والأسباط كانوا يكونون قبيلة من قبائل التحالف الهكسوسي للعماليق في مصر وأنهم قد اتبعوا هذا النظام الملكي القبلي جريا على نفس العادة التي اتبعها الهكسوس رغم اشتراكهم جميعا تحت الحكم المركزي للهكسوس الكبار.

وهذا ما يتوافق مع الآية الكريمة التي ذكرناها في الفقرة السابقة: ورفع أبويه على العرش. يوسف



جعران من فترة الهكسوس وجد في إقليم شرق الدلتا يظهر عليه اسم يعقوب

• اسم "قارون" يظهر في الآثار المصرية / الهكسوسية:

وكما أثبتنا وسنثبت طبيعة تركيب كل الأسماء التي كانت تعيش تلك الفترة فإن الأسماء المقترنة في آخرها بصيغة "ون" أو " ان " مثل فرعون وهارون وهامان وقارون وصيدون وجدعون وعسقلون / عسقلان ، وحبرون ، شمشون وغيرها من الأسماء

القديمة قد اتفق على أن تلك النهاية هي لازمة لغوية توضع في نهاية الأسماء وقد كانت معتادة عند كل شعوب الشرق الأدنى القديمة وفي كل لهجاتهم ولغاتهم.[109]

لذلك لم يكن من الصعب المقارنة بين ما وجد كاسم أحد الحكام في عصر الهكسوس وقد كان ملكا لقبيلته في تحالف القبائل الهكسوسية على الراجح وهو الحاكم المذكور باسم "قار" ابن الشمس.[110]

وبالطبع إذا كان اسما كاسم هارون المتكون من جزئين (هار — ون) ويعني الجبل / الجبلي كناية عن القوة / موطن القوة.

واسما كاسم هامان (هام — ان) ويعني صاحب الهامة أو الجسيم أو الفارع.

و صيدون (صيد — ون) وهي مدينة واسمها الحالي صيدا واسمها يعني مدينة الصيد.

وجدعون (جدع — ون) وهو إسم كنعاني معناه "حاطب" أو "قاطع بشدة" من الفعل "جدع" وهو نفس المعنى باللغة العربية مثلما يقال " جدع أنفه " أي قطعها أو كسرها.[111]

وشمشون (شمش — ون) وهو إسم كنعاني وبابلي أيضا ومعناه الشمس أو الشمس الصغيرة بصيغة التصغير كما في اللغة العربية وغيرها.

وعلى نفس هذا النمط في تركيب الأسماء السامية القديمة نجد "قارون" التي تتركب من المقطعين "قار-ون" ، وذلك الفعل "يقر" العبري هو الفعل "وقر" العربي وكلاهما يفيد معاني الثقل والعظمة والمال، فالوقر يعني الحمل الثقيل والوقار من معانيه العظمة، وحينما اشتق القرآن الكريم من "يقرون" اسم قارون لم يبعد كثيرا عن قواعد اللغة العبرية والكنعانية حيث يشتق من "يشرون" اسم "شارون"، فاختيار القرآن لاسم "قارون" كان إعجازا لفظيًا ، إذ يتماشى مع قواعد اللغة العبرية والكنعانية، وفي نفس

---

[109] مؤمن محمد سالم — فرعون وقومه كانوا هكسوسا و لم يكونوا مصريين.

[110] رجح البروفيسير جيمس بيتر ألن أن الاسم المكتشف "قار" يرجع لعصر الهكسوس أثناء حكم الأسرة الخامسة عشر وليس للأسر المصرية كما كان يعتقد لأنه اسم سامي كنعاني ، انظر Daphna Ben-Tor, Susan J. Allen, James P. Allen: Seals and Kings. In: Bulletin of the American Schools of Oriental Research Bd. 315, 1999

[111] وهو ما يقابله في اللغة العربية اسما كاسم "هاشم" الآتية من المصدر " هشم " أي كسر وحطم ، ويعتبر اسم "هاشم " هو النسخة العربية من اسم " جدعون.

الوقت يعني المنير وهو نفس اسم "يصهار"، كما أنه يتضمن الحمل الثقيل، وفيه إشارة إلى كنوزه التي كانت مفاتيحها من الثقل، بحيث يعجز عن حملها الرجال الأشداء.[112]

ويقول أكثر المؤرخين وأهل العلم[113] : إنه كان ابن عم موسى - عليه السلام - فهو قارون بن يصهب / يصهار بن قاهث بن لاوي، وموسى هو ابن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقيل: إنه يصهار عم موسى الذي ورد ذكره في التوراة ولكنا نعرف الآن أن يصهار هو والد قارون.[114]

وظهور اسم قارون بهذا الشكل في آثار الهكسوس الباقية يؤكد أن قبيلة بني إسرائيل كانوا جزءا من قبائل الهكسوس التي كانت تحكم مصر في العصر الانتقالي الثاني.



جعران من فترة الهكسوس يظهر عليه اسم قار/ قارون بالكتابة واللغة المصرية وقد ورد كحاكم مقاطعة وملك من ملوك القبائل الهكسوسية

[112] توهم وقوع الخلط في القرآن بشأن قصة قارون— بحث — موقع بيان الإسلام.

[113] قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، دار القدس، القاهرة، ط1، 2006م، ص345.

[114] فضلا عن أن اسم قارون يحمل معنى آخر، حاء في تفسير القرطبي والرازي ، وجاء في قصص الأنبياء كذلك أن قارون كانت كنيته في قومه المنور؛ لوضاءته وجماله وحسن صوته بالتوراة ، كما أن الجذر العبري "قرن" معناه: "أنار وأضاء وأشع، واشتق منه: قارون بمعنى الأوار المنور" ، وبالتالي فنسبه يكون : قارون بن قاهث بن لاوي بن يعقوب – عليه السلام – وليس كروسوس ولا قورح أو حتى قورش.

وفاة يوسف عليه السلام:

عندما توفي يوسف عليه السلام أراد من تبقى من إخوته وأولاده نقل جثمانه إلى فلسطين لكن عوام الناس المؤمنين بدعوته من أهل مصر ومن العماليق الهكسوس أيضا منعوهم من ذلك وتجمهروا على ذويه كل منهم يطلب أن يدفن في منطقته لنيل البركة، ووصل بهم الخلاف والتراع حتى كاد أن يقع بينهم قتال حبا في يوسف ولأخلاقه وعدله وسيرته الحسنة ، فتوصل بنو يعقوب وأحفاده إلى أن يدفنوه في تخوم نهر النيل تحت أحد القنوات النيلية حتى يمر الناس على مدفنه فتصلهم بركته ولايحرم أحد منها فقبل الجميع بذلك واقتنعوا بالفكرة فصنعوا صندوقا من رخام المرمر ووضعوا جسد نبيهم ومليكهم يوسف عليه السلام فيه ، ثم وضع الصندوق في صندوق آخر من معدن وسد بالرصاص لإحكام غلقه وجعلوه في مجرى من النيل وأثبتوه بالسلاسل عند القاع عند أحد الروافد المارة بمدينة منف وقيل عند أحد مغايض النيل بأرض جاسان، وهو المكان الذي أخرجه منه موسى وهارون عليهما السلام عند الخروج من مصر تنفيذا لوصية يوسف بدفنه مع آباءه وأجداده في مغارة المكفيلة في مدينة الخليل حبرون.

وكان يوسف عليه السلام قد أوصى أخاه الأكبر منه يهوذا ، وهو على ما يبدو ممن تبقى من أكبر إخوته أن يكون ملكا على قبيلة بني اسرائيل بعد موته وذلك عندما شعر بدنو أجله وقد روري أنه رأى في منامه أباه يعقوب عليه السلام يدعوه أن يلحق به فعرف أنه ملاقيه بعد وقت قصير ، وقيل أنه قد لحق به بعد رؤياه بثلاثة أيام فقط ، لذلك دعا يوسف عليه السلام ربه كما ورد في سورة يوسف:

"رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ"[115].

---

[115] سورة يوسف.

وفي هذا يقول الطبري في تاريخه:

"عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : قبض الله يوسف ، وهلك الملك الذي كان معه الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر ، فنشر الله بها بني إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض ، كما ذكر لي ، في صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء ، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة ، وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ، ويعقوب ، وإسحاق ، وإبراهيم ، شرعوا فيهم من الإسلام متمسكين به ، حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه ."

ويقول ابن خلدون : "وأقام يوسف صلوات الله عليه بعد موت أبيه ومعه اخوته إلى أن أدركته الوفاة فقبض لمائة وعشرين سنة من عمره وأدرج في تابوت وختم عليه ودفن في بعض مجارى النيل وكان يوسف أوصى أن يحمل عند خروج بنى اسرائيل إلى أرض اليفاع فيدفن هنالك ولم تزل وصيته محفوظة عندهم إلى أن حمله موسى صلوات الله عليه عند خروجه ببنى اسرائيل من مصر ولما قبض يوسف صلوات الله عليه وبقى من بقى من الاسباط اخوته وبنيه تحت سلطان الفراعنة بمصر تشعب نسلهم وتعددوا إلى أن كاثروا أهل الدولة وارتابوا بهم فاستعبدوهم".

ويقول أيضا في وفاة يعقوب ودفنه خارج مصر في مدينة الخليل حبرون :

"ثم قُبض يعقوب صلوات الله عليه لسبع عشرة سنة من مقدمه ولمائة وأربعين من عمره وحمله يوسف صلوات الله عليه إلى أرض فلسطين وخرج معه أكابر مصر وشيوخها بإذن من فرعون واعترضهم بعض الكنعانيين في طريقهم فأوقعوا بهم وانتهوا إلى مدفن ابراهيم واسحق عليهما السلام فدفنوه في المغارة عندهما".

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: "كَانَ اسْمُ الَّذِي اشْتَرَاهُ قِطْفِيرَ ، وَقِيلَ : إِنَّ اسْمَهُ : أَطْفِيرُ بْنُ رُوحَيْبَ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ ، وَكَانَ عَلَى خَزَائِنِ مِصْرَ ، وَالْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ : الرَّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ ، رَجُلٌ مِنَ الْعَمَالِيقِ" كَذَلِكَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، فَأَمَّا غَيْرُهُ فَإِنَّهُ قَالَ : كَانَ يَوْمَئِذٍ الْمَلِكُ بِمِصْرَ وَفِرْعَوْنُهَا : الرَّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ ثَرْوَانَ بْنِ أَرَاشَةَ بْنِ قَارَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عِمْلاقِ بْنِ لاوذَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ هَذَا الْمَلِكَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى آمَنَ وَاتَّبَعَ يُوسُفَ عَلَى دِينِهِ ، ثُمَّ مَاتَ وَيُوسُفُ بَعْدُ حَيٌّ ، ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ قَابُوسُ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ نُمَيْرِ بْنِ السلوَاسِ بْنِ قَارَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عِمْلاقِ بْنِ لاوِذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَكَانَ كَافِرًا ،

فَدَعَاهُ يُوسُفَ إِلَى الإِسْلامِ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ ، وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ التَّوْرَاةِ أَنَّ فِي التَّوْرَاةِ : إِنَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ وَالْمَصِيرِ بِهِ إِلَى مِصْرَ ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً يَوْمَئِذٍ ، وَإِنَّهُ أَقَامَ فِي مَنْزِلِ الْعَزِيزِ الَّذِي اشْتَرَاهُ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَإِنَّهُ لَمَّا تَمَّتْ لَهُ ثَلاثُونَ سَنَةً اسْتَوْزَرَهُ فِرْعَوْنُ مِصْرَ ، الْوَلِيدُ بْنُ الرَّيَّانِ ، وَإِنَّهُ مَاتَ يَوْمَ مَاتَ وَهُوَ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ وَعَشْرِ سِنِينَ وَأَوْصَى إِلَى أَخِيهِ يَهُوذَا ، وَإِنَّهُ كَانَ بَيْنَ فِرَاقِهِ يَعْقُوبَ وَاجْتِمَاعِهِ مَعَهُ بِمِصْرَ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَإِنَّ مَقَامَ يَعْقُوبَ مَعَهُ بِمِصْرَ بَعْدَ مُوَافَاتِهِ بِأَهْلِهِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَإِنَّ يَعْقُوبَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْصَى إِلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَكَانَ دُخُولُ يَعْقُوبَ مِصْرَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَهْلِهِ"[116].

وبذلك فقد مات الريان بن الوليد، ومات يعقوب عليه السلام ودفن في مدينة الخليل حبرون في فلسطين ثم مات يوسف عليه السلام عن عمر يناهز مائة وعشرة سنة ودفن في تابوت تحت مياة النيل وكل هذا ومازال بنو إسرائيل يعيشون في عهد العماليق الهكسوس كما هو واضح حتى أدركهم الزمان الذي حكم فيه فرعون ذو الأوتاد.

بنو إسرائيل في مصر من بعد نبي الله يوسف:

لا شك أن بني إسرائيل في مصر في عهد يوسف عليه السلام وبعده — كما رأينا — قد وصلوا إلى مناصب رفيعة ، وكونوا قبيلة وطائفة خاصة بهم على غرار قبائل الهكسوس التي أصبحت القوة المسيطرة على مصر كما علمنا ، فضلا عما امتلكوه من الأرض، وتذكر التوراة أنهم امتلكوا أراضي في أفضل وأخصب الأرض التي كانت في أرض جاسان وفقا للرواية التوراتية أما مدينة رعمسيس التي ذكرتها التوراة في سياق القصة فنحن نعرف جيدا أنها لم تتواجد إلا بعد هذا العصر بقرون، وكما سبق أن دللنا من أن من كان يحكم مصر في تلك الآونة هم الهكسوس وليس المصريين، والأدلة والشواهد على ذلك كثيرة ومنها ما أوردنا في الفصل السابق وفي هذا الفصل، يقول الأستاذ سليم حسن في كتابه مصر القديمة[117]:

[116] الكامل في التاريخ لابن الاثير.

[117] مصر القديمة — سليم حسن — الجزء الرابع — الهيئة المصرية العامة للكتاب.

"وبعد فترة من الزمن[118] دخلت أسرة يعقوب مصر واتخذوها موطنا لهم، ومن المحتمل أن لدينا في هذا الحادث ذكرى لاحتلال الهكسوس الشامل للوجه البحري" أ. هـ

ويقول في نفس الموضع :

" لا نزاع أن قصص الأنبياء تحفظ لنا في ثناياها ذكريات في حوادثها لها قيمتها التاريخية ؛ وقد أماطت اللثام عن بعضها الكشوف الأثرية الحديثة من ذلك القَصص التي تحتوي على عناصر من القانون الحوراني (سفر التكوين في العهد القديم) ، وتدل شواهد الأحداث أن يوسف كان وزيرا لأحد الفراعنة الهكسوس في مصر (سفر التكوين)، وكذلك الآراميون يجوز أنهم كانوا ضمن هجرة الهكسوس ..."أ. هـ[119]

وقد أصبح الآن من المؤكد لدينا من هذا الكلام وغيره أن أحداث قصة يوسف عليه السلام قد جرت في عهد الهكسوس دون غيره من العهود .

وتذكر التوراة أيضا أن الملك في عهد يوسف عليه السلام قد جعل من أفراد عائلة يعقوب رؤساء على حظائر المواشي ، وذلك لأنهم كان لهم خبرة في رعي الأغنام والحيوانات ، فكان حَرِيًّا بهم أن يمتهنوا مثل تلك المهنة التي تتناسب مع خبرتهم في رعي الأغنام ، ومع الوقت ازداد نفوذ بني إسرائيل وتعاظم ، وخاصة مع ما وصل إليه يوسف عليه السلام من مكانة قريبة من الملك الهكسوسي الذي جعله في أعلى منصب بعد منصب الملك مباشرة ، فكان كما ذكره القرآن في منصب العزيز ، وفي التوراة أرفع منصب بعد منصب الملك.

ومن المحتمل والجائز بالطبع أن يكون بني إسرائيل قد تقلدوا مناصب ملكية في مصر قبل وبعد وفاة الملك الهكسوسي الذي كان في عهد يوسف عليه السلام وهو الريان بن الوليد العمليقي أو الملك خيان ، فضلا عن كونهم ملوكا على قبيلتهم ، وقد تملك يوسف عليه السلام نفسه ملك مصر بالنيابة عن الملك فقد كان نائب الريان وعزيزا لمصر وهو أكبر منصب بعد منصب الملك مباشرة ، قال تعالى :

[118] ذهب الدكتور رشدي البدراوي إلى أن فترة دخول إبراهيم عليه السلام لمصر كانت في عهد الملك المصري سنوسيرت.

[119] المصدر السابق.

"رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ"[120].

لكنا نعرف أيضا على وجه الترجيح أن كل من يعقوب ويوسف ويهوذا على الترتيب قد أصبحوا ملوكا لقبيلة بني إسرائيل أثناء فترة إقامتها المؤقتة في مصر ، ورغم أن يوسف عليه السلام كان عزيزا لمصر لكنه فضل أن يجعل أباه يعقوب عليه السلام ملكا ورئيسا للقبيلة أسوة بما كان جاريا وقتها عند باقي قبائل الهسكوس وتقديرا من يوسف عليه السلام وتكريما لشخص أبيه النبي في شيخوخته ، وقد يكون ذلك تفسيرا للآية التي وردت في أواخر سورة يوسف عليه السلام :

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾. يوسف 100"

ويدعم هذا الكلام قول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ المائدة20

وقول موسى هذا يأتي بعد الخروج من مصر مباشرة ، حيث كان موسى يُذكّر بني إسرائيل بنعم الله عليهم ، وكيف أن الله تعالى قد جعل فيهم أنبياءً ، وجعلهم ملوكا ، وهي الفترة التي يرجح أنها كانت أثناء وجودهم في مصر في عهد يوسف عليه السلام أو بعد عهده مباشرة ، وهو ما يتزامن مع عهد الهكسوس ، حيث أن الفترة التي تسبق دخولهم إلى مصر لم تكن فترة ملك ، ولكنها كانت فترة قبلية وبداوة ، ولم يعرف النبي يعقوب عليه السلام حياة المدنية إلا في أواخر أيامه في مصر ، ثم أعقبتها فترة حياته في مصر قبيل وفاته ، ثم عاش بني إسرائيل من بعده فترة الملك المحتملة هذه ، ثم تدهور بهم الحال من بعد عهد يوسف عليه السلام بفترة حين اضطهدهم فرعون وسامهم سوء العذاب ، فأصبحوا عبيدا بعد أن كانوا سادة وملوكا ، ثم أعقب ذلك خروجهم من مصر مع موسى عليه السلام الذي قال لهم تلك المقولة المبينة في الآية الكريمة السابقة ، وعلى ذلك فإن الفترة الوحيدة التي يحتمل وصول بني إسرائيل فيها إلى الملك ، هي تلك الفترة التي عايشوها مع يوسف وبعد عهده بقليل أي أثناء حكم الهكسوس ، لأن ما قبلها كانت حياة بداوة وقبلية ، وما بعدها كانت حياة عبودية

---

[120] سورة يوسف.

وقهر ، ثم انتهت عبوديتهم بخروجهم المعروف من أرض مصر إلى صحراء سيناء والتي أعقبها ضياعهم في التيه.

فقول موسى عليه السلام ينحصر في هذه الحقبة التي عاشوها بين حياة يعقوب في أرض كنعان وبين ضياعهم في التيه ، مرورا بفترة اضطهادهم في مصر على يد فرعون الطاغية .

ومما يزيد الاعتقاد أن بني إسرائيل كانوا يعيشون في نوع من الحكم الذاتي كباقي قبائل الهكسوس ما ذكرته التوراة في سفر الخروج:

وَسَكَنَ إِسْرَائِيلُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، فِي أَرْضِ جَاسَانَ، وَتَمَلَّكُوا فِيهَا وَأَثْمَرُوا وَكَثُرُوا جِدًّا. سفر التكوين27 :47

وكلمة تملكوا فيها تعني أنهم أصبحوا ملوكا على قومهم وتملكوا الأرض التي عاشوا عليها.

ولم يتغير الأمر كثيرا بعد وفاة كل من يعقوب عليه السلام ثم الملك الريان ثم يوسف عليه السلام ، وأصبح يهوذا بن يعقوب ملكا لقبيلته وظل بنو إسرائيل على دينهم وأموالهم ومناصبهم كرؤساء لمراعي الماشية إلى أن جاء أحد ملوك الهكسوس العماليق الذين بدأوا يحطون من قدرهم.

عن ابن عبّاس أنه قال: إنّ الله تعالى لما قبض يوسف وهلك الملك الذي كان معه (الريان العمليقي)، وتوارثت الفراعنة ملك مصر ، ونشر الله بني إسرائيل ، ولم يزل بنو إسرائيل تحت يد الفراعنة ، وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام ، حتى كان فرعون موسى.[121]

والملفت للنظر في تلك النصوص هو التأكيد المتواصل على أن الفراعنة قد توارثوا مُلك مصر وأن بني إسرائيل قد ظلوا تحت حكمهم ، وقد علمنا مسبقا على وجه التأكيد كيف أن هؤلاء الحكام كانوا من الهكسوس العماليق ، وأن جميع المؤرخين العرب ما زالوا يؤكدون أن الفراعنة هم عمالقة مصر ، فما مدى صحة هذا الكلام تاريخيا ؟

هذا ما سنبينه بالأدلة المناسبة في الفصل القادم.

---

[121] تفسير ابن كثير.

بنو إسرائيل ... ملوكا!!!

كان الهكسوس يحكمون حكما مركزيا مثل المصريين في عهد الأسرة الخامسة عشر الهكسوسية ، ومع ذلك فقد احتفظوا بالنظام القبلي مع إقامة تحالف يجمع كل القبائل الهكسوسية التي كانت تعيش في مصر وقتها والحفاظ على نظام الملك الداخلي لتلك القبائل.

فكان لكل قبيلة شيخ رئيس أو زعيم لكن اللقب المعروف دائما لرئيس القبيلة هو "ملك".

وقبيلة بني إسرائيل لم تكن استثناءا وتحديا منذ قدومها إلى مصر حيث أصبحت قبيلة من قبائل التحالف الهكسوسي وكان لا بد لها من ملك كغيرها من القبائل ، لذلك وبمجرد قدوم يعقوب وأبناءه إلى مصر كان من المنطقي أن يرفع يوسف عليه السلام أبويه على العرش تكريما لهما ولإقرار الوضع الطبيعي بأن يكون يعقوب عليه السلام ملكا على قبيلته التي أنشأها من ذريته.

وكان يوسف عليه السلام رئيس قبيلة بني إسرائيل بعد وفاة والده يعقوب فقد رفع أبواه على العرش مسبقا – وهو عرش الملك لقبيلة بني إسرائيل - حين قدومهم إلى مصر فلما مات يعقوب أصبح يوسف ملكا لقبيلته ، وهو الذي في الأساس قد تقلد منصب العزيز منذ أن ولاه الملك الريان المنصب لإدارة أزمة المجاعة ، ولكننا نرى أن يوسف عليه السلام يوصي إخوته عند وفاته بأن يحل محله أخوه الأكبر يهوذا الذي يبدو أنه كان أطول عمرا من يوسف عليه السلام أو أنه أكبر الأسباط المتبقين على قيد الحياة عند وفاة يوسف عليه السلام.

وقد استخلف يوسف عند موته أخاه يهوذا ملكا على قبيلة بني إسرائيل وفقا لعادة الهكسوس العماليق الذين كانوا يحكمون مصر وقتها ، والآية القرآنية واضحة الدلال جدا في هذه النقطة :

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ يوسف: 101.

إذن فيوسف عليه السلام كان ملكا لقبيلته بعد وفاة يعقوب عليه السلام ، وكان نائبا للملك في الدولة المصرية التي يحكمها الهكسوس وهو أعلى منصب ملكي بعد منصب الملك نفسه.

ويروَى في الأثر أن الملك الريان قال ليوسف عليه السلام : "لستُ أعظم منك إلاّ بالكرسي".

أما الآية التي تقول :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة المائدة 20

وهذه المقولة قد حدثت بعد الخروج من مصر مباشرة ، وهم قبل إقامتهم في مصر كانوا في فترة بداوة وترحال وأثناء إقامتهم في مصر في عهد فرعون كانوا في حياة ذل وعبودية ، فمتى يمكن أن تكون تلك الفترة التي ذكرها موسى عليه السلام ؟

إن الجواب هو أن الفترة الوحيدة التي أصبح فيها بني إسرائيل ملوكا هي الفترة المحصورة من تقلد يوسف منصب العزيز وحتى قبيل فرعون ، والملوك المذكورين هم على الترتيب "يعقوب ، يوسف ، يهوذا ، ولم يصبحوا ملوكا لمصر كما كان يتصور البعض، بل إنهم كانوا ملوكا على أنفسهم أي لقبيلتهم التي كانت تعيش في مصر معيشة مؤقتة.

الفصل الرابع: "فرعون ذو الأوتاد" ملك الهكسوس العماليق!

- تمهيد
- رواية ابن عباس المطوّلة لقصة موسى وهارون مع فرعون.
- كيف بدأ اضطهاد بني إسرائيل فى مصر بعد أن كانوا سادة ؟
- لماذا اضطهد فرعون بني إسرائيل دون سواهم ؟
- جعل أهلها شيعا !
- حقيقة الاضطهاد والاستضعاف والعذاب.
- فائدة وعِظة من علو فرعون وإسرافه فى القتل والتعذيب والطغيان.
- شرذمة قليلون ! هو تعداد بني إسرائيل عند الخروج من مصر!
- نسب موسى والفترة بينه وبين يوسف عليهما السلام.
- يوسف يعايش قاهث قبل أن يموت.
- بقاء الأسباط فى مصر يزيد قليلا عن عمر امرأة عجوز من بني إسرائيل !
- المدة الحقيقية لبقاء الأسباط فى مصر منذ دخولهم وحتى خروجهم مع موسى عليه السلام.
- المعاصرون ليوسف هم نفس المعاصرين لموسى وهارون عليهم السلام.
- اشتراك بني إسرائيل مع الهكسوس فى الأصل والجذور.
- سنة الله فى إرسال الأنبياء لأقوامهم وبألسنتهم.
- موسى عليه السلام رسول إلى الهكسوس العماليق وبني إسرائيل.
- استحالة إرسال موسى وهارون وأنبياء بني إسرائيل عليهم السلام للمصريين ومخالفة ذلك لسنن الله.
- فرعون اسم علم وليس لقباً !
- تحقيق أسماء قوم فرعون وقوم موسى.
- التسميات الملكية فى اللغة العربية وكيف تحول اسم فرعون للقب الفراعنة.
- العماليق هم الفراعنة وليس المصريون !! ... حقيقة واضحة يتجاهلها الجميع.
- فرعون والفراعنة العماليق فى كتب التراث العربي.
- لغة الأسباط وآل فرعون هي لغة واحدة.

- لغة بني إسرائيل وموسى ولغة مدين هي لغة واحدة.
- الحذر من الإخراج من الأرض والتوجس من ضياع الملك من سمات العماليق وآل فرعون.
- حديث الجنود ... قبيلة فرعون الهكسوسية المحاربة.
- يوم الزينة هو عيد العماليق فى كل مكان.
- الأوتاد من صفات العماليق وثقافتهم.
- آلهة فرعون.
- الطين المحروق ... الفرق بين عمارة العماليق والعرب وبين عمارة المصريين.
- ميراث أرض مصر وميراث الأرض المقدسة بكنعان وسقوط إمبراطورية العماليق فى مصر والشام.
- جنات وعيون مصر القديمة.
- إنذار العماليق بمصير قوم نوح وعاد وثمود واقتران ذكر آل فرعون بقوم تُبَّع.
- فرعون الأبتر.
- الجائحة الشنعاء ودليل آخر من ورقة ساليبه.
- التبني عادة من عادات العماليق الهكسوس لم تكن عند المصريين.
- التطير من صفات العرب والعماليق.
- عقوبة الرجم عند العرب والعماليق الهكسوس.
- الختان عادة مصرية قديمة من عادات القبط وسنة من سنن الشرائع الإبراهيمية لم يعرفها الهكسوس العماليق.
- عقوبة الصلب تثبت أن آل فرعون من العماليق.
- هل كان السحرة مصريين ؟
- دمار آثار فرعون وقومه ... وهل تم تدمير ما تبقى من آثار الهكسوس بفعل فاعل ؟
- تدمير النصوص المصرية عن الهكسوس وإخفاء الأدلة عمدا.
- سر بردية الخروج !!! ... هوارد كارتر يهدد بإفشاء سر البردية التي عثر عليها فى مقبرة توت عنخ آمون!
- فرعون ملك الهكسوس.
- المصريون خارج المعادلة.

تمهيد

"فرعون من الهكسوس ..... !!!"

عبارة صادمة للبعض ، ومحل استنكار البعض الآخر ، ينقسم حولها الناس بين مؤيد ومعارض ومكذّب لكنها تبقى في النهاية هي الحقيقة المجردة التي أصبحت يقينية بالنسبة لي ولكثير من الكتاب والمفكرين الذين سبقوني بتداول تلك الحقيقة!..

إن موضوع البحث عن فرعون والكشف عن هويته قد استحوذ على الكثير من الجهود في البحث والتنظير و لم يحظ موضوع مثله من مواضيع البحث الدائب عن الحقيقة بكل هذا الاهتمام وهو أيضا من أكثر المواضيع إثارة للجدل في أوساط المتخصصين والمهتمين على حد سواء في الآونة الأخيرة رغم اختلاف أهداف الباحثين.

لا بأس إذا في ذلك ، فنحن أمام حاكم طاغية حكم مصر في فترة من فترات تاريخها القديم وتحدى الإرادة الإلهية وتجاوز كل الحدود وتخطى كل الخطوط الحمراء ، فأرسل الله إليه نبيه ورسوله موسى وأخيه هارون عليهما السلام لينذراه ويحذراه من عذاب الله ، وليأمراه بأن يرسل معهما بني إسرائيل ولا يعذبهم ، فكذب وأبى وازداد في عناده وكان من العالين المسرفين ، وادعى الألوهية لنفسه ، فكانت عاقبته أن استحق عذاب الله تعالى في الدنيا بغرقه ، كما استحق في الآخرة أشد العذاب .

و لم تغفل الكتب المقدسة ذكر هذه الواقعة التي جرت في التاريخ القديم ، فذكرها كاتبوا التوراة ، كما ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، ليخبرنا كيف كانت عاقبة المكذبين الطغاة ، ويحذر العالمين من الانسياق وراء سلوكهم حتى لا يصير مصيرهم إلى ما صار إليه أولئك الضالين من البشر.

وقد ورد ذكر "فرعون" في القرآن في خمس وعشرين سورة من القرآن وورد اللفظ "فرعون" في 73 موضعا بدءً من سورة البقرة وحتى سورة الفجر.

وقد توصلنا في الفصول السابقة إلى مجموعة حقائق يجدر الإشارة إليها قبل أن نواصل الإبحار في بقية هذا الموضوع ومنها :

كانت شعوب الشرق الأدنى القديم والجزيرة العربية والشام والرافدين من أصل واحد وفروع متعددة.

العماليق هم شعب كبير انتشر في البلاد وعاصروا الأنبياء.

- حكم العماليق مصر أيضا باسم الهكسوس.
- إبراهيم عليه السلام كان نبيا مرسلا لسلالات الساميين من العماليق وغيرهم.
- إسحق ويعقوب عليهما السلام نبيان في عصر العماليق.
- يوسف عليه السلام رسول إلى العماليق في مصر.
- إجماع الأدلة على معاصرة بني إسرائيل في مصر لعهد الهكسوس العماليق.
- أصبح بنو إسرائيل الأسباط في مصر قبيلة من قبائل الهكسوس المتحالفة.
- وفاة يعقوب ثم وفاة ملك الهكسوس الريان بن الوليد تلاه وفاة يوسف عليه السلام بمصر.
- يهوذا بن يعقوب ملكا على قبيلة بني إسرائيل خلفا لأخيه يوسف عليه السلام.
- مصر تحت حكم ملك جديد لا يعرف يوسف ولا يعرف بني إسرائيل وتولي قارون رئاسة قبيلة بني إسرائيل في مصر.

ويتلخص الموقف أن بني إسرائيل من بعد يعقوب ويوسف عليهما السلام كانوا قبيلة من قبائل تحالف الهكسوس العماليق وعشائرهم المختلفة الذين كانوا يحكمون مصر خلال الفترة من أواخر القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وأن قبيلة بني إسرائيل كان لها ملوك يتولون أمرها ويتعاقبون في رئاستها وأولهم يعقوب عليه السلام نفسه ثم يوسف ثم يهوذا ثم أتي ملك القبيلة "قارون" في زمن موسى عليه السلام لكنه بغى عليهم وسيأتي ذكره في هذا الفصل.

وكان النظام الذي كان فرعون وقومه يتبعونه نظاما عشائريا وقبليا واضحا حيث كان لكل قبيلة رئيس أو زعيم ومعه مجموعة من الحكماء الذين كانوا مستشارين له وهذا يظهر في كلام فرعون للملأ من حوله.

ويقول الدكتور ابو المحاسن عصفور[1] أن الكنعانيين كانوا يتخذون النظام القبلي قبل انشاء المدن وكان لكل قبيلة رئيس او زعيم لكن بعد انشاء المدن أصبح منصب

---

[1] المدن الفينيقية – أبو المحاسن عصفور.

ملك المدينة او المملكة بديلا عن منصب رئيس القبيلة ، وهو ما حدث مع الهكسوس وبني اسرائيل حين استوطنوا في مصر.

لقد كانت فترة الاحتلال الهكسوسي لمصر غامضة مبهمة وساقطة من التاريخ المصري لذلك لم تدون تفاصيلها، وسمح ذلك لم أرادوا تزوير التاريخ أن يفعلوا ما بدا لهم لتهويد التاريخ وفق ما يريدون وبدأوا تزويرهم من التوراة نفسها لتبدأ عملية التهويد منذ عصر مبكر جدا لإعادة كتابِ التاريخ وفقاً لأهوائهم وأهدافهم المستقبلية، ولكن القرآن الكريم المهيمن على ما سواه من الكتب أخبرنا بتفاصيل وأجمل لنا أدلة لم تتوافر في غيره والتي كان من أهمها إخبارنا عن تفاصيل استطعنا من خلالها تصور كيفية هلاك أكبر الجيوش الهكسوسية وموت قائده فرعون ووزيره هامان بطريقة مثيرة غرقا أثناء مطاردته لقبيلة آسيوية بدوية إسمها بني إسرائيل وكل ذلك قبل أن تبدأ معارك أحمس والمصريين ضد من تبقى من الهكسوس بعد تلك الوقائع.

فلم يكن من المعقول أن يخرج ملك مصري بكل جيش مصر خلف قبيلة بدوية يتراوح عددها مابين 4000 : 6000 فرد ، فبنو إسرائيل لم يكن عددهم ستمائة ألف كما ادعت التوراة ، ..ولا يعقل أن يترجى ملك مصري حاشيته في أن يذروه ليقتل آسيويا من قبيلة بدوية كموسى ولا يعقل أن يكون ملك مصري بتلك الهيمنة الضعيفة كي يتواعد مع موسى في يوم الزينة ويجمع السحرة لذلك.

إنما هو ملك هكسوسي آسيوي لغته ولغة قومه مثل لغة موسى..إنها اللغة الكنعانية بلهجة آرامية وهي من أقدم اللغات السامية وشقيقة اللغات السامية كالعربية القديمة والعبرانية التي أتت فيما بعد وانبثقت عن اللغة الكنعانية القديمة.

الخلاصة هى أن هؤلاء الأنبياء والرسل السابقين عندما أرسلهم الله للبشر" كانوا مرسلين إلى قومهم وجنسهم بنفس لغاتهم وكذلك" فرعون موسى و"آل فرعون، فأولئك لم يكونوا من أهل مصر أصلاً....ولا علاقة لهم بـ" قدماء المصريين".. سوى أنهم كانوا محتلين لبلادهم ... وهذه حقيقة يجب أن نتذكرها دائماً ... وتثبت فى الأذهان ... وأن هذا السلسال المتصل من الأنبياء ... بدءاً من" إبراهيم "ثم" إسماعيل "ثم" إسحاق "ثم" يعقوب "ثم" يوسف"ثم" موسى"عليهم

السلام أجمعين ، كانوا مبعوثين إلى أولئك "الهكسوس" أو"الأعراب " أو"العماليق " أو "قبائل البدو الجنود.

رواية ابن عباس المطولة لقصة موسى وهارون مع فرعون:

وقبل أن نبدأ في سياق الأدلة لإثبات هوية فرعون وقومه ، كان لا بد لنا أن نبحر في قصة فرعون وموسى ونستعرض وقائع تلك القصة من وجهة نظر شاملة تروي لنا بشكل عام تلك الأحداث وتلم بتفاصيلها بما يتوافق مع القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

فيخبرنا القرآن الكريم ضمنيا من خلال سياق الآيات عن صفات فرعون الحاكم الطاغية ، وعن صفات قومه كذلك ، غير أن تلك الإشارات لها دلالات لم ينتبه إليها غالبية الناس بمن فيهم الكثيرون من المفسرين ، لكن كما سبق لنا الكلام عن أصول قوم فرعون ، وتركيبة الشعوب في تلك المنطقة وقتها ، كان من الأهمية بمكان أن نسلط الضوء على طبيعة فرعون وقومه من خلال الأحاديث النبوية وآثار الصحابة ومروياتهم جنبا إلى جنب مع الآيات القرآنية حيث أن الأحاديث والآثار توضح وتبين ما فهمناه من آيات القرآن الكريم حول القصة وملابساتها.

وقد تعددت روايات الإخباريين العرب والمؤرخين المسلمين عن قصة موسى عليه السلام مع فرعون كما تقدم في الفقرة السابقة، ولعل من أشمل تلك الروايات هي رواية ابن عباس موقوفا أي من روايته هو مباشرة وليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم والتي يبدو أن التابعي سعيد بن جبير قد نقلها عنه ثم أوردها ابن كثير وابن جرير الطبري في تفسيرهما ويبدو أن هذه الرواية مما أبيح نقلها من الإسرائيليات عن كعب الأحبار وغيره فنقلها بن عباس رضي الله عنه لعدم تعارضها مع القرآن الكريم بل وتوافقها مع الآيات كما سنرى.

ونستطيع أن نستشعر شمولية تلك الرواية منذ اللحظة التي قرر فيها فرعون اضطهاد بني إسرائيل وتقتيل أبنائهم وحتى إلى ما بعد الخروج وضلالهم في التيه أربعين سنة.

وفيما يلي رواية ابن عباس مقسمة وفقا لكل مرحلة من مراحل القصة:

قال سعيد بن جبير : سألتُ عبدَ اللهِ بنَ عباسٍ عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ لموسى عليهِ السلامُ : وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ، فسألتُهُ عن الفُتُونِ ما هوَ ؟ قال : استأنِفِ النهارَ يا ابنَ جبيرٍ

فإنَّ لها حديثًا طويلًا : فلمَّا أصبحتُ غدوتُ إلى ابنِ عباسٍ لأنتجزَ منهُ ما وعدني من حديثِ الفُتُونِ ...

- **وعد إبراهيم ورؤيا فرعون وبداية الاضطهاد**

فقال ابن عباس : تذاكرَ فرعونُ وجلساؤُهُ ما كان اللهُ وعدَ إبراهيمَ عليهِ السلامُ أن يجعلَ في ذريتِهِ أنبياءَ وملوكًا ، فقال بعضهم : إنَّ بني إسرائيلَ ينتظرونَ ذلك ، ما يَشكُّونَ فيهِ ، وكانوا يظنُّونَ أنَّهُ يوسفُ بنُ يعقوبَ ، فلمَّا هلكَ قالوا : ليس هكذا كان وعدُ إبراهيمَ ، فقال فرعونُ : فكيف تَرَوْنَ ؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعثَ رجالًا معهم الشِّفَارُ ، يطوفونَ في بني إسرائيلَ ، فلا يجدونَ ، مولودًا ذكرًا إلا ذبحوهُ ، ففعلوا ذلك ، فلمَّا رَأَوْا أنَّ الكبارَ من بني إسرائيلَ يموتونَ بآجالهم ، والصغارَ يُذْبَحُونَ ، قالوا : يُوشِكُ أن تُفنُوا بني إسرائيلَ ، فتصيروا أن تُبَاشِرُوا من الأعمالِ والخدمةِ التي كانوا يَكْفُونَكُمْ ، فاقتلوا عامًا كلَّ مولودٍ ذكرٍ ، فيَقِلُّ أبناؤهم ، ودعوا عامًا فلا تقتلوا منهم أحدًا ، فيَشِبُّ الصغارُ مكانَ من يموتُ من الكبارِ ، فإنَّهم لن يكثروا بمن تستحيونَ منهم فتخافوا مكاثرتَهم إياكم ، ولن يفنوا بمن تقتلونَ وتحتاجونَ إليهم . فأَجْمَعُوا أمرهم على ذلك . فحملتْ أمُّ موسى بهارونَ في العامِ الذي لا يُذْبَحُ فيهِ الغلمانُ ، فولدتْهُ علانيةً آمنةً ، فلمَّا كان من قابلٍ حملتْ بموسى عليهِ السلامُ ، فوقع في قلبها الهمُّ والحزنُ ، وذلك من الفُتُونِ يا ابنَ جُبيرٍ ما دخل عليهِ في بطنِ أُمِّهِ ، ممَّا يُرادُ بهِ .

- **نجاة موسى عليه السلام من الذبح**

فأوحى اللهُ إليها أن : وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فأمرها إذا ولدتْ أن تجعلَهُ في تابوتٍ ثم تُلْقِيهِ في اليمِّ . فلمَّا ولدتْ فعلتْ ذلك ، فلمَّا تَوارَى عنها ابنها أتاها الشيطانُ ، فقالت في نفسها : ما فعلتُ بابني ، لو ذُبِحَ عندي فواريتُهُ وكفَّنتُهُ كان أحبُّ إليَّ من أن أُلْقِيهِ إلى دوابِّ البحرِ وحيتانهِ . فانتهى الماءُ بهِ حتى أوفى بهِ عند فُرْضَةِ مُسْتَقَى جواري امرأةِ فرعونَ فلمَّا رأينَهُ أخذنَهُ فهممن أن يفتحْنَ التابوتَ فقال بعضهنَّ : إنَّ في هذا مالًا ، وإنَّا إن فتحناهُ لم تُصَدِّقنا امرأةُ المَلِكِ بما وجدنا فيهِ ، فحملنَهُ كهيئتِهِ لم يُخرِجْنَ منهُ شيئًا حتى رفعنَهُ إليها . فلمَّا

فتحتْهُ رأتْ فيهِ غلامًا ، فأُلْقِي عليهِ منها محبةً لم يُلْقِ منها على أحدٍ قطُّ ، وأصبحَ فؤادُ أمِّ موسى فارغًا من ذِكْرِ كلِّ شيءٍ ، إلا من ذِكْرِ موسى . فلمَّا سمعَ الذبَّاحونَ بأمرِهِ ، أقبلوا بشِفَارِهِمْ إلى امرأةِ فرعونَ ليذبحُوهُ : وذلك من الفُتُونِ يا ابنَ جبيرٍ ، فقالت لهم: أَقِرُّوهُ فإنَّ هذا الواحدَ لا يزيدُ في بني إسرائيلَ حتى آتي فرعونَ فأستوهِبُهُ منهُ ، فإن وهبَهُ لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمرَ بذبحِهِ لم أَلُمْكُمْ . فأتت فرعونَ فقالت قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ . فقال فرعونُ : يكونُ لكَ . فأمَّا لي فلا حاجةَ لي فيهِ : فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : والذي يُحْلَفُ بهِ لو أَقَرَّ فرعونُ أن يكونَ قرَّةَ عينٍ لهُ، كما أَقَرَّتْ امرأتُهُ ، لهداهُ اللهُ كما هداها ، ولكن حَرَمَهُ ذلك .

- **فالتقطه آل فرعون .. وتحريم المراضع عليه**

فأرسلتْ إلى من حولها ، إلى كلِّ امرأةٍ لها لبنٌ لتختارَ لهُ ظِئْرًا ، فجعل كلَّما أخذتْهُ امرأةٌ منهنَّ لتُرْضِعَهُ لم يُقْبِلْ على ثديها حتى أشفقتِ امرأةُ فرعونَ أن يمتنعَ من اللبنِ فيموتَ ، فأحزنها ذلك ، فأمرتْ بهِ فأُخرِجَ إلى السوقِ ومجمعِ الناسِ ، ترجو أن تجدَ لهُ ظِئْرًا تأخذُهُ منها ، فلم يُقْبِلْ ، وأصبحتْ أمُّ موسى والِهًا ، فقالت لأختِهِ : قُصِّي أَثَرَهُ واطلبيهِ ، هل تسمعينَ لهُ ذِكْرًا ، أحيٌّ ابني أم قد أكلتْهُ الدوابُّ ؟ ونَسِيَتْ ما كان اللهُ وعدها فيهِ ، فبصرتْ بهِ أختُهُ عن جُنُبٍ وهم لا يشعرونَ – والجُنُبُ : أن يَسْمُو بصرُ الإنسانِ إلى شيءٍ بعيدٍ ، وهو إلى جنبهِ ، وهو لا يشعرُ بهِ – فقالت من الفرحِ حينَ أعياهم الظؤراتُ : أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ . فأخذوها فقالوا ما يُدريكِ ؟ وما نُصْحُهُمْ لهُ ؟ هل يعرفونَهُ ؟ حتى شَكُّوا في ذلك ، وذلك من الفُتُونِ يا ابنَ جبيرٍ . فقالت : نُصْحُهُمْ لهُ وشفقتهم عليهِ رغبتهم في ظؤرةِ الملكِ ، ورجاءَ منفعةِ الملكِ . فأرسلوها فانطلقتْ إلى أُمِّهَا ، فأخبرتها الخبرَ . فجاءت أُمُّهُ ، فلمَّا وضعتْهُ في حجرها نزَا إلى ثديها فمَصَّهُ ، حتى امتلأَ جنباهُ ريًّا ، وانطلقَ البُشَراءُ إلى امرأةِ فرعونَ يُبَشِّرونها : أن قد وجدنا لابنكِ ظِئْرًا . فأرسلتْ إليها ، فأتتْ بها وبهِ ، فلمَّا رأت ما يصنعُ بها قالت : امْكُثِي تُرْضِعِي ابني هذا ، فإني لم أُحِبَّ شيئًا حُبَّهُ قطُّ . قالت أمُّ موسى : لا أستطيعُ أن أدعَ بيتي وولدي فيضيعُ ، فإن طابت نفسكَ أن تُعطينيهِ فأذهبُ بهِ إلى بيتي ، فيكونُ معي لا آلوهُ خيرًا فعلتُ ، وإلا فإني غيرُ تاركةٍ بيتي وولدي . وذكرتْ أمُّ موسى ما كان اللهُ وعدها فيهِ ، فتعاسرتْ على

امرأةِ فرعونَ ، وأيقنَتْ أنَّ اللهَ مُنْجزٌ وعدَهُ ، فرجعتْ بهِ إلى بيتها من يومها ، وأنبتَهُ اللهُ نباتًا حسنًا ، وحَفِظَهُ لما قد قضى فيهِ .

فلم يزل بنو إسرائيلَ ، وهم في ناحيةِ القريةِ ، ممتنعينَ من السخرةِ والظلمِ ما كان فيهم ، فلمَّا ترعرعَ قالت امرأةُ فرعونَ لأمِّ موسى : أتُريني ابني ؟ فوَعَدَتْهَا يومًا تُريها إياهُ فيهِ ، وقالت امرأةُ فرعونَ لخازنها وظؤرها وقَهارِمَتِهَا لا يَبْقِيَنَّ أحدٌ منكم إلا استقبلَ ابني اليومَ بهديةٍ وكرامةٍ لأرى ذلك ، وأنا باعثةٌ أمينًا يُحْصِي ما يصنعُ كلُّ إنسانٍ منكم ، فلم تزلِ الهدايا والنِّحَلُ والكرامةُ تستقبلُهُ من حينِ خرج من بيتِ أُمِّهِ إلى أن دخل على امرأةِ فرعونَ ، فلمَّا دخل عليها نَحلَتْهُ وأكرمَتْهُ ، وفرحت بهِ ، ونَحَلَتْ أُمَّهُ لحُسْنِ أثرِها عليهِ ، ثم قالت : لآتِيَنَّ بهِ فرعونَ فلينْحَلَنَّهُ وليُكْرِمَنَّهُ ، فلمَّا دخلت بهِ عليهِ جعلَهُ في حجرِهِ ، فتناولَ موسى لِحْيَةَ فرعونَ يَمُدُّها إلى الأرضِ ، فقال الغواةُ من أعداءِ اللهِ لفرعونَ : ألا ترى ما وعد اللهُ إبراهيمَ نبيَّهُ ، إنَّهُ زعم أن يرثَكَ ويعلوكَ ويصرعَكَ ، فأرسلَ إلى الذَّبَّاحينَ ليذبحوهُ . وذلك من الفُتُونِ يا ابنَ جبيرٍ بعد كلِّ بلاءٍ ابْتُلِيَ بهِ ، وأُريدَ بهِ . فجاءت امرأةُ فرعونَ فقالت : ما بدا لك في هذا الغلامِ الذي وهبْتَهُ لي ؟ فقال : ألا تَرَيْنَهُ يزعمُ أنَّهُ يصرعني ويعلوني . فقالت : اجعلْ بيني وبينك أمرًا يُعْرَفُ فيهِ الحقُّ ، ائتِ بجمرتيْنِ ولؤلؤتيْنِ ، فقرِّبْهُنَّ إليهِ ، فإن بطشَ باللؤلؤتيْنِ واجتنبْ الجمرتيْنِ فاعرفْ أنَّهُ يَعْقِلُ وإن تناولَ الجمرتيْنِ ولم يَرُدَّ اللؤلؤتيْنِ علمتَ أنَّ أحدًا لا يُؤْثِرُ الجمرتيْنِ على اللؤلؤتيْنِ وهو يَعْقِلُ ، فقَرَّبَ إليهِ ، فتناولَ الجمرتيْنِ ، فانتزعهما منهُ مخافةَ أن يحرقا يدَهُ ، فقالت امرأةُ فرعونَ : ألا ترى ؟ فصرفَهُ اللهُ عنهُ بعد ما كان قد همَّ بهِ ، وكان اللهُ بالغًا فيهِ أمرَهُ .

• فتنة موسى وقتله رجلا من آل فرعون :

فلمَّا بلغَ أَشُدَّهُ وكان من الرجالِ ، لم يكن أحدٌ من آلِ فرعونَ يخلصُ إلى أحدٍ من بني إسرائيلَ معهُ بظلمٍ ولا سخرةٍ ، حتى امتنعوا كلَّ الامتناعِ ، فبينما موسى عليهِ السلامُ يمشي في ناحيةِ المدينةِ ، إذ هو برجليْنِ يقتتلانِ ، أحدهما فرعونيٌّ والآخرُ إسرائيليٌّ ، فاستغاثَهُ الإسرائيليُّ على الفرعونيِّ ، فغضب موسى غضبًا شديدًا ، لأنَّهُ تناولَهُ وهو يعلمُ منزلتَهُ من بني إسرائيلَ وحِفْظِهِ لهم ، لا يعلمُ الناسُ إلا إنما ذلك من الرضاعِ ، إلا أمُّ موسى ، إلا أن يكونَ اللهُ أطلعَ موسى من ذلك على ما لم يُطْلِعْ عليهِ

غيرُهُ . فوكزَ موسى الفرعونيَّ ، فقتلَهُ وليس يراهما أحدٌ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ والإسرائيليُّ ، فقال موسى حين قتلَ الرجلَ : هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ . ثم قال : رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، فأصبحَ في المدينةِ خائفًا يترقَّبُ الأخبارَ ، فأُتِيَ فرعونُ ، فقيلَ لهُ : إنَّ بني إسرائيلَ قتلوا رجلًا من آل فرعونَ فخُذْ لنا بحَقِّنا ولا تُرَخِّصْ لهم . فقال : أبغوني قاتِلَهُ ، ومن يشهدُ عليهِ ، فإنَّ الملكَ وإن كان صَفْوُهُ مع قومِهِ لا يستقيمُ لهُ أن يُقِيدَ بغيرِ بينَةٍ ولا ثَبْتٍ ، فاطلبوا لي عِلْمَ ذلك آخُذُ لكم بحقكم . فبينما هم يطوفونَ ولا يجدون ثَبْتًا ، إذا بموسى من الغدِ قد رأى ذلك الإسرائيليَّ يُقاتِلُ رجلًا من آلِ فرعونَ آخرَ ، فاستغاثَهُ الإسرائيليُّ على الفرعونيِّ ، فصادف موسى قد ندم علي ما كان منهُ وكَرِهَ الذي رأى ، فغضب الإسرائيليُّ وهو يريدُ أن يبطشَ بالفرعونيِّ ، فقال للإسرائيليِّ لما فعل بالأمسِ واليومَ : إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ . فنظر الإسرائيليُّ إلى موسى بعد ما قال لهُ ما قال ، فإذا هو غضبانٌ كغضبهِ بالأمسِ الذي قتلَ فيهِ الفرعونيَّ فخاف أن يكون بعدما قال له إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ أن يكونَ إياهُ أرادَ ، ولم يكن أرادَهُ ، وإنَّما أرادَ الفرعونيَّ ، فخاف الإسرائيليُّ وقال : يا موسى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ وإنما قالَهُ مخافةَ أن يكون إياهُ أراد موسى ليقتلَهُ ، فتتاركا وانطلقَ الفرعونيُّ فأخبرهم بما سمع من الإسرائيليِّ من الخبرِ حين يقولُ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ فأرسل فرعونُ الذَّبَّاحينَ ليقتلوا موسى، فأخذ رُسُلُ فرعونَ في الطريقِ الأعظمِ يمشونَ على هيئتهم يطلبونَ موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم ، فجاء رجلٌ من شيعةِ موسى من أقصى المدينةِ فاختصرَ طريقًا حتى سبقهم إلى موسى فأخبرَهُ ، وذلك من الفُتُونِ يا ابنَ جبيرٍ .

• هروب موسى من مصر ومعيشته في مدين:

فخرج موسى مُتَوَجِّهًا نحوَ مَدْيَنَ لم يَلْقَ بلاءً قبل ذلك ، وليس لهُ بالطريقِ علمٌ إلا حُسْنُ ظنِّهِ بربهِ عزَّ وجلَّ فإنَّهُ قال عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ يعني بذلك حابستَيْنِ غنمهما فقال لهما : ما خطبكما معتزلتَيْنِ لا تسقيانِ مع الناسِ ؟ قالتا : ليس لنا قوةٌ نُزاحِمُ القومَ وإنما ننتظرُ فُضُولَ حياضهم ، فَسَقَى لهما فجعل يغترفُ في الدَّلْوِ ماءً كثيرًا حتى كان أولَ الرِّعَاءِ ، فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى عليهِ

السلامُ فاستظَلَّ بشجرةٍ وقال رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ واستنكرَ أبوهما سرعةَ صدورهما بغنمهما حُفَّلًا بطَانًا فقال : إنَّ لكما اليومَ لشأنًا ، فأخبرتاهُ بما صنع موسى ، فأمر إحداهما أن تدعوهُ ، فأتتْ موسى فدعتْهُ فلمَّا كلَّمَهُ قال لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ليس لفرعونَ ولا لقومِهِ علينا سلطانٌ ، ولسنا في مملكتِهِ ، فقالت إحداهما : يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ فاحتملتْهُ الغيرَةُ على أن قال لها : ما يُدْريكِ ما قوتُهُ وما أمانتُهُ ؟ قالت : أما قُوَّتُهُ فما رأيتُ منهُ في الدَّلْوِ حين سقى لنا ، لم أَرَ رجلًا قطُّ أقوى في ذلك السَّقْيِ منهُ ، وأما الأمانةُ فإنَّهُ نظر إلي حين أقبلتْ إليهِ وشَخَصَتْ لهُ ، فلمَّا علم أني امرأةٌ صَوَّبَ رأسَهُ فلم يرفعْهُ حتى بَلَّغْتُهُ رسالتكَ ، ثم قال لي : امشي خلفي وانْعُتِي لي الطريقَ ، فلم يفعل هذا إلا وهو أمينٌ ، فسُرِّيَ عن أبيها وصدَّقها وظَنَّ بهِ الذي قالت ، فقال لهُ : هل لكَ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ففعل فكانت على نبيِّ اللهِ موسى ثماني سنينَ واجبةً وكانت سَنَتَانِ عِدَةً منهُ فقضى اللهُ عنهُ عِدَتَهُ فأَتَمَّها عشرًا . قال سعيدٌ هو ابنُ جبيرٍ : فلَقِيَنِي رجلٌ من أهلِ النصرانيةِ من علمائهم قال : هل تدري أيُّ الأجلَيْنِ قضى موسى ؟ قلتُ : لا ، وأنا يومئذٍ لا أدري ، فلقيتُ ابنَ عباسٍ فذكرتُ ذلك لهُ فقال : أما علمتَ أنَّ ثمانيًا كانت على نبيِّ اللهِ واجبةً لم يكن لنبيٍّ أن يَنْقُصَ منها شيئًا، ويعلمُ أنَّ اللهَ كان قاضيًا عن موسى عِدَتَهُ التي وعدَهُ فعِدَتُهُ التي وعدَهُ فإنَّهُ قضى عشرَ سنينَ ، فلقيتُ النصرانيَّ فأخبرتُهُ ذلك فقال : الذي سألتَهُ فأخبركَ أعلمُ منكَ بذلك قلتُ : أجل وأَوْلَى .

- **تلقي موسى الرسالة ورجوعه إلى مصر لملاقاة فرعون:**

فلمَّا سار موسى بأهلِهِ كان من أمرِ النارِ والعصا ويدِهِ ما قَصَّ اللهُ عليكَ في القرآنِ، فشكا إلى اللهِ تعالى ما يَتَخَوَّفُ من آلِ فرعونَ في القتيلِ وعُقْدَةِ لسانِهِ ، فإنَّهُ كان في لسانِهِ عُقْدَةٌ تمنعُهُ من كثيرٍ من الكلامِ ، وسأل ربهُ أن يُعِينَهُ بأخيهِ هارونَ يكونُ لهُ رِدْءًا ويتكلَّمُ عنهُ بكثيرٍ مما لا يُفْصِحُ بهِ لسانُهُ ، فآتاهُ اللهُ سُؤْلَهُ وحلَّ عقدةً من لسانِهِ وأوحى اللهُ إلى هارونَ وأَمَرَهُ أن يلقاهُ ، فاندفع موسى بعصاهُ حتى لَقِيَ هارونَ عليهما السلامُ فانطلقا جميعًا إلى فرعونَ فأقاما على بابِهِ حينًا لا يُؤْذَنُ لهما ، ثم

أُذِنَ لهما بعد حجاب شديدٍ فقالا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ قال : فمن ربكما ؟ فأخبرَهُ بالذي قصَّ اللهُ عليكَ في القرآنِ ، قال : فما تريدانِ ؟ وذكَّرَهُ القتيلَ فاعتذرَ بما قد سمعتَ ، قال : أريدُ أن تُؤْمِنَ باللهِ وتُرْسِلَ معيَ بني إسرائيلَ ، فأَبَى عليهِ وقال ائْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فألقى عصاهُ فإذا هي حيَّةٌ تسعى عظيمةٌ فاغِرَةٌ فاها مسرعةٌ إلى فرعونَ ، فلمَّا رآها قاصدةً إليهِ خافها فاقتحمَ عن سريرِهِ واستغاثَ بموسى أن يَكُفَّهَا عنهُ ففعلَ ، ثم أخرج يدَهُ من جيبهِ فرآها بيضاءَ من غيرِ سوءٍ يعني من غيرِ بَرَصٍ ثم رَدَّهَا فعادت إلى لونها الأولِ ، فاستشار الملأَ حولَهُ فيما رأى ، فقالوا لَهُ : هَذَانِ سَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى يعني مُلْكَهُمْ الذي هم فيهِ والعيشِ ، وأَبَوْا على موسى أن يُعْطُوهُ شيئًا ممَّا طلبَ ، وقالوا لهُ : اجمعْ لهما السحرةَ فإنَّهم بأرضكَ كثيرٌ حتى تَغْلِبَ بسحركَ سحرهما ، فأرسلَ إلى المدائنِ فحُشِرَ لهُ كلُّ ساحرٍ متعالمٍ ، فلمَّا أَتَوْا فرعونَ قالوا : بم يعملُ هذا الساحرُ ؟ قالوا : يعمل بالحيَّاتِ ، قالُوا : فلا واللهِ ما أَحَدٌ في الأرضِ يعملُ بالسحرِ بالحيَّاتِ والحبالِ والعِصِيِّ الذي نعملُ ، وما أَجْرُنَا إن نحنُ غَلَبْنَا ؟ قال لهم : أنتم أقاربي وخاصَّتي ، وأنا صانعٌ إليكم كلَّ شيءٍ أحببتم ، فتواعدوا يومَ الزينةِ وأنْ يُحْشَرَ الناسُ ضحىً ، قال سعيدُ بنُ جبيرٍ : فحدَّثني ابنُ عباسٍ أنَّ يومَ الزينةَ الذي أظهرَ اللهُ فيهِ موسى على فرعونَ والسحرةِ هو يومُ عاشوراءَ .

- **مباراة موسى مع السحرة :**

فلمَّا اجتمعوا في صعيدٍ واحدٍ قال الناسُ بعضهم لبعضٍ : انطلقوا فلنحضر هذا الأمرَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ يعنون موسى وهارونَ استهزاءً بهما ، فقالوا : يا موسى لقدرتهم بسحرهم إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ، قَالَ: بَلْ أَلْقُوا فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ فرأى موسى من سحرهم ما أوجسَ في نفسهِ خيفةً ، فأوحى اللهُ إليهِ أن أَلْقِ عصاكَ ، فلمَّا ألقاها صارت ثعبانًا عظيمةً فاغِرَةً فاها ، فجعلتِ العِصِيُّ تلتبسُ بالحبالِ حتى صارت جزَرًا إلى الثعبانِ ، تدخلُ فيهِ ، حتى ما أبقت عصًا ولا حبالًا إلا ابتلعتْهُ ، فلمَّا عرفتِ السحرةُ ذلكَ قالوا ، لو كان هذا سحرًا لم يبلغ من سحرنا كلَّ هذا ، ولكنَّهُ أمرٌ من اللهِ عزَّ وجلَّ ، آمنَّا باللهِ وبما جاء بهِ موسى ، ونتوبُ إلى اللهِ ممَّا كُنَّا عليهِ ، فكسرَ اللهُ

ظهرَ فرعونَ في ذلك الموطنِ وأشياعِهِ ، وظَهَرَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وامرأةُ فرعونَ بارزةٌ متبذلةٌ تدعو اللهَ بالنصرِ لموسى على فرعونَ وأشياعِهِ ، فمن رآها من آلِ فرعونَ ظنَّ أنَّها إنما ابتُذِلَتْ للشفقةِ على فرعون وأشياعِهِ ، وإنَّما كان حزنها وهَمُّها لموسى .

• الآيات التسعة التي أصابت فرعون وقومه:

فلمَّا طال مُكْثُ موسى بمواعيدِ فرعونَ الكاذبةِ ، كلَّما جاء بآيةٍ وعدَهُ عندها أن يُرْسِلَ معهُ بني إسرائيلَ ، فإذا مَضَتْ أخلفَ موعدَهُ وقال : هل يستطيعُ ربكَ أن يصنعَ غيرَ هذا ؟ فأرسلَ اللهُ على قومِهِ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقَمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ، كلُّ ذلكَ يشكو إلى موسى ويطلبُ إليهِ أن يَكُفَّها عنهُ ، ويُوَاثِقُهُ على أن يُرْسِلَ معهُ بني إسرائيلَ ، فإذا كَفَّ ذلك عنهُ أخلفَ موعدَهُ ، ونكث عهدَهُ .

• الإذن بالخروج من مصر وانشقاق البحر لموسى وقومه:

حتى أمرَ اللهُ موسى بالخروجِ بقومِهِ فخرج بهم ليلًا ، فلمَّا أصبح فرعونُ ورأى أنهم قد مَضَوْا أَرْسَلَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ، فتبعَهُ بجنودٍ عظيمةٍ كثيرةٍ ، وأوحى اللهُ إلى البحرِ : إذا ضربكَ عبدي موسى بعصاهُ فانفلِقْ اثنتيْ عشرةَ فِرْقَةً ، حتى يجوزَ موسى ومن معهُ ، ثم التقِ على من بَقِيَ بعد من فرعونَ وأشياعِهِ . فنسيَ موسى أن يضربَ البحرَ بالعصا وانتهى إلى البحرِ ولهُ قصيفٌ ، مخافةَ أن يضربَهُ موسى بعصاهُ وهو غافلٌ فيصيرُ عاصيًا للهِ . فلمَّا تراءى الجَمْعَانِ وتقاربا قال أصحابُ موسى : إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ، افعلْ ما أمركَ بهِ ربكَ ، فإنَّهُ لم يَكْذِبْ ولم تَكْذِبْ . قال : وعدني أن إذا أتيتُ البحرَ انْفَرَقَ اثنتيْ عشرةَ فِرْقَةً ، حتى أُجَاوِزَهُ : ثم ذكر بعد ذلك العصا فضرب البحرَ بعصاهُ حين دنا أوائلُ جُنْدِ فرعونَ من أواخرِ جُنْدِ موسى ، فانفرقَ البحرُ كما أمرَهُ ربهُ وكما وعد موسى

• غرق فرعون وجنوده وخروج بدنه من البحر ونجاة موسى ومن معه:

فلمَّا أن جاز موسى وأصحابُهُ كلُّهم البحرَ ، ودخل فرعونُ وأصحابُهُ ، التقى عليهم البحرُ كما أُمِرَ فلمَّا جاوزَ موسى البحرَ قال أصحابُهُ : إنَّا نخافُ أن لا يكون فرعونُ غَرِقَ ولا نُؤْمِنُ بهلاكِهِ . فدعا ربَّـــهُ فأخرجَهُ لهُ ببدنِهِ حتى استيقنوا بهلاكِهِ .

- **ذهاب موسى لميقات ربه واتخاذ بني إسرائيل للعجل في غيابه:**

ثم مرُّوا بعد ذلك عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قد رأيتم من العِبَرِ وسمعتم ما يكفيكم ومضى.

فأنزلهم موسى منزلًا وقال: أطيعوا هارونَ فإني قد استخلفتُهُ عليكم، فإني ذاهبٌ إلى ربي.

وأجَّلَهُمْ ثلاثينَ يومًا أن يرجعَ إليهم فيها، فلمَّا أتى ربهُ وأرادَ أن يُكَلِّمَهُ في ثلاثينَ يومًا وقد صامهُنَّ ليلهُنَّ ونهارهُنَّ، وكرِهَ أن يُكلِّمَ ربهُ وريحُ فيهِ، ريحُ فمِ الصائمِ، فتناولَ موسى من نباتِ الأرضِ شيئًا فمضغَهُ، فقال لهُ ربهُ حين أتاهُ: لم أفطرتَ؟ وهو أعلمُ بالذي كان: قال: يا ربِّ، إني كرهتُ أن أُكَلِّمَكَ إلا وفَمِي طَيِّبُ الرِّيحِ. قال: أوما علمتَ يا موسى أنَّ رِيحَ فمِ الصائمِ أطيبُ من ريحِ المِسْكِ، ارجع فصُمْ عشرًا ثم ائتني. ففعل موسى عليهِ السلامُ ما أُمِرَ بهِ، فلمَّا رأى قومُ موسى أنَّهُ لم يرجع إليهم في الأَجَلِ، ساءهم ذلك: وكان هارونُ قد خطبهم وقال: إنَّكم قد خرجتم من مصرَ، ولقومِ فرعونَ عندكم عَوَارِيَ وودائعُ، ولكم فيهم مثلُ ذلك ولا ممسكيهِ لأنفسنا، فحفرَ حفيرًا، وأمر كلَّ قومٍ عندهم من ذلك من متاعٍ أو حِلْيَةٍ أن يقذفوهُ في ذلك الحفيرِ، ثم أوقدَ عليهِ النارَ فأحرقَهُ، فقال: لا يكونُ لنا ولا لهم. وكان السامريُّ من قومٍ يعبدونَ البقرَ، جيرانٌ لبني إسرائيلَ، ولم يكن من بني إسرائيلَ، فاحتملَ مع موسى وبني إسرائيلَ حينَ احتملوا، فقضى لهُ أن رأى أَثَرًا فقبضَ منهُ قبضةً، فمرَّ بهارونَ، فقال لهُ هارونُ عليهِ السلامُ: يا سامريُّ، ألا تُلْقِي ما في يدكَ؟ وهو قابضٌ عليهِ، لا يراهُ أحدٌ طُوَالَ ذلكَ، فقال: هذهِ قبضةٌ من أَثَرِ الرسول الذي جاوزَ بكمُ البحرَ، ولا أُلْقِيهَا لشيءٍ إلا أن تدعوَ اللهَ إذا ألقيتُهَا أن يكونَ ما أُريدُ. فألقاها، ودعا لهُ هارونُ، فقال: أُريدُ أن يكونَ عِجْلًا. فاجتمعَ ما كان في الحفيرةِ من متاعٍ أو حِلْيَةٍ أو نحاسٍ أو حديدٍ، فصار عِجْلًا أجوفَ، ليس فيهِ روحٌ، ولهُ خُوَارٌ قال ابنُ عباسٍ: لا واللهِ، ما كان لهُ صوتٌ قطُّ، إنَّما كانت الريحُ تدخلُ في دُبُرِهِ وتخرجُ من فيهِ، فكان ذلكَ الصوتَ من ذلكَ. فتفرَّقَ بنو إسرائيلَ فِرَقًا، فقالت فِرْقَةٌ: يا سامريُّ، ما هذا؟ وأنتَ أعلمُ بهِ. قال: هذا ربكم، ولكن موسى أَضَلَّ

الطريقَ . وقالت فِرْقَةٌ : لا نُكَذِّبُ بهذا حتى يرجعَ إلينا موسى ، فإن كان ربنا لم نكن ضَيَّعْنَاهُ وعجزنا فيهِ حين رأيناهُ ، وإن لم يكن ربنا فإنَّا نَتَّبعُ قولَ موسى ، وقالت فِرْقَةٌ: هذا عملُ الشيطانِ ، وليس بربنا ولا نُؤْمِنُ بهِ ولا نُصَدِّقُ ، وأُشْرِبَ فِرْقَةٌ في قلوبهم الصدقَ بما قال السامريُّ في العِجْلِ ، وأعلنوا التكذيبَ بهِ ، فقال لهم هارونُ : يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ . قالوا : فما بالُ موسى وعدنا ثلاثينَ يومًا ثم أخلفنا؟ هذهِ أربعونَ يومًا قد مضتْ ؟ وقال سفهاؤهم : أخطأَ ربَّهُ فهو يطلبُهُ ويَتْبَعُهُ . فلمَّا كلَّمَ اللهُ موسى وقال لهُ ما قال : أَخْبَرَهُ بما لَقِيَ قومُهُ من بعدِهِ ، فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا فقال لهم ما سمعتم في القرآنِ ، وأخذ برأسِ أخيهِ يَجُرُّهُ إليهِ ، وألقى الألواحَ من الغضبِ ، ثم إنَّهُ عذرَ أخاهُ بعذرهِ ، واستغفرَ لهُ ، وانصرفَ إلى السامريِّ فقال لهُ : ما حملكَ على ما صنعتَ ؟ قال : قَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُول ، وفطنتُ لها وعميتْ عليكم ، فقذفتها وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ، ولو كان إلهًا لم يُخْلَصْ إلى ذلك منهُ ، فاستيقنَ بنو إسرائيلَ بالفتنةِ ، واغتُبِطَ الذين كان رأيهم فيهِ مثلَ رأيِ هارونَ .

• تكفير بنى إسرائيل عن ذنبهم بقتلهم أنفسهم:

فقالوا لجماعتهم : يا موسى ، سَلْ لنا ربَّكَ أن يفتحَ لنا بابَ توبةٍ نصنعها ، فيُكَفِّرُ عنَّا ما عملنا . فاختارَ موسى قومَهُ سبعينَ رجلًا لذلك ، لا يَأْلُو الخيرَ ، خيارَ بني إسرائيلَ ، ومن لم يُشْرِكْ في العِجْلِ ، فانطلقَ بهم يسألُ لهمُ التوبةَ ، فرجفتْ بهمُ الأرضَ ، فاستحيا نبيُّ اللهِ من قومِهِ ومن وفدِهِ حين فُعِلَ بهم ما فُعِلَ ، فقال : ربِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا وفيهم من كان اطَّلَعَ اللهُ منهُ على ما أُشْرِبَ قلبُهُ من حُبِّ العِجْلِ وإيمانٍ بهِ فلذلك رجفتْ بهمُ الأرضُ فقال : رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ فقال : يا ربِّ سألتُكَ التوبةَ لقومي ، فقلتَ : إنَّ رحمتي كتبتُهَا لقومٍ غيرِ قومي فليتَكَ أَخَّرْتَني حتى تُخرجَني في أُمَّةِ ذلك الرجلِ المرحومةِ ، فقال لهُ : إنَّ توبتهم أن يَقْتُلَ كلُّ رجلٍ منهم من لَقِيَ من والدٍ وولدٍ فيقتلُهُ بالسيفِ ولا يُبالِي من قتلَ في

ذلك الموطنِ وتاب أولئكَ الذين كان خَفِيَ على موسى وهارونَ واطّلَعَ اللهُ من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أُمِرُوا وغفرَ اللهُ للقاتلِ والمقتولِ .

• التوجه إلى الأرض المقدسة وبداية التيه فى الصحراء:

ثم سار بهم موسى عليهِ السلامُ مُتَوَجِّهًا نحوَ الأرضِ المقدَّسةِ ، وأخذ الألواحَ بعد ما سكتَ عنهُ الغضبُ فأمرهم بالذي أُمِرَ بهِ أن يُبَلِّغَهُمْ من الوظائفِ ، فثَقُلَ ذلك عليهم وأَبَوْا أن يُقِرُّوا بها ، فنَتَقَ اللهُ عليهمُ الجبلَ كأنَّهُ ظُلَّةٌ ودنا منهم حتى خافوا أن يقعَ عليهم فأَخَذُوا الكتابَ بأيمانهم وهم مُصْغُونَ ينظرونَ إلى الجبلِ والكتابُ بأيديهم ، وهم من وراءِ الجبلِ مخافةَ أن يقعَ عليهم ، ثم مَضَوْا حتى أَتَوْا الأرضَ المقدسةَ فوجدوا مدينةً فيها قومٌ جَبَّارُونَ خَلْقُهُمْ خَلْقٌ مُنْكَرٌ ، وذكروا من ثمارهم أمرًا عجيبًا من عِظَمِهَا ، فقالوا : يا موسى إنَّ فيها قومًا جَبَّارِينَ لا طاقةَ لنا بهم ، ولا ندخلها ماداموا فيها ، فإن يخرجوا منها فإنَّا داخلونَ ، قال رجلانِ من الذينَ يخافونَ قيل ليزيدٍ : هكذا قرأَهُ ؟ قال : نعمْ ، من الجَبَّارِينَ آمَنَّا بموسى ، وخرجا إليهِ فقالوا : نحنُ أعلمُ بقومنا إن كنتم إنَّما تخافونَ ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فإنَّهم لا قلوبَ لهم ولا مَنَعَةَ عندهم فادخلوا عليهمُ البابَ فإذا دخلتموهُ فإنَّكم غالبونَ ، ويقولُ أُناسٌ : إنَّهم من قومِ موسى ، فقال الذينَ يخافونَ بنو إسرائيلَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ فأغضبوا موسى فدعا عليهم وسَمَّاهم فاسقينَ ، ولم يَدْعُ عليهم قبلَ ذلك ، لِمَا رأى منهم المعصيةَ وإساءَتهم حتى كان يومئذٍ، فاستجاب اللهُ لهُ وسَمَّاهم كما سَمَّاهم فاسقينَ ، فحرَّمَهَا عليهم أربعينَ سَنَةً يتيهونَ في الأرضِ ، يُصْبِحُونَ كلَّ يومٍ فيسيرونَ ليس لهم قرارٌ ثم ظَلَّلَ عليهمُ الغمامَ في التِّيهِ وأنزلَ عليهمُ المَنَّ والسلوى وجعل لهم ثيابًا لا تَبْلَى ولا تَتَّسِخُ ، وجعل بين ظهرانيهم حَجَرًا مُرَبَّعًا وأمرَ موسى فضربَهُ بعصاهُ فانفجرتْ منهُ اثنتا عشرةَ عينًا في كلِّ ناحيةٍ ثلاثُ أعينٍ ، وأعلمَ كلَّ سِبْطٍ عَيْنَهُمُ التي يشربونَ منها فلا يرتحلونَ من مَنْقَلَةٍ إلا وجدوا ذلك الحَجَرَ معهم بالمكانِ الذي كان فيهِ بالأمسِ.[2]

---

[2] الراوي :سعيد بن جبير المحدث :ابن كثير – المصدر :تفسير القرآن – الصفحة أو الرقم 5/279 : خلاصة حكم المحدث :موقوف وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنه مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره.

وهذا تنتهي رواية بن عباس الطويلة التي تقص القصة من فترة ما قبل مولد موسى عليه السلام وحتى فترة التيه بعد الخروج من مصر.

كيف بدأ اضطهاد بني إسرائيل فى مصر بعد أن كانوا سادة ؟:

ونستطيع أن نفهم أن وجود بني إسرائيل كقبيلة في تحالف الهكسوس الذي يحكم مصر لم يكن يمثل مشكلة ولم يكن ذلك مثارا لأي نوع من أنواع العداء بين بني إسرائيل وباقي قبائل العماليق الكنعانية من جهة أخرى فهم كانوا كغيرهم من الأقوام التي سكنت مصر وكانت جزء من نظامها الحاكم التي ترأسه قبيلة أو قبيلتين من قبائل التحالف ، وقد كان ملوك أو رؤساء قبيلة بني إسرائيل أثناء إقامتهم في مصر هم يعقوب ثم يوسف ثم يهوذا بن يعقوب على التوالي.

قال الطبري وابن كثير أن يوسف حين أتته الوفاة : أَوْصَى إِلَى أَخِيهِ يَهُوذَا.[3]

ولا شك أن هذا النظام ظل متبَعا حتى أصبح قارون ملكا عليهم قبيل عهد موسى عليه السلام لكن قارون بغى عليهم وظلمهم وتحالف مع آل فرعون وهامان ، ثم أصبح موسى عليه السلام ملكهم قبل خروجهم من مصر.

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام بعد خروجهم من مصر:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. سورة المائدة 20

وهذه الآية تدل على أن بني إسرائيل كانوا ملوكا على قبيلتهم أثناء إقامتهم المؤقتة في مصر وبعد خروجهم منها ، فما الذي تغير بعد أن كانوا قبيلة من قبائل تحالف الهكسوس العماليق في مصر ؟ وما الذي جعلهم مضطهدين بعد أن كانوا سادة ؟.

لقد ظل بنو يعقوب على دينهم معتنقين التوحيد ولم يحيدوا عنه ، ففي تاريخ الطبري :

عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ:

---

[3] انظر تفسير الطبري وابن كثير

"قبض الله يوسف ، وهلك الملك الذي كان معه الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر ، فنشر الله بها بني إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض ، كما ذكر لي ، في صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء ، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة ، وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ، ويعقوب ، وإسحاق ، وإبراهيم ، شرعوا فيهم من الإسلام متمسكين به"[4].

لكن سرعان ما تغير هذا السلام والسكون وتغير الوضع بسرعة على بني إسرائيل الذين أصبحوا قبيلة ذات أفراد أكثر وفروع أكثر من ذي قبل خلال فترة إقامتهم في مصر ، فتملك ملك على مصر لم يكن يعرف لهم قدراً ولا لأنبيائهم مقاماً ، وكان ملكا طاغية ظالما عُرف بقسوة القلب والشدة والتجبر على كل رعيته وهذا الملك هو "فرعون".

يقول ابن سحق أيضا:

"حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه ، ولم يكن منهم ملكا أعتى منه على الله ولا أعظم قولا ، ولا أطول عمرا في ملكه منه ، ولم يكن من الفراعنة من هو أشد غلظة ، ولا أقسى قلبا ، ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه ، يعذبهم فيجعلهم خدما وخولا ، وصنفهم في أعماله ، فصنف يبنون ، وصنف يحرثون ، وصنف يزرعون له ، فهم في أعماله ، ومن لم يكن منهم في صنعة له من عمله فعليه الجزية ، فسامهم كما قَالَ الله : سُوءَ الْعَذَابِ[5] ، وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقه".

يقول الطبري:

وأما ابن إسحاق فإنه يذكر أن سبب الاضطهاد كان بسبب ما رآه منجموا فرعون وعرافيه وهو أقرب للمنطق والعقل ، وفي ذلك فيقول:

"وذُكر لي أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجموا فرعون وحزاته إليه ، فقالوا : تعلم أنا نجد في علمنا أن مولودا من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه ، يسلبك ملكك ، ويغلبك على سلطانك ، ويخرجك من أرضك ، ويبدل دينك ، فلما

---

[4] تاريخ ابن سحق.

[5] سورة البقرة آية 49.

قَالُوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان وأمر بالنساء يستحيين ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته ، فقال لهن : لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتلتموه ، فكن يفعلن ذلك ، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان ، ويأمر بالحبالى فيعذبن حتى يطرحن ما في بطونهن"[6].

وهذا الكلام إنما يدل على أن الفترة بين وفاة يوسف عليه السلام وبين تولي فرعون لملك مصر موصولة لا انقطاع فيها وهو من أكبر الأدلة على أن أحداث قصة يوسف عليه السلام وأحداث قصة موسى عليه السلام مع فرعون كانت في نفس الفترة الزمنية وكانت معاصرة لنفس الأقوام التي كانت معاصرة لبني إسرائيل في مصر وهم الهكسوس العماليق وسيأتي في حينه الكلام عن تفصيل الأدلة على ذلك.

كما يدل أيضا بشكل شديد الوضوح على أن فرعون قد اضطهد بنو إسرائيل وقد بدأ يحذر من هلاك ملكه على أيديهم إما لخروج مولود منهم يقضي على سلطانه أو لرؤيا رآها أفزعته من انهيار ملكه على أيدي أحد أبنائهم أو لخشيته أن يكثر عددهم فينضموا لأعدائهم وكلها أسباب محتملة.

يقول تعالى :

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾. القصص 6

وهذا الحذر لم يمنع قدر الله من الوقوع فأراهم الله منهم ما كانوا يحذرون.

لماذا اضطهد فرعون بني إسرائيل دون سواهم ؟

تذكر التوراة أن فرعون الذي أصبح ملك مصر لم يكن يعرف بني إسرائيل وكان يخشى هو وقومه من تكاثر بني إسرائيل وزيادة عددهم وانضمامهم لأعدائهم إذا وقعت الحرب وصعودهم وعلوهم على حساب قوم فرعون لذلك فقد بدأوا اضطهادهم وتعذيبهم ، وهو المبرر الذي تقدمه التوراة كسبب لاضطهاد فرعون وقومه لبني إسرائيل :

---

[6] تاريخ الطبري – رواية بن اسحق

"ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه هوذا بنو اسرائيل شعب أكثر و أعظم منا ، هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب الهم ينضمون إلى اعدائنا و يحاربوننا و يصعدون من الارض ، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم باثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن بيثوم و رعمسيس ، ولكن بحسبما أذلّوهم هكذا نموا و امتدوا فاختشوا من بني اسرائيل". سفر الخروج

لكن المرويات العربية والإسلامية تحدثنا عن سبب آخر مختلف بعض الشيء ، فمنذ اعتلى فرعون كرسي الملك ، فقد رفع من قدر هامان وقبيلته الحليفة بأن جعله وزيره ، وبدأ في اضطهاد بني إسرائيل الذين تناقلوا بينهم نبوءة خروج مولود منهم يقضي على مُلك حاكم مصر ، يقول الإمام السيوطي في تفسير قوله:

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ القصص6

"يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه"[7].

وفي تفسير القرطبي :

"وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل (منهم) فأراهم الله ما كانوا يحذرون قال قتادة : كان حازيا لفرعون - والحازي المنجم - قال إنه سيولد في هذه السنة مولود يذهب بملكك فأمر فرعون بقتل الولدان في تلك السنة".

وفي فتح القدير :

"أن الله يريهم أو يرون هم الذي كانوا يحذرون منه ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد المولود من بني إسرائيل المستضعفين ".

ويقول بعض أهل التفسير[8] :

---

[7] تفسير السيوطي.

[8] التفسير الميسر.

"ونمكن لهم في الأرض، ونجعل فرعون وهامان وجنودهما يرون من هذه الطائفة المستضعَفة ما كانوا يخافونه مِن هلاكهم وذهاب ملكهم، وإخراجهم من ديارهم على يد مولود من بني إسرائيل".

ونحو ما تقدم عند جمهور المفسرين في كل من تفسير البغوي والبيضاوي وفي الوجيز للواحدي وتفسير أبي السعود وكذلك في الدر المنثور وفي تفسير النسفي وفي روح المعاني وغيرها في الكثير من التفاسير.

ويقول ابن كثير في البداية والنهاية :

"وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح (أي ذبح أبناء بني إسرائيل)أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأثرونه عن إبراهيم عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه وذلك- والله أعلم - حين كان جرى على سارة امرأة الخليل من ملك مصر من إرادته إياها على السوء وعصمة الله لها وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل".

وقال أيضا :

"وعن أناس من الصحابة أن فرعون رأى في منامه كأن نارا قد أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط و لم تضر بني إسرائيل فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والحزأة (المنجمون) والسحرة وسألهم عن ذلك فقالوا هذا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان".

أما رواية ابن كثير الطويلة التي أوردناها في مطلع هذا الفصل فتقول:

تذاكَرَ فرعونُ وجلساؤُهُ ما كان اللهُ وعدَ إبراهيمَ عليهِ السلامُ أن يجعلَ في ذريتِهِ أنبياءَ وملوكًا ، فقال بعضهم : إنَّ بني إسرائيلَ ينتظرونَ ذلك ، ما يَشُكُّونَ فيهِ ، وكانوا يظنُّونَ أنَّهُ يوسفُ بنُ يعقوبَ ، فلمَّا هلك قالوا : ليس هكذا كان وعدُ إبراهيمَ ، فقال فرعونُ : فكيف تَرَوْنَ ؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعثَ رجالًا معهم الشِّفَارُ ، يطوفونَ في بني إسرائيلَ ، فلا يجدونَ ، مولودًا ذكرًا إلا ذبحوهُ ، ففعلوا ذلك ، فلمَّا رَأَوْا أنَّ الكبارَ من بني إسرائيلَ يموتونَ بآجالهم ، والصغارَ يُذْبَحُونَ، قالوا : يُوشِكُ أن تُفْنُوا بني إسرائيلَ ، فتصيروا أن تُباشِرُوا من الأعمالِ والخدمةِ التي كانوا يَكْفُونَكُمْ ، فاقتلوا

عامًا كلَّ مولودٍ ذكرٍ ، فيَقِلُّ أبناؤهم ، ودعوا عامًا فلا تقتلوا منهم أحدًا ، فيَشِبُّ الصغارُ مكان من يموتُ من الكبارِ ، فإنَّهم لن يكثروا بمن تستحيونَ منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن يَفْنَوا بمن تقتلونَ وتحتاجونَ إليهم . فأَجْمَعُوا أمرهم على ذلك . فحملتْ أمُّ موسى بهارونَ في العامِ الذي لا يُذْبَحُ فيهِ الغلمانُ ، فولدتْهُ علانيةً آمنةً . فلمَّا كان من قابلٍ حملتْ بموسى عليهِ السلامُ ، فوقع في قلبها الهمُّ والحزنُ ، وذلك من الفُتُونِ يا ابنَ جبيرٍ ما دخل عليهِ في بطنِ أُمِّهِ ، مِمَّا يُرادُ بهِ .

بينما تعبر أقدم الروايات العربية من أن المنجمين والكهان قد أتوا إلى فرعون يحذرونه من اقتراب قدوم مولود من بني إسرائيل يقضي على ملك فرعون وقومه وبديل دينهم ومن ثم قرر فرعون أن يبدأ في اضطهاد بني إسرائيل وتقتيل أبنائهم:

يقول ابن اسحق : "فعمر فيهم (فرعون) ، وهم تحت يديه ، عمرا طويلا يسومهم سوء العذاب ، فلما أراد الله أن يفرج عنهم وبلغ موسى الأشد أعطي الرسالة، قَالَ : وذُكر لي أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون وحزاته إليه ، فقالوا : تعلم أنا نجد في علمنا أن مولودا من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه ، يسلبك ملكك ، ويغلبك على سلطانك ، ويخرجك من أرضك ، ويبدل دينك ، فلما قَالُوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان وأمر بالنساء يستحيين ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته ، فقال لهن : لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتلتموه ، فكن يفعلن ذلك ، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان ، ويأمر بالحبالى فيعذبن حتى يطرحن ما في بطونهن".

وفي ذلك يروي الطبري أيضا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قَالَ : " أنه كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار ، ثم يصف بعضه إلى بعض ، ثم يأتي بالحبالى من بني إسرائيل فيوقفهن عليه فيحز أقدامهن ، حتى إن المرأة منهن لتمصع بولدها فيقع بين رجليها ، فتظل تطؤه تتقي به حز القصب عن رجليها ، لما بلغ من جهدها ، حتى أسرف في ذلك ، وكاد يفنيهم ، فقيل له : أفنيت الناس ، وقطعت النسل ، وإنهم خولك وعمالك ، فأمر أن يقتل الغلمان عاما ،

ويستحيوا عاما ، فولد هارون في السنة التي يستحيا فيها الغلمان ، وولد موسى في السنة التي فيها يقتلون ، فكان هارون أكبر منه بسنة"[9]

يقول ابن إياس وغيره من المؤرخين: "أن فرعون رأى ثلاثة أحلام في الليلة الأولى؛ سمع في الحلم هاتفاً يقول له: "ويلك يا فرعون، قد قرب زوال ملكك، ويكون على يد فتى من بني إسرائيل". وفي الليلة الثانية؛ رأي في منامه وكأن شابا دخل عليه وهو يركب أسداً عظيماً، وبيده عصا يضرب بها رأس فرعون، وفي الليلة الثالثة؛ رأى نفس حلم الليلة الثانية، ولما جمع الكهنة، أخبروه بولادة مولود لبني إسرائيل، يسلب ملكَه، وأشار عليه وزراؤه بأن يحضر إلى قصره كل امرأة أوشكت على الولادة تلد هناك، فإن كان المولود أنثى استحياها، وإن كان ذكراً قتله..". وقد ذكر الإخباريون المسلمون هذا الحديث على خلاف طفيف فيما بينهم.

فيذكر المسعودي: "أن أهل الكهانة والنجوم والسحر أخبروا فرعون أن مولودا سيولَد في بني إسرائيل ويُزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر أموراً عظيمة..". ويذكر المقريزي : "أيضا، أنه عندما أخبر العرّافون فرعون بميلاد ذلك الطفل، منع بني إسرائيل من المناكحة لمدة ثلاث سنين...". ويذكر ابن كثير : "أن فرعون رأى في منامه وكأن ناراً أقبلت من ناحية بيت المقدس فأحرقت دور مصر وأهلها ولم تضر بني إسرائيل .. فأمر فرعون بقتل الغلمان..".

[9] تاريخ الأمم والممالك – ابن جرير الطبري.

جعل أهلها شيعا !:

لكن القرآن يروي أيضا أن فرعون لم يضطهد بني إسرائيل وحدهم وهو ما يفهم من ظاهر تلك الآيات يقول تعالى :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (4) القصص

وتحدثنا الآية عن أن فرعون قد جعل من أهل مصر شيعا ، أي فرقا وطوائف متميزون عن بعضهم البعض ويعيشون في طبقات ومجتمعات منفصلة عن بعضها البعض ، بل إنه قد جعل كل طائفة تعادي الأخرى وتُكن لها الحقد والكراهية ، وقد حاك الدسائس والفتن والمؤامرات ضد قومه ليوقع الشقاق بينهم وليدب ويسري الضعف في كيانهم.[10]

وكان فوق كل ذلك يستضعف طائفة من سكان مصر وقتها ويوقعهم تحت الاضطهاد والتنكيل وهم طائفة بني إسرائيل.

ويخبرنا الله عز وجل بعبارة هامة وواضحة الدلالة عن ميل فرعون الطاغية إلى الاستعلاء واضطهاد أهل الأرض ، فيقول تعالى :

{ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ }القصص4

وهكذا يظهر تجبر فرعون وغروره بقوته وكيف كان طاغية استعلَى في الأرض بغير حق ، وجعل من أهلها فرقا وأحزابا وطوائف ، منهم طائفة هم السادة ، ومن المؤكد أن طائفة السادة في عصره كانوا من قبيلته وعشيرته دون غيرها بالإضافة إلى الطائفة التي تضم حلفاءه والتي كان ينتمي إليها هامان وزيره والقبائل المتحالفة معهم ، ثم اضطهد طائفة أخرى وهم المصريين حيث استفز حكامهم من الأرض وطردهم خارجها ، ونحن نعلم كيف كان بعض حكام الهكسوس يتعاملون مع المصريين بتعال وتكبر وقد بلغ التعالي مداه في عهد فرعون تحديدا ، وكيف اضطر الحكام المصريون

---

[10] محمد بيومي مهران – مصر والشرق الأدنى القديم.

وحاشيتهم ووزرائهم وكهنتهم إلى التروح للجنوب في طيبة بعد أن تملكوا أرض مصر أثناء فترة الجفاف والمجاعة ، وربما بدأ فرعون الهكسوسي باضطهاد المصريين أيضا في عصره وأمعن في ذلك ، ثم استضعف طائفة أخرى وهم بني إسرائيل ، فكان يذبح أبنائهم الذكور ويبقي على الإناث ، حيث يقول الله تعالى :

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ البقرة49

يقول بن كثير في التفسير :

" وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً : أي قسم رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع يستضعف طائفة منهم وهم شعب بني إسرائيل" أ.هـ

وبالنظر في الطوائف والأنواع البشرية التي كانت تعيش وقتها في مصر فسنجد ثلاثة أصناف:

- قبائل العماليق الهكسوس المتحالفة التي يتزعمها فرعون الملك وهامان الوزير
- بني إسرائيل وهي قبيلة كانت منضمة لتحالف قبائل الهكسوس.
- عوام المصريون القبط من الفلاحين والعمال والضعفاء من كل الشعب المصري.
- الملوك والوزراء والحاشية من المصريين الذين ارتحلوا إلى الجنوب في طيبة وهجروا جميع المناطق التي يحكمها العماليق.

وبذلك أيضا يتضح وجود أكثر من فرقة وأكثر من طائفة فقد جعل من العماليق الهكسوس طائفة ومن المصريين طائفة أخرى ومن بني إسرائيل طائفة ثالثة ، وهذه هي الشِّيع المقصودة في الآية على ما يظهر لنا.

وبالنظر في تلك الأنواع من الناس فلا شك أن الاضطهاد قد وقع من فرعون وهامان وقومهما من العماليق على كلا من عوام المصريين الفلاحين والمستضعفين من الشعب المصري (القبط) لكن الاضطهاد الحقيقي والتنكيل كان من نصيب بني إسرائيل دون غيرهم وذلك للحذر الذي كان يحذره فرعون وقومه منهم من قدوم مولود يدمر ملكهم وينتزع منهم سلطانهم كما تقدم.

حقيقة الاضطهاد والاستضعاف والعذاب

قال تعالى :

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (49) سورة البقرة

سؤال يطرح نفسه ، بما أن آل فرعون كانوا يسومون بني إسرائيل سوء العذاب ، فهل تم تسخير بني إسرائيل في البناء والتشييد كما تقول التوراة وكما شاع عند جميع الناس ؟

فبعد استعراض الأسباب الحقيقية للاضطهاد فهمنا أنه كان عند آل فرعون ما يبرر اضطهاد هذه الفئة المستضعفة التي كانت لها السيادة والملك لفترة ، ليتحول أمرهم إلى الاضطهاد والعذاب بعد أن كانوا سادة وملوكا.

إن حكام مصر من المصريين القدماء لم يكونوا يوما بحاجة إلى هذه الشرذمة القليلة المتمثلة في بني إسرائيل والتي أكدها القرآن الكريم فقد شيد قومهم منذ آلاف السنين وقبل قدوم بني إسرائيل المقابر الضخمة وخاصة في عهد الأسرات من الأولى إلى الثانية عشرة وكذلك في تشييد المقابر والمعابد المصرية خلال عصر الدولة الحديثة وما بعدها والتي لم تَدَّعِ التوراة أن من قاموا بها هم بنو إسرائيل حيث إن النصوص والمناظر المصرية تحدد تماما جنسية القائمين بها وهم من المصريين القدماء.[11]

ولم يكن المصريون القدماء القبط في أي عصر من عصورهم في حاجة إلى غيرهم حتى في أيام الضعف والاضمحلال حيث كان لديهم أعداد كبيرة من الحرفيين المهنيين في مختلف المجالات وخاصة في مجال البناء والتشييد وكانوا يتميزون بخبرة وكفاءة ودراية تفوق أمثالها لدى الشعوب القديمة الأخرى .

ودليلا قاطعا على أن المصريين لم يكونوا بحاجة إلى خبرات بني إسرائيل أو غيرهم سواء في مجال البناء أو حتى في كل من المجال الاقتصادي أو التجاري أو العلمي أو الأدبي أو العسكري إذ أن النصوص المصرية وما عثر عليه من آثار تؤكد تفوق

---

[11] عبد الحليم نور الدين – تاريخ وحضارة مصر – الجزء الأول

المصريين عن غيرهم في تلك المجالات جميعا يعني أن كل من كانت له القدرة لدى الهكسوس على حمل السلاح قد ضموه إلى قواتهم العسكرية وهذا يعني أيضا أنهم لم يكن لديهم عمال يقومون بتأدية أعمالهم المدنية المختلفة ولذا وجدوا ضالتهم في بني إسرائيل حيث جعلوهم خدما في قصورهم وبيوت أشرافهم و لم يسمحوا لهم بالرحيل من مصر رغم الابتلاءات الشديدة التي أصابتهم في كافة أوجه الحياة.[12]

وكل ما في الأمر أن الهكسوس قوم فرعون قد سخروا بني إسرائيل كخدم وعبيد وقتلهم كان يمثل خسارة كبيرة لفقدان الأيدي العاملة.[13]

وأما ما تدعيه التوراة وما يدعيه مفسريها التوراتيين من أن سبب الاضطهاد كان بسبب زيادة عدد بني إسرائيل عن عدد المصريين ، وأن المصريين كانوا يخشون اتحاد بنو إسرائيل مع أعدائهم في حالة نشوب الحرب أو ما إلى ذلك من التلفيقات الكاذبة فكله محض افتراء وكذب لخدمة أغراض يرمون إليها ويروجون لها.

يقول الحافظ بن كثير في كتابه البداية والنهاية:

"وعند أهل الكتاب أنه إنما كان يأمر بقتل الغلمان لتضعف شوكة بني إسرائيل فلا يقاومونهم إذا غالبوهم أو قاتلوهم وهذا فيه نظر بل هو باطل وإنما هذا في الأمر بقتل الولدان بعد بعثة موسى كما قال تعالى :"فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم" ولهذا قالت بنو إسرائيل لموسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان أولا حذرا من وجود موسى هذا" أ. هـ[14]

وهكذا يظهر زيف كذبة أخرى من الكذبات التوراتية في الادعاء بأن المصريين كانوا يخشون من ازدياد عدد بني إسرائيل وتفوق تعدادهم على تعداد قومهم ، أو أنهم كانوا يخشون من تحالف بني إسرائيل مع أعدائهم إذا ما هاجمهم عدوهم ، وربما كان

---

[12] انظر ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – المجلد السادس

[13] ملوك مصر القديمة – محمد راشد حماد – دار الكتاب العربي

[14] تفسير القرآن العظيم – الحافظ بن كثير

ذلك أليق بالهكسوس لأنهم دخلاء وأقل عددا من المصريين القبط أصحاب الأرض ، وبالتالي تصلح هنا المقارنة بين تعداد آل فرعون تحديدا وتعداد بني إسرائيل كقبيلتين متناظرتين.

تقول الرواية التوراتية :

"ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف. فقال لشعبه هوذا بنو اسرائيل شعب اكثر واعظم منا. هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب انهم ينضمون إلى اعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الارض. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم باثقالهم.فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس. ولكن بحسبما اذلّوهم هكذا نموا وامتدّوا.فاختشوا من بني اسرائيل. فاستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف. ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل.كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفا".

وقد رأينا محاولات تضخيم بني إسرائيل لأعدادهم وفترات بقائهم في مصر لحاجة خبيثة في نفوسهم تخدم محاولة إثبات أن لهم حقا في أرض مصر لمواطنتهم فيها حينا من الدهر ، وتشكيلهم لجزء كبير من سكانها في وقت من الأوقات ، حتى يتسنى لهم بعد ذلك تحقيق ما يرمون إليه في إثبات أحقيتهم في دولة إسرائيل الكبرى من النيل للفرات على حد زعمهم.

أما الزعم بأن الاضطهاد والعذاب كان بتسخيرهم في البناء والتشييد والعمارة فهو ادعاء توراتي آخر يخلو من الصحة ....

فضلا عن أنه لا يوجد لدينا نص واحد من القرآن الكريم أو من السنة المطهرة يؤكد تسخيرهم في أعمال البناء المزعومة ، اللهم إلا ما ذكر صراحة في القرآن الكريم من أن آل فرعون كانوا يسومون بني إسرائيل سوء العذاب .حيث كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نسائهم — أي يتركوهم أحياء – للخدمة والامتهان ، ولذلك قرن الله هذين الأمرين بقوله :

" وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ " سورة البقرة.

أي أن في فقدكم لأبنائكم الذكور وامتهان بناتكم الإناث لمعيشتهم دون رجالهم بلاء عظيم واختبار من الله تعالى حتى يرسل الفرج من لدنه.

وهكذا نرى كذبة أخرى من كذبات كاتبوا التوراة وإدعاء آخر من ادعاءاتهم بأن بني إسرائيل قد تم تسخيرهم في البناء والتشييد والسخرة ، وهو الأمر غير المنطقي فهو أيضا مرتبط بتعدادهم المذكور في الفقرة القادمة ، فالأعداد التي وصل إليها بنو إسرائيل في مصر لا تتعدى بضعة آلاف وعلى أقصى تقدير فقد بلغ عددهم ما بين 4000-6000 نسمة في أواخر فترة إقامتهم في مصر التي لا تتعدى مائةً وثمانين عاما وقد دخلوا إلى مصر وعددهم سبعون نفسا كما سبق ذكره.

إن تضخيم العدد والزعم بأنهم قد بنوا مدينتين من المدن المصرية وهما بيثوم/بيتوم ورعمسيس وتزوير أسماء الأماكن التي لم تكن موجودة في تلك الحقبة الزمنية وادعائهم معاصرة أعظم الملوك المصريين لهي مزاعم يهدفون من ورائها الوصول لأهداف أكبر اتضحت في العصر الحالي ، وتنوعت بين ادعائهم أنهم بناة حضارة مصر وأنهم كانوا جزء كبير من الشعب المتوطن في أرض مصر ، وأنهم أقاموا في مصر فترة طويلة وأصبحوا من أصحاب الأرض !! وغيرها من المزاعم الوهمية التي يروجون لها مستغلين جهل غالبية الناس بالتاريخ الحقيقي ، وقد تزايدت تلك الادعاءات في التهويل للدرجة التي سمعنا فيها بعضهم يدعي أن بني إسرائيل هم بناة الأهرام التي كانت قد بنيت قبل عهدهم بما يقترب من 2500 عام !!

فيالها من ادعاءات مستنكرة لا يصدقها إلا الغافلون من الناس !

فائدة وعظة من علو فرعون وإسرافه فى القتل والتعذيب والطغيان :

يقول ابن كثير في البداية والنهاية :

"والقدر يقول يا أيها ذا الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده وسلطة بأسه واتساع سلطانه قد حكم العظيم الذي لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف أقداره أن هذا المولود الذي تحترز منه وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد ولا يحصى لا يكون مرباه إلا في دارك وعلى فراشك ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك في منزلك وأنت الذي تتبناه وتربيه وتتعداه ولا تطلع على سر معناه ثم يكون هلاكك في دنياك وآخراك على يديه

لمخالفتك ما جاءك به من الحق المبين وتكذيبك ما أوحى إليه لتعلم أنت وسائر الخلق أن رب السماوات والأرض هو الفعال لما يريد وأنه هو القوي الشديد ذو البأس العظيم والحول والقوى والمشيئة التي لا مرد لها".

شرذمة قليلون ؛ هو تعداد بني إسرائيل عند الخروج من مصر؛:

- **تعداد بني إسرائيل وقت خروجهم من مصر**

لم يشكل بنو إسرائيل في مصر أعدادا كبيرة بالرغم مما كانوا يسببونه لفرعون وقومه من مشاكل عديدة منها عدم الاعتراف بألوهيته والاستهانة والاستهتار بآلهة ومعبودات قومية وتسفيهها وتحقيرها والإقلال من شأنها ودعوة الناس إلى تركها وعبادة الله تعالى ، وهذا في حالة عدم إعتمادنا على ما كتبه كُتّاب التوراة عن أعداد بني إسرائيل في زمان فرعون باعتبارهم قد درجوا على الكذب وهذا ثابت عنهم بالأدلة والبراهين واعتمادا على القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه حيث ورد فيه على لسان فرعون بأن بني إسرائيل كانوا يمثلون أعدادا قليلة في مصر :

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) ﴾ الشعراء

وكانت أعداد ذرية يعقوب لا تزيد عن سبعين نفسا حينما استدعاهم يوسف عليه السلام للإقامة في مصر بينما بلغ تعداد جنود الهكسوس العماليق ما يزيد عن مائتين وأربعين ألفا من الجنود المدربين فضلا عن أعداد النساء والأطفال والفئات الأخرى.[15]

وهذا يعني أنهم رغم قلة أعدادهم فإنهم كانوا يشكلون أهمية لدى فرعون وقومه.

ونلاحظ من ألفاظ الآيات أن الله عز وجل قد بين لنا أن العذاب والبلاء والاضطهاد كان يتمثل في أشياء بعينها ، وهي قتل الأبناء الذكور وذبحهم ، واستبقاء النساء للخدمة والامتهان والإذلال ، وهو نوع من ألوان القهر والترهيب ، وليس الأمر كما حاول أن يصوره لنا اليهود في كتابهم الذي حرفوا فيه ما شاءوا وما توافق مع أهوائهم ، حيث زعموا أن العذاب كان متركزا في تسخير بني إسرائيل في أعمال

---

[15] تاريخ ملوك مصر القديمة – دكتور محمد راشد حماد – الناشر : دار الكتاب العربي

البناء والتشييد وهو الأمر الذي يستنكره العقل والمنطق . كما تؤكد زيفه الحقائق التاريخية ، فبنو إسرائيل – كما سيأتي – لم يكونوا بالعدد الكافي الذي يسمح بتسخيرهم في البناء والإفادة من كثرتهم ، بل إنهم كانوا شعبا مجهريا قليل العدد، لم يتجاوز المئات ، بعد مرور ثلاثة أجيال فقط من عهد يوسف عليه السلام ، فموسى عليه السلام الذي كان محور أحداث واقعة الصراع والخروج كان حفيدا للسبط لاوي، ومن المرجح أن قهاث / قهات / قاهث – جد موسى – وابن السبط لاوي أخو يوسف الأكبر سنا من يوسف عليه السلام كان من الوافدين على مصر من جملة السبعين نفسا الذين دخلوها في زمان لاوي بن يعقوب ، فتكون الأجيال من يوسف لموسى عليهما السلام لا تزيد عن ثلاثة أجيال لا غير ، حيث أنه من المعروف أن نسب موسى عليه السلام هو أنه (موسى بن عمرام "عمران" بن قاهات بن لاوي بن يعقوب) كما ورد في التوراة ، أو أنه (بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب) كما أورده بن كثير في البداية والنهاية في إحدى روايتين [16]، وهكذا نرى أن الأجيال المنحصرة بين موسى ويوسف عليه السلام لا تزيد عن جيلين أو ثلاثة أجيال على الأكثر ، لا يمكن أن يزيد فيها عدد بني إسرائيل من سبعين نفس إلى ستمائة ألف كما ادعوا في التوراة المحرفة الملفقة ، في وقت كان فيه المصريون أنفسهم وهم أصحاب الأرض لا يتجاوز تعدادهم المليونين [17]، بل يقلُّ عن ذلك شيئا ، ولكن أغلب الظن أن بني إسرائيل في فترة أجيال ثلاث أو أربع لا يمكن أن يزيد عددهم بأي حال عن بضعة مئات فضلا عن أن يتخطى عددهم خانة الآلاف.

ومن هنا نرى أن بني إسرائيل كانوا طائفة بشرية قليلة وضعيفة لا يمكن الإفادة منهم في أعمال البناء والتشييد الضخمة كما ادعت التوراة المحرفة للدرجة التي تجعلهم

---

16 يذكر كلا من أبي الفداء و ابن خلدون و المسعودي أن نسب موسي هو : موسي بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب

17 يرجح علماء المصريات أن تعداد مصر في الدولة القديمة كان يربو على مليون ونصف المليون ، ثم زاد قليلا في عهد الدولة الوسطى ليقترب من المليونين ، ثم زاد عن ذلك في عهد الدولة الحديثة وقبيل الميلاد ليربو نحو ثلاثة ملايين ونصف تقريبا

يبنون فيها مدينتين كاملتين ، والدليل على ذلك القول ما ورد على لسان فرعون نفسه في عزمه على مطاردة بني إسرائيل :

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الشعراء

إن تعداد بني إسرائيل في مصر لم يصل في أقصى ذروته عن الستة آلاف نفس بل الأرجح أنه أقلّ من ذلك ، أما ادعاء التوراة بأن أعدادهم قد وصلت لستمائة ألف نفس 600000 لهو التبجح بعينه ولا يمكن وصفه إلا بأنه نوع صارخ جدا من الاستغفال والاستهانة بعقول الناس ، إن سبعون نفسا وهو العدد الذي دخل إلى مصر من بني إسرائيل في عهد يوسف عليه السلام لا يمكن أن يصبحوا ستمائة ألف نفس في مائة وثمانون عاما هي مدة بقائهم في مصر على أقصى تقدير ، بل لا يمكنهم الوصول إلى ذلك العدد في خمسمائة عام ولا في ألف عام في تلك الأزمان البعيدة.

وقد ذكرنا في الفقرة السابقة أن الأعداد التي وصل إليها بنو إسرائيل في مصر لم تتعدَّ بضعة آلاف وعلى أقصى تقدير فقد بلغ عددهم ما بين 4000-6000 نسمة في أواخر فترة إقامتهم في مصر التي لا تتعدى مائة وثمانون عاما وهو العدد الذي يمكن أن نحتسبه بمتوالية حسابية بسيطة خلال المائة وثمانون عاما المذكورة من واقع سبعون نفسا هي جملة من قد دخلوا مصر مع يعقوب عليه السلام.

وقد لجأ كثير من علماء الكتاب المقدس الغربيين إلى محاولة تبرير هذا التناقض وهذه السقطات الفادحة كمحاولة منهم لترقيع تلك الفجوات المهولة في نسيج القصة التوراتية ، فأقر أحدهم بما نقوله الآن وقال إن الأرقام اليهودية التي كتب بها الكتاب المقدس قد تخدع القراء بخصوص العدد الحقيقي المقصود في النص ، وأن الأصفار التي أضيفت إلى الترجمة قد تزيد بصفر أو صفرين عن العدد الأصلي ، وقد رجح هؤلاء العلماء التوراتيون أن التعداد الحقيقي قد يكون ستين ألفا أو ستة آلاف !!

وهكذا يتضح زيف كذبة أخرى من كذبات اليهود ، الذين دأبوا في تلفيق وتزييف ما يخدم أغراضهم سواء في التاريخ أو في أي كتاب حتى وإن لم يسلم كتابهم المقدس

المزعوم نفسه من هذه التحريفات الصارخة وسوف نتناول أيضا مسألة تعداد بني إسرائيل في وقت الخروج في الفصل القادم لنثبت التهويل والتضخيم الذي قام به اليهود في تعداد بني إسرائيل أثناء خروجهم من مصر.

نسب موسى والفترة بينه وبين يوسف عليهما السلام:

إن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة هو :

هل ولد موسى عليه السلام بين المصريين وعاش بينهم وبعث فيهم رسولا ؟ وما هي الفترة الزمنية بين وفاة يوسف ومولد موسى وهارون عليهما السلام ؟

وهذا السؤال من أشكل الأسئلة وأشدها صعوبة على كل من يبحث في هذا الموضوع ، والإجابة عنه تحل الإشكالية بالكامل وتثبت بما لا يدع مجالا للشك أن فرعون هو ملك من ملوك الهكسوس وأن موسى ولد في عهد أحد ملوكهم وأن واقعة الخروج إنما وقعت في فترة حكم هؤلاء الفراعنة الهكسوس عماليق مصر.

ويتبنى معظم المعاصرين اليوم نظرية خارجة عن المنطق بالكلية حيث يؤيدون امتداد وجود بني إسرائيل وبقائهم إلى ما بعد عهد الهكسوس ، فيقولون : "بأن الشعب المصري الذي كان محتلا من الهكسوس قد اضطهد بني إسرائيل الذين كانوا متحالفين مع المحتلين ، فكان الاضطهاد هو اجراء انتقامي من المصريين ضد بني إسرائيل جزاءً لهم على معاونتهم لهؤلاء المحتلين وتحالفهم معهم".

وهو الرأي الذي يخالف الكثير من المنطق كما يخالف الأدلة التاريخية التي قدمناها والتي تثبت دون جدل أن بني إسرائيل لم يظلوا في مصر كل هذه المدة التي يدعيها اليهود في التوراة [18] ، وأن دخولهم مصر وخروجهم منها لم يخرج عن نطاق عصر الهكسوس.

---

[18] تذكر التوراة أن بقاء بني إسرائيل في مصر قد امتد لما يقرب من أربعمائة وثلاثون عاما ، ولكن سبق أن أثبتنا أن فترة بقائهم لا يمكن أن تزيد بأي حال عن مائة وثمانون سنة على أقصى التقديرات.

هذه إذن من الأدلة القوية التي تثبت أن فرعون ذي الأوتاد كان من الفراعنة الهكسوس عماليق مصر ولم يكن من المصريين القدماء ، لكن ما هو الدليل على معاصرة موسى عليه السلام لفترة الهكسوس ؟

إن التوراة قد وضعت حجابا كثيفا جدا في على الفترة الواقعة بين وفاة يوسف عليه السلام وبين ميلاد موسى عليه السلام ، ورغم أن التوراة تذكر في كل مناسبة أعمار كل من ذكرهم من أجيال الآباء وكم كان عمرهم حين ولد أبنائهم وغيرها من التفاصيل ، إلا أن كاتبوها قد ضربوا صفحا عن المسافة التي تفصل وفاة يوسف عليه السلام وحتى ميلاد هارون وموسى عليهما السلام وأوردت المعلومات متفرقة على غير العادة التي يتبعها كاتبوا دائما.

ولو تتبعنا مسار الأسباط وعددهم وذريتهم التي وفدت إلى مصر لعلمنا من التوراة ومن غيرها أن لاوي أخو يعقوب الأكبر قد دخل مصر مع الداخلين إليها من بني إسرائيل واباهم يعقوب عليه السلام ، بل إن لاوي قد جاء مع أبناءه كذلك وهم أحفاد يعقوب ، فعندما جاء يعقوب قد بلغ من العمر مائة وعشرون عاما وفقا لرواية التوراة [19] وقد أحضر معه جميع أبناءه و كذلك جميع أحفاده.[20]

و فى التوراة :

"وجاءوا إلى مصر .. يعقوب و كل نسله معه و بنوه و بنو بنيه معه وبناته وبنات بنيه و كل نسله جاء بهم معه إلى مصر"[21]

وهكذا يتضح أن لاوى بن يعقوب وهو أخو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وكذلك حفيد يعقوب عليه السلام واسمه :قاهث بن لاوى بن يعقوب قد وفدوا جميعا إلى مصر.

[19] قصص الأنبياء – عبد الوهاب النجار.

[20] تاريخ ابن خلدون.

[21] سفر التكوين 46 : 6-7.

يقول ابن خلدون : وكان قاهث بن لاوى من القادمين الى مصر مع يعقوب عليه السلام.[22]

و فى التوراة :

"وهذه أسماء بنى اسرائيل الذين جاءوا الى مصر : يعقوب وبنوه .. بكر يعقوب "رأوبين" .و بنوا رأوبين : حنوك وفول و حصرون وكرمى . وبنو شمعون : يموئيل و يامين و اوهد و ياكين و صرحر و شأول ابن الكنعانية ، و بنو لاوى : (جرشون و قاهث و مرارى) .. الخ "[23]

إذن فقد كان (قاهث بن لاوى بن يعقوب) ممن حضروا الى مصر فى عهد ثاني ملوك الهكسوس الملك الريان بن الوليد ملك العماليق الذي كان يسمى عند اليونانيين وفي الآثار خيان / خايان.[24]

يقول ابن خلدون في التاريخ: وكان قاهث بن لاوى من القادمين إلى مصر مع يعقوب عليه السلام[25]

فمن هو قاهث أو قاهات بن لاوي بن يعقوب ؟

إن قاهات أو قاهث حفيد يعقوب هو نفسه جد موسى وهارون عليهما السلام ، تقول التوراة إن نسب موسى عليه السلام أنه :

موسي بن عمرام بن قهات بن لاوي بن يعقوب[26]

1. فى سفر التكوين : 49 :22-23 : "وكان بنو يعقوب اثنى عشر : رأوبين وشمعون و لاوى ..... "

2. فى سفر الخروج : 16:6 : "وهذه اسماء بنى لاوى : جرشون و قاهث .... "

3. وفى سفر الخروج : 18:6 :" وبنو قاهث : عمرام و يصهار ..... "

4. وفى سفر الخروج : 20:6 :"واخذ عمرام زوجة له فولدت هرون و موسى"

---

[22] المصدر السابق

[23] سفر التكوين 46: 8-11

[24] انظر كتاب قدماء المصريين أول الموحدين للأستاذ نديم السيار

[25] تاريخ ابن خلدون

[26] انظر سفري التكوين والخروج

أما عند المؤرخين العرب فيذكر أبو الفداء وابن خلدون والمسعودي وغيرهم من المؤرخين العرب أن نسب موسى عليه السلام هو : موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب.

وهكذا ايضا تذكر التوراة وجميع المراجع اليهودية[27] و المسيحية[28] و الاسلامية.

اذن .. فالنبى موسى هو ابن عمران ابن قاهث ، اى ان موسى وقاهث وجدا خلال جيلين فقط[29]

وعلى هذا فـ"قاهث / قاهات بن لاوي بن يعقوب " وهو جد موسي عليه السلام أي والد أبيه قد جاء مصر في عهد الملك الهكسوسي الثاني وهو الريان بن الوليد قبل أن ينجب ابنه عمران ثم ينجب عمران موسى وهارون وهذه هي كل الفترة الواقعة بين دخولهم ومولد موسى عليه السلام الذي خرجوا في عهده.

لكنَّ كاتبى التوراة أرادوا اللعب بالعقول والعبث بالتاريخ وتزييف الحقيقة فكان لهم رأيا آخر ..

فبعد أن ذكروا معترفين أن قاهث جد موسى عليه السلام قد حضر إلى مصر فى عهد الملك الهكسوسى الثانى فقد تجاوزا عهد الملك الهكسوسى الثالث و الرابع والخامس والسادس فتجاوزا بذلك فترة حكم الهكسوس ومازال موسى فى إدعائهم لم يولد بعد ، ثم دخلوا بعد ذلك على عصر مابعد طرد الهكسوس على يد أحمس مؤسس الاسرة المصرية الـ 18 ، فعبروا عهود جميع ملوك هذه الأسرة أيضا : عهد أحمس ومن بعده أمنحوتب الاول ثم تحوتمس الاول ثم تحوتمس الثانى ثم امنحوتب الثانى ثم تحوتمس الرابع ثم امنحوتب الثالث ثم اخناتون ثم سمنخ كارع ثم توت عنخ امون ثم آى ثم حور محب ، وبذلك تنتهى عهود جميع ملوك هذه الاسرة الثامنة عشر 14 ملك وما زال موسى فى زعم اليهود لم يولد بعد!!!

---

[27] انظر قاموس الكتاب المقدس /ص930

[28] انظر موقع الأنبا تكلا

[29] قدماء المصريين أول الموحدين – نديم السيار

ثم دخلوا بعد ذلك على الاسرة الـ 19 ، فعبروا عهد اول ملوكها ثم الثانى حتى وصلوا الى ثالث ملوك هذه الاسرة "رمسيس الثانى" ليقولوا لنا هذا هو فرعون موسى.

كل هذه العصور... قد مضت جميعاً مابين قاهث وموسى ، وهل احتاج قاهث لكى ينجب حفيده موسى الى كل هذه الاحقاب؟ ، استخفاف بالعقول واستغفال للناس فاق حد الجنون وتزييف وتأليف فاق كل تخريف.[30]

وهذه المبالغات والإمعان في الكذب لا يمكن أن يغير في حقيقة أن موسى وهارون عليهما السلام قد ولدا فى عصر الهكسوس و هذا ما يؤكده المؤرخون المسلمون :

يذكر أبو الفدا : "وكان اول قدوم (بنى اسرائيل) مع يعقوب..لمُضى تسع وثلاثين سنه من عُمر يوسف عليه السلام".

– فاقاموا فى مصر بقية عمر يوسف عليه السلام ..وهو 71 عاما لأن يوسف عليه السلام عاش مائة وعشر سنين .[31]

– ثم اقاموا أيضا مدة ما كان بين وفاة يوسف عليه السلام ومولد (موسى) وهو: 64 عاما وبالتالي تكون المدة التى انقضت ما بين دخول بنى اسرائيل : وفيهم قاهث حفيد يعقوب وجد موسى وهارون : حتى مولد موسى عليه السلام هي = (71 عام من دخول بني إسرائيل مصر وحتى وفاة يوسف + 64 عام من وفاة يوسف لمولد موسى) = 135 عام.

وهذا يعني أن موسى عليه السلام قد ولد بعد 135 سنة من دخول جده قاهث / قاهات حفيد يعقوب عليه السلام فقاهث جد موسى عليه السلام قد دخل مصر مع باقي بني إسرائيل في فترة حكم الملك الهكسوسي الريان بن الوليد وهو ثاني الملوك العمالقة في مصر .

يقول الأستاذ نديم السيار :

---

[30] قدماء المصريين أول الموحدين – نديم السيار – بتصرف.

[31] سفر التكوين : 50.

يستحيل أن يكون موسى خارج نطاق عصور الهكسوس بأى حال من الاحوال .
ولا ذرة شك - نقولها ونكررها بكل يقين : (لا ذرة شك)- فى أن موسى قد ولد وعاش فى هذا العصر الهكسوسى ، بل و فى بدايات عصور الهكسوس و داخل نطاق الاسرة الهكسوسية الاولى ، بل وربما كان خامس ملوك الهكسوس - بالتحديد- هو الذى تلقى موسى رضيعا .

هذا ما يقوله المنطق ، و ما تقولة ايضا حقائق التاريخ ، ومن الغريب ان هذا الذى نقوله هو نفسه ما تذكره و تؤكده ايضا جميع المراجع الاسلامية والعربية ، وبرغم هذا لا أحد يلتفت لذلك !!!!![32]

وحين نعلم أن فترة الهكسوس في مصر قد امتدت على أرجح الأقوال إلى ما يقرب المائتين وخمسين سنة نستطيع بعدها أن نؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن موسى عليه السلام قد ولد خلال فترة الهكسوس وفي عصر أحد ملوكهم ، وقد رجح الكثيرون من مشاهير المفكرين المعاصرين – فضلاً عن قدامى المؤرخين العرب - أن ولادة موسى عليه السلام قد تمت في عهد خامس أو سادس ملوك الهكسوس تحديدا ومنهم الدكتور مصطفى محمود والأستاذ نديم السيار والكاتب الأستاذ منصور عبد الحكيم والدكتور محمد راشد حماد والمهندس عاطف عزت والأستاذ مؤمن سالم وغيرهم الكثيرون.[33]

وفى الواقع، فإن ما اختلف فيه العلماء اليهود و الغربيون قد كشفه القرآن الكريم و من بعده العلم الحديث ، فقد ذكرت التوراة أن فترة استعباد اليهود فى مصر كانت

---

[32] قدماء المصريين أول الموحدين – نديم السيار.

[33] من المفكرين المعاصرين الذين ذهبوا إلى نفس النظرية الدكتور مصطفى محمود الذي ذكر ذلك في عدة مقالات والأستاذ نديم السيار صاحب كتاب قدماء المصريين أول الموحدين ، والمهندس عاطف عزت صاحب كتاب فرعون من قوم موسى والأستاذ مؤمن سالم صاحب كتاب فرعون موسى كان هكسوسيا و لم يكن مصريا ، والدكتور محمد راشد حماد فى كتابه ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم إلى عصر موسى عليهم السلام وكلهم قد ذهبوا إلى ما ذهبنا إليه من أن فرعون كان من العماليق الهكسوس مع بعض الاختلافات في التفاصيل والتي لا تؤثر على جوهر الفكرة.

أربعة أجيال ، وفى ذكر أسماء عشائرهم فى مصر ذُكِرَت أربعة أجيال من يوسف لموسى عليهما السلام (و فى أماكن أخرى من التوراة ذُكِرَ أنهم مكثوا فى مصر أربعمائة و ثلاثين عاماً)...و على أى حال ما درج هو الحديث عن الأجيال الأربعة فقط حرصاً على استمرار شجرة النسب بالمقام الأول (لأن معنى تواجدهم لأكثر من أربعمائة سنة فى مصر — وهو الأمر الذي لم يحدث بكل تأكيد - هو أن هناك نسباً مقطوعاً بين يوسف و موسى عليهما السلام مما يثير الشكوك حول ما يروّج له اليهود بأن فترة تواجد أسلافهم بمصر لم تكن بكاملها سوى فترة الذل والاستعباد لهم على ضفاف النيل - وهو على العكس ما يوجد من الأدلة ما هو قادر على دحضه و تأكيد عكسه.

ويروي المؤرخون العرب والمسلمون في سياق واقعة احتلال الهكسوس لأرض مصر كيف أن جد موسى وعمران عليهما السلام وهو قاهث بن لاوي بن يعقوب قد وفد مع الوافدين إلى مصر :

يقول ابن ظهيره : فطمعت فيهم (أي : في المصريين) العمالقه فملكهم خمسة ملوك من العمالقة ، قال قتاده : اولهم كان في زمن الخليل ثم الثاني الريان وهو فرعون يوسف عليه السلام ، قال المقريزي : ذكر القبط ان الفراعنه اولهم فرعون ابراهيم و الثاني الريان فرعون يوسف عليه السلام ، إذن النبي يعقوب قد دخل مصر في عهد الملك الهكسوسي الثاني ، فقد جاء يعقوب مصر و عمره 130 سنه (قصص الانبياء/355/1) وكذلك جميع ابنائه و احفاده (ابن خلدون) ويهمنا من كل هؤلاء هو ابنه لاوي و حفيده قاهث بن لاوي ويؤكد علي هدا ابن خلدون كما تؤكده التوراه (سفر التكوين).

إذن فقد كان (قاهث بن لاوي بن يعقوب) ممن حضروا الي مصر في عهد الملك الهكسوسي الثاني

ويذكر كل من : ابو الفدا و ابن خلدون و المسعودي (ان نسب موسي هو) : موسي بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ، فالنبي موسي هو ابن عمران بن قاهث أي بين موسي وقاهث جيلان فقط، و قاهث جاء في عهد الملك الهكسوسي الثاني ، وبالمنطق فإن حفيده موسي جاء في زمن الهكسوس مع العلم أن :

ثاني ملوك الهكسوس الذي جاء في عهده قاهث حكم مصر 44 سنة
ثالث ملك حكم 36 سنة
رابع ملك حكم 61 سنة
خامس ملك حكم 50 سنة
سادس ملك حكم 49 سنة[34]

و هؤلاء الملوك السته يمثلون ملوك الهكسوس الكبار وهم الذين امتد حكمهم لحوالي مائتان وأربعون عاما متتالية – 240 عاما ، ولا يشمل حكمهم الحكام الذين سبقوا فترة الحكم المركزي للهكسوس كالملك سنان بن علوان المعاصر لإبراهيم عليه السلام والذي كان يمثل حاكم اقليم أثناء فترة تفكك الأقاليم بعد الدولة الوسطى في مصر ، ولا يشمل حكمهم أيضا فترة حكم الأمير الهكسوسي "أبوفيس" الذي حاول استعادة زمام الأمور بعد غرق فرعون وقبيلته وجنوده في البحر وقد حكم فترة لا تقل عن عشر سنوات بعد الجائحة الشنعاء التي أصابت فرعون وقومه وهم أكبر القبائل الهكسوسية ، وقد وقعت فترة إقامة بني إسرائيل في مصر خلال هذه السنوات التي حكم فيها ملوك الهكسوس الكبار أرض مصر.

إذن يستحيل ان يكون موسي خارج نطاق عصور الهكسوس باي حال من الاحوال ، هدا مايقوله المنطق و كذلك حقائق التاريخ ، وبرغم ان هذا هو نفسه ماتذكره و تؤكده ايضا جميع المراجع الاسلاميه ، وبرغم هذا لا احد يلتفت لذلك.[35]

يوسف يعايش قاهث قبل أن يموت:

ورد بالعهد القديم :

ورأى يوسف لأفرايم أولاد الجيل الثالث. وأولاد ماكير بن منسى أيضا ولدوا على ركبتي يوسف. التكوين 50 – 23

---

34 نديم السيار ومصادر متعددة د .سليم حسن . مصر الفرعونية لأحمد فخرى و مانيتون.

35 قدماء المصريين أول الموحدين – نديم السيار.

وهذا معناه أن يوسف عليه السلام عايش أبناء أحفاده والذي منهم ماكير بن منسى ابن يوسف.

أما أحفاد لاوي أخوه الأكبر ومنهم عمران بن قاهث بن لاوي فمن المؤكد أنهم قد ولدوا في حياة يوسف عليه السلام وبذلك يثبت لنا أن عمرام / عمران حفيد لاوي قد عايش يوسف وعاصره قبل أن يموت ، وعلى أبعد تقدير فيمكن أن يكون مولد عمران كان بعد وفاة يوسف بقليل ، وبذلك يثبت أيضا أن الفترة بين وفاة يوسف ومولد موسى وهارون أبناء عمران ليست بعيدة بل تنحصر عقود قليلة قد تبلغ العقود الخمس أو الست عقود فقط وهي تؤكد كما أسلفنا أنها حوالي 64 عامًا مرت بين وفاة يوسف ومولد موسى عليه السلام.

بقاء الأسباط في مصر يزيد قليلا عن عمر امرأة عجوز من بني إسرائيل !

يقول ابن جرير الطبري: "عن ابن إسحاق: وهلك الملك الذي كان معه الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق مُلك مصر ، فنشر الله بها بني إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض ، كما ذكر لي ، في صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء".[36]

وروي أن يوسف عليه السلام لما مات دفنوه في النيل في صندوق من رخام ، وذلك انه لما مات تشاجر الناس عليه ، كل يقول يجب ان يدفن في محلته ، لما كانوا يرجون بركته ، وبعد ذلك هموا أن يدفنوه في النيل فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع أراضي مصر ، فيكون كلهم فيه شركاء وفي بركته سواء ، فكان قبره في النيل[37].

وتؤكد التوراة تلك المعلومة :

"وأخذ موسى عظام يوسف معه، لأنه كان قد استحلف بني إسرائيل بحلف قائلًا: إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم" [38]

---

[36] تاريخ الرسل والملوك – التفسير للطبري

[37] قصص الأنبياء – عبد الوهاب النجار

[38] سفر الخروج – 13 : 19

لكن السنة النبوية الصحيحة تضيف لنا معلومات لا تتوافر فيما سواها وهي من الأدلة التي لا تتوافر إلا في النصوص الإسلامية والتي تؤكد على نفس الدليل السابق لذلك الدليل وتتوافق مع كل الأدلة السابقة في هذا الفصل وخاصة ما أثبتناه عن الفترة التي قضاها بنو إسرائيل في مصر .

فقد روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى أعرابيٌّ فأكرَمه فقال له ائتِنا فأتاه فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سَلْ حاجتَك فقال ناقةٌ نركَبُها وأعنُزٌ يحلُبُها أهلي فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أعجَزْتُم أن تكونوا مِثلَ عجوزِ بني إسرائيلَ فقال إنَّ موسى لَمَّا سار ببني إسرائيلَ مِن مِصرَ ضلُّوا الطَّريقَ فقال ما هذا فقال علماؤُهم إنَّ يوسفَ لَمَّا حضَره الموتُ أخَذ علينا مَوْثِقًا مِنَ اللهِ ألَّا نخرُجَ مِن مصرَ حتَّى ننقُلَ عِظامَه معنا قال فمَن يعلَمُ موضِعَ قبرِه قال: عجوزٌ مِن بني إسرائيلَ فبعَث إليها فأتَتْه فقال دُلِّيني على قبرِ يوسُفَ قالت حتَّى تُعْطيَني حُكْمي قال وما حُكْمُكِ قالت أكونُ معك في الجَنَّةِ فكرِهَ أن يُعْطِيَها ذلك فأوحى اللهُ إليه أن أعطِها حُكْمَها فانطلَقَتْ بهم إلى بُحَيرةٍ مَوضعِ مُستنقَعِ ماء فقالتِ انضُبوا هذا الماءَ فأنضَبوه قالتِ احتفِروا واستخرِجوا عِظامَ يوسُفَ[39] فلمَّا أقلُّوها إلى الأرضِ إذ الطَّريقُ مِثلُ ضوءِ النَّهارِ"[40]

إن تلك المرأة العجوز التي تخطى عمرها المائة عام بكل تأكيد وقت الخروج كانت معاصرة لواقعة وفاة يوسف عليه السلام ، والذي كانت وفاته تسبق ميلاد موسى عليه

---

[39] قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" 1 / 560 : أخرجه أبو يعلى في " مسنده " (344 / 1) و الحاكم (2 / 404 - 405 ، 571 -572) وقال صحيح على شرط مسلم ، فهذا الحديث ورد فيه((ننقل عظامه))و((عظام يوسف))وهذا في ظاهره أنه لم يتبق من يوسف-عليه السلام-إلا عظامه،وهذا ما يتعارض مع ما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود في سننه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-قال: ((إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)). وقال الألباني تعليقا : في السلسلة الصحيحة(1\623-624) ((كنت استشكلت قديما قوله في هذا الحديث " عظام يوسف " لأنه يتعارض بظاهره مع الحديث الصحيح : " إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء " حتى وقفت على حديث ابن عمر رضي الله عنهما . " أن النبي - صلى الله عليه وسلم- لما بدن ، قال له تميم الداري : ألا أتخذ لك منبرا يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك؟ قال : بلى . فاتخذ له منبرا مرقاتين " . أخرجه أبو داود (1081) باسناد جيد على شرط مسلم . فعلمت منه أنهم كانوا يطلقون " العظام " ، و يريدون البدن كله ، من باب إطلاق الجزء و إرادة الكل ، من المجاز المرسل علاقته الجزئية , كقوله تعالى *(و قرآن الفجر)* أي : صلاة الفجر.

[40] أخرجه بن حبان والهيثمي وغيره

السلام بحوالي أقل من السبعين عاما ، ولو أضفنا إلى ذلك عمر موسى عليه السلام حتى أتته النبوة وهو أربعون عاما أو يزيد قليلا لبلغت المدة مائة وعشرة عاما ، وبذلك تكون هذه المرأة التي شهدت وفاة يوسف عليه السلام قد تجاوزت المائة وعشرون عاما من العمر يزيد عن ذلك أو يقل قليلا وهي متوسط الأعمار في ذلك الوقت ، وهي تقريبا تقارب الفترة التي أقامها بنو إسرائيل في مصر بعد وفاة يوسف عليه السلام وحتى الخروج ، فقد قضى بنو إسرائيل في مصر أثناء حياة يوسف عليه السلام سبعين عاما أخرى تضاف إلى السنوات التي تلت وفاته ، وبذلك تكون فترة بقائهم في مصر حوالي المائة وثمانين عاما يزيد عن ذلك أو يقل بسنوات قليلة.



صورة تخيلية لبني إسرائيل يحملون تابوت يوسف عليه السلام أثناء خروجهم من مصر

المدة الحقيقية لبقاء الأسباط فى مصر منذ دخولهم وحتى خروجهم مع موسى عليه السلام:

قال المؤرّخون: ولّما اجتمع يوسف عليه السّلام بأبيه بعد الفراق كان عمر يعقوب 130 سنة، ثمّ توفي يعقوب بعدها بسبع عشرة سنة. وعاش يوسف عليه السلام 110 سنوات، ومات في مصر وهو في الحكم، ودفن بها، وكان قد أوصى إخوته أن يُحمَل معهم إذا خرجوا من مصر فيُدفَن مع آبائه، وقد نقل رفاته إلى الشام أيام موسى عليه السّلام، ودُفن بنابلس على الأرجح.

كانت وفاة يوسف عليه السّلام بعد ميلاد جدّه الأكبر سيّدنا إبراهيم عليه السّلام بـ361 سنة، وقبل مولد سيدنا موسى عليه السّلام بـ64 سنة على الصّحيح من الأقوال.

وقد طلب عليه السّلام من ربّه جلّ وعلا حين دنا أجله أن يُميته على الإيمان، وأن يُلحقه بعباده الصّالحين، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ، وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ، فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾، وقد استجاب الله دعاءه فنقله إلى الرفيق الأعلى رحمه الله رحمة واسعة ورزقنا الموت على الإيمان، إنّه سميع مجيب الدعاء[41].

وتذكر الكثير من المصادر الإسلامية والكتابية أن قدوم يعقوب عليه السلام ودخوله إلى مصر كان بعد مُضى تسع و ثلاثين سنه من عُمر يوسف عليه السلام ، كما تذكر ذات المصادر أن يوسف عليه السلام قد عاش 110 أعوام ، وبالتالي فقد عاش يوسف عليه السلام بعد قدوم بني إسرائيل 71 عاما قبل أن ينتقل للرفيق الأعلى[42].

– ثم اقاموا أيضا مدة ما كان بين وفاة يوسف عليه السلام ومولد (موسى) وهو: 64 عاما وبالتالي تكون المدة التى انقضت ما بين دخول بنى اسرائيل — و فيهم قاهث حفيد يعقوب وجد موسى وهارون - حتى مولد موسى عليه السلام هي = (71 عامًا من دخول بني إسرائيل مصر وحتى وفاة يوسف + 64 عامًا من وفاة يوسف لمولد موسى) = 135 عامًا.

وهذا يعني أن موسى عليه السلام قد ولد بعد 135 سنة من دخول جده قاهث / قاهات حفيد يعقوب عليه السلام فقاهث جد موسى عليه السلام قد دخل مصر مع باقي بني إسرائيل في فترة حكم الملك الهكسوسي الريان بن الوليد وهو ثاني الملوك العمالقة في مصر .

ويضاف إلى المدة السابقة ما بين دخول بني إسرائيل مع يعقوب إلى مصر وحتى ميلاد موسى عليه السلام أي 135 عاما ، يضاف إليها العمر الذي قضاه موسى عليه السلام منذ مولده وحتى بعثته وهي على الأرجح أربعون عاما ويزيد عليها أيضا الفترة

---

41 بتصرف، من "النبوة والأنبياء" للصابوني

42 انظر سفر التكوين

التي ظل يطالب فيها فرعون بأن يرسل معه بني إسرائيل حتى خروجهم من مصر وقد تصل إلى شهور أو سنوات قليلة.

إذن لم يتخط بقاء بني إسرائيل في مصر مدة الـ 180 عاما بأي حال من الأحوال بل تقل مدة بقائهم عن ذلك.[43]

وقد قام اليهود المعاصرين بإطالة ومط الفترة مابين وصول قاهث حتى ميلاد حفيده موسى بصورة جنونية مضحكة لتحقيق هدفهم بإلصاق فرعون موسى بالمصريين القدماء بأية وسيلة ، فجعلوا هذه الفترة تمتد وتمتد لقرون عديدة و تتخطى عهود 93 ملكاً ممن تعاقبوا على حكم مصر.[44]

---

[43] قام مفسروا العهد القديم استنادا إلى ما ذكر بسفر الخروج (4:12) أن إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر كانت 430 سنة وبالمفهوم الرمزي تصبح مدة الـ 430 سنة هي منذ دعوة الله لإبراهيم بالخروج من أور حتى خروج الشعب من أرض مصر وهي تمثل فترة الغربة بالكامل ، أما بقاء شعب إسرائيل في مصر فكانت مدته حوالي 210-215 سنة وقد قاموا حساب المدد كالتالي:-

1. المدة من دعوة الله لإبراهيم وهو في ما بين النهرين في أور إلي خروجه من حاران كانت 5-15 سنة ولنقل أنها 5 سنين.
2. المدة من ترك حاران ودخوله كنعان إلي ولادة اسحق 25 سنة لأنه ترك حاران وعمره 75 سنة وولد إسحق وعمره 100 سنة (24:12 + 25:21).
3. من ولادة اسحق إلي ولادة يعقوب 60 سنة (26:25).
4. من ولادة يعقوب حتى دخوله إلي أرض مصر مع بنيه 130 سنة (1:47) وبذلك تكون مدة تغرُّب إبراهيم وبنيه في أرض كنعان: 5+ 25+60+130=220 سنة

وتصبح مدة الغربة والإقامة في مصر: 430 -220 = 210

وهم بذلك يستندون إلى قول التوراة "نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم" : (كنعان ومصر) ويستعبدون لهم هذه تمت في مصر ، ويفسرون أيضا أن الله لم يكشف اسم مصر لأن الغربة شاملة مصر وكنعان في أيام إبراهيم وإسحق ويعقوب ، وهو بذلك حساب مقارب لما ذهبنا إليه وذهب إليه التلموديون لتصل المدة من 180:170 عامًا بعد استبعاد فترة التيه التي سبقت توجههم للأرض المقدسة.

[44] قدماء المصريين أول الموحدين – نديم السيار.

يقول الدكتور محمد راشد حماد عن نظرية وقوع الأحداث في الدولة الحديثة المصرية (نظرية بقاء بني إسرائيل في مصر بعد خروج الهكسوس):

- إن الآراء التي ترى بأن بني إسرائيل قد آثروا البقاء في مصر أو أنه تم أسر أغلبهم وإعادتهم إلى مصر واستمروا يعيشون بها حتى عصر الدولة الحديثة بعيدة تماما عن الصواب.
- اختلافهم لغة وجنسا وعقيدة وعادات عن المصريين القدماء (القبط) سيحول دون تأقلمهم مع المصريين خاصة بعد رحيل القوم الذين كانوا يشاركونهم الجنس واللغة والمهنة.

لقد كان لاوي يكبر أخاه يوسف بحوالي تسع سنوات ودخل معه أيضا حفيد يعقوب عليه السلام قاهث / قاهات ، ليكون كل من لاوي ويوسف وقاهث قد عاشوا جميعا متعاصرين ولا يفصلهم عن عصر موسى إلا عمران بن قاهث أي جيل واحد فقط.

وتؤكد النصوص التوراتية أن إقامة بني إسرائيل في مصر كانت لأكثر من أربعة قرون متصلة وهو الأمر الخرافي الذي لا يستند لأي سند تاريخي ولا أثري صحيح ولم يشذ عن ذلك إلا نص تلمودي واحد أفاد بأن إقامتهم في مصر كانت حوالي قرنين من الزمان تشمل فترة التيه في سيناء أي أن فترة إقامتهم في وادي النيل أقل من ذلك بكثير.[45]

وتوجد طرق عديدة للتأكد من تحقق تلك الفترة التي أوردناها وقد ذهب إليها الكثيرون من الباحثين التوراتيين وغير التوراتيين ، فلو حسبنا مثلا — وفقا للعهد القديم أيضا — بعد تجاوزنا فترة 13 عاما من عمر يوسف عليه السلام منذ دخوله مصر وحتى تقلده منصب العزيز ليصبح عمره 30 عاما ، وبعد تجاوزنا أيضا سبعة سنوات إضافية هي فترة المجاعة وهي أول سبع سنوات قضاها في منصبه من جملة 80 عاما قضاها في المنصب كنائب للملك وعزيزا لمصر حتى توفي ، ثم نحتسب الفترة التي قضاها في منصبه بعد مرور السبع سنوات وهي 73 عاما حيث أن دخول يعقوب وبنيه إلى مصر قد

[45] محمد راشد حماد — ملوك مصر القديمة من عهد إبراهيم إلى عهد موسى — دار الكتاب العربي.

وقع بعد انقضاء السنوات العجاف ، يضاف إليها الفترة من وفاة يوسف وحتى مولد موسى وهي حوالي 64 عاما + الفترة التي عاشها موسى عليه السلام في قصر فرعون حتى قتل النفس والهروب إلى مدين وهي حوالي الثلاثون عاما + الفترة التي قضاها موسى في مدين حتى عودته إلى مصر وهي 10 سنوات + العام الذي قضاه موسى عليه السلام في مصر حتى خرج ببني إسرائيل ، وبذلك يكون المجموع = 73+64+30+10+1 = 178 عام قضاها بنو إسرائيل في مصر منذ دخولهم مع يعقوب عليه السلام وحتى خروجهم مع موسى ، وهي مقاربة جدا لفترة الـ 180 عاما التي احتسبناها.

وقد اعترف التلموديون أن بقاء بني إسرائيل في مصر منذ دخولهم في عهد يوسف عليه السلام وحتى خروجهم مع موسى عليه السلام حوالي 215 عاما يحتسب من ضمنها 40 سنة في التيه الذي قضوه في صحراء سيناء في المنطقة المحصورة بينها وبين الأردن في طريقهم للأرض المقدسة في فلسطين ، وهي بدون سنوات التيه تساوي 175 عاما أي نفس المدة التي ذهبنا إليها تقريبا.[46]

وكان هذا الاعتراف يشكل مخالفة كبيرة للتوراة التي قالت بأن بني إسرائيل قد ظلوا في مصر لمدة 430 عاما جاء التلمود الذي كتبه الحاخامات ليؤكد أن فترة بقاء بني اسرائيل في مصر كانت 215 عاما فقط تتضمن سنوات التيه الأربعين وهذا يعني أن بقاءهم في منطقة وادي النيل كانت حوالي 175 عاما فقط وهو ما يتطابق مع الحساب السابق (حوالي أقل من 180 عاما) وهو الأكثر منطقية ، وقد ادعى علماء اليهود أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر على مرحلتين مرة بعد 215 عاما ومرة أخرى بعد اكتمال ال 430 عاما وهو الإدعاء المثير للسخرية إلى أبعد حد كمحاولة للخروج من مأزق التناقض الذي وقع فيه كاتبوا التوراة وكاتبوا التلمود على حد سواء.

---

[46] According to the Talmud، the ancient rabbinic text، it was only 215 years (Pirkei Rabbi Elieser، c.48).

إن انحصار فترة بقائهم في مصر على هذه المدة يدل على معاصرهم لفترة الهكسوس التي تزيد عن هذه الفترة بعقود قليلة ، فقد دخلوا مصر في عهدهم وخرجوا في عهد آخر ملوك الهكسوس الكبار وهو فرعون.

المعاصرون ليوسف هم نفس المعاصرين لموسى وهارون عليهم السلام:

قال تعالى في سورة غافر :

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

واستكمالا لنفس التحذير والإنذار الذي صدر من مؤمن آل فرعون في الآيات السابقة ، فقد حمل كلام الرجل إشارات أخرى تدل على هوية قومه ، فتقول الآيات على لسان هذا الرجل:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ غافر

إن هذه الآية الكريمه خطاب من مؤمن آل فرعون لقومه يذكرهم بأنه قد جاءهم يوسف عليه السلام بدعوة الله من قبل ، فكيف إذن جاء يوسف عليه السلام بالدعوة لآل فرعون وهم يعيشون فى عهد موسى عليه السلام الذي أتى بعد عهد يوسف بأكثر من ست عقود كاملة ؟

الإجابة : هى أن آل فرعون أنفسهم هم من نفس القوم الذين عاش بينهم يوسف عليه السلام وهم العماليق الهكسوس.

وهنا تتضح حقيقة واضحة وهي أن قوم يوسف هم قوم فرعون ، أي أن القوم الذين بُعث؟ فيهم يوسف عليه السلام هم أنفسهم القوم الذين بعث فيهم موسى عليه السلام أي آل فرعون وقد عاصروا يوسف عليه السلام ويعرفونه جيدا وعاصروا موسى عليه السلام أيضا ، والدليل أنه يخاطبهم بمنتهى الوضوح ويذكرهم بأن يوسف عليه السلام قد جائهم من قبل بالبينات وقد شكوا فيما جاء به وقد ظنوا ألن يبعث الله من بعد يوسف رسولا آخر.

وإذا أكملنا الآيه نجد أنه يستمر في تذكيرهم بأنهم مازالوا فى شك مما جاءهم به يوسف عليه السلام ،فلما مات يوسف عليه السلام قالوا لن يبعث الله من بعد يوسف رسولا.

والسؤال الآن ماعلاقة آل فرعون بالقوم الذين عاش بينهم يوسف عليه السلام وهم الهكسوس العماليق ؟

الإجابة هي أن آل فرعون هم أنفسهم القوم الذين كانوا يعيشون في زمن يوسف من ستة عقود سابقة أضيف إليهم أبنائهم وأحفادهم ، ولو كان آل فرعون من المصريين القبط للزم أن يكون القوم في زمن يوسف من المصريين لأن مؤمن آل فرعون يخاطب نفس القوم ، وقد تبين لنا بالأدلة المتواترة أن يوسف عليه السلام كان معاصرا للعماليق الهكسوس وبذلك يلزم أيضا بموجب تلك الآية أن يكون آل فرعون من الهكسوس أيضا.

وإذا نظرنا لقوله تعالى حكايةً عنهم "حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا" ، نجد أنهم هم أنفسهم من القوم الذين عايشوا حياة ودعوة يوسف وعاصروا وفاته ، وهم نفس القوم الذين قالوا بعد وفاة يوسف "لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا "، إنهم هم آل فرعون الذين أرسل الله لهم يوسف من قبل وهم الهكسوس أمثال قطفير وزليخة والريان بن الوليد وحزقيل وآسيا بنت مزاحم وكل من ورد من شخصيات فى قصة يوسف وموسى عليهما السلام.

وقد فسر المفسرون تلك الآيات بتأويلات بعيدة من قبل لكن بوجهات نظر أخرى جانبت الصواب ، فالآية الكريمة قطعية الدلالة على أن حكام مصر في عهد يوسف عليه السلام هم أنفسهم حكامها في عهد موسى عليه السلام ، ويلزم من ذلك أنه لو

كان حكام مصر في عهد يوسف عليه السلام مصريين ، لكان حكامها في عهد موسى عليه السلام مصريين أيضا ، ولو كانوا غير ذلك لكانوا في عهد موسى من نفس الأصل وفقا لنص تلك الآية الكريمة.

إذن فالرجل يخاطب نفس القوم الذين عاشوا أيام يوسف عليه السلام وعاصروا دعوته وظلت ذريتهم باقية فيما تلاها من عقود حتى جاء موسى عليه السلام ، بل إن بعضا منهم ممن عاصر يوسف عليه السلام قد ظل على قيد الحياة حتى عاصر موسى عليه السلام ، وقد بينا من قبل كيف أن الفترة بين وفاة يوسف عليه السلام وبين ميلاد موسى عليه السلام هي 64 عاما ، وقد يعيش شاب في العشرين من عمره في عصر يوسف عليه السلام حتى يبلغ من العمر مائة وعشرين أو مائة وثلاثين عاما ليبلغ عصر موسى عليه السلام وهي نفس معدلات أعمار الناس في تلك الأزمان وخاصة العماليق وبنو إسرائيل ، ونصوص سفر الخروج زاخرة بأعمار أناس على نفس النمط مثل عمر لاوي وقاهث أجداد موسى وهارون عليهما السلام اللذين عاشا لأعمار تراوحت بين المائة وعشرين والمائة وأربعين عاما.

ونستنتج من هذه الآيات القرآنية أن يوسف وموسى عليهما السلام قد بعثا لنفس القوم وأنه لا اختلاف بين القوم في عهد يوسف والقوم في عهد موسى ، بل إن القوم في عهد موسى من ذرية ونسل القوم في عهد يوسف[47] ، ولذا أكد الرجل المؤمن الذي من آل فرعون :

أ. أن يوسف عليه السلام قد جاء لأجدادهم بالآيات والبينات المؤكدة لرسالته ونبوته.

ب. أن أجدادهم وآبائهم كانوا يشكون في نبوة ورسالة يوسف

ت. أن أجدادهم وآبائهم بعد أن انتقل يوسف إلى جوار ربه قالوا إنه آخر الرسل ولن يبعث الله من بعده رسولا[48]

---

[47] ملوك مصر القديمة منذ عهد إبراهيم حتى عهد موسى – د. محمد راشد حماد – نشر دار الكتاب العربي 2013.

[48] نديم السيار – قدماء المصريين أول الموحدين.

وقد سبق لنا إثبات أن الحكام في زمن يوسف عليه السلام كانوا من غير المصريين، ودلائل ذلك كثيرة منها وصف يوسف عليه السلام لهؤلاء القوم بأنهم لا يؤمنون بالله ويكفرون بالآخرة ، بالإضافة لعدم قدرتهم على تعبير الرؤى على خلاف المصريين ، ومنها أنهم قد ولّوه خزائن الأرض ونصبوه في أرفع المناصب بعد منصب الملك لكونه ساميا آسيويا مثلهم ويشترك معهم في الأصل وفي اللغة أيضا فلغة يوسف عليه السلام كانت الكنعانية باللهجة الآرامية كأبيه وجده وجد والده عليهم جميعا السلام ، وهي نفس جنس لغة الهكسوس ، على عكس المصريين الذين كانوا حاميين من الأفارقة وكانت لهم لغتهم الخاصة بهم وهي اللغة المصرية القديمة ، ومنها أيضا أن العماليق الهكسوس كانوا أقواما بدوية محاربة وكانوا حديثوا عهد بالتمدن والمدنية ، ولم يكن لهم معرفة بالزراعة ولا بفن تخزين الغلال والاستعداد للأزمات والمجاعات ونوبات الجفاف على عكس المصريين الذين كانوا خبراء العالم القديم في هذا المجال بلا نزاع وقد تقدمت كل تلك الأدلة التي أثبتت هوية القوم الذين كان يعيش بينهم يوسف عليه السلام وقد سبق لنا في الفصل السابق إفراد البحث في تلك الأدلة.

إذن فمؤمن آل فرعون يخاطب قومه من قبائل العماليق وخاصة عشيرته الأقربين من قبيلة آل فرعون ويذكرهم بيوسف عليه السلام الذي بعث فيهم من قبل ومن الواضح أنه يذكر أفرادا منهم وبعض كبرائهم الذين شهدوا عصر يوسف عليه السلام وما زالوا يعيشون منذ عهده حتى أظلهم عصر موسى عليه السلام ، وهذا دليل دامغ آخر على أن فرعون كان من ملوك الهكسوس العماليق الذين عاصروا يوسف وموسى عليها السلام.

اشتراك بني إسرائيل مع الهكسوس في الأصل والجذور:

استعرضنا في الفصل السابق علاقة العبرانيين بالهكسوس ، ورأينا كيف أن بني إسرائيل هم فرع من فروع العبرانيين أو العبيرو وكيف أن اليهود استطاعوا بتزويرهم أن يحصروا الصفة العبرانية على بنى إسرائيل القدماء دون سواهم ثم احتكروها لليهود المعاصرين رغم أن هذا خطأ فادح وتزوير صارخ منهم قديما وحديثا...

ورأينا كيف أن العبرانيين هم أبناء عابر حفيد سام بن نوح عليه السلام وأنهم الأجداد الأوائل لكل الآباء الذين أتى من نسلهم بني إسرائيل أبناء يعقوب والذين ينتمي إليهم إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، كما استعرضنا بعض

المعلومات عن العبيرو الذين تواجدوا في نفس العصور والذين كانوا يشتركون مع بني إسرائيل في الأصل ، بل إن بني إسرائيل هم فرع من فروعهم ويحملون مثلهم الأصل السامي كما يشتركون معهم في ترحالهم وبداوتهم ولغتهم ولهجاتهم ، والحقيقة أن الشعوب التي تكون منها الهكسوس كانت في غالبيتها تحمل الصفة العبرانية السامية ، وهم العموريون والكنعانيون والعماليق الذين ينتمون إلى الكثير من بلاد الشرق في الهلال الخصيب ، وكان بنو إسرائيل من جملة تلك الجماعات الشرقية الآسيوية التي تشترك معهم في صفاتهم وأصلهم الأول الملتقي عند سام بن نوح عليه السلام.

وكما أنهم يشتركون مع تلك الشعوب في أصلهم العرقي (الإثني) الذي يمتد إلى سام ، فهم أيضا اشتركوا معهم في كل النواحي الثقافية التي سادت المنطقة في تلك الأحيان ، فاللغة كانت واحدة برغم بعض الاختلافات في اللهجات ، والعادات والتقاليد واحدة ، والثقافة واحدة ، غير أن ما تميز به يعقوب وبنيه في هذا الوقت هو انتسابهم لعابر دون سواه من ذرية سام بن نوح ، أما تلك الأطياف والشعوب الأخرى فانحدرت من الفروع الأخرى للساميين العروبيين وحتى تلك التقسيمات في النسب لا تخلو من الشك لكونها تقسيمات توراتية ليس عليها سند قوي من مصدر آخر موثوق، لكنا على يقين بأن الهكسوس العماليق وبنو إسرائيل كانوا أصحاب أصل مشترك.

وبالتأمل في حياة الهكسوس ونظامهم الملكي ، نجد أن هؤلاء الطوائف السامية المشتركة في الأصل والمختلفة في الفروع والبقاع واللهجات قد تأثر كل منهم بثقافة مختلفة من ثقافات الشعوب ، وصنعت من ثقافة كل الشعوب التي أتوا منها وخالطوها مزيجا مدهشا من الثقافات التي يصعب — إن لم يكن من المستحيل — تمييزها أو عزوها إلى ثقافة بعينها ، فلقد أتو بثقافة الآريين من الشعوب الهندو-أوروبية وما يشوبها من ثقافة بلاد فارس ، بالإضافة إلى ما أتت به الشعوب السامية من آسيا ، إلى جانب قبائل البدو والقبائل العربية القديمة التي قال البعض عنها أنهم من الأعراب البائدة من شمال الجزيرة العربية كما أوضحنا ، لكن معظم طوائفهم كانت من عشائر وقبائل العماليق الكنعانيين والعموريين وهم من الساميين مثل بني إسرائيل تماما ، ولم يكن العبرانيين يختلفون عنهم في تلك الصفات والسمات العرقية والثقافية فقد كان ديدنهم الدائم التنقل والترحال كما أشرنا ، وبالتالي شكّل هؤلاء الكنعانيون

والعموريون العماليق وطوائف من الساميين البدو كتلة بشرية متجانسة ومتشابهة ، بالإضافة إلى بعض الحورانيين من جنوب سوريا أو شمال الأردن والحرانيين الآتين من الفرات الأوسط أصحاب الثقافة الآرامية التي كانت في عصرها المبكر وقتها وغيرهم من الأطياف ذات الأصول الموحدة والفروع المتعددة وقد اختلطت ببعضها البعض ، وجمعتها حركة التروح إلى مصر ، وضمتهم في مزيج عجيب من الثقافات التي أتوا بها من بلادهم الأصلية إلى جانب الثقافات التي تأثروا بها أثناء ترحالهم ومرورهم بالبلدان المختلفة ، فكان منهم من يتكلم اللهجات السامية التي سادت هذه البقاع من غرب آسيا ، ومنهم من تأثر بلغة البلاد التي وفدوا إليها ، كما حدث معهم حين دخلوا مصر وتأثروا بلغتها بل وتسموا بأسماء المصريين ، وبقي بعضهم على الاحتفاظ ببعض أسمائهم الآسيوية التي كانت سائدة في تلك العصور.

وبالنظر بشكل عام إلى أصول الهكسوس السامية العروبية بفروعها المختلطة ، وباعتبار آسيويتهم التي لا شك فيها البتة ، نرى أن بني إسرائيل لم يمثلوا بالنسبة للهكسوس أقواما غريبة عنهم ، بل إنهم اشتركوا مع الكثير من أطيافهم في الأصل العبراني الذي سبق أن بحثنا في كيفية تكونه وتوحدوا معهم جميعا في الأصل السامي ، فبني إسرائيل كانت أصولهم عبرانية ، وكذلك الكثير من عشائر الهكسوس التي كان منهم بدوا ساميين عبرانيين وغير عبرانيين ، وغيرها من الأجناس التي منها من اختلط بغيره ، ومنها من احتفظ بأصله العبراني على حاله ، وهكذا لم يكن غريبا أن يرسل الله تعالى لهؤلاء الأقوام المختلطة الأجناس المشتركة في الأصل ، أنبياء يشتركون معهم في أصلهم ، وهؤلاء الأنبياء قد قضى الله أن يكونوا من بني إسرائيل ، فيكون إرسالهم إلى كل هذه الشعوب السامية أمرا متقبلا ومنطقيا ومتوافقا مع سنة الله عز وجل في رسله وأنبيائه عند إرسالهم لأقوامهم وبلسانهم.

ونحن لا ندعي بذلك أن الهكسوس هم بنو إسرائيل كما ادعى المؤرخ اليهودي يوسيفوس ، ولكن رغم اختلاف الفرعين يكون تصور تقاربهما من حيث الأصل والمصدر والمنشأ واللهجات والثقافات أمر قريب للذهن ومقبول من الوجهة التاريخية والاجتماعية .

وحيث أن موسى وهارون عليهما السلام لم يكونا مصريان ، فلا يصح بذلك أن يرسلهما الله عز وجل إلى أهل مصر ، لأنهما ليسا من قومهم ، ومن الممكن أنهما كانا يتكلمان اللغة المصرية إلى جانب لغتهما الأم نظرا لأن الهكسوس أنفسهم كانوا يتحدثون المصرية لاصطباغهم بالصبغة المصرية هذا إلى جانب تحدثهم بلغاتهم السامية العروبية أيضا ، لكن الشرط الآخر لإرسال موسى وهارون إلى المصريين لم يتحقق لاختلاق الأصل والعرق بين المصريين القبط الحاميين الأفارقة وبين بني إسرائيل العبرانيين الساميين الآسيويين ، وعلى هذا فإن افتراض أن الله قد أرسل موسى وهارون العبرانيان الآسيويان إلى المصريين الحاميين الأفارقة يعد من الافتراضات المخالفة لسنة الله المذكورة ، وعلى هذا أيضا فإنه يلزم أن يكون قوم فرعون من نفس الأصول التي ترجع إليها أصول بني إسرائيل ، وهو ما يتوافق تماما مع فرضية أن يكون فرعون وقومه من الهكسوس الذين يشترك الكثير من طوائفهم مع بني إسرائيل في أصولهم الآسيوية والعبرانية أيضا ، واستنادا إلى هذه الفرضية فإن الكثير من الإشارات القرآنية في الآيات التي تذكر تلك الواقعة – وكما سنرى – تؤكد أن فرعون وقومه لم يكونوا مصريين ، بل كانوا ينتمون إلى تلك العشائر البدوية الآسيوية المختلطة الفروع .

إذن فقد كان بنو إسرائيل والهكسوس فرعين من أصل واحد وليسوا من أصول مختلفة ، ومن ثم يستقيم بذلك أن يكون موسى عليه السلام وهو العبراني السامي الآسيوي رسولا إلى العماليق الساميين الآسيويين الذي اتصفوا بالصفة العبرانية البدوية مثل بني إسرائيل.

سنة الله فى إرسال الأنبياء لأقوامهم وبألسنتهم

حيث أبى الله تعالى أن يرسل كل رسول إلا إلى قومه خاصة ، ولا يتكلم إلا بلسان قومه ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح :

"وبعثت إلى الناس كافة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة".

ومن هنا يظهر لنا بجلاء أن الله عز وجل كان يرسل الرسل إلى أقوامهم وبلغتهم ، وكانت هذه سنة كونية لم يحد عنها رسول واحد ، فنرى في سورتي الأعراف وهود تكرار لفظ " أخاهم " على كل من هود وصالح وشعيب على الترتيب والأمثلة على ذلك كثير :

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾
﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾

فنعلم من ذلك أن كل من هؤلاء الأنبياء قد أرسل إلى قومه وعشيرته ، كما نرى في سور أخرى لفظ "قومه" على كل من نوح وإبراهيم ولوط ، والأمثلة على ذلك أيضا كثيرة ، يقول تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾. الأعراف

وقال تعالى :

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

وقال تعالى :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

كما يقول تعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾يونس74

وهذه الإشارات الواضحة تعني أن الله تعالى بعث من بعد نوح عليه السلام بالرسل إلى أقوامهم وهي سنة إلهية لا تتغير ولا تتبدل كما أوضحنا ، وموسى عليه السلام من هؤلاء الرسل ، أرسله الله عز وجل إلى أقوام تضمهم أصول مشتركة وموحدة، فكان إرساله إليهم شيئا منطقيا ومصداقا لسنة الله الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل ، فلم تقتصر رسالته على بني إسرائيل فقط ولكن رسالته تضمنت إرساله إلى فرعون وملأه وقومه ، يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.غافر

ولا بد بذلك أن يكون فرعون وقومه من نفس الأصول التي تحدثنا عنها.

قال الله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . 4 سورة إبراهيم

وهذه الآية تبين بوضوح أن سنة الله عز وجل هي إرسال الأنبياء والرسل لأقوامهم وبألسنتهم ولم يُستثن من تلك القاعدة أحد من الرسل عبر التاريخ بدءا من آدم عليه السلام وحتى عيسى عليه السلام ، أما الرسالة الخاتمة وهي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقد كانت للناس كافة.

يقول الدكتور رشدي البدراوي : " كانت تعاليم الرسل تنسى أو تندثر أو يصيبها التحريف فتكون الحاجة إلى رسول آخر كما أن جماعات بني البشر كانت متباعدة منفصلة ومنعزلة عما سوها ، لذلك كان كل نبي أو رسول يبعث إلى قومه خاصة حتى إذا ما وصلت الحضارة الإنسانية إلى مرحلة تمكنها من تدوين التعاليم السماوية بطريقة صادقة فلا يصيبها التحريف ولا يأتي عليها الاندثار لم يعد هناك مجال لإرسال رسل جدد ، وكان ذلك هو الحال مع الرسالة الخاتمة وهي الإسلام"أ.هـ[49]

ويقول المؤرخ فيليب فارادای Phillip R. Varaday أن الهكسوس والعبرانيين تربطهم صلات نسب ومصاهرة.[50]

إذن موسى عليه السلام – ومن قبله كل أنبياء بني إسرائيل – كانوا رسلا إلى الفراعنة الهكسوس عماليق مصر الذين تربط موسى عليه السلام وتربط بني إسرائيل بهم صلات نسب ومصاهرة واشتراك في الأصل ولم يكن موسى ولا هارون عليهما السلام رسولين إلى المصريين القبط وهذا دليل آخر يضاف إلى جملة الأدلة التي تأتي تباعا.

موسى عليه السلام رسول إلى الهكسوس العماليق وبني إسرائيل:

وكما كان إبراهيم عليه السلام رسول إلى قبائل العماليق في كل بلاد الشرق القديم، وكذلك إسحق ويعقوب عليهما السلام الذين عاشا وسط قبائل العماليق في كنعان والشام قبل أن ينتقل يعقوب عليه السلام للمعيشة في مصر أواخر عمره ، وكذلك كما أثبتنا في الفصل السابق أن يوسف عليه السلام كان رسولا للعماليق في

---

[49] قصص الأنبياء والتاريخ – الجزء الأول – رشدي البدراوي

[50] هذا بيان للناس – عاطف هلال – شبكة الإنترنت.

مصر ، فإن موسى وهارون عليهما السلام كانا رسولان لقبائل العماليق في مصر لأن كل هؤلاء الأنبياء تكلموا لغتهم واشتركوا معهم في الأصل والجذور.

فيكون بذلك يعقوب وكل من اختير نبيا من أبنائه وأحفاده أنبياءً مرسلين لأقوامهم الهكسوس العماليق الذين يعيشون في مدينة صغيرة على حافة الصحراء ، فيعقوب هو الجد الثالث لموسى الذي اسمه الكامل " موسى بن عمرام بن قاهث بن لاوي بن يعقوب " عليهما السلام.[51]

لقد كان بني إسرائيل منذ نشأتهم كعائلة صغيرة لا تتجاوز الخمسين فردا في صحراء كنعان ضيوفا على الكنعانيين ومجرد قبيلة مرتحلة أخرى سمح لهم قبائل الكنعانيون وقبائل العماليق الأخرى بالإقامة في تلك النواحي ، وبالتالي أصبحت تلك العائلة التي صارت قبيلة فيما بعد جزءا من تلك القبائل الرحالة المقيمة في صحراء كنعان ، ولم يكن نزولهم مصر شيئا مختلفا عن ذلك المفهوم ، ففي مصر أصبحوا قبيلة من ضمن قبائل العماليق الكنعانيين وقبائل العماليق العموريين الأخرى وكان جميع الأنبياء الذين خرجوا من نسل سام بن نوح من فرع عابر وجميعهم مرسلون إلى فروع الساميين الأخرى ومنهم العماليق.

وموسى عليه السلام رسول من نسل يعقوب حفيد إبراهيم الذي هو بدوره حفيد عابر من نسل سام بن نوح وفقا للنسب التوراتي ، أما العماليق فهم ساميين أيضا كما أوضحنا في الفصل الأول والثاني وبالتالي فهم مخاطبون بدعوة أبناء عمومتهم من الأنبياء العابريين.

عن جابر بنِ عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "وَكَانَ النَّبيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً" صحيح البخاري[52] ، وفي الرواية الأخرى: "وكَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ". صحيح مسلم

وهذا يعني أن كل رسول من الرسل عبر التاريخ قد أرسل إلى قومه الذين هم من أصله ونسبه ، وموسى عليه السلام ليس استثناءا من هذه السنة الإلهية ، وهذا يثبت

---

[51] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

[52] متفق عليه مِن حديث جابرٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، وهو في صحيح البخاري" (438) ، وفي "صحيح مسلم" (521)

بكل تأكيد أنه كان رسولا للفراعنة الهكسوس عماليق مصر الذين حكموها فترة من الزمان.

ونورد هنا كلاما قيما للأستاذ نديم السيار نورده كما هو لقيمته الكبيرة في خدمة تلك النقطة :

"منذ بدء تكليف الله سبحانه وتعالى لموسى بالرسالة بعثه إلى فرعون (وذلك قبل بعثه إلى بنى إسرائيل)

"وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" طه / 9-24

" هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى " النازعات 15- 19

"وقال موسى يا فرعون ... إنى رسول من رب العالمين" الأعراف / 104 "

كما كان رسولاً أيضاً الى هامان وزير فرعون "ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ... إلى فرعون وهامان" غافر / 24

"وفرعون وهامان ... ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض" العنكبوت / 39

كما كان رسولاً ايضاً الى قوم فرعون (آل فرعون) جميعاً.

"وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ... قوم فرعون ألا يتقون" الشعراء / 10 – 11

"ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه ... فقال إنى رسوال رب العالمين" الزخرف/ 46

إذن فقد كان موسى رسولاً مبعوثاً إلى فرعون ووزيره وجميع قومه ، وفى هذا دليل أيضاً على هكسوسية فرعون وقومه.

ويقول تعالى عن جميع الرسل بلا إستثناء : "وما أرسلنا من رسوال إلا بلسان قومه ليبين لهم " إبراهيم / 4

وكذلك يقول النبى ص : "لم يبعث الله عز وجل نبياً إلا بلغة قومه"

إذن بنص القرآن الكريم ذاته وبنص الحديث الشريف لابد وأن لغة موسى كانت هى نفس لغة القوم الذين أرسل إليهم وهم فرعون وآل فرعون.

فما قولكم إذن فى هارون أخى موسى الذى لم ينشأ فى قصر فرعون ولم يخالط أو يعايش أهل فرعون وإنما كانت حياته كلها بين اهله (بنى اسرائيل) وبالتالى كانت لغته الوحيدة بالطبع هي لغة بنى اسرائيل : اللغة الارامية ، هذا بالإضافة إلى أننا نعرف ان هارون كان بدويّاً يعمل فى الرعى وطبيعة الحياة البدوية الرعوية تفرض العزلة فى البوادى حيث المراعى ، بل وحياة بنى إسرائيل كلها كانت قمة العزلة.

يذكر د. حسن محمود : "لم يكن بنو إسرائيل مندمجين فى الشعب المصرى فى الريف او العاصمة .. إذ انهم كانوا يألفون مجتمعاً مستقلاً فى بلاد جاشان يعملون فى رعى الاغنام والماعز .. كما كان المصريون يتجنبونهم" [53]

إذن فلا يوجد اى احتمال فى كون هارون عارفاً حتى ولو مجرد إلمام بسيط باللغة المصرية .

ونخلص من هذا إلى أن هارون كان يعرف ويتكلم اللغة الارامية فقط ، ونحن نعرف انه كان نبياً كما كان رسولا ايضاً الى فرعون وقومه ، بل وعندما ذهب إلى فرعون وقومه برفقة موسى كان هو الذى تولى مهمة التحدث معهم نيابة عن اخيه موسى.[54]

وفى التوراة انه عندما كلف الله موسى بالذهاب الى فرعون ومحادثته .. إعتذر أنه لا يجيد الكلام حيث ورد فى سفر الخروج [55]: "فقال موسى امام الرب : ها أنا أغلف الشفتين .. فكيف يسمع لى فرعون" وفى التوراة أيضاً [56]: "قال موسى للرب : أنا ثقيل اللسان فحمى غضب الرب على موسى وقال : أليس هارون اللاوى أخاك ؟

---

[53] حضارة مصر والشرق القديم / 351

[54] قصص الأنبياء / ع.النجار / 174

[55] (إصحاح 6 / آية 30)

[56] (خروج / 4 : 10- 15)

فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه .. إلخ" أى تحدثه بما تريد قوله وهو يتولى مهمة نقل كلامك إلى فرعون.[57]

وفى القرآن الكريم أيضاً .. أن الله سبحانه عندما طلب من موسى الذهاب إلى فرعون ومحادثته .. طلب موسى ان يذهب معه اخوه هارون ليتحدث نيابة عنه لأنه أفصح منه لساناً فى قوله تعالى : "واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى .. واجعل لي وزيراً من اهلى هارون اخى" طه / 27-30

"قال رب انى اخاف ان يكذبون ، ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ، فارسل إلى هارون اخى" الشعراء / 12-13

"وأخى هارون هو افصح منى لساناً .. فأرسله معى" القصص / 34

على هذا كان هارون ايضاً رسولا مبعوثاً الى فرعون وقومه " قال رب انى اخاف ان يكذبون .. ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ، فارسل الى هارون اخى ، قال فاذهبا بآياتى ، فأتياه فقولا إنا رسولا ربك" طه / 42-47

"ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا .. فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا" الفرقان / 35-36

إذن فقد كان هارون أيضاً رسولاً مبعوثاً إلى فرعون وقوم فرعون كما انه هو الذى تولى مهمة التحدث نيابة عن موسى مع فرعون وقومه.

والتوراة تعطى مزيداً من التفاصيل لما حدث ، فهى تذكر بادىء ذى بدء أن الله سبحانه يعلم مسبقاً ان هارون هو الذى سيتولى مهمة التكلم.

فعندما اعتذر موسى عن الذهاب إلى فرعون والكلام معه قائلاً للرب : "لست أنا صاحب كلام ... بل أنا ثقيل الفم واللسان" خروج / 4 : 10

عندئذ تذكر التوراة : "حمى غضب الرب على موسى وقال : أليس هارون اللاوى أخاك ؟ انا اعلم انه هو يتكلم" خروج / 4 : 14

---

[57] يقول المهندس عاطف عزت : دعك من القصة الساذجة التي تحكي أن موسى لعق جمرة من النار فأصبح أدلغ ، ذلك لأن الآية تتحدث عن فصاحة اللسان والتمكن من اللغة وليس اللدغ ، فهي أحد قصص التلفيق من أجل التوفيق.

ثم تستطرد التوراة تذكر ما أوضحه الله له فتقول : "انا اعلم انه هو يتكلم .. إلخ.. فتكلمه وتوضع الكلمات فى فمه وهو يكلم عنك وهو يكون لك فماً" خروج / 4 : 14-16 وفى آية أخرى تقول التوراة : "فقال الرب لموسى انت تتكلم بكل ما آمرك وهارون اخوك يكلم فرعون" خروج / 7 : 2 أى تتكلم مع هارون وهو يتولى مهمة نقل كلامك الى فرعون.

وفى القرآن الكريم أيضاً ان الله سبحانه وتعالى لا يبعث رسولاً إلى قوم إلا إذا كان من نفس جنسهم.

ولنتحدث أولاً عن الجنس الذى ينتمى اليه موسى نفسه :

نحن نعرف ان موسى كان من بنى اسرائيل ، وجميع بنى إسرائيل كانوا من البدو الرعاة ، فجدهم الاعلى ابراهيم كان بدوياً وكان من الرعاة وكذلك كان ابنه اسحاق وحفيده يعقوب (إسرائيل) وكذلك كان جميع بنى اسرائيل منذ بدء حياتهم فى مصر.

ففى التوراة يقول يوسف عندما استقدم اخوته بنى اسرائيل : "واقول لفرعون : إخوتى وبيت أبي جاءوا الى والرجال رعاة غنم وقد جاءوا بغنمهم وبقرهم" .. فيكون إذا دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم ؟ ان تقولوا اهل مواش منذ صبانا إلى الآن .. نحن واباؤنا جميعاً "[58]

وكذلك أيضاً كانوا طوال مدة إقامتهم فى مصر وحتى خروجهم منها بقيادة موسى حتى استقروا فى ارض كنعان.

يذكر د.حسن محمود : "وكان بنو اسرائيل فى مصر يؤلفون مجتمعاً مستقلاً يعمل فى رعى الاغنام والماعز"[59] ويقول أيضاً : "وكان بنو إسرائيل قبل استقرارهم فى ارض كنعان – فلسطين يعيشون عيشة البدو .. يربون الأنعام ويقطنون الخيام"[60].

أما عن موسى بالتحديد فبرغم قضائة سنوات طفولته وشبابه متردداً على قصر فرعون ... إلا انه بعد ذلك مارس حرفة قومه بني إسرائيل وهى رعى الاغنام.

---

[58] سفر التكوين / 46 : 31-34

[59] حضارة مصر والشرق القديم / 351

[60] السابق / 354

يذكر تشارلس ماكنتوش : "إلا اننا نرى موسى تاركاً قصر فرعون .. راعياً لقطيع من الغنم وراء البرية" [61]

وعندما هرب من مصر إلى أرض مدين وهو فى الأربعين من عمره[62] حيث تزوج هناك .. كان يعمل أيضاً فى رعى الأغنام ففى التوراة : "وأما موسى فكان يرعى غنم (يثرون) حميه كاهن مدين" . [63]

ويذكر الشيخ / عبد الوهاب النجار : "ولما جاء موسى الى الشيخ .. قالت احدى بنتيه : يا أبت استأجره لرعى ماشيتنا " [64]

ويذكر الاستاذ عفيف طباره : "وطلب الشيخ الى موسى ان يخدمه فيرعى له غنمه فقبل موسى طلب الشيخ" [65]

وعندما رحل موسى من أرض مدين كان أيضاً راعى غنم : يذكر الثعلبى : "فلما قضى موسى الأجل .. سار بأهله من أرض مدين ومعه امرأته و اغنامه" [66]

وعندما تجلى الله وكلمه كان آنذاك يرعى الغنم ، يذكر الشيخ عبد الوهاب النجار: "بينما موسى يرعى غنمه رأى ناراً من بعيد .. إلخ وحينئذ سمع صوتاً من وسط النار يناديه : ياموسى إنى أنا الله"[67]

وفى القرآن الكريم أيضاً ان الله سبحانه وتعالى سأله : "وماتلك بيمينك يا موسى .. قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى" طه / 17 – 18

وعندئذ كلفه الله تعالى بالرسالة وبعثه إلى فرعون.

يذكر الدميرى : "وفى الحديث للقغنبى : بعث الله موسى عليه السلام وهو راعى غنم" [68]

---

[61] شرح الكتاب : مذكرات على سفر الخروج / 36

[62] العبر / ابن خلدون / مج 2 / قسم 3 / ص 154

[63] خروج / 3 : 1

[64] قصص الانبياء / 168

[65] مع الانبياء / 224

[66] العرائس

[67] قصص الانبياء / 173

[68] حياة الحيوان الكبرى / مج 1 / ص 189

إذن فقد كان موسى كجميع بنى إسرائيل ... من البدو الرعاة.

والخلاصة : أن نبى الله "موسى" كان من البدو الرعاة ، كما كان ينتمى إلى واحدة من قبائل أولئك البدو الرعاة .. وهى القبائل العبرانية ذات الثقافة الآرامية المبكرة.

وقد سبق أن ذكرنا قول الله تعالى "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" إبراهيم / 4

أى أن هذه سنته تعالى بالنسبة لجميع الرسل بلا أى إستثناء ، وفى التفسير : "هذا من لطفه تعالى بخلقه ... أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم .. ليفهموا عنهم مايريدون وما أرسلوا به إليهم"[69]

إذن فالرسول – أى رسول – لابد وأن يكون من نفس القوم الذين أرسل إليهم أى منهم.

ومصداقاً لذلك يقول تعالى : "إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم" آل عمران / 164

وفى التفسير : "أى من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله .. إلخ" [70]

إذن ... وبنص القرآن الكريم ذاته وبوضوح ساطع قاطع لا ذرة شك فيه ... لابد وأن يكون الرسول "موسى" من نفس جنس القوم الذين أُرسل إليهم وهم فرعون وآل فرعون.

وبما أن "موسى" كان من البدو الرعاة ، إذن لابد وأن "فرعون" و "آل فرعون"... كانوا أيضاً من جنس البدو الرعاة ، ونحن نعرف أن الفراعنة الذين حكموا مصر من البدو الرعاة. وهو (الفراعنة : الهكسوس) ، إذن وبنص كلام الله ذاته : كان فرعون موسى واحداً من فراعنة الهكسوس.

بل وهناك ماهو أكثر تحديداً ، فنحن نعرف أن الهكسوس كانوا يتألفون من عدة قبائل من البدو الرعاة ... أهمها وأكثرها : القبائل الآرامية.

---

[69] تفسير ابن كثير / 2 / 522

[70] تفسير ابن كثير / 1 / 424

والمؤرخون يذكرون أن "فرعون موسى" الهكسوسى كان ينتمى بالتحديد إلى واحدة من تلك القبائل الأرامية ، فعن أول ملوك العماليق (الهكسوس) الذين غزوا مصر يذكر الدينورى : "وكان الذى وجه إلى ولد حام – أهل مصر – الوليد بن الريان بن عاد بن إرم" [71] أى أنه ينتمى إلى (إرم).

ويذكر د.جواد على : "و (إرم) هو (آرام) التوراة وهو جد الآراميين على اصطلاح التوراة وكانوا يتكلمون اللغة الآرامية" [72]

إذن فقد كان أول أو ثاني الفراعنة الهكسوس "الوليد بن دومع" ينتمى إلى قبائل البدو (الاراميين) ، ويواصل الدينورى صاحب الأخبار الطوال : "ومن ولد (الوليد بن الريان) الآرامي – (الريان بن الوليد) صاحب يوسف ومن ولدهما – أى من نسلهما... فرعون موسى" [73]

إذن فقد كان موسى بالتحديد من البدو الاراميين ، وقد سبق أن أوضحنا أن موسى كان أيضاً من البدو الاراميين ، أى أن "موسى" و "فرعون" كانا بكل المقاييس من نفس الجنس.

فكلاهما من البدو الرعاة وكلاهما من القبائل الارامية ، وهذا مايؤكده قوله سبحانه "إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم" آل عمران / 164

وعلى الجانب الآخر ، فبنص القرآن الكريم ذاته لايمكن ان يكون (فرعون موسى) من قدماء المصريين.. يستحيل، هذه بديهية وحقيقة قرآنية واضحة كل الوضوح، إذ أن القدماء المصريين... لم يكونوا من نفس جنس موسى.

فلا هم من البدو الرعاة .. ولا هم من القبائل الأرامية ، وهذا دليل قرآنى دامغ وناصع وقاطع على أن فرعون موسى لم يكن مصريًّاً ، ومن لايؤمن بهذا ويعارضه فهو يعارض القرآن ذاته. [74]

---

[71] الاخبار الطوال / ص 4

[72] المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام / جـــ1 / ص 266

[73] الاخبار الطوال / ص 4

[74] الصفحات القليلة السابقة منقولة بشيء من التصرف من الكتاب القيم للأستاذ نديم السيار : قدماء المصريين أول الموحدين

استحالة إرسال موسى وهارون وأنبياء بني إسرائيل عليهم السلام للمصريين ومخالفة ذلك لسنن الله:

ولم يكن المصريون في هذا الزمان — زمان موسى – إلا حاميين من نسل حام بن نوح وهم عنصر أفريقي لا علاقة له بالساميين الآسيويين الوافدين من غرب آسيا ، ولم تكن لغتهم لغة سامية خالصة بل تصنف من جملة اللغات الحامية التي تأثرت بعض الشيء من اللغة السامية رغم وحدة الأصل في اللغتين ، لكنها من عائلة لغات مختلفة ، وبالتالي لم تربطهم أي أصول أو صلات نسب بالعبرانيين أو الساميين الآسيويين إلا عند نوح عليه السلام الجد الأكبر لكل السلالات القديمة ، وكانت سنة الله التي قمنا بشرحها في هذا الفصل هو إرسال أي رسول لقومه الذين هم من أصله ونسبه ويتحدثون بلغته ولسانه ، أما إرسال رسول من الساميين الآسيويين إلى شعب من الحاميين الأفارقة فهو الأمر الذي يخالف سنة الله مخالفة صريحة لا يمكن تصديقها ، بل إنها تثير السخرية أحيانا من فرط سذاجتها الواضحة والجلية والتي لا يلتفت إليها كل من يحاول أن يبحث في هذا الموضوع للوهلة الأولى.

وبالتالي فإن إرسال موسى عليه السلام أو غيره من أنبياء بني سام أو من رسل بني إسرائيل إلى المصريين الحاميين هو أمر مستبعد تماما ومستحيل في السنن الإلهية.

فرعون اسم علم وليس لقبا !

بعد أن تكشفت حروف الكتابة الهيروغليفية التي أعلنها شامبليون من خلال استقرائه لحجر رشيد ثلاثي الكتابة[75] ، بدأ علماء المصريات الغربيون رحلتهم الطويلة في محاولة العثور على قصة الخروج التوراتية من الآثار المصرية ، وكانوا على أمل كبير أن يجدو بغيتهم وأن يحققوا هدفهم لكن البحث استمر طويلا دون طائل ، عشرات من البرديات والرسائل والجداريات قد تم ترجمتها ، العديد من الأحداث التي جرت في مصر القديمة قد تكشفت للباحثين ، الصورة العامة في الحياة اليومية لقدماء القبط المصريين أصبحت معروفة ومسجلة ، العديد والعديد من التفاصيل والأحداث فيما يخص التجارة والصناعة والزراعة والعبادة والدين وكل شيء يخص حياتهم أصبح معروفا ومسجلا ، لكن ... لم يجد أحدهم شيئا يذكر عن تلك القصة ، قصة خروج بني إسرائيل من مصر وصراع موسى عليه السلام مع فرعون ، ولا حتى طرفا صغيرا من القصة أو جانب واحد من الأحداث ... لا شيء البتة ..

وأصاب علماء المصريات الإحباط الشديد ، وبدأ بعض العلماء الذين يميلون للعلمانية إلى التكذيب الكامل بقصة موسى وفرعون وتحدث الكثير عن أنها قد تكون مجرد خرافة توراتية أخرى.

بل ولم يجدو مجرد ذكر وحيد للفظة "فرعون" على أي أثر أو داخل أي نص من نصوص الآثار المصرية بطولها وعرضها.

---

[75] كتب حجر رشيد بالكتابة الهيروغليفية المصرية والديموطيقية الدارجة والإغريقية اليونانية وكان مفتاحا لحل لغز الكتابة الهروغليفية، سمي بحجر رشيد لأنه اكتشف بمدينة رشيد الواقعة على مصب فرع نهر النيل في البحر المتوسط، وكان محتوى الكتابة تمجيدا لحاكم مصر بطليموس الخامس وإنجازاته الطيبة للكهنة وشعب مصر، وقد كتبه الكهنة ليقرأه العامة والخاصة من كبار المصريين والطبقة الحاكمة ، وبسبب أن الأسماء الملكية كانت مكتوبة داخل أشكال بيضاوية (خراطيش)، فإن هذا الاكتشاف أدى إلى أن فك العالم الفرنسي جان فرانسوا شامبليون رموز الهيروغليفية، واستطاع شامبليون فك شفرة الهيروغليفية عام 1822 م، وكان النص اليوناني عبارة عن 54 سطرا وسهل القراءة مما جعله يميز أسماء الحكام البطالمة المكتوبة باللغة العامية المصرية ، وهذا الكشف فتح آفاق التعرف على حضارة قدماء المصريين وفك ألغازها، وترجمة علومها بعد إحياء لغتهم بعد موتها عبر القرون.

وقد تسببت خيبة الأمل تلك في محاولة هؤلاء العلماء وخاصة أصحاب الخلفيات التوراتية منهم لمحاولة تقريب أي لفظ من الألفاظ أو الألقاب التي وجدوها بالآثار والنصوص المصرية مع لفظ "فرعون" حتى وجدوا بغيتهم في أحد التراكيب الذي ظهر في أوان الدولة الحديثة ثم منذ بداية عصور الاضمحلال في مصر القديمة وهو تركيب (بر– عا) والذي يعني " البيت العالي "[76] ومن ثم بدأوا في تعميم هذا اللفظ على جميع ملوك مصر القديمة على أنه لقب من الألقاب الملكية الرسمية لحكام مصر ، وقد استطاعوا في تحقيق هذا الهدف إلى حد بعيد لدرجة أن جميع العالم قد اعتقد مثلما ادعوا من أن لفظ"فرعون" هو لقب لملوك مصر وأن "بر–عا" هي بعينها المصدر اللغوي الذي اشتق منه لفظ "فرعون" وهو الوهم الكبير الذي استطاعوا بيعه للناس على أنه حقيقة.

أما الحقيقة التي يجب أن تسود ويعرفها الجميع هي أن اسم فرعون هو اسم حقيقي لشخص ولم يستخدم كلقب أبدا إلا في عصور متأخرة جدا عن العصر الذي وقعت فيه أحداث موسى وفرعون ، ففي عصر بعض الشاشانقة من الأسرتين الثانية والعشرين والسادسة والعشرين جاءت كلمة "فرعون" كلقب مقرون بالإسم الشخصي للملك ، وهما أسرتان ليبيتان ، إذن فهذا الإسم لم يكن إسما مصريا بالمرة ولم يتسمى به أي حاكم من حكام القبط في مصر القديمة ، بل إنه اسم هكسوسي خالص ظهر أول ما ظهر في عصر العماليق وحكمهم لمصر.

وبذلك عرفنا أن كلمة (فرعون) هي اسم علم لرجل من الرعاة الهكسوس الذين احتلوا مصر وحكموها ، واسم هذا الرجل (فرعون) لا يمت بصله لأسماء أو ألقاب ملوك مصر من المصريين.[77]

فإذا رجعنا للقرآن الكريم كمرجعية دينية وتاريخية مقدسة ، ولعلم الآثار الذى يمثل مرجعية تاريخية موثقة سنجد أن : "كلمة (فرعون) اسم علم لرجل ، وهذا الاسم (فرعون) لا يمت بصله لأسماء أو ألقاب ملوك وادى النيل"[78]

---

[76] أجمع ثقاة علماء الآثار المصرية وعلى رأسهم السير ألالن جاردنر في كتابه النحو المصري ، والسير آرثر ايفانز، والعالم ألن شورتر ، والعديد غيرهم أن كلمة (بر – عا) المعتقد إنها اصل كلمة فرعون باللغة المصرية ، معناها الحرفي البيت الكبير أو القصر وليس لها أي علاقة بشخص الملك أو اسمه

[77] فرعون من قوم موسى – عاطف عزت

[78] فرعون من قوم موسى – م. عاطف عزت

- **اسم فرعون فى اللغة العربية:**

ماذا يقول لسان العرب عن (فرعون) ؟ نجد فى مادة (فرعن) : فرعن الفَرْعَنَةُ الكِبْرُ والتَّجَبُّر . و فِرْعَوْنُ كل نَبيٍّ مَلِكُ دَهْره ؛ قال القَطامِى : وشُقَّ البَحْرُ عن أَصحابِ مُوسَى وغُرِّقَتِ الفَراعِنَةُ الكِفَارُ .

و(فرعون) الذى ذكره الله تعالى فى كتابه من هذا ، وإنما ترك صرفه فى قول بعضهم لأنه لا سَمِىَّ له كإبليس ؛ قال ابن سيده : وعندى أَن (فرعون) هذا العَلَم أَعجمىٌّ ، ولذلك لم يصرف .

وكلُّ عاتٍ فِرْعَوْنٌ ، والعُتاةُ : الفراعنة وقد تَفَرْعَنَ وهو ذو فَرْعَنَة أَي دَهاءٍ وتَكَبُّر. وفى الحديث : أَخَذَنا فِرْعَوْنُ هذه الأُمة.

والقرآن هنا يضيف أمراً جديداً لم تذكره التوراة ولا حتى ألمحت له ، وهو أن (فرعون) كان قد ألَّه ذاته وأمر الناس بعبادته من دون رب السماوات، وهى معلومة لابد قد تواترت حتى وصلت عرب الجزيرة وعرفوها وفهموها.

ولكي نثبت ذلك للقارئ سوف نسوق فيما يلي بعض الأدلة والشواهد التي تؤكد أن "فرعون" إسم من الأسماء السامية وقد تسمى به حكام الهكسوس وليس لقب لملوك القبط الذين حكموا مصر القديمة ، فهيا بنا نبحر في تلك الشواهد القيمة:

- **الخراطيش المصرية القديمة الخاصة بأسماء الملوك تخلوا من اسم فرعون وحقيقة لقب "بر-عا":**

لا نجد دليلا في خرطوش واحد من الخراطيش الملكية [79] التي تحمل أسماء الملوك في مصر القديمة يشير إلى ذلك اللقب " بر–عا "، ويظهر من ذلك محاولة هؤلاء العلماء الغربيين للتوفيق بين الآثار والتاريخ وبين ما ورد في التوراة، حيث اشارت التوراة في سفري التكوين والخروج لملوك مصر بلقب "فرعون" ،غير أن التوراة لم تفرق في ذلك

[79] الخرطوش الملكي هو شكل مستطيل بيضاوي يوضع داخل نصوص الكتابة الهيروغليفية في كتابات مصر القديمة وذلك لوضع أسماء الحكام والملوك بداخلها وهو ما يميز تلك الأسماء عن غيرها من النصوص بغرض تعظيم الملك وإجلاله وتمييز إسمه عن باقي الأسماء والمفردات داخل النص ، وقد كان الخرطوش من الأسباب الرئيسية التي قادت شامبليون في فك كتابات حجر رشيد لأنه قابل الأسماء التي داخل الخراطيش بالأسماء التي في النص اليوناني بنفس ترتيب ورودها في النص المصري.

اللقب بين الملوك الثلاثة الذين كانوا يحكمون مصر وقتها والذين عاصروا أنبياء الله إبراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام على الترتيب، بل عممت التسمية والتلقب بهذا اللقب على كل من حكم مصر، وفي هذا محل نظر، حيث لم يظهر اللقب "كلقب ثانوي" للملوك إلا في عهد الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها.[80]

ولم يفلح علماء المصريات التوراتيين في إيجاد كلمة فرعون داخل أي خرطوش من الخراطيش الملكية في كتابات مصر القديمة ولم يعرف أيضا كلقب لملوك وادي النيل القبط وهو ما يمثل أكبر دليل على عدم مصرية فرعون وعدم انتماؤه لملوك القبط ولم يتحقق أن أطلق الإسم على أي ملك أو رجل مصري لأن فرعون ببساطة لم يكن رجلا مصريا.[81]



نموذج لخرطوش ملكي من الذي يحمل أسماء الملوك في مصر القديمة

ونفهم من ذلك أن كلمة فرعون لم تستعمل في أي وقت من أوقات التاريخ المصري كلقب حقيقي رسمي للملك ، ويؤكد ذلك جميع علماء الآثار والمصريات دون استثناء ، أن هذا الاسم لم يستعمل طوال التاريخ المصري إلا خلال فترة حكم

---

[80] موسوعة ويكيبيديا

[81] فرعون من قوم موسى – م. عاطف عزت

الهكسوس لمصر ، ويؤكدون أنه ومنذ هذا الوقت - فقط منذ هذا الوقت - اصبح هذا الاصطلاح لقباً ثانوياً من ألقاب ملوك مصر.[82]

إن محاولة الادعاء بأن كلمة فرعون هي كلمة بر-عا المزعومة ومعناها البيت الكبير والتي اختلقوا منها إشاعة أنها تطابق لفظ فرعون يتيح لليهود ومن على فكرهم إلصاق الهويه "الفرعونية" علي آثار مصر القديمة كذبا ، وقد علمنا الآن أن الحضارة المصرية القديمة ليست "فرعونية" كما يزعم اليهود وكما أشيع بين الناس ، والزعم فيما بعد ان هذا اللقب "البيت الكبير" يعني فرعون وأنه يمثل (لقب للملوك) هو تزوير واضح وكذبة كبري في تاريخ مصر القديم.

وأتعجب كثيرا: هل البيت الكبير يصح أن يكون لقب ملك؟ ، هل البيت الأبيض لقب؟ هل الكرملين لقب؟ إنهم يفرضون علينا أكاذيب اختلقها العقل اليهودي من أجل الأجندة الصهيونية وللأسف نحن نعيش أكبر كذبة في تاريخ مصر والمنطقة بأسرها حين نجاريهم فيما ادعوه ونطلق على أنفسنا "فراعنة" ، لقد ادعى لنا اليهود تاريخا افتراضيا ، وأشاعوا أن هذه الكلمة بر-عا مرت بمراحل تطور من اليونانية والقبطية واللاتينية إلى أن أصبحت بالأنجليزية (pharaoh) وهي "فرعون" بالعربي!!!!!.

إن تمكن الصهيونية العالمية في تكريس لقب فرعون علي حضارة مصر ، من خلال جميع الأفلام والبرامج العلميه وجميع الكتب, جعلهم ينجحون في أن يلصقوا الهوية "الفرعونية" المزعومة وجعل "فرعون" لقبا معمما على كل ملوك القبط المصريين وإشاعة ذلك زورا وكذبا علي آثار مصر القديمة بحيث أصبحت حضارة مصر القديمة "فرعونية" حتى في نظر أهلها المصريون بل وفي عقول الناس جميعا ، لقد نجحوا في الخداع والنفاق وتزوير التاريخ بأكمله وهذه هي مهارة الصهيونية في تزوير التاريخ وتزوير الوعي والحقيقة.

لقد صارت كذبة "الفرعنة" مكشوفه لدينا ولكن جميع الباحثين والمتخصصين في المصريات لا يستطيعون الخروج عن هذا التيار الكاذب مهما ادعوا معارضتهم

---

[82] فرعون من قوم موسى — عاطف عزت

لمحاولات تهويد التاريخ المصري والعربي ، فالأمر يحتاج إلى "ثورة وعي" ناجحة لتخليص المتخصصين أنفسهم من المسميات المغلوطة قبل محاولة تغييرها عن عامة الناس.[83]

لا يوجد ملك مصري قديم في عصور الدولة القديمة والوسطي استخدم هذا اللقب برعا أبدا، ملوك بناة الأهرامات لم يشر أحد منهم إلي هذه الكلمة.

عصور الدولة الحديثة: ادعوا أن الملك تحتمس الثالث بدأ في استخدام هذه الكلمة البيت الكبير كلقب ملكي بعد نهايه ما يسمي حكم الهكسوس المزعوم.

أغلب ملوك مصر بما فيهم ملوك الدولة الحديثة لم يستخدم منهم الا عدد قليل جدا هذا اللقب في عباره أو جملة واحده وليست مكررة. فيما يعني أن هذا اللقب المزعوم لم يكن لقب ملك وأنما رمز معبر استخدم من حين لآخر.

لكن المؤسف في الأمر أن المتخصصين أنفسهم قد خضعوا لهذا التفسير وحتى علماء الآثار المصريين أنفسهم قد خضعوا أيضا لتلك التفسيرات التوراتية الكاذبة والتي اعتبرها الناس مسلماتٍ وزعموا كما زعم علماء المصريات الغربيون أن كلمة فرعون مشتقة من اللفظ المصري (بر-عا) والتي تعني البيت الكبير.[84]

- **المصادر المصرية التاريخية القديمة تخلو من اسم فرعون:**

لم يرد اسم فرعون في كتابات مانيتون وهو أقدم مؤرخ مصري وهو الذي أخذ عنه المؤرخون قوائم ملوك مصر ، وتقسيمها إلى 30 اسرة ، ولم يستخدم لفظ "فرعون" ، وغير صحيح أن ملوك البطالمة كانوا يسمون أنفسهم فراعنة ، كانوا يقلدون ملوك مصر في وجود عدد من الأسماء الحورية ، كلها داخل خراطيش ، مما يعني أنه إسم ملكي ، وبعضهم فقط جعل من ضمن اسمائه اسم "بر عا" الذي يميل بعضنا لإعتبار ذلك الإسم اصل لفظ "فرعون" دون أن يكون ذلك مؤكداً، في المقابل قوائم أسماء الأسر الهكسوسية فيها إسم واحد صريح إسمه "فرعون" قد يكون

---

[83] هذ الاقتباس من أحد مقالات د/ أشرف عزت (مصر القديمة لا تعرف فراعنة ولا اسرائيلين).

[84] فرعون من قوم موسى – عاطف عزت

ذلك تحريف وتليد سئ للقب الملكي المصري "بر عا" إلا أنه يبقى اسم شخص هكسوسي ، وليس صفة أو مصطلح ملكي لكن الثقافة العبرانية فرضت إرادتها على معظم كتابات المؤرخين ، لما أصبحت تلك الثقافة هي مصدر الديانات السماوية الثلاث ، وإلتزم الكتاب المنتمين لتلك الديانات بإطلاق مصطلح "فرعون" على كل من حكم مصر ، دون أي دليل أثري أو تاريخي محايد، وعندنا وثيقتان محايدتان بين الملك المصري "تحتمس الثالث" وملك السوريين، بعد قهر السوريين في معركة "ماجدو" ، وكذلك إتفاقية السلام الشهيرة بين رمسيس الثاني والحيثيين ، بعد معركة "قادش" ، لم يستخدم في أي منهم لفظ "فرعون" ، حتى مكاتبات "إخناتون" لحكام الولايات الشرقية ، لا يوجد فيها لفظ "فرعون" ، إذن الموضوع هو فرض الثقافة العبرانية الإسرائيلية على ثقافة العالم.

- **لفظ "فرعون" فى الأبحاث الحديثة:**

يشير لفظ "فرعون" في الأبحاث الحديثة وأحدث أبحاث اللغة إلى أن لفظ "فرعون" هو لفظ آرامي معناه " راعي " أي أمير أو حاكم كبير ونسبه البعض للموك الرعاة لكن لا دليل على ذلك ، وقد أشار إلى ذلك الباحث طارق أبو هشيمة في كتابه "أصول الكلمات "[85] الصادر حديثا حول الكلمات التي دخلت على اللغة العربية ولها أصول من لغات أخرى، وذهب البعض إلى أن لفظة "فرعون" تعني : الفرع الصغير ، ويلقى ذلك الضوء بشدة على أصل فرعون موسى الذي نما وتأكد في الفترة الأخيرة الاعتقاد بعدم مصريته وانتماءه للهكسوس أو الملوك الرعاة أو العماليق كما سبق التوضيح، وعليه فإن لفظ " فرعون " هو لفظ لا ينتمي إلى اللغة المصرية القديمة بالمرة، وإنما هو لفظ كنعاني آرامي — وهي أخوات اللغة العربية القديمة - ويشير إلى العماليق الهكسوس الذين غزوا مصر في أحد عصورها القديمة وحكموها لفترة تتعدى القرنين من الزمان.

---

[85] أصول الكلمات معجم تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية – طارق أبو هشيمة

- **اسم فرعون عند علماء المصريات:**

هناك شك كبير عند علماء المصريات أنفسهم وحتى عند الغربيين منهم في حقيقة أصل هذا الاسم وانتسابه إلى المصريين القدماء ، فالمصريون القدماء لم يسموا أنفسهم أبدا بالفراعنة ، رغم شيوع وذيوع استخدام المسمى في العقود الأخيرة ، إلا أن الفراعنة كلقب لم يعرف إلا في العصر الحديث نتيجة إصرار علماء الغرب على إطلاقه على ملوك مصر القديمة تمشيا مع التوراة ، ومع ذلك يقول كتاب (معجم الحضارة المصرية القديمة) تأليف (جورج بوزنر – سيرج سونرون – جان يويوت – أ.س.ادواردز – ف.ل.ليونية – جان دوريس) والصادر عن مكتبة الاسرة سنجد في معنى كلمة (فرعون) الآتي :

" لم يستعمل هذا اللقب الذي يوحي إلينا بشخصية ذات عظمة ومجد من غابر الأزمنة إلا في الألف سنة الأولى ق.م كلقب للملك عندما انجزت مصر ما أراده لها القدر و لم يعد ملوكها يبهرون الدنيا باعمالهم كاسلافهم الذين حكموا أيام عظمتها ، نقلنا كلمة (فرعون) عن لفظ حقيقي رسمي في التوراة ، وهي مشتقة من اللفظ المصري (بر–عا) اى (البيت العظيم) التي بعد استعمالها للقصر استعملت لصاحبه (وبطريقة مشابهة استعمل الباب العالى للدلالة على السلطان العثماني) ، غير ان لقب فرعون لم يستعمل في اى وقت من التاريخ كلقب حقيقي رسمي للملك" .أ.هـ

ومن هنا يتبين عدم صحة الادعاء بتسمية ملوك مصر بالفراعنة وكذب الادعاء بتسمية أي ملك مصري باسم "فرعون" بشهادة فطاحل علماء المصريات الذين عمموا اللفظ على كل ملوك مصر القديمة ، كما أن المؤرخين المسلمين لهم رأي آخر في نسبة هذه التسمية."[86]

[86] موسوعة ويكيبيديا

- **اسم "فرعون" لم يأت بصيغة الجمع في الكتب المقدسة:**

لم يأت لفظ فرعون بصيغة الجمع لا في القرآن ولا في التوراة ولا في أي مصدر آخر ، إلا أن الإخباريين العرب قد استخدموا صيغة "الفراعنة" في زمن متأخر جدا عن زمن الأحداث الحقيقية وهو ما يزيد عن الألفي عام بعدة قرون ، وهذا يدل على أنه اسم شخص وليس لقب يمكن جمعه.

- **اقتران اسم "فرعون" بأسماء أخرى من نفس جنسه:**

ذكر الله اسم فرعون مقترنا بأسماء أخرى فجاء في وسط إسمين علمين في سورتي العنكبوت وغافر ، حيث قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ سورة غافر

وقال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ العنكبوت

وذهبت بعض الآراء أن (فرعون) صفة لملوك مصر مثله مثل (كسرى) و (قيصر) أباطرة الفرس و الروم وذهبت آراء أخرى إلى أنه اسم رجل ، ودللت على ذلك باقتران ذكره الدائم باسمى (هامان) و (قارون) ووقوعه بينهما أحياناً فى السرد وهو الراجح وأزيد هنا أن الملك المصرى الذى كان يوسف عليه السلام وزيراً فى عهده كان يلقب بالملك كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم وكذا فى أثار المصريين دائما ما يلقب الجالس على العرش بالملك فكيف يكون فرعون إذن صفة وليست اسماً ؟؟؟

أسم (فرعون) جاء فى الآية السابقة بين اسمين معروفين ، ومن المعروف لغويا أن كل ما وقع بين اسمين فهو اسم : قاعدة لغوية في اللغة العربية وغيرها (وقارون وفرعون وهامان)[87] ، إذن هو إسم شخص و لم يكن يوماً ما لقب ملكى خاص بالملوك الذين حكموا مصر كما يدعى المؤرخون ، بل الأصح أن يقال أنه أصبح فيما

[87] فرعون وقومه كانوا هكسوسا و لم يكونوا مصريين – مؤمن محمد سالم

بعد لقبا خاصا بالملوك بعد أن كان اسما للملك الذى عاصر النبى موسى عليه السلام.[88]

- ## اسم فرعون وأدوات النداء:

ارتباط اسم فرعون بياء النداء دون إضافة أدوات للتعريف ، فمن المعروف أن الألقاب إذا اقترنت بياء النداء في اللغة العربية وجب إضافة أداة التعريف وهي الألف واللام ، لكننا نجد ياء النداء تستخدم مع اسم فرعون دون إضافة الألف والياء ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأسراء.

وقال تعالى :

"وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ"

وقد انعقدت المحادثة بين فرعون وموسى عليه السلام فيحدث كل منهما الآخر بإسمه فيقول فرعون : ياموسى ، ويقول موسى عليه السلام : يا فرعون ، وهي مقابلة واضحة جدا لإيضاح أن الشخصين يخاطبان بعضهما البعض بالصيغة اللغوية السليمة ويناديان بعضهما البعض بأسمائهم المجردة ، فليس فرعون هاهنا في موضع التعظيم من قبل موسى عليه السلام حتى يناديه بلقبه أو يعظمه.[89]

وعلى النقيض نجد لقب العزيز يتم مناداته بالأدوات المناسبة حيث يناديه الناس باستخدام أداة التعريف المناسبة:

---

[88] خالد على نبهان – المجلة المصرية – فرعون مصر كان عربيا

[89] م. عاطف عزت – فرعون من قوم موسى : من الاستحالة أن تكون كلمة فرعون لقباً لحاكم لأن الألقاب تقرن بأسماء الملوك بغرض التفخيم والتعظيم وتطلق مجردة زيادة في التفخيم ، هذا ولما كان النص القرآني قد أفاد فى كثير من الوجوه إجرام هذا الملك ووصفه بكل عيب ونقيصة ، فليس من المعقول أن يأتي النص بعد ذلك معظماً له فيناديه بلقبه (تعظيماً) وليس باسمه (تقليلاً)

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ سورة يوسف

فلم تأت كلمة فرعون في القرآن الكريم معرفة مثل (الملك أو الأمير أو الإمبراطور أو العزيز) بل دائماً تأتي نكرة على صورة مجردة هكذا (فرعون) مما يدل على انه اسم علم وليس صفة أو منصبا.

فضلا عن الاختلاف الواضح بين الموقع الإعرابي لكلا الكلمتين في القرآن الكريم في مواضع مختلفة من الآيات ، فالفرق واضح حين تأتي ألفاظ القرآن الكريم حينما نقارن بين جملة "إمرأة فرعون" دون استخداذم الألف واللام وجملة "امرأة العزيز" باستخدام الألف واللام ، فالأولى استخدمت مع إسم علم لرجل والثانية استخدمت للقب.

ذكر القرأن (امرأة العزيز) ، باعتبار أن (العزيز) كما هو واضح بأداة التعريف أنها لقب ، لكن القرآن نفسه ذكر امرأة عمران و امرأة نوح و امرأة لوط وعلى نفس النمط ذكر امرأة فرعون (و لم يقل امرأة الفرعون) معرفة بأداة التعريف إذا كان فرعون لقب!! و(فرعون) هو اسم الملك فى زمن النبي موسى عليه السلام.[90]

- **القرأن يؤكد أن (فرعون) كان اسم الملك فى زمن النبى موسى!**

لو أفترضنا أن (فرعون) هو لقب الحاكم فى بلاد القبط وأن (عزيز) هو لقب الوزير فكان من المفترض أن يتعامل القرآن مع اللقبان بنفس الوضعية .. أى طالما أنه لقب فيمكن تعريفه بـــ (الـــ) ، فماذا قال القرأن عن (امرأة العزيز) ؟

﴿ وَقَالَ نسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ(30)﴾ [يوسف] ، ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ(51)﴾[يوسف].

وماذا قال عن امرأة (فرعون) ؟

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(11)﴾ [التحريم]،

[90] خالد على نبهان – المجلة المصرية – فرعون مصر كان عربيا

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(9)﴾ [القصص] . وكما ترى أن القرآن تعامل مع امرأة (فرعون) ليس كما تعامله مع امرأة (العزيز) .. فـ (فرعون) هنا ليس معرفاً بـــ (الـــ) لأن (فرعون) هنا هو إسم لشخص وليس لقب . وهناك أيات أخرى : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي(35)﴾ [آل عمران] ، ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ(10)﴾ [التحريم] ، فكما ترى أن النص القرآنى تعامل مع امرأة (فرعون) مثلما تعامل مع امرأة (نوح) وامرأة) لوط) وامرأة (عمران) .. فكما أن (نوح) و(لوط) و(عمران) ليسوا القاب فـــ (فرعون) أيضا ليس لقب وإلا كان القرآن تعامل مع امرأة (فرعون) مثلما تعامل مع امرأة (العزيز).

- **اسم فرعون لا يمكن أن يأتي على سبيل التعظيم:**

ليس من المنطق أن يتحدث الله عن فرعون بذكر "البيت الكبير " كتعبير مجازي كأنه يجله ويعظمه ؟! هل ينادي الله تعالى رسوله باسمه المجرد "موسى " وينادي عدوهما بتعبير مجازي يوحي بالتفخيم والتعظيم !؟ [91]

بل إنه من الاستحالة أن تكون كلمة فرعون لقباً لحاكم لأن الألقاب تُقرن بأسماء الملوك بغرض التفخيم والتعظيم ، وتطلق مجردة زيادة في التفخيم ، هذا ولما كان النص القرآني قد أفاد فى كثير من الوجوه إجرام هذا الملك ووصفه بكل عيب ونقيصة ، فليس من المعقول أن يأتي النص بعد ذلك معظماً له فيناديه بلقبه (تعظيماً) وليس باسمه (تقليلاً) [92]

---

[91] فرعون من قوم موسى – م. عاطف عزت

[92] فرعون موسى من يكون وأين ومتى – د.سعيد ثابت

- **شيوع استخدام اسم فرعون كلقب في العصر الحديث:**

إن كلمة "فرعون" ربما قد أصبحت تستخدم استخداما شائعا في العصور الحديثة كلقب للحاكم في مصر القديمة لأسباب ترجع إلى الميول العقائدية ومحاولات التفسير التوراتية من زاوية واحدة، على أن التحقيق اللغوي للفظة يظل بعيدا كل البعد عن حقيقة تلقب الحكام المصريين بهذا اللقب ،

* التوراة تذكر فرعون على إنه اسم الملك وليس لقبه:

ذكرت التوراة بشكل واضح اسم الملك في عهد موسى عليه السلام لكنها عممت الاسم على كل الملوك الذين سبقوه والذين أتوا من بعده وكأنه لقب وليس اسما هذا من خداع كاتبيها ومن أمثلة ذلك:

"ادخل قل لفرعون ملك مصر أن يطلق بنى إسرائيل " [93]

"شدد الرب قلب فرعون ملك مصر " [94]

"هما اللذان كلما فرعون ملك مصر فى إخراج بنى إسرائيل ... " [95]

وهذه الجمل قد أوردت الاسم واللقب معا فالاسم "فرعون" واللقب "ملك مصر"؛ وقد ذكره كاتبو التوراة نصاً دون مواربة لكنهم أطلقوا الإسم على كل الملوك الآخرين للإيحاء بأنه لقب وليس إسماً، وكانت تلك ستعد واقعة مستغربة ألا تذكر التوراة اسم أهم الملوك الذي عادى بني إسرائيل واضطهدهم وكان بطلا لأشهر وأهم قصص نشأتهم على الإطلاق رغم أنه قد ورد بالتوراة أسماء ملوك مصريين أقل شأنا من فرعون كالملك شاشانق والملك نخاو وغيرهما.[96]

---

[93] خروج 6/11

[94] خروج 14/8

[95] خروج 6/27

[96] فرعون من قوم موسى – عاطف عزت

- **اسم فرعون ينتمي للغات السامية:**

اسم فرعون هو اسم عروبي تم اشتقاقه من اللغات السامية كالكنعانية والآرامية ولا علاقة له باللغة المصرية القديمة لغة القبط ، ويرجح الدكتور علي فهمي خشيم أن التفسير الوحيد الممكن هنا هو أن هذه "الفرعونية" وأصلها ومشتقاتها ليست قطعاً خاصة بمصر ، بل الأصل تعبير عروبي سواء جاء من شرق مصر أو غربها أو نبع منها ذاتها ، متعلق جذراً واستعمالاً باللغة العربية وأخواتها من اللغات العروبية الأخرى.[97]

يقول الباحث خالد نبهان : وإذا كان (فرعون) كما يذكر المؤرخون هو لقب مصري قديم وليس عربياً ، فلماذا عرّب القرأن أسم (تارح) العبرى - أبو النبى إبراهيم - إلى أزر ، كما عرّب (يصهر) العبرى - عم النبى موسى - إلى (قارون)، كما عرّب (شاؤل) العربى إلى (جالوت)، بينما لم يتم تعريب (فرعون) المصري؟[98]!!

ويمكن القول أن أصل اسم (فرعون) هو الفعل (فرع) والنون في آخر الكلمة أصلية في أثناء تطور العربية واستعيض عنها بالتنوين الذي ينطق ولا تكتب نونه ، أو أن الجذر العربي (فارع) هو أصل فرعون ويعني العلو والطغيان وهذا وارد.

وحيث اعتدنا مع الأسماء السامية القديمة التي كان يطلقها الناس وقتها على المواليد وفقا للمناسبة التي ولدوا فيها أو وفقا لصفة المولود حين ولد أو وفقا لما يريده ويتمناه أهله من صفات يأملون أن تتحقق في مولودهم فقد أوزد القرآن الكريم اسم فرعون في كثير من المواضع مقترنا بصفاته وهي من السنن الربانية ومن اللطائف اللغوية الرائعة في القرآن الكريم عند ذكر أسماء الشخصيات المحورية في القصص القديم فيصف فرعون بنفس المشتقات العربية التي تعني العلو والطغيان والاستكبار ، يقول تعالى:

" إن فرعون لعال في الأرض" 83 يونس

"إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا" سورة القصص

"وَلَقَدْ نَجَّيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِينِ (30) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ (31)" سورة الدخان

---

[97] بحثا عن فرعون العربي — و — آلهة مصر العربية — د. علي فهمي خشيم

[98] خالد على نبهان — المجلة المصرية — فرعون مصر كان عربيا

" اذهب إلى فرعون انه طغى" 17 النازعات

" فقال أنا ربكم الأعلى" 24 النازعات

- **الجذر اللغوي لإسم فرعون:**

يمكن القول أن أصل اسم (فرعون) هو الفعل (فرع) والنون في آخر الكلمة أصلية في أثناء تطور العربية واستعيض عنها بالتنوين الذي ينطق ولا تكتب نونه ، أو أن الجذر العربي (فارع) هو أصل فرعون ويعني العلو والطغيان وهذا وارد وهي الصفة التي اقترنت بذكر فرعون في القرآن الكريم

القرآن الكريم الذي يصف فرعون بنفس المشتقات العربية العلو والطغيان :

﴿إن فرعون لعال في الأرض﴾ 83 يونس

﴿فرعون إنه كان عالياً في الأرض﴾ 31 الدخان

﴿اذهب إلى فرعون انه طغى﴾ 17 النازعات

﴿ فقال أنا ربكم الأعلى﴾ 24 النازعات

وربما يكون الاسم مشتقا من اسم البلدة العربية التي أتى منها وهى (فاران) كما يقول ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر .[99]

- **القبط المصريون لا يعرفون اسم فرعون فى لغتهم بينما يعرفه العرب:**

لم يكن اسم فرعون متداولا فى مصر لا قديماً ولا حديثاً ، ويكاد ينعدم استخدامه في مصر فلا تجد مواطنا مصريا حاليا يتسمى أو يتلقب بلفظ فرعون في العصر الحديث ولا في تاريخ مصر السابق بأسره.

وقد كشف المسعودي من المسح التحقيقي الذي أجراه بنفسه في أيام زمانه، ومع من وصفهم "بأهل الخبرة" من الأقباط، كشف لنا أن أهل مصر لا يفقهون ماهية هذا الاسم الشهير، بل لا يوجد في لغتهم. كما اكتشف المسعودي بنفسه، وأرجع ذلك

---

[99] فرعون من قوم موسى – م. عاطف عزت

بما حدث من تغير اللغة المصرية القديمة التي صبغ اللقب فيها، كتغير اللغات الأخرى، الأمر الذي نتج عنه جهل أقباط مصر بمعناه القديم، وافترض المسعودي أنه كان سمة لملوك مصر الأقدمين، ويمكن القول أن نظرة المسعودي هذه نظرة علمية تتسم بالدقة وسلامة المنهج.

يقول المسعودي: سألت جماعة من أقباط مصر بالصعيد وغيره من أهل الخبرة عن تفسير اسم فرعون فلم يخبروني عن معنى ذلك ولا تحصل لي في لغتهم"[100]

وهذا يدل على أن اسم فرعون هو اسم غريب عن المصريين و لم يتحقق في تاريخهم أبدا إلا في عصر الهكسوس الذين لم يكونوا من أهل بلاد وادي النيل المصرية ويختلفون في أصولهم عن القبط سكان مصر القديمة.

لكننا في المقابل نجد الإسم منتشراً وبكثرة حتى اليوم فى الجزيرة العربية واليمن والأردن والعراق وفي دول المغرب العربي وعند العديد من الدول العربية كإسم علم للكثير من الأشخاص والعائلات الكبيرة والمشهورة ، ومن أشهرهم عائله الدكتور "رشاد فرعون" الدبلوماسي السعودي المعروف ، وغيث فرعون رجل الأعمل الشهير صاحب مجموعة فرعون ، وغسان نجيب فرعون صاحب المستشفيات ، وعائلة ميشيل فرعون وزير الدولة لشؤن مجلس النواب اللبنانى ، وفى المؤتمر الأول لمنظمة المرأة العربية الذي عقد في البحرين عام 2006 تم تكريم السيدة السورية قمر فرعون ، وفي سورية أيضا هناك هشام فرعون أستاذ القانون وصادق فرعون أستاذ الطب بجامعة دمشق ، كذلك هناك ليث فرعون البطل السعودي في الزوارق المائية ، وإذا سألت عن فرعون الشعر فهو شاعر مضر " ناصر الفراعنة " والفراعنة فخذ من قبيلة سبيع بالجزيرة العربية وقبيلة سبيع الغلباء هى من القبائل المشهوره التى حملت لواء الإسلام ومازالت وهى من القبائل التى لها وزن وتأثير تاريخى وثقافى ولا يضرها تسمي أفرادها بهذا الإسم أو التلقب بهذا اللقب.

---

[100] مروج الذهب ومعادن الجوهر – المسعودي

أما الأدهى فهو اسم المدعى العام العراقى القاضى الذى حضر إعدام صدام حسين فاسمه " منقذ آل فرعون " من عشيرة آل فرعون بالفرات الأوسط ، أما اسم أخيه فهو عاد آل فرعون ! ويالها من مفارقة تثير العجب .[101]

فضلا عن المواقع والأماكن التي تسمت باسم فرعون والفراعنة ، فحديثا نجد اسمه مخلدا للعديد من الأماكن في الدول العربية ، ففي فلسطين قرية "فرعون" ومدرسة "بنات فرعون" وجبل فرعون بمحافظة طولكرم وعلى جبل لبنان بلدة فرعون ، وفي قلب بيروت "شارع فرعون" وبنك فرعون" لمؤسسة "ناجي فرعون" وأشهر قصورها "قصر فرعون" ، وحتى لا تستثنى دولة عربية بالافتخار بفرعون وجدنا بالأردن في مدينة العقبة "جزيرة فرعون" فضلا عن "حمامات فرعون" التي تقع خارج وادي النيل في شبه جزيرة سيناء!.

هذا بالإضافة إلى أن اسم فرعون ما زال موجودا بين البربر فى الجزائر والمغرب وهو دليل يدعم الحقيقة القائلة بأن فرعون وقومه كانوا من الهكسوس من الشام وشبه الجزيرة العربية[102] .

---

[101] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت.

[102] في بحث للأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح بعنوان(وسائل الإعلام والفصحى المعاصرة)، كتب فيه بعد السطر العشرون(ومن أهم الباحثين العرب، الذين يذهبون إلى أن الأمازيغية بقايا لهجة عربية قديمة، الباحث والمؤرخ الجزائري عثمان سعدي الذي يرى(أن كل الدلائل تشير إلى أن البربر عرب في أصولهم، وأن اللغة البربرية لهجة من لهجات العربية القديمة، وأن كل المتخصصين في الدراسات البربرية أثبتوا أن البربرية واحدة من اللغات السامية العربية القديمة، فقد تكون مشتقة من اللغة البونيقية مثلما يرى صراحة المؤرخ الفرنسي للحضارة العربية "غوستاف لوبون". وكل المكتشفات الأثرية المتعلقة بالنقوش والكتابات القديمة أثبتت أن البربر أقرب إلى الحميريين ، وأن هجرات عديدة تمت من الجزيرة العربية إلى شمال أفريقيا ، فالهكسوس مثلاً شعب هاجر من الجزيرة العربية واستقر في مصر في الفترة ما بين 1730 و1570 قبل الميلاد ، وهي من هذه الهجرات السامية التي سجلها التاريخ ، فالمؤرخ التونسى عثمان الكعاك يرى "أن البربر قدموا من الجزيرة العربية في زمن لا يقل عن ثلاثين قرنًا قبل الميلاد، و أن الفينيقيين اختلطوا بالبربر على طول السواحل الأفريقية المغربية في القرن الثاني قبل الميلاد. ولما كان البونيقيون عربًا من بني كنعان فقد اختلطوا بالبربر الذين هم عرب من العاربة القحطانية، ويؤكد المؤرخون أن مدينة سوسة بتونس بناها العرب القادمون من جنوب الجزيرة العربية، قبل أربعة آلاف سنة وأعطوها اسم (حضرموت) ويسجل المستشرق الألماني ـــ رولسلر ـــ التشابه بين الآكديه و البربرية".

وممن تسمى باسم فرعون على سبيل المثال لا الحصر الكاتب الجزائرى "مولود فرعون" فقد تأثر البربر الحاليون (الذين هم أصلا عرب مهاجرة خلال الهجرات القديمة من شبه الجزيرة العربية وفقا لأبحاث حديثة بالبصمة الجينية) بالموروث الثقافى القديم لدى المهاجرين القدماء وهذا يدلل على أنهم أصلا عرب هاجروا من موطنهم الأصلى فى العصور القديمة وهو شبه الجزيرة العربية والشام إلى مناطق شمال إفريقيا حاليا.

إذن الثابت أن اسم فرعون هو اسم قديم تسمى به الناس فى شبه الجزيرة العربية والشام قديما وحديثا ونجد بعض العشائر فى شبه الجزيرة العربية مازالت تحمل اسم فرعون أو الفراعنة ، ومازالوا يتسمون بإسم فرعون برغم هجرتهم لمنطقة شمال إفريقيا البعيده جغرافيا عن شبه الجزيره العربيه،وهذا كله يثبت أن فرعون موسى من الهكسوس و كذلك قومه.

ونرى بذلك أن فرعون هو اسم سامي عروبي مثل (خلدون زيدون بيضون سمعون هارون قارون شارون سيحون جدعون رعنون مامون قلمون شمرون رحمون شمشون)[103] وكلها اسماء عروبية وسامية قديمة أما هامان فمنتشر أيضا عند العرب، ومثله مثل (غسان سلمان سمعان فهمان عمران خلفان مهران) وكلها كما لا يخفى أسماء عروبية وعبرانية وسامية.[104]

لكن من أكثر الأشياء غرابة ومدعاة للدهشة أن المصريين لم يستخدموا أبداً لفظ "فرعون" للدلالة على الملك أو على الحاكم طوال تاريخهم[105]، أليس الأمر مدهشا؟!!!

---

[103] فرعون وقومه كانوا هكسوس – مؤمن محمد سالم

[104] فرعون من قوم موسى – م. عاطف عزت بتصرف

[105] فرعون من قوم موسى – م. عاطف عزت

تحقيق بعض أسماء قوم فرعون وقوم موسى عليه السلام [106] :

لو تأملنا أسماء العماليق وبني إسرائيل لوجدنا أنها تكشف عن الحقيقة ...

هامان – آسيا بنت مزاحم – فرعون – حزقيل – قارون – موسى – هارون – قطفير / إطفير – زليخا ....

وإذا كان إسما كإسم هارون المتكون من جزئين (هار – ون) ويعني الجبل / الجبلي كناية عن القوة / موطن القوة ، وإسما كإسم هامان (هام – ان) ويعني صاحب الهامة أو الجسيم أو الفارع ، و صيدون (صيد – ون) وهي مدينة واسمها الحالي صيدا واسمها يعني مدينة الصيد ، وجدعون (جدع – ون) وهو إسم كنعاني معناه "حاطب" أو "قاطع بشدة" من الفعل "جدع" وهو نفس المعنى باللغة العربية مثلما يقال "جدع أنفه" أي قطعها أو كسرها[107] ، وشمشون (شمش – ون) وهو إسم كنعاني وبابلي أيضا ومعناه الشمس أو الشمس الصغيرة بصيغة التصغير كما في اللغة العربية وغيرها.

فالأسماء: فرعون - هامان - قارون وحتى حزقيل أو إطفير أو آسيا هي أسماء آسيوية وغالبا هي كنعانية آرامية / سريانية خالصة أو تمت بصلة للأسماء البابلية ، وقد سبق لنا أن بينا في الفقرة السابقة أن فرعون إسم كنعاني / آرامي يعني راعي ، أي من آل الرعاة وهم الملوك الرعاة أو الهكسوس كما سماهم اليونانيون ، وهذا يفسر أن يكون وزير حاكم مصر آنذاك إسمه هامان وقد ذُكر أن هامان هو إسم بابلي أتى مع الهكسوس الذين كان أغلبهم يتحدث بالآرامية، يقول د.محمد السيد غلاب: "والهكسوس حملوا لقب فراعنة" أي أطلق عليهم فراعنة، ويقول ابن خلدون: "قال ابن إسحاق: ومن العماليق فراعنة مصر" ، وقال الطبري: كانت الفراعنة بمصر من الرعاة.

إن أسماء الملوك والحكام الهكسوس تتشابه مع أسماء الأفراد في بلاد الشام وهي في معظمها سامية كما أكدت النصوص المصرية أنهم قبائل بدوية أتت من الشرق أي آسيا حيث كانت تسكن أقوام نوح وثمود وعاد وهذا كله يندرج تحت ما أكده

---

[106] ملوك مصر القديمة – د.محمد راشد حماد

[107] وهو ما يقابله في اللغة العربية اسما كإسم "هاشم" الآتية من المصدر " هشم " أي كسر وحطم ، ويعتبر اسم "هاشم " هو النسخة العربية من اسم " جدعون.

القرآن من وجود صلات أو علاقات أسرية أو حتى علاقات جوار بين فرعون وقومه وبين الأقوام التي أهلكها اله كقوم نوح وعاد وثمود مما يفهم منه أن فرعون وقومه من قبائل الهكسوس.

• حقائق حول اسم هامان .. وعلاقته بهامان فى قصة استير!:

هامان هو الشخصية الثانية بعد الملك وكان له جنود خاصة به وقد قام مجموعة من المتخصصين في اللغة المصرية القديمة بالبحث في أسماء الأفراد في مصر القديمة والمناصب التي شغلوها والألقاب التي حملوها في حياتهم الدنيا وخاصة خلال عصر الدولة الحديثة ومنها منصب الوزير أو كبير الكهنة أو قائد الجيش أو المشرف على المنشآت إلا أنهم لم يجدوا شخصا يحمل هذا الإسم كما أنهم لم يجدوا بعض المهام التي ارتبطت به.[108]

فإذا كان هذا الاسم لم يعثر عليه ضمن أسماء المصريين القدماء (ملوك القبط) فإنه قد وجد ضمن أسماء الأفراد في بعض الممالك في آسيا فقد أشارت التوراة إليه باعتباره اسما فارسيا وبابليا ونطقه كتاب التوراة "هيمان" ولا تزال بعض الأسماء القريبة من هذا الاسم مستخدمة إلى يومنا هذا في إيران والهند وغيرها من بعض الأقطار الآسيوية ومن الجلي جدا أنه من الأسماء غير المصرية ، و تقول المراجع إنه من الأسماء التى كانت مستخدمة فى منطقة شرق وجنوب الأناضول وهى من المناطق التى جاء منها بعض قبائل الهكسوس و لايعقل أنه كان وزيرا لرمسيس الثانى سليل أحمس محرر مصر من الهكسوس ، كما يدعي بذلك بعض الذين حاولوا الدفاع عن نظرية أن فرعون هو رمسيس الثاني وسيأتي الكلام عن ذلك في حينه في الفصل السادس تحت عنوان "براءة رمسيس".

ويعتقد بعض الباحثين أن اسم هامان اسما عربيا وليس اسما أعجميا مثله في ذلك مثل اسم طالوت وهو يقابل شاؤول في الكنعانية العبرانية وسليمان وهو يقابل شلومون بالكنعانية العبرانية وإن كان لا يعرف الاسم الأعجمي المقابل لهامان فإنه

---

[108] رشدي البدراوي – قصص الأنبياء والتاريخ الجزء الرابع

كان بمعنى المتسلط أو المهيمن على أهل مصر وجعلهم في خدمة مولاه وسيده فرعون والذي اعتبر أيضا اسما عربيا بمعنى الفارع في الطول أو العظيم أو المتكبر.[109]

ولم يستدل أن أحدا من الكهنة المصريين من القبط أو غيرهم قد حملوا هذا اللقب[110] وقد وقع اختلافا بينا فيما بينهم في اعتبارها تتطابق مع اسم هامان في القرآن.[111]

ونستنتج من هذا أن هامان لم يكن اسما مصريا وإنما اسما متداولا ببلاد الشام وبابل ببلاد النهرين وفارس فضلا عن أنه لم يعرف أن الشخصية الثانية بعد الملك في مصر القديمة والتي يمثلها هنا هامان مما يؤكد في النهاية أن كلا من هامان وفرعون من جنس آسيوي مثلهم مثل قارون الذي ينتمي لقوم موسى الذين قدموا من أرض كنعان وأقاموا في مصر.

وقد أجمع كل المؤرخين وكل رجال التاريخ في الآثار المصرية على شيء واحد اختصره الأستاذ رؤوف أبو سعدة في كتابه "من إعجاز القرآن" في العبارة الآتية:

"لا تجد في التاريخ المصري القديم ولا في أعلام هؤلاء المصريين أيضا شخصا باسم هامان استوزر لفراعنة مصر ، أو كان قائد جندهم ، أو كبيرا في بلاطهم أو عظيما من عظماء كهنوتهم ، ليس البتة فيما عرف من التاريخ المصري القديم بإسم "هامان".[112]

ومن اليسير العودة بهذا الإسم لجذر في اللغات العروبية فكلمة هامان مشتقة من الفعل "هيمن" بمعنى سيطر وراقب ، وهو اسم سامي كنعاني مشهور فقد ذكر في قصة أخرى بعد خروج موسى عليه السلام من مصر بمئات السنين ، إذ تحكي لنا التوارة في سفر "إستر" أن هامان بن همداثا الأجاجي كان عدوا لليهود وكان مقربا للملك أحشويروش / زيركسس.

---

[109] المعجم الوسيط

[110] رؤوف أبو سعدة — من إعجاز القرآن

[111] طارق فرج — فرعون موسى وهوية جديدة

[112] فرعون موسى من قوم موسى

- **حزقيل / حزبيل بن صبورا :**

وهو الاسم الذي أورده المؤرخون العرب والمسلمون عن مؤمن آل فرعون وقد تقدم ذكره في الفقرات السابقة في هذا الفصل ، وقال القرطبي أن معظم المفسرين قد أجمعوا على أن اسمه حزقيل بن صبورا وعلى أنه ابن عم فرعون أي من نفس قبيلته ، وكما نرى من الإسم أنه يمثل إسما آسيويا ساميا خالصا لا ينتمي للأسماء المصرية الحامية من قريب أو من بعيد.

ويعد حزقيل بن صبورا وهو مؤمن آل فرعون وابن عم فرعون وامرأة فرعون والرجل الذي أبلغ موسى بأن القوم يأتمرون لقتله وصحه بالهروب وكذلك سحرة فرعون والماشطة كلهم من المؤمنون من آل فرعون.[113]

عن السديّ: في قوله تعالى " وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم " 28 غافر " قال: هو ابن عم فرعون.

وقد قيل إن هذا الرجل اسمه سمعان بن إسحاق ... (تفسير الآلوسي) ولكن الثعلبي قال اسمه حزقيل بن صبورا وأجمعت معظم التفاسير على إنه أبن عم فرعون.

ولقد أجمع معظم التفاسير على أنه ابن عم فرعون ، ويقول ابن كثير :

."وزعم بعض الناس أنه كان إسرائيليا" ، غير أن كلام القرآن عن أنه كان من قوم فرعون تحديدا كلام واضح لا يقبل التأويل.

ونلاحظ أن مؤمن آل فرعون حين تحدث إلى قومه ومن بعده موسى يتحدث فقط عن ثقافته العروبية وتاريخ وأنبياء الأعراب والعبرانيين ويأتي لقومه بأمثلة يعرفوها وعايشوها كقوم نوح وعاد وثمود ، إن يوسف عليه السلام هو الجد الثاني لموسى ويكون موسى بكل بساطة في نفس العهد ومرسَل لنفس القوم.[114]

---

[113] محمد بيومي مهران – الحضارة المصرية القديمة

[114] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

- **إطفير / قطفير / فوطيفار بن رُحيب :**

وهو العزيز الذي ربى يوسف ويقال أن "فوطي فا رع" كاهن أون شخص آخر غير فوطيفار العزيز ، وواضح من الإسم أنه إسم سامي عروبي وآسيوي لا يمت للإسم المصري الذي ادعاه كاتبوا التوراة بأي صلة ،

- **آسية بنت مزاحم ... امرأة فرعون العمليقية**

وهذه المرأة الصالحة المؤمنة التي ضرب الله بها مثلاً للذين آمنوا تستحق أن نفرد لها جزءا كافيا من البحث ، ولأن اسمها الذي ورد في السنة النبوية والأحاديث والأثر يعد من أقوى الأدلة الدامغة على هوية فرعون وقومه فإسمها الآسيوي السامي لا يقبل الجدل في إثبات الأمر وبالتالي فهو يخدم موضوع بحثنا أيما خدمة ، وقد حاول الكثير من الباحثين الذين تناولوا الموضوع واستماتوا لإثبات أن فرعون من المصريين القبط أن يجد لإسم هذه المرأة نظيرا من الأسماء المصرية المعروفة لزوجات ملوك مصر القديمة من القبط ، لكن كل محاولاتهم لم تكن لتقنعهم هم أنفسهم ولا تقدم لهم دليلا يستند إليه في إثبات شخصية فرعون الذين دأبوا على إلصاقها برمسيس الثاني أو ابنه مرنبتاح.

إن التراث العربي يحمل نسب تلك السيدة المؤمنة بمنتهى الوضوح والقوة ، ويبين أيضا - إلى جانب إثباته وتحقيقه لأسمها السامي العروبي الآسيوي — نسبها إلى الملك الريان بن الوليد جدها الأكبر ، فنسبها هو "آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد" الذي كان ملكا لمصر فى زمن يوسف عليه السلام.

يقول أبن كثير في قصص الأنبياء : "أنها آسية بنت مزاحم بن عبيد ابن الريان الذي كان فرعون مصر فى زمن يوسف".

وفي كتاب أضواء على السيرة النبوية : قال الأخباريون : "أنها آسيه بنت مزاحم بن عبيد بن الريان فرعون يوسف وجعلوها من العماليق".

هذه ليست أقوالنا ، بل جزء من فيض من أقوال المؤرخين المسلمين فارجع إليها إن شئت الحقيقة .[115]

---

[115] انظر كذلك الطبري في تاريخ الأمم والملوك وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير

ويبدو أن الله سبحانه وتعالى قد حفظ ذرية الملك الريان الذي آمن بيوسف عليه السلام فأخرج من تلك الذرية تلك المرأة المؤمنة التي بنى الله لها بيتا في الجنة وضرب بها مثلا للذين آمنوا ، قال سبحانه (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين (11) سورة التحريم

قال يحى بن سلام : قوله "ضرب الله مثلأ للذين كفروا" سورة التحريم 10.

مثل ضربه الله يحذر به عائشة وحفصة عن المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ضرب لهما مثلآ بامـــرأة فرعون ومريم بنت عمران ، ترغيبآ فى التمسك بالطاعة والثبات على الدين ، وقيل : هـــذا حث للمـــؤمنين على الصبر فى الشدة ، أى لا تكونوا فى الصبر عند الشدة أضعف من امـــرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون ، وكانت آسية آمنت بموسى ، وقبل : هى عمة موسى آمنت به ، قال أبو العالية : اطلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليهـــا، فقال لهم: إنها تعبد ربأ غيرى ، فقالوا له: أقتلها . فأوتد لها أوتادآ وشد يديها ورجليها فقالت (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) ووافق ذلك حضور فرعون فضحكت حين رأت بيتها فى الجنة ، وقال فرعون : ألا تعجبون من جنونهـــا !

إنا نعذبها وهى تضحك ، فقبض روحهـــا وقال سلمان الفارسى فيما روى عنـــه عثمان النهدي: كانت تعذب بالشمس ، فإذا أذاها حر الشـــمس أظلتـــها الملائكـــة بأجنحتهـــا، وقيل: سمر يديهـــا ورجليها فى الشمس ووضع على ظهرهـــا رحـــى؟ الرحى أداة معروفة تستخدم لطحن الحبوب وعرفت فى ترائنا منذ فترة قديمة جدًا وهي عباره عن حجران مستديران: رحى ، فأطلعها الله حتى رأت مكانها فى الجنة ، وقـــال الحسن: إنه من درة، ولما قالت: ونجنى. نجاها الله أكرم نجاة، فرفعها إلى الجنة، فهـــى تأكل وتشرب وتتنعم.

فهذه امرأة مؤمنة ، أقامت تحت فرعون إقامة اضطرار ، وكان زوجها من أكفر الخلق برب العالمين، فقد ادعى الريوبية والألوهية مع الله ، فما طاوعته على ذلك ، بل

أنابت إلى الله فى عسرها ويسرها ، وجأرت إلى الله بالدعاء تسأله النجاة من فرعون وعمله بالكفر والظلم والشماته ، كما تسأله النجاة من القوم الظالمين وهم القبط أهل مصر ، فما تخلفت عنها الإجابة فقد رفعها الله مكانًا عاليًا ، وبنى لها بيتًا فى الجنة ، وصارت قصتها مثلاً يضرب.

ولقد احتار المؤرخون فى أسم (أسية) على أعتبار أنه أسم عربى ، فكيف تزوج (فرعون) الأعجمى من امرأة عربية "آسية"[116]!!، وحيرتهم في الواقع كانت نابعة من جهلهم بأن فرعون لم يكن مصريا أو أعجميا كما ظنوا بل هو عمليقي من الهكسوس الذين يعدون من العرب البائدة ، ومعرفة ذلك تزيل كل لبس وتعجب وغرابة عن ذلك الأمر بالمرة.

يقول المهندس عاطف عزت :

إنها واحدة من أقوام الأعراب والعبرانيين (الهكسوس) غير أنها آمنت بدعوة موسى المرسل إليهم.[117]

وكانت مؤمنة موحدة بالله تعالى ويبدو أنها خرجت من بيت مؤمن في الأساس فكانت مؤمنة كجدها الملك الريان بن الوليد الذي آمن بيوسف عليه السلام! فهي إذن ذرية بعضها من بعض.

يذكر ابن كثير فى كتابه " **قصص الأنبياء** " جـ 1 صـ320 الآتـى " :قال ابـن إسحق : كانت" **إمرأة العزيز** "بنت أخت" **المِلك** – الهكسوسى " - صاحب مصـر "ويؤكد المؤرخون المسلمون أن زوجة فرعون موسى واسمها"**آسية بنت مزاحم بـن عبيد** – "التى آمنت وورد ذكرها فى القرآن الكريم – كانت" **هكسوسية وليسـت**

[116] خالد علي نبهان

[117] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

مصرية " "وهـذا واضـح جـداً مـن اسمهـا ....وكانـت حفيـدة فرعـون يوسف **الهكسوسى** .... "ويقول الطبرى فى كتابه" **تاريخ الطبرى**"جـ 386 / 1 فى حديثه عن زمن موسى عليه السلام): وكانت امرأة فرعون مصر:آسية بنت مزاحم ابن عبيد . ابن" **الريان** – "فرعون" **يوسف** .... (..."وفى هذا يـذكر ابـن كـثير فى كتابه" **قصص الأنبيـاء** "جـ / 2 صـ) : 8 وذكـر المفسـرون أن"**امـرأة فرعون**"... آسية بنت مزاحم بن عبيد ابن" **الريان** – "الذى كان فرعـون مصـر فى زمن"**يوسف**"... (يقول الطبرى فى كتابه" **تاريخ الطبرى** "جـ):387-386 / 1 عـن اسحاق قال: قبض الله" **يوسف** "وهَلَكَ الملِك الذى كان معه ... وتوارثت الفراعنـة من" **العماليق** "مُلك مصر ... فلم يزل" **بنـو اسـرائيل** "تحـت أيـدى الفراعنـة "**العماليق**"...حتى كان" **فرعون موسى** ....[118] "

وبالرجوع إلى اسمها "آسية بنت مزاحم" نجد أننا أمام أسماء من صلب الأسماء السامية العروبية ، وليس بها مجرد ملمح اسم أو لقب مصري ، ومع ذلك نتغاضى ونسد آذاننا و نجعلها وزوجها من المصريين ، والدليل على ذلك أن نسبها يصل لملك العماليق فى زمن يوسف لهذا من الطبيعي أن يتزوجها ملك العماليق فى زمن موسى.[119]

ويحكى السهيلى ويؤكد: .... أنها كانت من بنى إسرائيل من سبط موسـى بـل وكانت عمته !!! ليؤكد كلامنا : أن.فرعون كان من قوم موسى .

وتحت عنوان : امرأة فرعون .. هكسوسية ، يقول الأستاذ نديم السيار :

يؤكد المؤرخين المسلمون ان امرأة فرعون – التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم- كانت حفيدة الملك الريان المعاصر ليوسف الهكسوسى ، فيذكر الطبرى فى حديثه عن

---

[118] المصدر السابق

[119] المصدر السابق

زمن موسى : "وكانت امرأة فرعون مصر : آسية بنت مزاحم بن عبيد بن ريان – فرعون يوسف" [120].

و يذكر ابن كثير: "وذكر المفسرون ان امرأة فرعون اسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان – الذى كان فرعون مصر فى زمن يوسف" [121].

و يذكر الاستاذ / عبد الحميد جودة السحار [و قال المفسرون ان امرأة فرعون التى التقطت موسى من اليم هى : اسية بنت مزاحم:

و استندوا فى ذلك الى احاديث نبوية.

و قال الاخباريون : انها آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان – فرعون يوسف– جعلوها من الهكسوس] [122]

• آحاديث واردة فى امرأة فرعون

قال صلى الله عليه وسلم : " كمُلَ منَ الرِّجالِ كثيرٌ ، ولم يكمل منَ النِّساءِ إلَّا : مريمُ بنتُ عمرانَ ، وآسيةُ امرأةُ فرعونَ ، وفضلُ عائشةَ على النِّساءِ كفضلِ الثَّريدِ على سائرِ الطَّعامِ" [123]

وفي حديث آخر :

"خطَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم في الأرضِ خطوطًا فقال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبه

---

[120] تاريخ الطبرى /386/1

[121] قصص الانبياء /8/2

[122] اضواء على السيرة النبوية /30/1

[123] الراوي :أبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس. المحدث :البخاري –المصدر :صحيح البخاري – الصفحة أو الرقم3769 :خلاصة حكم المحدث : صحيح

وسلَّم: "أفضلُ نساء أهلِ الجنَّةِ خديجةُ بنتُ خُوَيلدٍ ، وفاطمةُ بنتُ محمَّدٍ ، ومريمُ بنتُ عِمرانَ ، وآسيةُ بنتُ مُزاحمَ امرأةُ فرعونَ"[124]

وفي حديث آخر :

"أفضلُ نساء أهلِ الجنةِ خديجةُ بنتُ خويلدٍ، و فاطمةُ بنتُ محمدٍ، ومريمُ بنتُ عمرانَ، وآسيةُ بَنتُ مزاحمٍ، امرأةُ فرعونَ"[125]

- **موسى اسم سامي على النمط الكنعاني أو العبراني الآرامي وليس اسما مصريا:**

حول اسم موسى :

ادعى علماء التوراة أن موسى اسم مصري معناه ابن الماء أو مولود الماء وأن مقطعي الاسم (مو — سى) هما مقطعان مصريان موجودان باللغة المصرية القديمة وهو ادعاء باطل لا دليل عليه بالمرة وكل محاولاتهم لتقربة تلك المقاطع من مقاطع مشابهة في اللغة المصرية هي محاولات ضعيفة لا ترقى لمستوى الدليل.

أما التوراة نفسها فكانت واضحة جدا في تفسير الاسم بأنه "المأخوذ من الماء" :

وَلَمَّا كَبرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: "إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ". سفر الخروج 2 : 10

وهذا التفسير بالطبع قد وقع باللغة التي كتب بها العهد القديم في أقدم عصوره، لذلك فمحاولة تفسير الاسم بعيدا عن اشتقاق اللغات السامية وخاصة الكنعانية والآرامية هي محاولة سخيفة وفيها الكثير من التضليل.

وبما أن آل فرعون قد أطلقوا اسما ساميا عبرانيا على الطفل فلا يحتاج الأمر إلى استنتاجات كثيرة لنعرف أنهم اختاروا له اسما بلغتهم التي هي نفسها لغة بني إسرائيل كما أوضحنا في فقرة سابقة ، وبالتالي يتضح لنا أن آل فرعون ماهم إلا قبيلة وعائلة

---

[124] الراوي :عبدالله بن عباس وصححه :الوادعي في صحيح دلائل النبوة برقم 474 : وقال ورجاله ثقات ، وصححه المحدث أحمد شاكر —في مسند أحمد - برقم4/232: ورقم4/323

[125] الراوي :عبدالله بن عباس وصححه الألباني في تحقيق صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم 1135 وفي السلسلة الصحيحة برقم 1508

من عائلات العماليق الساميين الذين كانوا يحكمون مصر وعرفوا لاحقا بالهكسوس وكانت لغتهم هي الكنعانية باللهجة الآرامية المبكرة.

إن وحدة اللغة بين قوم فرعون وبين بني إسرائيل كقبيلة كانت تعيش في عصر الهكسوس لهو أكبر دليل على أن فرعون من هؤلاء الهكسوس ولم يكن مصريا، فالإسم الذي أطلقه آل فرعون على موسى عليه السلام لا يمكن أن يكون اسما مصريا أبدا، بل هو اسم سامي على النمط الكنعاني ومعناه واضح وجلي كما ذكرت التوراة نفسها وهو "المأخوذ من الماء" أو "المنتشل من الماء" أو "الآتي من الماء".

ولا يمكن أبدا أن نتصور أن تقوم أسرة ملكية مصرية من القبط أن تسمي أحد الأطفال الذي قرروا أن يتبنوه لديهم باسم عبراني من أسماء العبيد والخدم الذين هم بنو إسرائيل.

لكن الأقرب للتصور والمنطق هو أن لغة الحكام والمحكومين ومنهم بني إسرائيل هي لغة واحدة لذلك كان إطلاق هذا الاسم بتلك اللغة من الأسرة الحاكمة أمرا منطقيا وغير مستغرب بالمرة، فلغة الملوك هي لغة العبيد في فترة حكم الهكسوس.

• قارون كان من قوم موسى .. فبغى عليهم

سبق لنا في الفصل السابق التعرض لبعض الأسماء السامية التي صيغت على النمط الكنعاني والآرامي ومنها اسم "قارون"، وعرفنا أن قارون كان من قوم موسى حيث يمتد نسبه إلى بني إسرائيل، وكيف أثبتنا أن اسم قارون قد تم العثور عليه في جعارين الهكسوس الذين حكموا مصر كحاكم أو ملك قبيلة هي قبيلة بني إسرائيل، حيث عثر على جعران من فترة الهكسوس يظهر عليه اسم قار/ قارون بالكتابة واللغة المصرية على نمط جعارين الهكسوس وقد ورد كحاكم مقاطعة وملك من ملوك أحد القبائل الهكسوسية المتحالفة.

ورأينا كيف أن تركيب كل الأسماء التي كانت تعيش تلك الفترة كالأسماء المقترنة في آخرها بصيغة "ون" أو "ان" مثل فرعون وهارون وهامان وقارون وصيدون وجدعون وعسقلون / عسقلان، وحبرون، شمشون وغيرها من الأسماء القديمة قد

اتفق على أن تلك النهاية هي لازمة لغوية توضع في نهاية الأسماء وقد كانت معتادة عند كل شعوب الشرق الأدنى القديمة وفي كل لهجاتهم ولغاتهم.[126]

لذلك لم يكن من الصعب المقارنة بين ما وجد كإسم أحد الحكام في عصر الهكسوس وقد كان ملكا لقبيلته في تحالف القبائل الهكسوسية على الراجح وهو الحاكم المذكور بإسم "قار" ابن الشمس.[127]

وعلى نفس نمط في تركيب الأسماء السامية القديمة نجد كلمة "قارون" التي تتركب من المقطعين "قار-ون" ، وذلك الفعل "يقر" العبري هو الفعل "وقر" العربي وكلاهما يفيد معاني الثقل والعظمة والمال، فالوقر يعني الحمل الثقيل والوقار من معانيه العظمة، وحينما اشتق القرآن الكريم من "يقرون" اسم قارون لم يبعد كثيرا عن قواعد اللغة العبرية والكنعانية حيث يشتق من "يشرون" اسم "شارون"، فاختيار القرآن لاسم "قارون" كان إعجازا لفظيا ، إذ يتماشى مع قواعد اللغة العبرية والكنعانية، وفي نفس الوقت يعني المنير وهو نفس اسم "يصهار"، كما أنه يتضمن الحمل الثقيل، وفيه إشارة إلى كنوزه التي كانت مفاتيحها من الثقل، بحيث يعجز عن حملها الرجال الأشداء.[128]

ويقول أكثر المؤرخين وأهل العلم[129]: إنه كان ابن عم موسى – عليه السلام – فهو قارون بن يصهب / يصهار بن قاهث بن لاوي، وموسى هو ابن عمران بن

---

[126] مؤمن محمد سالم – فرعون وقومه كانوا هكسوسا و لم يكونوا مصريين

[127] رجخ البروفيسير جيمس بيتر ألن أن الاسم المكتشف "قار" يرجع لعصر الهكسوس أثناء حكم الأسرة الخامسة عشرة وليس للأسر المصرية كما كان يعتقد لأنه إسم سامي كنعاني ، انظر Daphna Ben-Tor, Susan J. Allen, James P. Allen: Seals and Kings. In: Bulletin of the American Schools of Oriental Research Bd. 315, 1999

[128] توهم وقوع الخلط في القرآن بشأن قصة قارون– بحث – موقع بيان الإسلام

[129] قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، دار القدس، القاهرة، ط1، 2006م، ص345 ، وكذلك أورد ابن جرير الطبري أنه ابن عم موسى عليه السلام وأن نسبه هو قارون بين يصهار بن قاهث ، وقد كان كلا من يصهر/ يصهار والد قارون وعمران / عمرام والد موسى وهارون أخوين من الأب قاهث.

قاهث بن لاوي بن يعقوب وقيل: إنه يصهار عم موسى الذي ورد ذكره في التوراة ولكنا نعرف الآن أن يصهار هو والد قارون.[130]

عن ابنِ عباسٍ : أنه "أي قارون" كانَ ابنَ عمِّ موسى[131]

وظهور إسم قارون بهذا الشكل في آثار الهكسوس الباقية يؤكد أن قبيلة بني إسرائيل كانوا جزءا من قبائل الهكسوس التي كانت تحكم مصر في العصر الانتقالي الثاني كقبائل متحالفة.

وقد وردت بعض الروايات في الأحاديث والأثر عن الصحابة الكرام منها ما رواه ابنِ عبَّاسٍ حيث قال : كان موسَى يقولُ لبَني إسرائيلَ إنَّ اللهَ يأمرُكُم بكذا حتَّى دخلَ عليهِمْ في أموالِهم فشقَّ ذلك على قارونَ فقال لبني إسرائيلَ : إنَّ موسَى يقولُ : من زنَى رُجِمَ ، فتعالَوْا نجعلْ لبغِيٍّ شيئًا حتَّى تقولَ إنَّ موسَى فعلَ بها فيُرجمُ فنستريحُ منه، ففعَلوا ذلك ، فلمَّا خطبَهُم موسَى قالوا له : وإن كنتَ أنت ؟ قال : وإن كنتُ أنا . فقالوا : فقد زنَيتَ ، فجزِعَ ، فأرسلوا إلى المرأةِ فلمَّا جاءتْ عظَّمَ عليها موسَى ، وسألَها بالَّذي فلَقَ البحرَ لبني إسرائيلَ إلَّا صدَقَتْ ، فأقرَّتْ بالحقِّ ، فخرَّ موسَى ساجدًا يبكي ، فأوحَى اللهُ إليه : إنِّي أمرتُ الأرضَ أنْ تُطيعَكَ فأمُرْها بما شئتَ ، فأمرَها فخُسِفَتْ بقارونَ ومَن معهُ.[132]

وعن ابن جريج ، قوله : إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى سورة القصص آية 76، قَالَ: ابن عمه أخي أبيه ، قَالَ: قارون بن يصهر ، هكذا قَالَ القاسم: وإنما هو يصهر

---

[130] فضلا عن أن اسم قارون يحمل معنى آخر، جاء في تفسير القرطبي والرازي ، وجاء في قصص الأنبياء كذلك أن قارون كانت كنيته في قومه المنور؛ لوضاءته وجماله وحسن صوته بالتوراة ، كما أن الجذر العبري "قرن" معناه: "أنار وأضاء وأشع، واشتق منه: قارون بمعنى الأوار المنور" ، وبالتالي فنسبه يكون : قارون بن قاهث بن لاوي بن يعقوب – عليه السلام – وليس كروسوس ولا قورح ولا حتى قورش.

[131] موقوف من قول ابن عباس ، المحدث :ابن حجر العسقلاني –المصدر :فتح الباري لابن حجر – الصفحة أو الرقم516/6 : خلاصة حكم المحدث :إسناده صحيح

[132] موقوف من قول ابن عباس ، المحدث :ابن حجر العسقلاني –المصدر :فتح الباري لابن حجر – الصفحة أو الرقم517/6 : خلاصة حكم المحدث :إسناده صحيح

ابن قاهث ، وموسى بن عمران / عرمر (عمرام) بن قاهث، وعرمر بالعربية: عمران، هكذا قَالَ القاسم : وإنما هو عمرم.

وعن قتادة وغيره كثير، كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخي أبيه، وكان يسمى: المنور، من حسن صورته في التوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري، فأهلكه البغي "

وعن مالك بن دينار، قَالَ: بلغني أن موسى بن عمران، كان ابن عم قارون ، وكان الله قد آتاه مالا كثيرا ، كما وصفه الله عز وجل ، فقال "وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ" سورة القصص آية 76 ، يعني بقوله تنوء : تثقل

وعَنْ أَبِي صَالِحٍ: "ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة، قَالَ: كانت مفاتيح خزائنه تحمل على أربعين بغلا"

وعن خيثمة، قَالَ: "كانت مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلا، كل مفتاح منها لباب كتر معلوم

وعن شهر بن حوشب وعن قتادة : فوعظه قومه على ما كان من بغيه ونهوه عنه، وأمروه بإنفاق ما أعطاه الله في سبيله ، والعمل فيه بطاعته ، كما أخبر الله عز وجل عنهم، أنهم قَالُوا له : فقال : ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾ سورة القصص آية 76-77، وعنى بقوله : ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ سورة القصص آية 77 : لا تنس في دنياك أن تأخذ نصيبك فيها لآخرتك ، فكان جوابه إياهم جهلا منه ، واغترارا بحلم الله عنه، ما ذكر الله تعالى في كتابه أن قَالَ لهم: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ سورة القصص آية 78.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ " :لَمَّا نَزَلَتِ الزَّكَاةُ أَتَى قَارُونَ مُوسَى فَصَالَحَهُ عَنْ كُلِّ أَلْفِ دِينَار دِينَارًا ، وَعَلَى كُلِّ أَلْفِ دِرْهَم دِرْهَمًا ، وَعَلَى كُلِّ أَلْفِ شَيْء شَيْئًا، أَوْ قَالَ: وَكُلِّ أَلْفِ شَاةٍ شَاةً ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ : أَنَا أَشُكُّ ، قَالَ : ثُمَّ أَتَى بَيْتَهُ فَحَسَبَهُ فَوَجَدَهُ كَثِيرًا فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِنَّ مُوسَى قَدْ أَمَرَكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ فَأَطَعْتُمُوهُ ، وَهُوَ الآنَ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ أَمْوَالَكُمْ ، فَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا ،

فمُرْنا بمَا شِئْتَ ، فقَالَ : آمرُكُمْ أنْ تَجيئُوا بفُلَانَة الْبَغِيِّ فتجْعَلُوا لَهَا جُعْلًا فتقْذِفُهُ بنفْسِهَا، فدَعَوْهَا فجَعَلُوا لَهَا جُعْلًا علَى أَنْ تَقْذِفَهُ بنفْسِهَا، ثُمَّ أَتَى مُوسَى ، فقَالَ لمُوسَى: إنَّ قَوْمَكَ قَدِ اجْتَمَعُوا لِتَأْمُرَهُمْ وتَنْهَاهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي بَرَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فقَالَ : يَا بَنِي إسْرَائِيل ، مَنْ سرَقَ قَطَعْنَا يدَهُ ، ومَن افترَى جلَدْنَاهُ ثمَانِينَ، وَمَنْ زَنَى ولَيْس لَهُ امْرَأَةٌ جَلَدْنَاهُ مِائَةً ، وَمَنْ زَنَى ولَهُ امْرَأَةٌ جَلَدْنَاهُ حَتَّى يمُوتَ ، أَوْ قَالَ : رَجَمْنَاهُ حَتَّى يمُوتَ ، فَقَالَ لَهُ قَارُونُ : وَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ؟ قَالَ : وَإِنْ كُنْتُ أَنَا . قَالَ : وَإِنَّ بَنِي إسْرَائِيلَ يزْعُمُونَ أَنَّكَ فَجرْتَ بفُلَانَة ، فقَالَ: ادْعُوهَا ، فَإِنْ قَالَتْ فَهُوَ كَمَا قَالَتْ ، فلَمَّا أَنْ جَاءَتْ قَالَ لَهَا مُوسَى : يَا فُلَانَةُ ، قَالَتْ : لَبَّيْكَ ، قَالَ : أَنَا فَعلْتُ بكِ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَتْ : لَا، وَكَذَبُوا، ولَكِنْ جعَلُوا إِلَيَّ جُعْلًا عَلَى أَنْ أَقْذِفَكَ بنَفْسِي ، فوَثَبَ ، فَسَجَدَ وَهُوَ بيْنَهُمْ ، فَأُوحِيَ إِلَيْهِ : مُرِ الْأَرْضَ بِمَا شِئْتَ قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ : فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ سورة القصص آية 79

وعن قتادة ": فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ" سورة القصص آية 81 ، ذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة.

قال تعالى :

"وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " العنكبوت: 39 ، 40.

فالذي خسفت به الأرض قارون، كما تقدم ، والذي أغرق فرعون ، وهامان ، وجنودهما ، إنهم كانوا خاطئين[133] .

لم يكن قارون إذن تابعا لفرعون بل كان رئيس قبيلة بني إسرائيل وملكها وكبير الملأ المستشارين من بني إسرائيل أنفسهم الملتفين حول فرعون القائد الأعلى لجموع القوم ، وهم الذين حالوا دون دخول قوم موسى في الإيمان.[134]

[133] البداية والنهاية – ابن كثير

[134] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

يقول تعالى :

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٍ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾. 83 سورة يونس

إذن فقد كان قارون من أهم شيوخ بني إسرائيل وأهم شخصية في ملأ فرعون هو وهامان بل كان سوط في يد فرعون على قومه من بني إسرائيل وجمع ثروته وكنوزه من عرقهم ودمائهم لهذا كان أول المحاربين والرافضين لخروجهم مع ابنه عمه موسى الرسول المرسل إليهم.

التسميات الملكية فى اللغة العربية وكيف تحول إسم فرعون للقب الفراعنة:

إشارة أخرى واضحة تضاف إلى جملة الإشارات والأدلة ، فبعد أن ثبت لنا بالأدلة أن فرعون هو إسم لرجل أي علم من الأعلام ، وبعد أن جرى العرف والاصطلاح بتسمية قومه بالفراعنة بالتعميم على اسمه، بقي لنا أن نتعرف على تلك العادة عن الشعوب العربية وعلى جريان تلك القاعدة في اللغة العربية.

فالأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة ومنها :

- قيصر Caesar كان اسما لشخص وهو يوليوس قيصر / جوليوس قيصر[135] الإمبراطور الروماني لكنا نرى أنه قد تم تعميم اسم قيصر وتحويله للقب يطلق على كل أباطرة الرومان من بعده ليصبح لقبهم كطائفة من الملوك هو "القياصرة" تعميما على اسم أحدهم وهو يوليوس قيصر.

[135] الأمبراطور غايوس يوليوس قيصر (باليونانية: Ιούλιος Καίσαρ) (باللاتينية: CAIVS•IVLIVS•CAESAR•IV) (بالإنجليزية: Gaius Julius Caesar) جنرال وقائد سياسي وكاتب روماني ولد عام 13 يوليو 100 ق.م وتوفي عام 15 مارس 44 ق.م وهو أول من أطلق على نفسه لقب: إمبراطور وتولى الحكم (29 أكتوبر 49 ق.م - 15 مارس 44 ق.م).

- كسرى الأول Khosrau I (501- 579)[136] وقد كان اسما لشخص وهو إمبراطور الفرس الشهير لكنا أيضا نرى أنه قد تم تعميم اسمه وتحول إلى لقب وأطلق على كل أباطرة الفرس ليصبح لقبهم كطائفة من الملوك وهم "الأكاسرة" وبذلك تم تعميم اسم كسرى الأول ليصبح لقبا لكل ملوك الفرس فيما بعد.
- النجاشي : الأصحم بن أبجر / أصحمة بن أبجر ، كان أحد ملوك الحبشة، استقبل الصحابة المهاجرين إليه ، واجتمعوا به في الفترة ما بين 610- 629 م، وهو الوحيد الذي صلى عليه رسول الإسلام صلاة الغائب لما علم بوفاته ، وهكذا أصبح "النجاشى" لقباً لكل ملوك الحبشة.
- المنذر بن النعمان بن امرئ القيس سابع ملوك الحيرة حكم في الفترة (418- 462) م وقد تم تعميم اسمه أصلا هو وكل بني قومه سواء من تسمى منهم بنفس الإسم كالمنذر بن المنذر أو من تسمى بأسماء أخرى كالملك النعمان وغيره ، لكن هذه العائلة المالكة تسمت على سبيل التعميم على اسم أحدهم بـــ " المناذرة" [137] وأصبح لقبا لكل ملوك المناذرة وعلامة على عائلتهم الملكية.
- عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وهو أبو "العماليق" عند المؤرخين والنسابين ، وقد سبق لنا بيان معنى اسمه "الفارس البدوي" أو "فارس الصحراء" بالمعنى المتداول ، وتم إطلاق إسمه كلقب على كل بني قومه وجميع القبائل التي أتت من نسله وتعمم لقب " العماليق " عليهم جميعا في كل الأصقاع التي وفدوا إليها وانبثق منهم فروع ذات ألقاب مشهورة كالجبارين أو الجبابرة عماليق فلسطين وشمال الجزيرة العربية والعموريون عماليق سوريا والبابليون عمالقة الرافدين

---

[136] كسرى الأول : معروف أيضا بأسم أنوشيروان العادل (بالفارسيه :انوشيروان دادگر) واسمه كسرى أنو شروان بن قباذ بن يزدجرد بن بهرام جور ، واعتلى العرش بعد ابيه قباذ الأول وضع الاسس لمدن وقصور وبناء العديد من الجسور والسدود وخلال عهده ازدهرت الفنون و العلوم في بلاد فارس، وكانت الإمبراطورية الساسانية في قمة مجدها وهو احد الاباطره الاكثر شعبية في الثقافة الايرانية والادب.

[137] **المناذرة** سلالة عربية قامت في وادي الرافدين قبل الاسلام ، عاصمتها الحيرة القريبة من النجف، اسسها العرب الذين هاجروا من اليمن بعد انهيار سد مأرب.

والعمو / الهكسوس عمالقة مصر وغيرهم من أصناف العماليق التي أفردنا لها البحث في الفصل السابق.

- وجريا على نفس العادة في إطلاق التسميات الملكلية في اللغة العربية فقد تم إطلاق لقب " الفراعنة" على قبيلة فرعون والمعروفة في القرآن بـــ "آل فرعون"، وهي أسرة أو عائلة أو قبيلة إن جاز لنا إطلاق تلك التعبيرات اكتسبت هذا اللقب الذي عممه عليهم الإخباريون العرب على غرار كل القبائل والعائلات والشعوب المعروفة في التاريخ ليتلقبوا هم أيضا باسم أحدهم.

قال تعالى :

"إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ" آل عمران 33

وقال تعالى :

"أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا" النساء:54

وقال تعالى :

"وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ" الأعراف: 130

وقال تعالى :

"فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ" القصص : 8

وقال تعالى :

"وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" البقرة : 50

وكل تلك الآيات السابقة تبين المقابلة الواضحة بين آل ابراهيم وآل عمران وآل فرعون ، فالحديث هنا عن عائلات وأسرات وقبائل وليس عن شعوب كبيرة ، ومنه نعرف أن "آل فرعون" هي عائلة أو قبيلة ليس أكثر من ذلك كانت من جملة القبائل الهكسوسية العمليقية التي حكمت مصر في فترة الهكسوس ، لكن اليهود لهم غرض في تعميم التسمية على المصريين جميعا !.

يقول المقريزى: (فرعون) صار اسماً لكل من تجبر وعلا أمره، ومن هنا أطلق المؤرخون هذا الاسم على كل ملوك العماليق حتى الذين سبقوا فرعون نفسه بأثر

رجعي ، وأصبح مُعمما عليهم وبرغم أن المؤرخين العرب قد عمموه على ملوك العمالقة الذين حكموا مصر لكنهم قصروه على عماليق مصر فقط وهم الهكسوس دون غيرهم ، وهو على كل حال أمر شائع فكثير من أسماء الأعلام تحولت مع مرور الوقت إلى ألقاب.[138]

ومن هنا نكتشف حقيقة هامة وهي تلك العادة التي تجري أحيانا في اللغة العربية في تعميم أحد أسماء الملوك على عائلته الملكية وربما على كل قومه ليصبح الاسم لقبا لكل الملوك من بني قومه ، وهذا ما حدث مع قبيلة آل فرعون الهكسوسية التي طبق المؤرخين العرب نفس القاعدة عليهم فاختاروا اسم أبرز ملوكها على الإطلاق وهو "فرعون" وأكثرهم شهرة وعمموه على كل العائلة الملكية التي حكمت مصر في ذلك الزمان فأصبح لقب شهرتهم هو "الفراعنة" وهو لقب شهرة مخصوص ومحصور على "عمالقة مصر" في زمنهم وإن كانت الطائفة الكبرى التي انتشرت في كل البلاد القديمة تسمى "عمالقة" جريا على نفس القاعدة لكن "عمالقة مصر" أصبح لهم لقب شهرة حصري وهو "الفراعنة".

لكن وعلى غير المنطقي وجدنا أن هذه التسمية الملكية قد تم تعميمها في العصر الحديث على ملوك مصر بواسطة اليهود وأصبحت التسمية تطلق على كل مصري بتعميم غريب لا يتناسب مع معناها الحقيقي بل وبالغ البعض لدرجة إطلاقها على منتخب كرة القدم! والغريب أن المصريون تقبلوا ذلك وصدقوه بل وافتخروا به أيضا!.

إن هذا التشويه المتعمد الذي طال ثقافة المصريين وتراثهم كان من ورائه هدف كبير وهو تثبيت الخرافة القائلة بأن "الفراعنة" هم ملوك -مصر ، وهو تزوير يهودي قديم بدأ منذ عهد بعيد أيام فلافيوس يوسفوس المؤرخ اليهودي الشهير في القرن الأول الميلادي ، وهاهي نتائج التزوير تؤتي ثمارها وأكلها ويتعمم اللفظ على كل المصريين الذي صدقوا الأكذوبة هم أيضا وآمنوا بأنهم "فراعنة"!.

---

[138] عاطف عزت – فرعون من قوم موسى

إن أمةً لا تقرأ تاريخها لهي أمة منقادة يمتلك أعداؤها زمامها ويوجهها في الاتجاه الذي ينشده، وها هو التاريخ العربي والمصري والفلسطيني وتاريخ الشرق بأسره بين أيدينا في كل مكان سهلا ميسورا ، لكن أبناء الأمة قد ولوا ظهورهم لهذا التاريخ العريض وتركوا عدوهم يلقنهم التاريخ البديل ، وأصبح كل منهم مدافعا بشراسة عما تم تلقينه به من خرافات ومغالطات تصل لدرجة العقيدة الراسخة والمسلّمات في أذهان أبناء الأمة.

لقد نجح اليهود في تبديل الأدوار وتسمية المصريين "بالفراعنة" بدلا من "العمالقة" الهكسوس الذين حكموها قديما ، لتنتقل التسمية بذلك إلى المصريين أنفسهم بدلا من غيرهم ، وتنتهي سيرة العماليق بين ركام التاريخ وأطلال الأسطورة وينسى الجميع أن هؤلاء العماليق كانوا هم السكان الأصليين لبلاد الشام ومناطق شاسعة من بلاد العرب والشام والهلال الخصيب ، لقد اندثرت سيرة العمالقة في التاريخ وعلى ألسنة البشر ، واختفى المسمى وفقا للإرادة اليهودية ، وانمحى ذكرهم كما شاؤا ، وحتى لقبهم الشهير الذي حكموا به مصر قد نسب للمصريين بدلا منهم ، وكل هذا من أجل أن يخفي اليهود هوية الشعب الأصيل الذي كان يعيش في فلسطين أرض كنعان القديمة حين عاشوا ضيوفا على أهلها ثم دخلوها غزاةً فاتحين حين خروجهم من مصر.

لقد أصبح لدينا تفسير للعداء الهائل والعظيم الذي تمتلئ به التوراة ضد العماليق وظلت هذه الكراهية مثار دهشة الباحثين ورجال التاريخ ، ولكن بدءاً من اليوم وبعد ما جئنا به من حقائق تبين العلاقة بينهم ستزول الدهشة.[139]

لقد كان العمالقة الكنعانيون سكان أرض كنعان وهي فلسطين القديمة هم أصحاب الأرض الأصليين الذين عاشوا فيها لآلاف السنين قبل ظهور بني إسرائيل ، وقد حكموا جميع البلدان قبل أن تتكون قبيلة بني إسرائيل الصغيرة الضئيلة في الحجم والتاريخ ، لكن تاريخهم قد تم نسيانه في سهوة من الزمان تارة وتم تشويهه وتحريفه وإخفاءه عند عمد تارة أخرى ، لذلك لم يرى اليهود صعوبة كبيرة في محو هذا التاريخ وإزالة سيرتهم من على خارطة البشرية، وتسمية شعوب أخرى بأسماء سكانها الأصليين

---

[139] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

لتضيع القضية تاريخيا منذ بدايتها وجذورها ، وهذا بالفعل ما اقتربوا من تحقيقه إلى حد كبير بمساعدة أبناء أمتنا الذين استسلموا لما تم تلقينهم به من تاريخ بديل تم صناعته على الطريقة اليهودية الصهيونية!.

العماليق هم الفراعنة وليس المصريون !! ... حقيقة واضحة يتجاهلها الجميع:

ليسوا من القبط المصريين ... الفراعنة من الهكسوس ..

هذه حقيقة ناصعة تم إخفاؤها بمجموعة من المغالطات وتم تعميم لقب الفراعنة على المصريين سكان وادي النيل بلا أي وجه حق يذكر أو دليل معتبر.

وخلال كل ما استعرضناه من صفات "الفراعنة" أو "آل فرعون" رأينا كيف تجبروا وتكبروا في الأرض بغير الحق وكيف فرقوا سكان مصر باختلاف طوائفهم وكيف استضعفوا بعض تلك الطوائف وجعلوهم عبيدا لهم يخدمونهم بالسخرة بل وقاموا بذبح وقتل أبنائهم وآذوهم أشد الأذى بما لا يقارن بغيرهم في التاريخ.

فلم يُعهد أن المصريين على امتداد تاريخهم القديم أو الحديث أنهم قد قاموا بقتل الأبرياء أو تشغيل العمال بالسخرة وبدون مقابل بل هم على العكس من ذلك قد أعطوا لخدمهم وأرقائهم من الحقوق ما لم يعطه غيرهم بل حاولت كثير من الشعوب القديمة الاقتداء بهم وجعلهم مثالا يحتذى لهم ، فقد كان الإنسان في مصر القديمة مكرما حتى وإن كان خارجا عن القانون فقد رفض أحد الكهنة إجراء تجاربه في السحر على أحد السجناء المحكوم عليه بالإعدام وكانت هذه التجارب تقتضي فصل رأسه عن جسده ثم إعادته لحاله الأولى دون إصابته بأذى.[140]

ونعتقد بذلك أن حكام مصر ابتداء من دخول إبراهيم وحتى خروج موسى يمثلون جنسا واحدا ربما من قبائل البدو الذين عاش بنو إسرائيل في كنفهم والذين خرجوا أيضا في عهدهم وأنه من غير المنطقي أن نقسم حياة بني إسرائيل إلى فترتين إحداهما في

---

[140] د محمد راشد حماد – ملوك مصر القديمة – دار الكتاب العربي

كنف الهكسوس والأخرى في كنف حكام مصر المحليين (القبط) خلال عصر الدولة الحديثة لأسباب عديدة.[141]

ولكل الأسباب التي سبقت لا نعتقد كذلك أن يوسف قد تولى مسئولية الإشراف على خزائن الأرض في حكم مصري قديم (قبطي) أو أنه قام باستدعاء قومه من أرض كنعان في ظل هذا الحكم ، وقد أثبتنا بشكل جلي وواضح لا يقبل الجدل في الفصل السابق معاصرة يوسف عليه السلام للعماليق الهكسوس.

أما بالنسبة لقبيلة إبشا[142] المصوَّرة على أحد جدران مقابر بني حسن من عصر الدولة الوسطى فيعتقد بعض الباحثين أنهم من ذرية سنوحي ذلك الضابط المصري الذي هرب إلى آسيا وعاش في وسط البدو وتزوج منهم وأنجب ذرية كبيرة وصار كل ولد من أولاده حاكما لقبيلة وكثرت ذريتهم ويرجحون أن بعضهم أتى إلى مصر في زيارة ودية صلة للرحم وتبادل المنفعة[143] ولكنا لا نرى ذلك فليس عليه دليل ، لكنا نراها نموذجا ممتازا للشعوب الآسيوية الشامية التي كانت تزور مصر في تلك الآونة وكانت تعيش في تلك الحقبة.

ويتضح لنا بعد كل ما استعرضناه من معلومات ونُقول حقيقة بارزة وواضحة وضوح الشمس يصر الجميع على تجاهلها ألا وهي : أن من تسموا "بالفراعنة" لم يكونوا مصريين بأي حال من الأحوال ، وقد قدمنا الكثير من الإثباتات والبراهين أن المصريين لم يتخذوا أبدا لقب "فراعنة" خلال عمر الدولة المصرية منذ أقدم العصور وحتى الأزمنة المتأخرة من الأسر الحاكمة في مصر القديمة ، لكن من اتخذ هذا اللقب وتلقب به أقوام آخرون وهم العماليق أو العمالقة الذين فصلنا فيهم الخطاب في الفقرات السابقة من هذا الفصل وفي الفصول السابقة.

ولا عجب إذن بعد أن عرفنا الألقاب المختلفة لهؤلاء القوم الذين عُرفوا في كل مكان بمسمى مختلف حيث عرفوا في فلسطين أو كنعان القديمة بالكنعانيين وأحيانا

---

[141] المصدر السابق

[142] انظر الفصل الأول تحت عنوان " هل وفد إبراهيم عليه السلام إلى مصر ؟" في معرض الحديث عن إبشا وزيارته هو وقبيلته كما تم تصويرها على جداريات "بني حسن" بمحافظة المنيا المصرية

[143] مراد الدش – الكشف عن مكان عبور موسى

بالجبابرة أو الجبارين[144] وفي الأردن وسوريا الوسطى والسفلى بالعموريين وفي بابل والرافدين عرفوا بالبابليين والكلدانيين والأكاديين قديما ، وفي الجزيرة العربية عرفوا بالأعراب وقد بقيت بعض قبائلهم على مسماها القديم وهو العماليق أو العمالقة أما في مصر فتسموا بالفراعنة وهو المسمى الذي تم نقله عمدا ليُطلق على المصريين بدلا من العماليق لأسباب لا تخفى على الباحثين المحققين وقد سبق لنا بيان جانب من تلك الأسباب.

وبعد هذا التهويد التاريخي المتعمد أصبح المصريون فراعنة وأصبح فرعون مصريا وتم تأريخ الصراع وتصويره على أنه صراع مع المصريين بدلا من العماليق وهم الفراعنة الحقيقيون ولهذا التزوير أهداف قوية جدا في أعين من زوروا التاريخ سنتحدث عنها في الفصل السادس بالتفصيل لإظهار مدى الاستفادة التي جناها هؤلاء من ذلك التبديل الصارخ.

فرعون والفراعنة العماليق في كتب التراث العربي:

أجمع المفسرون والإخباريون المسلمون العرب وغيرهم ومنهم ابن اسحق وابن هشام والطبري والثعلبي وابن ظهيرة وابن إياس والدينوري والجرجاني وياقوت الحموي والمقريزي وابن خلدون وغيرهم على أن فرعون موسى من الرعاة العماليق الذين حكموا المصريين بعد انهيار عصر الدولة الوسطى وهم الذين أطلق المصريون القدماء عليهم "الحقا خاسوت" أي حكام البلاد أو الأرض الجبلية ويرون أن بني إسرائيل قد عاشوا في مصر وزاد عددهم وكثر نسلهم تحت أيدي الفراعنة العماليق ومنهم فرعون موسى العمليقي.[145]

---

[144] يقول الدكتور محمد راشد عن القوم الجبارين : يبدو أن هؤلاء القوم الذين أقاموا في بلاد الشام بصفة عامة أو في فلسطين بصفة خاصة كانوا فيما يعتقد من جنس قبائل الهكسوس الذين احتلوا مصر والذين تتطابق صفاتهم وعقائدهم معا.

[145] محمد راشد حماد – ملوك مصر القديمة.

يقول المؤرخ ياقوت الحموي: "فطمع فيهم (أي في المصريين) العمالقة وهم الفراعنة وكانوا يومئذ أقوى أهل الأرض وأعظمهم ملكا وجسوما وهم ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، عليه السلام، فغزاهم الوليد بن دوموز وهو أكبر الفراعنة وظهر عليهم ورضوا بأن يملّكوه فملكهم خمسة من ملوك العمالقة: أولهم الوليد بن دوموز / دومع هذا ملكه نحوا من مائة سنة ثم افترسه سبع فأكل لحمه، ثم ملك ولده الريان صاحب يوسف، عليه السلام، ثم دارم بن الريان وفي زمانه توفي يوسف، عليه السّلام، ثم غرّق الله دارما في النيل فيما بين طرة وحلوان، ثم ملك بعده كاتم بن معدان فلما هلك صار بعده فرعون موسى، عليه السّلام[146]

ويقول في موضع آخر: "وقيل إن فراعنة مصر كانوا من العماليق"[147]

يقول المقريزي: "وسُموا فراعنة، بفرعان الأوّل فصار اسما لكل من تجبر وعلا أمره"[148]

يقول بن خلدون في التاريخ : "وفي قول فراعنة مصر من القبط ونساب العرب يأبون من ذلك ونسبوهم إلى عملاق بن لاوذ كما مر".

ويذكر الاستاذ عبد الحميد جودة السحار : "قال المفسرون و الاخباريون المسلمون ان فرعون موسى هو من العماليق"[149]

ويذكر الباحث العراقى ناجى زين الدين المصرف:"أن البحوث العلمية التى قام بها المستشرقون و الرواد تدل على ان ملك العمالقة هو الذى حاصر النبى موسى"[150]

ويذكر الثعلبى : "قال أهل التاريخ : لما مات فرعون مصر صاحب يوسف علية السلام ملك بعده قابوس وكان جبارا ثم هلك وقام بالملك أخوه وكان أعتى وأفجر و

---

[146] معجم البلدان لياقوت الحموي

[147] المصدر السابق

[148] المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار – تقي الدين المقريزي

[149] أضواء على السيرة النبوية – عبد الحميد جودة السحار

[150] موسوعة الخط الإسلامي العربي /162/2

أقام بنو إسرائيل بعد وفاة يوسف علية السلام وكثروا وهم تحت العمالقة حتى كان فرعون موسى "[151]

ويذكر الطبرى :"عن ابن اسحاق قال : قبض الله يوسف و هلك الملك الذى كان معه وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر فلم يزل بنو اسرائيل تحت ايدى الفراعنة العماليق حتى كان فرعون موسى ".[152]

ويذكر ابن ظهيرة :"و قالوا : فرعون موسى من العماليق "[153]

وعن غزو العماليق (الهكسوس) لمصر .. يذكر الدينورى : "فسار الوليد بن الريان الى ملك مصر حتى قتلة واستولى على ملكه ومن ولده الريان بن الوليد - صاحب يوسف- ومن و لدهما فرعون موسى "[154]

و يذكر ابن خلدون : "قال الجرجانى : ملك العماليق مصر منهم فرعون ابراهيم و فرعون يوسف وايضا منهم فرعون موسى كذلك"[155]

"وتنازع الناس في أمر فرعون موسى؛ فمنهم من رأى أنه من العماليق، ومنهم من قال :هو من لخم من الشام، ومنهم من رآه أنه من الفرس من مدينة اصطخر، ومنهم من رأى أنه من القبط من ولد مصرايم، والقبط تثبت ذلك، وزعم قوم أنه من الأعاجم من الأندلس من قرمونة، وذكروا: أن اسمه الوليد بن مصعب"[156]

وعند ابن عبد الحكم : "حدثنا سعيد بن عفير عن هانئ بن المنذر : أنه ــ فرعون موسى ــ كان من العماليق وكان يكني بأبي مرة"[157]

---

[151] عرائس المجالس /96

[152] تاريخ الطبرى /1/386-387

[153] الفضائل الباهرة / 91

[154] الأخبار الطوال للدينوري

[155] العبر /مج2/قسم3/ص50

[156] الحميري :محمد بن عبد المنعم)(ت900هـ :(الروض المعطار في خبر الأقطار،) تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1979م(، ص 551؛ ابن عبد الحكم :فتوح مصر، ص 18؛ ابن محشرة :الاستبصار، ص 77؛ المسعودي :مروج الذهب، ج2، ص 397).

[157] فتوح مصر وأخبارها

وانظر الى قول ابن ظهيرة[158] : "فطمعت فيهم (أى : فى المصريين) العمالقة وهم الفراعنة" ، ثم يضيف : "فغزاهم الوليد أكبر الفراعنة فظهر عليهم" ، ويذكر أيضاً : "قال قتادة : الفراعنة أولهم كان فى زمن الخليل .. ثم الثانى وهو فرعون يوسف .. ثم فرعون موسى ... إلخ"[159]

ويذكر المقريزى : "الفراعنة أولهم فرعون إبراهيم — والثانى وهو فرعون يوسف... إلخ ثم فرعون موسى عليه السلام ... إلخ"[160]

وفى دائرة المعارف الحديثة : "ويذكر مؤرخو العرب ثلاثة من الفراعنة وهم فرعون إبراهيم وفرعون يوسف وفرعون موسى ... إلخ"

ويذكر ابو الفدا : "وكان من العمالقة فراعنة مصر"، ويذكر أيضاً: "وقال الطبرى: كانت الفراعنة بمصر من العمالقة"[161]

وكذلك يعتبرهم ابن اياس هم الفراعنة — فتحت عنوان (ذكر من ملك مصر من الفراعنة) ، يقول ابن اياس : "قال ابن عبد الحكم : الفراعنة الذين حكموا مصر خمسة هم فرعون ابراهيم وفرعون يوسف ، ... وفرعون موسى"

وقال قتادة : الفراعنة أولهم كان في زمن الخليل ثم الثاني الريان وهو فرعون يوسف عليه السلام .

وقال المقريزي : "ذكر القبط أن الفراعنة أولهم فرعون إبراهيم والثاني الريان فرعون يوسف.[162]

ويذكر ابن إياس : الفراعنة العماليق الذين ملكوا مصر خمسة وهم فرعون إبراهيم عليه السلام ....[163]

---

[158] قدماء المصريين أول الموحدين

[159] الفضائل الباهرة

[160] الفضائل الباهرة

[161] تاريخ أبو الفدا

[162] الفضائل الباهرة

[163] بدائع الزهور في وقائع الدهور

إن جميع المؤرخين المسلمين يؤكدون أن ملوك العماليق الذين نعرفهم بإسم "الهكسوس" في عصرنا الحديث هم فقط الذين يحملون لقب "فراعنة" ، ولسبب غير معروف لا أحد يهتم بما قاله المؤرخون القدامى عن فرعون خاصة ، ويتهمونهم بالتهويل والمبالغة.[164]

وقال عدد من المؤرخون : "وانقرضت من حينئذ دولة العمالقة من مصر".[165]

ويقول أبو الفداء : "وتزعم اليهود أنَّ التي التقطت موسى هي بنت فرعون لا زوجته والأصح أنها زوجته حسبما نطق به القرآن العظيم ولما كان منه ومن موسى ما تقدّم ذكره من أظهار الآيات لفرعون وهي العصا ويده البيضاء والجراد والقمل والضفادع وصيرورة الماء دماً وغير ذلك سلمّ فرعون بني إسرائيل إلى موسى عليه السلام ولما أخذهم موسى وسار بهم ندم فرعون على ذلك وركب بعساكره وتبعهم فلحقهم عند بحر القلزم".[166]

يقول ابن الأثير : "فمن ولد لاوذ: فارس وجوجان وعمليق وهو أبو العماليق الذين منهم جبابرة الشام الذين يقال لهم:الكنعانيون. ومنهم الفراعنة بمصر"[167]

وعن مصر يقول شهاب الدين البغدادى[168] : "فطمع فيهم العمالقة و هم الفراعنة وكانوا يومئذ أقوى أهل الأرض و أعظمهم ملكاً وجسوماً وهم ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، فغزاهم الوليد بن دوموز و هو أكبر الفراعنة و ظهر عليهم ورضوا بأن يملّكوه فملكهم خمسة من ملوك العمالقة : أولهم الوليد بن دوموز ، هذا ملكهم نحواً من مائة سنة ثم افترسه سبع فأكل لحمه، ثم ملك ولده الريان صاحب يوسف عليه السلام ، ثم دارم بن الريان وفى زمانه توفى يوسف عليه السلام، ثم غرّق

---

164 نديم السيار

165 تاريخ الرسل والملوك – الكامل في التاريخ – المختصر في أخبار البشر

166 تاريخ أبي الفداء – الملك المؤيد إسماعيل بن أبي الفداء

167 تاريخ ابن الأثير ، والمنتخب في ذكر نسب قبائل العرب للمغيري

168 خالد نبهان – فرعون مصر كان عربيا – مقال – المجلة المصرية

الله دارماً فى النيل فيما بين طُرة وحلوان، ثم ملك بعده كاتم بن معدان فلما هلك صار بعده فرعون موسى عليه السلام ".[169]

ويذكر الثعلبي : "قال أهل التاريخ : لما مات فرعون مصر صاحب (يوسف) عليه السلام ، ملك بعده قابوس وكان جباراً ، ثم هلك و قام بالملك بعده أخوه وكان أعتى وأفجر ، وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وكثروا وهم تحت العمالقة ، حتى كان فرعون موسى.[170]

ويذكر ابن إياس : "ولما مات الريان ، استخلف بعده ابنه (داروم) وهو (الملك الثالث) ، وكان جباراً عنيداً فأظهر عبادة الأصنام ، ولما هلك تولى بعده (الملك الرابع)، ثم تولى بعده (الملك الخامس) ، وهو فرعون (موسى) عليه السلام .[171]

وقال ابن جرير الطبري في التفسير :

"وهلك الملك الذي كان معه الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر، فنشر الله بها بني إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض ، كما ذكر لي ، في صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء ، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة، وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ، ويعقوب ، وإسحاق ، وإبراهيم، شرعوا فيهم من الإسلام متمسكين به ، حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولا ، ولا أطول عمرا في ملكه منه، وكان اسمه ، فيما ذكروا لي : الوليد بن مصعب ، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة ، ولا أقسى قلبا ، ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه ، يعذبهم فيجعلهم خدما وخولا، وصنفهم في أعماله ، فصنف يبنون ، وصنف يحرثون ، وصنف يزرعون له ، فهم في أعماله ، ومن لم يكن منهم في صنعة له من عمله فعليه الجزية ، فسامهم كما قَالَ الله : سُوءَ الْعَذَابِ سورة البقرة آية 49 ".

وقال المسعودي : "فطمعت فيهم ملوك الأرض، فسار إليهم من الشام ملك من ملوك العماليق، يقال له الوليد بن دومع، فكانت له حروب بها، وغلب على الملك،

---

[169] معجم البلدان – شهاب الدين ياقوت الحموي البغدادي

[170] قصص الأنبياء(عرائس المجالس) للثعلبي

[171] بدائع الزهور في وقائع الدهور – إبن إياس الحنفي

فانقادوا إليه، واستقام له الأمر إلى أن هلك، ثم ملك بعده الريان بن الوليد العملاقي، وهو فرعون يوسف، وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما في كتابه العزيز، وقد أتينا على شرح ذلك في كتابنا الأوسط، ثم ملك بعده دارم بن الريان العملاقي، ثم ملك بعده كامس بن معدان العملاقي، ثم ملك بعده الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى، وقد تنوزع فيه: فمن الناس من رأى أنه من العماليق ومنهم من رأى أنه من لخم من بلاد الشام، ومنهم من رأى أنه من الأقباط من ولد مصر بن بيصر، وكان يعرف بظلما، وقد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط، وهلك فرعون غَرَقاً حين خرج في طلب بني إسرائيل حين أخرجهم موسى بن عمران وجعل الله لهم طريقاً في البحر يَبَساً"[172]

وقال الزمخشري: "ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر، ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه. إلى أن بعث الله موسى عليه السلام"[173].

وقال ابن الجوزي عن العماليق:"والطائفة التي كانت منهم بالشام يقال لهم الكنعانيون وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها، وهم الجبابرة المعروفون والطائفة التي كانت بمصر يقال لهم الفراعنة، ومنهم فرعون يوسف، وكان اسمه الريّان بن الوليد" [174]

ويقول ابن عبد الحكم : "حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثنا عن هانئ بن المنذر أنه (أي فرعون) كان من العماليق وكان يكنّى بأبي مرّة" [175].

وقال الصحاري عن نسب عمليق بن لاوذ: "لحق بعضُ أولاده بالشام، فمنهم كانت العماليق الذين قاتلهم موسى ببني إسرائيل، ومنهم فراعنة مصر، ومنهم فرعون يوسف واسمه الرَّيَّان بن الوليد بن ثروان بن أراشاهُ بن قاران بن عمرو بن عِمَلاَق بن لاوذ بن إرَم بن سام بن نوح ومنهم قابوس بن مُصْعَب بن معاوية بن سير بن السلواس

---

[172] مروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودي

[173] الكشاف للزمخشري

[174] المنتظم في التاريخ – ابن الجوزي

[175] الكتاب: فتوح مصر والمغرب ، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (المتوفى: 257هـ)

بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. وكلاهما كانا في أيام يَوسُف. ومن ولد الريان آسية بنت مزاحم بن عبيد امرأة فِرْعَون مُوسى"[176]

وتُروى قصة عجيبة عن كيفية تولي فرعون الحكم وكيف استطاع الوصول إلى ملك مصر غير أننا نوردها فقط من باب النقل العلمي ولا نصدقها ولا نكذبها : " لم يكن فرعون من أولاد الملوك، وإنما أخذ ملك مصر بحيلة ويقال في رواية لعبد الله بن عمرو أن أولاد الملوك اختلفوا بمصر فيمن يكون المُلك ، فرضوا بمن يحكم بينهم وأن يكون من يطلع من الفج، فطلع (فرعون) فاعترضوه ، وسألوه الحكم بينهم، و أخبروه باختلافهم ، وأن يختار للملك واحداً منهم ، فقال : أكره أن تخالفونى فأعطوه المواثيق أن لا يخالفوه ، فقال لهم : قد اخترت نفسى أن أجلس وأوطئ لكم الأمر، فلما تمكن أخذ يقتلهم واحداً بعد واحد ، وكان من خبره ما قصه الله عز وجل"[177] .

إذن فهم يحدثوننا عن ملوك العماليق (الهكسوس) وكأنهم فقط الذين يحملون لقب فرعون.[178]

وهكذا نرى أنه رغم اختلاف أهل التاريخ في نسب فرعون وإسمه ، غير أن الشاهد التاريخي وإجماعهم يقر بأنه من نفس جنس وأصل العماليق وبني إسرائيل.

وهكذا أيضا نرى أن كتب التراث العربي وكتب التاريخ الاسلامي والتفاسير تفصح بالإجماع عن هوية فرعون وقومه.

يقول الدكتور نديم السيار : ":"فعلماء المصريات والآثار يذكرون أن الأسرة الهكسوسية الأولى كانت تتكون من (ستة) ملوك ، إذن .. فكل المراجع العربية و الإسلامية تجمع على أن (فرعون موسى) كان هكسوسياً كما أنه كان الملك الهكسوسى (الخامس) - بالتحديد ، وهذا الملك (الهكسوسى الخامس) ... هو الذى تلقى(موسى) رضيعاً - [179] ...

---

[176] الأنساب للصحاري

[177] تفسير القرطبي

[178] نديم السيار

[179] قدماء المصريين أول الموحدين — نديم السيار

إن التجاهل التام لكل تلك الأخبار - التي أوردنا منها جانبا فقط — واعتبارها على أنها أساطير لا تمت للحقيقة بصلة هو إهدار كامل لمصدر جوهري وحيوي من مصادر التاريخ المكتوب الذي يعبر عن جزء لا بأس به من التراث الإنساني لا مفر من الاعتماد عليه واعتماده من ضمن مصادر التاريخ ، بل هو — إن شئنا الدقة — أصح من الكثير من غيره من المصادر التاريخية التي لا تعتمد إلا على التاريخ الذي تم تلقينه للشعوب بواسطة اليهود وأعوانهم في العصر الحديث.

أما هذا التاريخ الذي جائنا من فطاحل العلماء المسلمين والعرب — حتى وإن داخله بعض التهويلات الأسطورية في بعض أجزاء التاريخ القديم — إلا أنه في غالبيته يحمل آثارا صحيحة وبقايا مؤكدة عن حقب تاريخية غابرة ذهبت في غياهب الماضي ولم يعد لها أثر يذكر إلا عن هؤلاء الجهابزة ، وبالتالي فإن تجاهل كل تلك الأدلة يعد خطئا فادحا يحرمنا من أحد أهم المصادر التي تكمل لنا أجزاء الصورة المفقودة عن تلك الأزمان الموغلة في القدم.

لغة الأسباط وآل فرعون هي لغة واحدة:

كانت لغة إبراهيم عليه السلام لغة شامية صرفة ، وهي فرع أو لهجة من اللغة العروبية الأم التي تحدثنا عنها سابقا في الفصول الأولى من هذا الكتاب ، ولما انتقل إلى حرّان ومر على قبائل مصطبغة بثقافة الآراميين — وهي القبائل التي تمت بصلة لإخوته وعمومته - فوصفته التوراة بأنه آرامي تائه لم يجد صعوبة كبرى في إتقان لهجة الآراميين فهي لهجة معروفة عنده كان يتحدثها إخوته وبنو عموته ، ووصفه بالصفة الآرامية كان مجرد اكتساب لثقافة الآراميين والإتصاف بعاداتهم وتقاليدهم المعيشية ، كما لم يجد صعوبة أيضا في فهم كل اللهجات الأخرى التي مر عليها منذ أن خرج من أور أرض الكلدانيين التي وصفتها التوراة ، فلم يجد صعوبة في التحدث بلهجات كل البلاد التي مر عليها في سوريا وكنعان ، فلغة كل من كانوا يسكنون تلك الأراضي واحدة لا تختلف عن بعضها البعض إلا في اللهجات التي تشبه في اختلافها لهجات اللغة العربية في عصرنا الحاضر ما بين لهجة خليجية ومصرية وشامية ومغاربية ...

أما آل فرعون العماليق الذين حكموا مصر هم وكل القبائل الهكسوسية الأخرى التي كانت متحالفة معهم في حكمهم لمصر فلم تختلف عن تلك اللهجات التي كانت سائدة في كل بلاد الشام والرافدين وكان يتحدثها بنوا إسرائيل أيضا باللهجة الكنعانية الآرامية ، فلم يكن لبني إسرائيل لغة في ذلك العصر سوى اللغة الكنعانية أو اللهجة الآرامية التي خالطوا أهلها في كثير من الأحيان.

ونرى ذلك بجلاء في جميع تعاملات إبراهيم وإسحق ويعقوب والأسباط مع كل قبائل العماليق والعموريين والكنعانيين التي كانت تسكن فلسطين في ذلك الوقت بالإضافة لكل القبائل الأخرى التي نسبت للآراميين في فدان آرام أو آرام نهرين وهي حرّان في وسط الرافدين بين العراق وسوريا ، فلم يكن بنو إسرائيل شعبا لتكون لهم لغة مستقلة عن الشعب الذي كانوا يعيشون بين أفراده وقبائله ، فقد كانوا مجرد عائلة ظلت تتزايد في العدد حتى أصبحت قبيلة صغيرة بعد هجرتها إلى مصر أثناء إقامتهم المؤقتة فيها.

كما أنه من الواضح تماما أن لغة آل فرعون الهكسوس ليست هي لغة المصريين القدماء فلغة القبط المصريين هي لغة حامية أفريقية حتى وإن خالطها بعض الألفاظ السامية في بعض فتراتها القديمة لكن التمايز والاختلاف واضح جدا عند المتخصصين وغير المتخصصين أن لغة قبائل البدو الرعاة (الهكسوس) ليست هي نفسها لغة المصريين القدماء القبط وهذا لا يمنع أن بعض هؤلاء الملوك الرعاء قد استخدم اللغة المصرية القديمة في مراسلاته وخطاباته مع بعض المملاك الأخرى وإن لم يكن ذلك على نطاق واسع.

إذن كانت لغة آل فرعون وكل حلفائهم في مصر هي اللغة الكنعانية مع وجود اللهجة الآرامية المبكرة عند بعض قبائلهم و لم يكن ذلك غريبا على بني إسرائيل الذين كانوا يتقنون اللهجتين ، وبالتالي فإن حدود اللغة بين بني إسرائيل كقبيلة في مصر وبين قبائل الهكسوس العماليق لم تكن موجودة أو تمثل حاجزا في التعامل والتفاهم فهم لم يكونوا سوى جزء من شعب العماليق الهكسوس الذي حكم مصر فعاشوا بينهم في مصر مثلما عاشوا بينهم في كنعان قبل مجيئهم إلى مصر.

أما ما يسمى اليوم كذبا بـ " اللغة العبرية" فليست سوى خليط من اللغة الكنعانية وبعض المفردات الآرامية مع بعض التطوير في الأبجدية وبعض التراكيب والقواعد اللغوية المستحدثة ، ولم يتحدثوا بها كلغة رسمية إلا في العصر الحديث ، وما كانت العبرية التي كانت في زمن سليمان وفي زمن السبي البابلي إلا نفس الكنعانية القديمة التي تحدثها الفلسطينيون القدماء مع بعض التغييرات الطفيفة.

والصحيح أن لغة بني إسرائيل في مصر لم تكن لغة جديدة ، بل هي بعينها لغة كنعان التي وفدوا منها قبل دخولهم إلى مصر ، لأن بني إسرائيل لم يكونوا إلا عائلة صغيرة تعيش في أطراف أرض كنعان في الجزء الصحراوي الجنوبي ، ولم يتحدثوا بلغة مخصوصه بهم إلا اللغة التي تحدث بها أهل البلاد الأصليين وهم الكنعانيين أجداد الفلسطينيين.

إذن فقد سرق اليهود لغة الفلسطينيون الكنعانيين ولم يكتفوا بسرقة الأرض !

وقد انخدع المعاصرون في أوطاننا الحالية وظنوا أن بني إسرائيل منذ أن وجدوا كعائلة ليعقوب عليه السلام قديما ثم كقبيلة كانت لهم لغة مستقلة بهم ، وهو التصور الساذج الذي لا يعتقد فيه إلا مغرَّر أو مخدوع ولا يدعيه إلا كاذب أو مخادع.

واشتراك بنو إسرائيل في نفس اللغة مع العماليق الذين جاءوا من فلسطين وجميع أنحاء الشام هو دليل على أن فرعون ملك من ملوك العماليق الهكسوس وأن موسى عليه السلام وجميع أنبياء العبرانيين كانوا مرسلين إلى تلك الأقوام بنفس لسانهم ولغتهم الموحدة ولهجاتهم.

إذن فلغة بني إسرائيل في مصر كانت هي اللغة الكنعانية التي تأثرت باللهجة الآرامية المبكرة التي صارت بعد هذا الزمان بقرون لهجة متداولة ومعروفة في الشرق الأدنى وهي نفسها لغة عماليق مصر الهكسوس ومنهم آل فرعون.

لغة بني إسرائيل وموسى ولغة مدين هي لغة واحدة:

قال تعالى :

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾

إن الآيات السابقة لهي أكبر دليل على وحدة لغة بني إسرائيل في كنعان وفي مصر وكذلك تطابقها مع لغة أهل مدين ، والدليل على وحدة كل لغات الشرق الأدنى في ذلك العصر وأن الاختلاف لم يكن سوى اختلاف في اللهجات فقط هو دخول موسى عليه السلام إلى أرض مدين وإقامته فيها فترة من الزمان بلغت العشر سنوات وتحدثه مع الرجل الصالح وابنتيه بلا أي صعوبة دون أن يحتاج إلى ترجمان ، فلم يكن أهل مدين أيضا أو ما تسميهم التوراة بالمديانيين يتحدثون سوى نفس اللغة الموحدة التي كان يتحدث بها بنو إسرائيل أيضا وهي نفس لغة العماليق أيضا ، فلا يوجد أي فرق سوى في اللهجة كما بينا كثيرا.[180]

يقول الدكتور محمد راشد :

"حينما فر موسى عليه السلام من مصر خوفا من أن يقتله فرعون وقومه لأنه قتل نفسا منهم توجه تلقاء مدين وتحدث مع أحد شيوخها وابنتيه ولم يكن بينهم ترجمان كما عاش موسى بين أهل مدين عشر سنوات متصلة دون أن يجد صعوبة في التفاهم معهم".[181]

الحذر من الإخراج من الأرض والتوجس من ضياع الملك من سمات العماليق وآل فرعون:

رأينا في مطلع هذا الفصل كيف أن فرعون وهامان وقومهما اضطهدوا بني إسرائيل لما كانوا يحذرونه منهم من ضياع ملكهم على يد أحد أفراد بني إسرائيل ، وإخراجهم من الأرض التي استوطنوها وهي أرض مصر

---

[180] مؤمن محمد سالم : تحدث موسى مع أهل مدين بلا ترجمان وهذا يعني أنه يفهم نفس لغتهم ويفهمونه وهي نفس اللغة التي كان يتحدثها في مصر مع قومه ومع قوم فرعون وقد تكلم بها في مدين

[181] تاريخ ملوك مصر القديمة — د. محمد راشد حماد — دار الكتاب العربي

لذلك تكرر ادعاء فرعون وقومه بأن غرض موسى وأخيه أن يُذهب ملكهم ويخرجهم من الأرض ، قال تعالى في قول فرعون:

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾الأعراف110

وقال تعالى :

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾طه57

وقال تعالى :

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾الشعراء35

وقال تعالى في قول فرعون :

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف123

وأخبر تعالى عن قول السحرة :

﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ طه63

وقال في قول ملأ فرعون :

﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ يونس78

وهكذا كان الهكسوس العماليق في فترقم الأخيرة في مصر على حذر دائم وتوجس من الخروج من أرض مصر خاصة بعد أن جاءهم موسى بالرسالة والبينات ، وألفاظ القرآن صريحة في الدلالة على ذلك ، أما التوراة فكانت واضحة أيضا حين وصفت خوف آل فرعون من انضمام بني إسرائيل لأعدائهم إذا قامت الحرب ، وكانوا يقصدون بالأعداء الملوك المصريين الذين كانوا منفيين إلى طيبة في جنوب مصر وكانوا متربصين ومستعدين للانقضاض على الهكسوس إذا وجدوا وقتا مناسبا يضعف فيه الهكسوس :

"فقال لشعبه هوذا بنو اسرائيل شعب اكثر واعظم منا. هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب انهم ينضمون الى اعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الارض. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم باثقالهم".سفر الخروج.

إن فرعون قد اعتبر الأرض التي احتلها هي أرضه ويرفض الخروج منها فهو في نفس الخندق الذي فيه بنو إسرائيل فهو أكبر أعضاء الأحلاف الهكسوسية وحاكمهم والذي يتكلم بإسمهم ، وفي حالة تحقيق كلام موسى عليه السلام وتلبية طلبه بالسماح لبني إسرائيل بالخروج من مصر لوجب عليه أن يخرج معهم هو وقومه ويعترف بزعامة موسى الدينية ويسلمه الزعامة الدنيوية أيضا.

أما في الآثار فلقد تبين من خلال ورقة ساليبه وهي البردية المحفوظة الآن بفرنسا وسيأتي الكلام عنها في موضعه أن الأمير أبوفيس – والذي لم يكن يوجد غيره وليا على أرض مصر بعد هلاك جيش فرعون وهامان وجنودهما –كان ما يزال متوجسا من الخروج من أرض مصر وخاصة بعد ما أصاب جنود أعظم قبيلتين من قبائل الهكسوس العماليق بغرقهم في واقعة الخروج وخاصة بعدما شعر بمحاولة المصريين في طيبة من الاستعداد بتدريب الجيش والتسلح من جديد تحسبا للانقضاض على الهكسوس في شمال مصر واستعادة الملك الضائع على كل بلادهم.

لذلك حاول "أبوفيس" أمير الهكسوس بعد غرق فرعون أن يفرض سلطانه من جديد وإثبات وجوده وقوته كحاكم على أرض مصر هو وقومه فقام بتحدي ملك مصر المنفي في الجنوب وإسمه "سقنن رع" – وهو والد الملك أحمس المعروف – والذي لم يكن سلطانه ممتدا إلا على إقليم طيبة فقط في جنوب مصر لكن تلك المحاولة من فرض السلطان وإثبات الوجود انتهت بتغلب المصريين على الهكسوس وطردهم نهائيا من مصر وانهيار ملكهم وامبراطوريتهم في كل بلاد الشرق التي كانوا قد بسطوا عليها نفوذهم ، وسيأتي الكلام عن هذه الواقعة في موضعه عند الحديث عن ورقة ساليبه.

إذاً فقد كان هذا التوجس من الخروج من الأرض ملازما لكل ملوك آل فرعون الهكسوس في سنواتهم الأخيرة وحتى بعد غرق أكبر قبيلتين في التحالف فقد بقي الهكسوس على نفس التوجس والخوف بل وازداد خوفهم أكثر وأكثر حين فقدوا جيوش أكبر قبائل التحالف وهم جنود فرعون وهامان.

وهذا يثبت أيضا أن آل فرعون من الهكسوس ويعد دليلا يضاف إلى جملة الأدلة.

حديث الجنود ... قبيلة فرعون الهكسوسية المحاربة:

قال تعالى :

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ البروج17-18

يخبرنا الله تعالى في هذه الآيات أن فرعون وثمود كانوا من الجنود ، أي أنهم كانوا أقواما محاربين ، هذه هي تركيبتهم التي تكونوا منها ودأبوا عليها ، كانوا محاربين بالكلية رجالا ونساءً وأطفالا ، وكانت بنيتهم الاجتماعية قائمة على ذلك.

وقد ذكر الله تعالى فرعون مع ثمود بالجمع بينهما في هذه الآية فقط دون غيرها من الآيات التي ذكروا فيها في كل آيات القرآن ، وذلك لأسباب منها:

1. أن ذكر فرعون وثمود في الآية جاء على سبيل ذكر قومين أو طائفتين أو قبيلتين من البشر ، ونلاحظ تسمية كلا القومين باسم أحد أفرادهما ، حيث تسمى قوم ثمود بأحد أفراد قبيلتهم وهو ثمود نفسه ، يقول الطبري في تفسيره :

"و ثمود هو ثمود بن غاثر (جاثر) بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن غاثر وكانت مساكنهما الِحجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله " أ.هـ[182]

ويقول ابن كثير في تفسيره:

"قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عاثر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله"أ.هـ

وفي تفسير فتح القدير للشوكاني:

"وثمود قبيلة سموا باسم أبيهم" ، وفيه أيضا "وامتناع ثمود من الصرف لأنه جعل اسما للقبيلة وقال أبو حاتم : لم ينصرف لأنه أعجمي"أ.هـ ، وأما تسمية ثمود لقلة مائها كما قال بعض المفسرين من الفعل "ثمد" قول بعيد عن الصحة.

[182] تفسير الطبري

يقول الدكتور محمد راشد : "ارتبطت قبائل ثمود بالجنود كما ارتبط أيضا فرعون بالجنود وهذا يدل على اهتمام تلك القبائل البدوية بالحياة العسكرية بما يضمن لهم الأمن والأمان فضلا عن فرض الهيمنة والسلطان على من هم أضعف منهم قوة".[183]

وعلى هذا فإن تسمية القبيلة باسم فرد منها كان عرفا سائدا في تلك الأزمنة ، بل جرى العرف في ذلك أيضا في تسمية شعوب وطوائف وأعراق كاملة بأسماء أحد أفرادها أو أحد عظمائها أو آبائها ، بل تسمت أغلب البلاد والمناطق والأقاليم القديمة بل وشعوب كثيرة – والتي ما زال أغلبها ساريا حتى اليوم في منطقة الشرق – بإسم أبائها الأوائل ، ونذكر من ذلك تسمي الكنعانيين باسم أبيهم كنعان ، والساميين باسم سام ، والمصريين باسم مصريم أو مصراييم ، وبني إسرائيل أو الإسرائيليين باسم نبي الله إسرائيل - يعقوب ، وغيرهم الكثير من الشعوب والأجناس والقبائل التي تسمت باسم فرد منها ، كذلك وعلى غرار ذلك فقد تسمت قبيلة فرعون الهكسوسية باسمه وهو اسم علم كما سنرى ، فأصبحت "قبيلة فرعون" أو " آل فرعون" أو " قوم فرعون" كما سماهم الله في كتابه أو باللفظ المتداول حتى يومنا هذا "الفراعنة" والذي عممه الناس على سبيل الخطأ على المصريين بدلا من الهكسوس عماليق مصر ، لذلك ذكر الله الاسمين على سبيل الجمع بينهما لاتفاق طريقة تسمية القوم بأحد الأفراد.

2. وصف الله تعالى كلا من قوم فرعون وقوم ثمود بالجنود ، ويحتمل من هذا الوصف تفسيرين عند أغلب المفسرين ، فقد تعني الجنود – وهي جمع جند – الأمة العظيمة أو القوم الكثر الذين تحزبوا على أنبيائهم وكذبوهم وحاربوهم ، لذلك أطلق الله تعالى على كل الأمم التالية لنوح عليه السلام صفة " الأحزاب " لتحزبهم على أنبيائهم ومحاربتهم وتكذيبهم لهم ، وأما المعني المباشر لتلك الصفة هي أنهم كانوا جنودا فعليا ، وهو الأمر الذي لا يبعد عن فرعون وقومه من الهكسوس العماليق الذين كانوا قوما محاربين بطبيعتهم ، هم وأهليهم وعشيرتهم ، وهذا مقبول منطقيا وتاريخيا وقرآنيا ولغويا ، فلقد اقترن ذكر الجنود دائما بفرعون وهامان في آيات القرآن كما يدل السياق على أن قوم فرعون وهامان وجنودهما كانوا شيئا واحدا ، يقول تعالى :

[183] دكتور محمد راشد حماد – تاريخ ملوك مصر القديمة – دار الكتاب العربي

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ القصص8

أي أن آل فرعون أي قومه وآل هامان أي قومه كانوا جنودا لهما وتدل ألفاظ الآيات على أنه كان لكل منهما – فرعون وهامان – جنده الخاص المنفصل عن الآخر، وهذا يدل على أن الطائفة بأكملها كانت طائفة محاربة وقد ثبت لنا في الفصل الثالث إثبات تفسير كلا من كلمة "عماليق / عموليك" وكلمة "هكسوس" أنهما تعنيان "الجنود البدو" وهو ما يتطابق مع نفس المعنى هنا ، ولنا أن نتخيل أقواما رعوية تعيش معيشة الترحال ، ليس لها وطن ثابت ، تكونوا من قبائل متحالفة ، معيشتهم قائمة على الغلظة والخشونة وشدة العيش ، يعيشون على الإغارة على الشعوب والأمم، ولا يعرفون إلا منطق السيف والحرب ، فهم في رباط دائم رجالهم ونسائهم وشيوخهم، دأبوا على ذلك عقودا طويلة ، فأصبحوا على استعداد للحرب في كل وقت وحين، لكن ثقافتهم كانت متزايدة ومتنامية باستمرار بسبب ما يكتسبونه ويتأثرون به من الشعوب المجاورة لهم أثناء ترحالهم ، لهم عادات خاصة مرتبطة كلها بحياة الترحال والتجوال والبداوة ، وكانوا يتأثرون بلهجات الشعوب التي كانوا يخالطونها أثناء فترات تنقلهم بل وتنتقل إليهم أيضا أسماء الشعوب والأجناس التي يمرون عليها ويختلطون بها.

وقد أتى ذكر الهكسوس العماليق وتفسير مسمياتهم المختلفة وقد أثبتنا في الفصلين السابقين بما لا يدع مجالا للشك أن تفسير كلا من كلمتي "الهكسوس" و "العماليق" هي : الجنود البدو أو جنود الصحراء أو الفرسان البدو أو فرسان الصحراء وغيرها من المسميات التي تعد مترادفات مختلفة لنفس المعنى ، وأن كل تلك المسميات تعبر في النهاية عن الصفة العسكرية وصفة الجندية التي اتصف بها الهكسوس العماليق وقوم فرعون على وجه التخصيص.

ويقفز إلى الذهن حينما نتناول سيرة الهكسوس جنس آخر مختلف تمام الاختلاف عن الهكسوس في الأصول وفي الزمن، ولكنه يشترك معهم في ذات السمات وهي سمات الترحال والبداوة والطبيعة الحربية الخشنة ، وهذا الجنس هو جنس المغول ، أو التتار كما ذكرهم المؤرخون العرب، ورأينا كيف كانوا معدومي الثقافة والحضارة ،

ولكنهم بالرغم من ذلك برعوا في الحروب والمعارك، فكانوا قوما محاربين استطاعوا أن يخضعوا العالم في العصور الوسطى لسيوفهم إلى أن قضى الله عليهم بالتشرزم والشتات ثانية على يد المسلمين ، وهو ما حدث تماما مع الهكسوس قبلهم بآلاف السنين حين قضى الله على امبراطوريتهم بالسقوط فشن المصريون عليهم حملاتهم لطردهم من مصر، وكانت نهايتهم إلى التشرزم والشتات والتشرد في أواسط آسيا كما كانوا.

ويبدو أن حياة البداوة والترحال تلك كانت تكسب تلك الشعوب روح الحرب والجندية كمنهج لهم لا يحيدون عنه هم وأقوامهم ، فتشب أفراد قبائلهم على هذه الأنظمة القبلية العسكرية، فتصبح القبيلة بالكامل مهيأة لخوض الحروب طوال الوقت ، ولا عجب إذن من تسميتهم بالعماليق أو الهكسوس أي "الجنود البدو" أو "فرسان الصحراء" ، أو "فرسان البراري" ، غير أن توحد هذه القبائل المشتتة والمتفرقة لا يحدث إلا بعد تنامي قدراتها البشرية وتكاثر أعدادها بشكل كبير ، مما يكون له الأثر في تطلعهم إلى غزو الأمم والشعوب والممالك المجاورة التي تعيش معيشة المدنية والتحضر.

ويبدوا أيضا أن جزءا كبيرا من أسلاف قوم فرعون وهامان من الفراعنة الهكسوس عماليق مصر كانوا قبائل رعوية محاربة دأبت على الترحال والتجوال كما أوضحنا في مواضع سابقة ، دفعت بها عوامل عدة للتروح ومواجهة الممالك المحيطة بهم فجمعت بينهم أصولهم الآسيوية السامية العروبية، وحركتهم عوامل المجاعات والقحط والجفاف في آسيا ، إلى جانب أعدادهم المتنامية والمتزايدة التي شجعتهم للقيام بتلك الغارات الكبيرة حيث أصبحوا قوة ضاربة لا يستهان بها ، فكونوا حلفا قويا يجمع بين قبائلهم– على اختلاف أصولهم – ليغيروا به على الشعوب المجاورة لهم ، وربما كانت لتلك القبيلتان – قبيلة آل فرعون وآل هامان – الدور الأكبر في مهاجمة الحدود المصرية أو التروح إليها دون حرب تمهيدا لفرض هيمنة وسطوة الهكسوس العماليق على ممالك الشرق ومصر .

ونظرا لاهتمام الهكسوس بأمر الحرب والجندية ، فقد كان أغلب تراثهم وآثارهم الباقية تدور حول الحرب والسلاح والمعدات الحربية بل وربما الحيوانات التي لها دور في حروبهم تلك ، فنجد أن أغلب آثارهم – على قلتها - تمثل سيوفا وخناجر ، وعجلات حربية ودروع برونزية ، وغيرها من أدوات الحرب والقتال إلى جانب

طريقة إقامتهم لمدنهم التي كانت تمثل حصونا مقامة على تلال عالية ولها أسوار حصينة وطوارات ضخمة .

كما يطالعنا التاريخ عن أصل معرفة المصريين للخيول ، حيث لم يكن الحصان معروفا ولا مستخدَما في مصر حتى عهد الدولة الوسطى، إلى أن فرض الهكسوس سيطرتهم على البلاد وجلبوا معهم عجلاتهم الحربية التي تجرها الخيول والتي كانت من أشهر الأسباب التي كان لها الأثر – ولو بدون حرب – في التغلب على المصريين الذين لم يكونوا يعرفون شيئا عن استخدام الخيول أو العجلات حتى ذلك الوقت.

وقد كان لدى فرعون قواته العسكرية الضاربة والتي جهزها بالعتاد الحربي وحرص على حسن تدريبها.[184]

وحشد قوم فرعون مئات الألوف من الجنود المدربين والمجهزين بالأسلحة ، فقد بلغت أعداد عسكر مدينة أواريس تلك المدينة المحصنة التي اتخذوها عاصمة لهم مائتين وأربعين ألف رجل من الجنود المدربين تدريبا عسكريا فائقا وكان يتاجر معهم بعض الاسماعيليين من ذرية إبراهيم .

ولم تكن قبائل الهكسوس التي دخلت مصر واحتلتها لسنوات طويلة مجرد بدو لا حرفة لهم غير رعي قطعان حيواناتهم ولكنهم كانوا أهل حرب وكر وفر.

وقد شيدوا بعض الحصون المنيعة داخل مقاطعات مصر وعلى حدودها الشرقية فضلا عن استغلالهم للحصون التي أقامها ملوك مصر خلال عصر الدولتين القديمة والوسطى وكذلك الأسوار المحصنة كحائط الأمير، وقد جهزوا هذه الحصون بعدد من الكتائب والفرق العسكرية بغرض قمع أي ثورة يقوم بها المصريون ضدهم فضلاً عن القضاء على أية حركة تمرد أو أية فتن أو دسائس.[185]

ويبدو أنه لطبيعة قوم فرعون وهامان المحاربة من الهكسوس أثرا في سلوكهم تجاه تلك الموقعة التي حشد فيها فرعون وهامان كامل قوتهم وعتادهم وأهليهم – كما سنرى في فصل ملحمة الخروج – فما بقي منهم فرد إلا وخرج معهم ، فخرج فرعون

---

[184] محمد بيومي مهران – الجزء الثالث : مصر ، منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة

[185] دكتور محمد راشد حماد – تاريخ ملوك مصر القديمة – الناشر : دار الكتاب العربي

وهامان وجنودهما وقومهما بالكامل خلف موسى عليه السلام وبني إسرائيل ، حيث أنه - وكما ذكرنا - أن قوم فرعون وهامان من الهكسوس كانوا قوما محاربين بالكلية رجالا ونساءا وحتى شيوخا وأطفالا ، فما كانوا يتوجهون إلى موقعة من المواقع إلا بكامل أفرادهم وعشائرهم ، وهي عادتهم التي دأبوا عليها ، وهذا يفسر هلاكهم جميعهم بالغرق كما ذكر الله تعالى في القرآن الكريم وكما سنوضح بالتفصيل في حينه.

لكن بعض الإخباريين العرب يزعمون بأن الغرق قد طال جميع الجنود الذين خرجوا وهم كل من يقدر على حمل السلاح من آل فرعون وآل هامان ، أما النساء والأطفاء فكانوا متروكون خلفهم في المدينة وهو افتراض جيد أيضا لا يتناقض مع الآيات.

ويبدو أيضا أن لغرق جنود قبيلتي فرعون وهامان المحاربتين في اليم أثناء مطاردتهم لموسى وقومه أعظم الأثر في اندثار أكبر قوة محاربة في قبائل الهكسوس ، مما شجع الحكام المصريين الذين كانوا منفيين في الجنوب في الإعداد لاتخاذ قرار حرب التحرير ضد ما بقي من قبائل الهكسوس الذين فقدوا أكبر قوة ضاربة من القبائل المحاربة التي خرجت خلف موسى وقومه فغرقوا في اليم ، وخاصة بعد ما قام المصريين في سنوات حكم العماليق بالإعداد للحرب وتجهيز الجيش بل وتطوير العجلات الحربية التي تجرها الجياد لتتفوق على عجلات الهكسوس ، وكانت الفرصة الذهبية لاقتناص النصر هي تلك السنوات القليلة التي تلت غرق فرعون وهامان وجنودهما في اليم ، واستغلال حالة عدم التوازن التي كان يعيشها الهكسوس بعد غرق هاتين القبيلتين المحاربتين.

يوم الزينة هو عيد العماليق في كل مكان:

يقول الدكتور محمود بيومي مهران والدكتور محمد راشد :

يُعتقد أن يوم الزينة كان عيدا معروفا جعله فرعون عيدا له ولقومه ربما كان يظهر أو يتجلى فيه فرعون على قومه حيث كان يرتدي أبهى حلله ويزين رأسه تاجه العظيم المرصع بالجواهر النفيسة مستقلا مركبته الفخمة التي تجرها الجياد ومن حوله كبار رجال الملكة وأشرافها يركبون أيضا مركباتهم التي تجرها الجياد ويحيط بهم جنود فرعون وهامان الذين يمتطون أظهر الجياد ومدججين بأسلحتهم ومن خلفهم حاشياتهم

ثم عامة الشعب وكان هذا الموكب المهيب يمر بشوارع عاصمة الملك ثم يتجه إلى ساحة كبرى مجهزة بمكان لجلوس فرعون وكبار رجال المملكة فضلا عن مكان آخر لاستيعاب الجنود والخدم وعامة الشعب وكانت تجري به بعض المنافسات الرياضية وبعض ألوان من أعمال السحر التي تدخل البهجة والفرح على قلوب ونفوس الحاضرين ويبدو أن هذا العيد كان يرتبط بفصل الربيع حيث تكتسي الأشجار والنباتات على اختلف أنواعها بالخضرة وتنمو الورود ذات الألوان الجميلة والرائحة العطرة لذلك أسماه قوم فرعون بيوم الزينة.[186]

وهذا العيد غير معروف عند المصريين القدماء (القبط) ولم يشيروا إليه في نصوصهم ويبدو أنه عيد غير ديني ولا يرتبط بأي إله من الآلهة التي يعبدها الهكسوس أو غيرهم لأن موسى عليه السلام هو الذي تخير هذا اليوم وهو لن يتخير يوما يعلى فيه كلمة الله تعالى ويجري فيه احتفالات وطقوس موجهة لغير الله ومن المعلوم أن معظم أعياد المصريين القدماء (القبط) ترتبط بالآلهة ، لكن هذا العيد كان عيدا لآل فرعون دون غيرهم.

ويبدو أن المصريين القدماء (القبط) لم يكونوا طرفا في هذه المناظرة السحرية، حيث كان الهدف منها أن يثبت فرعون لقومه أن ما يدعيه موسى من أنه رسول من رب العالمين ليس له حقيقة وأنه مجرد ساحر كذاب يريد أن يخرجهم من أرضهم ليكون له ولقومه الملك ظاهرين في الأرض.[187]

وفي هذا اليوم حشر الناس ضحى وبدأ سحرة فرعون بإلقاء عصيهم وحبالهم فسحروا أعين الناس وبدت لهم كأنها حيات تسعى ولم ينج موسى من سحرهم فأوجس في نفسه خيفة ثم أمره الله بإلقاء عصاه فإذا هي ثعبان مبين يلتهم عصي وحبال سحرة فرعون وحينما تبين لهم قوة رب موسى خروا سجدا لرب العاملين إلا أنهم ظلوا على كفرهم لتأتيهم تسعة ابتلاءات أخرى من رب موسى إلا أنهم كانوا

---

[186] محمد بيومي مهران – الحضارة المصرية القديمة – الجزء الثاني

[187] تاريخ ملوك مصر القديمة – دكتور محمد راشد – دار الكتاب العربي

يزدادون كفرا وإلحادا حتى غرق فرعون وجنوده في بحر لجي عميق ومن بقي من هؤلاء الهكسوس بعد فرعون وجنوده طردوا من مصر ليتشتتوا في الأرض.[188]

ومن هذه الأقوال للعالمين المذكورين فإن هؤلاء القوم الذين أطلق عليهم الهكسوس فيما بعد — ومنهم آل فرعون —كانوا أقواما نازحة من آسيا ، حيث كان منهم العموريون الآتين من بلاد ما بين النهرين والشام ، والكنعانيون الشرقيون ، والعماليق البدو، وغيرهم من أجناس أخرى جاءت من بلاد ما بين النهرين والهلال الخصيب وما حوله محملين بثقافات عدة جلبوها من كل الشعوب التي خالطوها ، وتأثروا في عاداهم بثقافات مختلفة أثرت على متغيرات كثيرة في عاداهم اللغوية والحربية والعسكرية والدينية، وأثر ذلك أيضا على معبوداهم وأسماء أعلامهم وأزيائهم بل وحتى في طابعهم المعماري، فتأثروا بأسماء الشعوب التي أتوا منها ومروا عليها ، فكانت في أسمائهم - على سبيل المثال - سمات آرامية وكنعانية وحرّانية وبابلية وغيرها من سمات الأعلام التي استخدمها شعوب تلك المناطق ، فلا شك والحال كذلك بأن أعيادهم أيضا التي كانوا يحتفلون بها وأيامهم التي كانوا يقدسونها كانت تختلف عن الأعياد التي كانت معروفة في مصر ولو من ناحية التسمية وطريقة الاحتفال ، حيث كان المصريون يحتفلون بأعياد أخرى لا يعرفها الفراعنة الهكسوس الذين أتوا من أماكن مختلفة من الشرق ، غير أن لعيد الربيع طابعا خاصا عند المصريين وعند غير المصريين أيضا من شعوب العالم القديم ، فقد كان هناك شبه إجماع عند تلك الشعوب بالاتفاق على الاحتفال بذلك اليوم ، وبالنظر إلى الأعياد المشهورة والتي كانت معروفة في تلك البلاد ، فإننا لا نكاد نجد عيدا مشهورا وشائعا في تلك العصور أكثر شهرة من عيد النيروز أو النوروز - كما يطلقون عليه — ثم إنه قد اقترن أيضا بالربيع حتى في مصر نفسها ، وشعوب تلك المناطق من فرس وأكراد وعراقيين ينسبون أصل ذلك العيد إليهم كلٌّ حسب معتقده وتأريخه، فتارة نجد الفرس ينسبون النوروز إليهم ويقولون بأهم هم أول من احتفل به، بينما ينازعهم الأكراد الادعاء بأهم هم أول من احتفل

[188] محمد بيومي مهران — الحضارة المصرية القديمة — الجزء الثاني

هذا اليوم ويسمونه العيد الأكبر ، بل ونجد عند بعض الاخباريين كلاما يؤكد هذه الوجهة.

يذكر الدكتور والمؤرخ جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام :
"النيروز" عيد شهير من أعياد الفرس من أصل "نو" بمعنى جديد و"روز" بمعنى يوم، أي: أول يوم من السنة الإيرانية الشمسية." أ.هـ[189]

ويقول صاحب كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار – الجزء الثاني :
"النيروز: هو أول السنة القبطية بمصر وهو أول يوم من توت وسنتهم فيه إشعال النيران والتراش بالماء وكان من مواسم لهم المصريين قديمًا وحديثًا"

ثم قال أيضا:

"قال ابن وهب: بردت النار في الليلة التي أُلقي فيها إبراهيم وفي صبيحتها على الأرض كلها فلم ينتفع بها أحد في الدنيا تلك الليلة وذلك الصباح فمن أجل ذلك بات الناس على النار في تلك الليلة التي رمي فيها إبراهيم عليه السلام ووثبوا عليها وتبخروا بها وسموا تلك الليلة: نيروزًا والنيروز في اللسان السرياني: العيد. "

وسئل ابن عباس عن النيروز لِمَ اتخذوه عيدًا؟ فقال: إنه أول السنة المستأنفة وآخر السنة المنقطعة فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف والهدايا فاتخذته الأعاجم سنة"

وقال أيضا :

"قال الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر في تاريخ دمشق من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن فرعون لما قال للملأ من قومه: إن هذا الساحر عليم قالوا له: ابعث إلى السحرة فقال فرعون لموسى: يا موسى اجعل بيننا وبينك موعدًا لا نخلفه نحن ولا أنت فتجتمع أنت وهارون وتجتمع السحرة فقال موسى: موعدكم يوم الزينة قال: ووافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وفي رواية: أن السحرة قالوا لفرعون: أيها الملك واعد الرجل فقال: قد واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الأكبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك اليوم قال: والنوروز أول

[189] المجلد التاسع – الفصل الحادي والخمسون – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

سنة الفرس هو الرابع عشر من آذار (مارس) وفي شهر برمهات ويقال: أول من أحدثه جمشيد من ملوك الفرس وإنه ملك الأقاليم السبعة فلما كمل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيدًا وسماه نوروزًا في اليوم الجديد "

ثم تابع قائلا :

"وقال علي بن حمزة الأصفهاني في كتاب أعياد الفرس: إن أول من اتخذ النيروز جشميد ويقال: جمشاد أحد ملوك الفرس الأول ومعنى النوروز اليوم الجديد والنوروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعي كما أن المهرجان أول الاعتدال الخريفي ويزعمون أن النوروز أقدم من المهرجان فيقولون: إن المهرجان كان في أيام أفريدون وإنه أول من عمله لما قتل الضحاك وهو بيوراست فجعل يوم قتله عيدًا سماه المهرجان وكان حدوثه بعد النوروز بألفي سنة وعشرين سنة".

وقال ابن وصيف شاه في ذكر مناوش بن منقاوش أحد ملوك القبط في الدهر القديم : "وهو أول من عمل النوروز بمصر فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون إكرامًا للكواكب" أ.هـ

ويقول بن كثير في تفسيره :

"{موعدكم يوم الزينة} وهو يوم عيدهم ونيروزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الأنبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ولهذا قال : {وأن يحشر الناس} أي جميعهم {ضحى} أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء ولا ترويج ولهذا لم يقل ليلا ولكن نهارا ضحى" أ.هـ

ويقول القرطبي في تفسيره لنفس الآية عن يوم الزينة:

"وقيل (عن يوم الزينة) : يوم النيروز ذكره الثعلبي" أ.هـ

ومثل ذلك أيضا قد ورد في تفسير فتح القدير وتفسير البغوي وتفسير أبى السعود وتفسير النسفي وفي روح المعاني للآلوسى وزاد المسير وتفسير الكشاف ، كما ذكره صاحب التحرير والتنوير وغيرهم.

وفي المصباح المنير وتاج العروس :

"والنَّيْروز : اسمُ أوّل يومٍ من السَّنَةِ عند الفُرْس عند نُزولِ الشمسِ أوّلَ الحمَلِ وعندَ القِبْط أوّل تُوت كما في المصباح مُعرَّبُ نَوْرُوزٍ أي اليومُ الجَديد" أ.هـ

وعلى ما تقدم فإن النيروز كان معروفا عند شعوب العالم القديم — برغم الاختلاف المحتمل لتوقيته وتسميته عندهم — ولكن أرجح الأقوال أن آل فرعون الهكسوس عماليق مصر كانوا ممن يحتفلون به في توقيت أول السنة الفارسية التي تبدأ بداية برج الحمل أي في أواخر شهر مارس وهذا مما نقلوه معهم من أراضي كنعان وسوريا والرافدين قبل دخولهم إلى مصر ، وهو ما يتوافق مع توقيت بداية فصل الربيع ، ولعل هذا يلقي ضوءا على سبب تسميته بيوم الزينة عند آل فرعون ، فهو توقيت تتوافر فيه الفواكه والثمار والمحاصيل ويعتدل فيه الجو والمناخ وتتفتح فيه الأزهار وتكتسي فيه الأشجار بالخضرة ، ويكون نهاره صحوا معتدلا ، فكان ذلك من أسباب اعتبارهم له بأنه عيدهم الأكبر تماما كما يحتفل به بعض الشعوب حتى يومنا هذا.

ومن هنا نعرف أيضا كيف نزح ذلك العيد — بمسماه المختلف عن مسمى المصريين - مع هؤلاء النازحين من الشرق إلى مصر، وكيف ظلوا على عاداتهم في اتخاذ هذا اليوم عيدا يحتفلون فيه ويتمسكون به حتى بعد استقرارهم في أرض أخرى ووطن جديد ، برغم اختلاف طريقة الاحتفال والمسمى بينهم وبين المصريين.

والعجيب في الأمر أننا نكاد لا نجد شعبا من شعوب العالم القديم إلا ويحتفل بهذا العيد تحت مسمى وطقوس مختلفة بشكل أو بآخر ، فكما ذكرنا فإن الفرس والأكراد- وقديما البابليين وشعوب ما بين النهرين - يحتفلون بهذا العيد تحت مسمى النوروز أو النيروز في اللفظ المعرب ، والمصريون يحتفلون به تحت مسمى شم النسيم في توقيت مقارب ، وجميع الشعوب التي تمت لبلاد وشعوب فارس والعراق وآرام قديما ما زالت تحتفل بهذا العيد إلى يومنا هذا ، ثم إن الأمر الأغرب هو توافق يوم الزينة — يوم مباراة السحرة - في نفس الموعد من السنة مع يوم خروج بني إسرائيل من مصر — كما يقولون في التوراة — حتى تحول هذا اليوم إلى عيد لليهود أيضا باسم عيد الفصح (بالعبرية : بيسح / بيساح / فيساح / بيساك פסח ومنها جائت فساح / فصح باللفظة العربية) أي عيد الخروج أو العبور ، تخليدا لذكرى خروجهم من مصر،

ويحتفلون به سبعة أيام من 15-21 إبريل ، الأول منها عطلة ، والعيد في أصوله البعيدة موصول عندهم بموسم الربيع باعتباره فترة نمو وازدهار وحياة جديدة، ثم صار من بعد يرمز إلى خلاص بني إسرائيل من العذاب في مصر وخروجهم منها بقيادة موسى وهارون ، وهكذا تحول يوم الزينة الذي كان عيدا لدى المصريين (شم النسيم) والآراميين و الفرس والعراقيين (النيروز)، ثم عيدا للملوك الرعاة (الذين احتلوا مصر بالتبعية (يوم الزينة)، تحول هذا اليوم إلى عيدا لليهود (عيد الفصح اليهودي) تخليدا لذكرى خروجهم من مصر.

والعجيب في الأمر أيضا أن النصارى فيما بعد هذه التوقيتات القديمة اتخذوا من هذا اليوم عيدا لهم أيضا تحت مسمى عيد القيامة أو الفصح المسيحي ويحتفل به في أواخر مارس أيضا عند الغربيين ، غير أن المسيحيين الشرقيين يحتفلون به في الفترة ما بين إبريل ومايو من كل عام ، نسبة لنفس موعد احتفال اليهود به حيث كانت المائدة التي نزلت من السماء على الحواريين توافق احتفالهم كبني إسرائيل بعيد الفصح اليهودي أيضا، وعليه يتوافق توقيت عيد النصارى مع عيد اليهود.

ويعود انفصال النصارى عن الأعياد اليهودية إلى العصور الأولى المبكرة للنصرانية ، ولكنهم ظلوا لفترة من الزمن يحتفلون بالفصح النصراني في نفس توقيت احتفال الفصح اليهودي في اليوم الرابع عشر من نيسان(أبريل).

وحقيقة الأمر أن عيد النصف من نيسان سابق على اليهودية ، وكان موجودا في الروزنامة القديمة البابلية الأصل، كما كان موجودا عند العرب القدامى ولاسيما سكان البادية، ويحتفل به رعاة بدو من أجل خير ماشيتهم، ولا يزال هذا التقليد قائما حتى اليوم عند بعض البدو في فلسطين، وكانوا يأخذون بعين الاعتبار القمر والشمس في توقيت العيد، فالشمس لتعيين بدء الربيع عند نضج الشعير، والقمر لتأمين الضوء ليلة البدر.

وقد جرت مراجعة توقيت عيد الفصح المسيحي في مجمع نيقية (نيقوسيا) الذي دعا إليه الإمبراطور قسطنطين في عام 325 بعد الميلاد ، وأثبت المجمع قانوناً لم يزل النصارى يسيرون عليه حتى الآن وهو أن عيد الفصح يقع في الأحد الأول الذي يلي

بدر القمر الواقع في أول الربيع، فكان هناك عنصران لتعيين الفصح ، عنصر شمسي وهو 21 آذار (مارس) يوم التعادل الربيعي وعنصر قمري وهو 14 من الشهر القمري، وهذا يعني أن يكون الأحد الذي يلي بدر الربيع هو عيد الفصح عند جميع النصارى.

وممّا جاء في رسالة الإمبراطور قسطنطين إلى الأساقفة المجتمعين في نيقية ما يلي:

(إنه لا يناسب على الإطلاق، وخاصةً في هذا العيد الأقدس من كل الأعياد، أن نتبع تقليد أو حساب اليهود الذين عميت قلوبهم وعقولهم وغمسوا أيديهم بأعظم الجرائم فظاعةً، وهكذا إذ نتفق كلنا على اتخاذ هذا الأسلوب ننفصل أيها الإخوة الأحباء عن كل اشتراك ممقوت مع اليهود).

وأعطى المجمع لكنيسة الإسكندرية الحق في تعيين يوم الفصح، نظرا لشهرتها البالغة في العلوم الفلكية، وقدرتها على الحساب الدقيق، فكان أسقف الإسكندرية يعين تاريخ عيد الفصح، مباشرةً بعد عيد الغطاس، ويُعلم بذلك أساقفة الكراسي الأخرى.

وقبل انعقاد هذا المجمع كانت كنيسة الإسكندرية قد غضت النظر عن الحساب اليهودي، واتخذت لنفسها قاعدة خاصة جعلت عيد الفصح يقع بعد أول بدر بعد اعتدال الربيع في الحادي والعشرين من آذار، وهو ما اعتمده مجمع نيقية و تتبعته جميع الكنائس في العالم الآن.[190]

وهكذا نرى أن هذا العيد كان يمثل أهمية خاصة لدى الكثير من شعوب الشرق القديم تحت مسميات وطقوس مختلفة تختلف من شعب لآخر ومن زمن لآخر ، غير أن الملفت في الأمر أن يتوافق توقيت يوم الزينة — كما نرجح — مع توقيت الخروج في نفس الموعد من العام.

وتذكر التوراة أن اليهود قد اختاروا - على حَدِّ زعمهم - ذلك اليوم بالذات لخروجهم من مصر حتى لا يشعر بهم آل فرعون أثناء هروبهم حاملين معهم ما سلبوه من ذهب القوم وثرواتهم؛ لانشغالهم بالاحتفال بعيدهم، ويصف ذلك "سِفْر الخروج"

---

[190] ويكيبيديا : عيد القيامة

من "العهد القديم" بأنهم: "طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابًا، وأعطى الرّب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين".[191]

وفي القرآن الكريم يقول تعالى :

"قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ".

ولا شك أنه لا ينبغي علينا أن نغفل تلك المحاولة الواضحة من النَّيل من المصريين والتشنيع عليهم لحقد اليهود غير الخفي على مصر والمصريين ، فهاهم يعمدون إلى وضع بعض النبوءات التى تنذر المصريين بالشر الوبيل وسوء العاقبة ، وبالرغم من معرفتهم أن فرعون لم يكن مصرياً بالمرة ، وإنما هو من الفراعنة الهكسوس أقرباء بنى اسرائيل.

يقول الدكتور مصطفى محمود: "لا تذكر مصر فى التوراة إلا ويتهددها رب إسرائيل بالويل والثبور وعظائم الأمور"، وتكاد تكون التوراة منشوراً سياسياً ضد مصر ، فالحقد اليهودى أو الإسرائيلى على مصر وشعبها قديم ، ويخطئ من يظن أن هذا الحقد وتلك الكراهية وليدا اليوم أو البارحة ، إبان حرب (1948) أو ما تلاها من حروب وجولات ، بل إن الصراع بين المصريين واليهود له جذور تمتد فى أعماق التاريخ .

ولأنهم بدلوا التوراة التى نزلت على موسى عليه السلام ، وألصقوا بها وعد الرب لهم بفلسطين، عرفوا أنهم لن يقر لهم فيها قرار ما دامت مصر متماسكة متحدة، فراحوا يضيفون أسفاراً نسبوها لأنبيائهم، وملأوا هذه الأسفار بما تتمنى صدورهم، أن يصيب مصر والمصريين من خراب وتدمير وفرقة وتقتيل .

وما يهمنا من هذا البحث هو بيان أن الهكسوس العماليق قد احتفلوا بهذا العيد وهو يوم الزينة في جميع أنحاء البلاد التي سكنوا فيها قبل دخولهم إلى مصر ، فكان عيدا لهم في سوريا وكنعان والرافدين والأردن ثم نقلوه معهم إلى مصر ليحتفلوا به على طريقتهم التي تخالف طريقة المصريين كما هو واضح كما يختلف في توقيته أيضا.

[191] سفر الخروج 12 : 36

الأوتاد من صفات العماليق وثقافتهم:

تناقضت الأقوال كثيرا في تفسير لقب "ذو الأوتاد" الذي التصق باسم فرعون في بعض آيات القرآن الكريم ، وقرأنا الكثير من التفسيرات غير المقنعة التي حاولت التحايل على المعنى الأصلى أو المقاربة بين اللفظ وبين الصورة الذهنية المألوفة عن فرعون.

فنقرأ كثيرا عن الذي فسر الأوتاد بالملك الراسخ ، ومنهم من دلل عليها بأنها تدل على العظمة والجاه والسلطان ، ومنهم من فسرها على أنها الجنود الكثيفة ، ومنهم من فسرها بالأهرام ، بل ومنهم من قال إن الأوتاد هي المسلات ، والمفسرين لذلك بأنها الأهرام والمسلات إنما حاولوا التقريب بين اللفظ وبين الصورة التي رسموها لفرعون على أنه ملك مصري صاحب ملك عريض ومبانٍ شاهقة وصروح عظيمة.

لكن كل هذه التفسيرات قد جانبها الصواب وابتعدت كثيرا عن المعنى الحقيقي للأوتاد المقصودة ، مع أن الأحاديث النبوية الصحيحة وما ورد في الأثر الصحيح عن الصحابة الكرام فيه ما يدل بشكل قاطع على معنى الأوتاد المذكورة.

يقول الدكتور محمد راشد:

من المعلوم أن البدو الرحل الذين يحترفون مهنة الرعي يعتمدون على الأوتاد في حياتهم ولا يكاد يتسطيع أحدهم أن يعيش بدونها فهم يربطون دوابهم بها كما يستخدمونها في تثبيت خيامهم التي يأوون إليها طلبا للظل والراحة والخلود للنوم.

وقد اختلف في تفسير الأوتاد فمنهم من قال إنها الأهرامات أو المسلات أو اللوحات أو الساريات ومنهم من قال إنها الأعتكدة الضخمة التي ترتفع في أروقة المعابد وأبهائها أو تلك الصروح الضخمة التي تتقدم واجهات المعابد في شكل جبلين عظيمين.

لكن لفظ الأوتاد المذكور في القرآن هو جاء لفظا شاملا مانعا جامعا مما يعني انطباقه في الشكل والهيئة فضلا عن الغرض والوظيفة.

ونستنتج من هذا أن المقصود بالأوتاد هنا هي تلك التي يستخدمها البدو الرعاة الذين دخلوا مصر إبان ضعفها في نهاية الدولة الوسطى في تثبيت الخيام وربط الدواب.

وهناك تفسير آخر لارتباط فرعون بالأوتاد حيث استخدمها في وثق وربط امرأته بها بعد أن أعلنت إيمانها بإله موسى آخذا في تعذيبها حتى فارقت روحها جسدها.[192]

إن وصف فرعون بأنه " ذو الأوتاد " تتناسب مع طبيعته البدوية وأصول قومه الذي جاء منهم ، فالأوتاد هي دعائم الخيام ، كما أنها من وسائل التعذيب التي كان يستخدمها قومه ، وتذكر الأحاديث الصحيحة قيامه بتثبيت الأوتاد لتعذيب امرأته السيدة آسية وكذلك استخدامه الأوتاد في الصلب.

أما في التفاسير والآثار الصحيحة من أقوال الصحابة والسلف الصالح فنجد ما يلي:

– ففي الأثر الصحيح من كلام أبي هريرةَ قال:

إنَّ فرعونَ أوتَدَ لامرأتِه أربعةَ أوتادٍ في يدَيها ورجْلَيها فكان إذا تفرَّقوا عنها أظلَّتْها الملائكةُ فقالت ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فكُشِفَ لها عن بيتِها في الجنَّةِ.[193]

– وفي أثر آخر عن أبي رافعٍ قال:

وتَّدَ فرعونُ لامرأتِهِ أربعةَ أوتادٍ ثم حمل على بطنِها رحًى عظيمةً حتى ماتتْ.[194]

– وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال:

كانتِ امرأةُ فرعونَ تُعذَّبُ بالشَّمسِ ، فإذا انصرَفوا عنها أَظلَّتْها الملائكةُ بأجنحتِها، وكانت تَرى بيتَها في الجنَّةِ.[195]

كما نجد في التفاسير كتفسير ابن كثير والطبري والقرطبي وغيرهم جمعا غفيرا من أقوال السلف رضوان الله عنهم أجمعين يؤكدون ذات المعنى ومنها:

عن مجاهد قال: كان يوتد الناس بالأوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير، والحسن، والسدي.

---

[192] تاريخ ملوك مصر القديمة – دكتور محمد راشد حماد – دار الكتاب العربي 2013

[193] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة وابن حجر في المطالب العلية وقال صحيح موقوف وصححه الألباني رحمه الله وقال أثر موقوف وإسناده صحيح على شرط مسلم

[194] قال الألباني رحمه الله : صحيح لكنه مع وقفه مرسل السلسلة الصحيحة

[195] قال الألباني في السلسلة الصحيحة : صحيح على شرط الشيخين

عن سعيد بن جُبير قال: كان يجعل رجلا هاهنا ورجلا هاهنا، ويدا هاهنا ويدا هاهنا بالأوتاد.

وعن سعيد بن جُبير أيضا قال: كان له منَارات يعذّبهم عليها.

قال السدي: كان يربط الرجل، كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فتشدخه.

قال العوفي، عن ابن عباس: الأوتاد: الجنود الذين يشدون له أمره. ويقال: كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حَديد يعلقهم بها.

وقال ثابت البناني، عن أبي رافع : لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحًى عظيمة حتى ماتت.

وقال البعض : لأنه كان إذا أراد قتل خصومه فإنه كان يضرب لهم في الأرض أوتادا يشد إليها أطرافهم، ثم يقتلهم بالنبال.

وقال بعضهم : كان يربطِ الرجل في كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشرخه بها.

وقال آخرون: بل ذلك لأنه كان يعذّب الناس بالأوتاد.

وقال آخرون: بل قيل له ذلك لأنه كان يُوتِد الناس بالأوتاد.

وقال آخرون: إنما قيل ذلك لأنه كان له بنيان يعذّب الناس عليه.

ويعلق ابن جرير الطبري قائلا بعد أن عدد الأقوال المختلفة في تفسير الأوتاد : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: عُنِيَ بذلك: الأوتاد التي تُوتَد، من خشب كانت أو حديد، لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد، ووصف بذلك لأنه إما أن يكون كان يعذّب الناس بها كما قال أبو رافع وسعيد بن جبير وإما أن يكون كان يلعب له بها.

وهكذا نرى بالدليل القاطع الذي لا يقبل الجدل أن الأوتاد هي أوتاد حقيقية ليست كناية عن معنى آخر ولم تستخدم في النص القرآني أو في غيره للتدليل على معاني وتأولات بعيدة عن المعنى الحقيقي لها ، ففرعون لقب بـــ " ذي الأوتاد " لأنه كان يعذب خصومه وضحاياه بالأوتاد إما بتعذيبهم بها في الصحراء تحت أشعة الشمس الحارقة وباستخدام الحجارة الثقيلة وهي الصورة النمطية المعروفة للتعذيب عند

العرب في الجزيرة العربية وغيرها وهو ما حدث مع مشركي قريش عندما قاموا بتعذيب المسلمين في بداية ظهور الإسلام وانتشار الدعوة ، كما أنه كان يستخدم الأوتاد للتمثيل بأجساد الضحايا وقطع أطرافهم إمعانا في العذاب وهو ما يدل على غلظة قلبه وقسوته ، وفيما يبدو كانت الأوتاد أحيانا من خشب وأحيانا من معدن ، وقد استخدمت أيضا في صلب الخصوم وشد أجسادهم في جزوع النخل.

آلهة فرعون :

قال القرطبي في التفسير : وفى التنزيل : "وَقَالَ الْمَلأ مِن قَوْمِ فرعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأرض وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْـيِي نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ" (127) الأعراف

قَالَ الْحَسَن : كَانَ فِرْعَوْن يَعْبُد الْأَصْنَام ، فَكَانَ يَعْبُد وَيُعْبَد . قَالَ سُلَيْمَان التَّيْمِيّ : بَلَغَنِي أَنَّ فِرْعَوْن كَانَ يَعْبُد الْبَقَر . قَالَ التَّيْمِيّ : فَقُلْت لِلْحَسَنِ هَلْ كَانَ فِرْعَوْن يَعْبُد شَيْئًا ؟ قَالَ نَعَمْ ; إِنَّهُ كَانَ يَعْبُد شَيْئًا كَانَ قَدْ جُعِلَ فِي عُنُقه. وَقِرَاءَة الْعَامَّة " وَآلِهَتك " كَمَا تَقَدَّمَ ، وَهِيَ مَبْنِيَّة عَلَى أَنَّ فِرْعَوْن اِدَّعَى الرُّبُوبِيَّة فِي ظَاهِر أَمْره وَكَانَ يَعْلَم أَنَّهُ مَرْبُوب . وَدَلِيل هَذَا قَوْله عِنْد حُضُور الْحَمَّام ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ 90 يُونُس

فَلَمْ يُقْبَل هَذَا الْقَوْل مِنْهُ لَمَّا أَتَى بِهِ بَعْد إِغْلَاق بَاب التَّوْبَة . وَكَانَ قَبْل هَذَا الْحَال لَهُ إِلَه يَعْبُدهُ سِرًّا دُون رَبّ الْعَالَمِينَ جَلَّ وَعَزَّ ; قَالَهُ الْحَسَن وَغَيْره . قَالَ الزَّجَّاج : كَانَ لَهُ أَصْنَام صِغَار يَعْبُدهَا قَوْمه تَقَرُّبًا إِلَيْهِ فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ ; وَلِهَذَا قَالَ : أَنَا رَبّكُمْ الْأَعْلَى.

قَالَ إِسْمَاعِيل بْن إِسْحَاق : قَوْل فِرْعَوْن أَنَا رَبّكُمْ الْأَعْلَى

يَدُلّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ شَيْئًا غَيْره ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الْمُرَاد بِالإلاهَةِ عَلَى قِرَاءَة اِبْن عَبَّاس الْبَقَرَة الَّتِي كَانَ يَعْبُدهَا .

وَقِيلَ : أَرَادُوا بِهَا الشَّمْس وَكَانُوا يَعْبُدُونَهَا ، وفى تفسير بن كثير : قَالَ بَعْضهمْ : كَانَ لِفِرْعَوْن إِلَه يَعْبُدهُ قَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ كَانَ لِفِرْعَوْن إِلَه يَعْبُدهُ فِي السِّرّ ، وَقَالَ فِي رِوَايَة أُخْرَى كَانَ لَهُ حَنَّانَة فِي عُنُقه مُعَلَّقَة يَسْجُد لَهَا.

الطين المحروق ... الفرق بين عمارة العماليق والعرب وبين عمارة القبط المصريين:

قال تعالى :

"وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ" (القصص:38).

وقال تعالى:

"وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ" (غافر : 36 - 37).

يحدثنا القرآن الكريم عن ظاهرة غريبة عن عادات المصريين القدماء التي نعرفها من خلال كل الميراث الذي تركوه لنا من خلفهم منذ آلاف السنين ، فيخبرنا الله تعالى من خلال هذا الحوار الذي دار في الماضي بين فرعون وبين هامان أنه يطلب من وزيره هامان أن يوقد له على الطين لإنشاء صرح ، والصرح هو المبنى الضخم الشاهق الارتفاع، لكن الذين لديهم العلم والخبرة المناسبة يعلمون جيدا أن المصريون لم يستخدموا الطين المحروق ولم يوقدوا أبدا على الطين أو يحرقوه في أي منشأة من منشآتهم ، فالمعابد كانت تبنى بالحجر والصخور ، وكذلك المقابر التي كانت أحيانا ما تبنى بالأحجار مثل المعابد أو عن طريق استخدام المغارات الطبيعية ، أما البيوت والقصور فكانت تبنى بالطوب اللبن المخلوط بالقش ثم تطلى بطبقة ناعمة من المصيص قبل تلوينها وتزيينها.

لكن وحتى نستطيع فهم طبيعة عمارة المصريين واستخدامهم للطوب اللبن علينا اولا أن نعرف ماذا تعنى كلمة طوب وما هو اصلها ؟ ومتى كان استخدام هذه المادة فى البناء ؟ وكيف كانت طريقة تصنيعه قديما؟ وماهي اهميته وسبب البناء به ؟ ثم هل يوجد شيئا يدل على بنايات للطوب اللبن للمصرى القديم حتى الآن ؟

كلمة طوب فى الحقيقة هى كلمة مصرية قديمة كانت تنطق دوب ثم عربت تدريجيا لأن اصبحت طوبا وهى مصنوعة من الطمى والماء المستخرج من النيل مضافا اليهما قليلا من التبن (القش الناعم).

وعرف المصرى القديم الطوب واستخدمه لفترة تزيد عن خمسة الاف سنة الا انه تخلى عنه بالطوب الاحمر وبالحجارة فى الخمسين سنة الاخيرة.

وكانوا أولا يأتون بالتراب أو الطمى النيلى ثم يضاف له القليل من الماء والتبن ويوضع فى قوالب خشبية ليأخذ الشكل المرغوب ثم يترع القالب ويترك تحت اشعة الشمس ليجف بعدها يشرع فى استخدامه فى بناء والبيوت والقصور.

ومن المعروف بدون شك ان المصرى القديم اهتم اهتماما كبيرا بفكرة الخلود والدار الاخرة من هنا كان لابد من الاهتمام بتشييد مكان ينتقل منه المصرى القديم الى الدار الاخرة بأمان فبدأ بتصنيع الطوب اللبن وبنى به القبور بشئ من البساطة فى البداية ثم حركت تدريجيا الى ان اصبحت بما نراه الان من مقابر ومعابد.

ومازلنا حتى اليوم نجد الاماكن والمبانى التى نجت من الفيضان والتى كانت فى الطقوس الحارة فى أقصي الصعيد في مصر ومنها قرية دير المدينة فى الأقصر شمال وادى الملوك والتى كانت مقراً للعمال والحرفيين الذين قاموا ببناء مقابر المصريين القدماء قديما ايضا هرم اللاهون الذى بناه الملك سنوسرت الثانى من الاسرة الثانية عشر يقع هذا الهرم على بعد 22 كيلو متراً من مدينة الفيوم وهو بناء بالطوب اللبن مكسو بطبقة من الحجر الجيرى فى النهاية لم يحافظ على هذا الارث المعمارى حديثا سوى من سكن فى صعيد مصر اى فى اسوان والاقصر وبعض مناطق الصعيد القروية ويرجع هذا الى طبيعة ما تنتجه هذه المواد اى الطوب اللبن من رطوبة صيفية ودفئ شتائى لساكنيها.[196]

ولم يوقد المصريون على الطين أبدا عبر تاريخهم إلا في صناعة الأواني الفخارية والخزف فلم يكن استخدام الطوب المحروق من ثقافتهم ولا من طريقتهم في البناء.

أما في الحضارات المحيطة فقد كان ذلك مألوفا ومعروفا منذ القدم ونستطيع أن تبين ذلك في كل الحضارات القديمة كحضارة سومر وبابل وآشور وماري وفي كل المدن الفلسطينية كأريحا ومجدو وغيرها من الممالك القديمة، بل وما زال مستخدما في كثير من البلدان العربية مثل اليمن وغيره.

---

[196] أوقد لي على الطين .. عمارة العماليق – بقلم الآثارى/ محمد الشاعر

وقد كانت عمارة العماليق على نفس الأنماط فهم بأنفسهم كانوا من صناع تلك الحضارات المذكورة وكانت حضارتهم مبنية على هذا النوع من الإنشاءات في إقامة القصور والأسوار والمخازن والمستودعات وغيرها من المنشآت المتنوعة باستخدام الطوب المصنوع من الطين المحروق الذي يوقد عليه في أفران خاصة ، وهو يشبه إلى حد كبير قوالب الطوب الأحمر الذي نستخدمها في العصر الحديث مع فارق الأحجام بالطبع.

وكانت تلك الحصون المنيعة التي شيدها الهكسوس قد استعصت على دخول قوات الأمير الطيبي أحمس الأول إليها لمدة ثلاث سنوات متتالية كما استخدموا الطوب المحروق وهو مايسمى بالطوب الآجر في إقامة بعض المنشآت وهو ما لم يعرفه المصريون إلا خلال الأسرة التاسعة عشرة واستخدموه على نطاق ضيق ولكنه لم يلق ترحيبا من المصريين فتخلوا عنه حتى أدخله الرومان إلى مصر ولم يكتب له الانتشار في مصر إلا في منتصف القرن العشرين بعد الميلاد .[197]

وتتواتر الأدلة الأثرية والتاريخية التي تخبرنا عن براعة الهكسوس في استخدام الطين المحروق كمادة للبناء – عكس المصريين القبط تماما – واعتمدوا على ذلك في بناء مدنهم المحصنة وأبراجهم وفي جميع البنايات الطينية الموجودة في اليمن والجزيرة العربية والشام والعراق ، وتمثل مباني أريحا وتحصيناتها نموذج ممتاز للأبنية الطينية المحروقة التي كان يستخدمها الهكسوس ويتقنون صناعتها[198]

لقد عرف كثير من الممالك والإمارات سواء في بلاد الهلال الخصيب أو في مصر القديمة تشييد الصروح ولكن المصريين لم يشيدوا تلك الصروح أبدا طوال تاريخهم من الطوب المحروق الذي لم يستخدموه أو عزفوا عن استخدامه رغم علمهم به لأسباب تتعلق بطبيعة الظروف المناخية في بلادهم أو لأسباب اقتصادية لتوفير الوقود المستهلك في حرق الطين في منافع أخرى أكثر أهمية فضلا عن أسباب أخرى وإنما استخدموا كتل الأحجار الجيرية وغيرها في بنائها وذلك ابتداءا من عصر الدولة الوسطى.

---

[197] نور الدين عبد الصمد.

[198] فرعون وقومه كانوا هكسوس – مؤمن محمد سالم

ولا ينطبق مع ما أمر به فرعون وزيره هامان على حال المصريين القدماء في بناء الصروح وإنما ينطبق على حكام شاع استخدام الطوب المحروق في منشآتهم كما استخدموا الطوب المحروق وهو مايسمى بالطوب الآجر في إقامة المنشآت وهو ما لم يعرفه المصريون مثلما عرفه ملوك وأمراء الممالك والإمارات الشرقية الذين يتوافر في بلادهم الوقود اللازم لحرق كميات هائلة من الطوب اللبن.

إن هذا الأمر الملكي الذي صدر من فرعون لهامان لا ينتمي لحاكم من جنس المصريين القدماء فرغم أن المصريين قد عرفوا الطين المحروق على نطاق ضيق خلال أواسط عصر الدولة الحديثة وخاصة الأسرة التاسعة عشرة واستخدموه في أثاثات منشآتهم المختلفة وبعض أعمدتها إلا أنهم قد قنعوا بتشييد مساكنهم سواء لملوكهم أو أشرافهم وغيرهم من الطبقات الأخرى في المدن أو القرى من الطوب اللبن خلال عصورهم المختلفة.

ولنتخيل معاً حين يعود موسي عليه السلام لمصر آتيا من مدين، ويواجه حاكمها "فرعون"، ويدور بينهما الحوار التاريخي، وتبلغ المواجهة ذورتها حين يطلب فرعون من وزيره "هامان"، أن يبني له "برجا من الطين"....... لكي يطَّلع إلى إله موسي، بزعمه، والمفارقة الكبري هنا تتمثل في صعوبة تخيل أن مصر ذات حضارة العشرة الآلاف عام، التى عاش ملوكها وسط المعابد الحجرية الشاهقة والأهرامات السامقة والمسلات التى تناطح السماء، يأتي ملكها ليطلب من وزيره في لحظة تحدٍ تاريخية علي رؤوس الأشهاد، أن يبني له برجا من "الطين اللَّبن". فهذا الطين كان أساس الحضارة الكنعانية وغيرها من حضارات أخري في المنطقة، لكن ليس من بينها المصرية بكل تأكيد.[199]

وبالرغم من أنه خلال فترة .الاحتلال اليوناني الروماني لمصر في عصور لاحقة قد درج حكامها الأجانب على تشييد أكثر منشآتهم من الطوب المحروق إلا أن المصريين

---

[199] عمرو عبدالرحمن – الأكذوبة اليهودية الكبري – مقالة – جريدة الاتجاه الالكترونية

قد ظلوا يستخدمون الطوب اللبن و لم يرضوا عنه بديلا حتى النصف الثاني من القرن العشرين بعد الميلاد.[200]

حيث بدأوا يتخلون عما اعتادوا عليه في بناء منشآتهم بالطوب اللبن وبدأوا يشيدونها من الطوب الأحمر وغيرها من أنواع الطوب الأخرى المختلفة.[201]

أما الصرح نفسه الذي أمر فرعون وزيره هامان أن يبنيه يذكرنا بما كان واقعا في بابل (باب إيل أو با إيلو يعني باب السماء بالآرامية أو البابلية القديمة) نظرا لما كان معروفا من أنه كان في بابل القديمة برجا عاليا له نوافذ من ناحية السماء للنظر إلى النجوم ، وقد كان أناس من أهل بابل في ذلك الوقت عبدة للنجوم والكواكب وكانوا يديمون النظر إليها من خلال ذلك البرج، ولأجل ذلك سميت بابل Babylon (بابيلون/باب إيلون) أي باب السماء.

وهو ما يدل أيضا على أن ثقافة إنشاء الصروح والأبراج العالية التي تطل إلى السماء هي ثقافة آسيوية سامية كانت معروفة لدى قبائل العماليق في أماكن كثيرة ومنها شعوب بابل والرافدين التي تنتمي إلى نفس قبائل العماليق التي ينتمي إليها الهكسوس عماليق مصر.

إن هذه الآية لهي إشارة واضحة وعلامة ناصعة على هوية فرعون وقومه ، فلا نتخيل ملكا مصريا يطلب من وزيره أن يوقد له على الطين لبناء أحد الصروح وهي ثقافة غريبة على المصريين في كل عصورهم ، لكن البديهي هو أن قائل تلك العبارة وطالب هذا الطلب الغريب لا يمكن إلا وأن يكون من نفس ثقافة هؤلاء القوم الذين يبنون حضارتهم بالطين المحروق وما برج بابل الذي يحكى عنه في التاريخ عنا ببعيد فلقد ذكر كثيرا في المصادرة البابلية القديمة أنه قد بني بالطين الذي يتم تقويته بالحرارة وتعريضه للنار أما في حضارات سوريا وفلسطين فجميع أطلال المدن والممالك القديمة التي عثر عليها تظل شاهدا على هذه الثقافة وتظل كل تلك الأدلة شاهدا على فرعون

---

[200] بوزنر .ج : معجم الحضارة المصرية القديمة

[201] دكتور محمد راشد حماد – تاريخ ملوك مصر القديمة – دار الكتاب العربي

وقومه الهكسوس العماليق وأصلهم الذي أتى من بلاد الشرق الأدنى من عرب وشام وغيره.

إننا حين نتكلم عن بزوغ الحضارة المصرية القديمة وحواضرها لا يفوتنا أن نضع خطا تحت شواهد بناء هذه الحضارة ومن أهم تلك الشواهد مادة مصنوعة من طمى النيل الذى حباه الله لأرض مصر ألا وهى الطوب اللِّبنُ.

أما شعوب شبه الجزيرة العربية فقد دأبت على بناء بيوتا من الطين،بل بنوا ناطحات سحاب من الطين وإذا رجعنا سريعا لقوله تعالى (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) [القصص:38] .لنستنتج أن قوم فرعون إعتمدوا على الطين المحروق فى بناء الصروح العاليه،وهذا واضح وجلى فى البنايات الطينيه الموجوده فى شبه الجزيره العربيه (بشكل إحترافي)

إن محل بحثنا هو إستخدام الطين المحروق لبناء صرح عالى فى زمن (فرعون وموسى) وليس بحثنا هو مجرد إستخدام الطين فى بناء المنازل الريفيه وبالتالي لا بد أن نعرف لماذا أمر فرعون وزيره هامان أن يستخدم الطين بطريقة ما لبناء صرح عالى ، والإجابه هى لأن فرعون وقومه أتوا فى الأصل من شبه الجزيره العربية والشام التى انتشر فيهما قديما ظاهرة بناء الصروح العاليه من الطين.

إن الحضاره الطينية هى حضارة بناء مازالت مستمره عبر العصور إلى يومنا هذا فى شبه الجزيرة العربيه،رغم تراجعها فى العقود الأخيره .إذن بناء الصروح بالطين قديما هو ماكان يحدث فى شبه الجزيرة العربيه والشام ،مما يؤكد بأن العماليق الهكسوس كانوا معتمدين على الطين المحروق فى بناء الصروح العاليه،وهذا بالفعل ما يفسر قول فرعون الهكسوسى لهامان: "فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً "،مما يدلل على أن فرعون وقومه كانوا من قبائل العماليق من شبه الجزيرة العربية والشام .

وفي اليمن استمرت حضارة البنايات العالية المبنية بالطين كثقافة قديمة وأزلية فى شبه الجزيرة العربية.

إذن هذا دليل جديد يثبت أن فرعون وقومه كانوا من العماليق وأتوا من شبه الجزيرة العربية والشام وعاشوا بمصر، واستخدموا الطين المحروق فى بناء الصروح

العاليه،تماما كما كان يستخدم منذ زمن قريب فى شبه الجزيره العربية والشام بشكل احترافى لعمل صروح عالية من الطين.



عينة من أبراج عسير الطينية بجنوب الجزيرة العربية



أبراج ومباني اليمن والتي تعد أقدم ناطحات سحاب طينية في العالم



أحد العمارات الطينية في حضرموت



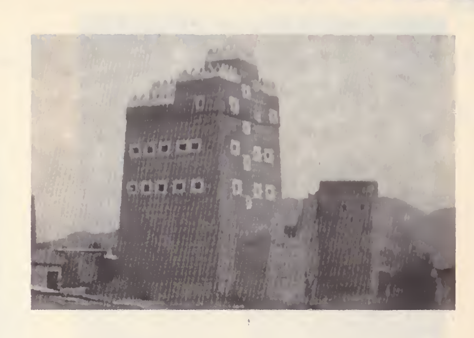
أعلى منارة في جنوب الجزيرة العربية مصنوعة من الطين وارتفاعها 53 م



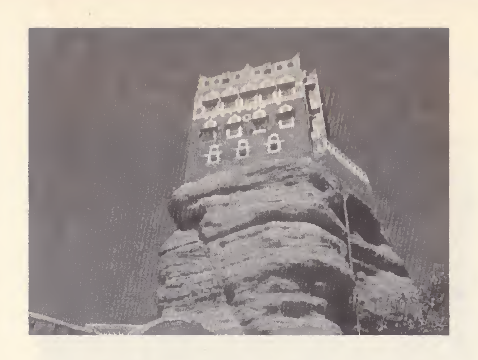
قصر الإمارة التاريخي بنجران على مساحة تزيد عن 2600 م وهو مصنوع بالكامل من الطين



قصر العان بنجران وهو مصنوع من الطين أيضا



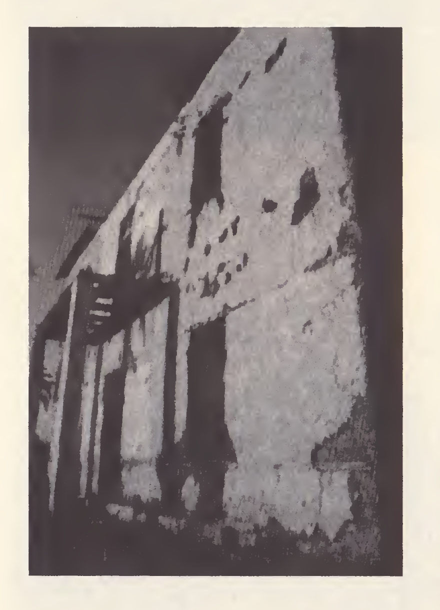
جانب من أحد الأبراج الطينية باليمن



برج طيني مبني على تبة في غرب الجزيرة العربية



قصر السبيعي في مدينة شقراء مصنوع من الطين



مبنى طيني قديم بمدينة أريحا القديمة بفلسطين

ميراث أرض مصر وميراث الأرض المقدسة بكنعان وسقوط إمبراطورية العماليق في مصر والشام:

قال تعالى :

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الشعراء

وقال تعالى :

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الدخان

فما الفارق بين بين ميراث الأرض في الآية الأولى والآية الثانية ؟ وهل ورث بنو إسرائيل أرض مصر بعد هلاك فرعون وقومه ؟ وكيف يرثون أرض مصر وهم بالكاد قد خرجوا منها ؟

تضارب كبير ذلك الذي أصاب جميع المفسرين والباحثين في تلك النقطة فأصبحت معضلة تاريخية بكل المقاييس ، وسبب هذا التضارب ببساطة أن كل من حاول تفسير الآيات لم يضع في حسبانه حقيقة هؤلاء القوم الذين حكموا مصر والشام وبلاد اخرى في نفس الوقت، إن الآيتين تؤرخان بوصف دقيق لسقوط مملكة العماليق في مصر والشام وباقي النواحي التي حكموها ، وتصف أيضا أن ملكهم في أرض كنعان والأرض المقدسة قد سقط وحل محله حكم بني إسرائيل ولو بعد فترة وجيزة من الزمان هي فترة القضاة التي قضاها بني إسرائيل بين شد وجذب وقتال مع قبائل العماليق في كنعان ، أما في مصر فقد استرد المصريون أرضهم وورثها مرة أخرى بعد أن فقدوا الملك عليها أثناء فترة حكم هؤلاء العماليق الهكسوس ، وبذلك فإن آية الشعراء تصف سقوط حكم العماليق في أرض كنعان والأرض المقدسة ليرثها بنو إسرائيل من بعدهم ، وهو ما تدل عليه ألفاظ الآية من سورة الشعراء حيث ورد فيها

الجنات والعيون والكنوز وهي من صفات أرض الشام عموما. وأرض فلسطين على وجه الخصوص ، وكان ذلك تأكيدا على الميراث الذي وعد الله به بني إسرائيل إذا ساروا على منهج الله عز وجل فيقول الله تعالى في سورة الاعراف:

"وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" الأعراف 137

والآية الأخيرة تتحدث بمنتهى الوضوح عن الأرض التي "باركنا فيها" أي الأرض المقدسة وهي التي وُعد بها بنو إسرائيل إذا ساروا على منهج الله وأوفوا بالعهد.

ويقول تعالى في سورة القصص :

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾. سورة القصص 5-6

وهي آية واضحة الدلالة في الحديث عن بني إسرائيل دون غيرهم فهم الوحيدون الذين كان يحذر منهم فرعون وهامان وجنودهما إلا أن الله حقق وعده بجعلهم الوارثين للأرض المقدسة التي كان يسكنها العماليق أيضا وهم إخوة لقوم فرعون الهكسوس الذين عاشوا في مصر في نفس الآونة وكان ملك مصر امتدادا لملك إخوانهم في الأرض المقدسة حتى أورثها الله لبني إسرائيل من بعدهم.

أما آية سورة الدخان فتصف سقوط حكم الهكسوس الفراعنة عمالقة مصر في أرض مصر التي حكموها حوالي القرنين من الزمان ليرث حكمها المصريون من جديد، وهو ما يظهر أيضا في ألفاظ الآية حيث ورد فيها الجنات والعيون لكن هذه المرة ذكرت الآية أن من صفات تلك الأرض هي الزروع والمقام الكريم وهي صفة أصيلة لأرض مصر في ذلك العصر القديم والتي اشتهرت أكثر من غيرها بالزروع الغزيرة والغلال الوافرة وهو ما أهلها أن تكون خزائن الأرض أثناء المجاعة بلا منازع.

إن مسألة توريث الأرض لقوم آخرين يختلفون في سياق الآية عن الطائفتين المحوريتين في القصة وهما بنو إسرائيل وآل فرعون ، وبالتالي جاء وصف المصريين بـ "القوم الآخرين" وصفا مناسبا تماما لأن المصريين لم يكونا طرفا في الصراع

الدائر بين موسى وفرعون ، وبالتالي كان المصريون في هذه المعادلة التي تتكون من بني إسرائيل وآل فرعون طرفا غريبا عن المعادلة وبالتالي كان لا بد من وصفهم بأنهم " قوم آخرين" ، فمصر بعد خروج الرعاة ورثها أبناء الأرض الأصليين وهم المصريين الذين كانوا مستضعفين أيضا وقت وجود المحتل ، فالذي يرث هو صاحب حق فى الميراث ومعنى هذا الكلام أن من ورث أرض مصر هم المصريين اصحابها، وبيت المقدس ورثها بنو إسرائيل بعد هزيمتهم للقوم الجبارين بقيادة يوشع بن نون (والايات توضح ذلك في موضعين).

وبهذا يظهر دقة اللفظ القرآني الذي فرق بين المكانين الذين تم توريثهما وهما مصر وكنعان والوارثين في كلا الموضعين بعد سقوط ملك العماليق في كل منهما فأورث مصر للمصريين من جديد وأورث الأرض المقدسة في كنعان فلسطين لبني إسرائيل حتى حين ، وهذا يثبت من جديد أن من كان يحكم مصر والشام وكل ممالك الشرق الأدنى في ذلك العصر هم العماليق وكل القبائل المتحالفة معهم في كل تلك البلاد ، وأن فرعون كان ملكا للعماليق الذين حكموا مصر.

يقول الدكتور محمد راشد : "خروج آل فرعون الهكسوس من الجنات والعيون في مصر والشام وانهيار امبراطورية الهكسوس وتشتيتهم في الأرض"[202]

لقد فقد الهكسوس العماليق السيادة على مصر وأملاكها في بلاد الشام نتيجة لهلاك أكثرهم وإن بقي منهم جيوش قليلة نسبياً فقد أصبحوا مجرد أسرى ورقيق مهانين ومقهورين أو شتتوا في أراض نائية بعيدة عن العمران.

وقد كان لفرعون وقومه من الهكسوس نفوذ عسكري كبير على بلاد الشام حيث كانت خاضعة لسلطتهم وحكمهم وأنه عندما غرق فرعون وآله وجنوده في البحر على إثر المعجزة الإلهية التي أيد بها الله نبيه موسى فقدوا هذا السلطان وانهارت مملكتهم وخرجوا من هذه الأرض إلى الأبد ليرثها بنو إسرائيل والمصريين من بعدهم.

أما المصريون القدماء (القبط) فلم يخرجوا أبدا من أرضهم ولم يتركوها لأي سبب من الأسباب رغم ما أصابها من مجاعات واحتلال أجنبي كما أنهم لم يتعرضوا لإبادة

---

[202] ملوك مصر القديمة – محمد راشد حماد – الناشر : دار الكتاب العربي

جماعية كبيرة كغيرهم من قوم ثمود وعاد مثلا وأنه لا يزال جنسبهم يعيش على أرض مصر وحتى تقوم الساعة إن شاء الله.[203]

جنات وعيون مصر القديمة:

أنكر البعض أن يكون خروج فرعون وقومه من مصر أرض القبط الواقعة بوادي النيل لمجرد أن ظاهر الآيات تدل على أن خروجهم المذكور كان من جنات وعيون ، وادعى البعض أن مصر يندر فيها في الوقت الحالي في العصر الحديث وجود العيون والآبار وهو أمر طبيعي لأن الآبار والعيون لاتدوم طويلا مثل الأنهار ، فالعيون تنضب وتنتهى ويفجر الله عيونا أخرى فى أماكن أخرى،وقد مرت قرون عديدة منذ فترة غزو الهكسوس لمصر ، وحدثت تغيرات مناخية وجيولوجية كثيرة أدت إلى اختفاء الكثير من الآبار والعيون القديمة ، وقد فصلنا في الفقرة السابقة الفرق بين آية سورة الشعراء وآية سورة الدخان ، وأن التفريق بينهما إنما كان بسبب الاختلاف اللفظي بين كنوز الشام وزروع مصر ، وأن ذلك لا يمنع من خروج الهكسوس عماليق مصر من مصر والجبابرة عماليق الشام من فلسطين والأرض المقدسة.

لكن ذكر الجنات والعيون في آية سورة الدخان كما في قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾

يدل على وجود جنات وعيون في تلك الأرض التي تركها فرعون وقومه وأُخرجوا منها ، وهو ما دفع بعض الكتاب والمفكرين والمؤرخين لإنكار وقوع القصة في أرض مصر بالكلية ! وهو أمر مثير للعجب فعلا ، إذ كيف تكون أرض مصر موصوفة ومعروفة بمياه النيل الغزيرة والأراضي الزراعية الخصبة ثم توصف بعد ذلك بالعيون والآبار ، فهل كان بمصر القديمة عيون وآبار ؟

---

[203] نور الدين عبد الصمد.

لقد كانت أرض مصر القديمة عامرة بالعيون والمياة الجوفية والآبار التي كانت منتشرة في مدن مصر القديمة جنبا إلى جنب مع مياه النيل وفروعه التي كانت عديدة في ذلك الزمان.

وليس أدل على ذلك من تلك الآثار المنتشرة في مدن مصر القديمة وفي وادي النيل بأرجائه المختلفة لتلك الآبار والعيون القديمة وقد تم تسجيل وجودها في غالبية مدن الوجهين القبلي والبحري في مصر.

فقد اشتهرت مصر القديمة بكثرة البساتين حول القصور وحول منازل الأثرياء، وقد كانت الزراعة في مصر القديمة تعتمد أساسا على النيل وتنتشر على جانبيه من الصعيد إلى الدلتا، وكانت الحقول والبساتين المجاورة للنيل وتفرعاته وقنواتها تُرْوَى باستخدام بعض الوسائل البسيطة كالشادوف والدلو لرفع الماء إلى مستوى التربة، وأما المناطق الأبعد عن مجرى الماء فيستلزم لريها حفر آبار حيث لا يحتاج الوصول لمستوى الماء جهد كبير، وكانت الآبار ذات أهمية أكبر في المعابد المتطرفة والمناطق غير الزراعية أو غير المأهولة كما في سيناء، فقد كان لمصر قديمًا قلاع على طريق شمال سيناء نحو سوريا وفلسطين ومحاجر في الجنوب، وقد تُستَشْكَل الإشارة في القرآن الكريم إلى كثرة عيون الماء في مصر القديمة باعتبار وفرة مياه النيل والتصور بعدم الحاجة إلى الآبار، ولكن مصادر علم الآثار تشير إلى أن الآبار قد استخدمت في مصر القديمة على الأقل منذ بداية عهد المملكة الجديدة حيث وجدت عدة آبار عامة غير آبار البيوت؛ وكان لها سلالم حلزونية تصل إلى مستوى الماء ، وفي آخر اكتشاف حديث في أكتوبر 2009 وجدت آثار أربعة آبار مطمورة تُنسب لمعبد بمصر القديمة تابع للمعبودة موت Mut بمنطقة صان الحجر؛ اثنان منهما دائريان بعرض 210-220 سم والآخران مربعان، وفي قوله تعالى :﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الزخرف: 51؛ يتفق مع المعرفة بشبكة مياه الري في عصر المصريين القدماء التي هيأت قديما لاستغلال أكبر مساحة للزراعة، ويَسَّر فرع قديم للنيل ممتد إلى خليج السويس وصول السفن الشراعية إلى البحر الأحمر وتوسعة رقعة التجارة البحرية، وفي قوله تعالى :﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الدخان: 25 نستطيع أن نستوعب أن يرد لفظ (جنات) مع توفر مياه النيل وفروعه،

كما نستطيع استيعاب لفظ العيون الأقل وفرة في الماء ووجوده من ضمن المصادر الطبيعية في سياق بيان بالغ الرخاء[204] .



آثار الآبار في صان الحجر وهي مدينة بررعمسيس أو تانيس في مصر القديمة

[204] جنات وعيون مصر القديمة – مقال للدكتور محمد دودح عضو ومؤسس للهيئة العالمية للاعجاز العلمي في القرآن بتصرف.



آثار بئر كان يغتسل بها كهنة معبد أبيدوس في مصر القديمة

إنذار العماليق بمصير قوم نوح وعاد وثمود واقتران ذكر آل فرعون بقوم تبَّع:

قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون :

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة غافر

هذه الآيات تحمل دلالات قاطعة على هوية قوم فرعون ، فمؤمن آل فرعون وهو رجل من قوم فرعون كان يكتم إيمانه يحذر قومه من مصير قوم نوح وعاد وثمود ، ولا يتصور أحد من الناس أن المصريين في هذا الزمان وهم من الحاميين الأفارقة أبناء حام يمكن أن يتم تحذيرهم من مصير أقوام بعيدة عنهم مثل قوم نوح وقوم عاد وثمود الذين عاشوا في مابين الجزيرة العربية والرافدين ، بينما عاش المصريين في وادي النيل المنعزل لفترات طويلة عن تلك المناطق ، فلم يعاصر المصريون هؤلاء الأقوام و لم يخالطوهم ، وبالتالي فإنه ليس من المنطق أن يتم إنذارهم بمصير أقوام لم يروها و لم يعايشوها و لم يسمعوا عنها وليس لديهم أخبارها.

إن من ينذر قومه بمصير "قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ" لا بد أن يكون رجلا ينتمي لقوم قد وفدوا من تلك البقاع في الجزيرة العربية والشام والعراق ، يعرفون مصير هذه الأمم الهالكة تمام العلم ولديهم أخبارهم ، فلن يكون للإنذار أي وقع أو تأثير على أناس لا يعرفون مصير هؤلاء الهالكين.

لذلك فإن مؤمن آل فرعون الذي هو فرد من قبائل العماليق يحذر قومه من آل فرعون العماليق مصير إخوانهم وأبناء عمومتهم من القبائل السامية الآخرى كثمود وعاد ومن قبلهم قوم نوح ومن بعدهم من أقوام أخرى عاشت في نفس المناطق وكلها أقوام سامية عاشت في مناطق الشام والعراق والجزيرة العربية بعيدا عن مصر التي لا يعرف قومها تلك الحضارات الغريبة عنهم[205] .

إن فرعون وقومه كانوا على علم بأقوام نوح وعاد وثمود وما حدث لهم من انتقام إلهي نتيجة لكفرهم ومخالفتهم أنبيائهم والذي تمثل في الطوفان والريح العقيم والصيحة ولقد أقاموا في شبه الجزيرة العربية وبلاد الهلال الخصيب وكان من صفاتهم الجبروت وهي من أبرز صفات فرعون وقومه أيضا.

---

[205] فرعون وقومه كانوا هكسوسا و لم يكونوا مصريين – مؤمن محمد سالم .

ومن المعتقد أن المصريين القدماء لم يكن لديهم علم بأقوام نوح وعاد وثمود خلال عصر الدولة الحديثة أو حتى العصر السابق لها بسبب بعد المسافة بينهم وبين هذه الأقوام فهؤلاء في قارة آسيا وأولئك في قارة أفريقيا.[206]

وهذا كله يدل على أن فرعون وقومه من الهكسوس العماليق يعرفون اقوام نوح وعاد وثمود ، أما القبط المصريين فلا يعرفوهم في ذلك الوقت وهذا دليل قرآني آخر قاطع الدلالة على أن فرعون وقومه كانوا من الهكسوس العماليق و لم يكن للمصريون القبط أي علاقة برسالة موسى عليه السلام.

يقول المهندس عاطف عزت :" إنه يحدثهم عن قوم نوح وعاد وثمود وكلها أقوام من العماليق الأعراب الذي يعرف تاريخهم جيداً لأنهم أجداده ، فهو مثلاً لم يحدثهم عن قوم إدريس لأنهم مصريون و لم يحدثهم عن لقمان ذلك الحكيم المصري (هذا بغض النظر عن الرسل والمنذرين لكافة أمم الأرض ومنها الصين والهند وفارس وهى أمم ذات علوم وحضارات عظيمة) فقط يحدثهم عن قوم (نوح) الأعراب ، وقوم (عاد) وكانوا عرباً يسكنون الأحقاف ، وقوم (ثمود) وكانوا عرباً عاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك . والذين من بعدهم أي (الذين أرسلوا إلى أقوامهم المحتلة لمصر) "[207]

و لم تقتصر معرفة قوم فرعون بقوم نوح وعاد وثمود فقط ، فقد دللت الآيات أنه هناك ثمة علاقة بين فرعون وقومه وقوم تبع.

قال تعالى في سورة الدخان :

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

---

[206] دكتور محمد راشد – ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام – نشر دار الكتاب العربي.

[207] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

والآية 34 السابقة من سورة الدخان هي موضع الربط بين قوم فرعون وقوم تبع ، حيث تشترك الفئتان في كفران الآخرة وإنكار البعث والحساب .

وقوم تبع هم من أهل سبأ وكانوا يعيشون في بعض جهات شمال شبه الجزيرة العربية قبل أن يهاجروا إلى اليمن ويستقروا بها وكانوا إذا ملك فيهم ملك أسموه تبعا وأنهم كانوا ذوي قوة وبأس شديد فرضوا سيطرتهم وهيمنتهم على غيرهم من الأمم في عصرهم وقد قارنهم الله تعالى بأقوام أخرى كانت لا تؤمن بالآخرة ولا بالبعث ولا النشور ودليلهم في ذلك أن الموتى لا يمكن إعادة الحياة لهم مرة أخرى كما أنه لا دليل على عودة أحد من الأموات إلى الحياة الدنيا وقدم مثلا لهؤلاء الأقوام وهم فرعون وقومه مما يعني أنهم كانوا جميعا بدوا عاشوا في شبه الجزيرة العربية وقد ورثوا معتقداتهم الدينية جيلا بعد جيل ولم يتخلوا عنها لحظة واحدة وهو تطابق في كفران الآخرة والمعتقدات الدينية.

وهم بذلك من عماليق الجزيرة العربية وإخوة العماليق الهكسوس الذين حكموا مصر لكنهم هاجروا إلى اليمن وهاجر العماليق الهكسوس إلى مصر وهم بذلك يعدوا من قبائل العماليق أيضا ، وهذا ما يتطابق مع رواية أن سنان بن علوان ملك العماليق الهكسوس كان أخا للضحاك بن العلوان ملك اليمن.

الجدير بالذكر أن تلك الأقوام الغابرة لم تمر على ثقافة المصريين ولم نجد لهم أي أثر في جميع آثارهم وكتاباتهم الغزيرة.

فرعون الأبتر:

كان فرعون أبتر ، يعني منقطع الأثر وليس له من يعقبه من الأولاد خاصة الذكور، وهي إشارة جلية جدا وواضحة من آيات القرآن الكريم، حيث قالت له زوجته كما في القرآن الكريم:

﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ سورة القصص

وطبعا لا يمكن لشخص عنده بنين وذرية أن يقال له "عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا"، وهو بالطبع ما كان يفتقر إليه فرعون حيث لم يكن له ولد يرثه ولا أبناء يخلفونه في ملكه.

أما البنات ففيما يبدو أنه كان له إبنة حيث ذكر في حديث ماشطة بنت فرعون وهو حديث ضعفه بعض أهل العلم لكن صححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله:

" لما كانت الليلة التي أُسري بي فيها أتت علي رائحة طيبة فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها قال : قلت : وما شأنها قال : بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يديها فقالت: بسم الله فقالت لها ابنة فرعون : أبي قالت : لا ولكن ربي ورب أبيك الله قالت: أخبره بذلك قالت : نعم فأخبرته فدعاها فقال : يا فلانة وإن لك ربا غيري قالت: نعم ربي وربك الله فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها قالت له: إن لي إليك حاجة قال : وما حاجتك قالت : أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا قال : ذلك لك علينا من الحق قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدا واحدا إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع وكأنها تقاعست من أجله قال : يا أمه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت قال : قال ابن عباس : تكلم أربعة صغار عيسى بن مريم عليه السلام وصاحب جريج وشاهد يوسف وابن ماشطة ابنة فرعون".[208]

وهو ما يعني إن صح هذا الحديث أن فرعون كان له ابنة ولم يكن له أبناء ذكور كما ورد في الآية ، وتؤكد التوراة هذه المعلومة حيث تقول :

فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ. سفر الخروج 2 : 5

ويقول ابن خلدون:

"وولد عمران بمصر وولد هارون لثلاث وسبعين من عمره وموسى لثمانين فجعلته أمه في تابوت وألقته في ضحضاح اليم وأرصدت أخته على بعد لتنظر من يلتقطه

[208] رواه عبدالله بن عباس كما في مسند أحمد – وقال الشيخ أحمد شاكر :إسناده صحيح

فتعرفه فجاءت ابنة فرعون إلى البحر مع جواريها فرأته واستخرجته من التابوت فرحمته وقالت هذا من العبرانيين فمن لنا بظئر ترضعه فقالت لها أخته أنا آتيكم بها وجاءت بأمه فاسترضعها له ابنة فرعون إلى أن فصل فأتت به إلى ابنة فرعون وسمته موسى"[209]

وعلى فرض صحة هذه الروايات فإن فرعون لم يكن لديه ولد يرثه ، لكن في حالة أنه قد ولد لفرعون ذكر بعد واقعة التقاط موسى عليه السلام فإن واقعة الغرق قد قضت أيضا على كل وريث للعرش عند فرعون حيث غرق هو وآله جميعا.

وجدير بالذكر[210] أن الادعاء بأن فرعون هو رمسيس أو أي ملك آخر من ملوك القبط المصريين القدماء يخالف ما ورد بالقرآن الكريم الذي ورد به قوله تعالى : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (50)﴾ سورة البقرة.

وهذا يعني أن جميع أسرة فرعون الذين لهم حق خلافته على عرش مصر قد غرقوا معه جميعا مما يستنتج منه انتهاء حكم هذه الأسرة لينتقل الحكم إلى أسرة أخرى من قبائل الهكسوس لكن حكم تلك الأسرى الثانية لم يكتمل ، وانتهى بحرب المصريون لهم وطردهم خارج البلاد .

الجائحة الشنعاء ودليل آخر من ورقة ساليه[211]

أشار تمرين مدرسي لتلميذ مصري يدعى بنتاؤر إلى جائحة شنعاء وقعت في بلد العامو (أواريس):

"حدث أن أرض مصر كانت في جائحة شنعاء و لم يكن للبلاد حاكم يعد ملكا في هذا الوقت وقد حدث أن سقنن رع كان حاكما على المدينة الجنوبية طيبة لكن الجائحة الشنعاء كانت في بلد العامو أواريس".

---

[209] تاريخ بن خلدون

[210] دكتور محمد راشد – ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام – نشر دار الكتاب العربي

[211] انظر الفصل الخامس لمزيد من المعلومات عن ورقة ساليه والجائحة الشنعاء

وقد حدد النص المشار إليه الجائحة الشنعاء قد وقعت في أرض العامو (أورايس) حيث أقاموا فيها واتخذوها عاصمة لهم في شرق الدلتا حيث كانت قريبة من الأراضي الزراعية الشاسعة فضلا عن البحيرات والمستنقعات التي تعد موطنا للضفادع والبعوض والجراد الذي أشارت إليه التوراة حينما تحدثت عن الابتلاءات التي أصابت فرعون وقومه.

غرق فرعون ملك مصر وجنوده وجنود هامان وزيره وهما أكبر قبيلتين في التحالف وأكثرهما قوة وعتادا وجنودا وبالتالي غياب ملك مصري قوي يعيد وحدة البلاد بعد انقسامها ويفرض سلطانه عليها من أقصاها إلى أقصاها .[212]

وسيأتي ذكر تلك الجائحة الشنعاء ووقائع ورقة ساليه في الفصل القادم عند الحديث عن الخروج.

التبني عادة من عادات العماليق الهكسوس لم تكن عند المصريين:

لم يكن المصريون يهتمون بالتبني و لم يشكل دورا هاما في حياهم ، لكنا نراه يتكرر في قصة يوسف عليه السلام وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه.

قال العزيز لامرأته :

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ سورة يوسف

وتقول امرأة فرعون لزوجها:

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ سورة القصص

نفس المقولة في الموقفين : "عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً" ، إذن فهي ثقافة طائفة بشرية معينة وهي من ثقافة العماليق ، وهذا أكبر دليل على إنهما من شعب واحد، بعقلية واحدة ، ويستخدمون عبارات واحدة بل وبنفس المفردات والترتيب.[213]

---

[212] محمد راشد – ملوك مصر القديمة منذ عهد إبراهيم حتى عهد موسى – دار الكتاب العرب

[213] عاطف عزت

ففي المقابل لم تذكر النصوص المصرية القديمة عن تبني أحد حكامها أو امرأته أي طفل لعدم قدرتهما على الإنجاب لأن وراثة العرش الملكي كانت تنتقل من أسرة إلى أخرى عن طريق الأنثى الحاملة للدم الملكي وبهذا يضمن عدم وجود صراعات بين الأسر المالكة حيث يرتبطون بعضهم البعض بصلات القربى التي تخلقها الإناث.[214]

إذن فالتبني عادة غريبة عن القبط المصريين القدماء ولا علاقة لهؤلاء القوم بالمرة بالمصريين ، وهو ما يثبت أيضا أن حكام مصر في عهد يوسف وموسى عليهما السلام كانوا من الهكسوس العماليق الذين يعرفون عادة التبني واتخاذ الأولاد من غير نسلهم وهي عادة عربية أيضا لا تختلف كثيرا بلدان الجزيرة العربية عنها في الشام وباقي بلاد الشرق الأدنى منذ عصور قديمة وتوجد أدلة تاريخية وأثرية كثيرة تثبت ذلك.

التطير من صفات العرب والعماليق:

لم يكن التطير من عادات المصريين القدماء القبط و لم يرد نص واحد يتحدث عن التطير في نصوص مصر القديمة ، والتطير هو التشاؤم وهي عقيدة من العقائد الباطلة الخرافية ، وقد كثرت تلك العادة وانتشرت عند العرب منذ أقدم عصورهم ، ولم يكن العماليق بكل أنواعهم وقبائلهم استثناءا من هذا الأمر.

وعادة إطلاق الطير والاستدلال بمساره كانت منتشرة عند شعوب الشام القديم أيضا ونجدها في آثار ممالك سومر وبابل وكنعان وسوريا وغيرها من ممالك الشرق الأدنى القديم.

أما عمالقة مصر الذين تسموا بالهكسوس وكان منهم آل فرعون فقد ظهر ذلك في سلوكهم حين تعاملوا مع موسى عليه السلام وقومه بمنطق التطير والتشاؤم في كل ما طرأ عليهم من أحداث ونكبات فكانوا يعتبرون موسى وقومه هم السبب المباشر في وقوع المصائب وهو من التشاؤم المذموم الذي كان من عادات هؤلاء القوم.

---

[214] نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة — مصر والشرق الأدنى — الجزء الرابع

قال تعالى :

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (131) الأعراف

ومن الثابت تاريخيا أنه من عادة قبائل البدو في آسيا خاصة أولئك الذين أقاموا في بقاع مختلفة في شبه الجزيرة العربية وبلاد الهلال الخصيب حيث كانوا يزجرون الطير فإن طار يسارا تشائموا وإن طار يمينا تفائلوا وعزموا على تنفيذ مقاصدهم إذ يعتقدون أن ما يعتزمون القيام به ستحل به البركة ويكلل بالنجاح وإن رجع وعاد الطير إليهم ألغوا ارتباطاهم وأعمالهم وكافة مشاريعهم كما تعدى ذلك إلى الطيور التي تحلق في السماء فإذا حلقت في سماهم البوم والغرابيب تشاءموا بينما لم تكن حركات الطيور عند المصريين القدماء ترتبط بالتفاؤل أو بالتشاؤم بل كان الكثير من الطيور محل تقديس وتبجيل ورفع بعضها إلى مصاف الآلهة ومنها الصقور والنسور وطيور أبو منجل وغيرها.[215]

عقوبة الرجم عند العرب والعماليق الهكسوس:

ويشير القرآن الكريم إلى استخدام الرجم كوسيلة للتعذيب فنجد موسى عليه السلام يستعيذ بالله العظيم من أن يرجمه قوم فرعون :

﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝١٩ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ۝٢٠ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ۝٢١﴾ الدخان

كما أشارت التوراة أيضا إلى الرجم في عهد موسى وهم نفس القوم الذي أشار القرآن إليهم والذي يستعيذ موسى عليه السلام منهم وهم قوم فرعون.

" فدعا فرعون موسى وهرون وقال أذهبوا أذبحوا لإلهكم في هذه الأرض. فقال موسى لا يصح أن نفعل هكذا. لأننا إنما نذبح رجس المصريين للرب إلهنا ، إن ذبحنا رجس المصريين أمام عيوهم فلا يرجموننا" خروج 8 - 25، 26

---

[215] دكتور محمد راشد – ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام – نشر دار الكتاب العربي

كما شرعه الله تعالى لبني إسرائيل كعقوبة عن جريمة الزنا وهتك العرض في التوراة.[216]

الختان عادة مصرية قديمة من عادات القبط وسنة من سنن التوحيد منذ بدء الخليقة والشرائع الإبراهيمية لم يعرفها الهكسوس العماليق:

ووفقا للتوراة فإنه حينما عثرت "ابنة فرعون" على الوليد أو الطفل الرضيع بداخل صندوق طافيا على سطح الماء أيقنت أنه من بني إسرائيل حيث وجدته مختونا ، فقد درج بنو إسرائيل على ختان أطفالهم في اليوم السابع من ميلادهم وذلك على عادة أبيهم إسحق الذي ختنه والده إبراهيم الذي اختتن أيضا هو وأهل بيته وخدمه جميعا في وقت سابق.

فإذا كان من التقطوه من الماء مصريون من القبط لم يكن الختان ليسترعي انتباههم لأن المصريين القدماء كانوا أسبق من بني إسرائيل في ختان أطفالهم وكان يختن أطفال الأسرة الملكية في اليوم السابع من مولدهم بينما بقية الأطفال في مصر القديمة كان يتم ختانهم في مرحلة الصبا بما يقارب السن الذي ختن فيه إبراهيم ولده إسماعيل.

إذن فابنة فرعون - وفقا لرواية التوراة - أو زوجته وفقا لرواية المؤرخين العرب كانت ابنة حاكم من الهكسوس الذين لم يكونوا يختنون أبنائهم ولا يأخذون بسنة إبراهيم في الختان رغم علمهم به ولذا فقد استرعى انتباهها ختان الطفل.[217]

وبما أننا افترضنا أن القوم الذين التقطوا موسى عليه السلام من اليم هم من الهكسوس العماليق ، فقد يقول قائل أن المصريون أيضا يختتنون ، فلماذا لم يشك آل فرعون في أن يكون الطفل مصريا وليس عبرانيا ؟

والإجابة بسيطة جدا عن هذا السؤال ، فقد كانت الواقعة في أوراريس مقر حكم الهكسوس القُريبة من أرض جاسان التي كان يسكن فيها بنو إسرائيل ، وتم إلقاء الطفل في التابوت من أحد مواقع جاسان الواقعة في الجنوب من أوراريس لتصل إلى

---

[216] تاريخ ملوك مصر القديمة - د.محمد راشد — دار الكتاب العربي

[217] تاريخ ملوك مصر القديمة — محمد راشد — دار الكتاب العربي

الموضع الذي كانت به النسوة مجتمعين للاغتسال في النهار إلى الشمال من بيت أم موسى عليه السلام ، وتلك المنطقة بأكملها كانت تسمى "أرض رعمسيس" كما ورد بالتوراة ، بينما كان المصريون يطلقون عليها أيضا "أرض العمو" أي أرض العماليق أو الهكسوس مثلما ورد في ورقة ساليبه التي تقص بداية حرب المصريين ضد الهكسوس وطردهم من مصر.

إذن لم يكن للمصريين وجود في "أرض العمو" وإنما كانت مسكونة بالهكسوس العماليق والعبرانيين ، وكان التمييز بالختان دليلا قويا على هوية قوم فرعون الذين لم يكونوا مختتنين ولا يتبعون الشرائع السماوية في ذلك ، بخلاف العبرانيون بني إسرائيل الذين كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام ، وكذلك بخلاف المصريون الذين كانوا متمسكين ببقايا التوحيد القديمة في دياناتهم ، غير أن المصريون لم يكونوا من سكان "أرض العمو" في ذلك الوقت ، وبالتالي فإن الطفل المختون يجب أن يكون من الطائفة الوحيدة التي كانت تختتن وتعيش في ذات الوقت على تلك الأرض بجوار الهكسوس العماليق ، وكانت تلك الطائفة هي بنو إسرائيل.

عقوبة الصلب تثبت أن آل فرعون من العماليق:

تطالعنا حقيقة هامة مرتبطة بعقوبة الصلب التي استخدمها فرعون ضد السحرة ألا وهي تطابقها مع عقوبة أحد الفتيين الذيْن دخلا السجن مع يوسف عليه السلام.

وقد حُكم على هذا الفتى بالإعدام بأسلوب الصلب مع قطع اليدين والرجلين من خلاف وتركه للطيور الجارحة لتفترسه وتنهش في لحمه قطعة قطعة أمام عينيه وكان يشهد إعدامه كافة الموظفين والعاملين بالقصر الملكي حتى يكون ذلك موعظة لكل من تسول له نفسه منهم التآمر على حياة الملك.[218]

ولم تكن عقوبة الإعدام في مصر القديمة تتم بأسلوب الصلب لكن اتبعت وسائل الأخرى منها الخوزقة[219]

---

[218] زاهية الدجاني – يوسف في القرآن الكريم والتوراة

[219] محمد بيومي مهران – مصر – الجزء الثالث

ولم تشر النصوص إلى قطع الأيدي والأرجل من خلاف إلا في عهد مرنبتاح من ملوك الأسرة التاسعة عشر في الدولة الحديثة.[220]

ويبدو أن هذا الأسلوب في تنفيذ عقوبة الإعدام كان قاصرا على قبائل البدو العماليق في آسيا وحينما تمكنوا من دخول مصر والاستيلاء على عرشها وحكموا أهلها كانوا يعاقبون الجناة سواء من قومهم أو من غيرهم بالصلب.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾

ويبدو أن الصلب كان معروفا في عهد الملك الذي عاصر يوسف عليه السلام حيث ورد في القرآن كما سبق الإشارة إلى ذلك قوله تعالى :﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ يوسف

وهذا يعني أن الصلب في جزوع النخل كان عقوبة لبعض الجرائم التي تتعلق بتهديد حياة حكام الهكسوس أو استقرار ملكهم.

ولم يعرف المصريون القدماء القبط الإعدام بأسلوب الصلب إلا في مرحلة متأخرة في تاريخهم وخاصة في عهد الملك مرنبتاح الذي أخذه عن بعض الممالك في آسيا أو عن حكام الهكسوس إذ ورد نقش يذكر ذلك يرجع إلى السنة الرابعة من عهد هذا الملك نصه : "إنما قطع من خلاف وصلب"

بل إن هذا شرع سماوي قديم أخذه الناس واستمروا في تنفيذه وخاصة من القبائل الآسيوسة مثله في ذلك مثل شريعة الختان التي استمر استخدامها في مصر دون غيرها ، وهو مما تبقى من عقيدة التوحيد الموروثة عن أوائل البشر،حيث لم يثبت أن أسلوب الصلب عرف في مصر القديمة حتى الأسرة التاسعة عشرة وقد أخذوه إما عن هؤلاء الحكام الهكسوس أو من بعض الإمارات أو الممالك الآسيوية.[221]

---

[220] دكتور محمد راشد – ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام – نشر دار الكتاب العربي

[221] رشدي البدراوي – قصص الأنبياء والتاريخ – الجزء السادس

يقول تعالى في سورة الأعراف :

﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠) قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) ﴾ الأعراف

ويقول تعالى في سورة طه :

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) ﴾ طه

والمتأمل في الأمر يجد أن تماثل تلك العقوبة مع العقوبة التي أقرها فرعون ضد السحرة في عصر موسى عليه السلام وتكرارها بتلك الكيفية يجب أن يشير بمنتهى الوضوح إلى أن القوم الذين كانوا يحكمون مصر في زمن يوسف عليه السلام هم نفس القوم الذين كانوا يحكمونها في زمن موسى عليه السلام ، وأن الملك المعاصر ليوسف وهو الريان بن الوليد العمليقي ، وفرعون ذو الأوتاد الملك المعاصر لموسى عليه السلام هما من الهكسوس العماليق لتماثل العقوبة المتبعة.

هل كان السحرة مصريين ؟

قال تعالى في سورة الشعراء :

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (٤٦) قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (٤٨) قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

من الأمور المستغلقة التي لا يستطيع أي متأمل لتلك القصة أن يخلص إليها هو هوية السحرة الذين خاضوا مباراة السحر مع موسى عليه السلام ، لكني أميل إلى كونهم غير مصريين مثل حكامهم الهكسوس العماليق الوافدين من خارج بلاد وادي النيل.

فعن ابنِ مسعودٍ وابنِ عبَّاسٍ وغيرِهما من الصَّحابةِ ، في قولهِ تعالَى : ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ، قالوا : التَقَى موسَى عليه السَّلامُ وأميرُ السَّحَرةِ ، فقال له موسَى : أرأيتُكَ إنْ غلبتُكَ أتؤمنُ بي ، وتشهدُ أنَّ ما جئتُ به حقٌّ ؟ قال السَّاحرُ : لآتينَّ غدًا بسحرٍ لا يغلِبهُ سِحرٌ ، فواللهِ لئنْ غلبتَنِي لأُومننَّ بكَ ولأشهدنَّ أنَّك حقٌّ . وفرعونُ ينظرُ إليهما ، قالوا : فلهذا قالَ ما قال[222] .

وهذه الرواية تظهر تحاور موسى عليه السلام مع السحرة بشكل مباشر ودون حاجة إلى مترجم حيث يبدو من الحوار أنه يفهمهم ويفهمونه بلا أي عوائق في تبادل الحوار.

والسحر وإن كان معروفا في مصر القديمة فقد كان معروفا أيضا في فلسطين وبابل كان منتشرا انتشارا كبيرا في كل بلاد الشرق ومنها الشام والهلال الخصيب وقصة سليمان عليه السلام تبين ذلك ، وقد اتهم جميع الأقوام السابقة لفرعون وموسى أنبياءهم بالسحر لأنهم جميعا عرفوا السحر ومارسه افراد منهم.

لكن بعض الباحثين التقطوا إشارات قرآنية من بعض الآيات تدل على إكراه فرعون للسحرة بممارسة السحر وطلبهم الأجر في مقابل ما سيقومون به في منافسة موسى عليه السلام.

يقول تعالى في سورة طه:

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾

---

[222] الراوي - :المحدث :ابن كثير -المصدر :تفسير القرآن- العظيم الصفحة أو الرقم3/455 : خلاصة حكم المحدث :إسناده مشهور

واعتبر البعض أن التعبير القرآني "وما أكرهتنا عليه من السحر" يدل على أن السحرة كانوا مصريين في حين كان فرعون من الهكسوس.

لكن نعود إلى بضع آيات، تسبق تلك الآيات المذكورة حيث يقول تعالى في سورة طه أيضا :

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤)﴾ سورة طه

ويبدو من تلك الآيات أن سحرة فرعون لديهم نفس المخاوف والهواجس من الإخراج من الأرض وهي نفس الهواجس التي انتابت فرعون وملأه حين كذب موسى في بداية لقاءه به وتخويفه لقومه بشكل دائم ومستمر من أن موسى سيتسبب في خروجهم من أرضهم التي اعتبروها كذلك بسبب طول بقائهم بها لكنها في الواقع كانت أرض المصريين القبط سكان وادي النيل من قبلهم.

تعالى في قول فرعون:

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ الأعراف110

وقال تعالى :

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ طه57

وقال تعالى :

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ الشعراء35

وقال تعالى في قول فرعون :

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾الأعراف123

وقال في قول ملأ فرعون :

﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ يونس78

إذن فقد كان السحرة من قوم فرعون و لم يكونوا من المصريين القبط وهذا ما يبدو ظاهرا من تلك الدلائل السابقة التي وردت في الآيات.

دمار آثار فرعون وقومه ... وهل تم تدمير ما تبقى من آثار الهكسوس بفعل فاعل ؟

قال تعالى :

"ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون"

لا يستطيع أحد من الناس مهما كانت درجة علمه وبراعته وذكاءه أن يدعي بعد قراءة هذه الآية ومعاودة قرائتها مرات عديدة أن آثار الملوك المصريين القبط سكان وادي النيل قد تم تدميرها بالكامل كما تصف الآية ، وأنا أزعم بيقين أن كل محاولات تفسير الآية لم تصب هدفها لأنها خرجت عن سياقها ولم تضع الآية في مناسبتها السليمة ولا أحداثها الدقيقة.

إن الكارثة الكبرى التي أصابت أمتنا في هذه الأيام أن كل من يحاول قراءة قصة موسى وفرعون في الأيام الحالية من المسلمين أو من غيرهم لا يقرأها إلا من نافذة توراتية دون أن يشعر.

لقد نجح اليهود للأسف من "تورَتة" الأفكار لدرجة أنهم جعلوا المسلمين أنفسهم يستميتون في الدفاع عن أفكار يهودية بل وصهيونية صرفة استطاعوا بدهائهم أن يجعلوها مسلمات في عقيدة المسلمين وغير المسلمين ، لكن تأتي لحظة محددة تصطدم فيها المعتقدات المشوهة بصخرة الواقع وهو ما يحدث عندما يأتي أي إنسان معاصر يعتقد بأن فرعون من قدماء المصريين ثم يقرأ تلك الآية " ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" ، فتجده إما تصيبه الحيرة ولا يستطيع تفسير هذا التناقض ، وإما أن يبدأ في لي عنق الآيات وتطويعها على المعنى التوراتي الذي تسرب إلى وعيه دون أن يشعر وترسخ في عقله وذهنه خلال رحلة طويلة من تزييف الوعي ساهمت فيها كتب التاريخ المغلوط والمناهج الدراسية المقولبة والخطاب الديني الذي يعتمد على

إسرائيليات مدسوسة وتفسيرات توراتية للقرآن فيخرج من تلك القراءة لآيات القرآن بتفسيرات وتأويلات بعيدة كل البعد عن الحقيقة.

فالدعاة ورجال الدين قد رددوا ما ادعاه الصهاينة في تلك القصص المقدسة واستسهلوا النقل عن الإسرائيليات فأصبحوا من أكثر المروجين لها وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت أنهم قد شكلوا غلاف خارجي متين يحمى الأساطير اليهودية ذلك لأنهم أدخلوها في صلب ألبني الإيمانية لدياناتهم (الإسلامية) فأصبحوا الخط الأمامي لجبهة القتال اليهودية وظل همهم وشاغلهم ترديد تلك الأساطير والدفاع عنها وتبريرها.[223]

لم يرد في القرآن شيء يفيد أن الله تعالى قد دمر آثار المصريين التي يجدها الجميع تملا شرق البلاد وغربها وتنتشر انتشارا واسعا من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها!

فهل دمر الله تعالى آثار المصريين ؟ إذن ما كل تلك الآثار التي تملأ جنبات مصر؟ بل وما زالت يكتشف الجديد منها كل يوم.

إن معنى الآية واضح تمام الوضوح لا يحتاج إلى تأويلات بعيدة ولا إلى تفسيرات توراتية ولن أقتبس من هنا أو من هناك لأحاول الاستشهاد بأقوال عالم مصريات أو أستاذ جامعي أو مؤرخ مشهور ، فالآية تقول بمنتهى الوضوح أن الله سبحانه وتعالي قدر قضى بدمار كل ما كان يصنع فرعون وقومه وكل ما كانوا يبنونه من مباني وقصور ومعابد ومنازل وكان هذا حكما نهائيا لا يحتمل أن يتخلف من صناعتهم شيء واضح للعيان.

إذن فالكلام واضح وضوح الشمس ولا يحتاج لجهد كبير لتفسيره ، لقد أمر الله تعالى بأن يتم محو كل ما لهؤلاء القوم الذين تجاوزا كل الحدود وتدمير أي شيء أقاموه في الدنيا ، وهذا ينطبق بوجه خاص على فرعون وقومه وفقا للآية السابقة ، وحينما تحدثنا في أوائل الفصل السابق عن أواريس عاصمة الهكسوس وجدنا أن جميع آثار المدينة قد تدمر بالفعل بسبب عوامل كثيرة ، فالتدمير قد وقع لأسباب كثير منها :

- التدمير عن طريق المصريين وجيش أحمس أثناء معاركهم مع الهكسوس وبعد جلائهم من مصر.

---

[223] فرعون من قوم موسى

- التدمير الذي وقع في العصر الحديدي في الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والثامن قبل الميلاد حين جف فرع النيل البيلوزي المار بأواريس وفقدت المدينة أو ما تبقى منها أهميته تدريجيا ثم نقل الحكام التاليين كل ما بها من حجارة ومواد بناء وبقايا أطلال المدينة القديمة شمالا إلى العاصمة الجديدة تانيس.
- التدمير عن طريق العصر الروماني والإسلامي حين حلت العمارات الجديدة مكان القديمة وعلى أطلال المدينة المندثرة.
- التدمير المتواصل بسبب الزراعة والحرث والري الذي يجري منذ عصور بعيدة كما أقرت البعثة النمساوية للموقع بذلك.

إذن فقد تمت عملية تدمير منظمة وممنهجة عبر كل مراحل التاريخ ليس فقط أثناء معارك التحرير التي قادها أحمس الأول ودمر عمارتهم عن عمد ، ولكنه حدث أيضا بشكل ممنهج غير متعمد في كل العصور التي توالت على مدينة أواريس بكل ما فيها من آثار ومنشآت وصناعات كانت لفرعون وقومه وهو تنفيذ للوعد الإلهي بتدمير ما كان يصنعه آل فرعون وجميع منشآتهم.

وأنا أزعم مرة أخرى أنه يستحيل العثور على آثار فرعون وقومه وصناعاتهم خاصةً، وما عثر عليه من آثار للهكسوس هي آثار نادرة وقليلة جدا ولا تخص قبيلة آل فرعون تحديدا ولكنها تخص قبائل العماليق الأخرى.

ورغم أن الآثار الحسية والمعنوية تدل بشدة وتشير إلى مكان إقامة آل فرعون بمحافظة الشرقية والتي كانت تسمى في عهدهم "أواريس" ، ومكانها في العصر الحديث في مدينة فاقوس بالشرقية حاليا ، ويميز هذا المكان وجود قرية تسمى "قرية فرعون" ، غير أن كل تلك المواقع الهكسوسية التي تمثل في مجملها ما تخلف من عصر الهكسوس وآل فرعون والتي تحدثنا عنها في الفصل الثالث تم العثور عليها كأطلال وآثار مدمرة ومحطمة عبر عصور مختلفة.

ويقع "تل فرعون" بين عدة مواقع تاريخية هامة منها صان الحجر وقنتير وتل الضبعة، ويقع علي مسافة 9كم شمال شرق مدينة فاقوس وترجع أهميتها التاريخية لكونه موقع مدينة أواريس القديمة عاصمة الهكسوس حين احتلوا مصر .

وأول من قام بالحفائر في هذا الموقع هو الأثري الإنجليزي (بتري) ثم توالت حفائر هيئة الآثار المصرية منذ عام 1962م، وتم الكشف عن خرائب المدينة القديمة أمنت بعناصرها السكنية من مقابر ومعبد واحد، ففي المدينة السكنية تم الكشف عن مجموعات عديدة من أساسات اللبن لوحدات سكنية ومناطق صناعية يرجع تاريخها إلي العصور المصرية القديمة واليونانية الرومانية.

يقول الدكتور محمد راشد أن تلك الآيات تشير وتوضح بجلاء تام أن الله تعالى قد دمر كل ما شيده أو تركه فرعون وقومه ولم يبقى منه شيئا ظاهرا على سطح الأرض.

ولكن الله سبحانه وتعالى لم يذكر كيف تم هذا التدمير ومتى حدث وهل تم قبل غرق فرعون وجنوده أم بعده ؟ ويعتقد أن هذا التدمير لم يكن بآية أو معجزة من الله وإلا ذكرت في القرآن لوم يكن قبل غرق فرعون وجنوده لأنه سيفترض هلاك فرعون وقومه نتيجة هذا التدمير أو على الأقل بقاء فرعون وآله على قيد الحياة لا قوة ولا سلطان لهم قبل غرقهم وهذا يخالف ما ورد في القرآن الكريم من أن القوة والسلطان كانا في يد فرعون وآله حتى لحظة غرقهم في البحر.

وكان التدمير على يد أمراء طيبة حينما دخلوا أواريس عاصمة فرعون وقومه أحرقوها ودمروها عن بكرة أبيها وجعلوا عاليها سافلها انتقاما منهم ولما سببوه لهم ولقومهم من آلام وعذاب ونتيجة لقتلهم كثيرا من الجنود المصريين وكثيرا من أمراء طيبة في فترة الكفاح المسلح.[224]

والحقيقة التي لا مراء فيها ولا جدال أن جميع عصور مصر القديمة نتج عنها الكثير من الآثار التي تملأ شرق مصر وغربها كآثار الدولة القديمة والوسطى والحديثة أما التدمير المذكور فلم يحدث إلا في موقوع واحد حيث كان يقيم فرعون وقومه ، ويفهم من ذلك أن التدمير قد حدث في موقع واحد حيث يقيم فرعون وقومه.

وقد طال التدمير كل المباني الضخمة العظيمة خاصة أنهم كانوا يعرفون البناء بالطوب الأحمر أو الطوب الآجر.

---

[224] طارق فرج — فرعون موسى وهوية جديدة

ويربط المؤرخون بين حالة الآثار التي عثر عليها للملك رمسيس الثاني وبين ما ورد في القرآن الكريم : "ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" سورة الأعراف.

ويظن من يستمع لأصحاب هذا الرأي أن جميع آثار ملوك مصر قد عثر عليها سليمة لم تمس بشيء باستثناء ما تركه هذا الملك ولكنه في الواقع أن حالة الآثار التي ترجع إلى عصر هذا الملك أحسن حالا بكثير من المرات من حالة الآثار التي تركها غيره من ملوك مصر ، بل يعد رمسيس الثاني أكثر الملوك المصريين الذين تركوا آثارا سليمة لم تصب بسوء وأن ما أصاب بقية آثار هذا الملك كغيره من أسلافه مرده إلى عامل الزمان والإنسان الذي لا يترك شيئا على حاله.

إن التدمير المذكور في الآية لا بد وأن يكون تدميرا شاملا جامعا مانعا لا يترك شيئا وراءه وإن ترك القليل فإنه قد تكفل به الزمان والإنسان حتى أفناه وهو ما حدث مع آثار الهكسوس.

وخلاصة القول أنه لا أثر لفرعون وقومه داخل المدينة التي كانوا يسكنون بها جميعا حيث اتخدوها عاصمة لمملكتهم في مصر وخارجها بعد أن تم طردهم من منف وقد دمرت جميع المنشآت التي شيدوها بها ولم يبق منها شيئا ظاهرا على سطح الأرض باستثناء بعض الحصون والمنشآت الأخرى التي شيدوها بعيدا عن هذه المدينة المنكوبة سواء في مصر أو خارجها.

لم يعثر بمدينة أواريس على أية آثار سليمة سوى أطلال وبقايا قواعد مدفونة ومطمورة تحت الطمي ولم يعثر بها على أية آثار ثابتة وسليمة كتلك الآثار التي تركها المصريون القدماء (القبط) ، بل تكاد تكون آثار الهكسوس منعدمة حتى كان من الصعب على علماء الآثار تتبع تاريخهم لهذا السبب.

بينما على العكس نجد آثارا مصرية ثابتة للمصريين القدماء (القبط) على اختلاف عصورهم لم يحل بأكثرها أي نوع من التدمير ما يستبعد أن يكون فرعون من جنس المصريين القدماء وهم القبط.[225]

---

[225] نجيب ميخائيل – مصر والشرق الأدنى القديم – الجزء الثاني.

وإضافة إلى هذا الكلام فإنه لم يرد نص صريح في القرآن يدين المصريين القدماء على غرار ما نزل فى القرآن الكريم عن أقوام عديده أغلبها في شبه الجزيرة العربية والشام والرافدين مثل أقوام نوح وعاد وثمود وسبأ ولوط والمؤتفكة وقوم تبع وأصحاب الأيكة وأصحاب الرس وأصحاب الأخدود وغيرهم.

بل وورد التحذير صريح من رسول الله لنا بعدم الدخول إلى ديار قوم ثمود فى منطقة الحجر فى شمال الجزيرة العربية وحتى الأردن ، وذلك حتى لا تصيبنا لعنه كما أصابتهم ، ونجد هذا التحذير في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن فقد جاء في الصحيحين وغيرهما بالإسناد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض ثمود الحجر في غزوة تبوك استقى الناس من بئرها واعتجنوا به ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَهريقوا ما استقوا من بيارهم وأن يعلفوا الإبل العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة، وثبت أيضًا أنه عليه الصلاة والسلام لما مر بالحِجر قال :"لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكينَ أن يصيبكم ما أصابهم" ثم تقنَّع بردائِه وهو على الرحل"، رواه الشيخان.

بينما لا نجد مثل تلك التحذيرات عن مصر وأهلها ولا نجد كذلك تحذيرا من ارتياد ديار المصريين على مثال عاد وثمود وغيرهم من الأقوام التي غضب الله عليها وعاقبها وحذر من ارتياد ديارهم والاستقرار فيها وهو مالم يحدث مع الديار المصرية ولم يرد أي تحذير في شريعة الإسلام تقضي بهذا ، إلا أن اليهود لم يفوتوا الفرصة حتى شحنوا كتابهم برسائل الكراهية والتحريض ضد المصريين تحديدا وتمت شيطنتهم بطريقة مقصودة وهو الواضح جدا لكل من قرأ التوراة وتجول في أسفارها.

ويربط المؤرخون بين حالة الآثار التي عثر عليها للملك رمسيس الثاني وبين ما ورد في القرآن الكريم : "ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" سورة الأعراف

ويظن من يستمع لأصحاب هذا الرأي أن جميع آثار ملوك مصر قد عثر عليها سليمة لم تُمس بشيء باستثناء ما تركه هذا الملك ولكنه في الواقع أن حالة الآثار التي ترجع إلى عصر هذا الملك أحسن حالاً بكثير من المرات من حالة الآثار التي تركها

غيره من ملوك مصر ، بل يعد رمسيس الثاني أكثر الملوك المصريين الذين تركوا آثارا سليمة لم تصب بسوء وأن ما أصاب بقية آثار هذا الملك كغيره من أسلافه مرده إلى عامل الزمان والإنسان الذي لا يترك شيئا على حاله.[226]

إن التدمير المذكور في الآية لا بد وأن يكون تدميرا شاملا جامعا مانعا لا يترك شيئا وراءه وإن ترك القليل فإنه قد تكفل به الزمان والإنسان حتى أفناه وهو ما حدث مع آثار الهكسوس.

وخلاصة القول أنه لا أثر لفرعون وقومه داخل المدينة التي كانوا يسكنون بها جميعا حيث اتخذوها عاصمة لمملكتهم في مصر وخارجها بعد أن تم طردهم من منف وقد دُمرت جميع المنشآت التي شيدوها بها ولم يبق منها شيئا ظاهرا على سطح الأرض باستثناء بعض الحصون والمنشآت الأخرى التي شيدوها بعيدا عن هذه المدينة المنكوبة سواء في مصر أو خارجها.[227]

إذن ليس من الثابت أن الحضارة المصرية ملعونة ولكن فرعون وقومه الهكسوس عماليق مصر ساروا على نهج آباءهم فى التكبر والكفر والعناد مع الله ، أمثال أقوام نوح وعاد وثمود وغيرهم مما أشار القرآن إليهم ، ولم يكن هناك ثمة إختلاف بين هؤلاء الفراعنة العماليق وبين أسلافهم من الأقوام البائدة إلا أنهم كانوا موجودين على أرض مصر حين مكنهم الله من حكمها فترة من الزمان.

وتذكر التوراة وتؤكد في أكثر من موضوع كيف أن الأمر الإلهي قد صدر بإبادة العماليق وتدميرهم ومحو ذكرهم :

"قال الرب لموسى اكتب هذا تذكاراً فى الكتاب وضعه تحت مسامع يوشع...فإنى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء "[228]

[226] دكتور محمد راشد – ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام – نشر دار الكتاب العربي

[227] دكتور محمد راشد – ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهم السلام – نشر دار الكتاب العربي

[228] خروج 17/ 16

وكذلك وصية الرب لإسرائيل: "تمحو ذكر عماليق من تحت السماء .. لا تنسى"[229]

والغريب أن نفس التدمير والإبادة التامة ذكرها القرآن الكريم : " وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ"137 الأعراف

وقد وُضعت الخطوط النهائية والفاصلة لقصة الخروج وعدم العودة بأن غرق فرعون وأهله وقومه وجنوده وتم تدمير كل ما صنعوه من مباني وعروش على أرض المدينة المحتلة .

والتدمير يعني الإبادة التامة والإهلاك وليس مجرد الكسر ، وهذا يعني أنه قد تمت الإبادة التامة لفرعون وقومه وكل ما صنعوا وأقاموا من عروش .

والآن هل تستقيم هذه الإبادة التامة مع آثار القبط المصريين القدماء ومعابدهم وعروشهم وكل صناعاهم التي تملأ أرجاء الوادي، فوق الأرض وتحت الأرض ؟ أم تستقيم مع الهكسوس والعماليق الذين تمت إبادتهم وتدميرهم.

وحتى تؤكد آثارنا وصناعاتنا وعروشنا إنها ليست المقصودة بالتدمير والمحو احتلت موضع الصدارة فى كل متاحف الدنيا وميادينها وطافت بعظمة كل أرجاء المعمورة لتزهو على حضارات العالم معلنة عظمة بلادنا وخلود آثارنا ولو كرة الحاقدون[230].

تدمير النصوص المصرية عن الهكسوس وإخفاء الأدلة عمداً:

إن المتأمل في جميع آثار الهكسوس الباقية ليدرك حقيقة واضحة وجلية ، إن جميع ما ترك هؤلاء الأقوام قد تم تدميره وهو ما أسلفنا ذكره في الفقرا ت السابقة من هذا الفصل ، فلا تكاد تجد قصرا من قصور الهكسوس في الأراضي المصرية أو حتى الفلسطينية والسورية ولا بيتا ولا مترلا ولا مقبرة من مقابرهم ولا أي نوع من الأبنية إلا وقد طالتها أيدي التخريب أو عوامل التعرية معاول الهدم على فترات متباعدة من الزمان ، وهذا جزء من التدمير الذي توعدهم الله تعالى به في القرآن الكريم.

---

[229] تثنية 19/25

[230] فرعون موسى من قوم موسى عاطف عزت

لكن المثير للدهشة أيضا هو أن التدمير قد طال ما تركه المصريون أنفسهم عن تلك الفترة ، والمتتبع لسيرتهم في التاريخ وفي كتابات المؤرخين وعلماء الآثار والمصريات يكاد لا يقتنع بالمبررات التي أوردها هؤلاء عن تلف كل المصادر التي تتحدث عن الهكسوس.

وتدور المبررات حول مجموعة أسباب منها أن المصريين كانوا يكرهون الهكسوس ويبغضون سيرتهم ويحاولون محو ذكراهم من التاريخ فعمدوا إلى إتلاف كل المصادر التي أتى بها ذكرهم !!

وهذا المبرر تحديدا يجعل أي صاحب عقل يرفضه رفضا باتا ، فالمنطقي هو أن يضرب المصريون صفحا عن ذكرهم في آثارهم وهذا مفهوم ، لكن أن تجد المصريين يسجلون ذلك على أحد أثارهم ثم نكتشف لاحقا في عصرنا الحديث أن هذا الأثر قد تم إتلافه فهذا لا يعني إلا أن هناك يدا قد قامت بإتلافه عن عمد.

إن تسويق فكرة إتلاف المصريون لأثر قاموا هم بصناعته بحجة أنهم كانوا يريدون محو ذكرى الهكسوس لهي فكرة تستحق السخرية إلى أبعد حد! ، فما كان المصريون ليتلفوا آثارا هم صانعوها.

ولنا أن نحصي ما تبقي من آثار المصريون ما يسرد وقائع احتلال الهكسوس لبلادهم وحكمها لفترة ليست بالقصيرة وحينها لا نستطيع أن نتذكر إلا أشياء بسيطة قد تبقت عن تلك الحقبة وما بعدها ومنها بردية تورين التي صنعت لتؤرخ لكل ملوك مصر منذ الدولة القديمة وحتى العصر التي سجلت فيه ، وقد تم تمزيقها تمزيقا تاما !، وقد عرف عن بردية تورين أنها الورقة الوحيدة التي أوردت ملوك الهكسوس وتم صياغتها بواسطة المصريين أنفسهم ، ثم لا تجد شيئا آخر يتحدث عن الهكسوس وفترة حكمهم إلا مقبرتي أحمس بن أبانا وأحمس بن نخبت وهما القائدين العسكريين الذين توليا المسئولية في عهد ملوك طيبة كاموس وأحمس الأول وهم من واجهوا الهكسوس في معاركهم الأخيرة قبل جلائهم من مصر ، وقد ورد على جدران المقبرتين المذكورتين بعض التفاصيل والوصوف عن المعارك التي جرت بين المصريين وبين الهكسوس أثناء الحرب التي جرت بينهم لإزاحة الهكسوس عن الحكم ، لكنها في النهاية تبقى تفاصيل وضعت فقط لوصف المعارك والأحداث التي جرت أثناء الحرب

ولا تؤرخ لأي شيء آخر قبل هذه الفترة وهو الأمر الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

أما ورقة ساليية التي كانت تخص أحد الطلاب أثناء تلقيه دروس في الكتابة والإملاء فقد تم كتابتها في عصر متأخر جدا عن وقت الأحداث الحقيقة ويقدر بحوالي أربعمائة عام ، لكن بالرغم من ذلك فقد أفادتنا البردية أيما إفادة في معرفة الكيفية التي بدأ فيها الصراع بين المصريين وبين الهكسوس لتبدأ الحرب بين الجانبين قبل جلاء الهكسوس من مصر، بالإضافة لبعض الإشارات والأدلة التي تثبت هلاك ملك الهكسوس وجيشه وغيرها من الإشارات الهامة التي سيأتي ذكرها في هذا الفصل عند الحديث عن تلك الورقة.

ويبقى في النهاية المصدر الذي يحمل أكبر قدر ممكن من الشك والريبة وهو ما وصل إلى أيدينا من تاريخ مانيتون الكاهن المصري الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد كانت فرصة رائعة جدا أن نعرف تفاصيل وافرة عن تاريخ مصر القديم لو كنا تمكنا من الحصول على نسخة ذلك الكتاب الذي كتبه مانيتون بناءا على طلب بطليموس ، لكن المعروف تاريخيا أن تاريخ مانيتون قد احترق في مكتبة الاسكندرية – أو هكذا ادعوا – بينما النسخة اليونانية لم يعثر لها على أثر حتى الآن ، وبسبب هذا الضياع فقد اضطر علماء التاريخ اللجوء لمؤرخين آخرين جاؤوا بعد مانيتون وادعوا بأنهم نقلوا من تاريخه! ومنهم أفريكانوس وجوليوس لكن أكثر من نقل عن مانيتون هو المؤرخ اليهودي يوسفوس الذي سنأتي بقصته في الفصل السادس.

والعجيب في الأمر أن أكثر الفترات التي اهتم بها يوسفوس ونقلها من تاريخ مانيتون كما ادعى هي فترة الهكسوس هؤلاء.

ومن ثم حق لنا أن نضع الكثير من علامات الاستفهام حول هذا الأمر، ونضع الكثير من نقولات يوسفوس عن المؤرخ مانيتون في ميزان الشك والريبة ، فيوسفوس لم ينقل عن مانيتون في موضوع الهكسوس إلا ما توافق مع فكره التوراتي المزيف ، بل إن يوسفوس قد ذهب إلى أبعد من التزييف التوراتي حين ادعى بأن الهكسوس هم اليهود أنفسهم وهو ادعاء فيه بعض الصحة وكثير من الخلط والتزوير.

هذه هي إذن جميع المصادر التي توافرت عن الهكسوس وتاريخهم ووقائع حكمهم لمصر ، بعضها ممزق ومحطم وبعضها ضائع ومفقود وبعضها يتحدث عن أحداث محدودة وهي فترة الحرب ، أما أكثر ما يعتمد عليه المؤرخون فمصدره رجل يهودي يدعي أنه نقل أقدم تاريخ مكتوب ولا يوجد ما يؤكد كلامه بل يوجد الكثير من الدلالات التي تتعارض معه ومع ذلك يصدق الكثيرون ما يرويه عن الهكسوس وبني إسرائيل ويصفونه بالمؤرخ!

كل تلك العلامات تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن المصادر الأثرية والتاريخية التي تتحدث عن الهكسوس والتي كتبت بأيدي المصريين قد تم إتلافها عن عمد وبشكل مقصود وممنهج حتى تظل تلك الفترة مجهولة بالنسبة للعالم وبالتالي لا تتضح الحقائق المخفية عن فترة معيشة بني إسرائيل في مصر أثناء عهد الهكسوس وتظل قصة الخروج الموثقة في التاريخ المكتوب مفقودة وغامضة للأبد بسبب تلف المصادر المكتوبة لتاريخ الهكسوس .

كل هذه الشواهد تدلل لنا بشكل قاطع أن واقعة الخروج لم تقع إلا في فترة الهكسوس وحكمهم لمصر وأن هناك أياديَ خفية تعبث في تاريخ مصر والعالم منذ العصور القديمة ، وحتى التاريخ المكتوب الوحيد على يد أقدم المؤرخين المصريين لم يصل إلنا إلا عن طريق رجل يهودي !! ألا يوحي ذلك الأمر بشيء ما ؟

الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع الآن أننا مع الأسف نقرأ في هذا العصر وكل يوم التاريخ الذي اصطنعه اليهود وليس التاريخ الحقيقي الذي حدث بالفعل وحتى نستطيع أن نصحح كل الأغلاط التي وقعت في التاريخ المكتوب فنحن نحتاج إلى عشرات من أمثال هذا الكتاب الذي بين أيديكم الآن بل والعشرات من الأفلام التسجيلية والعملية بل والسينيمائية لتصحيح الوعي المزور في عقول بني أمتنا... وليتنا نستطيع!

سر بردية الخروج !!! ... هوارد كارتر يهدد بإفشاء سر البردية التي عثر عليها في مقبرة توت عنخ آمون!

أثناء كتابة هذا الكتاب وقع في يدي قَدَرًا كتابا عظيما في موضوعه صادقا في نقله للوقائع التي استشهد بها فضلا عن حيادية وجهة نظره التي ابتعدت بشكل كبير عن النظرة المقولَبة والأفكار الجاهزة التي حشرها التوراتيون في عقول الناس في العصر الحديث.

كان الكتاب مكتوبا بتجرد شبه تام ويوثق لجانب كبير من المؤامرة التي تجري على قدم وساق وبشكل مستمر منذ آلاف السنين لتزوير التاريخ وتهويد أرض فلسطين تحت مسمى الأرض الموعودة بل إن الكتاب كان صريحا جدا في اتهامه للرواية التوراتية بالاضطراب والتبديل ومخالفة الحقيقة وقد تصدى للكثير من الأغلاط والمغالطات التي وردت بالتوراة المحرفة لاسيما في قصة موسى وفرعون ووقائع الخروج لكنه وقع في النهاية في أغلاط أكبر حين حاول إثبات أن موسى عليه السلام هو نفسه الملك المصري إخناتون أو أمنحتب الرابع الذي يدعي الأثريون أنه مؤسس التوحيد في مصر القديمة! وهي نفس النظرية التي يدعيها سيجموند فرويد عالم النفس الشهير!.

وقد اضطررت إلى التوقف عن المواصلة في كتابة كتابي هذا حتى أتم قراءة هذا الكتاب الشيق والهام جدا في موضوعه والذي وقع في يدي لأول مرة منذ نشره في السنوات القليلة الماضية وهو كتاب بعنوان : " توت عنخ آمون – مؤامرة الخروج – حقيقة أعظم لغز أثري"[231].

وهو كتاب ألفه كاتبان غربيان يتحدثان فيه بمنتهى الوضوح عن المؤامرة التي وقعت لتزوير قصة الخروج التي وصفتها التوراة والكتب المقدسة ووقع فيها التضارب والتخبط والإيهام الذي تعجز الأقلام عن وصفه.

---

[231] الكتاب تأليف أندرو كوليتر ، و كريس أوجيلفي – هيرالد وترجمة رفعت السيد علي – دار العلوم للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى 2005 ، وقد جاء في مقدمة الكتاب كلمة بارزة بعد الغلاف كشعار ومنهج للناشر عن مكافحة تهويد التاريخ تقول:"دعوة مفتوحة للدفاع عن التاريخ القديم ، تهدف للتعريف بالثقافة المضادة وترجمة نصوصها ونشر الردود عليها في سبيل المساهمة في إحياء حركة تنوير فكرية وتاريخية تعتمد العلم والأصالة والجدية.

والكتاب يبدأ في توثيق قصة السير هوارد كارتر واللورد كارنرفون الانجليزيين اللذين قررا أن يكتشفا كشفا أثريا مدويا في وادي الملوك بالأقصر ويحكي عن أن اللورد كارنرفون قد قرر تمويل المشروع بينما تولى كارتر التنقيب والبحث عن الكشف الأثري المنشود وقد عثرا بالفعل علي مقابر في أثناء رحلة البحث عن الكشف الأكبر والتي استغرقت خمس سنوات كاملة لكن ذلك لم يكن هدفهما النهائي كما اتضح فيما بعد.

لكن هوارد كارتر وكارنرفون قاما بفتح المقبرة سرا ليستكشفا محتوياتها قبل أن تفوح أخبار اكتشاف المقبرة في كل الأوساط حيث يعد ذلك هو الحدث الأكبر الذي سيهز العالم فيما بعد خلال عامي 1922 و1923 وحتى عام 1924 م لأن هذا الكشف هو المقبرة الملكية الأولى التي تم اكتشافها في وادي الملوك بكامل محتوياتها دون أن يسرق ما بداخلها! وكان فتح المقبرة سرا هو بداية رحلة أخرى من التزوير المتعمد في التاريخ كما سنرى.

لكن تلاحقت بعد ذلك الأحداث وتدهورت صحة اللورد كارنرفون بسرعة ثم توفي في ظروف غامضة عزاها البعض للعنة الفراعنة المزعومة وعزاها البعض لحالة تسمم أصابته من جراء فتح المقبرة وكثر اللغط والحديث عن اللعنة ثم ما تلا ذلك من تبعات سريعة من إغلاق المقبرة وإلغاء التصريح وتوقف العمل تماما بهذا الكشف الأثرى الأهم في تاريخ الآثار المصرية.

وحاول كارتر باستماتة استعادة التصريح للعمل بالمقبرة دون جدوى ودخل الأمر ساحات المحاكم وانخرط كارتر في نزاع مع وزارة الأشغال ومصلحة الآثار والحكومة المصرية بلا جدوى وحاول اللجوء لسعد زغلول لإقناع الحكومة المصرية بالعدول عن قرار إلغاء التصريح بل حاول الوصول للسير اللنبي بلا أي تقدم ملموس في الأمر ، حتى اضطر السير هوارد كارتر للجوء إلى القنصلية البريطانية في القاهرة ومحاولة لقاء القنصل الإنجليزي للتدخل في الأمر.

وما حدث بعد ذلك هو ما يهمنا في هذه القصة كلها ، فبعد نقاش حاد نشب بين السير كارتر وبين موظف كبير في القنصلية البريطانية انفجر كارتر منفعلا بعد أن فقد صبره وقد أخبره المسؤول الذي أبدا تعاطفا مع قضيته أن القنصلية لا تملك ما تفعله أمام

قرارات الحكومة المصرية وأن الأمر فوق قدراتها ، لذلك جن جنون كارتر وفقد توازنه وتملكه الغضب لتظهر الحقيقة في كلماته وقد هدد مسؤول القنصلية تهديدا نصه:

"إن لم أحصل على ترضية تامة وحقوق كاملة سأنشر على العالم كله نص البردية التي وجدتها بالمقبرة والتي تظهر الوقائع الحقيقية لخروج أبناء إسرائيل كما سجلتها الحكومة المصرية القديمة عن الخروج من مصر".

وهنا تظر الحقيقة عندما أفلت كارتر بلسانه بعد أن تملكه الغضب وأخرج ما بداخله من سر دفين لم يكن يعلم به سواه وكارنرفون الذي فارق الحياة في ظروف غامضة جدا وملتبسة بعد فتح المقبرة بأسابيع قليلة وابنة كارنرفون التي كانت ما تزال على قيد الحياة.

ولم يكن أحد ليعلم ما ورد في واقعة شجاره مع مسؤول القنصلية إلا بسبب ثرثرة كارتر فيما بعد مع رجل أمريكي يدعى لي كيديك صاحب مكتب لتنظيم المحاضرات بأمريكا وهو الذي سرب تلك المعلومات فيما بعد وعرفت وانتشرت وشكك فيها البعض واعتبرها مجرد تهديد أجوف ولا توجد برديات حقيقية تخص هذا الأمر ، غير أن رسالة كارنرفون في عام 1922 لصديقه عالم المصريات المعروف آلان جاردنر كشفت بوضوح عثورهم في المقبرة على صندوق يحتوي على برديات أنكر كارنرفون وكارتر فيما بعد عثورهم عليها وأكد ذلك في رسائل تالية موجودة بخط يده حتى اليوم ، كما أن كارتر نفسه وهو الخبير في الآثار قد أدلى بنفس التصريحات إلى الصحافة عند بداية فتح المقبرة ، بل وأرسل كارنرفون لاحقا برقية إلى جاردنر يطلب فيها موافقته على ترجمة البرديات التي وجدوها في مقبرة توت عنخ آمون ، غير أن تلك البرديات تبخرت فيما بعد وادعى كارتر أنه اتضح لهم لاحقا أنها ليست برديات وإنما لفائف كتانية كانت تستخدم كملابس تحتية داخلية للملك !!!!!

بل إن الأدهى من ذلك هو حين حضر السير آلان جاردنر وفقا للاتفاق المسبق بينه وبين كارنرفون اقتصرت مهمته في النهاية على ترجمة ما ورد على الجداريات ولم يتطرق إلى ذكر البرديات لا من قريب ولا من بعيد.

ويبقى سر الصندوق رقم 101 مخفيا عن الناس ، ويبدو أن السر قد دفن مع السير هوارد كارتر واللورد كارنرفون والليدي كارنرفون ابنته ، أما بالنسبة لجاردنر فلا

نستطيع الجزم أو النفي إن كان على علم بما جرى وقتها أم أنه كان ضحية خداع مثل باقي الناس وبالتالي لا نستطيع اتهامه أو تبرئته من تلك التهمة.

إن هذه الكلمات التي وردت في تهديد هوارد كارتر أظهرت بمنتهى الوضوح أن مقبرة توت عنخ آمون كانت تحتوي على بردية تتحدث عن واقعة خروج بني إسرائيل من مصر وهي الواقعة الحقيقة بالطبع كما سجلها المصريون وليس كما سجلها كاتبوا التوراة أو اليهود في العصور اللاحقة لعصر الخروج.

وهذا يدل بوضوح على أن المصريون كانوا على علم بما يحدث وكانوا يتابعون الصراع الذي دار بين الهكسوس وبين بني إسرائيل والذي انتهي بغرق ملك الفراعنة الهكسوس عماليق مصر والمسمى بـــ"فرعون"!

لقد عُقد اتفاقا في مكتب المسؤول الكبير في القنصلية بينه وبين هوارد كارتر لا يعرف فحواه إلا الله سبحانه وتعالى ، وبناءا على هذا الاتفاق فقد أعيد التصريح بعد فترة وجيزة وواصل كارتر العمل بالمقبرة بينما اختفت البرديات وتبخرت وصمت كارتر للأبد عن سر البردية التي سرقها هو وكارنرفون حين فتحا المقبرة سرا وبطريقة غير مشروعة والتي تبين فيما بعد أنها تقص رواية الخروج من وجهة النظر المصرية وليس اليهودية ، ولا بد أنها كما قال كارتر تخالف الرواية اليهودية عن الأحداث وتقلب كل المعتقدات اليهودية رأسا على عقب ، بل والأدهى كانت كفيلة بإحداث عاصفة سياسية لا تهدأ بين بريطانيا التي كانت تسعى للاعتراف بحق اليهود في فلسطين تحت مسمى أرض الميعاد وبين العرب واليهود وتفجير الموقف في العالم العربي بأكمله، ولا نظن أن شيئا يمكنه فعل ذلك سوى انكشاف حقيقة أن فرعون لم يكن من المصريين على وجه الإطلاق بل كان ملكا غريبا عن مصر من زمرة أناس غرباء حكموها لفترة من الزمان ثم زالوا عنها بهلاك ملكهم وعاد الحكم للمصريين مرة أخرى وورثوا دولتهم من جديد بينما ورث بنو إسرائيل باقي إمبراطورية هؤلاء القوم في أرض كنعان.

لقد اكتشف كارتر وثائق الخروج في مقبرة توت عنخ آمون الذي عاش ومات بعد أحمس وقبل أن يولد رمسيس ، وهذا معناه أن أي وثائق تكشف بالمقبرة لا بد أن تتناول أحداثا تسبق إغلاق المقبرة ، وبداهةً يكون الخروج قد تم في عصر الملك أحمس

السابق ومن المستحيل أن يكون في عصر رمسيس الثاني اللاحق لعصر توت عنخ آمون.

ويمكن أن ندرك أن تهديد كارتر لم يكن تهديدا أجوفا بل كان واثقا أن في حوزته وثيقة تحتوي على معلومات خطيرة تضع قصة الخروج التوراتي في حرج بالغ.[232]

إن هذه المخطوطة كانت تتحدى المعتقدات التقليدية الراسخة التي نجح اليهود في نشرها في وعي العالم عن الخروج التوراتي وعن أصلهم وحقيقتهم وتاريخهم والغزو العبراني لكنعان بل وأصل الديانة اليهودية المختلقة والتي انحرفت عن الشريعة الموسوية الأصلية، وقد أخفاها كارتر وكارنرفون لأنها لو كانت قد ظهرت وأعلنت لكانت قد غيرت وجه الشرق الأوسط إلى الأبد لأنها تنسف كل المعتقدات عن أكذوبة الأرض الموعودة وزيف الإدعاء بالحق الإلهي لبني إسرائيل في فلسطين ، لذلك كان إخفائها وبسرعة أمر واجب التنفيذ!.[233]

فرعون ملك الهكسوس:

بعد استعراض الحقائق السابقة التي تؤكد بلا أدنى شك أن هوية قوم فرعون تشير بكل وضوح إلى أنهم من الهكسوس العماليق الذين استقروا في مصر لمدة تزيد عن القرنين من الزمان، وتطالعنا الكثير من المصادر والأبحاث الحديثة – حتى التي أعدت منها بواسطة باحثين يهود – بتأكيدات لهذه الحقيقة، حيث تؤكد جميعها بأن الخروج قد وقع في زمن الهكسوس التقريبي ، بل ووصل الأمر إلى حد تصوير الأفلام العلمية ، فقام اليهودي الكندي سيمشا جاكوبوفيتشي Simcha Jacobovici بتصوير

---

[232] فرعون موسى من قوم موسى – م. عاطف عزت

[233] يتساءل الكتاب عن السبب الذي من أجله اعتقد كارتر أن بإمكانه دفع الإدارة البريطانية في القاهرة إلى اتخاذ خطوات عملية لدعمه وذلك بتهديدهم أن بحوزته وثائق بردية تحتوي على حقيقة واقعة الخروج ؟ وعلل بأنه لا توجد إجابة منطقية إلا بافتراض أن المادة المسجلة على تلك البرديات كانت تمس أمورا سياسية حساسة جدا مما يحتم اخفاءها لا نشرها لأنها تحتوي على وقائع وشكل لقصة الخروج تتناقض مع الوقائع والشكل المذكورة به في التوراة.

الفيلم الوثائقي "حل شيفرة الخروج"، "Exodus decoded" واقترب كثيرا من الحقيقة وإن كان له غرض آخر من بحثه الذي صبغه بالصبغة العلمية ، وهو إلصاق التهمة بأحمس بدلا من رمسيس الثاني وبدلا من أن يكمل الصورة التي بدأها ويعترف بأن فرعون كان من الهكسوس.

أما عالم المصريات جيم فيلبيس والذى هو فى نفس الوقت متخصص فى الديانات القديمة فيقول أن فرعون موسى هو احد ملوك الهكسوس ، ويشاطره فى هذا الرأى عالم المصريات الشهير الدكتور زاهي حواس وبالتحديد يرجح أن فرعون هو آخر ملوكهم قبل أحمس وكذلك يذهب الدكتور محمد عبد المقصود.

ويسوق الأستاذ نديم السيار أقوالا سبق لنا أن أوردناها مسبقا للمؤرخين العرب والمسلمين تحدد ترتيب فرعون بين ملوك الهكسوس ، فيبين لنا أن فرعون كان خامس ملوك الهكسوس .[234]

وقد ورد ذكر تلك الجزئية في أقوال الكثير من المؤرخين ومنها :

ابن ظهيرة: "فملك المصريين خمسة ملوك من العمالقة ملك الوليد ثم ملك ولده الريان - صاحب يوسف علية السلام - ثم دارم ثم كان - خامسهم - فرعون موسى"[235]

يقول يوسيفوس :

"واضعين في حساب الوقت نسيان الفوائد التى حصلوا عليها من يوسف خاصة أن الملك كان من أسرة أخرى, وقد أصبحوا سيئين جدا للإسرائيليين".

ومن خلال تلك العبارة نعرف أن المؤرخ اليهودي يوسيفوس نفسه يؤكد أن الملك جاء من أسرة أخرى غير الأسرة الحاكمة الهكسوسية ولم يأخذ الحكم بالوراثة عن سلفه الذي سبقه على العرش.

---

[234] يأتي ترتيب فرعون بين ملوك الهكسوس كخامس ملوكهم دون احتساب الملك الذي كان يحكم اقليما في شرق مصر وهو سنان بن علوان ويعد هو أول ملوك الهكسوس بينما يعد فرعون وفقا لهذا الترتيب سادس ملوكهم بعد الملك الأول سنان.

[235] الفضائل الباهرة /ص15

ويذكر ابن خلدون: "واما ابن سعيد فيما نقل من كتاب المشارقة قال: وجاء ملك العمالقة يومئذ وهو الريان وملك ديار مصر . الخ . ثم استكفى من بنيه-الريان- صاحب يوسف.. وملك بعده دارم بن الريان.. وملك بعده ابنه معدانوس بن دارم .. فترهب .. ونصب اخر من نسل ندراس فتجبر وتذكرالقبط انه فرعون موسى".[236]

و يذكر المسعودى: "فطمعت فى المصريين ملوك الأرض فسار اليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد فكانت له حروب بها غلب على الملك فانقادوا اليه الى ان هلك . ثم ملك بعده البريان ابن الوليد العملاقى وهو فرعون يوسف. ثم ملك بعده دارم بن الريان العملاقى. ثم ملك بعده كامس بن معدان العملاقى. ثم ملك بعده- من العماليق- فرعون موسى"[237]

و يذكر ابن اياس "ولما مات الريان استخلف بعده ابنه داروم وهو الثالث .. وكان جبارا عنيدا فأظهر عبادة الاصنام، و لما هلك تولى بعده الرابع، ثم تولى بعده الخامس وهو فرعون موسى"[238]

و نكتفى بهذا القدر من المراجع منعاً للاطالة..

إذن فكل المراجع العربية والإسلامية تجمع على أن فرعون موسى كان هكسوسيا كما كان ترتيبة : الخامس .

وهذا الملك الهكسوسى الخامس هو الذى تلقّى موسى رضيعا.

إذن لم يكن "فرعون" ملكا مصريا أبدا بل هو آخر ملك من ملوك الهكسوس العماليق الكبار و لم يكن استكمالا للأسرة الحاكمة التي سبقته على العرش، بل كان من أسرة مختلفة، وبموته إنتهت أهم فترة من فترات حكم الهكسوس لمصر وانقصم ظهرهم وبدأت إمارات الضعف والوهن تدب في جسد امبراطوريتهم الكبيرة وبدأ عهد أسرة هكسوسية أخرى أضعف من الأولى ودب الضعف شيئا فشيئا في الهكسوس ودولتهم حتى استخدم الله المصريين بقيادة أحمس لتدمير عاصمة الهكسوس-

[236] العبر /مج2/قسم3/ص141-144

[237] مروج الذهب /358/1/

[238] بدائع الزهور /ج1/قسم1/ص81-82

أواريس - وتدمير ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وكافأ الله المصريين بأن أورثهم ملك أسلافهم المفقود في الدلتا والتي كان الهكسوس قد إحتلوها وعدوانا ما يقرب من القرنين من الزمان.

نعم... إسمه "فرعون" ، وهذا إسمه وليس لقبه وكان من الهكسوس هو وقومه وهم قبائل العماليق الآسيوية التي تحمل الثقافة الآرامية في غالبيتها وتحمل الأصول العمورية والكنعانية من الرعاة البدو وكانت مواطنهم في جميع بلاد الشرق الأدنى والجزيرة العربية والهلال الخصيب وكانت لغتهم هي بعينها لغة موسى وهارون وبني إسرائيل الذين هم في الأصل قبيلة من القبائل التي عاشت على أطراف كنعان بين القبائل الأخرى وكانت لغتهم الكنعانية القديمة باللهجة الآرامية المبكرة قبل ظهوهم جميعا كلغات مختلفة ومتمايزة عن بعضها البعض.

لقد كانت مصر وملوكها القدامى بريئون من "الفرعنة" التي نسبهم لها الصهاينة والغرب والعالم كله جريا على نفس الادعاءات، فلقد كان كذب وتدليس اليهود من أمثال مؤرخهم يوسيفوس وفرويد وموريس بوكاي اليهودي الفرنسي الذي هو من أصل مغربي لا ينتهي بشأن ملوك مصر وهدفهم هو الكيد لمصر ولحضارتها وانتحال صفة الحضارة والتاريخ بالكذب وإخفاء هوية القوم الذين كانوا يحكمون الشام ثم مصر من أقدم العصور وهم العماليق الذين هم من قدماء العرب كما أسلفنا وماهم وقومهم اليهود إلا أقزام صاغرون أمام تلك الحضارات سواء الحضارة المصرية أو الحضارات العربية القديمة.

ومع الأسف نجد الكثير من بني أمتنا من يتبنى أفكار الصهاينة بشأن شخصية فرعون وكثير من مشاهير المفكرين والنجوم والمثقفين والنخبة يجزمون بأن فرعون هو رمسيس الثاني مستندين في ذلك لأقوال الصهيوني موريس بوكاي وغيره من التوراتيين!

وتقرر الوضع الكاذب وأصبح هو الحقيقة ، وخضع الجميع للخدعة اليهودية الكبرى التي وقع فيها العالم وفضحتها آيات القرآن الكريم المعجز[239].

[239] فرعون موسى من قوم موسى — م. عاطف عزت

لقد شاء الله تعالى أن ينقصم ظهر الهكسوس وتنهار دولتهم في مصر أولا بغرق آخر ملوكهم الكبار في مصر الذي يشابه اسمه ما ورد في أسماء ملوك الهكسوس الكبار باسم "بيعون / بينون Be'on/ benon" (غير أننا لا نستطيع أن نجزم أو ننفي أن هذا الملك الهكسوسي تحديدا هو فرعون ذو الأوتاد أو غيره)، ثم بغرق فرعون وجنوده في البحر يعجز من تبقى منهم أن تقوم لهم قائمة أخرى فيتحرك الجيش المصري بقيادة سقنن رع ثم ابنه كامس ثم أحمس الأول على الترتيب من أقصى الجنوب ليجتاحوا أواريس وينهون بذلك مُلك العماليق الهكسوس في مصر ويطاردون فلولهم، ويدمرون عاصمتهم أواريس ثم يستمر ملوك مصر من بعد أحمس في إعادة تمصير شرق الدلتا وإزالة آثار الهكسوس العماليق بل ومطاردتهم باستمرار في جميع أرجاء الشرق الأدنى والتضييق على من بقي منهم وجعلهم بشكل متبسمر تحت السيطرة المصرية.

لقد كان غرق فرعون وجنوده هو الحدث الفارق الذي مثل نقطة التحول نحو انهيار ملك العماليق الهكسوس وضياع سلطانهم للأبد في مصر والشام وكل البلاد التي كانت في قبضتهم.

إن كل من حاول إثبات أن فرعون هو أحد الملوك المصريين قد أغفل العديد من العبر والعظات والمغازي في تلك القصة ، ونظر إليها بسطحية شديدة ، فلا يمكن أبدا لمن حاول أن يأخذ هذا المنحى في التفكير أن يستطيع البرهنة على غرق المصريون جميعا أو انتهاء ملكهم أو تدمير آثارهم مثلما قمنا نحن بالبرهنة على تطابق الشواهد جميعها على آل فرعون الهكسوس.

لقد كان فرعون ملكا للهكسوس بلا شك ، وآخر ملوكهم الكبار ، ثم بكفره وتحديه لإرادة الله فقد أصدر الله تعالى حكمه بزوال ملك آل فرعون بل والهكسوس العماليق بالكامل ، وكان هذا حكما نهائيا دون أية استثناءات ، فلم تقم لهم قائمة بعد ذلك أبدا ولم يصمد أثرا واحدا من آثارهم الإنشائية أو البنائية مصداقا لآيات الله عز وجل.

المصريون خارج المعادلة:

وبعد استعراض كل تلك الأدلة السابقة نستطيع أن ندرك بمنتهى الوضوح أن المصريين القدماء وهم القبط سكان وادي النيل منذ أقدم العصور لم يكن لهم في هذا الصراع وتلك الأحداث التي وقعت خلال قصة دخول وخروج بني إسرائيل في مصر أي دخل ، إذ لم يكونوا طرفا في الصراع مع فرعون وقومه ولا مع بني إسرائيل ، فصراع المصريين كان منحصرا في فترات محددة عند بداية غزو الهكسوس لمصر وعند طرد من تبقى منهم بعد واقعة خروج بني إسرائيل وغرق فرعون وجنوده ، أما خلال فترة الاحتلال فلم يكن هناك صراع مشتعل بل كانت فترة استتب فيها الملك للهكسوس العماليق في مصر ورضخ المصريون لحكمهم فترة طويلة وانزوى ملوكهم وكهنتهم ونبلائهم في الجنوب داخل إقليم طيبة ولم يكن للفلاحين وعامة الشعب من المصريين القبط أي اختيار في مقاومة أو نزاع العماليق الذين كانوا يحكمون البلاد بقوة ورسوخ، فضلا عن استقرار ملكهم أكثر وأكثر بعد النجاح في إدارة الأزمة التي أدارها يوسف عليه السلام أثناء المجاعة وخروج العماليق الهكسوس بقيادة الملك الريان بن الوليد ملك يوسف عليه السلام من تلك الأزمة بمكاسب كبيرة وبإمبراطورية واسعة شاسعة الأطراف وبخزائن مملوءة على آخرها بخراج وبضائع وأموال لم تنعم بها مصر طوال تاريخها القديم والحديث وذلك كله بسبب حسن إدارة يوسف عليه السلام لشؤون مصر خلال فترة المجاعة وتحويل الأزمة إلى فرصة ضخمة للثراء وجلب الإيرادات والثروة وهو نتاج الوحي الإلهي الذي اتبعه يوسف عليه السلام كسائر الأنبياء.

الفصل الخامس : ملحمة الخروج

- تمهيد

القسم الأول : ما قبل الخروج

- ما قبل الخروج
- الآيات والضربات التي أصابت فرعون وقومه في القرآن والمصادر الإسلامية واليهودية.
- بردية ايبوير ... هل تؤرخ للضربات التي أصابت فرعون وقومه ؟
- طبيعة أرض جاسان كمحمية منعزلة ودورها في حماية بني إسرائيل من البلاءات.
- ظاهرة طبيعية تشبه معجزة شق البحر
- تفسير الضربات من وجهة نظر الكتابيين (تفسيرات مادية / فيزيائية / علمية).
- بركان ثيرا اليوناني وعلاقته بالأحداث.
- ملابسات الخروج في كل من مصر والشام والأحوال السياسية في محيط مصر.
- تعداد بني إسرائيل وقت الخروج.

القسم الثاني : وقائع أحداث الخروج

- أدلة جديدة تظهر في موضوع خروج بني إسرائيل من مصر.
- الجغرافيا التاريخية لمنطقة أحداث الخروج.
- رواية التوراة عن مسار الخروج .
- محطات الخروج ومواقعها الحالية:
  - أولا: مواقع ومحطات في مسار الخروج داخل مصر قبل عبور البحر.
  - ثانيا: مواقع ومحطات في مسار الخروج داخل سيناء بعد عبور البحر.
  - ثالثا: مواقع ومحطات في مسار الخروج بعد الخروج من سيناء.
- مسار الخروج المرجح وموقع عبور بني إسرائيل وغرق فرعون على الوجه الصحيح.
  - الحصار.
  - أكذوبة البحر المالح.

- غرق فرعون وجنوده وأسرته أجمعين... وأكذوبة غرق القبط المصريين جميعا !!
- غرق فرعون في الماء العذب ! وابتلاعه أوحال البحر.

- **نظريات الخروج والرد عليها:**
  - مبالغات عن الخروج ونظريات خيالية.
  - نظرية موريس بوكاي عن الخروج.
  - نظرية التوراتيين وعلماء الكتاب المقدس عن العبور من خليج العقبة (البحر الأحمر).
  - نظرية عبور بحيرة المنزلة.
  - نظرية عبور ممر البحيرات المرة.
  - نظرية عبور خليج العقبة.
  - نظرية عبور بحيرة قارون!
- **أسباب خطأ نظريات الخروج.**
- **توقيت الخروج وتزامنه مع عيد الفصح وتشريع صيام عاشوراء عند المسلمين.**

القسم الثالث : ما بعد الخروج

- **وقائع وإرهاصات الخروج وما بعده.**
- **هل عاد بنو إسرائيل إلى مصر مرة أخرى بعد خروجهم منها ؟**
- **استفزاز الهكسوس للمصريين لاستعادة هيبتهم وقوتهم التي ضاعت بغرق فرعون وجنوده.**
- **ورقة ساليه تذكر الجائحة الشنعاء التي ألمت بالهكسوس بغرق آل فرعون.**
- **حرب الملوك القبط المصريين ضد الهكسوس وطردهم.**
- **هزيمة المصريين للهكسوس نتيجة هزيمة موسى لفرعون وجنوده.**
- **تفكك النظام الملكي الموحد للهكسوس في مصر بعد غرق آل فرعون.**

- مقاطعة الفرما الهكسوسية تتحول لمدينة مصرية حصينة.
- انهيار دولة الهكسوس في مصر والشام وسقوط الإمبراطورية وتدمير آثارهم.
- رسائل تل العمارنة تكشف أوضاع فلسطين في عهد إخناتون وظهور العبيرو في كنعان.
- من كان في القدس وفلسطين عند دخول بني إسرائيل إليها ؟
- بنو إسرائيل في عصر القضاة وحتى قيام مملكة داود وسليمان.

القسم الرابع : مسائل متعلقة بقضية الخروج

- معنى النجاة بالبدن والعظة من ذلك.
- هل لبني إسرائيل حق في فلسطين ؟
- فائدة وعظة من علو فرعون وإسرافه في القتل والتعذيب والطغيان.
- كتب ومصنفات عن الخروج.
- أعمال أدبية عن الخروج.
- أفلام علمية ووثائقية عن الخروج.
- أشهر الأفلام السينمائية عن الخروج.



تمهيد :

عرضنا في الفصل السابق الأدلة الوافية المتعددة لإثبات حقيقة وهوية فرعون وقومه، وقد استفضنا بقدر الإمكان في عرض كل ما وقع تحت أيدينا من أدلة وبراهين عقلية ونقلية وشواهد أثرية وتاريخية لبيان تلك الحقيقة وإثباتها كما أننا سنتعرض للرد على كل الشبهات والادعاءات والنظريات الخاطئة التي أثيرت في هذا الموضوع.

وسنتناول في هذا الفصل الجزئية الخاصة بخروج بني إسرائيل من مصر بدءا من ملابسات ما قبل الخروج ومسار الخروج مع تحقيق أهم محطات الخروج والمواقع التاريخية التي ذكرت في كتاب العهد القديم ودلت عليها الشواهد الأثرية والتاريخية.

ويمثل هذا الفصل أهمية كبيرة في خدمة الغرض من الموضوع ، حيث أنه يُكمل الصورة التي بينّاها منذ بداية فصول هذا الكتاب ، ويبرهن على واقعية ما ذهبنا إليه من حقائق لا تقبل التشكيك ، حيث أن قضية الخروج مرتبطة ارتباطا وثيقا بهوية قوم فرعون وطبيعة الأحداث والظروف السياسية التي كانت تجري وقتها بالإضافة لارتباط واقعة الخروج بالمواقع الجغرافية التي تشير بشكل واضح إلى مقر إقامة كلا من آل فرعون وبني إسرائيل على حد سواء ، وبالتالي فإن تحقيق مسار الخروج وزمنه يشير بمنتهى الوضوح إلى نقطة إنطلاق بني إسرائيل من مصر والوجهة التي توجهوا إليها بعد العبور والفترة الزمنية التي قضوها أثناء تلك الرحلة ، وهو ما يثبت كله ويؤكد على نفس النتيجة التي توصلنا إليها خلال صفحات هذا البحث منذ أولى صفحاته وحتى آخره.

إن واقعة الخروج تمثل معنى روحيًا للخلاص المادي والمعنوي ، وتتجلى بها آيات النجاة والانتصار على الظلم ، كما تبرز سنة الله عز وجل في الانتقام من الظالمين وعدالة الخالق عز وجل وعقاب الطغاة ونصرة المظلومين وهي معاني روحية تجلت في تلك الواقعة الهامة التي أخذت حيزا كبيرا في القرآن الكريم والكتب المقدسة عند أصحاب الديانات الأخرى وأثرت على الوجدان الجمعي للعنصر البشري منذ قرون طويلة وحتى يومنا هذا.

لقد انحرف اليهود ومن على عقائدهم الباطلة عن الغرض والهدف والعظة من قصة الخروج ووظفوها توظيفا يخدم أغراضهم وأطماعهم ، وبالتالي كان لابد لهم من إضافة بعض التفاصيل التي تمهد لكل تلك الأهداف لتظل حية في وجدان المؤمنين

بقدسية التوراة والعهد القديم على مر الأزمنة حتى لو بالتزوير والتحريف وهو ما أسماه الله بـــ "الثمن القليل" الذي اشتروا به آيات الله عز وجل واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض من تلك الإضافات الصارخة التي وضعوها في سفر الخروج تحديدا للإشارة إلى بعض الحقوق المزعومة والكاذبة والتي يتبجح بها اليهود في العصر الحديث ، ومنها تضخيم تعداد بني إسرائيل أثناء معيشتهم في مصر وقبيل خروجهم وذلك لإشعار الناس بأنهم كانوا يمثلون جزءا كبيرا من سكان مصر في ذلك الوقت وبالتالي يبررون أحقيتهم في تواجدهم على أرض مصر أو على جزء منها يمثل الضفة الشرقية من النيل التي تقع متاخمة لحدود أرض الميعاد المزعومة وهو تبرير آخر لفلسفتهم المزعومة التي تدعي أحقيتهم في دولة كبرى تمتد من النيل للفرات!.

كما أنهم أطالوا الفترة التي مكثها بنو إسرائيل في مصر فجعلوها أكبر من فترة إقامتهم الحقيقية وأضافوا عليها ما يقارب ثلاثة قرون إضافية عن الفترة الحقيقية التي تعد فترة قصيرة جدا في عمر الزمان ، وبالطبع فإن هدفهم من وراء ذلك إشعار قاريء التوراة بأنهم ظلوا فترة طويلة من الزمان ماكثين في تلك الأرض ومثلوا جزءا أساسيا من التركيبة البشرية التي عاشت على تلك الأرض وهو الأمر الذي نستطيع نفيه بمنتهى اليسر والسهولة إذا علمنا أن فترة إقامتهم المؤقتة لم تبلغ القرنين من الزمان بل أقل من ذلك بكل تأكيد.

هذا ومن جملة الزيادات والإضافات والتحريفات التي طالت سفر الخروج ادعاء كاتبوه أن فرعون ملك مصر قد سخر بني إسرائيل في أعمال التشييد والبناء ، بل وتبجح هؤلاء الكتبة عندما أمعنوا في المبالغة وادعوا أن بني إسرائيل قد تم تسخيرهم في بناء مدينتي صوامع الغلال بيتوم ورعمسيس في أرض جاسان التي سكنوا فيها ، ولا يمكن أن يتصور عاقل أبدا أن هذه الشرذمة القليلة التي وصفهم بها فرعون يمكن لها أن تبني مدينتين كاملتين ، بل إن العقل والمنطق والتاريخ والآثار تشهد بأن مدن الغلال المصرية حتى من قبل الهكسوس كانت متواجدة في جميع أرجاء مصر بطولها وعرضها ولا حاجة للهكسوس ولا للمصريين في تسخير بني إسرائيل الضعفاء والذين كانوا يمثلون أقلية معدودة في بناء مدينتين لتخزين الغلال لفرعون أو لغيره!.

لكن الأكثر فداحة من كل ذلك ليس النص التوراتي المحرفّ فقط وتأثيره على كل من يؤمن بقدسيته، لكن الفادح في الأمر هو التفسيرات التي اجتهد في تثبيتها في وعي الناس جميعا كل العلماء التوراتيين وأصحاب الخلفيات والثقافات اليهودية والحاخامات وعلماء الكتاب المقدس وغيرهم بل وساعدهم في ذلك الكثير من أبناء أمتنا العربية والإسلامية بأن قاموا بترديد وتكرار وتبرير كل تلك الإدعاءات والتفسيرات التي زادت من فجوة البعد عن الحقيقة.

لذلك حاولنا بقدر الإمكان عرض ما توصلنا إليه في موضوع الخروج من مصر بشكل علمي تاريخي وأكاديمي سليم لإثبات أحداث الخروج الحقيقية وتنقية ما تم إضافته وزيادته على الرواية الأصلية في التوراة وغيرها ونقد التفسيرات والتأويلات والافتراضات والنظريات التي أثارها كل التوراتيون والمتهودون عن قصة الخروج ومساره ومواقعه وتفاصيله الجوهرية التي تؤثر على جملة الحقائق الخاصة بهوية فرعون وقومه ونتائج القصة التي وصل المدى من تأثيرها أن غيرت خريطة المنطقة والعالم عبر قرون طويلة نتيجة اعتبار تفاصيلها الواردة في التوراة المزيفة على أنها تفاصيل مقدسة لا ينبغي المساس بها ولا تكذيبها وقد تبلورت في النهاية على هيئة نتيجة مفادها صنع وطن قومي لليهود على أنقاض الدولة الفلسطينية واغتصاب الأرض المقدسة لصالح اليهود المعاصرين على دماء وأجساد الفلسطينيين.

وفي هذا الفصل حاولنا قدر جهدنا أن نروي قصة الخروج وأحداثه برؤية جديدة لم يتم التطرق لها من قبل وانتهجنا منهجا علميا واضحا ودقيقا لبيان المسار الحقيقي للخروج والمحطات التي مر بها بنو إسرائيل أثناء تلك الرحلة وقمنا ببيان الموقع الحقيقي للعبور كما حددنا زمن الخروج وتاريخه التقريبي وبالتالي اختلفت الصورة الكلية وانتفت الرواية التقليدية عن الخروج وما توتب عليها من نتائج أوضحنا جانبا منها وسيرى القاريء بنفسه كمّ المغالطات التاريخية والتحريفات والمبالغات التي تم وضعها في القصة عن عِمد لإيصال صورة مختلفة وتبديل الحقائق.

ما قبل الخروج:

كانت حالة بني إسرائيل قد وصلت للحضيض قبل الخروج مباشرة ، وكان التحدي والعناد لدى فرعون قد بلغ مداه ، وتراجع فرعون في وعده لموسى عليه السلام أكثر من مرة .

وكان ظلم فرعون وقومه قد بلغ إلى أقصى حد في تلك الفترة وهو ما تعبر عنه الآية القرآنية عن قول بني إسرائيل لموسى:

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ سورة الأعراف

وتبين الآيات القرآنية مراوغة فرعون ونكوصه ورجوعه في وعوده لموسى عليه السلام وعدم موافقته هو وقومه على إطلاق سراح بني إسرائيل حتى بعدما رأوا الآيات وعاينوها وأصابتهم البلاءات ، يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ سورة الأعراف

بينما تبرز التوراة تلك النقطة تحديدا وتبين رضوخ فرعون بعد انتشار الطاعون في قومه مما اضطره في النهاية السماح لبني إسرائيل بالرحيل من مصر.

وقد يأس موسى عليه السلام من إيمان فرعون وقومه واستجابتهم لدعوته وعلم من الله تعالى أن هؤلاء القوم هالكون ولا محالة فاضطر موسى وهارون عليهما السلام للدعاء عليهم فاستجاب الله دعوتهما وأذن لهما بالخروج من مصر في التوقيت المحدد ، يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ سورة يونس.

الآيات والضربات التي أصابت فرعون وقومه في القرآن والمصادر الإسلامية واليهودية:

كانت واقعة الخروج ملحمة بكل المقاييس ، ومعجزة كبرى شق الله فيها البحر لبني إسرائيل بقيادة نبي الله موسى عليه السلام ، وقد انعقد الحصار على بني إسرائيل في تلك اللحظات المصيرية قبل أن يأتي أمر الله عز وجل بالعبور داخل اليم وإغراق فرعون وجنوده وقومه أجمعين بعد أن حاول تتبعهم والعبور خلفهم.

ولكن قبل أن تصل الأمور لتلك الحدود فقد أصاب فرعون وقومه ضربات مؤلمة وطامات صادمة لإجباره على السماح لبني إسرائيل مغادرة مصر والتوقف عن تعذيبهم واضطهادهم ، وفي الفقرة التالية نتناول تلك البلاءات التي أصابته هو وقومه لكن من منظور مختلف تماما.

قال تعالى: "ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا" الإسراء:101.

إن المفسرين يذكرون في معنى (الآيات البينات) التي أوتيها موسى عليه السلام تفسيرات مختلفة ، لكن الراجح في تلك الآيات أنها المعجزات والضربات والطامات التي أصابت فرعون وقومه ، قالوا: والمراد بهذه المعجزات والآيات قوله تعالى: "فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين" (الأعراف:133).

وهذه الآية ذكرت خمس آيات ، وأضيف إليها أربع أُخر هي: معجزة العصا عند فرعون وإبطال سحر السحرة ، واليد البيضاء ، والسنون ونقص الثمرات أي الجدب والأخيرتين آية واحدة لأن السنين هى الجدب والقحط، ونقص الثمرات هى نتيجة ذلك؛ فهى ليست مُعجزة مستقلة ، ولكنها تفصيل ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة وقال عنه ابن كثير في تفسيره هو قول ظاهر جلي حسن قوي، ويبدو أن الطاعون الذي أدى إلى موت الأبكار من آل فرعون الذي ذكرته التوراة هو تاسع تلك الآيات وقد قال آخرون أن الآية التاسعة هي الطمس على الأموال والقلوب وفقا لقول الله عز وجل:

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ يونس88

لكن الراجح أن الطمس على الأموال جاء بعد انقضاء الآيات التسع وبعد أن يئس موسى عليه السلام من استجابة فرعون وقومه لدعوة الله.

وقد ماطل فرعون كثيرا بعد كل آية عند كشف البلاء عنهم ينكث على عهده ويعود إلى عناده الأول حتى كان الغرق أمرا حتميا لا مفر منه بعد إقامة الحجة من الله عليه وعلى قومه فانتقم الله منهم أجمعين ، قال تعالى :

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ سورة الأعراف

وقد ذكر العهد القديم : الجراد والضفادع والدم والبعوض والذباب (وهي أنواع من الحشرات تقابل القُمَّل الذي ورد ذكره في القرآن) ، وضربة المواشي ، البثور ، والبَرَد والنار (وقد أدى ظهور البرد والنار إلى نقص الثمرات وتلف المحاصيل والجدب كما ورد بالقرآن) ، الظلمة ، والطاعون الذي أدى لموت الأبكار.

ومن الجلي جدا أن الاختلاف الذي يظهر بين الآيات التي ذكرت في التوراة والآيات التي ذكرها القرآن إجمالا هو اختلاف ناتج عن تقديم وتأخير النتائج والمسببات ، فقصها الله في القرآن إجمالا بينما أورد كاتبوا التوراة المسببات على أنها ضربات وبلاءات أصابت فرعون وقومه.

فالبَرَد والنار والجراد كذلك قد أدى كل منهم إلى وقوع الجَدَب ونقص الثمرات وتلف المحاصيل ، لكننا لا نرى ذكر ذلك في القرآن فأورد النتيجة بدلا من المسببات ، فاعتبرتها التوراة ضربات وبلاءات بينما اعتبرها القرآن مسببات ولم يهتم بذكرها وذكر نتيجتها وهي نقص الثمرات والأخذ بالسنين.

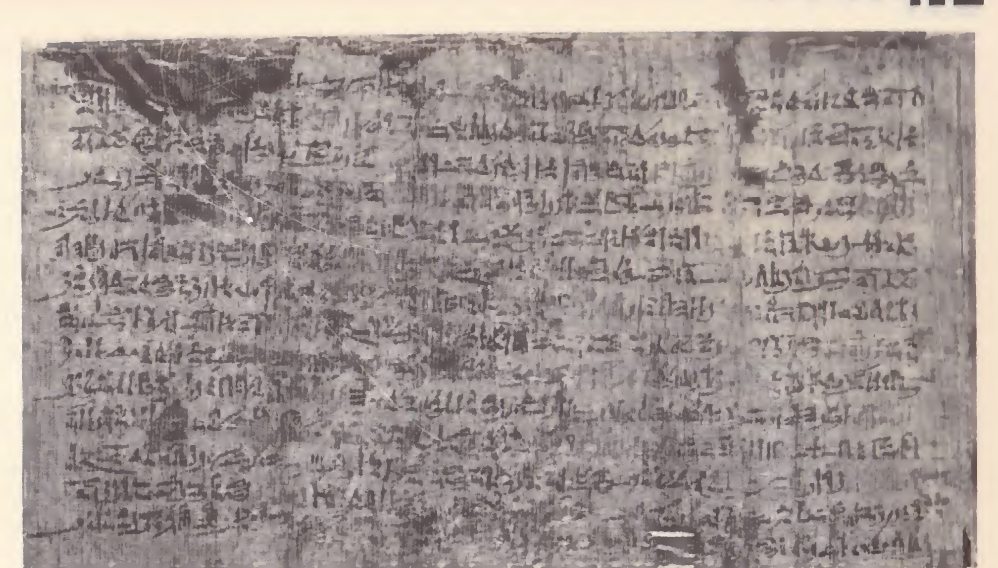
وقد يكون من نافلة القول أيضا أن حديث التوراة عن البعوض والذبان قد أدى إلى إصابة قوم فرعون بالبثور والدمامل وقد يكون ذلك أيضا سببا في نفوق المواشي.

كما يحدثنا القرآن الكريم عن القُمّل وتفسيره في معاجم اللغة العربية كالتالي :

القُمَّلُ : شيءٌ يقع في الزرع : يأكل السنبلةَ وهي غَضَّةٌ قبلَ أن تخرج ؛ وربما تكون هي التي تسمى الآن بـــ(النَّطَّاط) ، ويبدو أيضا أن ذلك من جملة البلاءات التي أصابت الزروع والثمار والإنسان على حد سواء وأدت في النهاية إلى الجدب والجوع.

بردية إيبوير ... هل تؤرخ للضربات التي أصابت فرعون وقومه ؟:

اكتشفت برديه إيبوير Ipwuer في القرن الثامن عشر الميلادي ويعود تاريخ كتابتها إلى القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد في منطقة ممفيس قرب الأهرام بسقارة الأثرية بواسطة أحد المنقبين ، وبيعت فيما بعد إلى متحف الآثار الوطني في ليدن هولندا سنة 1828م وتصنف في المتحف تحت رقم 344 ، وتم ترجمتها أول مره سنة 1908 م، وقد قيل عنها أنها تخص الدولة القديمة أو ما بعدها أثناء العصر الانتقالي الأول لكن تبين فيما بعد أنها تعود الي العصر الانتقالي الوسيط وفقا لأحدث الأبحاث وهو عصر الهكسوس.



صورة لصفحة من صفحات بردية إيبوير المحفوظة في متحف ليدن بهولندا والتي يرجح البعض أنها تؤرخ لأحداث الخروج وما قبله من ضربات أصابت فرعون وقومه

وكان أول ما نشر عنها في المجلات العلمية والصحافة في عام 1997 وقام بدراستها العديد من العلماء منهم العالم اليهودي ايمانيول فيلكوفيسكي وهو الذي قال عنها أنها وجهة نظر المصريين عن الضربات التي أصابت فرعون ، ثم قام علماء آخرون بإعادة ترجمة نصها بالكامل وتعد تلك البردية من أكثر النصوص القديمة إثارة للجدل حيث تناول تحليل محتوياتها الكثير من علماء اللغة والآثار مابين شد وجذب ومابين مؤيد ومعارض لنظرية فيلكوفيسكي.

وبشكل عام فإن اعتبار بردية ايبوير كتصديق وبرهان على واقعة الخروج (وأحداث الصراع بين موسى وفرعون) قد قوبلت بالرفض من الكثير من علماء المصريات الذين دائما ما يؤرخون واقعة الخروج بعصر متأخر عن عصر البردية ويجعلون الخروج في عصر الرعامسة، وتحديدا إلى عهد رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح لكن أعداد المؤيدين من الفريق الآخر تزايدت في الفترة الأخيرة وأصبحت نظرية تعيين وقت الخروج في العصر الانتقالي الثاني (عصر الهكسوس) أكثر قبولا عند الكثير من العلماء والمهتمين.

وتمثل البردية إحدى نصوص الشعر المصري القديم وقد عرفت بـمعاتبة إيبوير أو حوار بين إيبوير و "رب الجميع" وهو الذي لم تبين البردية عن شخصيته وإن كان حيا أم من الأموات !!

وتبدو صياغة النص وكأنه يتكلم مع ملك غائب أو ميت أو غير موجود ، وهي محفوظة في المتحف الوطني الهولندي للآثار في ليدن، بعد أن تم شراؤها من "جيوفاني أنستاسي" القنصل السويدي في مصر في عام 1828.

والبردية يرجع تاريخها تحديدا إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد وحاول البعض جعلها تخص القرن الثالث عشر قبل الميلاد ليثبتوا الحقبة التي يزعمون أن موسى عليه السلام قد خرج فيها وهي عصر الملك رمسيس لكن تلك المحاولات بعيدة عن الصحة كما هو واضح ومنطقي.

ولم يعرف ما هو "صوت القلاقل" الذى هزم الملك بجبروته وعناده وفقا لنص البردية! ، ومن هو هذا الملك الذى نطق بالزور والبهتان ؟ ، وهل اتهم أي ملك مصرى سابق أو لاحق بمثل هذا الاتهام؟؟. ولو بحثنا في تاريخ وادي النيل كله فلن نجد أبدا مثل ذلك سوى تلك الورقة التي ورد فيها مثل هذا الكلام ، ولم يحاول عالم واحد استنتاج ما هو قول الزور والبهتان الذي نطق به الملك المذكور الذي أوصل البلاد إلى هذا الخراب وأدى الأمر إلى فقدانه هو نفسه في ظروف غامضة لم يحدث لها مثيل وفقا للمخطوطة.

وأوضحت هذه الورقة بأن الأمراء والرجال ذوي القوة والشكيمة أصبح لا حول لهم ولا قوة أمام هذا الخراب الشامل فى البلاد، بل انتهت السطلة تماما فى مصر وأصبحت البلاد بلا راعٍ لها وهو ماظهر في اتهامات إيبوير الصريحة والمباشرة للملك المفقود أو الميت وانه هو السبب الرئيسى فى هذا الخراب لعناده وهكذا وصلت البلاد الى الهلاك الكامل ولم تجد من ينجدها من هذا كله ولا حتى الآلهة المصرية ، وكان إيبوير على ما يبدو من كل تلك الشواهد معاصرا للأحداث وليس متنبئا لها.

وتصف البردية معاناة مصر من الكوارث الطبيعية وحالة من الفوضى، جعلت الأمور تنقلب رأسًا على عقب، حيث أصبح الفقراء أغنياء والأغنياء فقراء، وأصبحت الحرب والمجاعة والموت في كل مكان وترجع البردية سبب ذلك إلى ثورة الخدم وتركهم لحياة الخدمة ويرجح البعض الآخر من الباحثين أن ما ذكر عن ثورة العبيد

تشير إلى ثورة بني إسرائيل على الحاكم وهو ما يطابق في وجهة نظرهم أحداث ما قبل خروج بني إسرائيل من مصر حيث يرى مترجموا البردية أن النص يعد كأحد مظاهر هذه الواقعة ويصف أيضا كيف أن العبيد الذين كانوا يقومون بأعمال شاقة في الخدمة قد شقوا عصى الطاعة وأظهروا العصيان ، وقد وردت بردية أخرى مشابهة تعود إلى نفس الحقبة التي كان فيها الهكسوس وتسمى بردية نفر-رهو وتحكي أحداثا مشابهة لكن يرجح أن بردية نفر-رهو تؤرخ لدخول الهكسوس إلى مصر واجتياح الأجانب لأرض القبط المصريين ويبدو أن الكاتب يحكي عن تلك الوقائع على أنها جرت في الماضي.[1]

ولهذه الأسباب ، واستنتاجا من هذه الجمل وغيرها ، كتحول النهر إلى دم ، ترجم البعض هذه الوثيقة على أنها رواية مصرية للبلاءات التي حلت بها قبيل واقعة الخروج الواردة في كتاب العهد القديم (التوراة) ، وغالبا ما يستشهد بها كبرهان على رواية التوراة من قبل العديد من المؤسسات الدينية ، وقد قارنوا البردية بأحداث الكوارث التي أصابت مصر، وسفر الخروج في العهد القديم، معتبرين أن العبيد إشارة إلى بني إسرائيل ، وغالبًا ما يشار إليها كدليل على صدق رواية الكتاب المقدس من قبل

---

[1] ملخص هام للجزء الأصلى من الورقة التى كتبها نفر-رهو ((... انصت يا قلبى وانع تلك الارض التى فيها نشأت لقد اصبحت هذه البلاد خرابا فلا من يهتم بها ولا من يتكلم عنها، ولا من يذرف الدمع عليها. فأى حال عليها تلك البلاد؟؟. لقد حجبت الشمس فلا تضىء حتى يبصر الناس، اصبح نيل مصر جافا ويمكن للانسان ان يخوضه بالقدم، وصار الانسان عندما يريد ان يبحث عن ماء لتجرى عليه السفن يجد طريقه قد صار شاطئا او الشاطىء صار ماء ، كل طيب قد اختفى وصارت البلاد طريحة الشقاء بسبب طعام البدو الذين يغزون البلاد وظهر الاعداء فى مصر فانحدر الاسيويين الى مصر... ساريك البلاد وهى مغزوة تتألم. وقد حدث فى البلاد ما لم يحدث قط من قبل... فالرجل يجلس فى عقر داره مواليا ظهره عندما يكون الآخر يذبح بجواره، ساريك الابن صار مثل العدو، والاخ صار خصما، والرجل يذبح والده، وكل الاشياء الطيبة قد ولت والبلاد تحتضر... املاك الرجل تغتصب منه وتعطى للاجنبى... سأريك ان المالك صار فى حاجة والاجنبى فى غنى، وإن الاض قد نقصت وفى الوقت نفسه تضاعف حكامها وصارت الحبوب شحيحة فى حين ان المكيال صار كبيرا، وتكال الحبوب حتى يطفح الكيل... ساريك البلاد قد صارت مغزوة تتألم وان منطقة عين شمس لن تصير بعد مكان ولادة كل إله هكذا ... اين المنجد ؟...)).

مختلف الطوائف الدينية، وهو ما رفضه بعض علماء المصريات ، لكن بعضهم قبل ذلك التفسير ومنهم جاردنر وفيلكوفيسكي وغيرهم.



البروفيسير اليهودي الروسي إيمانويل فيلكوفيسكي الذي ترجم نص البردية بالكامل إلى اللغة الإنجليزية

وجدير بالذكر أنه قبل اكتشاف هذه البردية كان الكثير من الغربيون يظنون أن الضربات التي أصابت فرعون وقومه هي مجرد أسطورة دينية مدونة في المصادر الدينية فقط وأنها ليس لها أصل في التاريخ الحقيقي ، ولكن وبعد اكتشافها وترجمة محتوياتها تبين لهؤلاء المنكرون أنها قد سجلت الكثير من الأحداث التي ذكرت عن البلاءات التي أصابت فرعون وقومه كما وردت في التوراة والقرآن مثل تحول مياه النيل إلى دم وغيرها من البلاءات المذكورة ، ومنذ ذلك الحين بدأت البردية في لفت نظر العالم إلى أن قصة الضربات حقيقة وليست أسطورة.

وقد قام بترجمة أجزاء منها إلى الإنجليزية مسبقا البروفيسير جاردنر وهو الذي أكد من قبل أنها تتكلم عن كوارث حدثت في مصر وتأكد أنه وجد النسخة المصرية من قصة الضربات العشرة ، وقد صرح أنها رسالة أو قصيدة أو مرثاة عن المصائب

الشديدة التي أصابت مصر ولم يكن كاتبها يعرف شيئاً عن الكتاب المقدس أو القرآن في هذا الزمان المبكر.

واقترح العالم "ديفيد رول" تأريخا منقحا لواقعة الخروج وفقا لتلك البردية ، حيث اعتقد بأنها وقعت في العصر الوسيط أو الانتقالي الثاني (عصر الهكسوس) ، وأرجع إلى أن إيبوير ربما قد يشير إلى ما حدث في هذا العصر من فوضى أثناء الاحتلال ، ولكن اقتراحه قوبل بالرفض من قبل الكثير من علماء المصريات رغم وجاهة افتراضه واقترابه من الحقيقة.

وتتكون المخطوطه من 17 صحيفة تحتوي على كتابات من الوجهين ، يوجد علي وجهها الأمامي قصة شخص يسمي إيبوير والوجه الخلفي قصيدة مكتوبة بالكتابة الهيراطيقية وهي إحدى الطرق الدارجة لكتابة اللغة المصرية القديمة.

ويأتي في الفقرات الأخيرة من البردية حوار بين شخصيتين ، تم تحديدهما فقط كالتالي : (إيبوير : الحكيم أو الكاتب) ، والآخر (صاحب الجلالة رب أو سيد الجميع !! وأحيانا الراعي الصالح) ، وبالرغم من أن هذه الأجزاء من البردية قد تم تدميرها بشكل سيء ، ولكنها ظاهريا تناقش أسباب الشر والفوضى في العالم ، والتوازن بين مسئولية الإنسان والسماء عن هذه الرذائل ، ويعد الحوار من أقدم الاستقراءات في أدب العالم في المسألة اللاهوتية إذا تم النظر إليها من الجانب الفلسفي والعقائدي وليس من الجانب التاريخي.

أما من الجانب التاريخي ، فيستند الفريق المؤيد لاعتبار البردية قد كتبت لتؤرخ أحداث الخروج إلى أنها تكلمت عن البلايا والمصائب التي أصابت فرعون وقومه ومنها الدم وموت الأسماك وموت المواشي وضربة البَرَد المصحوب بنار والضجيج والرعد ووقوع الجَدَب وهلاك الزروع والثمار أكثر من مرة بسبب الجراد وغيره إلى جانب آيات أخرى ورد بالتوراة أنها أصابت مصر ومنها الظلام الدامس الذي حل على البلاد وموت الأبكار من أبناء قوم فرعون وأغلبها قد وردت في إشارات بتلك البردية المثيرة للجدل.

ويرى هذا الفريق إلى أن البردية قد تكلمت بوضوح عن الدم وضربة الماشية وضربة البرد المصحوبة بنار وضربة الزرع التي هي غالبا الجراد وضربة الظلمة وضربة الطاعون والأبكار نصاً ، كما يُفهم منها أيضا ضمنيا ضربة البعوض والذبان والبثور التي تسببت

في موت الكثيرين لانها تكلمت عن الموت بأمراض مختلفة في أكثر من موضع ، غير أننا نعتقد أيضا أن إيبوير في معرض حديثه عن تلك الكوارث التي أصابت قوم فرعون وأرض الدلتا استشهد بالأحداث التي جرت في أوائل عصر الهكسوس كأسلوب بلاغي منه في وصف فترة حكم الهكسوس بأكملها على أنها فترة كوارث وحروب وجَدَب ، فاختلط في كلامه أحداث بداية دخول بني إسرائيل بأحداث خروجهم وهو ما يظهر من نص البردية المترجم.

وفيما يلي بعض المقارنات التي أوردها المترجمون والمحللون للنص الذي احتوته البردية من وجهة النظر الدينية :

الآيات / الضربات	القرآن	التوراة	البردية
1. تحول ماء النهر إلى دم (انتشار العطش وموت الأسماك كنتيجة من نتائج تغير الماء)	ذكرت آية الدم مجملا في الآية	7:20ففعل هكذا موسى و هرون كما امر الرب رفع العصا و ضرب الماء الذي في النهر امام عيني فرعون و امام عيون عبيده فتحول كل الماء الذي في النهر دما 7:21و مات السمك الذي في النهر و انتن النهر فلم يقدر المصريون ان يشربوا ماء من النهر و كان الدم في كل ارض مصر 7:24 و حفر جميع المصريين حوالي النهر لاجل ماء ليشربوا لانهم لم يقدروا ان يشربوا من ماء النهر	الورقة رقم (10 -2) تحول النهر إلى دم الورقة رقم (7:20) كل الماء الذي في النهر تحول إلى دم الورقة رقم (2:10) عاف الناس شرب الماء وابتعدوا عنه وانتشر العطش الورقة رقم (3: 10-13) (هذا هو نهرنا ومياه شربنا — هذا مصدر سعادتنا — ماذا عسانا أن نفعل إزاء ذلك — كان هناك دماء في كل ارض مصر والنهر أنتن

2. الجوع ونقص الثمرات (بسبب نزول البَرَد على الأراضي الزراعية والأشجار وفقا للتوراة)	نقص في الثمرات وأخذ بالسنين وقد ذكرت إجمالا في الآيات	9:22 ثم قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ليكون بَرَد في كل ارض مصر على الناس و على البهائم و على كل عشب الحقل في ارض مصر 9: 23فمد موسى عصاه نحو السماء فاعطى الرب رعودا و بردا و جرت نار على الارض و امطر الرب بردا على ارض مصر 9: 24فكان برد و نار متواصلة في وسط البرد شيء عظيم جدا لم يكن مثله في كل ارض مصر منذ صارت امة 9: 25فضرب البرد في كل ارض مصر جميع ما في الحقل من الناس و البهائم و ضرب البرد جميع عشب الحقل و كسر جميع شجر الحقل 9: 26الا ارض جاسان حيث كان بنو اسرائيل فلم يكن فيها برد 9: 31 فالكتان و الشعير ضربا لان الشعير كان مسبلا و الكتان مبزرا (مقطع الأعواد)	الورقة رقم (4:14) خربت الأشجار وماتت الورقة رقم (6:1) ما عادت تثمر وما عادت الأرض تخرج الكلأ الورقة رقم (6 – 3) هلك المحصول من كل جانب الورقة رقم (11-2) أصاب الدمار البلاد– ضرب الجفاف والضياع مصر الورقة رقم (6:1) لا شيء هنا – لا ثمار ولا عشب– لا شيء سوى الجوع هنا ، لاتوجد فاكهة ولا اعشاب الجوع .. آه ... الارض ستتوقف عن الضجيج والجلبه لاتحدث بعد. الورقة رقم -10:3) (6وبكت مصر انعدمت مصادر العيش –خلت القصور من القمح والشعير والطيور والأسماك الورقة رقم (6:3) فسدت وانعدمت الحبوب في كل مكان الورقة رقم) (5 :3) كل ما كان بالأمس هنا موجودا بات غير موجوداً، أصاب الأرض التعب والخراب كما لو كانت ارض كتان قطعت أعواده.

		21 :9 و اما الذي لم يوجه قلبه إلى كلمة الرب فترك عبيده و مواشيه في الحقل	الورقة رقم (5:5) حتى مواشينا، بكت قلوبهم وناحت الورقة رقم (3-2 :9) انظر – ها هي الماشية تركت هائمة وليس من احد يرعاها، كل رجل يصطاد لنفسه ما هي له 9:2-3 هوذا لا رؤساء في اماكنهم وأصبحوا يشبهون قطيع خائف بدون راع هوذا الماشية تركت مشتتة ولا يوجد احد يجمعهم معا
3. النار (وهي آية مكررة في التوراة مصاحبة للبَرَد)	لم تذكر النار كآية منفصلة عن الآيات الأخرى في القرآن	23 :9 فمد موسى عصاه نحو السماء فأعطى الرب رعودا و بردا و جرت نار على الارض و امطر الرب بردا على ارض مصر 24 :9 فكان برد و نار متواصلة في وسط البرد شيء عظيم جدا لم يكن مثله في كل ارض مصر منذ صارت امة (النار والبرد وردت في آية واحدة في التوراة)	الورقة رقم (7:1) انظروا النار هاهي قد ارتفعت عاليا- -- الورقة رقم (2: 10) (انتشرت الحرائق – اخترقت البوابات والأبنية والجدران قد ذهبت صوب أعداء الأرض هوذا قد النار اطلقت من الاعلي ولهيبها يذهب ضد اعداء الارض بكاء الارض من كل جنب تبكي
4. الضفادع	ذكرت آية الضفادع إجمالا من جملة الآيات التسع	5 :8 فقال الرب لموسى قل لهرون مد يدك بعصاك على الانهار و السواقي و الاجام و اصعد الضفادع على ارض مصر	لم يأت ذكر الضفادع في البردية

		6 :8 فمد هرون يده على مياه مصر فصعدت الضفادع و غطت ارض مصر 12 :8 ثم خرج موسى و هرون من لدن فرعون و صرخ موسى الى الرب من اجل الضفادع التي جعلها على فرعون 13 :8 ففعل الرب كقول موسى فماتت الضفادع من البيوت و الدور و الحقول 14 :8 وجمعوها كوما كثيرة حتى انتنت الارض	
5. البثور والدمامل (انفردت بها التوراة)	لم يرد ذكرها في القرآن الكريم ولعلها من الآيات التي لم يفصل ذكرها في باقي التسع الآيات	10 :9 فاخذا رماد الاتون و وقفا امام فرعون و ذراه موسى نحو السماء فصار دمامل بثور طالعة في الناس وفي البهائم 11 :9و لم يستطع العرافون أن يقفوا امام موسى من اجل الدمامل لان الدمامل كانت في العرافين و في كل المصريين	لم يرد لها نص في البردية
6. البعوض	ذكر القرآن القُمَّل ولم يذكر البعوض، وربما يكون القمل المذكور في الآيات هو نوع من البعوض	16 :8 ثم قال الرب لموسى قل لهرون مد عصاك و اضرب تراب الارض ليصير بعوضا في جميع ارض مصر	لم يرد لها نص في البردية

		17 :8 ففعلا كذلك مد هرون يده بعصاه و ضرب تراب الارض فصار البعوض على الناس و على البهائم كل تراب الارض صار بعوضا في جميع ارض مصر	
7. الذباب	ذكر القرآن الجراد ولم يذكر الذباب (الذبان وفقا لرواية التوراة)	19 :8 فقال العرافون لفرعون هذا اصبع الله و لكن اشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب 24 :8 ففعل الرب هكذا فدخلت ذبان كثيرة الى بيت فرعون و بيوت عبيده و في كل ارض مصر خربت الارض من الذبان	لم يرد لها نص في البردية
8. الظلام	لم يرد ذكره في القرآن الكريم ولعلها من الآيات التي لم يفصل ذكرها في باقي التسع الآيات	10:21 ثم قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على ارض مصر حتى يلمس الظلام 10:22 فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس في كل ارض مصر ثلاثة ايام 10:23 لم يبصر احد اخاه و لا قام احد من مكانه ثلاثة ايام و لكن جميع بني اسرائيل كان لهم نور في مساكنهم	الورقة رقم (9:11) عم الظلام الأرض (لا يوجد ضوء على الأرض)

9. الجراد	ذكر الجراد إجمالا من ضمن الآيات التسع التي ذكرت في الآيات	10:12ثم قال الرب لموسى مد يدك على ارض مصر لاجل الجراد ليصعد على ارض مصر و ياكل كل عشب الارض كل ما تركه البرد 10:13فمد موسى عصاه على ارض مصر فجلب الرب على الارض ريحا شرقية كل ذلك النهار و كل الليل و لما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد 10:14فصعد الجراد على كل ارض مصر و حل في جميع تخوم مصر شيء ثقيل جدا لم يكن قبله جراد هكذا مثله و لا يكون بعده كذلك 10:15و غطى وجه كل الارض حتى اظلمت الارض واكل جميع عشب الارض وجميع ثمر الشجر الذي تركه البرد حتى لم يبق شيء اخضر في الشجر و لا في عشب الحقل في كل ارض مصر	لم يرد الجراد في نص البردية ولكن وردت إشارات عن هلاك المحاصيل الخضراء لاتوجد فاكهة ولا اعشاب الجوع .. آآه ... الارض ستتوقف عن الضجيج والجلبه لاتحدث بعد.
10. موت الأبكار	لم تذكر نصا في القرآن ولعلها من باقي التسع آيات التي لم تأتي في النص القرآني	11:4و قال موسى هكذا يقول الرب اني نحو نصف الليل اخرج في وسط مصر 11: 5فيموت كل بكر في ارض مصر من بكر	الورقة رقم (6:12) ها هم أولاد الأمراء ملقون في الشوارع الورقة رقم (13: 2) كثيرون هم الذين يودعون إخوانهم التراب في كل مكان

		فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الجارية التي خلف الرحى و كل بكر بهيمة 11:6و يكون صراخ عظيم في كل ارض مصر لم يكن مثله و لا يكون مثله ايضا 12:29فحدث في نصف الليل ان الرب ضرب كل بكر في ارض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الاسير الذي في السجن و كل بكر بهيمة 12: 30فقام فرعون ليلا هو و كل عبيده و جميع المصريين و كان صراخ عظيم في مصر لانه لم يكن بيت ليس فيه ميت 12:31فدعا موسى و هرون ليلا و قال قوموا اخرجوا من بين شعبي انتما وبنو اسرائيل جميعا و اذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم	الورقة رقم (14: 3) في كل مكان أنين ونواح وبكاء الورقة رقم (4:4) هؤلاء الذين كان يرقدون في غرفة التحنيط طرحوا هناك على أكوام القمامة الورقة رقم (14: 5) هل سيباد الرجال....... فلا تحمل النساء ولا تلد ! وهل ستنعدم الحياة على الأرض ويتوقف الصخب

11. موت المواشي	لم يأت ذكرها في القرآن	9:3 فها يد الرب تكون على مواشيك التي في الحقل على الخيل و الحمير و الجمال و البقر و الغنم وباءا ثقيلا جدا 9:4و يميز الرب بين مواشي اسرائيل و مواشي المصريين فلا يموت من كل ما لبني اسرائيل شيء 9:5و عين الرب وقتا قائلا غدا يفعل الرب هذا الامر في الارض 9: 6ففعل الرب هذا الامر في الغد فماتت جميع مواشي المصريين و اما مواشي بني اسرائيل فلم يمت منها واحد	لم يرد ذكرها في البردية ولكن وردت إشارات عن حالة الماشية أثناء تلك الفوضى الورقة رقم (5:5) حتى مواشينا، بكت قلوبهم وناحت الورقة رقم (3-2 :9) أنظر – ها هي الماشية تركت هائمة وليس من احد يرعاها، كل رجل يصطاد لنفسه ما هي له 9:2-3 هوذا لا يوجد رؤساء في اماكنهم وأصبحوا يشبهون قطيع خائف بدون راع هوذا الماشية تركت مشتتة ولا يوجد احد يجمعهم معا

أحداث أخرى غير الآيات التسع القرآنية والآيات العشر التوراتية:

الآية / الضربة	القرآن	التوراة	البردية
غرق فرعون	ذكرت حادثة الغرق في سورة البقرة وسورة طه ويونس وغيرها من الآيات	ذكرت واقعة الغرق في سفر الخروج 15 لكن سياق الكلام تحدث عن غرق المركبات والجنود ولم يتحدث بشكل مباشر عن غرق فرعون نفسه	الورقة رقم (2-1:7) هاهو الملك قد فقد في ظروف لم يحدث مثلها من قبل
الفوضى العامة نتيجة كل تلك الأحداث	آيات القرآن تتحدث عن زوال ملك فرعون وتدمير آثاره وتوريث الأرض لبني إسرائيل ولغيرهم قبل وبعد	إصحاحات سفر الخروج تتحدث عن دمار كبير وفوضى عامة وقعت في أرض مصر لآل فرعون وجنوده انتهت بغرق الجنود	حقا الارض تصحرت واصبح الاكل نفايات وسيطرت القبيله الاجنبيه علي مصر

ووصف البردية لسقوط مصر في يد الأجانب ووصف القرآن لدمار أبنية فرعون وقومه وما كانوا يعرشون	غرق فرعون وجنوده وقومه		الورقة رقم: (2-8) لقد دارت الأرض كما لو كانت طبق طعام الورقة رقم (3:13) وعم الخراب الورقة رقم (6:3) حتى السجون خربت الورقة رقم (4:7) وانقلبت المسكونة الورقة رقم (4:2) وعمت سنوات من الفوضى لانهاية لها الورقة رقم (4:2) الكل هنا عظيم كان أو صعلوك يتمنى الموت الورقة رقم (2:5-6) المصائب في كل مكان، والدم في كل مكان الورقة رقم (7:21) كان الدم في أنحاء ارض مصر الكل أصبح خراب الورقة رقم (4:3) وهام أولاد الأمراء يتخبطون بين الجدران الورقة رقم (6:1) ها قد توقفت الفوضى وانتهت المعمعة

طبيعة أرض جاسان كمحمية منعزلة ودورها في حماية بني إسرائيل من البلاءات:

لقد كانت لطبيعة جاسان كمحمية طبيعية منعزلة - وفقا لروايات التوراة المتعددة- دورا هاما في حماية بني إسرائيل من البلاءات والأمراض والطواعين التي أصابتهم ، فكان لموقعها المنعزل نوعا عن أواريس (مقر آل فرعون) في الجهة الشمالية من الدلتا العامل الجوهري في جعلها توفر نوعا من الحجْر الصحي من ناحية ومنطقة معزولة عن باقي البلاءات والظواهر العجيبة التي وقعت في مدينة الهكسوس من جهة أخرى.

تقول التوراة :

" ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «بَكِّرْ فِي الصَّبَاحِ وَقِفْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى الْمَاءِ. وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي ، فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ لاَ تُطْلِقُ شَعْبِي، هَا أَنَا أُرْسِلُ عَلَيْكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى بُيُوتِكَ الذُّبَّانَ، فَتَمْتَلِئُ بُيُوتُ الْمِصْرِيِّينَ ذُبَّانًا. وَأَيْضًا الأَرْضُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا ، وَلكِنْ أُمَيِّزُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ شَعْبِي مُقِيمٌ حَتَّى لاَ يَكُونُ هُنَاكَ ذُبَّانٌ. لِكَيْ تَعْلَمَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ فِي الأَرْضِ." سفر الخروج 8 – 20:22

وتقول التوراة أيضا :

فَكَانَ بَرَدٌ، وَنَارٌ مُتَوَاصِلَةٌ فِي وَسَطِ الْبَرَدِ. شَيْءٌ عَظِيمٌ جِدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مُنْذُ صَارَتْ أُمَّةً.

فَضَرَبَ الْبَرَدُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ جَمِيعَ مَا فِي الْحَقْلِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَضَرَبَ الْبَرَدُ جَمِيعَ عُشْبِ الْحَقْلِ وَكَسَّرَ جَمِيعَ شَجَرِ الْحَقْلِ ، إِلاَّ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا بَرَدٌ. سفر الخروج 9- 24:26

ومن الإصحاحات المذكورة يتضح لنا أن أرض جاسان المحمية الطبيعية المعزولة عن باقي أراضي الدلتا ببعض الحواجز الطبيعية والمائية ومحاطة بالصحراء من كل جانب وبالتالي لم يطالها ما طال مدينة أواريس / فاقوس ومدينة صوعن / صا الحجر مقرات الهكسوس العماليق التي يقيم فيها آل فرعون من أوبئة وأمراض وبلاءات سلطها الله عليهم.

ولكي نفهم طبيعة تلك الأرض وجب علينا استعراض خصائص تلك المنطقة وظروفها الجغرافية والمناخية وموقعها الفريد الذي لعب دوراً في أحداث الخروج وما قبله ، ودور هذا الموقع في فرض الحصار على بني إسرائيل أثناء الخروج والذي انقلب على فرعون وجنوده حيث مثل لهم فخاً وأغراهم في تتبع بني إسرائيل لظنهم أنهم أصبحوا محاصرين في نهاية تلك الأرض تحدهم الموانع المائية من كل الجهات.

يقول قاموس الكتاب المقدس عن أرض جاسان:

هي منطقة خصيبة في مصر كثيرة المرعى للقطعان والمواشي، واقعة شرق الدلتا ، وهي المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبي زعبل إلى البحر ومن برية جعفر إلى وادي طميلات وقد أعطاها يوسف لأبيه وإخوته فسكنوا فيها هم وذريتهم من بعدهم نحو مائتي

سنة ، وكانت تعد من "أفضل الأرض" (تك 46: 34 و47: 6) وهي تكون جزءًا من أرض رعمسيس [2]، وهناك استقبل يوسف أباه وإخوته لما حضروا من ارض كنعان (تك 46: 27و29) وفي وقت اضطهادهم كان الشعب مقيمًا هناك (خر 8: 22).

إذن فأرض جاسان هي منطقة تحدها الصحراء من الشرق وصولا إلى خليج السويس، ثم أحد فروع النيل القديمة ويسمى بقناة سيزوستريس / سنوسرت من الشمال، ويحدها من الناحية الغربية دلتا النيل حيث تقع مدينة بلبيس على طرف الدلتا وهي بداية أرض جاسان من جهة الشرق ، ثم صحراء مصر الشرقية من جهة الجنوب، وهي بذلك هي معزوله تقريبا عن باقي أرض مصر وأراضي الدلتا الزراعية فيما عدا الناحيه الغربية التي تتصل بالدلتا وبالمناطق الزراعية الخصبة.

كما عبرت التوراة عن عزلة أرض جاسان بالنسبة لباقي أرض رعمسيس التي يقيم في شمالها فرعون وقومه حيث تقع عاصمتهم أواريس والتي ذكرتها التوراة بإسم صوعن/ صان الحجر حاليا، حيث ذكرت في الإصحاحات السابقة كيف أن الذباب والبرد والنار لم يصيبوا أرض جاسان حيث ميزها الله عما حولها من الأراضي وعزلها عنهم بموانع طبيعية لاختلاف طبيعتها عن الطبيعة الزراعية ، فإن باقي البلاءات أيضا لم تطال تلك الأرض المحمية المعزولة ، فنجد أن معجزة تحول الماء إلى دم قد أصابت نهر النيل وفروعه ومن البديهي أن ذلك لم يطال الآبار والعيون التي تقع في أرض جاسان التي تقع على أطراف الصحراء وذلك لطبيعتها البرية ، فأرض جاسان أرض رعي وحشائش طبيعية وأعشاب برية تعتمد علي الآبار والعيون كمورد طبيعي للماء ولا تعتمد على مياة نهر النيل إلا في المناطق المجاورة لفروعه فقط ، لهذا لم يتاثر بنو إسرائيل عندما تحول الماء إلى دم ولم ينتن أي شيء في أرض جاسان لاعتمادها على الآبار والعيون في الري والرعي والشرب.

---

[2] وكون أرض جاسان جزءا من أرض رعمسيس كما أقر بذلك علماء التوراة فإن ذلك يعد دليلا على أن أرض رعمسيس المذكورة في التوراة كانت أرضا خصبة واسعة وممتدة وهي أغلب الظن أخصب أراضي الدلتا في منطقة شرق الدلتا الكبرى وبالتالي فإن كلا من أواريس عاصمة الهكسوس وجاسان أرض المراعي الواسعة ومقر بني إسرائيل كانتا واقعتين في أرض رعمسيس الكبرى وفقا لهذه الحقائق الراجحة.

وعلى غرار ذلك نجد أن آية الضفادع قد اقتصرت علي المياه الجارية أيضا حيث تتواجد الأنهار والترع والمصارف الزراعية ، أما الآبار فلا تعيش بها الضفادع ، وبهذا لم يصب هذا البلاء أيضا أرض جاسان ولم يؤثر علي بني إسرائيل وبموت الضفادع التي أنتنت أراضي آل فرعون لم تتأثر أيضا أرض جاسان بتبعات نفوق الضفادع وتعفنها من انتشار الذباب / الذبان المذكور في التوارة كآية من الآيات التي أصابت فرعون وقومه وغيره من الآيات المترتبة على بعضها البعض وبالتالي لم تصب مواشي بني إسرائيل بسوء من جراء انتشار الذباب مثلما وقع في الأراضي التي يسكن بها آل فرعون شمالا داخل أراضي شرق الدلتا الزراعية مما ترتب عليه أيضا عدم انتشار الدمامل والبثور المذكورة في التوراة والتي قد نتجت غالبا عن كل هذا التلوث الذي وقع في جميع الاراضي الزراعية في منطقة شرق الدلتا ، غير أن منطقة جاسان المتطرفة والواقعة في طرف البرية لم تصب بكل هذا و لم تتأثر لعدم وجود المسببات التي أدت إلى كل تلك التوابع.

وكذلك إذا تأملنا آية البعوض الذي يتكاثر في الأماكن التي فيها مسطحات المياة التي لم تكن تتوافر في أرض جاسان الصحراوية أو شبه الصحراوية وبالتالي لم يصب البعوض أرض جاسان بأي ضرر مثلما أصاب الأراضي الزارعية في الدلتا وكل ما اتصل بالأنهار في تلك الأرض وما حولها من أراض ومنها مدينة فرعون وقومه التي تضررت أشد الضرر من تكاثر البعوض واجتياحه لمساكنهم.

أما الجراد الذي يتحرك مع الرياح ، فالرياح كانت تبعده عن أرض جاسان لأنه جاء مع ريح شرقية حتى حط على الأراضي الزراعية المثمرة عند أواريس وأراضيها الخصبة وثمارها اليانعة وبذورها الوفيرة و لم يهبط الجراد بذلك جنوبا إلى أرض جاسان الواقعة في جنوب صوعن وأواريس عند وادي طميلات الصحراوي وذلك تبعا لاتجاه الريح الشرقية التي جلبته إلى أرض أواريس في الشمال وأيضا بسبب انعدام الثمار والزروع والبذور في أرض جاسان لكنها كانت وفيرة في أرض صوعن وأواريس.

وحتى حينما طرد الجراد بسبب هبوب رياح غربية شديدة كما ذكرت التوراة فلم يحط على أرض جاسان الجنوبية لأن الريح ساقته بقوتها وألقته في يم سوف أي في البحيرات المرة التي تقع شرق أرض جاسان وبالتالي لم يتوقف الجراد في أرض جاسان التي كانت تتوسط المسافة بين البحيرات المرة وبين شرق الدلتا.

أما الطاعون الذي أصاب فرعون وقومه في مدينتهم وتسبب في موت الأبكار وفقا لرواية التوراة فلم يصب أرض جاسان أيضا وفقا لتفسير علماء التوراة الذين حاولوا إثبات علاقة الطاعون بنوعية الطعام والشراب الذي كان يتناوله قوم فرعون في مدينتهم ، أما بنو إسرائيل فقد خالفوا العادات الغذائية المعتادة في تلك الآونة تحديدا بسبب بدء أعياد الفصح والتي يتناولون فيها الأغنام الصحراوية المطهية على النار عن طريق الشوي ، فهي لا تتناول طعام المدن والقرى الزراعية ولا يتم طهوها كما يتم طهو الطعام في المدن والقرى الزارعية المحيطة بهم وبالتالي لم يحمل طعامهم المرض الذي أصاب في المقابل فرعون وقومه وساكني المدن والقرى الواقعة في شرق الدلتا ومنها أواريس وصوعن ، وهو تفسير بعيد جدا لكنه يظل احتمالا مفترضا على أية حال.

ومن خلال ما تقدم من بحث نستطيع أن نلخص تلك الحقائق عن أرض جاسان فيما يلي :

- أرض جاسان في أغلب الأقوال وأصحها تقع في وادي طميلات وتمتد من بحيرة التمساح حتي فرع النيل الشرقي وتقع علي الحد الشرقي لدلتا نهر النيل مجاورة لصحراء سيناء التي تقع على الشرق من بحيرة التمساح والإسماعيلية ، ولم تكن إقليما زراعيا رغم أنها واقعة تحت فرع نيلي عذب وهو قناة سيزوستريس ، لكنها ظلت مكانا ملائما لرعي الماشية وتذكر في الاثار المصرية باسم ارض جسم او جاسم وقال بعضهم أنها تقع في شمال سيناء بين تانيس (صا الحجر) والعريش وهو قول بعيد عن الصحة.
- ولعل يوسف عليه السلام قد اختار أرض جاسان بالذات لإسكان أبيه وإخوته لملائمتها لرعي مواشيهم ولأنها بعيدة نسبيا عن المصريين إذ إن آل فرعون الهكسوس العماليق بعد سكنهم بمصر ولبسهم لعباءة المدنية كانوا لا يرحبون برعاة الغنم والمواشي وكأنهم يتبرأون من ماضيهم تقول التورة :(لان كل راعي غنم رجس عند المصريين) والتوارة هنا تقصد بالمصريين أي الهكسوس الذين تمصروا بإقامتهم في مصر وقد تقدم الإثبات في الفصل الثالث كيف اصطبغ الهكسوس بالصبغة المصرية وكيف تقمصوا طرائق الحياة المدنية على الطريقة المصرية في ملبسهم ولغتهم وأسمائهم ، وبالتالي أراد يوسف عليه السلام

باختيار هذا المكان ألا يكون هناك إحتكاك كبير بين قومه وبين آل فرعون من الهكسوس مما قد يولد خلافات ومصادمات هم في غنى عنها.

- رغم عزلة أرض جاسان في وادي طميلات كما أوضحنا لكن المدينة التي كانت تقع عند مركز فاقوس حاليا بمحافظة الشرقية على طرف الدلتا الشرقي الجنوبي بقيت قريبة من عاصمة الهكسوس التي يقطن فيها آل فرعون وقومه حيث يحكم فرعون ملك الهكسوس ، وكانت عاصمة الهكسوس هي مقر يوسف عليه السلام فأراد أيضا أن يكون قريبا من أبيه وقومه وفي ذات الوقت يسكنهم في منطقة مخصوصة بهم ومناسبة لهم في خصائصها ، وكماسبق أن أوضحنا أنها كانت بعيدة عن أماكن سكن الهكسوس من جهة وبعيدة عن سكن القبط المصريين الذين لم يكونوا ليقبلو العبرانيين رعاة الغنم بينهم أيضا.

ولكل هذه الأسباب المتقدمة فإن اختيار أرض جاسان الواقعة في وادي طميلات في المنطقة المحصورة مابين بحيرة التمساح والبحيرات المرة من جهة وبين فرع النيل المندثر المسمى بسيزوستريس من الشمال إلى حدود شرق الدلتا عند بلبيس من جهة أخرى ، كان أنسب الأماكن من جميع النواحي المنطقية وهو ما كان وحيا من الله لنبيه يوسف عليه السلام وسبب لقبول يعقوب عليه السلام أن يسكن في تلك الأرض التي أمر الله نبيه باختيارها.

- سكن بنو إسرائيل أرض جاسان وعاشوا في رغد من العيش وهذا معناه أنه كان يجري عليهم الأرزاق والطعام من مخازن الدولة و لم يكن لهم أن يدفعو ثمنا للعيرة وهم من أهل عزيز مصر ونائب الملك وهكذا فإن كل إنتاج المراعي والأغنام كانت تبقى لهم بأكملها فكثرت أموالهم وعاشوا في بحبوحة من العيش ولكن كل ذلك تغير حين أتى الوقت الذي تولى فيه فرعون مُلك مصر وأصبح خروج بني إسرائيل من مصر أمرا حتميا.
- أكد كاتبوا التوراة أن هذه الابتلاءات لم تصب بني إسرائيل رغم قربهم من عاصمة الملك (أواريس) وبالتالي فإن هذه الابتلاءات أيضا لم تصب المصريين القدماء في مقاطعاتهم المختلفة وهذا يفسر صمود فرعون وقومه أمام هذه الابتلاءات رغم شدتها وقسوتها حيث كانت تأتيهم الجزية والضرائب من مختلف هذه المقاطعات المصرية ومن الممالك الخاضعة لنفوذ وسلطة الحكم في

مصر والتي تتضمن الطعام والشراب والكساء وكافة أنواع المشغولات والمصنوعات التي كانا في حاجة إليها.[3]

وهذا التفسير يتلاقى مع ما ورد في ورقة ساليه التي سيأتي ذكرها في هذا الفصل ، حيث يؤكد كاتب ورقة ساليه بأن ما أسماه بـــ "الجائحة الشنعاء" قد وقعت في أرض العمو (أي الهكسوس) أي أرض الدلتا التي تقع فيها عاصمة الهكسوس العماليق ويسكن فيها آل فرعون ولم تقع في أي أرض أخرى سوى أرض العمو ومن الواضح أن أرض جاسان المجاورة لأرض العمو في الدلتا لم تتأثر بتلك الكوارث لعزلتها الطبيعية.

ظاهرة طبيعية تشبه معجزة شق البحر! :

بجوار إحدى الجزر الكورية وتسمى جزيرة جيندو Jindo توجد ظاهرة فريدة من نوعها تعرف بإسم "معجزه نبي الله موسى في جزيره جندو "The Jindo Moses Miracle"، وقد سُميت بهذا الاسم تيمنا بمعجزه نبي الله موسى في قصه شق البحر وهلاك فرعون وجنوده ، وتحدث هذه الظاهره مرتين في كل عام حيث ينحسر ماء البحر بفعل الجزر فيظهر مسار أرضي جاف يمتد لمسافه 2.8 كلم وعرض 40 مترا ليربط ما بين جزيرتي "جندو "Jindo" و "مودو Modo" ولمده ساعه واحده فقط في كل مرة !

وتقيم وزارة السياحة الكورية المهرجانات لتشجيع السياحة في هذه المنطقة في توقيت حدوث هذه الظاهرة من كل عام والتي تجذب أعدادا كبيرة من الزوار حيث شهد هذا الحدث 50 ألف شخص في عام 2011 وحده.

وبقيت هذه الظاهره مجهولة للناس حتى عام 1975 حين زار السفير الفرنسي كوريا الجنوبية ووثق الحدث في إحدى الصحف الفرنسية آنذاك ومنذ ذلك الوقت يتوافد الناس من جميع أنحاء العالم لمشاهدة هذه الظاهرة الطبيعيه المدهشة.

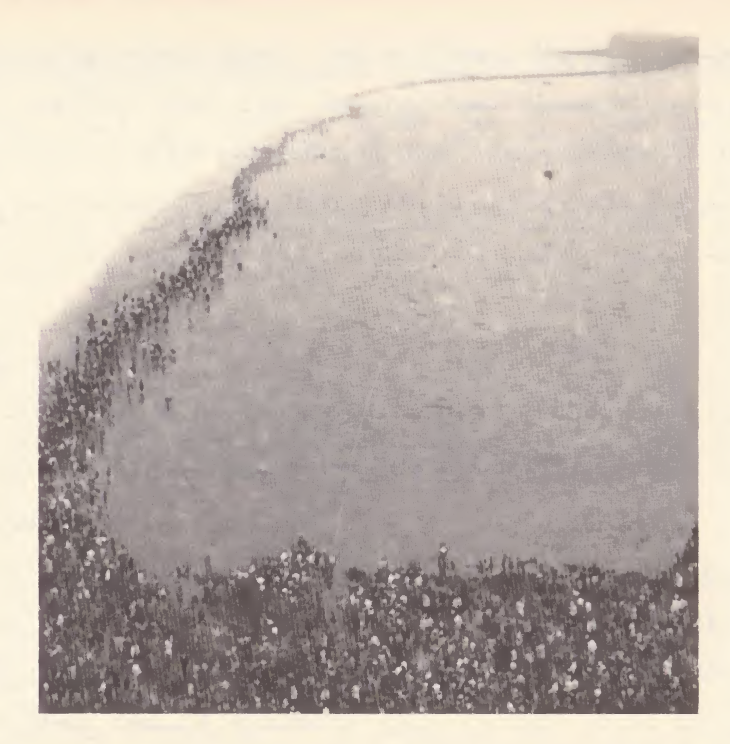
[3] محمد راشد حماد – ملوك مصر القديمة.







ظاهرة جزيرة جيندو



مشاهد من الظاهرة العجيبة التي تشبه ظاهرة عبور البحر التي حدثت مع بني إسرائيل

وينتظر الناس انحسار البحر عن المنطقة المرتفعة نسبيا والتي تربط بين جزيرتي جندو ومندو عند منصة كبيرة في جزيرة جندو والمرتفعة نسبيا عن جزيرة مندو ، تقيمها وزارة السياحة في الجزء المقابل تماما لحدوث هذه الظاهرة التي تجذب الكثيرين من أنحاء العالم.

ومباشرة عند إنحسار الماء بالكمية التي تكفي لأن يتم السير على الأرض يقوم الناس بالمسير على المرتفع الذي ظهر بسبب إنحسار الماء بفعل ظاهرة الجزر بإستخدام أحذية مطاطية طويلة ويقومون بجمع الطحالب الخضراء ونوع من المحار والذي تشتهر به هذه المنطقة.

ورغم أن تلك الظاهرة قد أعادت للأذهان مشهد الخروج الخالد في وجدان العالم بتشابهها مع معجزة عبور بني إسرائيل للبحر وغرق فرعون – وقد حاول البعض الإدعاء بأن معجزة الخروج قد حدثت بنفس الكيفية – إلا أن المعجزة تبقى معجزة

ربانية وليست مجرد ظاهرة طبيعية ، وهو ما لا يفهمه الملحدون والطبيعيون ومن نحى نحوهم في محاولاتهم الدائبة لإيجاد تفسيرات علمية للمعجزات. والخروج من إطار الاعتراف بالقدرات الإلهية والتدخلات الربانية ، وهدم المعجزة التي أظهرها الله عز وجل على يد أحد أنبياءه في نظر المؤمنين بها وتحويلها لمجرد ظاهرة طبيعية لا فرق بينها كظاهرة المد والجزر وبين الأمر الخارق للطبيعة ولقوانينها التي وضعها خالق الطبيعة عز وجل.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ سورة الشعراء

والطود: هو الجبل المتطاول أي المرتفع في السماء ، وهذا يعني أن الماء قد افترق عن بعضه البعض بمعجزة إلهية وتدخل رباني صريح جعل من الماء الجاري في البحر ينحسر عن الأرض بقوة إعجازية للدرجة التي جعلت كل جانب من جانبي الماء حول الطريق المشقوق ، كالجبل العظيم في ارتفاعه.

وقد تناولت التوراة نفس المشهد :

وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ ، فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ. سفر الخروج 14

وفي موضع آخر في سفر الخروج أيضا:

تَرَاكَمَتِ الْمِيَاهُ ، انْتَصَبَتِ الْمَجَارِيَ كَرَابِيَةٍ ، تَجَمَّدَتِ اللُّجَجُ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ. سفر الخروج15

وقد حاول بعض علماء الكتاب المقدس أيضا تفسير ذلك المشهد بأن الريح الشرقية الشديدة المذكورة عملت على تجميد المياة بعد أن أزاحتها عن قاع البحر في موضع العبور فصار الماء كسور كبير على جانبي الطريق المشقوق بفعل التجمد ، وهو تفسير فيزيائي مادي أيضا قد نقبله لكن في إطار المعجزة وليس في إطار كونها ظاهرة طبيعية استثنائية وهذا هو الفرق بين المؤمنين بالغيب وأتباع المدارس المادية ومنكري المعجزات الخارقة للطبيعة.

تفسير الضربات من وجهة نظر الكتابيين (تفسيرات مادية / فيزيائية / علمية):

وقد استند هذا الفريق إلى بعض التفسيرات العلمية التي سببت تلك الآيات والمصائب ومنها :

1. ثوران بركان في جنوب النيل تسبب في انتشار ملوثات أدت إلى تحول لون النيل إلى لون الدم ويؤكدون بوجود أدلة علمية علي حدوث هذا البركان خلال القرن السادس عشر أو الخامس عشر قبل الميلاد في جنوب النيل ، وقد أدى ذلك إلى حدوث عطش شديد لامتناع الناس عن شرب الماء كما يرجحون هطول أمطار غزيرة بعد هذا الحدث في بحيرة فيكتوريا التي ينبع منها النيل في الحبشة لتغسل مجري النيل ويختفي اللون الأحمر مرة أخرى ، وقد أشار فريق آخر إلى أن اللون الأحمر للمياة قد يكون سببه هو انتشار فطريات لونها أحمر قتلت السمك ولوثت المياه وجعلت المياه لونها دموي مما أدى إلى أن الملوثات قتلت كل السمك.
2. أدى تلوث مياه النهر إلى هجرة الضفادع من الماء وهي تنتمي للفصيلة البرمائية وتستطيع الخروج من الماء على عكس الأسماء وقد خرجت من النهر بكميات كبيره وهذا أدى إلى وفاتها لاحقا.
3. وبسبب هجرة الضفادع للمياه وهي تتغذى على الحشرات مثل البعوض الذي يتوالد علي سطح المياه بالتوتر السطحي جعل البعوض يتكاثر بشدة ويختل التوازن الذي تصنعه الضفادع حتى جائت الأمطار وقللت من تواجده.
4. وبسبب موت الضفادع أيضا التي كانت تأكل الحشرات مثل الذباب فإن تحلل أجساد الضفادع بالإضافة إلى موت الأسماك جعل الذباب يكثر بشدة لفترة حتى انتهى تحلل الكائنات الميتة مما قلل من أعداد الذباب تدريجيا.
5. وبسبب زيادة البعوض الذي يتغذي علي امتصاص الدماء فقد انتقلت الأمراض وانتشرت الأوبئة بين الماشية وتسببت في وفاة معظمها في وباء مفاجئ.
6. أما زيادة الذباب فقد أدى إلى تزايد الأمراض الجلدية التي أصابت البشر وتسببت في ظهور الدمامل والبثور والأمراض الجلدية.

7. وبسبب زيادة النشاط البركاني في منطقة حوض النيل فقد أثر ذلك علي الطقس وتسبب في نزول هيل مصحوب بقذائف كبريتية مشتعلة مما تسبب في نزول بَرَد ونار معا على أرض مصر ، والذي تسبب في دمار معظم المحاصيل الزراعية ونقص في الزروع والغلة والثمرات ووقوع جوع شديد.
8. أما البقية الباقية من المحاصيل والثمار والشجر التي نجت من البَرَد والنار فقد أصبحت هدفا للجراد الذي أتى بسبب الرياح الناتجة عن تغيرات الطقس وهذا الجراد سبب قلة المزروعات فقد كان وجوده كثيفا علي المتبقي من تلك المحاصيل والزروع فهلكت بالكامل.
9. وبسبب نفس الأنشطة البركانية فقد ارتفعت سحابة من الرماد غطت السماء لعدة ايام تاركة مصر في ظلمة تامة ، لكن قام البعض بتفسير مختلف حيث فسروها بأنه وبسبب القضاء علي المحاصيل حدث تصحر للأرض وقامت الرياح بحمل الرمال جاعلة منها سحابة رملية أو ترابية ضخمة غطت السماء لعدة أيام جاعلة مصر تقع في ظلام طويل ، لكن آخرون قالوا أنها مجرد ظاهرة فلكية مباغتة ، وقد اكتشف العالم جاكوبوفيك ان هناك آثار لرماد بركان هائل كوّن ما يشبه سحابة تسببت في إظلام مصر لمدة ثلاثه أيام في القرن الخامس عشر أو السادس عشر قبل الميلاد وأثارها ما زالت باقية علي كل شواطئ مصر وهو بركان ثيرا بجزيرة سانتوريني في اليونان.
10. أما عن موت الأبكار ففسروها بأنه وقع بسبب تلوث الطعام من كل ما حدث وكان الابن البكر المكرم فهو الذي يبدأ بتناول الطعام قبل غيره وقد بدأ الأبكار بأكل السموم فمات البكر من كل أسرة ، في حين تناول العبرانيون خروف عيد الفصح المشوي علي الأعشاب البرية مما جعله صالحا للأكل فلم يمت منهم أحد ، لكن آخرون فسروا موت الأبكار بأن الإبن البكر كان ينام قرب مدخل البيت في مكان مميز أما بقية الأبناء ففي مكان مرتفع وبسبب كل هذه الأحداث وضربة البرد انتشرت غازات سامة أثقل من الغلاف الجوي فقتلت الإبن البكر الذي ينام أقرب إلى الارض من بقية الأبناء ونجى منه أبكار العبرانيين الذين كانوا مستيقظين كلهم بسبب الفصح وانتظار الأمر بالخروج.

لقد قام العديد من الباحثين باعتبار ما جاء في البردية قرينة على الاضطرابات الطبيعية التي وقعت كتبعات لانفجار ثيرا البركاني الواقع ما بين 1600 و 1500 قبل الميلاد استنادا إلى أبحاث علماء البراكين وعلماء طبقات الأرض ، حيث أن كلا الحدثين (انفجار ثيرا وواقعة الخروج) يفترض أن البردية قد سجلتهما كأحداث تاريخية ، وهو الأمر الذي قوبل بالرفض أيضا من العديد من علماء المصريات ، وقد التقليل من شأن البردية من حيث اعتبارها مصدرا تاريخيا فقد تم مؤخرا وضع تفسير للبردية من البعض على أنها أساس تاريخي ونظرة خالدة لمبدأ " النظام في مقابل الفوضى " ، وأن الاشارة في البردية إلى أنهار الدم وثورة العبيد يمكن أن تكون إشارات ورثاءا لنظرية " انقلاب العالم رأسا على عقب " أكثر منها تقريرا يجسد حدثا تاريخيا محددا.

أما الرد على تلك التفسيرات من وجهة نظرنا فهو أمر يسير لا يحتاج إلى متخصصين ولا إلى علماء ، فرغم أنه قد ثارت براكين كثيرة جدا في مناطق مختلفة من العالم .بمختلف درجات القوة لكن لم يحدث في أي مرة أن وقعت تلك الوقائع والتبعات مثلما حدث في تلك الوقائع ، فثورة البراكين لا يعقبها مثل تلك الأحداث الفريدة من نوعها ولا يمكن تفسير معجزات الله سبحانه وتعالى .بمثل تلك التفسيرات البعيدة عن الاحتمال والتي فيها الكثير من التكلف والإغراق في الخيال والافتراض.

وإن محاولة تفسير الأحداث تفسيرا ماديا فيزيائيا لا يمنع أبدا من أن محرك كل تلك الأحداث هو الله الخالق الذي خلق القوانين ويستطيع بكلمة واحدة أن يخرق هذه القوانين التي خلقها ليخرج لنا المعجزات بلا سبب أو مبرر .

إن تلوث المياه بهذه الطريقة التي وصفت لايمكن أن ينتهي بهذه السهولة التي وصفت بسبب بعض الامطار فالسموم لا تزول بسهولة من التربة وايضا الفطريات ستستمر في التكاثر بل يلزمها سنوات لتزول من التربة ومن المسطحات المائية الكبيرة كنهر النيل والبحيرات والفروع الكثيرة التي كانت منبثقة منه.

وهذا التلوث المزعوم للمياة سيقتل الضفادع مثل السمك تماما بل إن هذا التلوث سيمنعها من التكاثر بهذا الشكل المذكور في المعجزة بالنصوص الدينية في التوراة والقرآن.

كما أن السموم لو افترضنا وجودها لكان هذا سببا كافيا أن تمنع البعوض من النمو والتكاثر أيضا.

أما بالنسبة للمواشي فالبعوض كان كفيلا بقتل البشر مثلهم في ذلك مثل البهائم والمواشي أما الافتراض بهلاك البهائم فقط دون البشر فهو افتراض غير مقبول وغير منطقي .

أما الافتراض بأن تكون ثورة البركان تأتي في الترتيب السابع بين المعجزات المذكورة فهو افتراض بعيد عن الواقع تماما فالمفترض حتى تكون الأحداث منطقية ومتسلسلة تسلسلا منطقيا أن يأتي الانفجار البركاني المفترض في البداية قبل الضربة الأولى وتلوث المياه وليس في الترتيب السابع بعد كل تلك الآيات حيث ذكرت التوراة أنها أتت بعد عدة شهور وهذا ينطبق ايضا على آية الظلام الذي ساد على مصر ، أما التفسيرات التي ذكرها هؤلاء الباحثون بالنسبة لموت الابكار فهي غير مقبولة شكلا وموضوعا وبعيدة تماما عن المنطق كل البعد.

وبعد كل تلك المحاولات في تفسير تلك الآيات التي وقعت لفرعون وقومه ، وما تلاها من محاولات دائبة أخرى في البحث عن الأسباب العملية وراء هذه المصائب التي حلت على مصر في تلك الآونة القديمة ورغم أننا نجد حقا من يصدق تلك التفسيرات ويؤمن بها ، لكننا نستطيع الرد على تلك المزاعم ببساطة شديدة.

فما الذي يعجز الله تعالى —حاشا له سبحانه – من استخدامه للطبيعة نفسها لضرب قوم فرعون بهذه الضربات فهو رب الطبيعة وخالقها وهو القادر علي كل شيء.

إن الذي يؤمن بالغيبيات لا يحتاج إلى تفسيرات مادية أو فيزيائية أو علمية ليؤمن بحدوثها ، أما التكلف في التفسير وإيجاد الأسباب العلمية وراء كل معجزة فهو منهج مخالف للمنهج الإيماني القويم الذي يقوم على الإيمان بالغيب حتى لو لم نعلم الأسباب والتفسير وراء المعجزات الربانية.

بركان ثيرا اليوناني (بركان جزيرة سان-توريني) وعلاقته بأحداث الخروج:

عثرت أحد البعثات في منطقة تل حبوة عند قلعة ثارو والتي تقع في شمال سيناء بالقرب من القنطرة شرق على مخلفات بركانية من بركان ثيرا اليوناني الذي انفجر قبل حوالي 3500 عام وأغرق شمال مصر وسيناء ومساحات واسعة من بلاد الشام مترافقا مع الزمن التقريبي لخروج الهكسوس من مصر ، وهو ما يقترب من وصف التوارة للخروج اليهودي من مصر حيث انشق البحر وتلونت المياه باللون الاحمر.

ويعد ذلك الحدث هو المسبب لأول تسونامي في العالم وقع في مصر قبل 35 قرناً من الزمان ، وفي نفس تلك الأنحاء - في تل حبوة في شمال سيناء عند بلوظة وهي بيلوز القديمة - تم الكشف عن بقايا مخلفات بركانية لقطع من بركان سان-توريني بالبحر المتوسط والذى أحدث اول تسونامى فى العالم القديم منذ ما يقرب من حوالى 3500 عام وتسبب فى غرق جزء كبير من سواحل سيناء والدلتا والمدن الاثرية الواقعة على الفرع البليوزى ومنها منطقة تل حبوة المعروفة قديما بقلعة ثارو والتي أصبحت بعد خروج الهكسوس مركزا لقيادة الجيش المصري فى عصر الدولة الحديثة ومقرا لملوكها وتجميع الجيوش التى خرجت من مصر لتأمين الحدود الشرقية لمصر.

ويحاول علماء الجيولوجيا والأركيولوجيا وعلماء التاريخ الغربيين الربط بين انفجار ذلك البركان وما تلاه من تبعات وبين الأحداث الواردة في قصة خروج بنو إسرائيل من مصر ، غير أننا لا نصدق ولا ننفي علاقة ذلك البركان بالأحداث ، فقد يكون انفجار البركان صنعة إلهية في توقيت محدد ويكون سببا في وقوع بعض الأحداث الطبيعية بشكل إعجازي ، لكننا في ذات الوقت لا نستطيع أن نجزم بذلك.

وسيأتي الحديث عن بركان ثيرا اليوناني الواقع بجزيرة سان توريني في الفصل القادم في الحديث عن فيلم حل شفرة الخروج Exodus decoded .

ملابسات الخروج فى كل من مصر والشام والأحوال السياسية فى محيط مصر:

كنت كثيرا ما اندهش عندما اقرأ عن الظروف والملابسات والأحوال ومناخ الأحداث الجارية في المناطق والدول المحيطة بمصر في وقت خروج بني اسرائيل من المملكة المصرية مسرح الأحداث في ذلك الوقت ، حيث يؤكد التاريخ المكتوب أن

الظروف التي كانت سائدة طوال فترة سيادة الدولة الحديثة وخاصة الأسرتين الثامنة عشرة التي أسسها أحمس الأول والأسرة التاسعة عشرة والمشهورة باسم دولة الرعامسة تتعارض مع قدرة أي دولة أو جماعة من البشر على إخضاع أي جزء من أجزاء الشام وفلسطين لسلطانها خاصة في استمرار الهيمنة المصرية على تلك الأصقاع منذ عهد أحمس الأول وحتى عصر رمسيس الثالث على مدار قرون طويلة بعد خروج الهكسوس من مصر.

و لم تتراخَ القبضة المصرية على تلك الأراضي إلا من خلال نكسة عابرة في عهد إخناتون والذي خسرت مصر في عهده مستعمراتها الخارجية في فلسطين وسوريا وما يجاورهما حتى شمالي دجلة والفرات ، وظلت السيادة المصرية على تلك الاراضي غائبة حتى عهد الملوك الرعامسة في الأسرة التاسعة عشرة والتي شهد عهدها استرداد جزء لا بأس به من مستعمرات مصر في دول وممالك فلسطين والشام من خلال صحوة حربية وعسكرية كبيرة نجحت إلى حد كبير في التأكيد على سيادة مصر وسيطرتها على حدودها خاصة الشمالية الشرقية منها واسترداد كثير من المستعمرات التي ضمها الملوك التحامسة من أسرة أحمس الأول إلى الحظيرة المصرية...

إن تلك الحقيقة المتعارف والمجمع عليها بين علماء التاريخ والمصريات من أن مصر في عهد الدولة الحديثة كانت مسيطرة سيطرة تامة على بلاد الشام وفلسطين وممالكها كحاميات لها خارج حدود المملكة المصرية تتعارض وبشدة مع نظرية القائلين بأن فرعون هو رمسيس الثاني أو أحد ملوك الدولة الحديثة المصرية ، لأنه وببساطة يستحيل أن ينجح بنو إسرائيل أو غيرهم في احتلال أي جزء في أرض فلسطين في نفس الوقت التي تسيطر فيه مصر على تلك الأراضي ، وقد دأب ملوك مصر من القبط بدءا من أحمس الأول ووصولا لرمسيس الثالث على محاولة الحفاظ على تلك الحاميات كبعد استراتيجي لمصر خارج حدود أراضيها.

لذلك ففرضية وقوع حادثة الخروج أثناء عهد الدولة الحديثة قد أصبحت نظرية غير منطقية وغير مقنعة ، من حيث تعارضها مع ملابسات قصة الخروج والتي تروي بوضوح الحروب والصراعات التي خاضها بني إسرائيل في أرض كنعان بعد أن خرجوا من مصر والتي تدل بوضوح على غياب سيطرة مصر على بلاد الشام غيابا تاما أو شبه تام.

وهذا ما دفع الكثير من علماء التاريخ والباحثين على اختلاف توجهاهم وعلماء التاريخ المقارن إلى الافراط في نفي وانكار قصة الخروج بالكلية ، نظرا لعدم وجود أدلة تاريخية أو كرونولوجية (أثرية) على وقوع تلك الأحداث ، بسبب تعارضها مع ملابسات واحداث التاريخ المكتوب والتاريخ المقارن في بلاد الشام والظروف السياسية السائدة وقتها والحقائق المتعارف عليها خلال فترة الدولة الحديثة والتي تشير اليها بإصرار الرواية التوراتية للأحداث.

ولنفس هذه المبررات فإن أي محاولة لإثبات أو نفي أو تحقيق أحداث الخروج يجب أن يبدأ من الأحداث التي كانت تجري في محيط مصر في تلك الأزمان ...

فظروف الخروج وما بعده تبين بجلاء حقيقة غياب الهيمنة المصرية عن بلاد الشام بشكل عام وفلسطين بشكل خاص بالشكل الذي يسمح لجماعات قبلية كبني إسرائيل في ذلك الوقت بالإغارة والهجوم على سكان فلسطين وما حولها دون أن تكون هناك قوة عسكرية وسياسية كبيرة تحول دون وصولهم لهذه الأهداف.

فنقرأ في رواية التوراة في سفر الخروج وعصر القضاة وصولا لعهد مملكة إسرائيل في عهد داوود وسليمان عليهما السلام أن بني إسرائيل كانوا في صدام شبه دائم مع سكان فلسطين وأرض كنعان دون أن يقابلهم أي تدخل حقيقي من جيوش أحد الامبراطوريات المعروفة في المنطقة في ذلك الوقت وعلى رأسها الإمبراطورية المصرية ..

لذلك كان ولا بد للباحث عن الحقبة الزمنية الصحيحة لواقعة الخروج وما سبقها وماتلاهها من أحداث أن ينظر إلى كل التاريخ المعروف لمنطقة الشام والهلال الخصيب والشرق الأدنى وغرب آسيا وما تخلله من أحداث ... وهو شرط أساسي لتحقيق الأحداث تحقيقا تاريخيا صحيحا ولا بديل عن هذا المنهج البتة للوصول إلى الحقيقة ...

لذلك فإن تلك النقطة بالتحديد هي العيب الأكبر الذي يواجه كل الفرضيات التي وضعها كل الباحثين في تحديد الحقبة الزمنية للخروج والوقوف على هوية فرعون وشخصيته في التاريخ المعروف ، فكل من حاول إثبات أن فرعون هو أحد ملوك الدولة الحديثة كتحتمس الثالث أو أمنحتب الثاني أو إخناتون وحتى أولئك الذين اعتمدوا تصديق فرضية أن رمسيس أو ابنه مرنبتاح أحدهما أو كلاهما هو فرعون ... كل أولئك وهؤلاء أغفلوا النظر بشكل صارخ للأحداث الجارية في الدول والممالك

المحيطة بمصر وعجزوا أو امتنعوا عن محاولة المقارنة بين ملابسات قصة الخروج ومدى موافقتها مع أحداث التاريخ للدول المجاورة والظروف السياسية التي كانت تعيشها.

وتحقيقا لهذا المبدأ نجد أن الشام والهلال الخصيب كان تحت السيطرة المصرية منذ تأسيس أحمس الأول للأسرة الثامنة عشر كبداية للدولة الحديثة وقيام عصر الامبراطورية المصرية وذلك في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد ومرورا بعصور كل ملوك أسرة التحامسة وصولا إلى انتكاسة الامبراطورية وسقوط حامياتها ومستعمراتها في الشام في عهد امنحتب الرابع / اخناتون.

وبسبب تلك الحقيقة الواضحة فإنه لا يصح لنا أن نفترض قدرة قبائل بني إسرائيل التي كانت تفتقر إلى أي مقومات عسكرية وسياسية عقب خروجها من مصر على التصادم مع قوى كبيرة في المنطقة ، اللهم إلا مجابهة بعض القبائل والممالك الصغيرة المتناثرة في أقاليم فلسطين وتخومها وهو ما كان ممكنا وفقط أثناء نكسة انهيار حاميات الإمبراطورية في عصر إخناتون وما بعده على مدار ما يقرب من قرن من الزمان وصولا إلى عصر الرعامسة.

وما يلفت النظر حقا هو تجلي الاحداث عن هجمات لبعض الجماعات القبلية البدوية - التي اعتمدت الترحال والتنقل وسيلة لها على العيش والبقاء - على الحاميات المصرية في فلسطين في عهد محدد وهو عهد اخناتون الذي اهمل المستعمرات المصرية في فلسطين والشام والتي كان اسلافه أحمس الأول والتحامسة كتحتمس الثالث وأبناؤه قد ضموها إلى الإمبراطورية المصرية وحافظوا على تبعيتها على مدار ما يقرب القرنين من الزمان سابقين لعصره .

إن عهد اخناتون والاحداث التي جرت في عصره في حاميات فلسطين والشام تدل على انتهاز تلك الجماعات القبلية الفرصة للانقضاض على مدن وممالك فلسطين القديمة التي كانت خاضعة للسلطة المصرية قبل عهد اختاتون والاستيلاء عليها في غياب تام او شبه تام لسيطرة مصر عليها حيث كان اخناتون منشغلا بالشأن الديني الداخلي ونصرة دينه الجديد.

تلك الجماعات عرفت في رسائل تل العمارنة بـــ " العبيرو / العبرو " وهي ما اقترنت بسهولة مع مصطلح "العبريون" أو "العبرانيون" وقد أوضحنا ذلك وأسهبنا في شرحه في الفصول الأولى من هذا الكتاب.

وهذا يعني بمنتهى الوضوح أن خروج بني إسرائيل كان سابقا على حكم إخناتون بفترة طويلة مكنتهم من الخروج من التيه الذي كانت مدته أربعون عاما ثم فترة أطول منها ليتمكنوا من تكوين قوة بشرية وعسكرية قادرة على مهاجمة الممالك الكنعانية والمدن الكبرى كأريحا وعسقلان وأسدود وغيرها لا تقل عن قرن أو قرن ونصف من الزمان على أقل تقدير.

إن الفترة الوحيدة التي يمكن عمليا ان نقبل تحقق مثل تلك الاحداث فيها من غارات وغزوات لجماعات قبلية لبني اسرائيل والذين كانوا من ضمن جماعات معروفة عرقيا واجتماعيا باسم العبرانيين كانت هي فترة تراخي السيطرة المصرية على فلسطين والشام وهي عهد اخناتون ، وقد ورد في الواح العمارنة والتي تسمى رسائل أو خطابات العمارنة ، ذكر لاحداث تحكي جانب من هجوم هؤلاء العبريون للحاميات المصرية والمدن الخاضعة لسيطرة مصر بإسم قبائل العبيرو.

لقد حاول الكثير من علماء التاريخ سواء المتخصصون في المصريات او في تاريخ الشرق الأدنى القديم أو حتى في التاريخ المقارن أان يحققوا أصول وهوية هذه الجماعات البشرية فذهب البعض الى انهم هم بعينهم بني اسرائيل العبرانيين بلا أي تحفظ، ونفى البعض اي علاقة بين العبيرو والعبرانيين وانه مجرد تشابه في الاسماء ومنهم من استبعد تماما وجود بني اسرائيل في فلسطين في ذلك العصر عصر اخناتون اعتمادا على تصديقهم بأن وجود بني اسرائيل في فلسطين قد أتى بعد ذلك العهد بعد سنوات طويلة .. وذلك نظرا في اعتمادهم في القصة على التوراة كمرجع للأحداث التاريخية مع أنه من المجمع عليه علميا وتاريخيا على أن التوراة لا تصلح كمرجع تاريخي دقيق بل إنه قد ثبت بالبراهين عدم دقة رواياتها التاريخية بل وتناقضها وعدم منطقيتها في أحيان كثيرة .

إن ذكر التوراة أن فرعون قد سخر بني إسرائيل في بناء مدينتي بيثوم وبرعمسيس هو محاولة للإشارة للملك رمسيس الثاني على وجه التحديد والذي تفتقر سجلات عصره وآثاره الى اي ذكر لعملية التسخير المزعومة كما لا تتناسب الاحداث التاريخية التي جرت في مصر وفلسطين اثناء عصره مع الظروف والوقائع التي جرت خلال قصة الخروج وما بعده ، هذا بالإضافة إلى العديد من الأدلة الأخرى التي تنفي تمام النفي وقوع حادثة الخروج في عهد رمسيس الثاني أو ابنه مرنبتاح وبرائتهما من تلك التهمة.

فالتاريخ يسجل الغزوات التي قام بها رمسيس في فلسطين ومدن الشام كما يرصد التاريخ المقارن بين مصر وفلسطين الصراع الذي دار بين رمسيس الثاني وملك الحيثيين في محاولة كل منهما لبسط نفوذه على فلسطين والشام ، لذلك فمن المستحيل أن نصدق قدرة أي جماعات متواجدة في فلسطين في ذلك الوقت مهما كان عددها وتنظيمها على فرض نفسها على تلك الاراضي مع وجود قوتين عظمتين تتصارعان على سيادة تلك الأراضي وهما مملكتي مصر وخيتا .

يقول د. سليم حسن : "قد أوضحت وأكدت بكل صراحة اعتقادي بأن القصة " قصة خروج بني إسرائيل من مصر " في مجموعها تعكس لنا صورة حادثة تاريخية معينة وهي طرد الهكسوس من مصر ، ويجب أن أضيف هنا بأن هذه النظرية ليست جديدة فقد وضحها الدكتور هول في كتابه تاريخ الشرق الأدنى القديم"[4]

وخلاصة الأمر في النقاط التالية:

– لم تتراخ القبضة المصرية على فلسطين منذ خروج الهكسوس من مصر في عهد احمس الأول في القرن السادس عشر ق.م وحتى عهد أمنحتب الثالث وظلت سيطرة مصر على أغلب نواحي الشام طوال فترة حكم الأسرة الثامنة عشر وتابعة للامبراطورية المصرية التي أنشأها الملك أحمس الأول وظلت جميع تلك الممالك والمدن تؤدي الجزية لملوك مصر المتتابعين على حكم المملكة المصرية بلا انقطاع حتى قبيل حكم إخناتون ، أما رمسيس الثاني الذي يزعم اليهود ومن وسار على منهجهم أن بني إسرائيل قد خرجوا في عهده فقد تم اتهامه زورا بطرد موسي وقومه من مصر، علي الرغم من تعدد الأسانيد التى تنفي معاصرته لوجودهم في مصر من الأساس، وأن مصر في عهده كانت إمبراطورية عظمي، تضم ضمن إماراتها، ولاية "فلسطين/كنعان"، فكيف يهرب موسي بمن معه من مصر إلى ولاية تقع تحت حكم ملك مصر وتحت قبضتها؟[5]

– في عهد إخناتون / أمنحتب الرابع في منتصف القرن الرابع عشر ق.م سقطت حاميات مصر في فلسطين وتراخت القبضة المصرية لأول مرة منذ عهد أحمس الأول

---

[4] موسوعة مصر القديمة – الجزء الرابع

[5] فرعون وقومه كانوا هكسوسا و لم يكونوا مصريين – مؤمن محمد سالم

اشتعلت الثورات وبدأ حكام المستعمرات في الشام ولاسيما فلسطين في التأخر والمماطلة في دفع الجزية.

– سقوط تلك الحاميات والمستعمرات المصرية في فلسطين كانت على يد قبائل تسمى "العبيرو" وهو الإسم الذي عرف به بنو إسرائيل في ذلك العصر ويبدو أن العبيرو كانوا قد عقدوا بعض التحالفات مع بعض القوى التي كانت متواجدة في أرض كنعان في ذلك الوقت.

– أثناء عصر القضاة توالت الهزائم على بني إسرائيل وزاد اضطهادهم من ملوك وأمراء كنعان بسبب انحرافهم عن منهج الله ، لكن في عهد بعض قضاهم أو أنبيائهم في منتصف عصر القضاة وخلال القرن الرابع عشر ق.م حدثت صحوة مؤقتة لبني إسرائيل وبدأوا في سلسلة من الغارات على بعض القبائل والمدن الكنعانية وتزامن ذلك مع غياب الدور المصري في كنعان بسبب انشغال ملك مصر إخناتون / أمنحتب الرابع وقتها بإصلاحاته الدينية وإهماله للمستعمرات المصرية في فلسطين ، فسقطت بعضها في أيدي العبرانيين وتمردت باقي المدن والمقاطعات على حكم المصريين وانفصلت عن الحكم المصري كما امتنعت عن دفع الجزية.

– ظهور "العبيرو" وهم بنو إسرائيل في فلسطين أثناء عهد إخناتون ومهاجمتهم الممالك والمدن الفلسطينية واستيلائهم عليها في ذلك الوقت يدل على أن خروجهم من مصر كان سابقا لعهد إخناتون بفترة طويلة ربما تصل إلى المائتي عام منها أربعون عاما في التيه بصحراء سيناء ، وأكثر من مائة وخمسون عاما منذ بداية عصر يوشع بن نون مرورا بعصر القضاة[6].

– قضى بنو إسرائيل أربعمائة وثمانون عاما (480 عام) منذ خروجهم من مصر وحتى بناء الهيكل في عهد سليمان عليه السلام في السنة الرابعة من حكمه وفقا

---

[6] القضاة هم أنبياء لبني إسرائيل كانت بعثتهم في الفترة من بعد خروجهم من مصر وحتى بداية عهد الملوك لما بعث الله لهم طالوت / شاؤول ملكا عليهم ثم تبعه داوود وسليمان عليهما السلام ، وقد بعث هؤلاء القضاة لمنع بني إسرائيل من الانحراف عن منهج الله وشريعة موسى عليه السلام لكنهم رغم ذلك انحرفوا عن المنهج الصحيح وخالفوا تعاليم وشريعة موسى عليه السلام ولم يتورَّعوا عن الأعمال المنافية للشريعة والأخلاق كالزنا والقتل فطالت فترة القضاة حتى وصلت إلى أكثر من أربعة قرون من الاضطهاد والتشريد والإيذاء من الممالك الكنعانية وقبائل العماليق عقابا لبني إسرائيل على عدم التزامهم بالتعاليم والأوامر الإلهية.

للتوراة، وإذا وضعنا في الاعتبار أن ذلك التوقيت يحسب من بعد انتهاء فترة التيه التي هي أربعون عاما (تسميها التوراة زمن الخروج أو زمن الإقامة في القفار قبل وصولهم أطراف كنعان)، بالإضافة لحوالي تسعة وعشرون عاما قضوها مع يشوع / يوشع بن نون، وبذلك تصل بمجموع الفترات التي قضاها بنو إسرائيل منذ عبور البحر وقت غرق فرعون وحتى دخولهم أرض كنعان 480+40+30 = حوالي 550 عام ما بين العبور وغرق فرعون وحتى بناء سليمان للهيكل في القرن العاشر الميلادي ، وهو ما يتلاقي مع ما وصلنا إليه حيث يقودنا ذلك إلى تحديد زمن الخروج من مصر في غضون القرن السادس عشر قبل الميلاد أي في الفترة ما بين 1600 و 1500 قبل الميلاد .

فالمنطق والشواهد تقول إن خروج بني إسرائيل من مصر قد سبق الطرد النهائي للهكسوس على يد الملك أحمس الأول بحوالي ما يقرب من ربع قرن من الزمان ، حيث قضى الملك سقنن رع قبل أن يُقتل خمسة سنوات في حربه ضد أبوفيس / أبيب أمير الهكسوس الذي تولى الحكم بعد غرق فرعون وجنوده ، ثم قضى الملك كامس ابن سقنن رع حوالي الأعوام الثلاثة بعد وفاة والده ثم لحق به ومات أثناء المعركة أيضا، ثم قضى أحمس الأول حوالي تسعة سنوات حتى أصبح في عمر يؤهله للملك حيث كان عمره وقت وفاة أخوه الأكبر كاموس عشرة سنوات فقط وظل في مرحلة إعداد للملك وللمعركة حوالي تسعة سنوات ليبلغ عمره 19 عاما حين تولى عرش مصر وبدأ حربه على الهكسوس مستكملا بذلك جهود والده سقنن رع وأخو كاموس ، وظل في حربه ضد الهكسوس حوالي خمس سنوات حتى طردهم من كامل حدود المملكة المصرية، ومن ذلك يتبين أنه قد مضى حوالي 22 عاما كاملة منذ بداية حرب المصريون ضد الهكسوس، وبما أن الأمير أبوفيس كان قد تولى الحكم بعد غرق فرعون وقومه وجنوده، فإن الفترة التي انقضت منذ خروج بني إسرائيل من مصر وحتى طرد المصريين للهكسوس بالكامل تقترب من ربع قرن من الزمان ، وبالتالي فإنه يسهل علينا تعيين تأريخ موعد خروج بني إسرائيل من مصر إذا علمنا التأريخ المحدد لموعد طرد الهكسوس من مصر بشكل نهائي، فالخروج يسبق طرد الهكسوس بحوالي 25 عام تقريبا ، وهو ما يعني أيضا ويؤكد على أن خروج بني إسرائيل من مصر يقع في القرن السادس عشر قبل الميلاد أي ما بين 1500-1600 ق.م. ، وسوف نبين في نهاية هذا الفصل أن معركة طرد الهكسوس جائت كنتيجة لخروج بني إسرائيل وغرق فرعون

وجنوده لكن الحدث الأخير جاء بعد الحدث الأول بفترة زمنية تمثل زمن المعارك التي خاضها أمراء طيبة ضد من تبقى من الهكسوس بعد غرق فرعون وجيوشه.

تعداد بني إسرائيل وقت الخروج

تعرضنا في الفصل السابق إلى مسألة تعداد بني إسرائيل وما تم ذكره في التوراة عن تلك المسألة بشكل مبالغ فيه يصل إلى حد الخرافة حيث ذكروا أن تعداد الخارجين من مصر كان ستمائة ألف رجل ما عدا الأولاد والنساء.

تقول التوراة:

"فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعَمْسِيسَ إِلَى سُكُّوتَ، نَحْوَ سِتِّ مِئَةِ أَلْفِ مَاشٍ مِنَ الرِّجَالِ عَدَا الأَوْلاَدِ" سفر الخروج 12.

بما يوحي أن العدد قد يصل لضعف ذلك على أقل تقدير أي قد يصل لما يقرب إلى المليون ونصف مليون إنسان حسب زعمهم !! ، بل وقد بالغ البعض في تقدير العدد وجعلهم يزيدون عن المليوني إنسان وهو الأمر المستحيل من كل الأوجه سواء من الناحية الزمنية أو من الناحية المنطقية والعقلية ، في زمن لم يكن فيه أصحاب الأرض الأصليين يتجاوزون الثلاث أو الأربع ملايين نسمة.

وقد علمنا مسبقا كيف أن بني إسرائيل قد وفدوا إلى مصر مع يعقوب عليه السلام سبعين نفسا بكل نسائهم وأبنائهم وأحفادهم ، كما أننا عينا الفترة التي أقاموها في مصر على سبيل الإقامة المؤقتة وقدرناها بحوال مدة لا تزيد عن مائة وثمانون عاما بل تقل عن ذلك ، مما يستحيل معه أن تصل أعدادهم إلى تلك الأرقام التي بالغ أصحابها في تضخيمها خلال تلك الفترة الزمنية المذكورة.

وقد قمنا بتقدير العدد الحقيقي لبني إسرائيل والذي يجعل من المنطقي على عدد من البشر المنغلقين على أنفسهم في الزواج والنسب يبلغ عددهم سبعين نفسا في فترة زمنية تزيد قليلا عن القرن ونصف قرن، مما قد يكون من الأوقع التصور أن العدد يتراوح ما بين 4000-6000 إنسان وذلك بمتوالية عددية حسابية بسيطة.

القسم الثاني : وقائع أحداث الخروج

أدلة جديدة تظهر فى موضوع خروج بني إسرائيل من مصر :

تعددت النظريات التي تناولت قضية خروج بني إسرائيل من مصر وتباينت كل منها في فرضياتها وفقا لاعتبارات ومرجعية كل منها ، فمنها ما اعتمد على التوراة فقط كمرجع وحيد اعتمادا كليا على روايتها وتفاصيلها ، ومنها ما اعتمد على الاستنتاجات والموروثات الشعبية والأسطورية ، ومنها ما حاول الاستناد إلى نظريات علمية وفرضيات وبحوث ذات طابع علمي وأكاديمي.

وقد حاول علماء اليهود اكتشاف طريق خروج سيدنا موسي عليه السلام وذلك اثناء احتلال إسرائيل لسيناء في القرن العشرين الميلادي ولكن البعثات الأثرية المختلفة لم تستطع اكتشاف أى شيء سوى جزء من طريق حورس الحربى الطريق الذي كانت تسلكه الجيوش الحربية وهو الطريق نفسه الذي سلكه الإسكندر الأكبر أثناء فتح مصر ومن بعده عمرو بن العاص ثم نابليون بونابرت،كما كان ذلك الطريق مسار التبادل التجارى بين مصر ودول الشرق الأدنى.

لكن كل هذه النظريات فشلت في التوصل إلى صيغة مقنعة تتوافق مع العقل والمنطق والأدلة والنصوص الدينية ، بل وأمعنت في الافتراضات والسيناريوهات الخيالية..

والفادح في ذلك الأمر أنه حتى هؤلاء الذين اعتمدوا التوراة كمرجع وحيد لصياغة تلك الأحداث افترضوا أشياءً وبنوا صروحا عظيمة من الخيال أكثر مما يحتمل نص التوراة نفسه بل وبنوا كل ذلك على الظن والافتراضات التي تفتقر إلى الأدلة ...

وأطلق كل واحد منهم لخياله العنان متجاهلين بذلك الأدلة الجغرافية والشواهد التاريخية بل وحتى الاستنتاجات المنطقية السليمة.

وخلال رحلة بحث وقراءة طويلة للاطلاع على كل ما تم تأليفه وتصنيفه وإعلانه في هذا الأمر تأملنا كل تلك النظريات المطروحة لنقف على واقعيتها ومطابقتها مع نصوص الكتب المقدسة وللشواهد التاريخية والأثرية ، وهي نظريات تصل إلى المئات

من الفرضيات التي لم تفلح أي منها لإقناعنا بشكل متسق بواقعيتها ، بل إنها قد دفعت الكثير من المعاصرين والمتقدمين على حد سواء لإنكار القصة بأكملها والاقتناع بأسطوريتها وتصنيفها على أنها خرافة وليست قصة تنتمي لوقائع أحداث مقدسة.

وخلال أحد النقاشات التي جرت بيني وبين أحد زملاء العمل وهو الأستاذ هاني حلال بصفته أحد سكان محافظة الإسماعيلية تحديدا والذي كان من دواعي سروري الكبير أن علمت أنه كان من المتخصصين سابقا في نظم المعلومات الجغرافية بالإضافة إلى أنه من المهتمين في الوقت الحالي بجغرافية المنطقة وتاريخها الجغرافي أيضا ، وبدأ النقاش بيننا حول المسميات التوراتية التي وردت في قصة الخروج ومساره في العهد القديم وبعض الأماكن التي ذكرت في هذا المسار كـ "وادي الطميلات" الذي عبره بنو إسرائيل أثناء الخروج وقرية "سكوت" القديمة التي توقفوا فيها واحتفلوا فيها بعيد الفصح قبل استكمال مسيرهم إلى خارج مصر ثم فم الحيروث أو "الحيثرون" وهي النقطة التي عبروا منها إلى الجانب الآخر.

وكانت أول نقطة نصل إليها خلال ذلك النقاش هي استحالة توجه بنو إسرائيل أثناء خروجهم من محافظة الشرقية في اتجاه البحر الأحمر أو خليج السويس جنوبا لسببين رئيسيين:

أولهما بعد المسافة إلى تلك الأماكن حيث تحتاج الرحلة إلى أيام طويلة وربما أسابيع بسرعة السير على الأقدام وذلك بالنسبة لمجموعة بشرية تضم النساء والأطفال والعجائز والمواشي والأغنام وقد كانوا بالإضافة إلى كل ذلك مُحملين بالكثير من الأمتعة والأحمال مما يقلل من سرعة انتقالهم إلى ثلث السرعة العادية هذا بالإضافة إلى انعدام مياة الشرب خلال تلك المسافة الشاسعة.

أما السبب الثاني الذي يجعل من عبورهم خلال البحر الأحمر أو خليج السويس أمرا مستحيلا هو اتساع المسافة بين الضفتين الشرقية والغربية ، وهو الأمر الذي لا يقبله عقل أو منطق حين نعلم أن السفن السريعة تعبر تلك المسطحات المائية في وقت طويل فما بالنا بالمجموعة البشرية سالفة الذكر حين تعبر مسافة داخل البحر تصل إلى 32 كم هو عرض خليج السويس في بعض المناطق حتى الضفة الأخرى.

أما ناتج تلك المناقشة المثمرة فكان الكشف عن الكثير من المواقع التوراتية والشواهد القرآنية والحديثية الواردة في قصة الخروج والغرق وقد تبين لنا الكثير عن

تلك المواقع التي أصبحنا على دراية كبيرة بها بعد تلك النقاشات والبحث وبعد قراءتنا لتاريخها الجغرافي الذي أصبحنا نلم به إلماما كبيرا بعد ذلك البحث المستفيض.

وقد تناقشنا كثيرا وبحثنا في ورود أماكن عديدة مثل "سُكُّوت" التي ورد ذكرها في التوراة و"فم الحيروث" و "وادي طميلات" و"إيثام" و"بيتوم" و"مجدل" وغيرها من محطات وردت كلها في مسار الخروج وعلاقة كل تلك الأماكن بالأسماء الحالية المعروفة ومواقعها كقرية "الدفرسوار" و"السرابيوم" وهي أماكن معروفة ومعاصرة بمحافظة الإسماعيلية المصرية.

وبعد التوصل لتاريخ تلك الأماكن ومقابلتها مع الأسماء القديمة ، وبعد الرجوع أيضاً إلى معجم البلاد المندرسة (المندثرة) أى التى قد تم تغيير أسمائها القديمة واستبدالها بأسماء جديدة فقد توصلنا إلى حد كبير لغالبية الأماكن المذكورة فى التوراة لمسار بنى إسرائيل إلى خارج مصر.

الجغرافيا التاريخية لمنطقة أحداث الخروج

يقع وادي الطميلات في موقع فريد منذ العصور القديمة وهو عبارة عن مساحة شاسعة من الأرض تقع في شرق دلتا النيل المصرية وتترامى أراضي هذا الوادي بين بعض العلامات البارزة في جغرافية مصر حيث يحدها من الغرب دلتا النيل بفروعه المختلفة التي كانت تزيد عن أربعة أو خمسة روافد في الماضي ، أما من الشرق فتوازيه البحيرات المرة الكبرى والصغرى ومن الجنوب الصحراء الشرقية الكبرى ويخترقه من الوسط فرع النيل القديم الذي حفره الملك سنوسرت وهي المعروفة بقناة سيزوستريس.

ويتميز هذا الوادي بمميزات جغرافية وبيئية خاصة ، فرغم طبيعته البرية إلا أنه كان يمثل في العصور القديمة مرعى طبيعي من المراعي الطبيعية التي تصلح لرعي المواشي والأغنام ، وكان يعتمد في الري على مياة قناة سيزوستريس العذبة — وهي أحد فروع النيل المندثرة — والتي كانت تمر في منتصفه ، كما أن باقي أرجاء الوادي الشاسعة كانت تذخر بالآبار والعيون الصالحة للشرب والرعي.

وكانت أرض جاسان المذكورة في التوراة حيث سكن بنو إسرائيل منذ دخولهم إلى مصر وحتى وقت الخروج تمثل جزءا من ذلك الوادي وتتقاطع معه لتمتد إلى أطراف

الدلتا الشرقية عند مدينة بلبيس الحالية ، وبذلك فإن أرض جاسان كانت أرضا ذات طبيعة مزدوجة حيث يمثل جزءا منها أرضا زراعية خصبة ويمثل الجزء الباقي الممتد داخل وادي طميلات أرضا بريّة صالحة لرعي الحيوانات كالأغنام والماشية ، وتبرر التوراة إقامتهم في تلك الأرض تحديدا أن يوسف قد اختارها لهم بما يتناسب مع مهنتهم التي اشتغلوا بها في أرض كنعان قبل مجيئهم إلى مصر ، يقول العهد القديم :

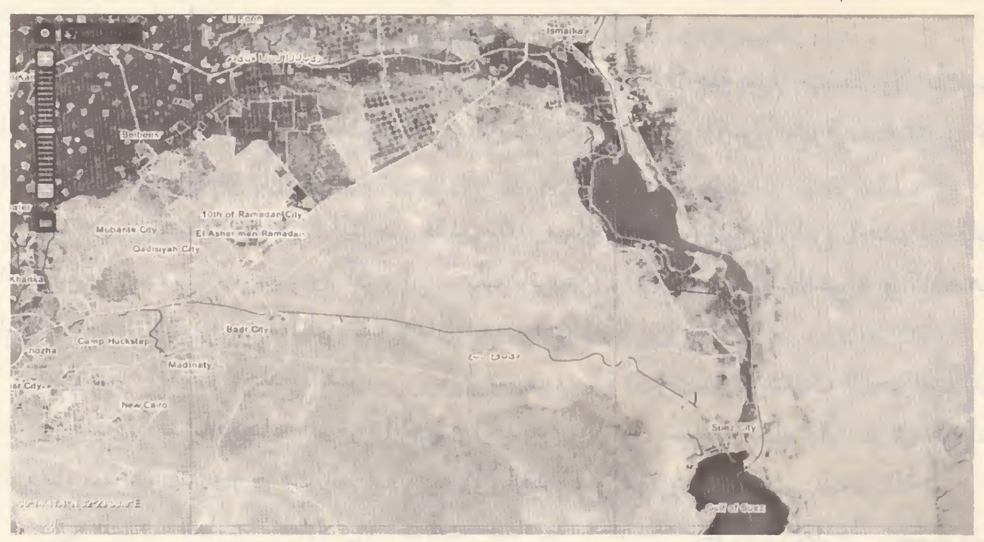
"ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ وَلِبَيْتِ أَبيهِ: أَصْعَدُ وَأُخْبِرُ فِرْعَوْنَ وَأَقُولُ لَهُ: إِخْوَتِي وَبَيْتُ أَبِي الَّذِينَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ جَاءُوا إِلَيَّ وَالرِّجَالُ رُعَاةُ غَنَمٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ مَوَاشٍ، وَقَدْ جَاءُوا بِغَنَمِهِمْ وَبَقَرِهِمْ وَكُلِّ مَا لَهُمْ ، فَيَكُونُ إِذَا دَعَاكُمْ فِرْعَوْنُ وَقَالَ: مَا صِنَاعَتُكُمْ؟ أَنْ تَقُولُوا: عَبِيدُكَ أَهْلُ مَوَاشٍ مُنْذُ صِبَانَا إِلَى الآنَ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا. لِكَيْ تَسْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ. لأَنَّ كُلَّ رَاعِي غَنَمٍ رِجْسٌ لِلْمِصْرِيِّينَ".

وغني عن القول أن المصريين المذكورين هنا في هذا النص يقصد بهم الهكسوس العماليق الذين تمصروا حين استوطنوا أرض مصر واصطبغوا بالصبغة المصرية وعاشوا أجواء المدنية و واعتادوا على المجتمعات الزراعية ، وصار رعاة الغنم بالنسبة إليهم رجساً على حد وصف التوراة ، رغم أنها كانت مهنة أسلاف الكثير من هؤلاء العماليق النازحين من نواحٍ مختلفة من بوادي شمال الجزيرة العربية والشام كما فصلنا في ذلك القول في الفصلين الأول والثاني.

إذن فقد كان بنوا إسرائيل يسكنون في منطقة تمثل محمية طبيعية منعزلة عن باقي الأراضي العامرة بالسكان والزراعة والمدن في ذلك الوقت ، وكانت محصورة بين معالم طبيعية وموانع بيئية تمنع الجميع من الخروج منها أو الدخول إليها بالإضافة إلى أنها كانت تحت الرقابة ولم يكن من السهل الإفلات من تلك الرقابة لوجود الحصون والقلاع على أطرافها الشرقية مثل قلعة ثاروا وقلعة مجدل وإيثام وغيرها من المواقع التي كانت تمثل مواقع حصينة وضعت للمراقبة وحراسة الحدود الشرقية لمصر.

إذن فقد شكلت تلك المنطقة طبيعة خاصة وكان لتلك الطبيعة دور فيما بعد أثناء أحداث الخروج ، حيث بدا لفرعون وقومه أن بني إسرائيل أصبحوا تحت الحصار حين رحلوا إلى الشرق وأصبحوا محاصرين بالحواجز المائية من الجهة الشرقية والشمالية ، لكن هذا الحصار الظاهري كان إرادة من الله ليكون على العكس من ذلك فخا

لفرعون وقومه حتى يتجرأوا في مواصلة المطاردة لبني إسرائيل ليطبق الفخ عليهم في النهاية بنزولهم إلى الطريق المشقوق داخل البحر فيهلكوا كما هو معلوم من القصة.



منطقة أحداث الخروج ويظهر فيها أرض جاسان البرية وفرع النيل المندثر سيزوستريس والبحيرات المرة والتي كانت تسمى "يم سوف" أو بحر البوص

وكان من الطبيعي أن تكون لمصر، في جميع العصور، مدينة عند الطرف الشمالي لخليج السويس. ففي عصور مصر القديمة كانت هذه المدينة "سكوت"، وموقعها الآن "تل المسخوطة" على بعد 17 كم غرب مدينة الإسماعيلية ، وقد أطلق عليها الإغريق اسم "هيروبوليس" أو "إيرو" في العهدين الروماني والبيزنطي .

وتدل الأبحاث الجيولوجية على أن خليج السويس، كان يمتد، في العصور القديمة حتى بحيرة التمساح ، ثم انحسرت مياهه جنوباً في العصور اللاحقة إلى البحيرات المُرّة وأن فرعَي النيل "البيلوزي" و"التانيسي" ، كانا يمّران بهذه المنطقة، ويخترقان برزخ السويس. يمر الأول بالقرب من محطة "التينة" الحالية عند "بالوظة" الواقعة في شمال سيناء ، على بعد 25 كم جنوب مدينة بورسعيد الحالية ، والثاني عند النقطة المعروفة بالكيلو 9، على قناة السويس ، وكانا يصبان في البحر الأبيض المتوسط، الأول عند "بيلوز" أو " بالوظة" حاليا، والثاني عند فم "أمّ فرج"، وكلا المصبِّين شرقي مدينة بورسعيد.

وعندما انحسرت مياه الخليج نحو الجنوب خلّفت وراءها سلسلة من "الوهاد" و"البطاح" أي المغايض والمستنقعات والبرك التي كانت تملؤها المياه الضحلة ،فصارت "هيروبوليس / سُكُّوت" من دون ميناءً على البحر الأحمر.

ففقدت بذلك جزءاً من صفتها التجارية وأهميتها الملاحية ولم تحتفظ إلاّ بأهميتها الإستراتيجية، كجزء من القلاع، التي كانت تكوِّن سور مصر الشرقي، وتمتد، عبر البرزخ، شمالي سيناء، إلى غزة.

أما في العصر البطلمي المتأخر فقد نشأ ميناء جديد على الرأس الجديد لخليج السويس، يسمى "أرسينوي أن" أو "كليوباتريس"، في العصر البطلمي، وكان هذا الميناء ناحية "السيرابيوم"، التي تقع شمال البحيرات المُرّة.

ثم استمر انحسار خليج السويس نحو الجنوب، مرة أخرى، وانفصلت البحيرات المُرّة عن الخليج، فنشأ ميناء البحر الأحمر الجديد، الذي سُمي "كليزما" ، في العصر الروماني، وهو الذي حرّف العرب اسمه إلى القلزم، وسموا به، كذلك، البحر الأحمر.

وفي القرن العاشر الميلادي، نشأت ضاحية جديدة جنوبي "القلزم" سميت بـ "السويس". ما لبث أن ضُمت إليها "القلزم" القديمة، وحلت محلها، وأصبحت ميناء مصر على البحر الأحمر.

فالسويس الحديثة هي سليلة "القلزم" أو "كليزما" البيزنطية، و"كليزما" وريثة "أرسينوي" البطلمية ، و"أرسينوي"، هي الأُخرى، وريثة "هيروبوليس" أو "سُكُّوت" المصرية .

والموقع الجغرافي لخليج السويس والنيل، يهيئ طرف الخليج لنشأة مدينة، ذات وظيفة محدودة، هي تجارة البحر الأحمر، وما وراءه ، كما أن ذلك الموقع كان يعد ورابطا هاما ومعبرا إلى الجانب الشرقي من الحاجز المائي وهو شبه جزيرة سيناء ، ومنذ الوقت الذي استطاعت هذه المدينة أن تتصل بالنيل بطريق مائي هو قناة سنوسرت / سيزوستريس فقد تضاعفت أهمية الموقع الجغرافي ووظيفته ، كما عظُمت أهمية المدينة إذ تتلاقى عندها تجارة الشرق والغرب وكان لزاما أن تتحول أيضا جنبا إلى جنب مع ما حولها من مواقع إلى نقاط رقابية هامة وحيوية في حراسة وحماية الجهة الشرقية من الأراضي المصرية.

وبذلك كان موقع "سُكُوت " تحدده علاقة اليابسة بالماء، أي نقطة انتهاء الماء من طرف خليج السويس الشمالي ونقطة بدء اليابسة ، فعندما كان طرف الخليج ، عند مدخل "وادي الطميلات" في العصر المصري القديم كانت "سُكّوت" هي الثغر والمخزن التجاري إضافة إلى كونها إحدى قلاع سور مصر الشرقي ، وكذلك كانت "هيروبوليس" أو "إيرو"، في العصرين الإغريقي الروماني.

وعندما انحسر الخليج نحو الجنوب، تغيّر الموضع، فأصبحت "أرسينوي" عند طرف البحيرات المُرّة. ولّما ازداد انحساره، تغيّر الموضع، فأصبح "كليزما" أو "القلزم". وأخيراً، استقر الموضع عند "السويس" الحالية.

وقد تحالفت عوامل الموقع الجغرافي والموضع والوظيفة على ربط مصير مدينة القلزم القديمة ، التي انتقل موقعها عبْر التاريخ لمسافة تزيد عن الخمسين كيلو متر من قرب الإسماعيلية شمالاً وصولا إلى موقع السويس الحالية ، بالقناة الصناعية "سيزوستريس" التي وصلت خليج السويس بالنيل أو أحد فروعه في بعض فترات متفاوتة من تاريخ مصر ، وكان تتويج ذلك كله إطلاق اسم السويس على القناة التي تصل البحرين المتوسط والأحمر، وصولاً مباشراً فخلّد ذلك اسم مدينة السويس وصار يطلق اسمها على الخليج بأكمله.

أما موضع قناة سيزوستريس القديمة حاليا في العصر الحديث فيعرف بترعة عذبة تربط ماء النيل بخليج السويس تسمى "ترعة الإسماعيلية" مع اختلاف المصب فبدلا من المصب القديم في "فم الحيروث" الذي كان واقعا شمال البحيرة المرة الكبرى والتي تقع في الجنوب من مدينة الإسماعيلية المصرية حاليا ، فقد أصبح مصب ترعة الإسماعيلية في بحيرة التمساح الواقع شمال الإسماعيلية ، لكن مجرى قناة سيزوستريس القديمة حل محله نفس المجري المائي لترعة الإسماعيلية دون تبديل كبير وما زال أثره واضحا على الخريطة.

وقد تم تعديل مخرج "ترعة الإسماعيلية" لتنبثق من النيل مباشرة عند "شبرا"، على بعد سبعة كيلومترات شمال القاهرة وتجري بعد ذلك نحو الشمال الشرقي مع حافة الصحراء حتى بلدة "العباسة"، في "وادي الطميلات"، ثم تنحدر شرقاً، مخترقة هذا الوادي حتى مدينة الإسماعيلية وقبيل مدينة الإسماعيلية تتفرع الترعة إلى فرعين: فرع يصب في بحيرة التمساح ثم يتجه شمالاً إلى بورسعيد عن طريق بحيرة التمساح والآخر

أصبح يخترق الصحراء جنوباً إلى مدينة السويس ليغذيها بالمياه العذبة، وينتهي إلى خليجها ويبلغ طول ترعة الإسماعيلية من النيل إلى بحيرة التمساح، 136 كم ويُقدر طول فرع بورسعيد بنحو 90 كم أمّا فرع السويس، فيبلغ طوله 87 كم.

وما يهمنا أن نستخلصه في النهاية من ذلك التوصيف الجغرافي لمنطقة الخروج هو تحديد معالم مواقع هامة وجوهرية في مسار الخروج كأرض جاسان وسكوت وإيثام وفم الحيروث ووادي طميلات ومجدل وغيرها من المواقع التي سيأتي ذكرها ووصفها بالتفصيل في صفحات هذا الفصل.

رواية التوراة عن مسار الخروج :

اهتم كُتّاب العهد القديم بتسجيل محطات رحلة الخروج من مصر وتوصيفها توصيفا مفصلا مع إيراد أسمائها والعلامات التي تم مشاهدتها خلال تلك المحطات المذكورة ، غير أن تدوين أسماء تلك الأماكن بالمسميات القديمة التي كانت متداولة في زمن كتابة سفر الخروج لم يعد يجدي نفعاً في زمننا الحالي وخاصة مع تغير الكثير من تلك المسميات وتبدلها واندثار بعضها الآخر ولم يصبح لها وجود على وجه الأرض في أيامنا الحالية ، غير أن التحقيق في تلك الأسماء القديمة في حال وجود مصدر يوصفها توصيفا دقيقا يمكن أن يؤدي إلى اكتشاف المواقع المعاصرة في أيامنا الحالية.

وحاول الباحثون التوراتيون والمهتمون بالتاريخ من خلال أسماء تلك المواقع المذكورة في التوراة أن يقارنوا ويقاربوا بينها وبين أسماء المواقع الحالية من أجل الوصول إلى مسار الخروج كما ورد بسفر الخروج لكن غالبية تلك المحاولات أتت بعيدة عن حقيقة رحلة الخروج كما جرت في الواقع ، حيث أن كل هؤلاء الباحثين لم يستعينوا بالمصادر الصحيحة التي يجب اللجوء إليها في تلك الأحوال ، فلا بد لنا حين نبحث عن أماكن كانت واقعة داخل القطر المصري أن نلجأ إلى المصادر التي احتفظت بأسماء تلك الأماكن وفقا للمسميات القديمة منذ أقدم العصور ، ومن المعروف أن تلك المصادر القديمة والمتنوعة التي سجلت ودونت المواقع والنواحي العتيقة داخل القطر المصري ما زالت معتمدة في الجهات المحلية كهيئة المساحة ومديريات الزراعة والأماكن التي تعتمد على التقسيم المحلي والإداري في مصر منذ أقدم العصور.

وكان هناك من المصنفات المتخصِّصة ما يجمع العديد من تلك المصادر في مصنف واحد ألا وهو ("القاموس الجغرافي للبلاد المصرية" من عهد قدماء المصريين إلى العصر الحديث) ، حيث يمثل الجزء الأول منه " البلاد المندرسة" أي المواقع المندثرة في القطر المصري ، والذي وضعه الأستاذ محمد رمزي رحمه الله وقدم له الدكتور والمؤرخ الكبير عبد العظيم رمضان وأصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وهو يضم بين طياته معلومات هامة وجوهرية من الجهات الوحيدة التي يجب الرجوع إليها في هذا الصدد للتعرف على المواقع القديمة على أرض مصر ومنها هيئة الأبرشيات الكنسية التابعة للكرازة المرقسية في أنحاء القطر المصري ، ولجنة التقسيم الإداري بوزارة الداخلية ، وتسجيلات مديريات الشرطة ونظارة الداخلية عن المراكز المصرية ، وسجلات مصلحة المساحة التي أصبحت فيما بعد تعرف بهيئة المساحة المصرية ، بالإضافة لسجلات وزارة المالية ومديريات الزراعة وغيرها من الجهات الإدارية والحكومية التي ما زالت تحتفظ بسجلات ثمينة منذ عصور طويلة تحصر بداخلها أسماء المدن والمراكز والقرى والنواحي المصرية سواء المندرس منها أو القديم الباقي أو المستحدث.

هذا بالإضافة إلى استناد هذا المعجم الجغرافي إلى الكثير من المؤلفات القديمة التي رصدت ودونت التاريخ الجغرافي القديم للكثير من النواحي داخل القطر المصري ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

الانتصار لابن دقماق ، والبلدان لليعقوبي ، والتحفة السنية لابن الجيعان ، والخطط المقريزية للمقريزي ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، وبدائع الزهور لابن إياس ، ودليل أسماء النواحي المصرية ، وتاريخ الجبرتي أو عجائب الآثار ، وفتح مصر لابن عبد الحكم ، وكشوف أسماء البلاد المصرية تصنيف نظارة الحقانية ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ، وتحفة الإرشاد وغيرها الكثير من المؤلفات الغزيرة التي تم وضعها في عصور مختلفة ولأغراض مختلفة وبواسطة جهات مختلفة أيضا والتي لا يمكن بحث هذا الموضوع بشكل قاطع إلا بالاستعانة بتلك المصادر الضرورية للوصول إلى الحقيقة.

وقد ورد مسار الخروج في المقام الأول في العهد القديم في كل من سفر الخروج وسفر العدد [7] ، ونورد هنا نص سفر العدد نظرا لسهولة سرده:

---

[7] سفر العدد 33 – 5: 37

فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعَمْسِيسَ وَنَزَلُوا فِي سُكُّوتَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ الَّتِي فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيثَامَ وَرَجَعُوا عَلَى فَمِ الْحِيرُوثِ الَّتِي قُبَالَةَ بَعْلَ صَفُونَ وَنَزَلُوا أَمَامَ مَجْدَل.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ أَمَامِ الْحِيرُوثِ وَعَبَرُوا فِي وَسَطِ الْبَحْرِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، وَسَارُوا مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي بَرِّيَّةِ إِيثَامَ وَنَزَلُوا فِي مَارَّةَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ مَارَّةَ وَأَتَوْا إِلَى إِيلِيمَ. وَكَانَ فِي إِيلِيمَ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ، وَسَبْعُونَ نَخْلَةً. فَنزَلُوا هُنَاكَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيلِيمَ وَنَزَلُوا عَلَى بَحْرِ سُوفَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ بَحْرِ سُوفَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ سِينٍ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ بَرِّيَّةِ سِينٍ وَنَزَلُوا فِي دُفْقَةَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ دُفْقَةَ وَنَزَلُوا فِي أَلُوشَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ أَلُوشَ وَنَزَلُوا فِي رَفِيدِيمَ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَاءٌ لِلشَّعْبِ لِيَشْرَبَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رَفِيدِيمَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَاءَ وَنَزَلُوا فِي قَبْرُوتَ هَتَّأَوَةَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ قَبْرُوتَ هَتَّأَوَةَ وَنَزَلُوا فِي حَضَيْرُوتَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حَضَيْرُوتَ وَنَزَلُوا فِي رِثْمَةَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رِثْمَةَ وَنَزَلُوا فِي رِمُّونَ فَارِصَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رِمُّونَ فَارِصَ وَنَزَلُوا فِي لِبْنَةَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ لِبْنَةَ وَنَزَلُوا فِي رِسَّةَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ رِسَّةَ وَنَزَلُوا فِي قُهَيْلاَتَةَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ قُهَيْلاَتَةَ وَنَزَلُوا فِي جَبَلِ شَافَرَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ شَافَرَ وَنَزَلُوا فِي حَرَادَةَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حَرَادَةَ وَنَزَلُوا فِي مَقْهَيْلُوتَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ مَقْهَيْلُوتَ وَنَزَلُوا فِي تَاحَتَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ تَاحَتَ وَنَزَلُوا فِي تَارَحَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ تَارَحَ وَنَزَلُوا فِي مِثْقَةَ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ مِثْقَةَ وَنَزَلُوا فِي حَشْمُونَةَ.
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حَشْمُونَةَ وَنَزَلُوا فِي مُسِيرُوتَ.
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ مُسِيرُوتَ وَنَزَلُوا فِي بَنِي يَعْقَانَ. (بئيروت).
ثُمَ ارْتَحَلُوا مِنْ بَنِي يَعْقَانَ وَنَزَلُوا فِي حُورِ الْجِدْجَادِ.
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حُورِ الْجِدْجَادِ وَنَزَلُوا فِي يُطْبَاتَ.
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ يُطْبَاتَ وَنَزَلُوا فِي عَبْرُونَةَ.
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَبْرُونَةَ وَنَزَلُوا فِي عِصْيُونَ جَابَرَ
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عِصْيُونَ جَابَرَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ وَهِيَ قَادَشُ.
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ قَادَشَ وَنَزَلُوا فِي جَبَلِ هُورٍ فِي طَرَفِ أَرْضِ أَدُومَ.

فَصَعِدَ هَارُونُ الْكَاهِنُ إِلَى جَبَلِ هُورٍ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ، وَمَاتَ هُنَاكَ فِي السَّنَةِ الأَرْبَعِينَ لِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي الشَّهْرِ الخَامِسِ فِي الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ .وَكَانَ هَارُونُ ابْنَ مِئَةٍ وَثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ فِي جَبَلِ هُورٍ.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ هُورٍ وَنَزَلُوا فِي صَلْمُونَةَ.
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ صَلْمُونَةَ وَنَزَلُوا فِي فُونُونَ.
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ فُونُونَ وَنَزَلُوا فِي أُوبُوتَ .
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ أُوبُوتَ وَنَزَلُوا فِي عَيِّي عَبَارِيمَ فِي تُخْمِ مُوآبَ.
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَيِّيمَ وَنَزَلُوا فِي دِيبُون جَادَ.
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ دِيبُونَ جَادَ وَنَزَلُوا فِي عَلْمُونَ دِبْلاَتَايِمَ.
ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَلْمُونَ دِبْلاَتَايِمَ وَنَزَلُوا فِي جبَال عَبَارِيمَ أَمَامَ نَبُو.
ارْتَحَلُوا مِنْ جبَال عَبَارِيمَ وَنَزَلُوا فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا.
ثُمَّ نَزَلُوا عَلَى الأُرْدُنِّ مِنْ بَيْتِ يَشِيمُوتَ إِلَى آبَلَ شِطِّيمَ فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ.

وبالرجوع إلى المحطات الرئيسية التي مر عليها بنو إسرائيل أثناء خروجهم من مصر وفقا لتلك النصوص نجد المواقع الرئيسية التالية :

أولا: مواقع ومحطات في مسار الخروج داخل مصر قبل عبور البحر:

- رعمسيس (أرض رعمسيس الكبرى في شرق الدلتا)
- وادي الطميلات (الجانب البري من أرض جاسان) :
- بيتوم / فيثوم (ليست من محطات الخروج لكنها تقع في نفس المنطقة قبل سكوت):[8]
- سُكُّوت (فى الطريق إلى برية بحر سوف أي إلى البحيرات المُرّة)
- قناة سيزوستريس / قناة سنوسرت الثالث:
- طريق برية بحر سوف (البحيرة المرة الكبرى من جانبها الغربي)
- إيثام / إيتام (المدينة والبرية واسعة على جانبي يم سوف) :
- مجدل (لسيت من محطات الخروج وتقع بالقرب من الإسماعيلية)
- فم الحيروث (بين مجدل والبحر) أمام بعل صفون
- يم سوف / بحر سوف (البحيرة المرة الكبرى) :
- وادى الطميلات (الجانب البري من أرض جاسان) :

ثانيا: مواقع ومحطات في مسار الخروج داخل سيناء بعد عبور البحر:

- بعل صَفُّون (في قبالة فم الحيروث أي في الجانب الآخر منها عبر ضفة حاجز مائي)
- من بحرسوف إلى برية "شور" ثلاثة أيام بعد العبور
- "مارّة" ومعناها الماء المر وهى على جنوب حافة "البحيرات المرّة" من جهة سيناء في مواجهة السويس
- إيليم
- البحر الأحمر (على ساحله من الجانب الشرقي لخليج العقبة)
- برية سين بين إيليم وسيناء (وهذا استغرق 45 يوم بعد يوم الخروج)
- برية سيناء (وادي جبل موسى بسانت كاترين)
- جبل سيناء ... المسمى بـــ "جبل موسى" بسانت كاترين

---

[8] من معجم البلاد المقدسة / قاموس الكتاب المقدس / معجم البلاد المندرسة

- دفقة (سرابيت الخادم)
- ألوس / ألوش
- رفيديم / وادي رفايد وهي التي جرى بها إنفجار العيون وحرب العماليق (قبائل عماليق سيناء).
- برية سين (المرة الثانية لأنها ممتدة من الشمال إلى الجنوب)
- قبروت هتأوة
- حضيروت[9]
- جبل حوريب
- رثمة[10]
- برية فاران
- قادش برنيع (من أهم مواقع التيه ومكثوا فيها معظم فترة التيه)
- رمون فارص / رمون بيريز
- حشمونة[11]
- بني يعقان[12]

---

[9] حضيروت : اسم كنعاني / عبراني معناه "حظائر، ديار، قرى". وهي محط العبرانيين في سيناء خلال مسيرتهم وقد جاء ذكره بعد قبروت هتأوه (عدد 1: 35)، وعلى هذا الجانب من فاران (عدد 12: 16 و3: 17 وتثنية 1: 1) ، وهي المحطة الخامسة في مسار الخروج وتسمى حاليا (عين خضرة) وتقع على بعد حوالي – 70كم فى الطريق من سانت كاترين إلى نويبع وهى عين ماء طبيعية مشهورة بسيناء ، وعلى مسافة 36 ميلًا شرقي جبل سيناء ، وذكرت فى سفر العدد إصحاح 3 :4 باسم حضيروت ثم اتخذوا الطريق الساحلى الموازى لخليج العقبة حتى وصلوا إلى برية فاران أو باران نسبة إلى وادى باران فى جنوب فلسطين غرب وادى عربة الذى يصل البحر الميت بمدينة العقبة ولرفض بنى إسرائيل دخول الأرض المقدسة حرمت عليهم أربعون عاماً يتيهون فى سيناء متخبطين فى عدة أماكن غير مستقرين فى مكان واحد .

[10] اسم كنعاني / عبراني معناه "رتمة" وهي محلة حط بنو إسرائيل فيها رحالهم في البرية (عد 33: 18 و19). ومن الرتم الذي ينمو في البرية. وربما كانت شمالي عين خضرة في شبه جزيرة سيناء.

[11] اسم عبري معناه "خصبة" محط للعبرانيين في ترحالهم في البرية (عدد 33: 29 و30).

[12] من قاموس الكتاب المقدس : اسم كنعاني لقبيلة بالكنعانية "أبناء يعقان "وهو اسم قبيلة يرجح أنها من نسل سعير الحوريّ وقد أطلق هذا الاسم على الآبار التي حلّ قربها بنو إسرائيل ، وكانت تسمى أيضًا بئيروت قيل أنها البئرين/البيرين الحالية على بعد 6 أميال إلى الجهة الجنوبية من إلعوجا.

- حور الجدجاد (وادي جيرافي بسيناء)[13]
- يطبات (طابا المصرية)[14]
- عبرونة[15]

ثالثا: مواقع ومحطات في مسار الخروج بعد مغادرة سيناء:

- عبرونة
- عصيون جابر
- زارد
- وادي أرنون
- وادي عربة

وبعد أن ذكرنا المواقع وفقا للمسار الذي ذكرته التوراة ، فإننا سنتناول أهم تلك المواقع والمحطات التي شكلت أهمية كبيرة في مسار الخروج وكان من اللازم تعيين مواقعها الحقيقية والمعاصرة حتى نستطيع تكوين الصورة الحقيقية عن رحلة الخروج بأكملها ، وفيما يلي خلاصة البحث والتوصيف لأهم تلك المواقع:

---

13 اسم كنعاني / عبراني معناه "كهف جدجاد" محط لبني إسرائيل في البرية (عدد 32: 33) . وهي الجدجود (تثنية 6: 10 و7 وقارن عدد 31: 33-33) . ربما تقع على وادي غدغودة, أو غداغد, التابع لوادي جيرافي, شمال كونتيلة الجيرافي, شمالًا إلى الشمال الغربي من خليج العقبة في شبه جزيرة سيناء ، ووادي الجيرافي يعد من المحميات الطبيعية غير الرسمية في سيناء.

14 اسم كنعاني / عبراني معناه "طيبة" وهو محلة من محلات بني إسرائيل في البرية (عد 33: 33) غربي العربة. وكانت أرض أنهار ماء" (تث 10: 7). ويظن بأنها الطابة/طابا وعينها قاموس الكتاب المقدس على بعد 22 ميلًا شمالي العقبة لكنها على العكس تقع في الجانب الغربي من خليج العقبة من جهة جنوب العقبة وليس شمالها.

15 هي حاليا تمثل واحة يقطن بها بنو صخر في بلاد البلقاء في الأردن وهي من القبائل قويّة الشكيمة وقد بلغت غزواتهم وادي عربة في جنوبيّ الأردن وبلاد التيه في سيناء وكانت لهم غزوات على غيرهم من القبائل البدوية هناك التي كانت تبادلهم الغزوات ، كما تقطن قبيلة الأحيوات أيضا في منطقة دِفيّة في وادي عربة قرب العقبة ، وساروا بها عبر وادي عربة شمالاً ، وتقع عبرونة والتي تسمى اليوم دِفيّة ونواحيها في وادي عربة من جهة جنوب الوادي وتسمى بمسميات مختلفة منها عين دفية وواحة دفية.

أولا: مواقع ومحطات فى مسار الخروج داخل مصر قبل عبور البحر:

- **رعمسيس (أرض رعمسيس الكبرى في شرق الدلتا) :**

ورد ذكر رعمسيس فى العهد القديم فى أكثر من موضع فقد ورد ذكرها عند الحديث عن إسكان يوسف وإخوته بمصر "بأرض رعمسيس" وتحديدا في جزء منها يسمى "أرض جاسان" كما سبق لنا التوضيح ، وهى أحسن الأرض وفقاً للتوراة وقد ورد ذكرها بهذه الكيفية كأرض وليس كمدينة ، ومن الواضح أن هذا التعبير يدل على منطقة كبيرة وشاسعة وفيرة الخيرات والمياه ويبدو أنها تدل على منطقة الشرقية حالياً أي محافظة الشرقية المصرية الواقعة في شرق الدلتا على مساحة كبيرة وربما ضمت معها أيضا ما يعرف اليوم بمحافظة الإسماعيلية وفقا لفهمنا لقصة إقامة بني إسرائيل في مصر ووفقاً للتقسيم الإدارى الحديث وكانت أرض جاسان هى المرعى الكبير المتاخم للدلتا من الجهة الشرقية الجنوبية وكانت تستخدم فى رعى الأغنام والمواشى وليس للزراعة ، أما أرض رعمسيس فكانت تابعة للدلتا وتستخدم فى الزراعة ، وبالتالى فقد كان بنو إسرائيل يسكنون على جزء وطرف صغير من أرض رعمسيس الزراعية على أطراف الدلتا الشرقية عند بلبيس حالياً ويرعون أغنامهم ومواشيهم بأرض جاسان المتاخمة لأرض رعمسيس من الجانب الشرقى من مدينة الإسماعيلية مروراً بوادى طميلات الواقع بين محافظة الشرقية ومحافظة الإسماعيلية.

أما مدينة مخازن رعمسيس فهى مكان آخر مختلف عن أرض رعمسيس الزراعية التى تعتمد على الرى والزراعة من النيل ، فمدينة مخازن رعمسيس كما يبدو من إسمها أنها قد أعدت خصيصاً لتخزين الحبوب مثلها مثل مدينة مخازن فيثوم / بيتوم ، وتقع المدينتان فى وادى طميلات الواقع فى الجزء الجنوبى من شرق الدلتا بجوار مدينة بلبيس وحتى تخوم مدينة الإسماعيلية شرقاً والبحيرات المرّة المتصلة بخليج السويس وكانت تلك المنطقة الشاسعة منطقة رعى مجاورة مشرفة على بريّة سيناء وفيها تقع مدينة مخازن رعمسيس فى موقع متوسط بين الأرض الزراعية من جهة وبين البرية الشرقية لمصر من جهة أخرى.

أما مدينة بى رعمسيس / برعمسيس فهى المدينة التي شرع فى بنائها رعمسيس الأول مؤسس الأسرة 19 أسرة الرعامسة واستعملها من بعده أبناءه سيتى الأول –

رعمسيس الثانى الملك المشهور وقد بنيت المدينة فى نفس النواحى القديمة تقريباً مع بعض التعديل فى الموقع عن مكان عاصمة الهكسوس أورايس ، ومن هنا جاء الخلط بين أورايس [16] ، وبين تانيس وبرعمسيس على إعتبار على أنهم جميعهم مكان واحد ومحاولة التوحيد بينهم من حيث الموقع ، وقد عرفنا الآن أن هذا الافتراض أصبح غير دقيق لأن مدينة أواريس قد تأكد موقعها فى مدينة فاقوس بمحافظة الشرقية وبعض القرى والمراكز التى تحيط بها كـــ "قنتير" ، عزبة حلمى وتل الضبعة وكلها تابعة لمدينة فاقوس ، أما برعمسيس فتقع فى الشمال من مدينة فاقوس عند قرية صان / صا الحجر وهى تابعة لمحافظة الشرقية لكنها تبعد عن فاقوس حوالى 30 – 40 كيلومتر شمالاً ، ويرجح أن صان الحجر هى نفسها صوعَن / زوان التى ذكرت فى التوراة وليست أواريس بعينها للاختلاف الطفيف بينهما في الموقع ، وصان الحجر بذلك تعتبر هى نفسها تانيس [17] فيما بعد عندما إتخذها ملوك الأسر 20 – 22 عاصمة لهم مع بعض التعديل البسيط فى موقعها.

واستخدام كاتبي التوراة اسم رعمسيس يدل على شيئين إما أن اسم رعمسيس قد تم استخدامه قبل عصر الرعامسة وهم الأسرة 19 وإما أن يكون كاتبوا التوراة تعمدوا استخدام الإسم وإطلاقه على أماكن لم تكن فى زمن تلك الأحداث وتحمل نفس الاسم.

---

[16] انظر الفصل الثالث عن مدينة أواريس

[17] صان الحجر إحدى قرى مركز الحسينية التابع لمحافظة الشرقية في جمهورية مصر العربية، قديمًا كانت تسمى تانيس ويعتقد أن اسمها في التوراة "صَوعن"، كما ذكرت في الكتابات المصرية القديمة باسم "جعنت". ، وتانيس تختلف عن "تِنِّيس" (بكسر التاء وتشديد النون المكسورة) وهي مدينة قديمه فى مصر كانت فى شمال شرق بحيرة المترله على بعد تسعه كم جنوب غرب بورسعيد كانت تنيس مدينة مصرية زاهرة في العصور الإسلامية في موقع مدينة بورسعيد حيث كان بها ميناء هاما لتصدير المنتجات الزراعية المصرية وكانت تشتهر بصناعة النسيج في مصر, ونظرا لبراعة اهل تنيس في صناعات النسيج فقد كان يعهد اليهم سنويا بتصنيع كسوة الكعبة المشرفة, وفى بدايات القرن الثاني عشر فى زمن الحروب الصليبية تعرضت لهجمات ، و فى عهد الملك الكامل الأيوبي انتقل أهلها البالغ عددهم وقتها حوالي 50 ألف نسمة وتم تهجيرهم لمدينة دمياط بسبب غارات الصليبيين وحتى لا يستطيع جنود الصليبيين الوصول عن طريقها للعاصمة فخربت منذ ذلك الحين في عام 624 هجريه الموافق 1227 م ، وهى غير تانيس (صان الحجر) التي تقع فى مركز فاقوس كما أوضحنا و غير تنيس (البربا) اللى من غير تشديد الموجوده فى صعيد مصر فى مركز جرجا.

لقد جاءت أسفار موسى — التي كتبها اليهود في عصر لاحق لعصر موسى عليه السلام — بأسماء مدن لم تكن تسمى بها تلك المدن في عصره ، مما قد يدل على أن اليهود عند وضع التوراة كانوا يقومون بوضع إسم المدينة الجديد بدلا من إسمها القديم، وفي بعض الأحيان كانوا يكتبون الإسمين معا ، كما فعلوا مع مدينة بيت لحم عند ذكرها في سفر التكوين ، حين ذكروها بإسم "أفراتا" وبإسم "بيت لحم" ، في حين أن بيت لحم لم تكن قد بنيت في أيام يعقوب عليه السلام ، ولم يكن ذلك الموضع قد تسمى بذلك الإسم ، بل سميت به بعد موت موسى عليه السلام بأكثر من مائة عام.

ومثال آخر مدينة حبرون ، ففي سفر التكوين ذكرت قرية "أربع" أي "حبرون في أرض كنعان ، وهنا نجد الناسخ قد ذكرهما بكلا الإسمين القديم والجديد وأكبر دليل على التداخل أن سفر التكوين ينص على وجود مدينة رعمسيس في عصر يوسف وهو عصر يسبق ظهور أسرة الرعامسة وكل من تسمى بإسم "رعمسيس / رمسيس" بمئات السنين بل ويسبق ظهور موسى عليه السلام نفسه.

ومثلما حولت الترجمة اليونانية للتوراة وهي الترجمة السبعينية كلمة "مصر" إلى "إيجيبت" قامت أيضا بتحويل "صوعن" إلى "رعمسيس" .

إذن فمدينة برعمسيس عاصمة الرعامسة والتى أصبحت صان الحجر حالياً تختلف عن مدينة مخازن رعمسيس الواقعة فى وادى طميلات بين محافظتى الشرقية والإسماعيلية والتي لم يكن اسمها هكذا عند وقوع الأحداث لكنها حملت ذلك الإسم في عصور لاحقة وقت كتابة التوراة، وهاتين المدينتين — بيتوم ورعمسيس - تختلفان عن أرض رعمسيس التى تمثل المساحات المرزوعة حالياً بمحافظة الشرقية المصرية وهى نفسها مساحة الأرض الزراعية الخصيبة في شرق الدلتا والتي تمثلها اليوم محافظة الشرقية والتي تضم بداخلها مدينة بلبيس الحالية وما حولها التى كان يسكن بها يعقوب عليه السلام وتطل على وادى طميلات الذى يشرف على برّية حدود مصر الشرقية.

لذلك نرى التكلف الكبير الذى وقع فيه كل من حاول رسم سيناريو الخروج وتحديد مساره حين حاولوا تصور ذلك المسار على أنه أتى من الشمال من جهة صان الحجر إلى الجنوب الشرقى حتى خليج السويس والذي يجعل بنى إسرائيل - وفقا لتصورهم - يقطعون مسافاتً طويلة لا يمكن لجماعة هاربة مثلهم أن تقطعها فضلاً عن أنهم حاولوا كثيراً توفيق كل أسماء المواقع التى وردت فى رواية التوراة ومحاولة

مقابلتها مع أماكن معاصرة ففشلوا فى أغلب محاولاتهم ولم يستطيعوا رسم مسار واقعي يستحق التصديق والإقناع.

- **وادى الطميلات (الجانب البري من أرض جاسان ويقع بين الشرقية والإسماعيلية):**

هو الوادى الذى تمر فيه ترعة الإسماعيلية حاليا إلى بحيرة التمساح بمدينة الإسماعيلية، وهو الاسم الذي تحمله القبائل العربية التى سكنت فى تلك النواحى الشرقية ويعرفون بـ"عرب الطميلات".

ويمثل هذا الوادي منطقة تبلغ حوالي 50 كيلومتر طولا عبارة عن وادي لنهر جاف مندثر جهة الشرق من دلتا النيل في مصر وقد كان في عصور ما قبل التاريخ يمر به قناة فرعية من النيل تسمى بقناة سيزوستريس أو قناة سنوسرت الثالث ويبدأ من مدينة الإسماعيلية الحالية ويمتد في اتجاه الغرب ، وكان هذا الوادي يمثل شريان للاتصالات ومنفذا رئيسيا لتجارة القوافل بين مصر وحدودها الشرقية ، ويعتقد أن الاسم العربي "وادي الطميلات" جاء نتيجة استيطان قبائل "عرب الطميلات" العربية في تلك التخوم، بينما يرجح آخرون بأن القبائل هي التي اكتسبت إسمها من من إسم الوادي ، وتتحدث بعض المصادر عن وجود معبد هام للإله آتوم وهو إله مصري قديم ، وقد أطلق على أحد المدن الهامة الواقعة داخل هذا الوادي "بيتوم" التي ورد ذكرها في التوراة والتي ينسب اسمها الكثير من المؤرخين إلى "بيت آتوم"، ويقال أن إسم "توميلات/طميلات" قد تغير مع مرور الوقت من "آتوم إيلات" ومنها اشتق الاسم "طميلات".



وادي الطميلات ويمتد في الجزء العلوي لصحراء مصر الشرقية ما بين مدينة الإسماعيلية المعاصرة شرقا ومدينة الشرقية غربا ليصل إلى حافة الصحراء الشرقية عند حدودها الشمالية

وكانت بداية مياه الخليج عند وادي الطميلات وفي الموضع إحدى قلاع مصر شرقا بالإضافة إلى حصن ثارو بالقرب من شرق بورسعيد والفرما القديمة، وبعد تزايد إنحسار المياه وحدوث الإنفصال اليابسى بين موقع الطرف الشمالى لخليج السويس الحالى والبحيرات المرة ، نشأت مواقع مراقبة عسكرية وإستراحات صغيرة، و مع استمرار انحسار الخليج نحو الجنوب ، انفصلت البحيرات المرة عن الخليج ، فنشأ برزخ على طرف (يم كاسيما) البحر الأحمر حاليا ، وقد نطقها البطالمة (كلزما-أو كلسما) بأضافة حرف اللام الذى لم يعرفه المصرى القديم قبل عصر البطالمة، ومواقع أخرى يرى بعض الباحثين والاثريين أنها مدن سكان وادي الطميلات الأقدمين، مثل : مدينة (ايرو) أو (هيروبوليس) وتعنى باليونانية (المدينة الإلهية / مدينة الأبطال) وموقعها الحالى بالقرب من تل المسخوطة، ومدينة (أرسينوي) نسبة للملكة البطلمية زوجة بطليموس الثانى، و تغير أسمها إلى (كليوباتريس) ربما نسبة لملكة بطلمية أخرى (كليوباترا)، وموقع هذه المدينة بالقرب من قرية السيرابيوم الحالية والتي تقع شمال البحيرات المرة، وزادت أهمية هذا البرزخ في العصر الروماني، واطلق العرب من بلاد الحجاز واليمن علية اسم ميناء القلزم، وذلك قبل الفتح العربى، وأطلقوا على البحر الأحمر بحر القلزم.

قامت هيئة الآثار المصرية بعمل حفائر وبحوث أثرية بـــ"تل حسن داود" ونتج عن الحفائر ظهور مقابر ترجع إلى عصر ماقبل وبداية عصر الأسرات أي قبل 5000 عام، حين كان وادي الطميلات المدخل الطبيعي لمصر، وبوابتها الشرقية التي شهدت دخول الهكسوس والفرس، ثم الغزو التركي، وسارت على أرضه خطى الأنبياء منذ عهد إبراهيم عليه السلام، ومن بعده يوسف وإخوته وأبوهم يعقوب عليهم السلام كما شهد خروج موسى عليه السلام من مصر، ورحلة العائلة المقدسة الي مصر و منها، ودخول الفاتح العربي عمرو بن العاص في زمن الفتح الإسلامي.

وقد عاش بنو إسرائيل فى مصر قبل خروجهم منها فى غرب وادى الطميلات المعروف في ذلك الوقت بأرض جاسان وهو الوادى الرعوي الزراعى الممتد من شرق الزقازيق إلى غرب سيناء وقد ولد في تلك النواحي أو قريبا منها ناحية بلبيس نبى الله موسى عليه السلام .

وقد سكنت قبائل الطميلات في ذلك الوادي منذ زمن بعيد وقد سماها البعض قبائل الشرقية والمقصود بالشرقية فى وقت الحملة الفرنسية مديرية الشرقية[18] والتى كانت تضم فى حينها سيناء والإسماعلية وبورسعيد والشرقية حالياً وتسكن تلك القبائل فى وادى الطميلات الذى كان يمر فيه خليج أمير المؤمنين قديماً / قناة سيزوستريس وقد ذكر في الكتاب إن هذه القبيلة العربية فى مصر قد بلغ عدد فرسانها نحو سبعمائة فارس إبان الحملة الفرنسية على مصر 1798م ، وذكر كتاب وصف مصر أيضاً إن قبائل الطميلات كانت وقتها فى حالة حرب مستمرة مع القوات الفرنسية ولم تنته هذه الحرب إلا بخروج الجيش الفرنسى عائداً فى البحر عام 1802.

وسكنت قبائل الطميلات مع قومهم من قبيلة كلب بن وبرة القوية منطقة الجابية وبادية الشام ردحا طويلا من الزمن، كانوا فيه زعماء جند الشام ووزراء بني امية واخوال خلفائهم، حتى ضعفت كلب من الصدامات مع القيسية أهل حلب مما أدى إلى هجرتهم من هذه البادية ، فسكن قسم وادي السرحان، و سكن قسم بفلسطين، وهاجر ظعن كبير منهم إلى مصر قبيل عهد القلقشندي فسكنوا الدقهلية والمرتاحية بجوار النيل، ثم دخلت الطميلات الوادي الذي يبدأ من بحيرة التمساح و ينحدر إلى جنوب الشرقية، و هو بقايا خليج أمير المؤمنين / قناة سيزوستريس التي كانت تربط بين النيل والبحر الاحمر، فسمي هذا الوادي باسم وادي الطميلات ، لكن يقول بعض المؤرخين أن القبائل هي من تسمت بإسم الوادي وهو الأوقع، فالتوراة كمصدر قديم احتفظت لنا بالإسم على أنه إسم قديم ومتوارث من قبل الهجرات العربية وبالتالي فإن الأكثر منطقية هو تسمية القبائل على اسم الموقع الذي استوطنوه وليس العكس، وجدير بالذكر أن تلك القبائل القضاعية قد عمرت في هذا الوادي ونواحيه قرى كثيرة من أبوحماد و القصاصين مرورا بالعباسة ثم التل الكبير و المحسمة[19]

[18] نقلهُ الفرنسى أميديه جوبير فى كتاب وصف مصر

[19] كتاب معجم قبائل مصر وكتاب القبائل العربية – محمد سليمان الطيب.

- **سُكُّوت / تل المسخوطة (فى الطريق إلى برية بحر سوف أي إلى البحيرات المُرَّة)**

مدينة مصرية قديمة قرب الحدود الشرقية بالقرب من قرية أبو صوير / أبو جريش وقاعدة أبو صوير الجوية فى الطريق الواقع بين الإسماعيلية والشرقية على ترعة الإسماعيلية وتقع من الغرب لمدينة الإسماعيلية وتمثلها الآن قرية "تل المسخوطة" الواقعة في وادي الطميلات.

وهي أول مدينة وصل إليها بنو اسرائيل في الوادي البري طميلات بعد ارتحالهم من أرض **رعمسيس** أي أرض الدلتا الشرقية الزراعية عند خروجهم من مصر، وكانت مدينة حصينة تقع في الجزء الشرقي من وادي الطميلات إلى الغرب من البحيرات المُرة، وكانت على سفر يوم من رعمسيس ،ويرى البعض أن موقعها الحالي هو تل المسخوطة، وهناك من يرى أن كلمة سكوت معناها مظلات فيستنتج أنها لم تكن مدينة دائمة بل مجرد محلة مؤقتة في المنطقة.

وقد حاول البعض تفسير اسم تل المسخوطة بسبب الاصطلاح الشائع عند عوام الناس فى مصر بإطلاق اسم "المساخيط" على المومياءات والآثار التى يعثرون عليها حيث يسود الإعتقاد بأنهم (مسخوطون) أى ملعونون وقد تحولوا إلى تلك الحالة نتيجة اللعنة التى أصابتهم لكن هذه الافتراضات غير صحيحة فقد أثبتت الوثائق التاريخية غير ذلك ، فضلا عن التشابه الكبير لاسم "سكُوت" وبين اسم "تل المسخوطة" المعاصر.

فقد ذكرت ورقة أنستاسيا السادسة المحفوظة فى المتحف البريطانى والتى تحتوى على خطاب الملك مرنبتاح كتبه لرئيسه يقول فيه : "إن بعض بدو (شاسو) الآتيين من أدوم بالأردن قد سمح لهم أن يجتازوا الحصن الذى يوجد بالقرب من سكوت الواقعة فى وادى الطميلات ليتاح لهم رعى أغنامهم ومواشيهم بالقرب من بيتوم"

إذن فمدينة سكوت معروفة منذ القدم وتم تحوير إسمها قليلاً لتصبح "تل المسخوطة" حالياً فى نواحى الإسماعيلية وكان يظن أن اسمها قد إقترن بـــ "المساخيط" وهو المصطلح الذى يطلقه العامة فى مصر علي الآثار ، لكن فى العصور الأخيرة أصبح الجميع يميز الآثار جيداً ، وهذا الاسم وفقاً للتفسير القديم أو التفسير العامّى يدل على قدم المدينة واحتوائها على آثار الأقدمين.

وبذلك فقد تم تحقيق موقع سكوت التى ذكرت فى التوراة كموقع هام فى مسار خروج بنى إسرائيل من مصر ويقع فى منتصف المسافة تقريباً بين مكان إقامتهم فى

بلبيس التى كانت تقع فى أرض رعمسيس بمسماها القديم وبين موقع العبور عند فم الحيروث وهو الدفرسوار حاليا كما سيأتي.

وكانت تل المسخوطة (سُكُّوت) تسمى عند البطالمة هريو-بوليس وكانت تقع على ضفة قناة النيل المسماة سيزوستريس[20] القديمة فى طريقها إلى المصب عند البحيرات المّرة، وقد قيل أن إسمها الآشورى Pithom بيتوم ولكن بيتوم موقع آخر إستطعنا الإستدلال عليه وهو بالقرب من التل الكبير بمركز أبو حماد بالشرقية القريب من تل المسخوطة.

واسم سكوت الآشورى سيخوت ، واسمها المصرى Thekou – Theicho أو سكوت Succot كما وردت فى التوراة.

وتتبع تل المسخوطة أيضاً مركز أبو حماد بمديرية الشرقية وتبعد عن مدينة الإسماعيلية 16 كم فى إتجاه الغرب.

ويحيي اليهود ذكرى نزولهم ب"سكوت" أثناء رحلة خروجهم من مصر حيث يوجد لديهم عيد ديني بنفس الاسم ومعناه عيد المظلة -والمعروف أيضًا بـــ"عيد العرش/ العرائش"- ويحل بعد يوم الغفران بخمسة أيام وهو اليوم الذي يصفه الكتاب المقدس (اللاويون 24:23) ب"عيد المظلة / المظال". ويستمر عيد المظلة سبعة أيام.

---

[20] قناة سيزوستريس، التى أُنشئت 1850 ق.م، فى عهد الملك سنوسرت الثالث، للربط بين البحرين الأحمر والمتوسط عبر النيل، وبسبب خطورة استغلال القناة من قبل الغزاة رُدمت وأعيد حفرها أكثر من مرة، وهو ما حدث فى عهد رمسيس الثانى، الذى أعاد حفرها 1300 ق.م، ورُدمت مرة أخرى حتى دخول الإسكندر الأكبر مصر، الذى أمر بحفرها سنة 335 ق.م، واستكملها الملك بطلميوس الثانى 285 ق.م، بعد وفاة الإسكندر، وأُهملت وردمتها الرمال ، وفى 117 ق.م أعاد الإمبراطور الرومانى حفر القناة، واستمرت 300 سنة ورُدمت، وأعاد عمرو بن العاص حفرها 640 م، ما بين الفسطاط حتى السويس، وأطلق عليها قناة أمير المؤمنين، واستمرت 150 سنة، حتى ردمها الخليفة أبوجعفر المنصور ، وتسعى الحكومة المصرية في الوقت الحاضر وفق أحدث الاقتراحات لعام 2015 لإعادة الربط بين النيل والبحر الأحمر على نفس المسار القديم لقناة سيزوستريس وهو ما يمثله الآن ترعة الإسماعيلية التي تنبثق من فرع النيل ما بين شبرا الخيمة والوراق والساحل وصولا إلى مدينة الإسماعيلية عند المصب في بحيرة التمساح وهو الاختلاف الوحيد بين القناة القديمة والجديدة حيث كانت القديمة تصب في البحيرات المرة بدلا من بحيرة التمساح ، مع السعي لتهيأة المجري الملاحي لترعة الإسماعيلية وتعميقها وإقامة أكثر من هويس وموانى ملاحية لرسو السفن وشحنها.

ويبدأ عيد المظال / المظلة أو السوكّوت و بالعبرية (סוכות) أو عيد العُرش في الخامس عشر من شهر تشري حسب التقويم اليهودي ويستمر ثمانية أيام وكلّها أعياد عندهم واليوم الأخير منها يسمّى عرايا أي شجر الخلاف ويأتي بعد عيد الغفران ، ويجلسون في ذلك اليوم تحت ظلال النخيل والزيتون وشجر الخلاف (وهو صنف من الصفصَاف) ، وبعد انقضاء هذا العيد ثمة يوم للصلاة الجامعة ، ومناسبة هذا العيد بزعمهم إظلال الله تعالى لهم بالغمام في التيه بينما تبين مصادر أخرى يهودية أنه إحياء لذكرى خيمة السعف التي آوت اليهود في العراء أثناء خروجهم من مصر وربما كان العيد تخليدا لذكرى الحدثين لوقوعهم في نفس اليوم من السنة ، وفي نهايته يحتفل باستلام التوراة وتسمى فرحة التوراة "سمحات تورا (بالعبرية) (שמחת תורה).

ويبدأ عيد المظلة "سوكوت" في شهر تشري / تشرين / أكتوبر ويعتبر أول أيام هذا العيد عطلة رسمية عند اليهود في الكيان الصهيوني ، فيما تعتبر سائر أيام العيد السبعة أياماً متميزة من حيث الصلوات والتلاوات التي تقام فيها، والتي تتضمن تلاوة سفر الجامعة يوم السبت الواقع في أسبوع العيد من شهر تشرين الأول / أكتوبر.

ويتميز هذا العيد بشعيرتين يتم أداؤهما، أولاهما إنشاء مظلة يتم فيها تناول جميع وجبات العيد، بل ثمة من ينامون فيها أيضا. خلال الأيام الخمسة بين يوم الغفران وسوكوت يقيم الآلاف من المواطنين عرشًا (سوكوت) للإقامة المؤقتة قرب البيت أو على الأسطح أو في الشرفات المفتوحة وذلك تذكارًا للعروش التي عاش فيها بنو إسرائيل في تيه سيناء طوال أربعين سنة بعد خروجهم من أرض مصر بقيادة كليم الله سيدنا موسى عليه السلام وهم في طريقهم إلى الأرض المقدسة. وتقام مثل هذه العروش أيضًا في أماكن عامة وفي معسكرات الجيش الصهيوني وبدل إنشاء سطح لهذه المظلة، يجري تغطيتها بسعف النخيل. وتأتي هذه المظلات (وتسمى "سوكوت" ويسمى باسمها العيد) لتذكر أبناء الشعب اليهودي بالطبيعة المؤقتة للمساكن المحمولة خلال الأربعين سنة التي أمضاها الشعب اليهودي في التيه، عقب تحرره من عبودية فرعون في مصر. والشعيرة الثانية التي يتميز بها هذا العيد هي الباقة التي يمسك بها اليهود عند صلاة الصباح والمؤلفة من سعفة نخيل وأترنج وبعض أغصان الآس (وهو نوع من الريحان) وأغصان الصفصاف.

ويعتبر عيد المظلة مناسبة للبهجة والفرح عند اليهود ويتم الاحتفال به داخل الأسرة، يلى يوم الغفران الذي يعتبر بدوره مناسبة رزينة يختلي بها الإنسان بنفسه ليحاسبها على ما قدمت وأخرت. وتغلق العديد من المحلات والمؤسسات أبوابها طيلة أيام العيد.

وهذا العيد هو أحد الأعياد الثلاثة (بالإضافة إلى عيد الفصح وعيد الأسابيع) التي كان يحتفل بها حتى عام 70 م، بحج جماعي إلى الهيكل في أورشليم ولذلك تُعرَف هذه الأعياد ب"أعياد الحج". وفي عيد سوكوت يحتفل اليهود بذكرى الخروج من مصر ويقدم الشكر لله على المحاصيل الوافرة حيث يقوم الصهاينة في بعض القرى التعاونية (الكيبوتسيم) داخل فلسطين المحتلة بالاحتفال بهذا العيد على أنه عيد الحصاد ويحتفل بحصاد القمح الثاني من الحنطة وفواكه الخريف وببداية السنة الزراعية وسقوط الأمطار الأولى.

وفي داخل الكيان الصهيوني يُحتفل باليوم الأول من أيام سوكوت على أنه يوم مقدس (كما هو الحال بالنسبة لعيد الفصح وعيد نزول التوراة "شفوعوت"). وبعد اليوم الأول المقدس يستمر الاحتفال بعيد العرش ولكن بدرجة أقل من القدسية. وخلال أيام "وسط العيد" التي تلي اليوم الأول تعطل الدراسة في المؤسسات التعليمية كما يعطَّل العمل (أو تقلص ساعات الدوام) في العديد من أماكن العمل. ويمضي العديد من اليهود أيام "وسط العيد" في المتنزهات العامة في مختلف أنحاء البلاد.

- **قناة سيزوستريس / قناة سنوسرت الثالث أو ترعة الإسماعيلية حاليا:**

فى عهد سنوسرت الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة (1887 — 1849) ق.م تم شق قناة تربط البحر المتوسط و البحر الاحمر وعرفت بقناة سيزوستريس وقد كانت مسماة بإسم سنوسرت في عصورها الأولى ، و كانت السفن القادمة من البحر الابيض تسير فى الفرع البيلوزى و هو اول فرع من فروع النيل شرقا .. و كان النيل له فروع تصل إلى سبعة فروع آنذاك حتى اتصل إلى بوبست " تل بسطة " فى الزقازيق حاليا ، ثم يتجه شرقا الى يتخاو " ابو صوير " فتصل الى البحيرات المرة التى كانت فى ذلك الحين خليجا متصلا بالبحر الاحمر.

واستمرت قناة سنوسرت الثالث تقوم بعملها مدة طويلة حتى امتلأت بالاتربة و الرمال .. و فى سنة 610 ق.م حاول الملك نخاو الثانى إعادة الحياة مرة أخرى إلى القناة و كرس جهوده و نجح بالفعل فى وصل النيل بالبحيرات المرة و لكن محاولاته لوصل البحيرات المرة بالبحر الأحمر لم يكتب لها النجاح.

وفي عصر أبستيك الثالث غزا قمبيز الفارسي مصر، وتوج نفسه ملكًا عليها في مايو عام 525 ق م ، واتخذ الألقاب المصرية الرسمية ليكسب نفسه مركزًا شرعيًا في نظر المصريين ، لكنه لم يلبث أن أثار عواطفهم بانتهاكه حرمة الديانة المصرية القديمة ، وفي عام 522 ق م خلفه دارا على العرش ، فأظهر بعد نظر وكياسة يليق بشعب عظيم فزار مصر حوالي عام 518 حيث توج عليها ملكاً ، ولعل أهم بقايا عصره في مصر معبد هبيس في الواحة الخارجية ، ويضاف إلى ذلك أنه أتم قناة نخاو وكانت تصل النيل بالبحر الأحمر، مخترقة وادي الطميلات. واتبع دارا سياسة التسامح ليمحو أثر الآثام التي أساء بها سلفه إلى شعب مصر العريق، ولما حكم مصر دارا بن حتشوشب ملك الفرس فى سنة 510 ق.م اعطى كل اهتمامه للقناة اذ كان الطريق الى فارس يجتاز وادى الطميلات و يسير بمحاذاة القناة التى شقها نخاو الثانى فأصر دارا باستمرار الحفر فيها و تطهيرها ، ثم حفر عدة قنوات صغيرة تربط البحيرات المرة بالبحر الاحمر و لكن هذه القنوات لم تكن صالحة للملاحة إلا أثناء فيضان النيل.

وفي عهد الإغريق نجح بطليموس الثانى فى سنة 285 قبل الميلاد فى اعادة الملاحة فى القناة و تغلب على كل الصعاب التى اعترضت سابقيه ، فقد أمر بطليموس بحفر الجزء الواقع بين البحيرات المرّة و البحر الاحمر ليحل محل القنوات الصغيرة ، فأصبحت القناة تصب بجوار ميناء كليسما " الاسم الاغريقى لمدينة السويس " و عادت رياح الإهمال تهب على القناة مرة أُخرى عندما بدأ الضعف يدب فى دولة البطالمة حتى أُهملت القناة وتجمعت الرواسب والطمى والرمال فى أماكن عديدة.

وفي العهد الروماني قام الإمبراطور تراجان عام 98 ميلادية بحفر وصلة جديدة عرفت بقناة تراجان، وكانت الوصلة تبدأ من بابليون "القاهرة" عند فم الخليج حتى العباسية لتصل بالفرع القديم الذى يصل بوبستا بالبحيرات المرة ، وقد أهملت بعد ذلك فى عهد البيزنطيين، حيث تركوا التراب يطغى عليها وأصبحت غير صالحة للملاحة على الاطلاق.

وبعد الفتح الإسلامى قام عمرو بن العاص رضي الله عن بفتح قناة ملاحية تصل بين الفسطاط والقاهرة ومدينة القلزم " السويس " وأطلق عليها اسم قناة أمير المؤمنين واستمر الحفر فيها لمدة ستة شهور ، واستمرت هذه القناة حوالى مائة و خمسين عاما ولكن الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور أمر بردمها فى نهاية القرن الثامن كى لا تستخدم فى نقل المؤن إلى أهل مكة و المدينة الذين تمردوا على حكمه في ذلك الوقت.

- **بيتوم / فيثوم (ليست من محطات الخروج لكنها تقع في نفس منطقة الخروج):** [21]

بالإنجليزية: Pithom ، وهو إسم مصري معناه "بيت أتوم إله الشمس الغاربة" وهي إحدى مدينتي المخازن اللتين ادعت التوراة أن بني إسرائيل قد أقاموها لفرعون في أرض جاسان أثناء اضطهادهم في مصر.[22]

وكانت المدينة الأخرى تدعى مدينة مخازن رعمسيس، وقد ردت فى مذكرات الدولة الرومانية بإسم توهو / توهوم وهى تختلف عن تل المسخوطة (بخلاف ما إدعى البعض أنهما نفس المدينة) ، وسماها هيرودوت باتوموس Patoumos وقال أنها تقع فى الجزء الغربي في جنوب قناة سيزوستريس العذبة التى تصل بين دلتا النيل و البخيرات المرّة قديماً ومعنى بيتوم / فيثوم : المكان المرصود أو المضيق ، وكانت بالقرب من كفر مشناف وقد إختفت وإندرست وأطلالها مازالت مبينة على بعض الخرائط وبذلك تكون بيتوم القديمة كانت موجودة فى موقع قريب جداً من قرية التل الكبير المصرية التى تقع بدورها داخل وادى الطميلات (سمى فى بعض العصور بوادى السدير حيث كانت مدينة الإسماعيلية تتبع محافظة الشرقية) وموقعها القديم قريب جداً من المنطقة الواقعة حالياً شمال مدينة العاشر من رمضان إلى ضفة ترعة الإسماعيلية إلى جهة الشمال وهى نفس النواحى التى تقع بها قرية العباسة ومركز ابو حماد بمحافظة الشرقية.

ويظن بعضهم أن الحفريات التي قام بها عالم الآثار التوراتي إدوارد نافيل في تل المسخوطة تدل على أنها هي نفسها فيثوم. وهي واقعة إلى الجنوب من القناة العذبة الجارية في وادي الطميلات من الزقازيق إلى الإسماعيلية. وكان فيها هيكل للإله أتوم. وتثبت قدمها كتاباتٌ من الأسرة السادسة وبقايا قطع كتابات من الأسرة الأولى.

---

[21] من معجم البلاد المقدسة / قاموس الكتاب المقدس / معجم البلاد المندرسة

[22] سفر الخروج 1: 11

وضمن الأسوار عدد من الغرف مستطيلة الشكل مستقلة الواحدة عن الأخرى ولا منفذ لها إلا من فوق، مما يدل على أنها كانت مخازن [23] ، ولكن بعضهم يعتبرون هذه الغرف أساسات فقط، ودعيت بيتوم / فيثوم في عهد البطالسة هيرونبوليس (مدينة الأبطال)، وقد اتجهت الآراء مؤخرًا إلى اعتبار موقع تل الرطابة بمدينة التل الكبير أنه المدينة المنشودة.

ويقع هذا التل في وادي الطميلات أيضًا على بعد تسعة أميال غربي تل المسخوطة ، ووجد فليندرز بيتري في تل الرطابة آثار من المملكة الوسطى ومن أيام رعمسيس الثاني والثالث.

- **إيثام / إيتام (المدينة والبرية واسعة) :**

تقع مدينة إيثام على أطراف البرية فى الشرق من سكوت وهي في العبرانية "إيثام ، وفي اليونانية "أوثوم" (خر 13 : 20 ، عدد 33 : 6-8) ، ولكنها كثيراً ما تفسر على أساس الكلمة القبطية "أتيوم" أي "تخوم البحر" أو حرفيا " بجوار اليم " مما يتفق مع ما جاء في سفر العدد "برية إيثام" (عدد 33 : 8) ، وهي أول مكان نزل به الاسرائيليون بعد مغادرتهم لسكوت ، ولا يعلم موقعها بالضبط ، ولكنها كانت على طرف برية شور (خر 15 : 22) التي كان يطلق على جزء منها "برية إيثام" (عدد 33 : 6-8) ، وكانت جزءاً من الحصون المصرية التي كانت تحمي حدودها الشرقية (لاحظ الإشارة إلى "مجدل" أي "برج المراقبة" في العدد 33 : 7) واعتقد باحثوا الكتاب المقدس أن قوة الحصون التي كانت بتلك البرية الشرقية قد اضطرت بني إسرائيل إلى الدوران جنوبا مما جعل فرعون يظن أنهم قد وقعوا في مصيدة بين البرية والبحر.

ورجح باحثو الكتاب المقدس أنها مدينة الإسماعيلية أو بالقرب منها جهة الشرق لكنهم أغفلوا وجود حاجز مائى وهو قناة سيزوستريس (قديماً) بين الجهة الجنوبية التى تقع فيها سكوت و بين الإسماعيلية التي تقع شمال سيزوستريس وهو ما يجعل مسيرة بني إسرائيل السائرين على الأقدام من سكوت إلى موقع مدينة الإسماعيلية عبر القناة العذبة ثم العودة إلى فم الحيروث / الدفرسوار جنوب القناة العذبة مرة أخرى أمرا يخلوا من المنطق والواقعية في حالة افتراض وجود إيثام مكان مدينة الإسماعيلية الحالية ، لأن القناة

---

[23] سفر الخروج 1: 11

المائية كانت تفصل الموقع القديم للإسماعيلية عن الوادي الواقع جنوب قناة سيزوستريس ، لذلك فموقعها يجب أن يكون جنوبا في طرف البرية بالقرب من مدينة السويس الحالية على الراجح وفقا لوصف التوراة وتحديدا جنوب البحيرات المرة عند قرية معاصرة تسمى قرية عامر بحي الجناين بمحافظة السويس المصرية.

وهذا هو الموقع الوحيد المحتمل للمكان المسمى "إيثام" لأن مسار الخروج يتحدث عن إتجاه بنو إسرائيل إلى إيثام التي في طرف البرّيّة بعد مغادرتهم سُكّوت ، وهذا كان تدبيرا إلهيا ليظن فرعون وجنوده أن بني إسرائيل قد وقعوا في الحصار ، تقول التوراة :

"وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ"

"وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً :كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْجِعُوا وَيَنْزِلُوا أَمَامَ فَمِ الْحِيرُوثِ بَيْنَ مَجْدَلَ وَالْبَحْرِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونَ ، مُقَابِلَهُ تَنْزِلُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ ، فَيَقُولُ فِرْعَوْنُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: هُمْ مُرْتَبِكُونَ فِي الأَرْضِ. قَدِ اسْتَغْلَقَ عَلَيْهِمِ الْقَفْرُ".

وهذا يعني أن إيثام / إيتام حتماً هي منطقة تقع جنوب موقع العبور وليس شماله لأن التوراة تصف وصول بنو إسرائيل إلى تلك المنطقة ذاتها بإسم " بريّة إيثام " وهي بعينها ما ورد بالتوراة بإسم "برية شور" وتقع إيثام كقرية بعد العبور بثلاث أيام وهو ما يعني وقوعها جنوبا أما "برية إيثام" أو "برية شور" فهي منطقة كبيرة يطلق عليها لفظ "بريّة " أي منطقة صحراوية خالية كما أنها ممتدة عبر ضفتي الممر المائي شرقا وغربا (أي شرق وغرب قناة السويس الحالية التي كان محلها ممراً مائيا يصل البحيرات المرة ببعضها كما في الخريطة).



خريطة توضح موقع برية إيثام شمال خليج السويس وموقع سكوت في شرق الدلتا عند الإسماعيلية الحالية

ويجمع البروفسير بروجش، في تاريخه عن مصر، بين "إيثام" و "ختام" المصرية (بمعنى حصن)، ويذكر كاتب من عهد سيتي الثاني مطاردة خادمين — من الواضح أنهما كانا من صوعن — الى حصن "إكو" جنوبا حتى "ختام" في اليوم الثالث.

وقد جاء في سفر الخروج 13: 17 إنه لما أطلق فرعون بني إسرائيل لم يهدهم الله في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة حتى لا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف، وارتحلوا من سكوت وجاءوا إلى إيثام.

وهو ما يعني أن بنو إسرائيل كان من الأسهل لهم أن يسلكوا الطريق الشمالي الموازي لساحل البحر المتوسط والذي عرف فيما بعد بطريق حورس الحربي والذي يؤدي بشكل مباشر إلى أرض كنعان أي فلسطين القديمة لكن إرادة الله تعالى وتدبيره كانت أن يسلكوا طريقا مختلفا لتسير مجريات الأمور فيما بعد على نحو مختلف عن المتوقَّع.

وقد دبّر الله تدبيراً سماوياً أيضا بأن يرجع بنو إسرائيل من إيثام في جنوب غرب البحيرات المرة ليترلوا أمام فم الحيروث التي تقع شمال البحيرات المرة بين مجدل والبحر

أمام بعل صفون حتى يظن فرعون عن بني اسرائيل أنهم مرتبكون في الأرض وقد استغلق عليهم القفر ودبر الله أن يشدد قلب فرعون حتى يسعى وراء العبرانيين لكي يغرق الله فرعون وجيشه (خر 14: 1-4).

وإيثام في الكنعانية والعبرانية بمعنى "حصن" وقد تُفسر على أساس الكلمة القبطية " اتيوم" بمعنى تخوم البحر، وهي أول مكان نزل به بنو اسرائيل بعد مغادرتهم لسكوت، وظن باحثوا التوراة بأنها تقع على الطرف الغربي لبرية شور على الطرف الشمالي لبحيرة التمساح قرب موقع مدينة الاسماعيلية الحالية لكن موقعها الأرجح في اتجاه الجنوب على طرف البحيرات المرة وطرف الصحراء في نفس الوقت ويكون موقعها الحالي الصحيح عند "قرية عامر" بحي "الجناين" شمال "مدينة السويس" المصرية ، وكانت جزءاً من الحصون المصرية التي كانت تحمي الحدود الشرقية، وقد اضطرت قوة هذه الحصون بنى إسرائيل إلى الدوران جنوباً مما جعل فرعون يظن أنهم قد وقعوا في مصيدة بين البرية والبحر (خروج 14: 2-4).



الموقع الحالي لإيثام على الخريطة وتظهر في موقع بين نفق الشهيد أحمد حمدي وبين مدينة السويس المصرية الحالية عند قرية عامر شمال السويس

- **مجدل:**

وتعنى بالكنعانية والعبرانية وبالآرامية كذلك البرج / القلعة كانت إحدى القلاع الكبيرة التى كانت تقع علىّ طريق حورس الحربى والممتد من شرق الدلتا وحتى رفحٍ المصرية ويبدو أنها كانت تقع بالقرب من محافظة الإسماعيلية الحالية أو إلى الشرق قليلا كانت توجد منطقة محصنة تحتوى على عدة قلاع وربما كانت موقع مدينة مدينة الإسماعيلية الحالى أو شرقها قليلا عبر قناة السويس وكا موقعها يمثل أحد القلاع ذت الأبراج وقتها وهي بعينها مجدل التى ذكرت فى التوراة فى ذلك الموضع.

وهى مجرد موقع محصن بالقرب من سُكُوت فى جهة الشرق منها ، وقد ورد من عصر مرنبتاح وجود حصن يسمى "مرنبتاح حر- ماعت" كان قائماً فى تلك النواحى قبل عهد مرنبتاح ولكنه أعاد تسميته على إسمه ، وعلى هذا فمن المحتمل وجود موقع مجدل في مكان ما من شرق وادي طميلات وبذلك يكون فم الحيروث / الدفرسوار واقعا بين مجدل و البحر أي بين حصن مجدل الواقع شرق وادي طميلات وبين بحر سوف وهو البحيرة المرة الكبرىكما وصفت التوراة.

لكن ما قد يدل على ضعف هذا الافتراض وجود قلعة ثارو الضخمة التى تقع بالقرب من القنطرة شرق في الشمال الغربي من شبه جزيرة سيناء وهى قلعة حربية ضخمة من جملة التحصينات المصرية التى أقامها ملوك مصر القبط على أنقاض قلاع الهكسوس وبالتالي فإن المواقع الحصينة والأبراج كانت مرتبطة بالطريق الحربي الواقع في شبه جزيرة سيناء من المكان الذي تقع فيه غرب الإسماعيلية حاليا مرورا بغرب وشمال سيناء وفي اتجاه جنوب غرب فلسطين مما قد يرجح وقوع مجدل في الجهة الشمالية الشرقية من فم الحيروث / الدفرسوار .

واستخدموها فى حربهم ضدهم ، وهذا أيضاً دليل آخر على وجود تلك التحصينات منذ عهد الهكسوس على طول الحدود الشرقية ، لكن المثير للاهتمام أيضا اكتشاف حصن آخر في القنطرة الشرقية في الشرق من محافظة الإسماعيلية الحالية وإلى الشمال قليلا وتحديدا في موقع يسمى " تل البرج " وهو ما قد يرجح أن مكان تلك التحصينات هي "مجدل" الموصوفة في التوراة في مسار الخروج.

فقد كشفت البعثة المصرية الأمريكية التي تعمل بمنطقة أثار تل البرج بشمال سيناء [24] عن تحصينات دفاعية مصرية قديمة وأسلحة من البرونز وجعارين تحمل أسماء تحتمس الثالث وإخناتون وتوت عنخ أمون وسيتي الأول ورمسيس الثاني.

وصرحت وزارة الثقافة المصرية وقتها في عام 2004 بأن البعثة كشفت عن بقايا قلعتين ترجعان لعصر الهكسوس ثم الدولة الحديثة على طريق حورس الحربي القديم الممتد بين مصر وفلسطين وهو ما يوضح التحصينات العسكرية من عصر الأسرة 18 المصرية وما قبلها في عصر الهكسوس حيث ترجع إحدي هذه القلاع الي عصر الملك تحتمس الثالث (1479 - 1425 ق.م) أو ما قبله بقليل أي في عصر الهكسوس بينما ترجع بقايا القلعة الثانية لعصر الأسرة 19 حوالي (1314 - 1201 ق.م) من عصر الدولة الحديثة.

وأضاف الدكتور زاهي حواس أمين عام المجلس الأعلي للآثار وقتها أن هذه التحصينات ورد ذكرها علي نقش الملك سيتي الأول علي جدران معبد الكرنك بالأقصر وفي الموقع المعروف باسم قلعة الأسود نسبة الي الملك رمسيس الثاني ، وقال أن الكشف يوضح التحصينات العسكرية المصرية التي تمت في عصر الدولة الحديثة خاصة في عهد الملك تحتمس الثالث (الأسرة18) حيث تم الكشف عن قلعة وأختام لملوك من هذه الأسرة منهم تحتمس الثالث وإخناتون وتوت عنخ أمون ومعظمها علي أواني التخزين.

وأوضح الدكتور حواس أن القلعة الأولي المكتشفة في تل البرج علي شكل مربع (100 متر * 100 متر) ومبنية بالطوب الأحمر المحروق وهو ما يتوافق مع نوعية آثار الهكسوس الذين كانوا يبنون معظم الحصون من الآجر أي الطين المحروق ، بينما تأخذ القلعة الأخرى الشكل المستطيل (80 مترا*100 متر) وسمك اسوارها 4 أمتار ومبنية بالطوب اللّبِن وهو الطراز المصري في بناء المباني بالطوب اللّبِن.

وأكد الدكتور محمد عبد المقصود مدير عام آثار الوجه البحري في ذلك الوقت أن الكشف عن قلعتين في منطقة تل البرج يؤكد أهمية الموقع استراتيجيا والذي يقع بعد اكبر القلاع المعروفة علي طريق حورس باسم قلعة "ثارو".

---

[24] المصدر : مقال بجريدة الأهرام العدد **42874** - السنة **128 – 25** أبريل **2004**

ويوضح الكشف عن هذه القلاع صدق الفنان المصري فيما نقشه علي جدران الكرنك من معالم الطريق الحربي القديم بين مصر وفلسطين والمسمى بطريق حورس الحصين ، فيما يعد أقدم خريطة طبوغرافية لحدود مصر الشرقية من القنطرة شرق حتي رفح بشمال سيناء. ويوضح النقش في معبد الكرنك أماكن11 قلعة قديمة علي الطريق تم الكشف عن 4 قلاع منها في القنطرة شرق وتل البرج وبئر الدير وتل الخروبة بالقرب من العريش ويجري العمل لاكتشاف باقي مواقع القلاع.

ويقول البروفيسير الأمريكي اليهودي "جيمس هوفمير" رئيس البعثة الأثرية التابعة لجامعة ترينتي الأمريكية أنه تم الكشف عن مجموعة من رؤوس السهام والحراب والخناجر من البرونز تستخدم كأدوات قتال بالمعارك وكتابات تفيد أن القلعة قد استخدمت للجيش المصري وللفيلق المعروف باسم الإله آمون أحد الفيالق الأربعة للجيش المصري في عصر الدولة الحديثة لكن يبدو أيضا أن تلك القلعة قد اتخذت كنقطة حصينة على أطلال أو أساسات قلعة أقم منها من عصر الهكسوس.

كما تم الكشف عن مجاري مياه بالمنطقة الأثرية مما يؤكد وجود فرع للنيل متفرع عن الفرع البيلوزي القديم وقنوات للري والصرف.

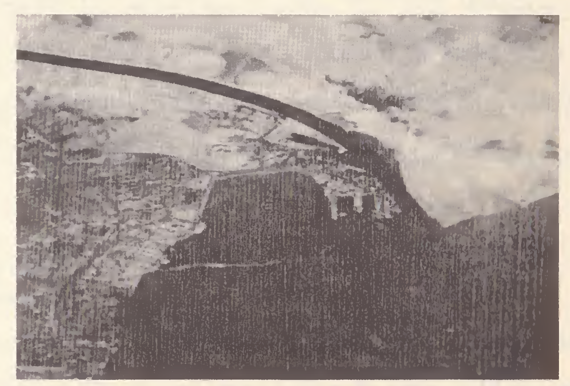
إذن مجدل كانت تقع على الراجح فى مكان محافظة الإسماعيلية الحالية أو بالقرب منها ناحية الشرق عبر قناة السويس المعاصرة وتحديدا بالقرب من جنوب موقع القنطر شرق في "تل البرج" حاليا والذي اتخذته السلطات المصرية القديمة كموقع حصين من بعد الهكسوس وحولته إلى موقع مصري بعد أن كان الهكسوس يسيطرون عليه ، والبحر الذى ذكرته التوراة هو بحر سوف المقصود به البحيرات المرّة الكبرى ومعناه بحر البوصْ وبالتالي فإن فم الحيروث والذي هو معبر الدفرسوار الحالي كان بالنسبة لبني إسرائيل واقعا بين مجدل بالقرب من محافظة الإسماعيلية الحالية وبين البحر الذي هو البحيرة المرة الكبرى.

- **فم الحيروث :**

تسمى أيضاً فيحيروث – بيحيروث وتقع بين مجدل والبحر أمام بعل صفون (فى مقابلها من الجهة الغربية أي أن بعل صفون تقع فى الجانب الآخر على الضفة الشرقية) وذلك وفقا لوصف التوراة لموقعها ، ويعتقد علماء الكتاب المقدس أنه يقع فى

مستنقعات جنفة - جنيفة على حافة الممر بين الجبل والبحيرات المرّة وهو قريب جداً من الصحة لكن مستنقعات جنفة - جنيفة تقع فى الجنوب على طريق مابين السويس والإسماعيلية وهى مسافة طويلة جدًّا عن فم الحيروث ، لكن الأرجح من ذلك والأكثر دقة أن مجدل والتى تعنى بالكنعانية وبالآرامية كذلك البرج / القلعة كانت إحدى القلاع الكبيرة التى كانت تقع على طريق حورس الحربى والممتد من شرق الدلتا وحتى رفح المصرية ويبدو أن شمال محافظة الإسماعيلية الحالية أو إلى الشرق قليلاً كانت توجد منطقة محصنة تحتوى على عدة قلاع وربما كانت موقع مدينة مدينة الإسماعيلية الحالى يمثل أحد القلاع ذت الأبراج وقتها وهى مجدل التى ذكرت فى التوراة فى ذلك الموضع.

وبذلك يكون موقع فم الحيروث هو المصب القديم لفرع النيل المسمى بقناة سيزوستريس فى البحيرات المرَّة الكبرى ويقع بين قلعة مجدل الواقعة قديماً فى مكان أو بالقرب من مدينة الإسماعيلية الحالية وبين البحيرات المرّة الكبرى وبذلك فإن فم الحيروث يمثل نفس الموقع الحالى المعروف بإسم الدفرسوار بقرية سرابيوم (شمال شرق فايد وابو سلطان) وهو مكان عبور بنى إسرائيل من الضفة الغربية إلى الجهة الشرقية عبر هذا الممر المائى الذى يتميز بإلتقاء ماء النيل الآتي عبر قناة سيزوستريس أو سنوسرت بماء البحيرة الكبرى والتي كانت تسمى بحر سوف / يم سوف أي بحر البوص ولهذا دلالة كبيرة على طبيعة المعجزة التى وقعت بإنشقاق الماء إلى فرقين كل فرق كالطود العظيم أى كالجبل الكبير حيث يبدو من ذلك أن الله تعالى قد فصل المائين عن بعضهما البعض بطريقة إعجازية.



صورة بالقمر الصناعي لخليج السويس وما يشبه فم الحيروث الذي وصفته التوراة مع اختلاف المواقع لتقريب التصور عن مصبات الماء العذبة في البحيرات



البحيرات المرة الكبرى أو "يم سوف" بالمصطلح التوراتي ويظهر فيها ممر قناة السويس من جهة الشمال وبجواره مباشرة الأثر القديم لمصب قناة سيزوستريس العذبة التي كانت تأتي من النيل لتصب في البحيرة ويلتقي ماء النهر بالبحيرة وكان يسمى فم الحيروث (حاليا الدفرسوار بالإسماعيلية) وهو المكان الراجح لانشقاق البحر وعبور بني إسرائيل وغرق فرعون



صورة أخرى تمثل مكان الخروج وأثار موقع الفرع القديم من النيل والمسمى بقناة سيزوستريس والذي كان يصب في البحيرات المرة التي كانت تعرف ببحر البوص وكان التقاء المائين عند مصب فم الحيروث الواضح في الصورة وعند تلك النقطة الضيقة وقع العبور إلى الضفة المقابلة

- **يم سوف / بحر سوف (البحيرة المرة الكبرى) :**

وكلمة "سوف" في الكنعانية والعبرانية القديمة يمكن أن تترجم إلى " الأعشاب البحرية أو قصب البردي" وعادة ما تُترجم بمعنى "الغاب" أو "البوص"، ولذلك يمكن أن يُدعى " يم سوف " بحر الأعشاب البرية أو بحر البوص أو بحر الغاب ، وتترجم في مواضع أخرى "بحر القصب" أو "بحر الحَلْفاء" وكلها معاني مختلفة تفيد أنه كان عبارة عن مسطح مائي شاسع مليء بالغاب والبوص والأعشاب البحرية أو البردي مما يعني أنه نوع من برك الماء العذبة ، وينطبق ذلك على صفة البحيرة المرة الكبرى الحالية والتي أصبحت مالحة بفعل توصيل البحر المتوسط بالبحر الأحمر ، لكن تلك البحيرة في ذلك الزمان كانت بحيرة عذبة حيث كانت تستقبل الماء العذب من الفرع المندثر والمسمى بقناة سيزوستريس والذي كان يصب في البحيرة ، لكن بسبب عدم وجود تيارات مياه قوية فقد كانت البحيرة راكدة بعض الشيء وصالحة لنمو نباتات البرك والمستنقعات ، لكن ولا شك أن المياة العذبة التي كانت تغذي تلك البحيرة من الفرع المندثر جعل مائها صالحا للشرب وهو ما ساعد بني إسرائيل في الحصول على مورد المياة المناسب حينما حلوا بجوار "يم سوف" خلال رحلة الخروج قبل وبعد العبور.

ويرى التوراتيون وعلماء التوراة أن العبور الذي تم من خلال "بحر سوف" قد وقع في البحر الأحمر ، لكنا سنثبت في هذا البحث كما سيأتي خلال ذلك الفصل أن العبور وغرق فرعون وقومه كان في الماء العذب وليس في الماء المالح ، ويقول أحد الآباء الرهبان بدير القديس أنبا مقار " يتضح من ذلك أن طريق برية بحر سوف لابد أن يكون مرتبطًا بالبحر الأحمر، ويؤدي إلى البرية التي يحصرها البحر الأحمر بين خليجيه المشهورين: خليج السويس وخليج العقبة، التي هي برية سيناء".

ونحن نتفق مع تلك الجزئية غير أننا سنبين موضع العبور المحدد بعد استعراض جميع المحطات التي ذكرت في مسار الخروج وسنوضح كذلك ارتباط موضع العبور بالبحيرة المرة الكبرى التي كانت مياهها عذبة في ذلك الوقت وارتباطه أيضا بقناة سيزوستريس المندثرة والتي حل محلها اليوم ترعة الإسماعيلية.

ثانيا: مواقع ومحطات في مسار الخروج داخل سيناء بعد عبور البحر:

- **بعل صَفُون :**

وهو اسم كنعانى عبراني وآرامى معناه "بعل الشمال" أو بعل "برج المراقبة" ومن الواضح من الصيغة التى وردت فى التوراة عن هذا الموقع ودوره فى مسار الخروج أنه كان مكان آخر محصن موجود فى أحد الجهات المقابلة عبر الماء ، فإما أن يكون على الضفة الشرقية لقناة سيزوستريس أى على الضفة الواقعة داخل سيناء على الجانب الآخر أو أنه واقع على الضفة الشمالية من نفس القناة أثناء إنحنائها نحو البحيرات المرّة، والراجح من ذلك هو الجمع بين الرأيين لأن قناة سيزوستريس كانت أفقية تتجه من الغرب إلى الشرق ولكنها في ذات الوقت كانت تميل إلى الجنوب عند المصب الذي تلتقي فيه بالبحيرة المرة الكبرى ، وبذلك تكون بعل صفون على الضفة الشمالية الشرقية لقناة سيزوستريس أى فى شرق موقع مدينة الإسماعيلية الحالى على الضفة الشرقية للقناة داخل سيناء أي على الجهة الشرقية الشمالية من قناة السويس حالياً ويمثلها موقع قريب جدا من القنطرة شرق حاليا والتي تقع على الجانب الشرقي من قناة السويس على شاطئها الشرقي الواقع في أرض سيناء المصرية.

والمنطق يقول إن ذلك الموقع يجب أن يكون فى موقع قريب جدا من مدينة السرابيوم الحالية فى إتجاه الشرق منها عبر قناة السويس ، حيث كان ذلك الموقع يمثل ثغراً ومدخلاً رئيسيًا من المداخل الهامة فى تلك الناحية وكان يحده من الجنوب والغرب مانع مائى طبيعى وهو البحيرات المرة وقناة سيزوستريس الواصلة بها وتحده صحراء سيناء مباشرة من جهة الشرق ويقع على الطريق المؤدى إلى شمال سيناء ثم كنعان والذى كان حافلاً بنقاط حصينة مشابهة على طول الطريق وهو ما سمي فيما بعد بطريق حورس الحربي ويتصل بسلسلة من قواعد تحصين الحدود والقلاع الحربية وتحتم وجود أماكن محصنة فى هذه المواقع حتى تؤمن أى محاولة إختراق قد تأتى من صحراء سيناء من الشرق إلى مشارف الدلتا الشرقية وهو ما اتبعه المصريون بعد خروج الهكسوس من مصر لتأمين حدودهم الشرقية بشكل وقائي فيما بعد.

ويقال أن بعل صفون كان فيها القوم الذين رآهم قوم موسى بعد الخروج من مصر حيث كانوا يعيشون في معبد "بعل صفون" أو بالقرب منه والذي أشارت إليهم

التوراة ولم يكونوا من المصريين القدماء القبط بل أغلب الظن أن تلك الأقوام التي كانت تعيش في سيناء في وقت خروج بنو إسرائيل كانوا من الشاسو وقبائل العماليق من بدو سيناء.[25]

قال تعالى :

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾. سورة الأعراف.

وهذا يعني أن القوم الذين كانوا عاكفين على أصنام لهم كانوا متواجدين بعد مجاوزة البحر وغرق فرعون مباشرة ، وهو ما يرجح أن ذلك الموقع الذي كان فيه هؤلاء العاكفون يجب أن يكون موقعا قريباً جدا من "بعل صفون الموصوفة في التوراة على أنها في الجانب المقابل في سيناء.

ومما يؤكد أن "بعل صفون" تعني حرفيا "سيّد الشمال" أو "إله الشمال" أو " الإله صفون"، وهي مرتفعات موازية للبحيرات المرّة وهناك خيّم بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر، وفي الأصل فإن "صفون" هو إله العاصفة الذي يظهر على جبل "صافون" أي "جبل الأقرع" الذي يبعد 40 كلم إلى الشمال من أوغاريت ويبدو أن قبائل العماليق التي كانت ساكنة في سيناء في ذلك الوقت قد نقلت عبادة هذا الإله إلى شبه جزيرة سيناء وقد كان ذلك طقسا متعارفا عليه بين تلك الشعوب والقبائل قديما ، ويكتب اسمه السامي "ص ف ن" ويحتمل أنه قد يرتبط بفعل "ص ف ه" الذي يعني "راقب" ، قبل أن يدلّ على الشمال ، ويلعب صفون دورًا في كتابات أوجاريت لأنه في مقام بعل ، وقد عرّف المؤرخ هيرودوت هذا الموقع على أنه : "رأس قصرون" أو "الجلس" الذي يبعد 55 كلم إلى الشرق من سين[26] لكن من المؤكد أنه كان يقصد موقعا آخر في شرق سيناء أو بالأردن لأن موقع بعل صفون يقع في أقصى غرب سيناء بلا شك وتحديدا كما فصلنا في الشمال الشرقي من خليج السويس بالقرب من شمال البحيرة المرة الكبرى ويوازي الموقع الحالي لمدينة السرابيوم الواقعة غرب قناة السويس عبر قناة السويس الحديثة.

---

[25] محمد راشد .

[26] انظر كتاب التاريخ لهيرودوت 3 :5

• **مارّة[27] :**

اسم كنعانى عبراني / آرامى معناه مُرّة أو مرارة وهو موضع فى سيناء بعد عبور بنى إسرائيل إلى الضفة الشرقية على بعد 3 أيام من موضع العبور وهو المحطة الأولى بعد موقع العبور ، وقد ذكرت التوراة أنه كان منها ينبوع مُرٌّ جعله موسى عذباً عندما ألقى فيه شجرة بأمر من الله فصار الماء المر عذباً ، ويظن البعض أنها عند عين حوارة فى وادى الإمارة حيث فيها عين ماء مرّة جداً ، ويظن آخرون أنها عيون موسى حيث يوجد فيها عيون مُرّة وعيون عذبة وهذا قد يبدو محتملا لأن عيون موسى تقع على مسيرة أيام من برية إيثام التي تقع بدورها في موقع موازي لشمال السويس وتمتد لمسافة كبيرة على الجانبين.

لكن أرجح القول فى ذلك الموقع أنه مكان يقع في موقع جنوب البحيرات المرّة على جانبها الشرقى وتحديدا في الشمال من الضفة الشرقية لـــ خليج السويس وهذه المنطقة الموصولة في العصر الحديث بقناة السويس لتربط البحيرة بالخليج كانت امتداد للبحيرة المرة الصغرى ، وهذه البحيرة الصغرى تحديدا هي السبب في إطلاق مصطلح "البحيرات المرة على كلا البحيرتين" ، وقد وصل إليها بنو إسرائيل بعد أن ابتعدوا عن المجرى العذب الذى لازموه طول رحلة الخروج حتى لحظة العبور إلى الجانب الآخر وهو فرع النيل القديم المسمى بسيزوستريس أو قناة سنوسرت ، ثم جاوروا البحيرة المرة الكبرى أو "يم سوف" وقد كانت بحيرة عذبة تمتليء بالبوص ونباتات البردي وغيرها من النباتات الأخرى وكان ماؤها صالحا للشرب ، ولكن بعد عبورهم وتوغلهم إلى الجنوب أكثر أصبحوا بجوار البحيرة المرة الصغرى والمسطحات المائية التى تتصل بالبحر المالح وهو خليج السويس فى إتجاه الجنوب وتم تسميتها بإسم البحيرة المرة الصغرى لأن مائها كانت خليط من الماء العذب والماء المالح وكان مذاقه غير مستساغ وربما كان غير صالح اللشرب، ولهذا السبب تم تسمية تلك البحيرة بإسم البحيرة المرّة الصغرى لأنه يبدو أن مائها رغم تغذيته بماء النيل العذب الآتي عبر البحيرة المرة الكبرى من جهة الشمال إلا أن ملوحة مياه البحر الأحمر المتسربة إليها من الجنوب بالإضافة إلى ركودها قد تسبب فى جعل مذاق مائها غير مستساغ فسميت بذلك الاسم ، ثم

---

[27] قاموس الكتاب المقدس

في عصور لاحقة تم تعميم الاسم على البحيرة الكبرى التي في الشمال أيضا ليطلق عليهما معا "البحيرات المرة" ، وهذا الأمر في ذلك الزمن البعيد كان ينطبق على البحيرة الصغرى فقط والتي كانت قريبة من البحر الأحمر المالح ، والراجح أن البحيرة الكبرى لم تكن مالحة لأنها كانت مصبا للماء العذب الآتي من النيل عبر قناة سيزوستريس أو قناة سنوسرت ،كما يحتمل أيضاً أن الينابيع التى كانت حول البحيرة الصغرى وجنوبها داخل سيناء كانت تماثلها فى المرارة والطعم غير المستساغ وهو ما وقع مع بني إسرائيل حين وصلوا شمالي رأس خليج السويس بعد العبور بأيام بعد أن ساروا جنوبا بمحاذاة البحيرات حتى وصلوا إلى مارّة ومن الواضح أن تلك البرية تحمل نفس الخصائص الجيولوجية وصولا إلى الموقع المعروف حاليا بإسم "عيون موسى".

- **إيليم / عيون موسى**

وكان على النقيض من المكان الأول"مارة " الذي سمي كذلك لمرارة الماء به ، فقد كان فى إيليم اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة كما تصف التوراة (سفر الخروج 15: 27، سفر العدد 33: 9) أما القرآن الكريم فيصف الواقعة بقول الله تعالى :

﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾. سورة البقرة

وقال تعالى في سورة الأعراف:

"وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ"

والموقع التقليدي لها هو عين موسى أو عيون موسى 35 كيلومتراً في الجنوب من السويس، وتقع على طرف وادي غرندل الذي يبعد عن السويس 63 كيلومترا تقريبا جهة الجنوب منها.

ومنطقة عيون موسى بها الآن أربع عيون واضحة ، قطر أحد هذه العيون 4م ولقد اختفت بقية العيون نتيجة تراكم الرمال وتحتاج إلى رفع هذه الرمال للوصول لمستوى الصخر لاكتشاف بقية العيون التي كانت موجودة في زمن موسى عليه السلام.

وصرح الدكتور عبد الرحيم ريحان المتحدث الرسمى لجمعية سينا للعلوم الطبية والتطبيقية والسياحة العلاجية وعضو مجلس الإدارة بأن الرؤية العلمية طرحت أسئلة

عديدة تدور فى أذهان الجميع وحددت الأطر العلمية والتقنية للإجابة عليها وهى أن عيون موسى من المفترض أن كل عين فيها ممتدة حتى الصخور النارية فى باطن الأرض ولها تركيب خاص بها مثل عين زمزم والموجود الآن أربعة عيون

وأثبتت الدراسات الحديثة التى قام بها فيليب مايرسون أن المنطقة من السويس حتى عيون موسى منطقة قاحلة جداً وجافة مما يؤكد أن بنى إسرائيل استبد بهم العطش بعد مرورهم كل هذه المنطقة حتى تفجرت لهم العيون لكن لا يوجد دليل أن منطقة عيون موسى هي تحديدا التي جرت بها واقعة انفجار العيون من الصخر والتي كان عددها 12 عين بعدد أسباط بنى إسرائيل ، ولقد وصف الرّحالة الذين زاروا سيناء فى القرن 18، 19م هذه العيون ومنهم ريتشارد بوكوك .

- **برية سين (بمحافظة جنوب سيناء ومدينة الطور وما حولها)**

وتقع في بداية صحراء سيناء وقد ورد ذكرها في التوراة (سفر العدد 33: 11)، وصل إليها العبرانيون بعد أن غادروا إيليم (سفر الخروج 16: 1) إلى رفيديم ، وفيها أنزل الله المنَّ للمرة الأولى للشعب ، ولعل مكانها اليوم دبة الرملة وهي كومة رمال عند سفح أحد الجبال لكن وصف التوراة يدل على أنها منطقة واسع جدا وأغلب الظن أنها تمثل القطاع الغربي من محافظة جنوب سيناء ويضم مدينة الطور الشهيرة.

وهي تضم أيضا موقع وادي غرندل الحالي حيث يقع الوادي في قرية تابعة لمركز أبو زنيمة، محافظة جنوب سيناء بمصر ، ويعتبر وادي غرندل من أجمل الوديان بمنطقة جنوب سيناء وذكر على أنه أهم وادي في المنطقة في كتاب شخصية مصر للأستاذ/ جمال حمدان ، وتكثر به الواحات والطيور البرية والحيوانات الصحراوية ، ويمتد الوادي بطول 75-85 كم ويمتاز بكثافة الغطاء النباتي فيه وتنتشر بطول الوادي المياه العذبة الآتية من العيون الطبيعية والمتدفقة طوال أشهر العام ويصلح الوادي لإقامة المنتجعات السياحية البدوية ورحلات السفاري التي تمتد إلى ثلاثة أيام ، ويقع على بعد 115 كم من نفق الشهيد أحمد حمدي توجد العديد من القرى السياحية الرائعة الجمال في رأس سدر.



خريطة لشبه جزيرة سيناء ويظهر فيها مواقع برية شور وبرية سين وبرية فاران وبرية صين

- **دُفقَة (سرابيت الخادم)**

والمحطة الثالثة بعد العبور هى منطقة معبد سرابيت الخادم / سرابيط الخادم والتي تقع على بعد 138كم جنوب شرق السويس على الضفة الشرقية من خليج السويس داخل سيناء والتى مر عليها بنو إسرائيل ويقال أيضا إنها الموقع الذي طلب فيه بنو إسرائيل أن يجعل لهم إلها مثل الآلهة التي وجدوا القوم يعبدونها في ذلك الموقع ، وهى منطقة تحتوي فعلا على تماثيل منذ أزمنة بعيدة وتقع فى طريقهم من عيون موسى حيث طلب بنو إسرائيل من نبى الله موسى أن يجعل لهم إلهاَ من هذه التماثيل ، لكنا نرجح أن الموقع الذي وقعت به تلك الواقعة كان عند بعل صفون كما ذكرنا سابقا.

وكلمة سرابيت / سرابيط مفردها سربوت / سربوط وتعنى عند أهل سيناء الصخرة الكبيرة القائمة بذاتها ، أما الخادم فلأن هناك أعمدة بالمعبد تشبه الخدم السود

البشرة ولهذا سمى معبد سرابيت الخادم ، وكانت كل حملة تتجه لسيناء لتعدين الفيروز يقومون بكتابة أخبار الحملة على هذه الصخور المنفصلة بالمعبد ، ويرى آخرون أن كلمة "الخادم" جائت لتسخير العمال أو الخدم في التنقيب عن الفيروز والمعادن الثمينة في تلك المناجم لكن لا يوجد تأكيد على تلك التفسيرات.



موقع دفقة عند سرابيط الخادم

- رفيديم (وادي رفايد):

وهي المحطة الرابعة بعد موقع العبور ، وهو اسم كنعاني/ عبراني معناه "متسعات" أو "تشعبات" أو "روافد" أو " تفرعات" ، وهو ما يعني أنه وادٍ متسع ومتشعب الطرق ، وهي محلة لبني إسرائيل بين برية سين وجبل سيناء ، حطوا فيها رحالهم أثناء ارتحالهم في البرية [28] لم يكن فيها ماء فتذمر الشعب وضرب موسى الصخرة وخرج منها ماء [29] ، وفيها هزم يشوع عماليق وقومه إذ وقف موسى على تل ورفع يده مشيرًا إلى الله الذي عضدهم في القتال وكان إذا رفع موسى يديه غلب شعبه، وإذا خفضهما كان عماليق يغلب ، فلما صارت يداه ثقيلتين دعمهما هرون وحور فكانتا ثابتتين إلى غروب الشمس فغلب شعبه وهزم عماليق وفقا لرواية التوراة [30] ، وإليها جاء يثرون حمو موسى مع أهل بيته ونزل ضيفًا على موسى وسجد للرب مع شيوخ إسرائيل (خر 18: 1 -12)، ورجح علماء التوراة موقعها في وادي رفايد شمال غربي جبل موسى ، وهنالك وادي ردوا -وهو مجرى مياه باردة- يتصل بوادي رفايد وبه واحة عند سفح جبل رفايد.

---

[28] سفر الخروج 17: 1 و19: 2 وسفر العدد 33: 12 - 15

[29] سفر الخروج 17: 5 و6

[30] سفر الخروج 17: 8-13



موقع رفيديم عند وادي الرفايد حاليا

برية سيناء (وادي جبل موسى بسانت كاترين)

الصحراء التي يقع بها جبل سيناء أو جبل موسى عند قلب جنوب سيناء بالقرب من سانت كاترين ، وهي بجوار ريفيديم التي ذكرناها ، تقول التوراة في سفر الخروج:
"ارْتَحَلُوا مِنْ رَفِيدِيمَ وَجَاءُوا إِلَى بَرِّيَّةِ سِينَاءَ فَنَزَلُوا فِي الْبَرِّيَّةِ .هُنَاكَ نَزَلَ إِسْرَائِيلُ مُقَابِلَ الْجَبَلِ." سفر الخروج 19

أي أن برية سيناء تقع في مقابل جبل سيناء الواقع في منطقة سانت كاترين حاليا ، وقد يبدو لقاريء سفر الخروج والأسفار الأخرى كسفر العدد وسفر يهوديت وغيرها من الأسفار أن برية سيناء هي نفسها برية سين والتي تمثل المنطقة الشاسعة في جنوب غرب جزيرة سيناء الحالية.

- **جبل سيناء ... المسمى بـــ "جبل موسى" بسانت كاترين**

وهي منطقة الجبل المقدس (سانت كاترين حالياً) وهى المنطقة الوحيدة بسيناء التى يتجمع فيها عدة جبال مرتفعة مثل جبل موسى 2242م فوق مستوى سطح البحر وجبل كاترين 2642 م وجبل المناجاة، والمنطقة التى تلقى فيها نبى الله موسى ألواح الشريعة هى منطقة ذات جبال مرتفعة ورغم تعدد الآراء فى تحديد جبل الشريعة لكنها تركزت فى منطقتين منطقة الجبل المقدس ومنطقة وادى فيران (50كم شمال غرب سانت كاترين) وبها جبل سربال 2070 م فوق مستوى سطح البحر الذى رأى البعض أنه جبل الشريعة.

هنالك اختلافات بين رواية التوراة عن الجبل الذى نزلت فيه الوصايا العشر على موسى عليه السلام وكتبت في الألواح وبين الرواية القرآنية ، كما يوجد خلط كبير فى الروايات الشعبية والتى إنعكست على تسمية المواقع الجغرافية الحالية لما يُعتقد أنها المواقع التي وقعت فيها تلك الأحداث.

فغالبية عامة الناس وحتى التسميات الحكومية الرسمية للمواقع الحالية قد اعتمدت المسميات الشعبية التي أطلقها الناس على بعض المواقع ، ومنها جبل الطور في جنوب سيناء وعيون موسى وغيرها من التسميات الرسمية التي يظن الناس حتى اليوم أنها تمثل المواقع الحقيقية لأحداث الخروج وما بعده لاسيما داخل شبه جزيرة سيناء التي قضى فيها بنو إسرائيل بعد العبور أربعين سنة كاملة في فترة التيه قبل أن يتوجهوا إلى الأرض المقدسة عبورا بالأردن بقيادة يوشع بن نون المعروف في التوراة باسم يشوع.

أما المواقع الحقيقية لجبل موسى عليه السلام الذي تلقى فيه الألواح وجبل الطور بالوادي المقدس طوى الذي تلقى فيه موسى عليه السلام الوحي لأول مرة والموقع الحقيقي للعيون الإثنتى عشرة التي انفجرت في الحجر فليس من الضرورة في شيء أن تكون هي بعينها نفس المواقع التي تحمل تلك الأسماء اليوم بشكل رسمي وشعبي ، بل إن الراجح من الجغرافيا التاريخية أن تكون المواقع الحقيقية في أماكن مختلفة عن تلك التي يدعيها عامة الناس ظنا منهم أنها نفس المواقع التاريخية التي جرت بها الأحداث.

وبعد أن بيننا المسار الحقيقى للخروج والمواقع الأصلية من لحظة مغادرة بني إسرائيل للموقع الذى كانوا يقيمون فيه والمسمى حالياً مدينة بلبيس بمحافظة الشرقية وحتى موقع العبور إلى الضفة الأخرى فى نقطة التقاء فرع النيل العذب "قناة سيزوستريس"

مع البحيرات المرة ، سنلقى الضوء على الخلط الكبير الذى وقع بخصوص جبل الطور المذكور فى عدة مواضع فى القرآن الكريم والذى تنتشر تسميته وتطلق حالياً على الكثير من الجبال فى الجزيرة العربية والأردن وفلسطين وشبه جزيرة سيناء ، وبالتالى قد تعددت النظريات حول المسار الذى سلكه بنو إسرائيل بعد عبورهم البحر الذى غرق به فرعون وجنوده.

وتنوعت التفسيرات وتضاربت الآراء فى ذلك ، وادعى صاحب كل نظرية أن جبل الطور يقع فى مكان مختلف عما يعتقده الآخرون ، وسوف نقوم بإستعراض كل تلك النظريات لكن يجب قبل كل ذلك أولاً تحقيق المعنى اللغوى للفظة الطور ، والتفرقة بين الجبل الذى أوحى فيه إلى سيدنا موسى أول مرة عندما خرج من مدين بأهله وأغنامه ، وبين الجبل الذى صعده بعد خروجه ببنى إسرائيل من مصر حيث تلقى الوصايا والألواح.

ويذكر قاموس الكتاب المقدس أن جبل موسى هو جبل يطلق عليه أيضًا جبل حوريب واسم البرية المحيطة به وتذكر التوراة برية سيناء وجبل سيناء 35 مرة، وفي 17 مرة تسمى حوريب وقد قضى العبرانيون عند هذا الجبل سنة في طريقهم من مارَّة وايليم ويم سوف ، من مايو إلى ابريل، ووصلوا إليه بعد قيامهم من مصر بثلاثة أشهر (خروج 19: 1). وكان يبعد عن قادش برنيع مسيرة إحدى عشر يومًا عن طريق جبل ساعير (تثنية 1: 2) وعلى مسيرة ثلاثة أيام من مصر (خروج 5: 3). وكانت تحيط هذا الجبل برية كافية لأن يعسكر فيها العبرانيون كلهم لمدة سنة (خروج 19: 2) وكانت البرية قريبة من الجبل حتى يمكن مسّه (خروج 19: 12) وقد أعطى الله الشعب الوصايا العشر من على هذا الجبل، وعمل معهم العهد أن يكون إلهًا لهم وأن يكونوا شعبًا له (خروج 20: 1 و24: 8) ولا يسجل لنا الكتاب المقدس أن أحدًا زار هذا الجبل بعد ذلك إلا إيليا حين هرب من وجه إيزابل (1 ملوك 19: 8).

وهناك رأيان عن موقع جبل سيناء، الأول أنه جبل سربال في وادي فيران، ويؤيد هذا القول يوسابيوس، ولكن لا توجد عند جبل سربال برية تكفي لأن يعسكر فيها العبرانيون كلهم لمدة سنة.

والقول الآخر أنه جبل موسى، ويوافق على ذلك جستنيان ويقول يوسيفوس أن جبل موسى عظيم الارتفاع ومن المستحيل تسلقه لأنه حاد الصخور وشديد الانحدار

ولا يستطيع أحد أن يطيل النظر إليه دون أن تؤلمه عيناه لأنه شديد الضوء ، ويظن يوسيفوس أن هذه الأحوال الطبيعية تجعل جبل موسى الأكثر ملائمة ليكون جبل الشريعة.

وقد ظن الكثير من الباحثين وعامة الناس أن جبل الشريعة هو جبل طور سيناء الذي يقع في مدينة طور سيناء والتي تقع 280كم جنوب السويس فهى مدينة ساحلية، ويظن عامة الناس أنها المكان الذي صعد منه موسى عليه السلام إلى الجبل لتلقي الألواح وترك خلفه بني إسرائيل فضلوا وعبدوا فيها العجل الذى صنعه السامرى وقد كان من أسباب ظن الكثيرين ذلك أن هذه المنطقة تشرف على بحر ظنه الكثيرون أنه اليم الذي نسف فيه العجل بعد حرقه كما في القرآن الكريم ، لكن وبعد تحقيق كل المحطات الخاصة بالخروج فقد تبين لنا أن جبل الشريعة الذي تلقى فيه موسى عليه السلام الألواح والوادي الذي عبد فيه بنو إسرائيل العجل كان في منطقة برية سيناء المتاخمة لجبل موسى عند سانت كاترين ولا علاقة بطور سيناء الحالي الواقع في الجنوب الغربي من سيناء بجبل الشريعة حتى لو كان طور سيناء مكانا مقدسا عند الله عز وجل كما ورد بالقرآن الكريم.

ويقول البعض الآخر أن موقع سيناء في أرض آدوم ولكن لا يتفق هذا القول مع ما ورد في التوراة عن رحلات العبرانيين في البرية ، ويقع وادي الرحلة أسفل هذا الجبل، وتبلغ مساحته أربعة أميال مربعة، وهو يكفي لأن يعسكر فيه العبرانيون ، وتوجد اليوم عند جبل موسى أديرة وكنائس اكتشفت فيها بعض النسخ القديمة من الأسفار المقدسة، في اللغات اليونانية والسريانية والجورجية والأثيوبية والسلافية والعربية وغيرها، وقد اكتشفت النسخة السينائية للكتاب المقدس في اللغة اليونانية في دير سانت كاترين وقد كتبت في القرن الرابع الميلادي.

أما اسم سيناء فاغلب الظن انها كلمة مشتقة من الكلمة العربية "سنا" أي الضوء الشديد، كما أمناء "سينو" هو الألقاب القم عند البابليين. وتقع برية " سين" (خر 16: 1، 17: 1، عدد 33: 11 و12) بين جبل سيناء وخليج السويس، ولعلها سميت بهذا الاسم من شدة انعكاس الضوء على الحجر الجيري ، إليها في سيناء فقد "وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ "

(خر 24: 17). ومازالت منحدرات جبل موسى حتى اليوم تصطبغ بـــاللون النـــاري المنعكس من صخوره الجرانيتية الحمراء، وصخور الصوان الوردية.

ويطلق على الجبل والبرية في التوراة اسم "حوريب" (ومعناها "الخراب" أي "القفر") في سبعة عشر موضعا، غالبيتها في سفر التثنية، ويذكر اسم " سيناء " أيضاً في سفر التثنية (33: 2). ويرد اسم حوريب في أسفار التوراة الأخرى (خر 3: 1، 17: 6، 33: 6) للدلالة على " جبل الله " وبرية رفيديم التي تقع على بعد نحو عشرين ميلا إلى الشمال الغربي منه.

ويقول يوسيفوس أن جبل سيناء "أكثر الجبال ارتفاعا في تلك المنطقة" ثم يقول أيضاً "انه أعلى الجبال في تلك البلاد وانه ليس شامخ الارتفاع فحسب، ولكنه أيضاً صعب المرتقى جدًا ليس لارتفاعه العظيم فحسب بل لصخور سفوحه الحادة، ولا يستطيع أحد أن يرفع عينه طويلا إلى القمة دون أن تؤلمه عيناه. كما انه كان مهيبا مرهوبا يخشى الاقتراب منه للاعتقاد بأن نور الله يسكن هناك ".

وواضح أنه في عصره كان جبل سيناء يعتبر إحدى قمم الكتلة الجرانيتية العظيمة المسماة "الطور" وأعلى قممها هو جبل كاترين الذي يرتفع إلى 550،8 قدما فوق سطح البحر ، وإلى الشمال الشرقي منه يوجد جبل موسى (370،7 قدمًا) ، ومع انه اقل ارتفاعًا من جبل كاترين، أما أروع الأشياء الموجودة عند جبل موسى فهو سهل يسمى " سهل الراحة " إلى الشمال الغربي منه، ويبلغ طول هذا السهل نحو أربعة أميال وعرضه أكثر من الميل مما يجعله مكانا طبيعيا لإقامة بني إسرائيل وقتها عند سفح الجبل، ويكفي لان يترل به كل بني إسرائيل عند خروجهم من ارض مصر ، ولجبل موسى قمتان رئيسيتان، يتوج إحداهما التي في الجنوب الشرقي كنيسة.

أما القمة الثانية فتقسمها ممرات ضيقة إلى ثلاثة رؤوس شديدة الانحدار ، ويقوم على الرأس الشمالية منها "دير" وتسمى "رأس الصفصافة". وإلى الشمال من الدير توجد القمة الصغرى لجبل الدير

ومن المستحيل أن نحدد تحديدا قاطعا أي قمة منها هي التي صعد إليها موسى، فجميعها أعلى من كل جبال سيناء ومديان أيضاً. فأعلى القمم في صحراء "التيه" إلى الشمال لا يزيد ارتفاعها عن أربعة آلاف قدم، ولا يوجد في بلاد مديان شرقي إيلات جبل يرتفع عن 4,200 قدم. وأعلى قمة في جبال "سربال" التي تقع على بعد عشرين ميلا إلى الغرب من

جبل سيناء يبلغ ارتفاعها 6730 قدما فوق سطح البحر. ولا تذكر التوراة أن أحدا من بني إسرائيل زار جبل حوريب بعد أيام موسى سوى إيليا حيث هبت الريح العظيمة الشديدة التي شقت الجبال وكسرت الصخور (1 مل 19: 8 و11).

وكثيراً ما يطلق اسم سيناء على الجبل والبرية المحيطة به. وجاء في سفر الخروج أن موسى النبي جاء إلى حوريب وهو يرعى القطعان، وهذه المسافة تبعد نحو 145 ميلاً من قادش برنيع، ونحو 117 ميلاً من مصر.

وإذا انتقلنا شرقاً من جبل سيناء إلى ما وراء جبل موسى، نجد كتلاً جبلية، أهمها جبل سانت كاترين- أعلى قمم مصر أما إلى الشمال من جبل موسى فأروع الظواهر الطبيعية وجود سهل يسمى سهل الراحة أو وادي الراحة، بطول نحو أربعة أميال وعرض نحو ميل أو أكثر، وكان من أهم مواقع نزول بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر.

- **حضيروت (واحة عين خضرة بشرق سيناء)**

حضيروت : اسم كنعاني / عبراني معناه "حظائر، ديار، قرى". وهي محط العبرانيين في سيناء خلال مسيرهم وقد جاء ذكره بعد قبروت هتأوه (عدد 1: 35)، وعلى هذا الجانب من فاران (عدد 12: 16 و3: 17 وتثنية 1: 1) ، وهي محطة هامة في مسار الخروج وتسمى حاليا (عين خضرة) وتقع على بعد حوالي 70كم فى الطريق من سانت كاترين إلى نويبع وهى عين ماء طبيعية مشهورة بسيناء ، وعلى مسافة 36 ميلا شرقي جبل سيناء ، وذكرت فى سفر العدد إصحاح 3 :4 باسم حضيروت ثم اتخذوا الطريق الساحلى الموازى لخليج العقبة حتى وصلوا إلى برية فاران أو باران نسبة إلى وادى باران فى جنوب فلسطين غرب وادى عربة الذى يصل البحر الميت بمدينة العقبة ولرفض بنى إسرائيل دخول الأرض المقدسة حرمت عليهم أربعين عاماً يتيهون فى سيناء متخبطين فى عدة أماكن غير مستقرين فى مكان واحد.



صورة لواحة عين خضرة بسيناء

- **برية فاران**

برية واقعة بين حضيروت جنوباً إلى قادش برنيع شمالاً ممتدة شرقاً إلى جبال سعير وغرباً إلى هضبة التيه وبرية شور وتندمج فيها برية صين. وعلى أبواب برية فاران تجري الأحداث الآتية: -

- قال موسى لحوباب بن رعوئيل المدياني حمى موسى، إننا راحلون إلى المكان الذي قال الرب أعطيكم إياه. اذهب معنا فنحسن إليك فقال حوباب: لا بل إلى أرضي وعشيرتي أمضي (عد 10: 29).

- وفقا لرواية التوراة فقد "حمى غضب الرب من أجل تذمر الشعب فاشتعلت فيهم نار الرب في طرف المحلة وأحرقت في طرف المحلة"، ولكن بصلوات موسى عليه السلام خمدت النار ودعى اسم الموضع تبعيرة وهي كلمة كنعانية قديمة أو عبرانية معناها اشتعال.

- وانتخب موسى بأوامر الله عز وجل سبعين شيخاً وفقا لتعبير التوراة وهم السبعين نقيبا الذين ذكروا في القرآن الكريم ، وتقول التوراة "ليحملوا معه ثقل الشعب وحلت عليهم الروح وتنبأوا" (عد 11: 34).

- تذمر الشعب من أجل الطعام فانزل لهم المن وقيل إن طعمه كطعم قطائف بزيت كما أرسل لهم السلوى التي تراكمت نحو ذراعين فوق وجه الأرض وانشغل الشعب بشهوة جمع السلوى فضربهم الرب ضربة عظيمة جداً، ودعى اسم المكان قبروت هتأوه لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا.

و قبروت هتأوه اسم عبراني / كنعاني معناه قبور الشهوة وهي محلة لبنى إسرائيل على طرف برية التيه.



خريطة لشبه جزيرة سيناء ويظهر فيها مواقع برية شور وبرية سين وبرية فاران وبرية صين

- **قادش برنيع (من أهم مواقع التيه ومكثوا فيها معظم فترة التيه)**

لا نجد بقعة اشتهرت في تاريخ بني إسرائيل كما اشتهرت قادش برنيع. فقد تمركز فيها بنو إسرائيل مدة 38 سنة من سني تيههم الأربعين (عد 20: 1 و16). ولكن يظهر من سفر التثنية 2: 14 أنهم قضوا معظم تلك المدة خارج قادش فيسوغ لنا أن نستنتج من هذا أن خيمة الاجتماع وتابوت العهد ظلا فيها كما سكن موسى ورؤساء الشعب فكانت مركزًا عامًّا يرجع إليه الشعب لأجل العبادة والقضاء وحل المشاكل الكبرى لأنه لا يمكن لشعب كبير متبدّ أن يسكن مع مواشيه في بقعة محدودة كهذه ، وفي قادش ماتت مريم أخت هارون وموسى (عد 20: 1) وفيها حصل تمرد قورح وجماعته (عد 16: 1-40). ومنها أرسل موسى الجواسيس الاثني عشر ولما عادوا من تجسسهم تذمر الشعب على موسى والله فحرم الرب كل ذلك الجيل من دخول الأرض المقدسة وقضى عليهم أن يفنوا في البرية ما عدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون (عد 13 و14). وبمقابلة آيات مختلفة من الكتاب المقدس نستطيع تحديد موقع قادش بوجه تقريبي، فقد كانت عند طرف برية صين (عد 20: 1) إلى الجهة الغربية من وادي عربة، قرب التخم الجنوبي لأرض سبط يهوذا أو الحد الجنوبي لبني إسرائيل (عد 34: 4). وهي على مسيرة أحد عشر يومًا من حوريب (جبل سيناء) بسرعة سفر بني إسرائيل في تلك الأيام وفي اتجاه جبل سعير وعلى طريقه. ولم تكن بعيدة عن تخم ادوم وجبل هور. وهي آخر محطة داخل شبه جزيرة سيناء قبل دخولهم أرض الأردن وبعدها مات هارون عليه السلام في جَبَلِ هُور فِي طَرَفِ أَرْضِ أَدُومَ (سفر العدد 33)، ومنها أرسل موسى رسلًا إلى ملك ادوم يستأذنه في عبور أرضه إلى بلاد موآب وفقا للتوراة (عد 20: 14-21) ، ويرّجح أنها عين قديس على مسافة خمسين ميلًا من بئر سبع إلى الجنوب. وبالقرب من عين قديس تقع عين قضيرات-وهي أكبر ويظن بعضهم أنها قادش ، لكن عين قديس والتي هي إحدى مناطق مدينة الحسنة في محافظة شمال سيناء هي الأرجح لهذا الموقع.

- **رمون فارص / رمون بيريز**

اسم كنعاني / عبراني معناه "رمانة الثغرة" وهي محلة لبني اسرائيل حطوا فيها رحالهم أثناء ارتحالهم في البرية (عد 33: 19 و20) ولعلها هي نقب البار حاليا.

- **حشمونة**

اسم كنعاني / عبراني معناه "خصبة" محط للعبرانيين في ترحالهم في البرية (عدد 33: 29 و30).

- **بني يعقان**

اسم كنعاني لقبيلة بالكنعانية "أبناء يعقان "وهو اسم قبيلة يرجح أنها من نسل سعير الحوريّ وقد أطلق هذا الاسم على الآبار التي حلّ قربها بنو إسرائيل ، وكانت تسمى أيضًا بئيروت قيل إنها تقع على طرف وادي البئرين/وادي بــيرين الحالي على بعد 6 أميال إلى الجهة الجنوبية من العوجا وهو وادي يقع في أرض فلسطين الجنوبية كأحد روافد وادي العوجاء الذي ينحدر نحو الشمال الغربي ليدخل سيناء ويتصل بوادي العريش.

- **حور الجدجاد (وادي "جيرافي" بسيناء)**

اسم كنعاني / عبراني معناه "كهف جدجاد" محط لبني إسرائيل في البرية (عدد 32: 33). وهي الجدجود (تثنية 6: 10 و7 وقارن عدد 31: 33-33) . ربما تقع على وادي غدغودة، أو غداغد، التابع لوادي جيرافي، شمال كونتيلة الجيرافي، شمالًا إلى الشمال الغربي من خليج العقبة في شبه جزيرة سيناء ، ووادي الجيرافي يعد من المحميات الطبيعية غير الرسمية في سيناء.

- **يطبات (طابا المصرية)**

اسم كنعاني / عبراني معناه "طيبة" وهو محلة من محلات بني إسرائيل في البرية (عد 33: 33) غربي العربة. وكانت أرض أنهار ماء" (تث 10: 7). ويظن بأنها الطابة/طابا المصرية وعينها قاموس الكتاب المقدس على بعد 22 ميلًا شمالي العقبة لكنها على العكس تقع في الجانب الغربي من خليج العقبة من جهة جنوب العقبة وليس شمالها

وهذا يرجح أكثر أن تكون هي طابا المصرية الواقعة على حافة خليج العقبة داخل شبه جزيرة سيناء.



مسار ومحطات الخروج داخل شبه جزيرة سيناء منذ عبور قناة سيزوستريس ومرورا بكل المواقع التي وفدوا عليها ووصولا لمواقع التيه قبل خروجهم من سيناء إلى عبور الأردن عند عصيون جابر وعبرونة



ثالثا: مواقع ومحطات في مسار الخروج بعد مغادرة سيناء:

- عبرونة

وهو اسم كنعاني عبراني قديم ومعناه ممر أو مقابل أو عبْر وكانت محلة لبني إسرائيل في تيههم (عد33: 34 و35) وهي واحة، واسمها الحالي عين دفية، على بعد سبعة أميال ونصف شمال عصيون جابر.

هي حاليا تثمل امتداد لواحة يسكن بها بنو صخر الآتين من بلاد البلقاء في الأردن وهي من القبائل قويّة الشكيمة وقد بلغت غزواهم وادي عربة في جنوبيّ الأردن وبلاد التيه في سيناء وكانت لهم غزوات على غيرهم من القبائل البدوية هناك التي كانت تبادلهم الغزوات ، كما تقطن قبيلة الأحيوات أيضا في منطقة دِفيّة في وادي عربة قرب العقبة ، وكانت مناطق نفوذهم تصل عبر وادي عربة شمالاً إلى البلقاء في الأردن ، وتقع عبرونة والتي تسمى اليوم دِفيّة ونواحيها في وادي عربة من جهة جنوب الوادي وتسمى بمسميات مختلفة منها عين دفية وواحة دفية وتعد معبرا قديماً بين سيناء والأردن.

- عصيون جابر (إيلات / أم رشراش) :

قاموس الكتاب المقدس :مدينة على البحر الاحمر على الطرف الشمالي من خليج العقبة، بالقرب من مرفأ إيلات (إيلة) ، وقد كانت آخر محطات بني إسرائيل في رحلتهم في البرية ، وقبيل وصولهم برية صين / زين وهي أيضا محط ترحالهم بعد الرجوع من برية صين، ويعتقد أن ذلك المكان هو بلدة تل الخليفة الذي تقع على بعد 500 قدم من ساحل البحر لكن هذا ليس بمؤكد، ويعتقد أيضا أنها كانت تقع على منتصف الطريق بين العقبة والطرف الشرقي من خليج العقبة ، و"أم رشراش" على الطرف الغربي، وهو في أسفل منحنى محمى بالجانب الشرقي من تلال إدوم وقد وجدت الاكتشافات الحديثة فيها آثار ازدهار تجاري كبير، مما يدل على أنها كانت مركز تجارة الحديد والنحاس (تث 8: 9) ، غير أن اهميتها الكبرى بدأت أيام الملك سليمان الذي أراد استغلال موقعها الاستراتيجي المهم، وبنى فيها اسطوله في البحر

الاحمر ، وتمكن سليمان بذلك من السيطرة على التجارة مع شبه الجزرة العربية، عن طريق البر والبحر، بواسطة عصيون جابر.[31]

لكن تلك السيطرة ضعفت بعد وفاة سليمان، ويذكر الكتاب أن عمارة بحرية ليهوشافاط ملك يهوذا تكسرت هناك (1 ملو 22: 48). وكان ذلك لصالح أدوم التي اغتنمت الفرصة واستولت على المنطقة وخلفت يهوذا في السياسة والتجارة هناك، إلى أن ارتقى امصيا العرش فحارب الادوميين واحتل المنطقة وبنى مرفأ ايلات (2 مل 14: 22 و2 أخبار 26: 1 و2).

- **زارد**

زارد كلمة كنعانية عبرانية معناها "ازدهار" ووادي زارد هو آخر محطة نزل فيها بنو إسرائيل، قبل عبورهم إلى وادي أرنون. وقد عبروا وادي زارد في نهاية ثماني وثلاثين سنة من ارتحالهم من قادش برنيع "حتى فنى كل الجيل رجال الحرب من وسط المحلة كما أقسم الرب لهم (تث 2 : 13) وهو آخر الوديان الأربعة الرئيسية في عبر الأردن، وهي على الترتيب من الشمال إلى الجنوب: اليرموك، يبوق، أرنون، زارد، وكان يشكل الحدود الطبيعية بين أدوم ومؤاب، وحيث أنه كان يصب في الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الميت، فلابد أنه كان أحد مصادر المياه لبعض مدن الدائرة التي كانت متحالفة مع سدوم وعمورة.

- **وادي أرنون:**

كلمة أرنون معناها "الزئير" أو "السيل المندفع" وجاء في سفر (العدد 41 : 24)، أنه الحد الفاصل بين المؤبايين والأموريين، وهو أيضاً الحد الجنوبي لنصيب سبط رأوبين، وكان الأموريون يعتبرون وادي أرنون، الحد الجنوبي لبلادهم. ويسمى وادي أرنون الآن وادي الموجب، ويصب في من الشرق في البحر الميت، على بعد نحو 11 ميلاً شمالي اللسان.

[31] قاموس الكتاب المقدس

• وادي عربة

يمتد وادي عربة بين البحر الميت* شمالاً وخليج العقبة* جنوباً مسافة 170 كم، وعرضه بين 8 و25كم ، وهو جزء من غور وادي الأردن ينخفض قسم كبير منه دون مستوى سطح البحر ، وتمتد الحافات الجبلية على طول جانبيه الشرقي والغربي ، نشأ الوادي نتيجة صدع (انكسار) الريشة الممتد شمالاً على طول الوادي، يكمله صدع (انكسار) في البحر الميت ، أما أرضه فمتموجة مغطاة بالطمي والرمال والحصى، ويخترقها عدد من الأودية المنحدرة إليه من الجانبين ، وهناك مجموعة من الحافات الأرضية البارزة في قاع الوادي تعرف باسم جبل الريشة، تمتد من الشرق إلى الغرب في منطقة غور العجرم ، وتؤلف خط تقسيم المياه بين حوضي البحر الميت والبحر الأحمر، وينحدر وادي عربة نحو الشمال إلى البحر الميت، ونحو جنوب الجنوب الغربي في اتجاه خليج العقبة.

ويظهر هذا الانحدار في مجاري الأودية التي تسير في وادي عربة ، فينتهي بعضها في البحر الميت، وبعضها الآخر في خليج العقبة ، وتحف وادي عربة من الشرق جبال جرانيتية شديدة الانحدار وعرة المسالك، تمتد مسافة 120 كم على طول جانب الوادي الشرقي ، ويصل ارتفاع حافاتها إلى 1000 م عن سطح البحر المتوسط.

و يتألف وادي عربة من ثلاثة أقسام رئيسة هي: (1) القسم الجنوبي: يبلغ طوله 77 كم وعرضه بين 5 و15 كم. يمتد هذا القسم من شاطئ خليج العقبة الى حافة خط تقسيم المياه وإلى غور عجرم. ويحول توغل أقدام المراوح (المخاريط) الفيضية في هذا القسم دون تقدم الأودية القصيرة المتجهة إلى الجنوب، فلا يصل معظمها إلى البحر، بل تغور مياهها مغذية الخزان المائي الجوفي في تلك المنطقة. لكنها تعود إلى الارتفاع ثانية بتأثير الخاصة الشعرية، فتتكون المسطحات المحلية التي تنمو فوقها نباتات طبيعية محبة للأملاح، مثل الدفل والأكاسيا ونخيل الدوم والبلح. ويضم هذا القسم الجنوبي من وادي عربة عدة سبخات تم استصلاح جزء منها، كسبخة الدافية وسبخة الطابة وسبخة السعدين. وترتفع نسبة الملوحة في سبخة الطابة، في حين تتوفر المياه العذبة في سبخة السعيديين. (2) القسم الأوسط: يبلغ طوله 74 كم، وعرضه 32 كم. ويضم مجموعة من الأودية التي يلتقي بعضها ببعض كواديي جرافي* والحياني والأودية القادمة من النقب* في الجنوب الغربي، ومعان في الجنوب الشرقي.

وتوجد به بعض الواحات التي تتوافر فيها الآبار وعيون الماء مثل عين الويبة وعيون حاروف، أما القسم الشمالي: يتكون من مستنقعات إقليم اسدوم المحلية. وهو مستطيل الشكل، لا يزيد طوله على 14 كم. وينخفض مستواه زهاء 350م دون مستوى سطح البحر وتنتهي في مستنقعات هذا القسم مياه أودية الجيب والقضيب والفقرة القادمة من الغرب، ووادي الحسا من الشرق. وقد تعلو المياه في هذه المستنقعات بعد الأمطار الكثيرة فتتصل مياهها بمياه البحر الميت. وتكثر الينابيع في هذا القسم الشمالي، كينابيع وادي الطبقة العذبة الغزيرة. ولوادي عربة. رغم جفاف مناخه، أهمية كبيرة، لأنه يربط بين منطقة البحر الميت بزراعتها ومعادنها وخليج العقبة بمينائه. وإلى جانب ذلك يشهد هذا الوادي أعمالاً واسعة للبحث والتنقيب عن المعادن والمياه الجوفية.

وقد عبر بنو إسرائيل وادي عربة بعد أن خرجوا من التيه في سيناء خلال رحلتهم داخل الأردن في اتجاه الأرض المقدسة.



خريطة لفلسطين والأردن ويظهر عليها موقع وادي عربة



خرائط تبين مواقع مر عليها بنو إسرائيل بعد خروجهم من سيناء ومن التيه ، ويظهر فيها موقع أدوم وموآب وعمون الواقعين في الأردن

مسار الخروج المرجح وموقع عبور بني إسرائيل وغرق فرعون على الوجه الصحيح

يعتبر علماء التوراة أن تعيين موقع العبور على وجه التأكيد ليس من الأمور اليسيرة، لكنا بعج لنا أن أوضحنا كل المحطات التي ذُكرت في مسار الخروج وفقا للتوراة ، نستطيع الآن أن نكون الفكرة السليمة والصحيحة والأقرب للعقل والمنطق وبما يتسق مع الوصف الجغرافي والتاريخي لمسار الخروج .

ونستطيع بذلك أن نضع القاريء في التصور الصحيح لمشهد الخروج منذ أن بدأت رحلة بني إسرائيل من محل إقامتهم في أرض جاسان بمصر وحتى وصولهم إلى الأردن قبل أن يصلوا مباشرة إلى مشارف الأرض المقدسة مع النبي يوشع بن نون .

وبالتأمل في سفر الخروج نجد أن كلماته توحي لنا عن تلك الواقعة بفكرة مختلفة حيث توحي الكلمات مثل (انتصبت المجاري كرابية ، تجمدت اللجج في قلب البحر ، سورا عن يمينهم وعن يسارهم) بأن الريح الشرقية ربما كانت ريحا متجمدة باردة أتت على غير العادة أدت لتجمد المياة وتحولها إلى ألواح عالية من الثلج ، وهو ما يحتمل تفسير آيات القرآن به أيضا حيث يقول الله تبارك وتعالى في ذلك الموضع :

﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ سورة الشعراء 61-64

وبعد مسيرة نحو خمسة وعشرين كم جنوبا بعد موضع العبور وصل بنو إسرائيل إلى العيون ، ومن تلك البقعة بدأت رحلة البرية في صحراء شور.

وطبقاً لما أشرنا إليه تفصيلاً عن محطات مسار الخروج، ليس في المسار المذكور ، أية صعوبات يمكن أن تنفي أو تضعف السمة التاريخية للقصة الكتابية ، لكن ولأن أغلب علماء الآثار الذين تعاطوا مع هذه المسألة كانوا غربيين فقد كان مرجعهم الأساسى - إن لم يكن الوحيد- هو التوارة ، و لأن التوراة قالت أن العبور قد حدث من جهة "بحر سوف" الذي ترجموه خطأً أو عمدا بـــ"البحر الأحمر" فلم يكن هناك عندهم مجال للإختلاف بخصوص تعيين البحر الأحمر بالمجمل كموقع للعبور ، ويذكر بعض الباحثين أن عهد الكتاب المقدّس القديم (التوراة) فى نسخه باللغة العربيّة يذكر أن العبور قد حدث من جهة بحر "سوف" و أن البحر الأحمر لم يرد ذكره إلا نتيجة

خطأً فى الترجمة إلى اللغات الغربية – وفى عصور قريبة – ، فكلمة "سوف" بالمصريّة القديمة تعنى "البوص" (وقد تعنى أيضاً "يوسف") ، و رغم أن التوراة بنسختها العربية تقول أن العبور حدث من بحر يوسف فإن الترجمة للغات الغربية كان لا بد أن تكون "بحر البوص" ، و لكن لأن بحر البوص باللغة الإنجليزية هو الـــ Reed Sea فلم يجد المترجمون ضرراً فى تحريفها إلى الـــ Red Sea أى البحر الأحمر ، رغم ما فى ذلك من شطط أدى إلى أخطاء تأريخيّة غير مقبولة ، وليس في نسخة العهد القديم المطبوعة عام 1950 طبعة الملك جيمس أي عبارة تقول أن بني إسرائيل قد عبروا البحر الأحمر ، بل يقولون أنهم عبروا "بحر سوف" أو " يم سوف" وليس "البحر الأحمر" .. والإسم العبراني لبحر العبور هو " سوف " وتحديدا عند "فم الحيروث" حيث يصب نهر"الحيروث" في بحر " سوف" لا يوجد أي ذكر لكلمة البحر الأحمر بتاتا في التوراة القديمة لكن في بعض النسخ الجديدة الجديدة فقط حيث رفعوا إسم " بحر سوف" وإستبدلوه "البحر الأحمر" مع أن تسمية البحر الأحمر بإسمه هذا لم تظهر إلا منذ حوالي 500 عام فقط ، و لأن التوراة تذكر أن الخروج حدث من مدينة "رعمسيس" فقد إعتبروا أن الخروج حدث فى عهد رمسيس /رعمسيس رغم أن التوراة لم يتم كتابتها إلا بعد قرون من وفاة موسى عليه السلام و رغم أن من كتبوا التوراة قد استخدموا أسماء المدن المصرية على ما آلت إليه تلك الأسماء على عهدهم الذى كتبوا فيه التوراة ، فإن أسماء المدن التى وردت فى التوراة لا تدل بالضرورة على عهد حدوث الأحداث ولا على مكان حدوثها ، وعليه أيضا فإن أرض رعمسيس ومدينة مخازن رعمسيس وحتى مدينة صوعن / زوان لم يكونوا في وقت وجود بني إسرائيل في مصر يتسمون بهذه الأسماء ، بل كانت تسمى بالأسماء القديمة التي عرفت أيام الهكسوس مثل "أواريس" أو "أفاريس" ، ونلاحظ تكرر إسم بعض الأماكن فى عدة مناطق ، فأرض "جاسان" مثلاً أطلقت على الفيوم ثم على الشرقية ثم على منطقة بفلسطين بلفظ "جوشن" ، وسواء كان هذه التغييرات في التسميات الأصلية لأماكن الأحداث فيها تعمد أم لا فإننا يجب أن نكون حريصين كل الحرص في أثناء نقلنا عن التوراة المحرّفة وأن نتتبع الحقائق التاريخية والجغرافية لما ورد في التوراة.

ونستطيع أن نلخص مسار وأحداث الخروج الصحيحة في نقاط كما يلي:

1. الإذن بالخروج والانطلاق:

تحرك بنو إسرائيل ليلا من أرض جاسان من داخل بيوتهم في الرابع عشر من شهر أبيب / نيسان اليهودي[32] في أحد أعوام القرن السادس عشر قبل الميلاد ، بعد أن جائهم الأمر الإلهي بالتحرك من بيوتهم وبعد أن تحملوا أوزارا من قوم فرعون وممن جاوروهم من السكان وهي عبارة عن زينة وحلي وأساور من ذهب أخذوها بحجة أنهم سيحتفلون بعيد الفصح بالإضافة لتحملهم بكل ما استطاعوا حمله من أمتعة ومتعلقات وساقوا معهم مواشيهم وأغنامهم وتركوا بيوتهم في المدينة التي كانوا يسكنونها التابعة لأرض جاسان في شرق الدلتا وتمثلها اليوم نواحي مدينة بلبيس بمحافظة الشرقية كما أوضحنا في أكثر من موضع وتحركوا شرقا نحو وادي طميلات الواقع في الطريق نحو محافظة الإسماعيلية الحالية بدلا من أن يتوجهوا في اتجاه الشمال الشرقي وهو الطريق المؤدي لطريق حورس والذي يقود إلى أرض كنعان مباشرة عن طريق شمال سيناء ، تقول التورة:

"وَكَانَ لَمَّا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ الشَّعْبَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَهْدِهِمْ فِي طَرِيقِ أَرْضِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ مَعَ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ، لأَنَّ اللهَ قَالَ: «لِئَلاَّ يَنْدَمَ الشَّعْبُ إِذَا رَأَوْا حَرْبًا وَيَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ ، فَأَدَارَ اللهُ الشَّعْبَ فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةِ بَحْرِ سُوفٍ ، وَصَعِدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُتَجَهِّزِينَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ" سفر الخروج 13.

وهذا يعني أن الله قد أعد لبني إسرائيل مسارا مختلفا عن المسار المعتاد لمن أراد أن يتوجه في اتجاه أرض كنعان من مصر ، وفي نفس الوقت قد أعد لفرعون مصيره ونهايته وهو استدراج له ولجنوده حتى يتجرأوا على ملاحقة بني إسرائيل ظنا منهم أن بني إسرائيل قد حوصروا في الأرض بين الصحراء وبين البحر ، وبالتالي يحاولون العبور خلفهم داخل الماء ليكون مصيرهم الغرق في النهاية.

---

[32] تشابه أسماء الأشهر في التقويم اليهودي الأسماء الشامية لأشهر التقويم الميلادي، واشتقت من نفس المصدر القديم، ولكن حلول الأشهر اليهودية لايلائم حلول الأشهر الميلادية النظيرة.

ومن الجدير بالذكر أن موسي عليه السلام مع قومه من بني إسرائيل كانوا يسيرون على أرجلهم، فقد كانوا مستضعفين لا يملكون خيول أو دواب تساعدهم لقطع تلك المسافات الطويلة ، ولذلك من السهولة على قوم فرعون اللحاق بهم وقتلهم ، وهذا دليل آخر على قرب المسافة بين أرض جاسان بالقرب من بلبيس بجنوب محافظة الشرقية وبين موضع العبور عند شمال البحيرة المرة الكبرى ، ودليل قوي على صحة المسار الذي أثبتناه كما هو واضح من الخريطة المبينة في الصفحات التالية ، كما أنه دليل قوي أيضا على خطأ النظريات التي تفترض أن مقر بني إسرائيل ونقطة انطلاقهم من رعمسيس التي تقع بتقديرهم على مسافة أبعد ناحية الشمال من محافظة الشرقية الحالية ، لذلك كانت المسافة التي قطعها فرعون وقومه أبعد من المسافة التي قطعها بنو إسرائيل إلى نفس المكان عند فم الحيروث / الدفرسوار بالإضافة إلى أن بني إسرائيل كانوا قد سبقوا فرعون وقومه بفترة زمنية كافية لابتعادهم ووصولهم إلى نقطة العبور قبل فرعون وقومه بوقت كافي.

2. الاحتفال بالفصح :

باختراقهم وادي طميلات الممتد من الزقازيق بمحافظة الشرقية وحتى غرب محافظة الإسماعيلية وفقا للمسميات الحالية في القطر المصري وصل بنو إسرائيل إلى منتصف الطريق عند سُكُّوت وتمثلها حالياً تل المسخوطة والواقعة جنوب ترعة الإسماعيلية عند قاعدة أبو صوير الجوية وتتبع تل المسخوطة حاليا مركز أبو حماد بمحافظة الشرقية ، وفي مدينة سكوت / تل المسخوطة بمحافظة الإسماعيلية احتفل بنو إسرائيل بعيد الفصح وأقاموا عيدهم بسُكُّوت وخبزوا فطير عيد الفصح وأكلوه في تلك المحلة ، وبما أن سكوت كانت على حافة قناة سيزوستريس العذبة (قناة سنوسرت الثالث) فلم يقابلهم مشكلة في الحصول على الماء العذب حتى هذه النقطة من الرحلة.

3. اصطحاب جثمان يوسف عليه السلام والخروج إلى البرية:

تقول التوراة : "وَأَخَذَ مُوسَى عِظَامَ يُوسُفَ مَعَهُ، لأَنَّهُ كَانَ قَدِ اسْتَحْلَفَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِحَلْفٍ قَائِلاً: إِنَّ اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ فَتُصْعِدُونَ عِظَامِي مِنْ هُنَا مَعَكُمْ ، وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ. سفر الخروج 13

وقد سبق لنا في الفصل السابق ذكر واقعة استخراج جثمان يوسف عليه السلام داخل تابوت كان مدفونا تحت الماء وقد استخرجه موسى وبنو إسرائيل قبل الخروج من مصر وهو ما يؤكده سفر الخروج ، وبعد استخراج تابوت يوسف عليه السلام توجه بنو إسرائيل وفقا لما أمرهم الله عز وجل إلى "إيثام" (انظر إيثام في الفصل الحالي في الفقرات السابقة).

وقد بيَّنا أن إيثام لا بد وأنها تقع جنوب البحيرات المرة وجميع المساحة الصحراوية المحيطة بهما في شرقا وغربا وفي اتجاه الجنوب ، وهذا معناه أن إيثام كمنطقة صحراوية وكمدينة كان موقعا معروفا على جانبي البحيرات المرة وأن جميع تلك المناطق الصحراوية على الجهتين الشرقية والغربية كانت تابعة لبريّة إيثام ، وهو ما يظهر في الخريطة التالية:



أهم مواقع الخروج ويظهر في الخريطة موقع وادي الطميلات الواقع بأرض جاسان كما يظهر بها سكوت وهي التي نزلوا بها خلال رحلة الخروج قبل أن يتوجهوا إلى إيثام في الجنوب تجاه خليج السويس ثم يعودوا إلى الشمال مرة أخرى عند فم الحيروث وهي الدفرسوار حاليا

4. الوقوع في الفخ :

تقول التوراة :

"وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْجِعُوا وَيَنْزِلُوا أَمَامَ فَمِ الْحِيرُوثِ بَيْنَ مَجْدَلَ وَالْبَحْرِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونَ. مُقَابَلَهُ تَنْزِلُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ، فَيَقُولُ فِرْعَوْنُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: هُمْ مُرْتَبِكُونَ فِي الأَرْضِ. قَدِ اسْتَغْلَقَ عَلَيْهِمِ الْقَفْرُ." سفر الخروج 14

وهذا يعني أن بنو إسرائيل بعد أن توجهوا للجنوب وتجاوزوا البحيرة المرة الكبرى ثم اقتربوا من الصغرى ثم أصبحوا في موقع بجوار البحيرتين وهو موقع برية إيثام الذي يتمد كصحراء ما بين شرق وغرق البحيرات أُمروا بأن يعودوا مرة أخرى إلى الشمال عند موقع " فم الحيروث" وهو موقع التقاء فرع النيل العذب المسمى بقناة سيزوستريس أو قناة سنوسرت الثالث مع البحيرة المرة الكبرى والتي كانت تسمى قديما " بحر سوف / يم سوف" ومعنى الإسم "بحر البوص" ، وهو الاسم الذي تم ترجمته خطأً أو عن عمد "البحر الأحمر Red See" بدلا من "بحر البوص Reed sea"، وهو ما جعل غالبية الباحثين الذين تناولوا موضوع الخروج يحددون موقع العبور عند خليج السويس بالبحر الأحمر وهو الأمر المستحيل كما سنوضح عند استعراض نظريات الخروج المختلفة.

ولما كان المرجح أن أن البحيرات المرة كانت - في ذلك العهد - تمتليء بمياه النيل العذبة التي كانت تتدفق إليها من وادي طميلات، فقد كان توافر الماء العذب لبني إسرائيل أثناء رحلتهم بجوار قناة سيزوستريس وحتى مسيرهم بجوار البحيرة المرة الكبرى لا يعد مشكلة بالنسبة لهم حتى وصولهم إلى تلك النقطة لأن البحيرة كانت مليئة بالماء العذب.

إذن فرجوع بني إسرائيل إلى الشمال عند فم الحيروث بعد وصولهم إلى إيثام التي في الجنوب وتواجدهم في وضع يوحي بأنهم محاصرين بين "يم سوف" أي البحيرة المرة الكبرى من جهة وبين فرع النيل القديم سيزوستريس من جهة ثانية وقدوم فرعون وجنوده من الجهة الثالثة الوحيدة وهي المنفذ الوحيد الذي يمكن لهم الخروج منه ، كان عبارة عن فخ وقع فيه فرعون وجنوده وليس بني إسرائيل المحاصرين ، لأن بني إسرائيل سيعبرون الماء إلى الجهة المقابلة بينما سيغرق فرعون وجنوده وهذا هو التدبير

الإلهي الذي استدرج فرعون وجنوده إلى مطاردة وحصار بني إسرائيل بينما كانوا يسيرون إلى حتفهم وهم لا يشعرون.

5. فأتبعوهم مشرقين:

كان مسير بني إسرائيل إلى ناحية الشرق وفقا للمسار الذي حددناه يجبر فرعون وجنوده الذين هبطوا من الشمال من جهة أواريس التي كانت تقع عند فاقوس المعاصرة شمال بلبيس بحوالي أربعين كيلومترا أن يتوجهوا إلى الشرق بعد وصولهم إلى مستقر بني إسرائيل ومنازلهم ، وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم حيث قال الله تعالى :

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) ﴾

يقول القرطبي في تفسيره : قال أبو عبيدة : معنى فأتبعوهم مشرقين ناحية المشرق . وقرأ الحسن وعمرو بن ميمون : (فاتبعوهم مشرّقين) بالتشديد وألف الوصل، أي نحو المشرق ، مأخوذ من قولهم : شرّق وغرّب إذا سار نحو المشرق والمغرب .

وفي تفسير ابن عاشور: مشرقين حال من الضمير المرفوع يجوز أن يكون معناه قاصدين جهة الشرق يقال : أشرق ، إذا دخل في أرض الشرق.

لكن عند ابن كثير أن المراد من قوله تعالى : "فأتبعوهم مشرقين" أي : وصلوا إليهم عند شروق الشمس ، وهو طلوعها .

والآية تحتمل كلا المعنيين ، فالمسار الذي تحدثنا عنه يؤكد حتمية توجه فرعون وجنوده في اتجاه الشرق حيث اتجه بنو إسرائيل إلى نحو شمال البحيرات المرة الذي يقع في الشرق من أرض جاسان ووادي طميلات ، بينما تصف التوراة أن العبور كان في الصباح وهو ما يعني أن آل فرعون قد تحركوا من مقرهم وقت شروق الشمس ليلحقوا ببني إسرائيل في الصباح بعد طلوع الشمس.

6. الحصار .... وغرق فرعون في الماء العذب! وابتلاعه أوحال البحر وأكذوبة البحر المالح!

قال تعالى :

"فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ" .

شك بنو إسرائيل في أنهم ماضون إلى الهلاك وأن فرعون وجنده سوف يدركونهم لا محالة ، فالبحر من ورائهم والموانع المائية والصحراء من حولهم من جهة الشمال والشرق والجنوب ، أما جهة الغرب فقد سدها عليهم فرعون وجنوده ، وأصبح ظاهر المشهد يؤكد أن بنو إسرائيل قد أصبحوا محاصرين في هذا المكان المحاط بالماء من كل الاتجاهات ولا مفر من مواجهة فرعون وجنوده وهم مسلحون بلا شك وسوف يكون الهلاك من نصيب بني إسرائيل إذا قرر فرعون مهاجمتهم أو في أسلم الأحوال سيعودون أسرى إلى العبودية وحياة الخدمة من جديد .

لكن موسى عليه السلام قد أُخبر من ربه مسبقا أن يخرج ببني إسرائيل من مقرّ إقامتهم بمصر وأنه سيتم شق البحر لهم ليمرّوا عبره ، فليس لديهم جسرا ولا مراكب أو عبّارات لعبور النهر ، وهذا دليل كبير على أن موسى عليه السلام كان يعلم طريقة العبور قبل التحرك.

يقول تعالى : "ولقد أوحينا الى موسي أن أسر بعبادي فأضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشي"

وصل بنو إسرائيل إلى فم الحيروث/ الدفرسوار بمحافظة الإسماعيلية بعد عناء كبير ورحلة طويلة في برية وادي طميلات وبعد العودة من إيثام التي ذهبوا إليها وعادوا دون نتيجة إلا تضليل فرعون، ولما وصلوا إلى فم الحيروث تبدت لهم بعل صفون على الجانب المقابل عبر الماء في بداية صحراء سيناء ، وأصبحوا في مكان متوسط بين مجدل وهي برج مراقبة ضخم كان في محل مدينة الإسماعيلية الحالية أو بالقرب منها، وبين البحر الذي يطلقوا عليه "يم سوف" وهي البحيرة المرة الكبرى ومياهها عذبا لأنها تستقبل ماء النيل الآتي إليها عبر قناة سيزوستريس.

وأما انشقاق اليم فقد كان عند فم الحيروث / الدفرسوار ، فمن الواضح تماما أن الانشقاق قد وقع في النقطة التي يلتقي فيها ماء نهر النيل وتحديدا في الفرع المسمى قناة سيزوستريس وبين مياه البحيرة المرة الكبرى.

ومن الراجح لنا أن النقطة التي عبروا منها كانت خلال القناة الضيقة بعرض مائتين إلى ثلاثمائة متر والتي تصل قناة سيزوستريس بالبحيرة المرة الكبرى ، وقد ذكرت التوراة أن المياه قد انحسرت بسبب "ريح شرقية شديدة كل الليل"[33] وهكذا انغلق البحر أو "البحيرة" حيث أن كلمة"يم" الكنعانية والعبرانية القديمة تعني بحراً أو بحيرة ، وهي تنطبق على الماء المالح والماء العذب على حد سواء ، وقد تراكمت المياه ، وانتصبت المجاري المائية كرابية وتجمدت اللجج في قلب البحر[34] ، وما أن توقفت الريح حتى اندفعت المياه ثانية ، بعد أن كان الماء لبني إسرائيل - في أثناء عبورهم البحر "سوراً لهم عن يمينهم وعن يسارهم "[35] أي أنه كان لهم حائطاً أو سياجاً من الجانبين ، وهو ما يطابق اللفظ القرآني الذي ورد في الآية التي يقول فيها الله عز وجل:

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة الشعراء

ويمكن مشاهدة تأثير الريح على المياه الضحلة عند مصب نهر قيشون بفلسطين القديمة[36] حيث يكون عند هبوب الريح الغربية ضحلاً يمكن اجتيازه بالأقدام، ولكن عندما تسكن الريح تغمره المياه و يتعذر عبوره، وفي 1882 م شاهد سير الكسندر تولوك مياه بحيرة المنزلة و هي تتراجع من ميل بفعل الرياح الشرقية.

---

[33] خروج 14:21

[34] خروج 15:8

[35] خروج 14:22

[36] نهر يسقي مرج ابن عامر / وادي يزرعيل وتجري إليه المياه من جبل طابور وتلال الناصرة وجبل حرمون الصغير وجلبوع وأكثر مياهه من جهة الجنوب. وعلى بعد ثلاثة أميال شرقي حيفا به مياه عيون السعادية التي تنبع من سفح جبل الكرمل الشمالي عند طرف سهل عكا. ونهر قيشون يجري في وسط سهل ابن عامر بمجرى ملتو ومعوج متجهًا إلى الشمال الغربي فيدخل سهل عكا ويصب بقرب حيفا من جهة الشمال. والعرب يسونخ نهر المقطع ويجف هذا النهر في أكثر مجراه مدة الصيف ويبقى القسم الذي في سهل عكا حيث تصب فيه مياه السعادية وتجري هناك وسط أدغال ومستنقعات اشتهرت قديمًا بكونها ملجأ للتمساح.

وهكذا كان جفاف البحر — وفقا لرواية التوراة - ظاهرة طبيعية تماماً، حدثت بفعل الريح كما تقول التوراة وقد أرسلها الله في الوقت المناسب وعبر العبرانيون البحر في الصباح وهو احتمال وارد لكننا لا نعول عليه كثيرا إيمانا منا بوقوع المعجزة بطرق لا تخضع في أحيان كثيرة للتفسيرات العلمية أو الفيزيائية.

وبمجرد انشقاق البحر عند تلك النقطة التي يبلغ عرضها ما بين 200-300 متر وهي المسافة الأكثر واقعية على الإطلاق ، وعبور بني إسرائيل إلى الضفة الشرقية داخل شبه جزيرة سيناء ، فقد قرر فرعون العبور خلف بني إسرائيل لكن البحر انطبق عليه هو وجنوده وقومه أجميعن.

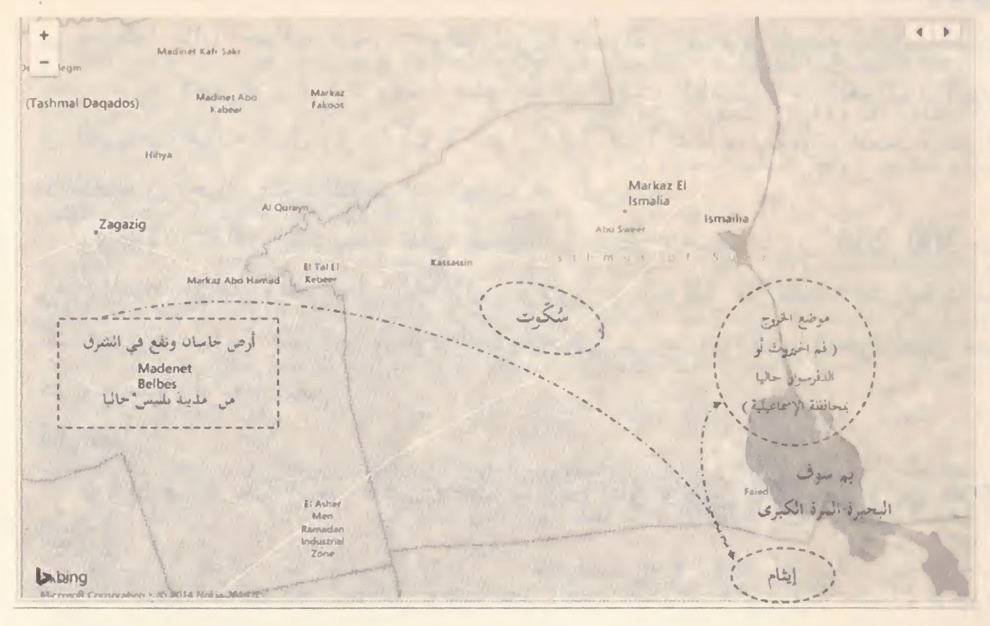
قال تعالى :

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ﴿50 البقرة﴾

وهذا يعني مقدرة بني إسرائيل وقتها بعد العبور مباشرة على رؤية جثمان فرعون الذي قذفه اليم إلى ساحل النهر ، وهذه الآية هي أكبر دليل على أن المسافة بين الضفتين عند الحاجز المائي الذي عبره بنو إسرائيل كانت مسافة صغيرة لا تتجاوز الثلاثمائة متر على أقصى تقدير إن لم يكن أقل من ذلك وهي المسافة بين الشاطئ الشرقي والشاطئ الغربي لنقطة مصب قناة سيزوستريس في البحيرة المرة الكبرى وتلك النقطة كانت مسماة بـــ "فم الحيروث" وقد سبق لنا الحديث عنها في هذا الفصل.



مسار الخروج الحقيقي وفقا لأماكن التوراة وطبقا للإخباريين العرب ووفقا للشواهد الأثرية والجغرافية المسجلة في المراجع المعتمدة



خريطة أخرى تبين مسار الخروج من بلبيس / جاسان مرورا بتل المسخوطة / سكوت ثم قرية عامر التي كانت تسمى إيثام ثم العبور عند الدفرسوار التي كانت تسمى فم الحيروث شمال يم سوف أي البحيرة المرة الكبرى

وقد أكدت التوراة في أكثر من موضع العبور والغرق في "يم سوف" أو "بحر سوف" وقد ورد في النسخ القديمة من سفر الخروج قبل ترجمته وتغيير معنى اللفظ "بحر البوص" أو " Reed sea " وهو بعينه البحيرة المرة الكبرى التي كان مائها من الماء العذب لأنها كانت مصبا طبيعيا في ذلك الوقت لقناة سنوسرت العذبة وهو فرع النيل المسمى بقناة سيزوستريس ، وطبقا لهذا الوصف فإن العبور كان عند المصب المسمى بفم الحيروث/ الدفرسوار وهو مكان التقاء يم سوف / البحيرة المرة الكبرى مع فرع النيل القديم سيزوستريس / ترعة الإسماعيلية في محلها حاليا وهذا المسطح المائي كان مسطحا للمياة العذبة.

تقول التوراة في ذلك :

"مَرْكَبَاتُ فِرْعَوْنَ وَجَيْشُهُ أَلْقَاهُمَا فِي الْبَحْرِ، فَغَرِقَ أَفْضَلُ جُنُودِهِ الْمَرْكَبِيَّةِ فِي بَحْرِ سُوفَ" سفر الخروج 15.

أما النصوص الإسلامية فتتحدث بمنتهى الوضوح على غرق فرعون في الماء العذب الذي يحتوي على الطين وليس الرمال كما هو الحال في البحر المالح ، وهو ما يتضح من خلال الأحاديث والروايات الصحيحة التي نورد بعضها هنا:

– أنَّ جبريلَ عليه السلام جعل يدسُّ في فِي (فم) فرعونَ الطينَ ، خشيةَ أنْ يقولَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ ، فيرحمهُ اللهُ أو خشيةَ أنْ يرحمَه اللهُ.[37]

– قال جبريلُ عليه السلام : لوْ رأيتَني و أنا آخذُ من حَماءِ البحرِ فأدُسُّهُ في في (فم) فِرعونَ ، مَخافةَ أنْ تُدركَهُ الرحمةُ.[38]

– لما أغْرَقَ اللهُ فرعونَ قالَ : آمنتُ أنه لا إلهَ إلَّا الذي آمنتْ به بنو إسرائيلَ ، قال جبريلُ : يا محمدُ ! فلو رأيْتَنِي وأنا آخُذُ من حالِ البحرِ فأدُسُّه في فيه ، مخافَةَ أن تُدْرِكَه الرحمَةُ.[39]

– أنَّ جبريلَ كان يَدُسُّ في فِي فرعونَ الطينَ مَخَافةَ أن يقولَ لا إلهَ إلا اللهُ.[40]

إذن فقد غرق فرعون وجيشه فى أحد الفروع القديمة لنهر النيل[41] ، لكن تم الإيهام على أن العبور والغرق قد تم من البحر الأحمر ، وكانت تلك من جملة الخدع والتزوير الذي صنعه كاتبوا التوراة وعلماء اليهود على حد سواء ، وتكمن الخدعة والتزوير من الصهيونية اليهودية في ادعائهم باكتشاف جيش فرعون فى البحر الاحمر وفقا لما روجوه في إعلامهم وصحافتهم وبما سربوه من أخبار لوكالات أنباء عالمية وهذا التزوير هو خدعة تكميلية لتضليل الناس عن الموقع الحقيقي للعبور وتبديل المواقع الحقيقية التي كان يعيش فيها بنو إسرائيل وآل فرعون وبالتالي تثبيت التهمة على

---

[37] الراوي :عبدالله بن عباس المحدث :الألباني –المصدر :صحيح الترمذي – الصفحة أو الرقم3108 : خلاصة حكم المحدث :إسناده صحيح.

[38] الراوي :عبدالله بن عباس المحدث :الألباني –المصدر :صحيح الجامع – الصفحة أو الرقم4353 : خلاصة حكم المحدث :صحيح.

[39] الراوي :عبدالله بن عباس المحدث :الألباني –المصدر :صحيح الجامع – الصفحة أو الرقم5206 : خلاصة حكم المحدث :صحيح.

[40] الراوي :عبدالله بن عباس المحدث :أحمد شاكر –المصدر :مسند أحمد – الصفحة أو الرقم 5/58 و4/16 ، خلاصة حكم المحدث :إسناده صحيح.

[41] أحد تحليلات الأستاذ الكبير منصور عبد الحكيم.

رمسيس الثاني أو غيره من ملوك مصر القديمة لنفس الأغراض والأهداف التي سنتحدث عنها تفصيليا في الفصل القادم.

والحقيقة أن فرعون وجيشه قد غرقوا في نهر النيل ويؤكد ذلك كل الأحاديث النبوية الصحيحة السابقة التي بلغت التواتر في رواياتها الصحيحة، والتي ورد دلالات بألفاظ مختلفة ومدلول واحد ، فتارة ورد بها أن جبريل عليه السلام كان يدس الطين في فم فرعون حتى يصمت مخافة أن تدركه الرحمة بينما هو على الكفر ، كما وردت بلفظ حال وأوحال وكلها بنفس المعنى وهو الطين الأسود كالحمأ.

وقد أثار بعض الباحثين أحد المسائل في تلك النقطة لكنهم تناولوها بسطحية شديدة ، حيث ادعى هؤلاء أن الغرق وقع في "اليم" ، وأحيانا في "البحر" وقد ورد كلا اللفظين بالقرآن الكريم ، وكان ذلك مبررا لهم في اعتبار أن اليم والبحر يدلان على البحر المالح أو المياة المالحة وهو استدلال خاطيء من كل الوجوه.

فالملاحظ أن كل المفسرين إعتمدوا على كلمتي (البحر واليمّ) اللتان ذكرتا فى إغراق فرعون وقومه على أنهما تعنيان (البحر مالح المياه)، ولذا رأوا أن أقرب بحر هو البحر الأحمر فهو إذا البحر الذي أغرق فيه فرعون ، لكن هناك عدة شواهد تدحض تلك الفكرة وقد تقدم بعضها في الفقرات السابقة.

ونحن إذا رجعنا لمعاجم اللغة العربية بل إذا رجعنا للقرآن الكريم نفسه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نجد أن البحر واليم يدلان على المجرى العذب كالنهر والبحيرة العذبة كما يدلان على المجاري المالحة كالبحار المالحة، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾. 12سورة فاطر

ويقول تعالى :

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ 53 الفرقان

ومن هاتين الآيتين نرى بمنتهى الوضوح وبشكل قاطع أن كلمة "البحر" يمكن أن تطلق على البحر المالح أو النهر العذب وهذا لا شك فيه ولا جدال ، كما أن اليم يحمل نفس المعنى ويمكن إطلاقه على كلا المعنيين أيضا ، يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

ومن الواضح تماما أن كلمة اليم قد استخدمت للدلالة على "الماء" سواء كان ماء البحر المالح أو النهر العذب ، فلا فارق أيضا في استخدام تلك الكلمة في كلا المعنيين.

ومن هنا يتبين لنا أن الاستدلال بأن كلمتي اليم والبحر تعنيان البحر المالح كما فهمها أصحاب نظرية العبور من البحر الأحمر أو من خليج السويس هو استدلال خاطيء يتوافق مع رغبات وأهواء علماء التوراة والباحثين اليهود الذين زوروا كل أحداث تلك القصة وتفاصيلها وأجبرونا نحن المسلمين على تأويل آيات القرآن لتتناسب مع أهوائهم وادعائاتهم وتحقيق أهدافهم من القصة.

7. غرق فرعون وجنوده وأسرته وقومه بالكامل ... وأكذوبة غرق القبط المصريين جميعا !!

قال تعالى :

"وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ" 50 سورة البقرة

وقال تعالى:

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾. 54 سورة الأنفال

وقال تعالى :

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) ﴾

وهذه الآيات تؤكد على غرق "آل فرعون" أو "قوم فرعون" أجميعن ، وهذا يعني أن عائلة فرعون بالكامل بما فيهم إخوته وأعمامه وأخواله وقرابته جميعا كقبيلة وعائلة واحدة قد خرجوا معه عند مطاردة بني إسرائيل، وهو تأكيد على طبيعتهم المحاربة حيث قد وصفهم الله عز وجل بأنهم "جنود" ،يقول تعالى :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) ﴾. سورة البروج

وقد وقفنا على تفسير تلك الآية في الفصل السابق ، وأكدنا على أن تلك الآيات توضح بجلاء الطبيعة العسكرية والحربية لآل فرعون ، وهذا يؤكد على نفس الهوية التي

أعلناها في الفصول السابقة لآل فرعون / قوم فرعون ، حيث أنهم من "العماليق / الهكسوس" ، الذين أوردنا تفسيرا للقبهم بأنهم " الجنود البدو " أو "جنود الصحراء" أو "فرسان البدو" وكلها تفسيرات تؤكد على نفس المعنى الذي ذكره الله عز وجل حيث بين أن كلا من قبيلتي "ثمود" وقبيلة "فرعون" وهم "آل فرعون" وهما قبيلتان محاربتان يتقن أفرادها فنون القتال والفروسية والحرب ويعيشون حياة ذات طابع عسكري ويعظمون الجندية والفروسية واستخدام السلاح.

وقد خرج "عائلة فرعون" أو "آل فرعون" جميعا وعلى رأسهم ملكهم فرعون لمطاردة بني إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام معتبرين هذه المطاردة معركة مصيرية يتحتم عليهم فيها الانتصار ورد "العبيد" إلى خدمتهم مرة أخرى ، وقد أكدت التوراة نفسها على نفس الحقيقة فهذا ما تقررة التوراة أيضاً ، ففى سفر الخروج أن فرعون : " شد مركبته وأخذ قومه معه " [42]

وآيات القرآن الكريم تؤكد بأن هذا الجزاء جاء جزاءا وفاقا لفرعون وقومه بعد أن كذبوا بآيات الله واضطهدوا بني إسرائيل واستعبدوهم وأيدوا فرعون في ظلمه وطغيانه بل وحرضوه بالاستمرار في أفعاله وظلمه وتجبره ، يقول تعالى عن قول ملأ فرعون :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ . سورة الأعراف

وقال تعالى على لسان آل فرعون أيضا حين حرضوا على موسى وهارون عليهما السلام واقترحوا الاستعانة بالسحرة:

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾ سورة الأعراف

وقال تعالى في وصف آل فرعون:

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة الزخرف

---

[42] سفر الخروج 14:6

وهذا يعني أن قوم فرعون كانوا شركاء له في الظلم والجور والطغيان والتجبر بل وتحريضهم له على موسى وقومه وكانوا على توجس وقلق من فقدان ملكهم وخروجهم من أرض مصر وعودتهم مرة أخرى إلى حياة أسلافهم والترحال والتشرد في الأرض بعد معيشة الاستقرار التي ورثوها في مصر عن أسلافهم الهكسوس العماليق الذين احتلوا مصر في جيلهم السابق.

غير أننا نجد المفارقة الكبرى حين يتحدث أحد أنصار النظريات غير المنطقية التي تدعي أن "فرعون" هو أحد ملوك القبط المصريين ، وتكمن هذه المفارقة في عجز هؤلاء المنظّرين في تفسير تلك الآيات التي تؤكد غرق "آل فرعون" أو "قوم فرعون" أجمعين ، لأن هذا الأمر لم يقع للمصريين عبر تاريخهم ، فلا يوجد في تاريخ مصر الكامل من أقدم العصور وصولا لاضمحلال حضارتهم أي ذكر ولا أي تأريخ لملك مصري مات غرقا هو وكل أسرته وعائلته مثلما حدث مع فرعون ملك الهكسوس العماليق وغرق عائلته بالكامل معه في اليم أثناء مطاردتهم لبني إسرائيل.

إن كل النظريات التي تم بنائها على فرضيات ناقصة أو غير منطقية مثل تجاهل حقيقة غرق أسرة ملكية مصرية في اليم بكامل أفرادها وعلى رأسهم الملك هي نظريات لا تستحق المناقشة في الأساس لأنها تجاهلت أهم الحقائق التي ينبغي أن يؤمن بها كل مؤمن بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وحتى لكل من يؤمن بالتوراة نفسها.

فالأمر هنا لا ينحصر في موت الملك فقط في ظروف استثنائية ولكن الأمر يشمل موت عائلة ملكية بكامل أفرادها القادرين على حمل السلاح ومطاردة جماعة هاربة ، وهو الأمر الذي لم يذكر و لم يحدث في كل تاريخ مصر باستثناء أثناء حكم الهكسوس لمصر وقد برهنا على وقوع ذلك في عهدهم في الفصل السابق.

وتحدثنا آيات القرآن أيضا أن فرعون لم يغرق هو وقومه وحده بل معه جنده أجمعين ، وهي نفس الفكرة التي تحدثنا عنها التوراة حيث تروي كيف أن فرعون خرج بالمركبات الحربية في كتائب منتقاة من الجنود وهم أفضل جنوده يومئذ ، يقول تعالى في آيات الكتاب العزيز:

﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾. 40 سورة القصص

ويقول تعالى :

﴿ فَأَخَذْنَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾. 40 سورة الذاريات

إذن فقد كان الحشد الذي حشده فرعون حشدا هائلا حيث خرج هو على رأس جنوده وجيوشه التي ربما كانت من كل القبائل الهكسوسية المتحالفة معه كملك مركزي لمصر ، بالإضافة إلى كل من يستطيع الخروج معه من قومه وأبناء عمومته وقرابته وقد خرجوا جميعا في مطاردة بني إسرائيل الذين مثّل رحيلهم بالنسبة إليهم خسارة فادحة حيث سيفقدون الخدم والعبيد الذين كانوا يمثلون بالنسبة إليهم ثروة بشرية وعمالية كبيرة حيث كانوا يعتمدون عليهم في خدمتهم في بيوتهم وفي بعض الأعمال التي كان يترفع عنها السادة من العماليق من الأسر المالكة والقبائل المتحالفة معهم ، بينما كان بنو إسرائيل كعبيد عندهم يؤدون الوظائف الأدنى ، وجدير بالذكر أن ما ذكر بالتوراة من تسخيرهم في بناء المدن ومبالغة الباحثين اليهود ورجال الدين التلموديين في الادعاء بأن بني إسرائيل قد تم تسخيرهم في بناء الآثار المصرية والمدن الكبرى والمباني الضخمة هو محض افتراء قد سبق لنا أن بيّنّا جانبا منه في الفصل السابق ، إنما كانت وظائفهم التي سخّروا لها أحقر من ذلك وأدنى مرتبة وأهون من أن يقوموا ببناء تلك الحضارات المزعومة التي يدعون أنهم بنوها بأنفسهم.

ومن الراجح أن هامان وزير فرعون قد غرق مع ملكه وجنودهما ، حيث أن العرش لم يجد له وريثا بعد غرق فرعون غير الأمير الهكسوسي أبوفيس / أبيب وهو الذي بدأ الشجار مع ملوك مصر في الجنوب حتى تم طرد الهكسوس بعد سنوات قليلة كما تحكي لنا بردية ساليه وبعض المصادر الأخرى التي طمس جانب كبير منها ، إذن فقد انتهى مُلك الهكسوس بغرق قبيلة فرعون وقبيلة هامان وجيوشهما في البحر ، وتجرأ القبط المصريون بعد تلك الواقعة بمهاجمة الهكسوس والسعي لطردهم خارج حدود المملكة المصرية واستعادة ملكهم المسلوب لفترة ليست وجيزة من الزمان.

وهذا الأمر يدعو فعلا للدهشة ويستوجب لنا أن نسأل : هل يوجد ملك دولة - أي دولة كانت - خاصة لو كانت فى مثل حجم المملكة المصرية الضخمة وقتها إذا خرج للحرب يقرر أن يأخذ قومه معه ؟! ، هل يمكن لملك دولة أن يأخذ شعبه بأكمله ليطارد عدوه وتكون النتيجة غرق الملك وكل جيشه وكل قومه في لحظة داخل ممر ضيق في اليم هكذا ؟ ، أليس من المنطق أن يكون الذي غرق مع قومه

وجنده هو غاز محتل كان يعيش على ساحل (اليم) الذي غرق فيه ، وقومه هم جنوده المحاربونً ، مثله مثل أي غاز رحال سواء كان من الهكسوس أو المغول[43] .

وقد ورد في القرآن الكريم بأنه سبحانه وتعالى قد أغرق آل فرعون جميعا :

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (50) سورة البقرة.

وهذا يعني أن جميع آل أو أسرة فرعون أو عائلته التي لأفرادها الحق في خلافته على عرش مصر قد غرقوا جميعا معه في البحر وكان بنو إسرائيل يقفون على الشاطيء الشرقي لهذا البحر ينظرون إلى غرق أعدائهم حتى تشفى صدورهم وأنفسهم مما تراكم فيها لسنوات عديدة من حقد وكره لفرعون وآله نتيجة لقتل وذبح أولادهم وليعلموا أن الله قد انتقم لهم من عدوهم وأنجاهم بفضله ورحمته منهم وكان من عادة الملوك قديما إذا ما خرجوا في حرب محورية فاصلة بمعنى أنها تهدد ممالكهم بالسقوط وأسراتهم بالفناء يأخذون جميع آلهم معهم فإذا انتصروا وهزموا أعدائهم كتب لهم النجاة جميعا وإذا هُزموا ماتوا جميعا في ساحة الحرب والقتال بدلا من حياة الذل والهوان بجعلهم رقيقا وخدما في قصور أعدائهم.

وعلى ذلك فحينما جاءت الأخبار إلى فرعون بهروب بني إسرائيل وأنهم يتجهون ناحية الشرق أسرع بجمع جنوده وصطحب جميع أفراد أسرته وعائلته ولم يبق منهم أحدا وخرجوا جميعا يقتفون أثر موسى وقومه بغرض تأديبهم وإعادتهم مرة أخرى لخدمتهم.

وقد نزل فرعون ومعه قومه وجنوده أجمعون إلى الطريق المشقوق وسط البحر الذي عبره أكثر بني إسرائيل وبقي منهم عدد قليل قرب شاطئه الشرقي وبعد صعودهم أغرق الله فرعون وجنوده وآله ولم ينج منهم إلا فرعون فقط بجثته حيث لفظها البحر على ساحله الغربي.[44]

---

[43] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

[44] ملوك مصر القديمة – د. محمد راشد حماد – دار الكتاب العربي

نظريات الخروج والرد عليها:

ظهرت عدة نظريات حول رحلة خروج بنى إسرائيل منها تلك النظرية الغريبة التى تقول إن بحيرة المترلة هى "يم سوف" المذكور فى التوراة ونظرية أخرى تشير إلى "بحيرة قارون" بمحافظة الفيوم بوسط مصر وآخرون يرون أن حادث شق اليم حدث فى البحر الأحمر بسبب عمق المياه فيه بشكل كبير للدرجة التي كان يطلق عليه قديما "بحر الموت" وهو فالق أخدودى ضخم ، لكن كل هذه النظريات لم تقدم الأدلة الشافية التي تستطيع أن تثبت صحتها بشكل قاطع.

ونحن حين نقارن بين رواية كل من القرآن الكريم ورواية التوراة نجد أن هناك تفاصيل متشابهة بين الروايتين إلا أن هناك بعض الاختلافات الجوهرية ، فرواية التوراة مثلا - رغم تعرضها لتفاصيل المواقع التي وردت في مسار الخروج - لكنها لم تذكر أى شىء عن التيه الذى حكم به الله على بنى إسرائيل لمخالفتهم شريعته فى حين حددها القرآن الكريم بأربعين عاما حتى بعض علماء اللاهوت الأمريكيين بعض اطلاعهم على تلك المعلومة من المصادر الإسلامية تعجبوا وتسائلوا لماذا لم يخرج بني إسرائيل من سيناء مباشرة إلى أرض فلسطين وكيف أن التوراة لم تذكر شيئا عن فترة التيه مثلما ذكرت في القرآن الكريم ، فصورها التوراة على أنها رحلة طويلة وإقامة مؤقتة في سيناء والأردن خلال تلك السنوات الأربعون.[45]

وفيما يلي استعراض لأشهر تلك النظريات :

- مبالغات عن الخروج ونظريات خيالية

وصلت المبالغات في موضوع خروج بني إسرائيل من مصر لحدود بعيدا إلى حد وضع الافتراضات الخيالية التي لا يمكن تصديقها أو حتى مناقشتها ، لكننا نجمل هنا بعض الأمثلة التي ينظر إليها أصحابها على أنها نظريات وجيهة قابلة للخضوع للنقاش العلمي الجاد ، لكن هذه النظريات المزعومة لا تصمد أمام أول نقاش جاد مستند للأدلة الصحيحة والأصول العلمية والبحثية السليمة.

---

[45] جزء من محاضرة للدكتور علاء شاهين عميد كلية الآثار الأسبق بجامعة القاهرة

وخلال نقاشي مع البعض لفت نظري تبنيهم نظرية غريبة جدا تفترض أن واقعة الخروج قد وقعت عند الحبشة وتحديدا عن مضيق باب المندب ، وأسهب هؤلاء في نظريتهم وأمعنوا في الافتراضات واعدوا لها الخرائط ورسموا عليها مسارا الخروج المزعوم ، لكنهم أغفلوا أنهم قد بنوا كل هذه النظرية العريضة على أساسات خاطئة وافتراضات مضللة لا تستند على الواقع ولا على الأدلة الصحيحة ولا على الشواهد الأثرية أو التاريخية أو حتى الدينية.

وهذه النظرية الغريبة وغيرها من النظريات الشاذة لم تبنى إلا على أفكار أحادية الزاوية ، حيث اعتمدت تلك النظرية مثلا على تشابه في الأسماء التي تقع عند مضيق باب المندب جنوب البحر الأحمر ، كما اعتمدت على ضيق الممر المائي عند المضيق بحيث يمكن تصور العبور على أنه قد جرى عند ذلك الموقع.

وقد أطلق مفترضوا تلك النظرية لخيالهم العنان حين حاولوا مطابقة أسماء لمواقع في جنوب الجزيرة العربية مثل مجدو ، ابو عريش، جبال عسير (سعير!) ، جازان (جاسان!) ، وجبال فاران حيث تتشابه المسميات مع نص التوراة ومن ناحية المسافات والاتجاهات أيضا وفقا لوجهة نظرهم! ، بالإضافة لانتشار بعض الجزر بكثافة على طرفي الضفتين للبحر في جنوب البحر الأحمر ، وهو ما افترضوا عليه سهولة وجود ممر بري قد برز داخل الماء كمعبر لبني إسرائيل عند انحسار البحر، كما أنهم اعتبروا وجود يهود باليمن علامة على وقوع الخروج عند تلك النواحي وهي الافتراضات التي لا ترقى لمستوى الأدلة.



صور بالقمر الصناعي لأسماء مواقع مفترضة عند مضيق باب المندب الذي يربط بين الحبشة وجنوب الجزيرة العربية وتظهر بعض الجزر على الجانبين

إن تلك النظرية قد بالغت في الافتراض بأن الهيمنة المصرية كانت ممتدة حتى الحبشة جنوبا ، كما أنها افترضت أن موقع إقامة بني إسرائيل وآل فرعون كان في الجنوب داخل فجاج القارة الأفريقية عند الحبشة ، كما انها تجاهلت أن الغرق كان في الماء العذب وليس في الماء المالح كما أوضحنا في هذا الفصل ، وغيرها من الافتراضات المركبة والبعيدة كل البعد عن الواقع والنصوص والشواهد والآثار ، فتم بناء النظرية

بالكامل على تلك الافتراضات الواهية التي لا تثبت صحتها والتي هي بعيدة كل البعد عن العقل والمنطق والعلم.

وعلى ذلك نجد العديد من النظريات الاخرى التي افترضت افتراضات واهية وبنت عليها نظريات واستنتاجات معقدة جدا أدت إلى البعد والانحراف عن الحقيقة انحرافات شاسعة وجانبها الصواب بالكلية ومن كل جانب!.

- **نظرية موريس بوكاي عن الخروج:**

من أشهر النظريات التي انتشرت في العصر الحديث نظرية الطبيب الفرنسي الشهير "موريس بوكاي" ، وسوف نفرد لنظريته وكل ما ترتب عليها من استنتاجات وفرضيات بحثا خاصا في الفصل السادس للرد على تلك النظرية الباطلة وبيان للانحرافات الواضحة والصارخة التي وضعها بوكاي بحجة أنه يصدق على كلام القرآن وينسب له الإعجاز متلاعبا بذلك بعقول وقلوب المسلمين الذين صدقه معظمهم للدرجة التي وصلت إلى إطلاق مصلح "البوكايية" هو مصطلح يستخدم بواسطة الأكاديميين للدلالة على حركة المتدينين في ربط العلم الحديث بالدين وخصوصا الإسلام.

وما نريد أن نطرحه هنا في هذا الموضع هو الجزء الخاص بعبور بني إسرائيل عند مطاردة فرعون لهم ، فقد افترض بوكاي مثله في ذلك مثل باقي التوراتيين أن العبور كان في منطقة خليج السويس بالبحر الأحمر خلال المياة المالحة.

وهي نظرية أثبتنا وسنثبت فشلها وزيفها وعدم واقعيتها وسنتحدث في الفقرة التالية عنها بشيء من التفصيل.

- **نظرية عبور خليج السويس (البحر الأحمر):**

تبنى أغلب علماء التاريخ والآثار الغربيين إن لم يكن كلهم التصور بأن بني إسرائيل قد عبروا خليج السويس عند خروجهم من مصر ، وقد بينا كيف أن بحر البوص Reed sea / يم سوف وهو البحيرة المرة الكبرى قد تم تحريفها لتكون البحر الأحمر Red sea عند الترجمة من اللغة الانجليزية وغيرها من اللغات الغربية أو إليها ، ولا يحتاج الأمر إلى كثير من التفكير والاستنتاج لتبين خطأ وسذاجة ذلك التصور ، وعلى رأس الأسباب والانتقادات التي تبين ذلك هو بعد المسافة بين ضفتي خليج السويس

والتي تصل أحيانا إلى 32 كيلومتر ، بالإضافة إلى استحالة عبور قاع البحر الأحمر على الأقدام لليونة قاعه من ناحية ووجود شعاب مرجانية حادة من ناحية أخرى فضلا عن وجود شقوق بركانية فى منتصفه ، أما بالنسبة لخروجهم لمسافة طويلة من مقر سكنهم أو تجمعهم حتى يصلوا لحدود البحر الحمر عند خليج السويس دون أن يعلم فرعون وقومه هروبهم فهو أمر غير وارد ، فإن تسلل بنو إسرائيل خفية فسيعلم قوم فرعون بالتأكيد ويلحقوا بهم قبل وصولهم الى خليج السويس الذي يبعد عدة مئات من الكيلومترات عن مقر بني إسرائيل القديم في بلبيس والذي كانت تسمى بكل التخوم التي حولها في وادي طميلات ب"أرض جاسان".

وقد بينا سابقا أن اليهود يهدفون من وراء تغيير الموقع الحقيقي للعبور ومسار الخروج الصحيح هو إخفاء الموقع الأصلي الذي كان يسكنه بنو إسرائيل وإخفاء الموقع الذي كان يسكنه فرعون وقومه وإعطاء انطباعات ومعلومات غير صحيحة لقراء الكتاب المقدس توحي باختلاف المواقع وبالتالي اختلاف العواصم المحتملة لإقامة آل فرعون وبني إسرائيل ثم وبالتالي أيضا اختلاف جغرافيا المنطقة بالكامل وتحريف المواقع الأصلية مما يترتب عليه حجب حقيقة قوم فرعون وهويتهم لأن الجغرافيا التاريخية الخاطئة ستقود القاريء بشكل حتمي إلى حقبة زمنية مختلفة عن الحقبة التي جرت بها الأحداث.

والجدير بالذكر أن علماء التوراة قد اختلفوا اختلافا بينا في موضع العبور، لكن تتلخص نظرية أغلب التوراتيين في أن العبور كان عبر البحر الأحمر وتحديدا في خليج السويس ، وأن المعجزات التي جرت على يد موسى تمت في صوعن أي تأنيس / صان الحجر (مز 78: 12) .

وكانت أرض رعمسيس في شرق الدلتا تقع بداخلها عاصمة الهكسوس ، ووفقا للتوراتيين فقد ارتحل منها بنو إسرائيل إلى "سكوت" وهي تل المسخوطة في وادي طميلات، وتبعد حوالي 40 كيلومتر جنوب شرق تانيس و11 ميلًا غرب الإسماعيلية ، فهم من وجهة نظر التوراة لم يتخذوا أقصر الطرق إلى فلسطين، بل رحلوا عن طريق البرية بالقرب من البحر الأحمر ، وضربوا خيامهم لأول مرة بعد مغادرة سكوت في "ايثام" ، ويظهر هذا الموقع على أنه كان طرف البرية عند حافة الصحراء كما سبق وأن أوضحنا ذلك باستفاضة ، ومن هناك رجعوا وضربوا خيامهم أمام فم الحيروت

بين مجدل والبحر أمام بعل صفون ، وطبقا لتفسيرات اليهود فإن بني إسرائيل من هناك عبروا البحر الأحمر (بحر سوف) إلى برية شور (خر 15: 4 و22) . ثم ساروا بمحاذاة البحر الحمر إلى جبل سيناء (خر 16: 1) . ويذهب كثيرون من العلماء إلى أن الخليج كان ممتدًا في أيام موسى إلى منطقة البحيرات المرة على هيئة مستنقع. من مدينة الإسماعيلية الحديثة. ويقول آخرون أنه كان بالقرب من مدينة السويس. ويرى بعضهم أنّ في اسم "جبل عتاقة" بالقرب من السويس إشارة إلى عبور البحر والعتق من العبودية.

وطالعنا التليفزيون الصهيوني ذات يوم من خلال القناة العاشرة الإسرائيلية أنه تم العثور علي بقايا حيش "فرعون" المصري في البحر الأحمر!!! مما قد جذب انتباهنا لمعرفة باقي ذلك الخبر لعله يحمل في تفاصيله الجديد من الأخبار والمعلومات ولعله كشفا مثيرا يستحق الاهتمام.

لكن وبعد أن أوضحت القناة أن طاقمًا من علماء الآثار المصريين الذي يعملون تحت البحر اكتشفوا ما تبقى من الجيش المصري الكبير في عهد الملك إخناتون بالقرن 14 قبل الميلاد ، علمت وقتها فورا بزيف الخبر وأنه من المستحيل أن يكون الكشف صحيحا خاصة أن وزارة الآثار المصرية لم تعلن شيئا عن ذلك وخاصة أيضا أن الحديث عن الملك إخناتون ما هو إلا إعادة لنظرية سيجموند فرويد عالم النفس اليهودي الشهير الذي ادعى أن إخناتون هو موسى عليه السلام.

وادعت القناة أن بقايا جيش فرعون تم إيجادها في القسم الأسفل من خليج السويس على بُعد 1.5 كيلو متر من الشاطئ من مدينة رأس غارب أثناء التفتيش عن سفن غارقة أثرية ترتبط بالعهد الحجري والبرونزي في منطقة البحر الأحمر حيث تم اكتشاف كتلة كبيرة جدًّا من العظام والجماجم الإنسانية!!!

وأضافت القناة أن طاقم الآثار المصري بقيادة البروفيسور محمد عبد القادر من كلية الآثار في جامعة القاهرة عثر على أكثر من 400 هيكل عظمي مختلف ومئات قطع الأسلحة والدروع وبقايا مركبتين حربيتين منتشرة على مساحة 200 متر مربع.

كما ادعت القناة أن فريق العمل يعتقد أن هناك أكثر من 5000 هيكل عظمى أخرى منتشرة في مساحة أوسع في نفس المكان، مما يدل على أن جيشًا كبيرًا جدًا قد دُمّر في هذه المنطقة.

ولعل رواية اكتشاف جنود فرعون ليست سوى محض خيال وإغراق في الكذب من القناة الصهيونية ، إذ أن ملوحة مياه البحر عبر آلاف السنين لا تبقي أية آثار وهياكل عظمية ، وهذه حقيقة علمية لا لبس فيها وفق المتخصصين.

ولا يخفى على عاقل أن ظهور مثل تلك الادعاءات والنظريات الكاذبة والكشوف الوهمية من وقت لآخر هو من باب ذر الرماد في العيون والتضليل وإخفاء الحقائق بشكل مستمر لصرف النظر وتشتيت الانتباه عن القصة الحقيقية التي تختلف في تفاصيلها ومضمونها عن تلك القصص المزيفة.





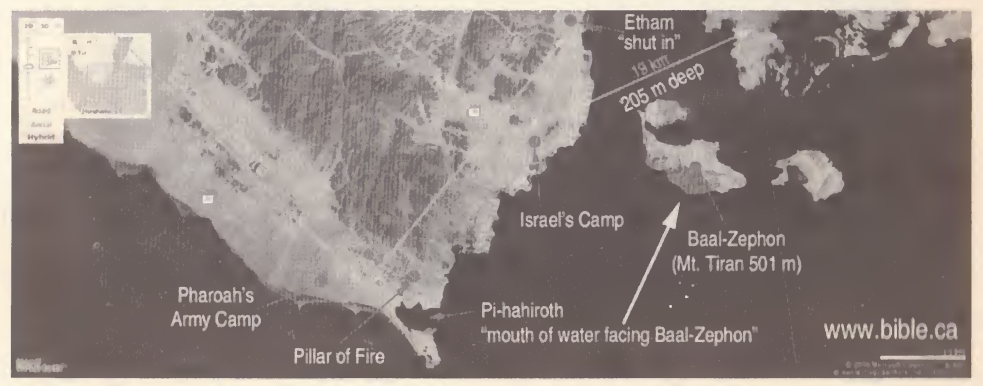
أحد النظريات الخاطئة تعين موقع العبور عند طرف خليج السويس وتعين رعمسيس عند صان الحجر كمقر لحكم فرعون

– نظرية عبور خليج العقبة (نظرية رون وايات):

وثمة نظرية أخرى أثارها العلماء التوراتيون وعلماء الكتاب المقدس عن العبور من خليج العقبة (البحر الأحمر) ، وتقول النظرية أن المقصود بالبحر الأحمر هو " خليج العقبة" ولكن يكاد معظم الكتَّاب والباحثين الناهبين يجمعون على رفض هذه النظرية، لأن المسافة من مصر إلى أيلة (إيلات حالياً) على خليج العقبة تبلغ نحو ما يزيد عن 300 كم ، ولم يكن في استطاعة بني إسرائيل أن يقطعوا هذه المسافة على أربع مراحل، وبخاصة أن الطريق تخلو من موارد الماء في فصل الربيع.

وهذا هو أكبر الاعتراضات على تلك النظرية غير أن هناك الكثير من النقائض الأخرى التي نستطيع أن نوجهها إلى تلك النظرية الضعيفة من حيث خطأ تعيين مكان أرض جاسان وكل المواقع الأخرى التي وردت في مسار الخروج ك"سكوت" و"مجدل" و"بعل صفون" و"جبل سيناء" الذي افترضت النظرية وقوعه في الأردن وليس في سيناء!!

إلى جانب الكثير من التناقضات التي لسنا في حاجة للخوض فيها منعا للمزيد من الإسهاب والإطالة.

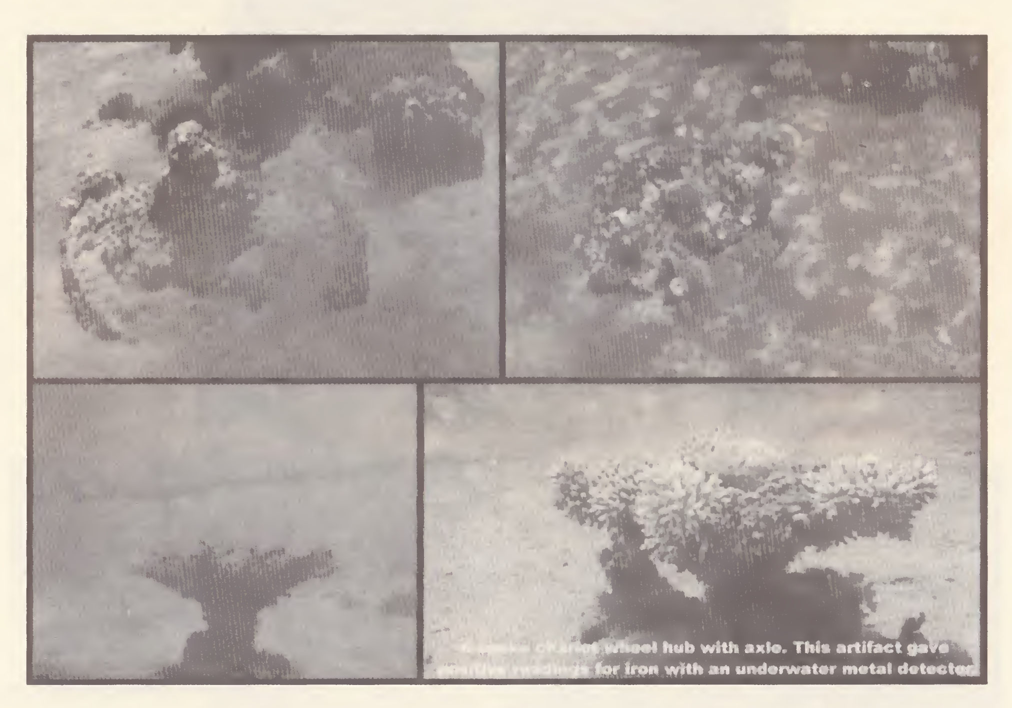


خريطة توضح نظرية رون وايات التي تفترض أن العبور قد وقع عند خليج العقبة

ثم يقدم لنا رون وايت بعض المفاجآت المزعومة التي يدعي عثوره عليها بالغطس في هذه المنطقه تحديدا حيث زعم أنه وجد هو ومساعديه ادله كثيره جدا علي العبور ،

وعين جميع الأماكن التوراتية في أماكن أخرى غريبة في خليج العقبة لم يسبقه أحد في تعيينها واعتبارها مواقع العبور ومسار الخروج.

ومن الأدلة الملفتة للنظر التي قدمها رون وايت صور التقطها تحت الماء أثناء الغوص في خليج العقبة لما يظن أنه أحد العجلات الحربية لمركبات لفرعون وجنوده ويظهر بعضها كأنه محطم وبعضها كامل بالاضافه الي وجود بعضهم بالمفصل العمودي الذي يربطهم ، وهو خيال من رون وايت صاحب تلك النظرية الشاذة ، حيث أن ما يزعم أنه عجلات للمركبات الحربية لا يعدو على كونه مجرد شعاب مرجانية قد تكون متجمعة حول جسم اسطواني سقط من سفينة أو تحت أي ظرف من الظروف ولا يرقى لاعتباره دليلا على واقعة تاريخية كالتي نتحدث عنها.

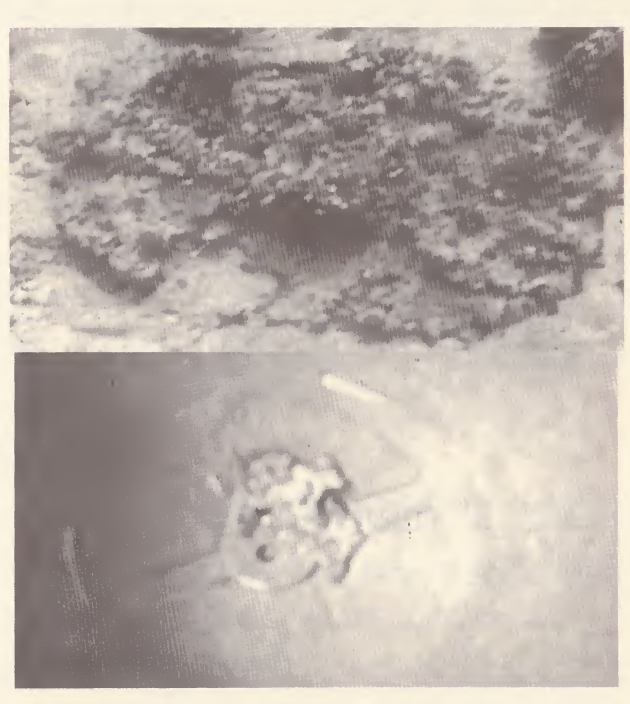




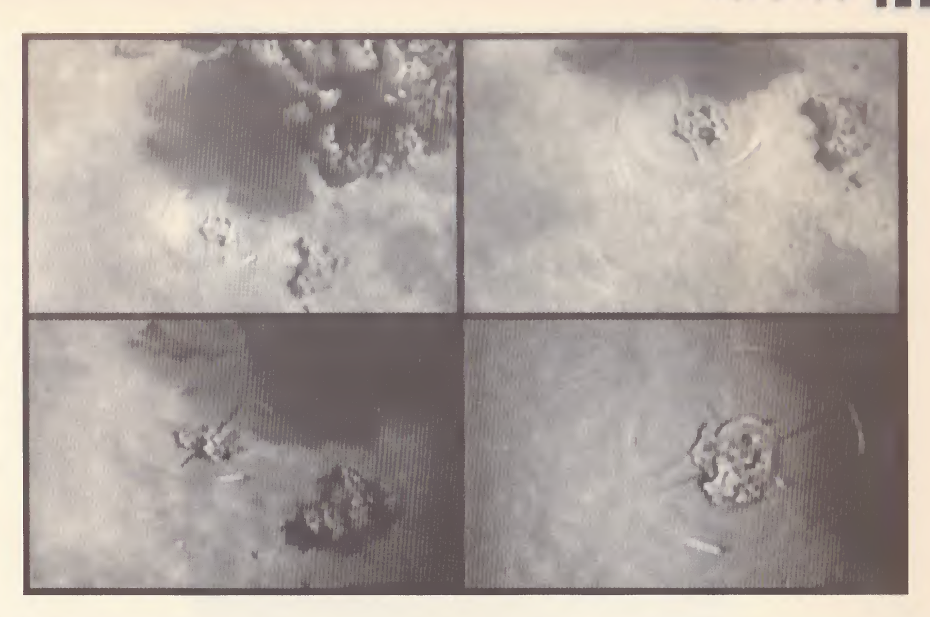


الصور التى نشرها أصحاب النظرية





الصور التى نشرها أصحاب النظرية



بعض الصور التي يظهر فيها أشكال لشعاب مرجانية تم تصويرها تحت خليج العقبة بواسطة رون وايات صاحب نظرية العبور عند هذا الخليج ويظهر فيها علامات التعديل ببرامج الجرافيك لتبدو على هيئة عجلات للمركبات الحربية التي من المفترض أن تكون قد غرقت في ذلك المكان وفقا لزعم النظرية

والصور السابقة جميعها تبين بوضوح لمسات برامج الجرافيك والتدخل باستخدام الكمبيوتر لتضفي عليها نوعا من الخيال كمحاولة إثبات أن تلك الصور الملتقطة تحت البحر تخص الجيش الغارق من آلاف السنين وهي نظرية في مجملها ساذجة لا تستحق بذلك الكثير من الجهد للرد عليها.

- نظرية عبور بحيرة المنزلة

أما الرأي الذي قال به " بروجش (BRUGSH) "من أن البحرِ الذي عبره بنو إسرائيل كان بحيرة بالقرب من البلوزيوم أي الفرع البيلوزي القديم الذي كان يمر بالقرب من بورسعيد حتى يصب في خليج الطينة عند بالوظة حاليا في شمال سيناء، فلم يؤيده أحد لأنه يتعارض تماماً مع ما هو مدون في العهد القديم من " أن بني إسرائيل لم يتبعوا الطريق الساحلي الى فلسطين، بل ساروا في برية البحر الأحمر وهو أيضا ما

يتعارض مع المنطق السليم وكل المصادر الدينية والتاريخية التي تحدثت عن الخروج ومساره.



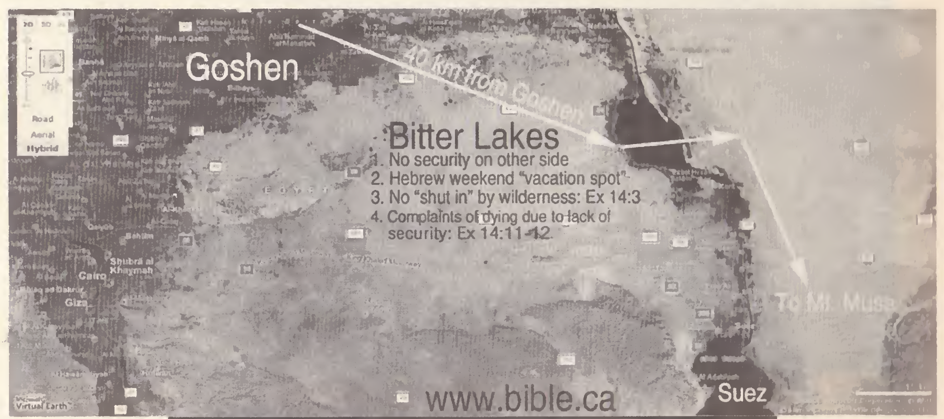
Figure 1. Map of Sinai (created by Jessica T. Hoffmeier)
Ancient Israel in Sinai, by James K. Hoffmeier, Oxford Press, 2005

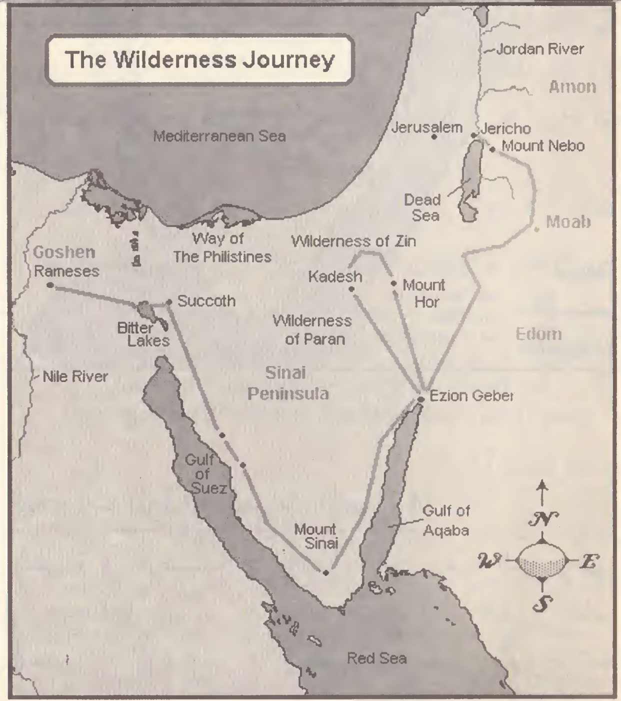
– نظرية عبور البحيرات المرة أو الممرات المتصلة بها

تقترب تلك النظرية في فرضيتها من النظرية التي ذهبنا إليها رغم أن الفارق بينها وبين نظريتنا التي رجحناها هو أن أصحابها افترضوا أن العبور كان في الممر الضيق الذي يقع تحت البحيرات المرة وهو ما يتطلب في مسار الخروج تعديلا كبيرا يحتاج عددا أكثر من الأيام ليتمكن فيه بنو إسرائيل من قطع كل تلك المسافة الشاسعة التي تحتاج إلى جهد أكبر بكثير من المسار المباشر الذي شرحناه تفصيليا بالخرائط ،

بالإضافة أنه يغفل تعيين موقع برّية إيثام ولا يفسر وجودها في كلا الجانبين وكيف أنهم وصلوا لتلك البرّية بعد مسيرة ثلاث أيام بعد العبور في الجانب الآخر !

وقد ذهب إلى هذا الرأي فيما يتعلق بطريق العبور كلا من د.روبنسون، د.نافيل، سير وارين، سير داوسون و آخرون ممن زاروا المنطقة.





خرائط مختلفة المصادر توضح مسار الخروج وعبور الماء فوق البحيرات المرة

– نظرية عبور بحيرة قارون!

وتطالعنا أيضا نظرية غريبة جدا تعتمد على دراسة جيولوجية ويؤكد أصحابها عبور موسى عليه السلام ببحيرة قارون ، وتفترض تلك النظرية أن سيدنا موسى عليه السلام أثناء خروجه من مصر هرباً من فرعون وجنوده عَبَر بحيرة قارون بالفيوم وليس البحر كما يعتقد الكثيرون حيث تعد البحيرة جزءاً من "بحر يوسف" الذى تمت ترجمته إلى "بحر" وأخطأت الترجمة إلى البحر الأحمر مما تسبب فى تغيير الكثير من الحقائق وفقا لتلك النظرية الخارجة عن المألوف ، وأوضحت الدراسة التى قام بها الدكتور مراد الدش أستاذ الجيولوجيات بجامعة عين شمس أن الفيوم كانت بمثابة الخزان الذى أنقذ مصر فى فترات جفاف النيل حيث كانت البحيرة تمتلىء بالمياه عند إرتفاع منسوب النيل فى الفياضانات وتظل المياه مخزونة فى برك ومستنقعات مما يؤكد ان الفترات التى انتقل فيها الحكم إلى الفيوم كانت فترات المجاعات.

كما أوضحت الدراسة أن منخفض الفيوم يقع تحت سطح البحر ويتكون من حجارة جيرية هشة تعرضت للتآكل السطحى والتآكل العميق خاصة مع دخول المياه إلى المنخفض فى عصر سنوسرت الثانى والتى ساعدت على تكوين فجوات تحت الأرض كما ثبت وجود قوالف قديمة عمودية على ساحل البحيرة.

وزعمت الدراسة إلى أن يعقوب عليه السلام دخل مصر أثناء حكم سنوسرت الثانى وأن يوسف عليه السلام عاصر حكم هذا الملك كما عاصر حكم أمنمحات الثالث من بعده وقام بشق قناة فم الهوارة لتخزين المياه فى منخفض الفيوم كما قام ببناء مبنى عظيم يتكون من 1600 حجرة يقع إلى الجنوب ، من هرم هوارة وقد أجمع الرحالة الاغريق والرومان الذين زاروا هذا المبنى أنه كان أروع بناء على الارض وكان يعرف باللابرنت أى "قصر التيه" وكان المبنى يتكون من عدة قصور يبلغ عددها مقدار عدد الاقاليم المصرية القديمة وتدعي تلك النظرية أن هذا المبنى قد استخدمه يوسف عليه السلام فى توزيع الحبوب والغلال على اقاليم مصر وقت المجاعة التى مرت بها مصر خلال السبع سنوات العجاف.

ووفقا لتلك النظرية فقد أصبحت منطقة الفيوم صمام الحياة لمصر بعد شق قناة فم الهوراة سبع سنوات الخير التى أعقبتها سنوات الجفاف حيث توافد الناس من كل مكان طلباً للحبوب والغلال.

وزعمت الدراسة أن يوسف عليه السلام اسكن اخوته فى الفيوم على حدود الصحراء حيث كانوا رعاة للغنم وقد ساعدوه فى حفظ خزائن مصر كما تفترض تلك النظرية أن بني إسرائيل فى عهد أمنمحات الثالث سهلوا الامر لدخول العمالة الاسيوية لانجاز بعض المشروعات الكبيرة.

كما تزعم تلك النظرية أن سيطرة بنى إسرائيل على الاقتصاد المصرى أعطاهم الفرصة لمساعدة الهكسوس على دخول مصر والسيطرة على البلاد لما يربطهم من علاقات القرابة حيث يرى بعض المؤرخين أن فلسطين هى الموطن الاصلى للهكسوس وقد نزحوا منها الى مصر حيث استوطنوا فى منطقة شرق الدلتا بينما سيطر اليهود على الجزء الشمالى من البلاد وخاصة فى المجال الاقتصادى.

ثم جاء أحمس الذى نجح فى طرد الهكسوس من مصر بعد ان استولى على عاصمتهم "اواريس" بشرق الدلتا كما استولى على حصن شاروهين الذى تحصنوا فيه بجنوب فلسطين واستمر فى مطاردتهم حتى وصل الى سوريا.

ووفقا لتلك النظرية الغريبة فإن أحمس الأول ملك القبط المصريين لم يكتف بمطاردة الهكسوس بل قام باضطهاد اليهود خوفا من تكرار ما حدث.

وزعمت الدراسة كذلك ان أبناء يوسف عليه السلام تولوا إدارة خزائن مصر من بعده واقاموا بنفس المنطقة فأطلق عليها بنى يوسف كما أطلق على البحيرة التى كانوا يقيمون بجوارها "بحر يوسف" ثم اصبح يطلق عليها بحيرة قارون .

كما ان بنى اسرائيل قطنوا فى نفس المنطقة وانتشروا فى منخفض الفيوم على اطراف الصحراء بالقرب من بحر يوسف حيث ولد موسى عليه السلام وألقته امه فى النهر ليسير إلى قصر سنوسرت الملكى حيث التقطه آل فرعون وقامت زوجة فرعون بتربيته.

وترى الدراسة أن تاريخ هروب موسى يتطابق مع تاريخ وفاة تحتمس الثانى الغامضة والذى كان يضطهد اليهود وفى نزاع بينهما وكزه موسى فقضى عليه و لم يعرف احد بالامر وفى نزاع اخر بين موسى وأحد العبرانيين أذاع العبرانى أن موسى يحاول قتله كما قتل المصرى فخشى موسى من اكتشاف أمره وقرر الهرب من مصر خوفاً من بطش فرعون به.

وتستمر تلك الدراسة في تلك الفرضيات الغريبة فتزعم ان موسى عليه السلام أثناء خروجه من مصر سلك طريق برية بحر يوسف ثم توجه بين مجدل والبحر حيث وقف بنو اسرائيل امام البحر حتى لحقهم فرعون وجنوده.

وهذا أحدث خسف بالبحيرة نتج عنه مجموعة من القوالف العمودية – وفقا لتلك النظرية – التى تمثل الاثنى عشر طريقاً التى عبر منها موسى وقومه وعندما حاول فرعون اللحاق بهم عادت المياه الى طبيعتها ففرق فرعون وجنوده كما ادى الخسف الذى حدث بالمنطقة إلى القضاء على قارون الذى رفض الخروج حرصاً على أمواله وكنوزه.

وتزعم تلك الدراسة أيضا ان طبيعة الارض مع وجود جزيرة القرن الذهبى بمدينة الفيوم المصرية تعد دليلاً على صوت القوالف بهذه المنطقة مما يدل على ان موسى عليه السلام اثناء خروجه من مصر هرباً من فرعون وجنوده عبر بحيرة قارون بالفيوم وليس البحر الاحمر كما يعتقد الكثيرون.

ووفقا لتلك الفرضية فقد ارتحل موسى فى طريق الصحراء الشرقية حتى وصل الى البحيرات المرة حيث سلك طرقاً غير مأهولة خوفاً من ملاحقة المصريين واستمر فى السير و لم يأخذ الطريق مباشرة إلى فلسطين ولكن إلى طريق مدين فسار جنوباً حتى منطقة عيون موسى فى سيناء ثم اتجه الى منطقة شرم الشيخ ومنها الى مدين.

كما تؤكد الدراسة تزامن للقضاء على فرعون وجنوده مع القضاء على قارون الذى عاش على ضفاف البحيرة – وفقا لزعم الدراسة – وكان يصنع التماثيل من الذهب بقصر الصاغة حيث مر بهم موسى عليه السلام واتباعه اثناء الخروج من مصر.

ونحن لن نتصدى للرد على كل فرضيات تلك النظرية فالخطأ والوهم فيها أكبر من أن نستفيض في نقده وبيان خطأ ، غير أننا سنتناول بعض النقاط البسيطة التي تهدم تلك الفرضيات من القواعد ، فلا أدل على خطأ الفرضية وتوهم واضع تلك الدراسة من أن المسافة بين مدينة الفيوم المصرية التي يزعم الباحث خروج بني إسرائيل وموسى عليه السلام منها متجها إلى سيناء تصل إلى ما يقرب من ثلاثمائة كيلومتر !!!

ولنا أن نتخيل بني إسرائيل الذين خرجوا بكامل عددهم ومعهم أطفالهم ونساؤهم وشيوخهم ومتاعهم ومواشيهم وأغنامهم متجهين من محافظة الفيوم المصرية إلى سيناء ليقطعوا ما يربو على 300 كم في رحلة خروجهم من مصر.

وهو الأمر الذي يجعلنا أن نرفض تلك النظرية بالكلية قبل أن نخوض في أي تفاصيل أو نناقش أي فرضيات إضافية ، فضلا عن كل ما تجاهلته تلك النظرية التي وضعت بنظرة أحادية من كل الآثار والدلائل التي عثر عليها في محافظة الشرقية التي تقع في الشمال الشرقي من دلتا النيل والتي هي الأقرب لمدخل مصر الشرقي ومحط رحال كل من وفد إلى مصر من جهة فلسطين وهو الأمر المنطقي الذي يجعلنا لا نستطيع التخلي عن قناعتنا بأن بني إسرائيل قد عاشوا في شرق الدلتا بمحافظة الشرقية المعاصرة وليس في أي مكان آخر.

أما كل الدراسات الجيولوجية والفرضيات العلمية التي افترضها واضع تلك النظرية فلا دليل قاطع عليها يؤكد أو ينفي وقوع تلك الأحداث بمحافظة الفيوم تحديدا ، فمنطقة الفيوم وبحيرة قارون — التي ليس بالضرورة لها علاقة بقارون فهي مجرد تسمية شعبية — من المعروف عنها انها منطقة منخفضات وتصدعات جيولوجية منذ قديم الأزل وحتى من قبل عصر موسى وفرعون.

أما الأخطاء الكبرى التي وقع فيها صاحب تلك النظرية هو افتراض أن كلا من قصر التيه " اللابرانت" وقصر الصاغة يخصّان فترة يوسف وموسى عليهما السلام ، بينما المعروف والثابت تاريخيا وأثريا أن معبد " اللابرانت" أو "قصر التيه" كما سماه الإغريق، شيده الملك " أمنمحات الثالث" في القرن التاسع عشر قبل الميلاد — أي قبل عصر يوسف وموسى بحوالي ثلاثة إلى أربعة قرون كاملة - في هوارة قرب محافظة الفيوم بمصر وقد سمى قصر التيه بهذا الاسم لأنه متعدد الحجرات والطرقات والممرات.

أما قصر الصاغة فقد تم وضعه في عصر بعيد نسبيا منذ عهد الأسرة الخامسة وأضاف عليه الملك أمنمحات الثالث من عصر الدولة الوسطى إضافات وإنشاءات أخرى ، حيث حول المنطقة إلى مدينة وشيد بها معبد الإله سوبك وأطلق عليها اسم (شيدت) ثم سميت (أرسينوى) تكريما لزوجته.

وبذلك يتضح مدى السطحية التي اتسمت بها تلك النظرية التي اعتمدت فقط على بعض الشواهد الجيولوجية وشيء من الخيال لتصور أحداث الخروج قد وقعت في مدينة الفيوم بدلا من شرق الدلتا فخرجت عن السياق وذهبت بعيدا جدا عن أي تصور مقبول.

أسباب خطأ نظريات الخروج:

– الخطأ في تعيين مكان إقامة بني إسرائيل

تسير أغلب النظريات خلف الفرضيات التي وضعها علماء التوراة وحاخامات اليهود حيث أصروا على تعيين أرض جاسان بالقرب من تانيس / صان الحجر في الجزء الشمالي من شرق الدلتا بمحافظة الشرقية ، وفي تعيين ذلك خطأ تاريخي وجغرافي كبير ، حيث أنه رغم أن موقع تانيس لا يبعد كثيرا عن موقع بلبيس الحالية مقر بني إسرائيل قديما إلا أن المسافة بينهما تصل إلى حوالي خمسين كيلومترا بل وتزيد عن ذلك.

ويترتب عن الخطأ في تعيين المواقع أخطاءاً أخرى لاحقة حيث يختلف كل شيء عن الأحداث الحقيقية التي وقعت على أرض الواقع ، حيث ينتج عن ذلك خطأ في تعيين محل الإقامة الحقيقي وخطأ في تعيين توقيت الأحداث وخطأ في تعيين الحقبة التاريخية من أسرة حاكمة استقرت في ذلك المكان لأخرى استقرت في مكان آخر وتختلف الأمور اختلافا كليا عن الواقع.

وكما رأينا في كل النظريات الخاطئة التي تناولت موضوع الخروج أن الخطأ في تعيين موقع إقامة بني إسرائيل قد ترتب عليه خطأ في تعيين مسار الخروج وبالتالي تم افتراض وقوع الأحداث في عصر حكام آخرين وتغيير تاريخ الوقائع بأكملها.

لذلك فأي خطأ في تعيين موقع إقامة بني إسرائيل يؤدي إلى أخطاء كبرى في تفاصيل التاريخ والانحراف عن الأحداث الحقيقية التي وقعت في الماضي.

– الخطأ في تعيين مكان إقامة آل فرعون

تحدثت التوراة عن صُوعَن كمقر لفرعون وقومه ، وهي مدينة مصرية على الضفة الشرقية من الدلتا وعلى فرع النيل الطافي ، وقد بنيت بعد حبرون بسبع سنين وفقا للتوراة وكانت هذه الأيام في أيام إبراهيم (سفر العدد 13: 22).

وقد وجدت صوعن على الأقل منذ عهد الأسرة السادسة وجعلها أول ملوك الأسرة الثانية عشرة عاصمتهم ليراقبوا الهجمات الشرقية عليهم. حصّنها الملوك الرعاة

واحتفظوا بها بالقرب من عاصمتهم "أفاريس/أواريس"، ولما كانت صوعن في عصرهم تابعة للعاصمة فقد عرفت فيما بعد بتانيس- المقر القديم للإله المصري ست ، ويقال أن الرعامسة وهم المصريون من الأسرة التاسعة عشرة الحاكمة في الدولة الحديثة قد انتسبوا إلى ملوك الهكسوس العماليق الذين سماهم يوسفوس بالملوك الرعاة ، ويبدو أن جد رعمسيس الثاني منحدر من عائلة من تانيس قد تعود بأصلها إلى الهكسوس لأن اسمه كان سيتوس / سيتي (سوتا).

وفي عهد سيتي الأول أقيم للإله ست هيكل جديد وسعه رعمسيس الثاني الذي جعل إقامته بجوار بي رعمسيسي أي مدينة رعمسيس (خر 1: 11). وكانت صوعن المدينة التي تمت فيها المفاوضات بين موسى وفرعون وفقا للتوراة (مز 78: 12 و43) ، وكانت لا تزال مدينة هامة في أيام اشعياء وحزقيال أيضًا (اش 19: 11 و43- راجع 30: 4 وحز 30: 14). وقد احتلها الآشوريون بين أيام اشعياء وحزقيال. وقد عرف اليونانيون المدينة باسم تانيس وبقيت حتى اليوم وأسمها صان الحجر. وإن حجر تانيس الشهير بال "400 سنة" والذي أقيم بُعيد تولي رعمسيس الحكم في السنة الـــ 1320ق.م. يؤرخ لنا تأسيس المدينة أو حدثًا هامًّا في أول تاريخ الهكسوس وقد أظهر التنقيب هناك هيكلًا بناه رعمسيس الثاني حول المدينة مبنية من اللبن ويُعتقد التوراتيون أنّ بني إسرائيل قد عملوا في بناءها وهو الأمر الذي أثبتنا زيفه في الفصل السابق ونفينا مسألة تسخير بني إسرائيل في البناء كما ادعت التوارة ، وقد وجدت بها أيضًا مقبرة سوسنير الذي يرجح أن ابنته تزوجت سليمان عليه السلام.

إن تعيين عاصمة فرعون على أنها تانيس/ صوعن / صان الحجر / برعمسيس التي لا تبعد كثيرا عن أواريس / تل الضبعة وكلاهما بمحافظة الشرقية كان على رأس الأسباب جعل جميع الباحثين يعتقدون أن فرعون هو رمسيس الثاني أو ابنه مرنبتاح وهما من أسرة الرعامسة التي قامت ببناء مدينة برعمسيس في نفس موقع مدينة تانيس القديمة ، وبالتالي فإن ذكر التوراة لمدينة رعمسيس وأرض رعمسيس بمسماها المستخدم في أيام الرعامسة في الدولة الحديثة جعل الجميع يجمعون أن فرعون يجب أن يكون رمسيس أو ابنه مرنبتاح وهو خطأ فادح قمنا ببيانه وسنقوم ببيانه أكثر في الفصل القادم.

– تجاهل وجود قناة سيزوستريس (قناة سنوسرت الثالث) والحواجز المائية

إن أي سيناريو مفترَض يتجاهل وجود تلك القناة هو سيناريو غير منطقي وغير واقعي ويهدم النظرية بالكامل بل وينسفها من القواعد، ومسار الخروج كان من منطقة إقامتهم عند بلبيس بمحافظة الشرقية حتى نقطة التقاء تلك القناة بالبحيرات المرة وهو المسار المنطقي الوحيد والأقرب للعقل كذلك، ورحلة الخروج بالكامل حتى عبورهم كانت جنوب تلك القناة والمسماة بسيزوستريس أو قناة سنوسرت.

لكنا نرى على الجانب الآخر أن كل النظريات التي حاولت رسم مسار الخروج كما وقع في العصور القديمة تجاهلت وجود تلك القناة، وبالتالي فقد كان المشهد ينقصه أحد الحواجز المائية الهامة جدا والضرورية لتكتمل الصورة، وبالتالي جاءت فرضياتهم ناقصة وغير منطقية ، وتم رسم مسارات كثيرة على الخريطة تخترق المكان المفترض لقناة سيزوستريس وكأن موقعها خاليا من أي حواجز مائية وبالتالي اعتبار موقعها كأرض فراغ يسهل اختراقها دون عبور الحاجز المائي، وبالتالي فإن هذا التجاهل يعد خطئا جغرافيا وتاريخيا ومنطقيا ولا يمكن قبول أي نظرية لم تضع في اعتبارها وجود تلك القناة في هذا المكان الحيوي..

وعلى غرار نفس المبدأ فإن تجاهل وجود الفروع القديمة لنهر النيل – كالفرع البيلوزي والفرع التانيسي والفرع البوبسطي – والتي كانت تجري في تلك العصور حيث وصلت الفروع إلى سبعة أفرع تتشعب من المجرى الرئيسي لنهر النيل وتصب في مصبات مختلفة في البحر المتوسط وشمال سيناء والبحيرات المرة ، وتجاهل وجود تلك الفروع يجعل من أية فرضية نظرية ناقصة ومبتورة التفاصيل وبالتالي يسهل هدم كل ما ترتب عليها من نتائج.

– تجاهل جغرافيا المنطقة التي جرت فيها الأحداث

وكما تطرقنا في هذا الفصل إلى مسألة جغرافيا أحداث الخروج وركزنا على كل الشواهد والدلائل الأثرية والنصوص الدينية التي ذكرت المواقع المتعلقة بأحداث الخروج ، فمن نافلة القول أن نذكر بأن أية نظرية لا يتم فيها دراسة جغرافيا المنطقة التي وقعت فيها أحداث الخروج فهي نظرية ناقصة لا تستحق الكثير من النقد أو المناقشة ، لأنها تبقى دون دراسة الجغرافيا التاريخية لمسرح الأحداث نظرية خيالية لا

تستند إلى الواقع ولا تعبر عنه ، وقد رأينا كيف شطح الكثير من الباحثين بخيالهم في نظرياتهم الخيالية والوهمية بسبب أنهم تجاهلوا الجغرافيا التاريخية لمنطقة الأحداث ، للحد الذي وصل ببعضهم إلى اقتراح أماكن ومواقع بعيدة كل البعد ولا تمت للواقع بأي صلة كانت ، كالذي اقترح وقوع أحداث الخروج في الحبشة جنوب البحر الأحمر ، والذي اقترح وقوع أحداث الخروج في مدينة الفيوم بوسط القطر المصري ، وغيرها من النظريات الخيالية التي افترضت افتراضات وهمية أقل ما يقال عنها أنها خيالية تم بنائها على صروح من الخيال ، وتم رسمها في ظروف لم تحدث في الواقع ولا علاقة لها بالحقيقة من قريب أو من بعيد وليس لها مكان إلا في خيال أصحابها.

ويضاف إلى ما سبق أيضا أن الخطأ في معرفة جغرافيا منطقة الأحداث تجعل من الشطط والبعد عن الواقعية أمرا حتميا من جهة أخرى ، فهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير بسبب جهله أو تجاهله لتلك الجغرافيا التاريخية ، فرأينا من ادعى أن الأحداث لم تقع بالمملكة المصرية القديمة الواقعة شمال وادي النيل ، وفي المقابل افترضوا وقوع الأحداث في مواقع مختلفة تماما عن وادي النيل كنظرية الدكتور كمال الصليبي الذي افترض وقوع الأحداث في جنوب الجزيرة العربية ، وافترض أن "مصر" المذكورة بالقرآن الكريم هي بلدة تقع في اليمن ولا تمت لوادي النيل بأي صلة ، وسار على تلك النظرية الكثير من الباحثين المعاصرين والمؤيدين لتلك النظرية ، وبالطبع فإن تلك الفرضيات المستحيلة لم تكن لتظهر لولا تجاهل واضعها للجغرافيا الحقيقية للأحداث وعجزه عن تحقيق تلك المواقع والتعرف عليها.

– الافتراض الخاطيء بغرق فرعون في الماء المالح

وقد سبق لنا إيراد الأحاديث الصحيحة التي تتحدث عن غرق فرعون في البحر العذب الذي يحتوي على الأوحال والطين ، وطالما افترض التوراتيون ومن أيد تفسيراتهم أن الغرق قد تم في البحر الأحمر أو خليج السويس بسبب الافتراض المبدأي بأن الماء الذي غرق فيه فرعون وجنوده كان في الماء المالح.

إن غرق فرعون في البحر العذب يحصر موقع الغرق في أماكن محدودة كالبحيرة المرة الكبرى التي كانت معروفة باسم يم سوف أو أحد أفرع النيل القديمة ، وذلك عكس ما يعتقده التوراتيون ومن يتبنى فكرهم ، فاعتقادهم بغرق فرعون في الماء المالح

جعلهم يعتقدون أن الواقعة حدثت في البحر الأحمر أو خليج السويس أو باب المندب في الحبشة بل وصل الخيال ببعضهم أن اعتقدوا بوقوع الغرق في بحيرة المنزلة !

أما موريس بوكاي – الذي سنتناول نظريته في الفصل القادم – فقد تخطى الحدود في الكذب وخداع قراءه للدرجة التي ادعى فيها أن فرعون هو بعينه رمسيس الثاني بسبب وجود آثار الملح على سطح جلد المومياء ، وهو الافتراض الساذج والمخادع في ذات الوقت ، فافتراض أنه قد غرق في الماء المالح هو افتراض خرافي لا صحة له كما برهنا ، أما آثار الملح الذي ادعى موريس بوكاي وجودها على مومياء الملك رمسيس فهو مجرد ادعاء مثير للسخرية حين نعلم أن أي مومياء مصرية حين تحنيطها يجب أن تدفن بالكامل في الملح لمدة أربعين يوما كاملة وبالتالي يصبح وجود آثار الملح على سطح الجلد ظاهرة أساسية وحتمية كذلك.

وهكذا فإن غياب أحد العناصر الهامة التي ذكرناها عن أي نظرية يجعلها نظرية عقيمة عديمة النفع تفتقر للصحة والمنطق.

– المبالغة في عرض المانع المائي

قال تعالى : " وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ "

وتلك الكلمات القليلة دليل ساطع على قصر المسافة بين الضفتين ، حيث عبر بنو إسرائيل إلى الضفة الأخرى وفي نفس الوقت استطاعوا بسهولة رؤية فرعون وقومه وهم يغرقون بل استطاعوا رؤية جسد فرعون بعد أن لفظه البحر على الجانب الآخر، وهذا يعني بوضوح أن المسافة بين الساحلين قريبة، أي يستطيع بنو إسرائيل رؤية فرعون وقومه وهم يغرقون، وليست كالمسافة بين الساحلين المتقابلين لخليج السويس التي تصل في بعض المواضع إلى ثلاثين أو أربعين كيلومتر وهي مسافة يستحيل معها أن يرى الناظر من أحد الضفاف رؤية أي شيء على الضفة المقابلة وقد تقدم الحديث عن ذلك في هذا الفصل عند الحديث عن مسار الخروج المرجح.

- **عدم تحقيق ومقارنة الأماكن الواردة في مسار الخروج تحقيقا تاريخيا وجغرافيا دقيقا:**

سبق لنا حين استعرضنا محطات ومواقع مسار الخروج في هذا الفصل أن قمنا بتحقيق أهم تلك المواقع تحقيقا تاريخيا وجغرافيا دقيقا واستعنا في ذلك بجميع المراجع المعتبرة والمعتمدة بواسطة الجهات الرسمية في جمهورية مصر العربية منذ توقيتات بعيدة بالإضافة لكل المؤلفات التاريخية التي تناولت جغرافيا مصر في عصور مختلفة من تاريخها وهي مصادر ثرية جدا بتفاصيل لا يمكن الاستغناء عنها في تحقيق هذا البحث وتحديدا في تحقيق تلك الجزئية إلا أن السواد الأعظم من الباحثين الذين تناولوا هذا الأمر قد أغفلوا أو أهملوا هذا المنهج و لم يلتفتوا إلى تلك المصادر الضرورية جدا في تحقيق تلك المسائل وبالتالي لم يصلوا إلى النتائج المرجوة في الموضوع لاسيما في جزئية خروج بني إسرائيل من مصر ومساره المرجح ومحطاته ومواقعه بأسمائها القديمة والحديثة.

توقيت الخروج يتزامن مع عيد الفصح ومشروعية صيام عاشوراء عند المسلمين:

يحتفل اليهود في كل عام بـــ"عيد الفصح Passover " أو "بيساح פסח" ويعني "العبور" أو "الاجتياز" وقد كان الفصح في باديء الأمر احتفالاً أُسرِيًّاً ثم غدا عيدا دينياً ، فقد كان اليهود يحتفلون ليلة الخامس عشر من شهر أبيب بعيد الفصح فيقدمون فيه حملاً للرب لم يبلغ السنة ، ولا يكسرون عظامه ، ثم يأخذون من دمه ويجعلونه على مدخل كلّ دارٍ من دورهم وقاية لها من الهلاك بزعمهم، ويأكلون لحمه مشوياً في الليلة نفسها.

وعندما أمرهم موسى عليه السلام ، فيما بعد ، بالخروج من مصر ، وأهلك الله فرعون وجنوده ، أصبح هذا العيد قوميًّا مقدساً لأن موسى عليه السلام عندما أمرهم بالخروج لم يُمْهِلهم حتى يختمر عجينهم ، فأكلوا خبزهم فطيراً مع اللحم ، وهم بذلك فرحون.

وكان اليهود يحتفلون في الوقت نفسه أي من 15 حتى 21 أبيب (شهر نيسان اليهودي) بعيد الفطير ، ثم دُمج في عيد الفصح.

وفي العهد القديم صورةٌ حيَّةٌ عن الاحتفال النموذجي اليهودي بعيد الفصح الذي أقامه لهم نبيُّهم "يشوع"، ويعد هذا العيد من أهم أعيادهم ، ويسمُّون الحمل الذي يقدم فيه حمل "باسكال"، والبدر الكامل الذي يظهر ليلة الفصح بدر باسكال.

أما في الإسلام فنجد الرواية التي أصلها في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

"قدم النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المدينةَ فوجد اليهودَ يصومونَ يومَ عاشوراءَ فقال : ما هذا فقالوا : هذا يومٌ عظيمٌ يومٌ نجَّى اللهُ موسى وأغرق آلَ فرعونَ فصامَهُ موسى شكرًا قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : فإني أَوْلَى بموسى وأحقُّ بصيامِهِ فصامَهُ وأمر بصيامِهِ"[46]

وادعى بعض المشككين التناقض بين توقيت العيد عند اليهود وبين رواية الإسلام عن موعد عيد الفصح ، رغم أننا بالتحقيق في الأمر علمنا أن عيد الفصح اليهودي يحل عادة في منتصف شهر نيسان اليهودي، أي عند اكتمال القمر الأول بعد الاعتدال الربيعي (20 أو 21 مارس) ولكن في بعض الأحيان يحل في نهاية أبريل عند اكتمال القمر الثاني بعد الاعتدال الربيعي، لأن حساب التلاؤم بين السنة القمرية والشمسية ليس دقيقا بشكل تام ، وبالتالي يتغير توقيت ذلك العيد من عام لآخر حسب توقيتات اكتمال القمر.

وإذا افترضنا حلول ذلك العيد عند خروج بنو إسرائيل من مصر وقتها في شهر نيسان اليهودي فإنهم

ووفقًا للمعتقدات اليهودية، فقد تمّ شق البحر والقضاء على فرعون وجنوده في اليوم السابع من عيد الفصح ، ورغم أنه يُحتفل في هذا العيد بخروج بني إسرائيل من مصر.

أما يوم الغفران أو كيبور ، فهو عيد آخر يصوم فيه اليهود يوم 10 (تشري) وهو اليوم العاشر من الشهر العبري (تشري) في السنة العبرية وبحسب التراث الحاخامي، فإن يوم الغفران هو اليوم الذي نزل فيه موسى من سيناء، للمرة الثانية، ومعه ألواح الشريعة، وهو يوم غفران خطيئتهم في عبادة العجل الذهبي ، وعيد يوم الغفران هو

[46] صحيح كما في مسند أحمد وهو عند البخاري وغيره بألفاظ مقاربة.

العيد الذي يطلب فيه الشعب ككل الغفران من الإله، وهذا اليوم الوحيد في السنة الذي يصومه اليهود.

وإذا راجعنا المناسبات الدينية لليهود وأيام الصوم والأعياد سنرى أن اليهود لا يصومون بالطبع العاشر من محرّم ولا يعرفونه، بل هم يصومون العاشر من أول شهور السنة اليهودية، أي 10 تشري أي عيد كيبور .. هذا هو عاشوراء اليهود .. وهو أحد أهم الشعائر الدينية لديهم ويسمى يوم كيبور أويوم الغفران .. وفيه يبدأ الصوم قبيل غروب شمس يوم 9 تشري، ويستمر إلى مابعد غروب شمس اليوم التالي، أي أنه يستغرق حوالي 27 ساعة يجب فيها الصيام ليلا ونهارا، وعدم الإشتغال بأي شيء خلا العبادة .. فهو يوم في السنة لحساب النفس والندم على ما بدر من المؤمن من الخطايا، والتكفير عنها ليس بالصوم فقط، بل بالذبائح والصلوات والأموال وردّ المظالم إلى أهلها وطلب الصفح من المعتدى عليهم وفقا للشريعة اليهودية.

يقول الدكتور عبدالوهاب المسيري يشرح مزيدا من التفاصيل عن يوم كيبور أو عاشوراء اليهود:

أهم أيام الصيام هو صوم يوم الغفران في العاشر من تشري، وهو الصوم الوحيد الذي ورد في أسفار موسى الخمسة حيث جاء فيها "وتذللون أنفسكم" (سفراللاويين 27/23)، فأخذت هذه العبارة على أنها إشارة إلى الصوم ، ويوم الغفران هو ترجمة للاسم العبري "يوم كيبور" وكلمة "كيبور" من أصل بابلي ومعناها "يطهر" والترجمة الحرفية للعبارة العبرية هي "يوم الكفارة".

وأضاف التراث الحاخامي جانب الحزن والندم والحداد على ذلك اليوم إذ قرر الحاخامات أن يوم التكفير هو اليوم الذي سمع فيه يعقوب عن موت ابنه يوسف ، ولذا يجب أن يشعر اليهود بالحزن طيلة ذلك اليوم ، ويجب التضحية بكبش ذكر ليتذكر اليهودي الكبش الذكر الذي ذبحه إخوة يوسف وبللوا قميصه بدمه.

ويُطلَق على حرب أكتوبر حرب يوم الغفران لأن عبور القوات العربية وإلحاقها الهزيمة بالقوات الإسرائيلية تم في ذلك اليوم من عام 5733 حسب التقويم اليهودي.

وقد أصبح يوم كيبور أكبر أيام الحداد لأنه صادف أن دخل نبوخذ نصر أورشليم بجيوشه الظافرة في مثل هذا اليوم (586 ق .م) وأشعل النيران فيها .. فهي ذكرى مؤلمة .. كما أن يوم كيبور هو نفس التوقيت الذي اختارته مصر وسوريا للهجوم على إسرائيل وبدء حرب 6 أكتوبر 1973م .

لكن ما دفع الباحثين لاعتبار يوم عاشوراء اليهودي الذي وجد النبي صلى الله عليه وسلم اليهود يصومونه حين قدم إلى المدينة على أنه يوم عيد الغفران / كيبور وليس يوم عيد الفصح اليهودي هو أن يوم نجاة موسى وخروجه من مصر يقع في شهر نيسان اليهودي وليس تشري، وهو ليس يوما واحدا بل أسبوع كامل ، وهم لايصومون فيه — أي نيسان - بل هو عيد ويأكلون فيه الفطير غير المختمر، وهو المعروف عند اليهود ب " عيد الفصح " الذي سبق ذكره أو عيد الفطير أكبر الأعياد اليهودية وبه تبدأ سنتهم الدينية .

واعتمادا على ما سبق فقد ظن بعض الباحثين أن بعض أصحاب الروايات التي تحدثت عن يوم عاشوراء على أنه اليوم الذي انتصر فيه موسى ومن معه على فرعون وقومه قد جانبهم الدقة حيث ظنوا أن ذلك اليوم الذي يصومه اليهود هو يوم نجاة موسى وقومه وظنوا أنهم يصومونه شكراً لله أو قد يكون الادعاء جاء من جهة اليهود الذين ادعوا بأنه يوم غرق فرعون ، أو قد يكون الأمر سوء فهم نتج عن ذكر اليهود لانتصار موسى على فرعون ، فالانتصار وقع في مناسبتين إحداهما حين انتصر موسى عليه السلام على السحرة وبالتالي فقد نصره الله عز وجل على فرعون وهذا ما يعرف باسم يوم الزينة وقد تقدم ذكره في الفصل السابق ، أما الانتصار النهائي الأكبر فقد وقع عند الخروج من مصر حين عبر موسى بقومه وغرق فرعون وقومه وهو ما يحتفل به اليهود فيما يسمى بعيد الفصح لمدة سبعة أيام وهي المدة التي قطعها بنو إسرائيل ما بين الإذن بالخروج من مصر وحتى عبورهم البحر.

وبالنظر إلى الأمر من كل الجهات نجد أن اليوم الذي وجد النبي صلى الله عليه وسلم اليهود يصومونه في المدينة حين قدم عليها بعد حجة الوداع يتصف ببعض الصفات منها أنه يوم صوم عند اليهود وأنه في اليوم العاشر من الشهر القمري وأنه يوم انتصار لموسى وقومه على فرعون وقومه وأنه يوم غفران يغفر الله فيه الذنوب وهذه الفكرة الأخيرة بالتحديد موجودة في اليهودية وفي الإسلام أيضا فهو إذن يوم كفارة للذنوب والخطايا ، وكل هذه المواصفات جعلت الباحثين يعتقدون بأن هذا العيد اليهودي هو عيد الغفران / كيبور وليس عيد الفصح اليهودي لأن عيد الغفران تنطبق عليه تلك المواصفات فهو يقع في اليوم العاشر من الشهر القمري وفي الشهر اليهودي الأول "تشري" ، كما أنه يوم صوم عند اليهود بخلاف عيد الفصح فإنه عيد أكل

وشرب واحتفال عند اليهود ، كما أن يوم كيبور رغم أنه قد تم تعيينه على أنه اليوم الذي غفر الله لبني إسرائيل فيه وقوعهم في عبادة العجل إلا أن بعض علماء التلمود يرجحون أيضا أنه يتوافق مع اليوم الذي نصر الله فيه موسى عليه السلام على فرعون حين هزم السحرة وليس اليوم الذي انتصر عليه انتصاره الأخير حين غرق فرعون وقومه.

إن الأمر لا يعدو كونه ينحصر في أحد الاحتمالات التالية :

- بما أن عبور موسى عليه السلام بقومه كان في الحادي والعشرين من نيسان، وهو اليوم السابع بعد فصح اليهود ، فإن ابن عبّاس لم ينقل إلا مارآه وسمعه من بعض اليهود ، ولاشكّ في قلّة معرفتهم ، وغاية ماينتج من ذلك أنهم كانوا يجهلون سبب فرض الصيام في هذا اليوم، أي العاشر من تشري فالاحتمال الراجح أنهم خلطوا بين انتصار موسى في موقعة السحرة وبين انتصاره على فرعون في موقعة العبور حين غرق فرعون في البحر.
- كما أن بعض الباحثين زاد على ماسبق أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خالف اليهود كما هو المتبع دائما في مخالفة سنة اليهود والنصارى وبدلا من أن يصوم اليوم العاشر من الشهر الأول في السنة اليهودية فقد أمر المسلمين فيما بعد هذه الواقعة أن يصوموا اليوم العاشر من أول شهر في السنة الهجرية.

وبذلك فقد خالف عاشوراء الإسلامي يوم عاشوراء اليهودي في الشهر القمري.

- يقول الباحث الفلكي الكويتي الدكتور / صالح العجيري إن العديد من العلماء أكدوا له أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم دخل المدينة لم يكن اليهود يصومون عاشوراء في نفس اليوم انما بعد مرور عدة شهور وجدهم يصومونه وليس بالضرورة أنهم كانوا صائمين حتما يوم دخوله المدنية.
- ربّما صامه النبي أول الأمر وأمر بصيامه، ولكن بعد أن فُرِض صيام رمضان في السنة الثانية للهجرة تركه كما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة .. وأهل السنة والحديث يقولون ترك وجوبه وبقي على الإستحباب والتخيير .. وهذا يذكّرنا بتغيير قبلة الصلاة، فقد توجّه النبي والمسلمون حينا من الدهر إلى بيت المقدس وهي قبلة اليهود، وبعد أن جاء الأمر الإلهي تحوّل إلى استقبال الكعبة..

- روى الطبراني في المعجم الكبير عن خارجة بن زيد عن أبيه أنه قال : "ليس يوم عاشوراء الذي يقول الناس، إنما كان يوم تُستَر فيه الكعبة، وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله، وكان يدور في السنة، وكان الناس يأتون فلاناً اليهودي فيسألونه فلما مات اليهودي أتوا زيد بن ثابت فسألوه".
- وبسبب هذه الحقيقية وبعد تمحيص وتدبر فقد يحتمل أن المسلمين زمن الهجرة صاموا عاشوراء اليهود وفقا للتوقيتات اليهودية ثم فيما بعد خالفوهم وتركوا صوم اليوم العاشر من اول شهر في سنة اليهود ونقلوه الى اليوم العاشر من الشهر الاول في سنة المسلمين.
- أما الحقيقة التي لا تخفى على من له أدنى بصيرة ، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم نبي يوحى إليه، لا ينطق عن الهوى ومؤيد بالوحي من السماء ولا يقر على الخطأ لو فرض حدوثه، فإذا صام يوم عاشوراء على اعتبار أنه اليوم الذي نجى الله فيه موسى علمنا يقينا أن الله نجى موسى في ذلك اليوم ، وإذا ثبت هذا فإننا نصوم هذا اليوم لأن الله جعل المعتمد في مواقيت الناس هو الهلال لا ما يحسب به اليهود والنصارى قال تعالى :﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ سورة البقرة : 189 ، وقال تعالى عن القمر :﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾. يونس:5 ، فإذا خرج أهل الكتاب عما سنه الله لعباده وجعله ميزانا للمواقيت لهم فإن هذا لا يغير من حقيقة الأمر شيئا ، ويكونون بذلك قد غيروا اليوم الذي نجى الله فيه موسى حين حسبوه بالأشهر الشمسية، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد رد الأمر إلى نصابه واعتد بما جعله الله ميقاتا لحساب الناس.
- والراجح في الأمر أن النبي صلى الله عليه وسلم صام عاشوراء أول هجرته إلى المدينة ولم يعزم وقتها على صيام التاسع معه، وظل يصوم العاشر وحده إلى ما قبل وفاته بسنة لّما ذكره الصحابة بأن اليهود يعظمونه وقد علموا من سنته أنه يحب مخالفتهم بعدما كان في أول البعثة يوافقهم أخبرهم عندها أنه سيصوم التاسع معه ومات قبل مجيء التاسع من السنة التالية ، فأي تعارض في هذا ؟!! وليس في هذا أنه كان لا يعلم تعظيم اليهود له وإنما نزل التشريع بمخالفتهم في تلك السنة.
- قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قَدْ كَانَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ فِيمَا يُخَالِف فِيهِ أَهْل الْأَوْثَان ،

فَلَمَّا فُتِحَتْ مَكَّة وَاشْتُهِرَ أَمْر الْإِسْلَام أَحَبَّ مُخَالَفَةَ أَهْلِ الْكِتَاب أَيْضًا كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح ، فَهَذَا مِنْ ذَلِكَ ، فَوَافَقَهُمْ أَوَّلًا وَقَالَ : نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ ، ثُمَّ أَحَبَّ مُخَالَفَتهمْ فَأَمَرَ بِأَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ يَوْمٌ قَبْله وَيَوْمٌ بَعْدَهُ خِلَافًا لَهُمْ. اهـــ .

- وكان يوم عاشوراء يصام قبل الإسلام من قبل قريش ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم صامه قبل البعثة وكذلك بعدها من حديث عائشة رضي الله عنها وغيرها وانه لو كان بدعة ابتدعتها قريش لنهى الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن صيامه ولكن لفضل هذا اليوم فإن الله لم ينهى نبيه عن صيامه بل أمر النبي صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام بصيامه قبل الهجرة أو بعدها كما ذكرت أمنّا عائشة رضي الله عنها وان فرضه سقط بفرض صيام رمضان في شعبان السنة الثانية للهجرة وبقى صيامه كسُنّة من شاء فليصمه ومن شاء فلا ، فعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: " كان عاشوراء يصام قبل رمضان، فلما نزل رمضان كان من شاء صام، ومن شاء أفطر"

وفي رواية: "كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه، وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه"[47]

وفي رواية لمسلم: "إن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم صامه، والمسلمون قبل أن يفرض رمضان، فلما افترض، قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : " إن عاشوراء يوم من أيامِ الله، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه، وفي رواية له أيضاً: "فمن أحب منكم أن يصومه فليصمه، ومن كره فليدعه"[48]

- وعلى ذلك فإن قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ورؤية اليهود يصومون عاشوراء واحتفالهم به كما جاء في الأحاديث السابقة إلى المدينة كان أثناء قدومه

---

[47] أخرجه البخاري (244/4) ، ومسلم (1125) ، وأبو داود (326/2) (ح2442)، والترمذي (118/2)، ومالك في "الموطأ" (299/1) ، وأحمد (29/6، 50، 162) ، وابن خزيمة (2080)

[48] أخرجه البخاري (102/4، 244) ، و(177/8) ، ومسلم (1126) ، وأبو داود (326/2) ، وابن ماجه (553/1) ، والدارمي (448/1) ، وابن حبان (386/8) ، ، والبيهقي (290/4).

بعد حجة الوداع مباشرة قبيل وفاته صلى الله عليه وسلم فعندما أتى ورأى اليهود يصومونه أمر بصيامه والأمر هنا هو التشديد بصيامه بعد أن أُهمَل بفرض صيام رمضان في شعبان السنة الثانية للهجرة .

قال المازري" ومختصر ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يصومه كما تصومه قريش في مكة، ثم قَدِم المدينة فَوَجَد اليهود يصومونه فَصامه.أيضا بِوَحي ، أو تواتر ، أواجتهاد ، لا بمجرد أخبار آحادهم . والله أعلم".

- والمؤكد أن أن هذا اليوم كان بعد حجة الوداع قبل وفاته صلى الله عليه وسلم .
- كذلك من الأدلة التي تؤكد أن الحديث المشار إليه سابقاً حول قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليس عند الهجرة أو بعدها بعام وإنما بعد حجة الوداع هو أن راوي الحديث هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكما هو معلوم فإن ابن عباس رضي الله عنه ولد قبل هجرة الرسول إلى المدينة بثلاث سنوات أي كان عمره في السنة الأولى من الهجرة 4 سنوات وفي السنة الثانية 5 سنوات ولا يعقل لعاقل أن ابن 5 سنوات يروي حديثا بينما كان عمره رضي الله عنه بعد حجة الوداع 14 سنة.
- إن التقويم اليهودي (العبري) كان إلى نهاية القرن الرابع الميلادي مثله مثل التقويم الهجري الإسلامي تقويم قمري بحت يعتمد على رؤية الهلال وما يؤكد كلامنا ما يقوله الكاتب اليهودي روبن فايرستون في كتابه ذرية إبراهيم" فصل: مقدمة عن اليهودية للمسلمين:
- يحتسب التقويم اليهودي كالتقويم الإسلامي ، فكان قديما مبنيا على دورة القمر وكل شهر يبدأ وينتهي بظهور الهلال الجديد ، ويتم تحديد الهلال الجديد في العصور القديمة بناء على شهادة المراقبين في القدس ، وكان المبعوثين في العصور القديمة يرسلون إلى كل التجمعات اليهودية في أرض بني إسرائيل لإعلان بداية الشهر الجديد عندما كان يتم تحديد رؤية الهلال بشهادة المراقبين فيمدينة بيت المقدس ، لكن فيما بعد، أصبح الرسل يتأخرون في الوصول إلى التجمعات اليهودية التي بدأت تستقر خارج أرض إسرائيل، وأصبحت المسافات بينها وبين بيت المقدس كبيرة، وكان الخوف أن يبدأ يهود الشتات الشهر الجديد متأخرين، وكنتيجة لهذا فقد كانوا يحتفلون ببعض الأعياد في غير موعدها. وهكذا أصبحت

العادة في الشتات أن تستمر الاحتفالات لمدة يومين لضمان أن أحدهما هو اليوم الدقيق المطلوب في التوراة. أما في إسرائيل، فإن الاحتفال بالأعياد نفسها يستمر يوما واحدا فقط لأن كل التجمعات تعتبر قريبة من القدس بما فيه الكفاية لاستقبال الرسل في الوقت المناسب. ما تزال عادة الاحتفال بالأعياد لمدة يومين قائمة خارج أرض إسرائيل حتى يومنا هذا بالرغم من أن البداية الدقيقة لتاريخ الهلال الجديد (وبالتالي للأعياد) تحدد عن طريق الحسابات الرياضية.

وخلاصة البحث في هذا الأمر والراجح عندنا ما يلي :

- الحديث مقسم إلى جزئين ، الجزء الأول يقص عن القدوم الأول للنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وقت الهجرة ، وقد صادف ذلك التقويم التالي :

يوم الإثنين الموافق :

8 ربيع الأول سنة 1 هجرية

10 تشري سنة 4383 عبري معاصر

20 سبتمبر سنة 622 جولياني / يولياني

23 سبتمبر سنة 622 غريغوري / ميلادية

ولذلك وجد اليهود يصومونه وقد كذبوا على المسلمين وأشاعوا أنه اليوم الذي نجى فيه الله عزو وجل موسى ومن معه وأغرق فرعون وقومه ، بينما هو يوم الغفران الذي يصومون فيه لينالوا الغفران بزعمهم من عبادة العجل ، فأمر صلى الله عليه وسلم بصيامه لأن المسلمين أولى بموسى عليه السلام من اليهود ، لكنه صلى الله عليه وسلم — وهو الموحى إليه من الله عز وجل والذي لا ينطق عن الهوى — قرر أن يخالفهم في أمرين :

الأمر الأول : هو أنه رد اليوم إلى أصله وجعله في ميقاته الصحيح وهو العاشر من محرم لأن انتصار موسى عليه السلام إما أن يكون قد وافق ذلك اليوم وليس كما جعله اليهود في العاشر من شهر تشري العبري الذي وافق ربيع الأول عند هجرته إلى المدينة وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم بكذبهم فقام بتعديل اليوم وكذلك الشهر .

وإما أنه قد قام النبي بتغييره ليكون في الشهر الأول من السنة الهجرية الإسلامية بدلا من نظيره في السنة اليهودية ، وهو أيضا من باب مخالفتهم في الشهر كما خالفهم

في اليوم ، ومخالفتهم واجب في شريعة الإسلام كما هو معلوم ، وبالتالي فإن العاشر من محرم أصبح عاشوراء الإسلامي بدلا من عاشوراء اليهودي.

وقد علمنا أن أي من شهر تشري اليهودي الذي فيه يوم الغفران / كيبور أو حتى شهر نيسان اليهودي الذي يقع فيه عيد الفصح اليهودي لم يتوافقا في أي سنة من السنوات العشر التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة مع شهر محرّم الإسلامي ولم يتوافق يوم العاشر منه أبدا ولا في أي سنة من سنوات ما بعد الهجرة مع أي من أعياد اليهود أو أيامهم المقدسة لا في شهر تشري وهو شهر يوم الغفران/كيبور ولا في شهر نيسان أي شهر عيد الفصح اليهودي ، وبالتالي زاد لدينا اليقين بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد حوّل وجهة الصيام من الشهر اليهودي إلى الشهر الإسلامي لمخالفة اليهود أو لرد ذكرى انتصار موسى إلى أصلها الحقيقي.

والأمر الثاني : أنه صلى الله عليه وسلم قرر أن يصوم المسلمون في التاسع والعاشر من شهر محرم الإسلامي من باب المخالفة لسنة اليهود أيضا في صيام اليوم العاشر من شهرهم اليهودي.

نظرية ديفيد رول فى تأريخ الخروج

ديفيد رول David Rohl هو عالم مصريات بريطاني صاحب نظريات غير مألوفة في تاريخ الشرق الأدنى القديم ولاسيما تاريخ مصر القديمة ، وقد شغل سابقا منصب مدير معهد دراسة العلوم متعددة التخصصات.

وتعد أهم نظرية لدى البروفيسور رول هي نظرية تغيير التواريخ التقديرية للتاريخ المصري القديم ، وتتلخص في أن التاريخ المعروف والمكتوب لحضارة مصر القديمة يعاني من خطأ زمني في تقدير التواريخ يصل إلى 350 عاما كاملة ، مما جعل الأحداث المكتوبة مرحلة عن مواعيدها الأصلية بفترة تصل إلى ذلك الرقم الكبير.

وما يهمنا في نظرية ديفيد رول هو موضوع خروج بني إسرائيل من مصر حيث جعلت نظريته توقيت الخروج يعود إلى الخلف للعصر البرونزي الوسيط – وهو عصر الهكسوس – بدلا من الافتراض الشائع عند التوراتيين والذي يقدر موعد الخروج عند العصر البرونزي المتأخر وهو زمن الرعامسة.

وقد تطابقت نظرية ديفيد رول مع كلام العالم السكندري ثراسيلوس من منديس / المنديسي Thrasyllus of Mendes الذي عاش في القرن الأول الميلادي في عصر الرومان ويبدو أن ديفيد رول قد نقل من كلام ثراسيلوس حرفيا ، وقد تحدث ثراسيلوس عن بردية إيبوير التي تناولها ديفيد رول بالحديث أيضا كما أنه ذكر الملك ددومس كما ذكره رول ، وقد حدد ثراسيلوس زمن الخروج في القرن السابع عشر قبل الميلاد وفقا لتأريخ مقترح مخالف للتأريخ التقليدي وقد عينه تحديدا بسنة 1690 ق.م ، أي في عصر الهكسوس.

وتبدو نتائج النظرية عند هذا الحد معقولة حيث تتطابق مع نظريتنا القائلة بأن فرعون هو ملك من الهكسوس وأن الخروج قد وقع في زمن الهكسوس ، إلا أن ديفيد رول عاد وعيّن بعض الأشخاص والأحداث التي يرى من وجهة نظره أنها كانت معاصرة لأحداث بني إسرائيل في مصر وقصة الخروج.

ومن ضمن فرضيات تلك النظرية أنه عيّن أمنمحات الثالث (1860-1814 ق.م) على أنه الملك الذي عاصر يوسف عليه السلام والذي أصبح يوسف عليه السلام وزيرا وعزيز مصر في عصره.

كما أنه عين الملك نفرحوتب الأول (1742-1731 ق.م) على أنه جد موسى عليه السلام بالتبني أي والد فرعون الاضطهاد وفقا لنفس النظرية التقليدية لليهود بوجود فرعون للإضطهاد وآخر للخروج ، أما فرعون الخروج وفقا لنظريته الغربية فهو سوبكحوتب الرابع وهو الملك الذي خرج في عهده موسى عليه السلام هاربا إلى مدين وفقا لنظرية رول ، وأما فرعون الخروج وفقا لنفس النظرية فهو توتيمايوس / ددومس الثاني الذي يرجح أنه حكم حوالي عام 1580 ق.م !!!

والرد على تلك النظرية لا يحتاج إلى مجهود كبير ، حيث أن الكثير من علماء المصريات إن لم يكن أغلبهم قد رجحوا أن الكثير من أسماء تلك الملوك التي عاشت في تلك الحقبة كانوا معاصرين لملوك الهكسوس لكنهم كانوا يحكمون في المقاطعة الجنوبية عند طيبة ، وهذا يعني أن افتراض معاصرة بني إسرائيل لهؤلاء الحكام المنفيين في طيبة في أقصى جنوب مصر هو افتراض وهمي ، وأن الأصح وفقا لنظريته أن يكون بني إسرائيل معاصرين لملوك الهكسوس الذين كانوا يسيطرون على غالبية أرض مصر وهو الأمر الأقرب للمنطق وهو نفسه ما نقوله في نظريتنا.

إن وقوع الخروج وفقا لنظرية رول المثيرة للجدل يعني أن وقوعه كان معاصرا للملك ددومس الثاني وفي نفس الوقت معاصرا لآخر ملوك الهكسوس الكبار في مصر وهو نفس الوقت الذي رجحنا أن يكون الخروج قد وقع فيه بالتقريب أي في منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد.

لكن البروفيسير ديفيد رول وكل من ينتمي لمدرسته ذات الخلفية التوراتية — رغم نظريته المثيرة للاهتمام بالطبع - يخشون الإعلان بصراحة عن حقيقة أن يوسف عليه السلام وكلا من موسى وهارون بالإضافة لأحداث الخروج كلها وقعت في عصر حكم الهكسوس لمصر ، لذلك كان من الأسهل على البروفيسير رول أن يزعم وقوع الخروج في عهد الملك ددومس الثاني الذي كان يحكم من الجنوب على أن يقر بحقيقة وقوع حادثة الخروج في عهد آخر ملوك الهكسوس والمسمى ب " فرعون " لأن تلك الحقيقة ببساطة تتعارض مع خلفياته التوراتية وهو وكل من ينتمي لمدرسته العلمية.



لوحه علي قبر محفوظه حاليا في كاليفورنيا في جامعة أوكلاهوما تعود الي حوالي القرن السادس عشر قبل الميلاد تقريبا عباره عن عجله حربيه مصرية تطارد شخص عبر البحر وسط الماء المفترق الذي عاد مرة أخري وأغرق العجلة الحربية ويرسم الامواج علي شكل لولبي.

القسم الثالث : ما بعد الخروج

وقائع وإرهاصات الخروج وما بعده:

وقد جرت وقائع عديدة لبني إسرائيل أثناء وبعد خروجهم من مصر نذكر منها الآيات القرآنية التالية على سبيل الاختصار دون تفصيل كبير، والجدير بالذكر أن أغلب تلك الوقائع والأحداث قد جرت لهم أثناء تواجدهم في سيناء وفترة التيه :

- **الطمس على الأموال:**

قال تعالى:

وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ‘‘يونس88.

- **فلق البحر**

"فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" الشعراء63

- **انبجاس الماء من الحجر**

"وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ" البقرة60

"وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ" البقرة60

- **التظليل بالغمام**

"وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" الأعراف160

• المن والسلوى

"وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" الأعراف160

• دك الجبل

"وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" الأعراف143

• ألواح التوراة

"وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ" الأعراف145

• رفع الطور أو نتق الجبل

"وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" 63 البقرة

"وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" الأعراف171

• الأخذ بالصاعقة

"وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ" البقرة55

"يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاء فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً" النساء153

- **البقرة الصفراء وإحياء الموتى**

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ البقرة

هل عاد بنو إسرائيل إلى مصر مرة أخرى بعد خروجهم منها ؟:

قال تعالى:

"وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ" البقرة61.

وقد حاول البعض تصوير الأمر على أن بني إسرائيل قد عادوا مرة أخرى إلى مصر بعد خروجهم منها مستدلين على ذلك بتلك الآية ، لكن الراجح في تلك الآية تحديدا قولان:

أحدهما: أن موسى عليه السلام قد قال لهم ذلك في غمرة غضبه وسخطه عليهم ، وكأنه يقول لهم بلسان الحال والمقال (إن لم تكونوا راضين عن رزق الله الذي أرسله لكم فاهبطوا مصر التي قد خرجتم منها هروبا من العذاب والاضطهاد الذي نالكم على أيدي آل فرعون) وبالطبع فإن مسألة عودهم إلى الأرض التي تركوها هربا من البطش كان أمرا مستحيلا وغير مقبول بالنسبة إليهم ، وبالتالي فكلام موسى عليه

السلام كان من باب الاستنكار والتعنيف لا من باب الأمر والتكليف وهو يعلم استحالة تحققه وانعدام استجابتهم له في ذلك.

والقول الثاني : أن المراد (مصرٌ من الأمصار) أي بلد أو قرية من القرى كما روي عن ابن عباس وغيره ، والمعنى على ذلك لأن موسى عليه السلام يقول لهم : (هذا الذي سألتم ليس بأمر عزيز ، بل هو كثير في أي بلد أو قرية دخلتموها وجدتموها ، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار والبلاد أن أسأل الله فيه)؛ ولهذا قال: (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم) أي : ما طلبتم ، ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر ولا ضرورة فيه ، لم يجابوا إليه ، كما أن السياق القرآني للقصة والمنطق يجعلان من عودة بني إسرائيل إلى مصر مرة أخرى أمرا مستحيلا غير مستساغ.

وعلى هذين القولين فإن بني إسرائيل لم يعودوا إلى مصر و لم يقدروا على فعل ذلك أو يتجرأوا أبدا ، كما أن الموقع الإعرابي والضبط لهذه الكلمة في السياق تدل على أن المعني بها مصر من الأمصار أي بلد من البلاد وليس مصر التي خرجوا منها ، لأن مصر وادي النيل لا يمكن تنوينها بتلك الكيفية لأنها كلمة ممنوعة من الصرف.

وقد تناول الشيخ الشعراوي رحمه الله في تفسيره لتلك الآية نفس المسألة فقال ما مختصره:

"من شرف مصر أنها ذكرت أكثر من مرة في القرآن الكريم ، ونلاحظ أن مصر في القرآن حينما يقصد بها وادي النيل لا يأتي أبدا منونة واقرأ قوله تعالى: ﴿تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس: 87].

وقوله جل جلاله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَاذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [الزخرف: 51].

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: 21].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: 99].

لقد ذكرت كلمة مصر في الآيات الأربع السابقة بغير تنوين، ولكن في الآية التي نحن بصددها: {اهْبِطُواْ مِصْرًا} بالتنوين، هل مصر هذه هي مصر الواردة في الآيات المشار إليها؟ نقول لا.. لأن الشيء الممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، إذا كان لبقعة أو مكان، مرة تلحظ أنه بقعة فيبقى مؤنثًا.. ومرة تلحظ أنه مكان فيكون

مذكرا، فإن كان بقعةً فهو علم ممنوع من الصرف ، وإن كان مكانا تكون فيه علمية وليس فيه تأنيث ، ومرة تكون هناك علمية وأهمية ولكن الله صرفها." ا.هـــ

إذن فهذه المرة التي وردت الكلمة بالتنوين لا يجب احتساها من المرات المعدودة التي ذكرت فيها مصر في القرآن الكريم ، فقد ذكرت أربع مرات كما في الآيات السابقة وورد لفظها ممنوعا من الصرف كما تقدم ، أما تلك المرة فجاءت مصروفة ومنونة وبالتالي فإنا لا تعد في المرات التي ذكر فيها اسم مصر في القرآن الكريم ، ويتضح كذلك أن بني إسرائيل لم يعودوا إلى مصر أبدا بعد خروجهم منها.

استفزاز الهكسوس للمصريين لاستعادة هيبتهم وقوتهم التي ضاعت بغرق فرعون وجنوده:

من الواضح أن الهكسوس العماليق بعد غرق أعظم ملوكهم والذي كان يعتبر نفسه الرب الأعلى وإله قومه مع جيوشه وقواده وكل قبيلته تأثروا تأثرا بالغا وأول ما تأثر هو نظامهم الملكي المركزي القائم على تحالف القبائل كما ذكرنا.

ومن الواضح أن الأمير أبوفيس الذي كان في أواريس وقتها على رأس أكبر القبائل الباقية قد قدرر أن يبث برسالة للمصريين الذين كانوا على مايبدو متربصين بالهكسوس بعد انهيار أهم دعائم مملكتهم ، وكانت الرسالة مفادها : "أننا مازلنا باقين ومسيطرين على الحكم ومازال لدينا القوة والغلبة والتمكين العسكري للسيطرة على البلاد والاستمرار في الحكم".

غير أن ما فعله أبوفيس ملك الهكسوس هذا من محاولة لاستفزاز الملك المصري القابع في الجنوب قد جلبت عليه وعلى قومه وبال الحرب الذي سماها المصريون حرب التحرير من الهكسوس الغزاة ، ولم تمض سنوات طويلة على محاولة الاستفزاز وإثبات القوة تلك حتى وانتهى ملك الهكسوس بالكامل في مصر بعد تناوب الملك بين سقنن رع ثم كامس إبنه ثم إبنه الثاني أحمس الأول الذي يسميه المؤرخون قاهر الهكسوس.

ومن العجيب حقا أن نجد حجابا كثيفا حول تلك الفترة من التاريخ واختفاء لأغلب معالم هذه القصة الهامة والجوهرية في تاريخ مصر ، فلا يوجد ما يقص تلك الحكايات إلا مقبرة قادة الحرب كـــ "أحمس بن نخبت" و"أحمس بن أبانا" اللذان

عاصرا كامس وأحمس وتحمس الأول أيضا كقادة للجيوش ، غير أن ما احتوته مقربرتيهما لم يكن سوى بعض الجوانب القليلة من مشاهد حرب التحرير المذكورة ، ثم لا نجد أيضا سوى كتابات مانيتون التي حرفها يوسفوس لصالح قومه والتي لم يبق منها سوى تفاصيل لا تسمن ولا تغني من جوع.

يقول محمد أبو المحاسن عصفور في كتابه معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم :

ولا نعرف إلا القليل عن حكم الملوك الذين تلوا ملوك المجموعة الأولى "الأسرة الخامسة عشرة"، كذلك لا نعرف كيف انكمش ملكهم، وأصبح المصريون يتطلعون إلى طردهم!!

ولم يبق في الأخير إلا ورقة وحيدة تتحدث عن بدء الشجار الذي وقع بين أبوفيس وسقنن رع أمير طيبة في جنوب مصر عندما حاول أبوفيس ملك الهكسوس استفزاز الملك المصري المنفي في الجنوب سقنن رع ألا وهي ورقة ساليبه Salliet ، وهي ورقة كتبت بعد عصر الأحداث بأربعة قرون كاملة بالإضافة إلى أن الكتابة فيها ناقصة والقصة مبتورة والسياق احتوى على كثير من الثغرات كما سنرى.

لكن تلك الورقة تدلنا على تفاصيل هامة جدا ومثيرة تقودنا إلى تثبيت الصورة التي نرسمها عن طبيعة تلك الأحداث واقتران أحداث خروج بني إسرائيل بها ، فالورقة تتحدث عن جائحة شنعاء ألمت بالهكسوس وفي بعض الترجمات أن الطاعون قد اجتاح البلاد وعزاها البعض إلى أن الطاعون يرمز إلى احتلال الهكسوس لمصر وهو التفسير غير المنطقي لأن بدء احتلال الهكسوس كان قد ولى منذ ما يزيد عن القرنين من الزمان وقد وصلوا إلى نهاية عهدهم فعليا بعد تلك الواقعة ، وتشير الورقة إلى أن أرض مصر بعد تلك الجائحة لم يكن لها ملك معروف وهي إشارة واضحة على فقدان الملك في ظروف غير استثنائية ، وكيف أن من كان يتحكم في البلاد كلها أمير هكسوسي يدعى أبوفيس يبدو أنه كان من كبار رجال الدولة ومن رؤساء القبائل الكبيرة في تحالف قبائل العماليق الهكسوس ، وبالطبع حاول هذا الملك أن يفرض سلطانه ويستعيد الملك المركزي ويقبض على ملك مصر مثل أسلافه من ملوك الأسرة الخامسة عشر الهكسوسية ، وقد لجأ إلى حيلة من أجل تحقيق ذلك كشفتها لنا ورقة ساليبه المذكورة في قصة شيقة لم نعلم على وجه اليقين كيف انتهت لبتر النص في القصة ، لكن هذه الحيلة التي لجأ إليها لإثبات استمرار نفوذه ونفوذ قومه جعلت السحر ينقلب

على الساحر وعلى النقيض فإن المصريين استغلوا فرصة ضعف الهكسوس وتفكك حكمهم المركزي والخسارة التي ألمت بهم نتيجة غرق ملكهم ووزراءه وجيوشه وحاشيته جميعا في حادثة الخروج ، وبدأوا رحلة استعادة ملكهم الذين غلبوا عليه وقد تمكنوا من ذلك في عهد ثالث ملوك طيبة المحاربين وهو أحمس الأول وبعد مقتل كل من أبوه سقنن رع وأخوه كاموس.

وسنرى في ورقة سالييه ما يؤيد تلك النظرية ويكشف أسرار كثيرة صمت عنها كل العلماء بلا استثناء وكأنهم قد تواطئت رغبتهم في غض الطرف عن تلك التفاصيل المذهلة التي تطالعنا من خلال تلك الورقة سالفة الذكر.

ورقة سالييه تذكر الجائحة الشنعاء التي ألمت بالهكسوس بغرق آل فرعون

يقول الدكتور سليم حسن[49] :

بدأ التراع بين الملك تاعا الملقب بالشجاع وبين ملك الهكسوس مما أدى إلى قيام البلاد كلها دفعة واحدة في وجه أولئك الغزاة فلدينا وثيقة في هذا الصدد في صورة قصة وهي "ورقة سالييه" الأولى ، وعلى الرغم من أنها تنسب إلى العصر الذي نكتب عنه إلا أنها قد كتبت بعد وقوع حوادثها بنحو أربعمائة سنة ومع ذلك فإنها على ما يظهر ترسم لنا صورة تاريخية عن الخلاف الذي وقع بين ملك الهكسوس المسمى "عاقنن رع أبوفيس" والملك سقنن رع الشجاع ، وظاهر الخلاف هو أن أبوفيس ملك الهكسوس ادعى وهو في أواريس الواقعة في شمال الدلتا أن أصوات فرس النهر التي تعيش في بحيرة طيبة تزعجه وتقض مضجعه لقوتها على الرغم أن المسافة بين طيبة وأواريس تبلغ خمسمائة ميل ، وأنه لذلك يأمر ملك طيبة أن يبيد فرس النهر الذي يسكن في تلك البحيرة إن أراد أن يبقى على إرضاء الملك أبوفيس ، وهذه الورقة كتبت على أن تكون تمارين لتلميذ من تلاميذ العصر الذي كتبت فيه ونهايتها وهي الجزء الهام فيما لم يتم نقله ومن أجل ذلك كانت القصة التي وصلتنا ناقصة ولكن إذا وازناها بقصص أخرى مماثلة لها من قصص الشرق الأدنى كان من المحتمل جدا أن تدلنا نهايتها على سرعة بديهة سقنن رع أو سرعة خاطر نصحائه الذين كانوا حوله

---

[49] موسوعة مصر القديمة — الجزء الرابع

فأحسنوا الرد على ملك الهكسوس فخلصوا بذلك ملك مصر من الورطة التي أراد أن يوقعه غريمه فيها ، ومن المحتمل جدا أن الجزء الضائع من الورقة كان يحتوي على بداية المقاومة المنظمة التي قام بها المصريون ضد الهكسوس وإذا صح ذلك كان طلب ملك الهكسوس الغريب مجرد ذريعة اتخذها كعلة لإعلان الحرب على ملك طيبة الذي كان على ما يظهر يكيد له ، وتكون قصة الذئب والحمل التي نتناقلها ونمثل بها في التاريخ الحديث صدى لأختها قصة فرس النهر في عصر الهكسوس والجزء الباقي من القصة كما جاء في الورقة هو ما يأتي:

"حدث أن أرض مصر كانت في جائحة شنعاء ، ولم يكن للبلاد حاكم يعد ملكا في هذا الوقت وقد حدث أن الملك سقنن رع كان حاكما على المدينة الجنوبية "طيبة" ولكن الجائحة الشنعاء في بلد العمو "الهكسوس" وكان الأمير أبوفيس في أواريس وكانت كل البلاد خاضعة له وكذلك كل حاصلاتها بأكملها وكذلك كل طيبات تميرا (مصر) وقد بقي هذا اللفظ في كلمة الدمير ، وقد اتخذ الملك أبوفيس الإله ستخ ربا له ولم يعبد أي إله آخر في البلاد غير سوتخ ، وقد بنى معبدا ليكون عملا حسنا خالدا بجانب قصر أبوفيس وقد كان يستيقظ كل يوم ليقرب الذبائح اليومية للإله سوتخ وكان موظفوا جلالته يحملون الأكاليل من الزهر كما كان يُفعل تماما في معبد "رع حور آختي" .

وكان الملك أبوفيس يرغب في خلق موضوع للنفار بينه وبين الملك سقنن رع أمير المدينة الجنوبية.

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك أمر الملك أبوفيس بإحضار رئيسه (متن منقطع تم الاجتهاد لملأه).

وقال لهم (المستشارون) : إن رغبة جلالتي في أن أرسل رسولا إلى المدينة الجنوبية لألصق تهمة بالملك سقنن رع ..... (نص مقطوع)

ولم يعرفوا كيف يجيبونه وعندئذ أمر بإحضار كتابه والحكماء من أجل ذلك فأجابوه قائلين أيها الحاكم يا سيدنا ..... توجد بحيرة فرس بحر في المدينة الجنوبية .... النهر وهي فرس البحر ...لا تسمح للنوم أن يأتي لنا نهارا ولا ليلا لأن الضجيج في آذاننا وعلى ذلك أرسل جلالتك إلى أمير المدينة الجنوبية الملك سقنن رع ودع الرسول يقل له :

الملك أبو فيس .... يأمرك بأن تجعل فرس النهر يترك البحيرة وبذلك سترى جلالتك قلة أعوانه لأنه لا يميل لإله في الأرض كلها إلا أمون رع ملك الآلهة ، وبعد مرور عدة أيام على ذلك أرسل الملك أبوفيس إلى أمير المدينة الجنوبية بشأن التهمة التي قالها له كتابه والحكماء ووصل رسول الملك أبوفيس إلى أمير المدينة الجنوبية فأخذوه إلى حضرة الأمير فقال الواحد (الملك) لرسول الملك أبوفيس :

ما رسالتك إلى المدينة الجنوبية ؟ وكيف قطعت هذه الرحلة ؟

فقال له الرسول :

لقد أرسل لك الملك أبوفيس يقول : مر بأن يهجر فرس النهر بحيرته التي في ينبوع المدينة الجاري "طيبة" لأنه لا يسمح للنوم أن يغشاني ليلا أو نهارا ، إذ إن أصواته المزعجة في أذني ، وعندئذ بقي أمير المدينة الجنوبية صامتا وبكى مدة طويلة .. و لم يكن يعرف كيف يصوغ جوابا ، لرسول الملك أبوفيس فقال له أمير المدينة الجنوبية :

كيف سمع سيدك عن البحيرة التي في ينبوع المدينة الجاري ؟

فقال له الرسول : ....

الملك : ...... الموضوع الذي من أجله قد أرسلك ؟

وأمر أمير المدينة الجنوبية أن يقدم لرسول الملك أبوفيس كل الأشياء الطيبة من لحم وخبز وقال له أمير المدينة الجنوبية :

ارجع إلى الملك أبوفيس سيدك : .... أي شيء تقول له سأفعله عندما تأتي ..

وعاد رسول الملك أبوفيس مسافرا إلى المكان الذي فيه سيده ، وعندئذ أمر أمير المدينة الجنوبية بإحضار ضباطه العظام وكذلك كل كبار الجند الذين كانوا عنده وأعاد عليهم التهمة التي بعث بها إليه الملك أبو فيس وقد ظلوا صامتين جميعا لمدة طويلة و لم يستطيعوا الاجابة بخير أو بشر وأرسل الملك أبو فيس إلى ....."

وهنا تنقطع القصة في الورقة التي استعملت بقيتها في خطابات نموذجية وهي اسلوب انشائي كان بلاشك في ذلك الوقت أكثر فائدة ولكنها ليست بذات أهمية لنا الآن لأننا كنا نود أن نعرف نهاية القصة ، وإنه لمن العسير علينا تحديد تاريخ الشجار الذي قام بين الملك سقنن رع الشجاع وأبوفيس عاقنن رع ، على وجه التأكيد ولكن من المحتمل أنه قد نشب حوالي عام 1590 ق.م.

ويرجح قرب هذا التاريخ من الحقيقة أن أحمس بن أبانا الذي كان يعمل في جيش أحمس الأول ، كان والده يعمل جنديا في جيش سقنن رع ولابد أن نعطي مدة كافية لحكم الملك كامس الذي خلف والده سقنن رع ، وقد حكم سقنن رع وكاموس وأحمس الأول تباعا في حومة الوغى كما تدل على ذلك الجروح التي وجدت في جسمه تولى الحكم بعده الملك كاموس.[50]

وبناءا على تلك الرواية التي وصلت إلينا بعد مرور كل تلك القرون ، ومن خلال استقرائنا لتفاصيل ذلك الصراع الذي نشب بين الملك سقنن رع المصري والأمير أبوفيس الهكسوسي نستطيع أن نلاحظ عدة ملاحظات هامة:

- يذكر كاتب الورقة أن أرض العمو " أي أرض الشمال الخاضعة لحكم الهكسوس" كانت في جائحة شنعاء ، أي في كارثة كبرى ، ولم يستطع أيٌّ من الباحثين أو علماء المصريات أن يفسر لنا ما هي تلك الجائحة الشنعاء !! ، لكنا نستطيع أن نفسر هنا أن الجائحة الشنعاء هي البلاءات التي مر بها فرعون وقومه والتي انتهت بغرق فرعون وجيشه وجيش هامان في البحر.
- يؤكد كاتب الورقة على أنه "لم يكن للبلاد حاكم يعد ملكا في هذا الوقت" وهو ما يذكرنا بعبارة مشابهة وردت في بردية إيبوير التي تحدثنا عنها في مطلع هذا الفصل حين قال كاتبها إن " الملك قد فقد في ظروف لم يحدث مثلها من قبل " ، ولا تفسير لتلك العبارات إلا أن هذا الملك الذي قد فُقد ظروف استثنائية جدا وهي غرقه مع جميع جنده وجيشه في البحر وهو بعينه فرعون أثناء مطاردته لموسى عليه السلام ومن معه.
- تولى الأمير أبوفيس الهكسوسي حكم البلاد ، ويبدو أنه لم يكن مستعدا لذلك الأمر المفاجيء ولكن الهكسوس إضطروا إلى توليته حكم المملكة نظرا لعدم وجود وريث لفرعون الذي غرق هو وجميع عائلته المسماه بـــ"آل فرعون" ، وبالتالي أصبح " لا يوجد حاكم يعد ملكا في هذا الوقت" كما ورد بورقة ساليية.

[50] انتهى كلام الأستاذ سليم حسن عند ذلك الموضع.

- أراد أبوفيس الهكسوسي أن يستفز سقنن رع وأن يختلق معه حالة من الشجار لفرض سيطرته عليه وإثبات نفوذه وهيمنته كسلفه الذي غرق ، فاخترع موضوع صوت أفراس النهر الموجودة في بحيرة طيبة وهي مدينة الأقصر في الجنوب ، زعما منه بأن صوتها يزعجه في الشرقية الواقعة في شمال مصر ، مما أدى إلى اشتعال الحرب بين الطرفين ، والواضح أن نتيجة تلك الحرب لم تكن في صالح الهكسوس العماليق ، حيث انتهى الأمر بالمصريين في نهاية المطاف إلى طرد الهكسوس نهائيا من مصر وإنهاء حكمهم لها لكن ذلك الأمر استغرق ما يقترب من عشرين عاما كاملة.
- لم يكن القبط المصريون الذين كانوا منفيين في الجنوب ليفكروا في الهجوم على مقر حكم الهكسوس ومناطق نفوذهم في شمال مصر ووسطها إلا لأسباب قوية غيرت المعادلة وجعلت من طرد الهكسوس أمرا ممكنا بعد اختلال القوى بغرق فرعون وجنوده وآله أجمعين ، ولا تفسير لتلك التفاصيل الغامضة التي وردت بورقة ساليية إلا بملء الفراغات التي تركتها القصة واستقراء ما بين السطور للوصول إلى تلك النتيجة ، لذلك فورقة ساليية تعد من الأدلة القوية جدا على كامل النظرية التي تناولناها في هذا الكتاب.

حرب الملوك القبط المصريين ضد الهكسوس وطردهم

بعد واقعة غرق فرعون في البحر ، وبعد تحطم القوة الضاربة للهكسوس وهلاك أفضل جيوشهم على الإطلاق ، تغيرت الأحوال السياسية واختلت موازين القوى بين القبط المصريين وبين الهكسوس العماليق ، وفي عهد الملك سقنن رع الثاني نحو 1580 ق.م والذي ينتمي للأسرة السابعة عشر المصرية كانت طيبة متأهبة للصدام مع الهكسوس ، وكان لضعف قوة الهكسوس عسكريا العامل الأكبر لتجرؤ ملوك القبط المصريون على التحرر من الهكسوس واستعادة حكم المملكة المصرية وبالتالي أصبحت الحرب أمراً لا مفر منه.

وهذا ما دفع ملك الهكسوس "أبوفيس / أبيب" إلى اختلاق الشجار لبدء الصراع مع ملوك طيبة ، واستطاع الملك المصري سقنن رع تحقيق بعض النجاح والتقدم في هذا الصراع إلا أنه سقط فيه صريعاً في معركة خاضها مع الهكسوس وقد لوحظ

وجود جروح وإصابات قاتلة في جمجمته وكان ذلك في حوالي عام 1575 ق.م أي بعد ما يتراوح من 5-7 سنوات بعد خروج بني إسرائيل من مصر ، وقد خلفه في عرش طيبة ابنه الأكبر كاموس والذي لم تطل فترة حكمه فتراوحت من 3-5 سنوات فقط على اختلاف في تعيين فترة حكمه ، وهو آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة، وخلال سنوات حكمه فقد تابع الحرب التي شرعها أبوه فشن هجوماً مفاجئاً على معاقل الهكسوس المتاخمة لحدوده بقوات من الجيش وأسطول نيلي كبير، وراح يتقدم شمالاً حتى بلغ عاصمة الهكسوس نفسها. وتتحدث النصوص القديمة التي تعود إلى عهده عن استيلائه على ثلاثمئة مركب مصنوعة من خشب الأرز مشحونة بالأسلحة والذهب والفضة والمؤن، كما تتحدث عن بطشه بالمصريين الذين كانوا يهادنون العدو.

وقبض رجاله في تلك الأثناء على رسول بعث به ملك الهكسوس إلى أمير النوبة في كوش السودان يحثه على مهاجمة أراضى طيبة من الجنوب، فلم يتردد كاموس في إرسال قوة احتلت واحة البحرية محبطاً خطط أعدائه، ثم ارتد عائداً إلى طيبة بانتهاء موسم الحملات بعد أن قضى على تمرد قام به أحد أتباعه.

وتذكر النصوص اسم كاموس وأخيه أحمس -الذي جاء بعده- عند الشلال الثاني في النوبة، مما يحتمل توغل كاموس في أراضي النوبة حتى ذلك الموقع ، وكانت دولة مصر العليا المصرية محاصرة من الهكسوس شمالاً ومن ملوك النوبيين جنوباً .

وبعد مقتل الملك كامس انتقل الحكم إلى أحمس الأول الذي لم يكن يبلغ من العمر وقتها إلا 10 أعوام فقط وقامت كلا والدته إعح حتب وجدته تتي شيري بحثه على التدرب على القتال مع المحاربيين القدامى، وعندما بلغ من العمر ال 19 عام قام بعض من رجاله بالتقاط رسالة مبعوثة من ملك الهكسوس إلى ملوك النوبة يحثوهم بالزحف على الطيبة مثلما حدث مع أخيه مسبقا ، مما أدى إلى قيام أحمس بالهجوم على الهكسوس وهزيمتهم في عدة معارك، وقام بشن عدة هجمات خارجية عليهم في أراضيهم الأصلية.

و لم تقتصر جهود أحمس الحربية على مقاتلة الهكسوس، فقد تحول بعدها إلى جنوب مصر فقاد ثلاث حملات كبيرة متوالية استهدف فيها بلاد النوبة لتأديب أميرها الذي تعاون مع الهكسوس عليه وبذلك أصبحت المملكة المصرية القديمة تحت حكم ملوك

طيبة القبط المصريين من جديد ، وهو ما ورد ذكره في القرآن الكريم حين قال المولى عز وجل :

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة الدخان

لقد كتب الله عز وجل على آل فرعون أن يغرقوا جميعا في البحر إلا من آمن منهم مثل مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون المؤمنة وغيرهما من الأفراد الأقلاء ، وكان هلاكهم إيذانا بانتهاء ملك العماليق الهكسوس في مصر والشام وتوريث كليهما لشعوب غيرهم ، وقد استعرضنا ذلك في الفصول السابقة حين تحدثنا عن وراثة الأرض وبينا كيف أن أرض مصر قد ورثها القبط من ملوك مصر القديمة أما أرض فلسطين فقد ورثها بنو إسرائيل وقتها حين ساروا على منهج الله ففتح الله لهم الأرض المقدسة على أيدي الأنبياء عليهم السلام.

وعلى هذا فلم تكن معركة التحرير الشهيرة التي قادها سقنن رع وكاموس وأحمس ملوك طيبة إلا تحصيل حاصل وتنفيذا للأمر الإلهي الذي صدر بإنهاء ملكهم جميعا من كل البلاد التي تملكوها وهيمنوا عليها.

هزيمة المصريين للهكسوس نتيجة هزيمة موسى لفرعون وجنوده:

في حوالي عام 1582 قبل الميلاد بالتقويم الجريجوري / الميلادي ، وحوالي 1583 قبل الميلاد بالتقويم اليولياني على الراجح كتوقيت تقريبي[51] ، وتحديدا في منتصف شهر نيسان اليهودي جاء الإذن من الله عز وجل لبني إسرائيل وموسى عليه السلام بالخروج من مصر ، وبعد هذا التوقيت بحوالي الأسبوع وقع العبور عبر البحر وغرق فرعون

[51] هناك من يعين عام الخروج بالعام 1573 قبل الميلاد وهناك من يعينه في العام 1550 ق.م وكلها لا تخرج عن القرن السادس عشر قبل الميلاد وهو القرن المؤكد لوقوع خروج بني إسرائيل من مصر وهو المرجح إن شاء الله.

وجنوده في فرع النيل سيزوستريس عند مصبه في البحيرة المرة الكبرى ، ونجا موسى عليه السلام ومن معه .

وبعد وقوع تلك الأحداث بحوالي العشرين عاما كان القبط المصريون قد تخلصوا من حكم الهكسوس أو بالأحرى من تبقى منهم! ، فما الذي حدث وجعل ملوك القبط المصريون يهبون هذه الهبة ويواصلون معاركهم ضد الهكسوس لطردهم خارج مصر مع أنهم ظلوا ما يقرب من القرنين ونصف القرن خاملين ومنكمشين على أنفسهم داخل إقليم طيبة الجنوبي مع كل امرائهم وكهنتهم ولم يجرؤ احدهم ان يمنع الجزية عن الهكسوس ؟

لقد كان هجوم المصريون على الهكسوس أمرا مدهشا وتجرؤا مفاجئا ، وقد انتهى حكم الهكسوس وفقا للتاريخ المكتوب نهاية مبتورة وغير منطقية لا تفسر تجرؤ المصريون فجأة في الهجوم على الهكسوس وطردهم ، ولا سبب منطقي لانتهاء ملكهم بهذه الطريقة وتجرؤ المصريون عليهم إلا بغرق قبيلتي فرعون وهامان وجنودهما ، وتروي ورقة ساليبه تلك القصة بتفاصيل يتجاهلها الجميع مع انها في غاية الوضوح.

والإجابة عن تلك الأسئلة والاستفسارات ليس لها سوى إجابة منطقية وحيدة ألا وهي أن هلاك فرعون وجيشه كان سببا جوهريا في انهيار مملكة الهكسوس في مصر وامبراطوريتها في الشرق الأدنى.[52]

يقول المهندس عاطف عزت في كتابه :

"انتهى الصراع بانتصار موسى وخروج بنى إسرائيل، وغرق زعيم وحاكم تحالف الهكسوس استغل أحمس هذا الغرق وقضى تماماً على وجود الهكسوس ، وكان هذا عام 1573 قبل الميلاد "[53].

ويقول الأستاذ نديم السيار في كتابه :

"اذن .. فما ذكره علماؤنا القدامى فى تراثنا الاسلامى والعربى هو عين الحقيقة ، فذكرهم ان فرعون موسى فرعون الخروج قد كان -بالتحديد- الملك الهكسوسى السادس وهذه الحقيقة هى ما يتوافق مع تلك النهاية المفاجئة- و التى لا يعرف لها

[52] رشدي البدراوي – قصص الأنبياء والتاريخ – الجزء الثاني والثالث

[53] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

المؤرخون و الاثريون تفسيرا- للاسرة الهكسوسية الاولى- والتي كان اخر ملوكها هو ذلك الملك السادس ، وبذلك يكون سبب سقوط و نهاية تلك الاسرة الهكسوسية الاولى هو غرق فرعون وهو الملك الهكسوسي السادس و الاخير هو وجيشة معه."

غرق فرعون ومعه جنود أقوى قبيلتين من قبائل الهكسوس وهي قبيلة آل فرعون وقبيلة هامان ومعهم جميع الأفراد المحاربين وأعيان قومهم وخسر الهكسوس ملكهم وجيوش أكبر قبيلتين في انتكاسة كبيرة لم يتوقعوها و لم يبق خلفهم إلا النساء وبعض الاطفال والعجائز[54]

ويقول د. سليم حسن :

"قد أوضحت وأكدت بكل صراحة اعتقادي بأن القصة " قصة خروج بني إسرائيل من مصر " في مجموعها تعكس لنا صورة حادثة تاريخية معينة وهي طرد الهكسوس من مصر، ويجب أن أضيف هنا بأن هذه النظرية ليست جديدة فقد وضحها الدكتور هول في كتابه تاريخ الشرق الأدنى القديم"[55].

تفكك النظام الملكي الموحد للهكسوس فى مصر بعد غرق آل فرعون

وتدل الشواهد الأثرية من العدد الكبير من أسماء الحكام الهكسوس الذي تم العثور عليه وهم من يمثلون الأسرة السادسة عشر التي كانت للهكسوس في مصر أن النظام الملكي الموحد الذي أنشأته قبائل العماليق الهكسوس عند إعلانها دولتها قد تفكك بشكل غير مفهوم ومفاجيء بنهاية الأسرة الخامسة عشر، ومع بداية الأسرة السادسة عشر فقد اختلف الأمر تماما وتضخم عدد الحكام بشكل ملفت للنظر دون تفسير واضح ، حيث بلغ عدد ملوك تلك الأسرة ما يزيد عن اثنان وثلاثون حاكما بعد أن كان عدد الملوك معقولا جدا وقريبا للذهن في عهد الأسرة الخامسة عشر الهكسوسية وهو خمسة أو ستة ملوك فقط كما أوردها مانيتون وحققها الأستاذ سليم حسن وهو نفس العدد تقريبا الذي أورده المؤرخون والإخباريون العرب في تواريخهم المختلفة.

---

[54] مؤمن محمد سالم – فرعون وقومه كانوا هكسوساً.

[55] موسوعة مصر القديمة – الجزء الرابع

ويبدو أن ذلك الافتراض بتفكك النظام الموحد القائم على الحكم المركزي الذي اتبعه الهكسوس حينما أعلنوا دولتهم في مصر هو أكثر الافتراضات واقعية رغم غياب الدليل على ذلك ، لكن الشواهد أيضا تدلل أن الحلف المنعقد بين القبائل وبعضها البعض ظل قائما بحيث يكون الحكم إقليمي على غرار نفس الحال الذي وصلت إليه مصر قبل دخول الهكسوس مباشرة في عهد الأسرة الثالثة عشر لكن التحالف لم يعد كسابق عهده و لم يعد هناك ملكا موحدا تجمع عليه جميع القبائل كما كان الحال في عهد أسرقم الأولى وهي الأسرة الخامسة عشر الهكسوسية وظلت كل قبيلة من القبائل المتحالفة تحكم مقاطعتها وتعيش تحت حكم ملكها المستمر في حكمها من قبل دخولها في التحالف.

ويمثل هذا العدد الضخم من الحكام أسماء رؤساء قبائل الهكسوس العماليق وشيوخ العشائر البدوية الذين لم يلبثوا وأن عادوا سريعا إلى النظام القبلي المفكك بعد أن عاشوا لفترة في ظل حكم الأسرة الخامسة عشرة وهي أسرقم الأولى في مصر تحت وحدة سياسية في ظل دولة ذات مؤسسات حاكمة.[56]

إذن فقد كان طلب موسى عليه السلام من فرعون أن يسمح لبني إسرائيل بالخروج يمثل خطرا حقيقيا هدد فرعون وقومه إذ يمثل أول انشقاق في تحالف قبائل الهكسوس في مواجهة أصحاب الأرض وهم القبط المصريون سكان وادي النيل الأصليون ، وكذلك تشجع أي طائفة مستضعفة بعد ذلك أن تطالب بالسماح لها بالرحيل والعودة لموطنها الأصلي ، إن لفظ " لتخرجنا" القرآني لهو أدق تعبير وأعظم دليل على أن فرعون ليس من بلادنا مثله مثل باقي قبائل الهكسوس ، لذلك جمع فرعون الملأ من كل قبيلة ورأوا جميعا أن ذلك خطرا يهدد سلطاهم الكبير وثرورالهم التي جمعوها من عرق المستضعفين.[57]

لقد كان فرعون يدرك جيدا أن خروج بني إسرائيل كان يتهدد دولته بالكامل ، وكان نذير شؤم بالنسبة له ولقومه بانهيار الدولة المركزية وانهيار التحالف القبلي بين قبائل الهكسوس المتعددة ، وكان انهيار نظام التحالف إيذانا بتفكك النظام الملكي

---

[56] الإسلام والدين المصري القديم – محمد أبو رحمة

[57] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

وانحلال الدولة وعودة القبائل لحكم الاقاليم كما كان الأمر تماما عند انهيار الأسرة الثالثة عشر قبل أن يبدأ عهد الهكسوس ، وهو ما حدث بالفعل عند خروجهم وغرق ملك التحالف "فرعون" وجنوده في اليم ، فكانت الضربة أقوى من أن يتحملها التحالف الهكسوسي خاصة مع استيقاظ ملوك القبط المصريين وعزمهم على استعادة الملك من الهكسوس واستغلالهم لفرصة الهجوم على ملوك الهكسوس المثخنين بجراح فقدان الملك والجيش.

مقاطعة الفرما الهكسوسية تتحول لمدينة مصرية حصينة:

كان من نتائج سقوط دولة الهكسوس وامبراطوريتهم الشاسعة في كل من مصر والشام والهلال الخصيب عموما سقوط مدن كبيرة ومحصنة في كل تلك النواحي ، وكانت من أهم النقاط الحصينة والمواقع الاستراتيجية لهم في مصر مدينة الفرما والتي كانت تعد البوابة الشرقية لمصر ، وهي التي تقع في أقصي شرق الدلتا في الجهة الشرقية من بورسعيد وشمال شبه جزيرة سيناء.

وقد كانت مدينة الفرما مدينة حصينة ومزدهرة ويمر بها فرع النيل المسمى بالفرع البيلوزي والذي كان يصب بالساحل الشمالي لسيناء في البحر المتوسط،

وقد استعرضنا في قصة يوسف عليه السلام في الفصل السابق مجيء اخوة يوسف للحصول على الغذاء في زمن المجاعة ، ومن اللفتات التي يجدر ذكرها تلك المدينة التي أوصى يعقوب عليه السلام من بنيه ألا يدخلوها من باب واحد:

"وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَاب وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَاب مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ"يوسف

وذهب بعض المؤرخين على أن هذه الأبواب هي أبواب مدينة الفرما القديمة بالقرب من بورسعيد الحالية بشمال مصر الشرقي ، والمعروف أن مدينة الفرما كانت البوابة الشرقية لمصر وكانت المدخل الرئيسي والوحيد لمن يريد أن يدخل مصر عن طريق الشرق! ويؤكد كافة المؤرخين كذلك أن الفرما كانت مدينة محصنة تحصينا شديداً أنفق الرومان على تجهيز أسوارها وأبوابها أموالاً طائلة حتى تكون الدرع الواقي لمصر من الجهة الشرقية!

ويذكر الكثيرون من المؤرخين العرب أن ام العرب السيدة هاجر من قبائل العماليق الذين كانوا يسكنون مدينة الفرما في بداية هجرة العماليق إليها ، وكانت المدينة تقع في شمال سيناء على أقصى الحد الشرقي المجاور للدلتا القديمة التي كانت ممتدة لمساحة أكبر وتشمل مناطق أوسع نظرا لوجود الفرع الشرقي القديم والذي كان يقطع المسافة الواقعة بين البحر الأحمر والبحر المتوسط ليصب في الساحل الشمالي الغربي لشبه جزيرة سيناء في خليج يسمى بخليج الطينة وقد كانت تلك المنطقة تسمى قديما أيام الإغريق "بيلوز" وتعرف اليوم باسم "بلوظة" شمال القنطرة.

قال ابن لهيعة : أم إسماعيل هاجر من "أم العرب" قرية كانت أمام الفرما من مصر.

ويقول صاحب معجم الأماكن وغيره:

الفرما أو الطينة : هي مدينة بمصر من شرق ، تبعد عن ساحل بحر الروم " البحر الأبيض " بقدر ميلين ، كان لها ميناء عامر وبها صنائع وتجارة، ويصل إليها فرع من النيل مسمى باسمها اليوناني " بيلوزة " أو الطينة ، وكانت في عهد المصريين القدماء حصن مصر من جهة الشرق ، وتعرف الآن (أي بعد الفتح الإسلامي) بتل الفرما، وقد سمي المكان الذي نشأت به هاجر بتل الفرما باسم "أم العرب" تكريما لهاجر عليها السلام.

ومقاطعة الفرما هذ في شمال سيناء من ناحية الدلتا الشرقية في مصر هي نفسها المقاطعة التي كان يحكمها في زمن تدهور الحكم المصري الملك العمليقي "سنان بن علوان " والمعروف في الآثار وعند مانيتون باسم "بخأأأأللللسي أباخناس / أباشنان"

لكن هذه المدينة قد لعبت دورا كبيرا أثناء حروب المصريين على الهكسوس ، فقد ذكرت لنا صفحات التاريخ أن الملك أحمس قد أسقط المواقع الشرقية للهكسوس في الشمال الشرقي من مصر قبل أن يحاصر مدينة أورايس الواقعة في الدلتا ليمنع عنهم الإمداد ويمنعهم من التواصل مع ذويهم في مقاطعاتهم المحيطة ، وكانت مقاطعة الفرما هي أهم مقاطعاتهم عند بوابة مصر الشرقية.

وتعتبر المواقع الحالية في تل حبوة بشمال سيناء أحد أهم الآثار الشاهدة على تلك المعارك العنيفة التي وقت في تلك النواحي أيام حرب الهكسوس الكبرى.

ولشعور المصريين وقتها بأهمية ذلك الموقع فقد حولوا الموقع إلى أكبر نقطة تمركز للحاميات المصرية التي تحصن حدود مصر الشرقية المؤدية إلى فلسطين والشام ،

فاستولوا على المدينة الهكسوسية الحصينة التي كانت في الفرما وحولوها إلى قلعة عسكرية حصينة استخدمت كنقطة انطلاق للجيوش المصرية التي كانت تذهب بشكل منتظم في حملات على بلاد الشام للإغارة على فلول الهكسوس في كنعان وسوريا ، وخاصة أنها تقع في بداية طريق حورس الحربي الذي مهده المصريون ليكون طريقهم الدائم إلى حامياتهم في الشام.



أحد المواقع الخاصة ببعض المباني الإدارية للهكسوس في تل حبوة شمال سيناء – ابريل 2013

وقد عثرت البعثات عن مبانى إدارية ضخمة محصنة تعود لعصر الهكسوس ، تتكون من طابقين وعدة صالات وحجرات مبنية من الطين بموقع تل حبوة على بعد 3 كم شرق قناة السويس بمنطقة القنطرة شرق بمحافظة شمال سيناء ، وتجدر الإشارة إلى أنه قد تم الكشف داخل هذه المبانى عن دفنات لهياكل آدمية وحيوانية من عصر الهكسوس كما كان متبعا، متطابقا بذلك مع ما تم العثور عليه في تل الضبعة وما حولها بمحافظة الشرقية، بالإضافة إلى العديد من الهياكل الآدمية وجدت مطعونة

بروؤس السهام والحراب مما يدل على عنف المعارك الحربية التى دارت بالموقع بين الجيش المصرى بقيادة الملك احمس الاول والهكسوس حتى تم جلائهم من مصر.

كما تم اكتشاف عدد من مخازن الجيش المصرى وصوامع للغلال بعضها دائرى يبلغ قطرها 4 امتار والاخرى مستطيلة ابعادها 30 متر * 4 متر تعود لعهد الملك تحتمس الثالث والملك رمسيس الثانى ، قدرت كمية الغلال التى تحتويها بأكثر من 280 طن ، مما يشير الى ضخامة تعداد الجيش المصرى فى عصر الدولة الحديثة ، وتحاول الحكومة المصرية تنفيذ مشروع للحفاظ على تلك المبانى والقلاع المكتشفة بالموقع لما لها من اهمية تاريخية كبرى.

وقد تم الكشف عن بقايا حريق ضخم للعديد من المبانى احرقت بالمدنية اثناء المعركة ، مما يؤكد ما جاء فى بردية ريند بالمتحف البريطانى بأن ملك مصر احمس الاول قام بالهجوم على قلعة ثارو بتل حبوة ودخل المدينة وحاصر بعد ذلك عاصمة الهكسوس افاريس بمحافظة الشرقية بتل الضبعة على بعد 50 كم من تل حبوة على الفرع البليوزى القديم للنيل والذى دارت به معارك بحرية بين الجيش المصرى والهكسوس ومحاربتهم فى معارك شرسة لإجلائهم من مصر.

وقد تم الكشف من قبل عن المنظومة الدفاعية المصرية الكاملة للجيش المصرى بشمال سيناء فى عصر الأسرة 18 والأسرة 19 من عصر الدولة الحديثة والتي أقيمت على نفس موقع مدينة الهكسوس وذلك لحماية مدخل مصر الشرقى فكانت محصنة بعدد 11 قلعة عسكرية اهمها نقطة الانطلاق المعروفة باسم قلعة ثارو حيث كان بها أضخم تحصينات عسكرية فى العالم القديم منذ الدولة الوسطى وحتى العصر المتأخر الاسرة 26 ، وكانت مركز قيادة الجيش المصرى فى عصر الدولة الحديثة ومقر ملكى لملوك مصر ومركز للقيادة العسكرية المصرية وتجميع الجيوش التى خرجت من مصر لتأمين الحدود المصرية لذلك اقيم بها اربعة قلاع ضخمة أسوار من الطوب اللبن وخنادق حول هذه القلاع وموانع مائية ومنحدرات حول الاسوار لمنع تسلق الاسوار وكذلك اسوار مزدوجة وبلغت مساحة اكبر القلاع المكتشفة 300 * 600 متر مدعمة بعدد كبير من الابراج وسمك الاسوار ما بين 8م و 14م وأصبح هذا الاكتشاف يمثل تأكيدا لما ورد في البرديات القديمة عن القلاع الحربية الحصينة التي كانت موجودة على طول طريق حورس الحربي.

وقد ألقى هذا الاكتشاف الأثري الهام في شبه جزيرة سيناء المصرية الضوء على ضخامة الجيش المصري القديم وشراسة المعارك التي دارت بين الدولة المصرية والهكسوس ، كما يشير الاكتشاف إلى وقوع أول تسونامي في العالم قبل 3500 عاما والذي نتج عن انفجار ثيرا اليوناني في جزيرة سان توريني بين القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد.



تنتوي السلطات المصرية تحويل موقع تل حبوة إلى متحف عسكري مفتوح لتشجيع السياحة في محور قناة السويس

وتنتوي هيئة الآثار تحويل الموقع متحف مفتوح وإعداده ليكون مزارا للتاريخ العسكري على مساحة ألف فدان، ضمن مشروعات تطوير محور قناة السويس سياحياً.

وقد صرح الدكتور محمد عبد المقصود، نائب رئيس قطاع الآثار المصرية ورئيس بعثة الحفائر بشمال سيناء، أنه كشف عن بقايا حريق ضخم للعديد من المباني التي أحرقت بالمدينة أثناء المعركة، مما يؤكد ما جاء في بردية "رايند" المحفوظة بالمتحف البريطاني، بأن ملك مصر أحمس الأول قام بالهجوم على قلعة ثارو بتل حبوة ودخل

المدينة وحاصر بعد ذلك عاصمة الهكسوس أواريس في منطقة تل الضبعة بمحافظة الشرقية، على بعد 50 كيلومتراً من تل حبوة.

وأصبحت ثارو بعد انتهاء حكم الهكسوس لمصر مركزا لقيادة الجيش في عصر الدولة الحديثة ومقراً ملكياً لملوك مصر ومركزاً للقيادة العسكرية وتجميع الجيوش التى خرجت من مصر لتأمين الحدود، ولذلك أقيم بها أربع قلاع ضخمة وأسوار من الطين الجاف وخنادق وموانع مائية ومنحدرات حول الأسوار لمنع تسلقها، وكذلك أسوار مزدوجة. وبلغت مساحة أكبر المدن المحصنة المكتشفة حوالي 300 متر في 600 متر وهي مساحة شاسعة جدا ، وكانت مدعمة بعدد كبير من الأبراج ، ويتراوح سمك الأسوار ما بين ثمانية و14 متراً.

انهيار دولة الهكسوس فى مصر والشام وسقوط الإمبراطورية وتدمير آثارهم:

كما ذكرنا في الفصل الثالث عند الحديث عن الهكسوس وعاصمتهم وآثارهم الباقية ، فقد أوضحنا كيف أن آثار آل فرعون – وهم قبيلة من قبائل الهكسوس العماليق – لم يعد لها أي آثار على وجه الأرض مصداقا لقول الله عز وجل :

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ سورة الأعراف

أما باقي دولة الهكسوس وامبراطوريتهم في مصر والشام فأخذت في السقوط ، وتساقطت مناطق نفوذهم وسيطرتهم واحدة تلو الأخرى سواء في مصر أو فلسطين أو سوريا أو حتى العراق القديمة ، فقد سقطت السلالة البابلية والإمبراطورية التي صنعها حمورابي العموري على يد الحيثيين ، ثم سقطت أرض كنعان كلها ولاسيما سوريا وبعض نواحي الشام في يد القبط المصريين أنفسهم في عصر التحامسة من الأسرة الثامنة عشرة التي أسسها أحمس الأول بعد تغيير استراتيجية الدولة المصرية وتوسعها في نواحي الشام لتأمين حدود المملكة المصرية ولتلافي وقوع تجربة الهكسوس مرة أخرى ، كما زاد نفوذ الحيثيون أيضا فيما تلا ذلك من عصور في مناطق الآراميين والاستيلاء على ممالكهم في شمال سوريا والعراق.

وبالتالي لم يعد للهكسوس أي سلطان في تلك النواحي سواء في مصر أو الشام أو العراق بعد هلاك فرعون وقومه وخروج من تبقى من الهكسوس خارج مصر ثم انحسار ملك جميع القبائل الكنعانية وقبائل العماليق في نواحي فلسطين والشام فيما تلى ذلك من قرون مرورا بالسيطرة المصرية والصراع المصري الحيثي على مناطق النفوذ في فلسطين والشام ووصولا إلى الحكم العبراني لأرض كنعان في عهد داوود وسليمان عليهما السلام.

إذن فقد انهارت الامبراطورية الشاسعة وضاع الملك في كل أرجاء الهلال الخصيب ومصر ، ولم تقم للهكسوس قائمة بعد خروجهم من مصر أبدا ، فقد انتقم الله عز وجل منهم لكفرهم فأهلك أكبر قبائلهم قبيلة فرعون وشتت شمل باقي القبائل في البلاد وأضاع ملكهم بل ودمر آثارهم ومنشآتهم ومزقهم كل ممزق لتكذيبهم الأنبياء ومحاربتهم إياهم.

رسائل تل العمارنة تكشف أوضاع فلسطين فى عهد إخناتون وظهور العبيرو فى كنعان:

فجأة ظهر على مسرح الأحداث في القرن الرابع عشر قبل الميلاد مجموعات تسمى "العبيرو" ، وكانت هذه الفترة هي الفترة التي كان أمنحتب الرابع / إخناتون الملك المصري الشهير جالسا على عرش المملكة المصرية وقتها.

وقد أثار إخناتون عواصف عاتية في مصر وأشعل الحرب مع الكهنة بسبب دينه الجديد الذي أتى به والذي لم يسبقه إليه ملك من ملوك مصر منذ بدء تاريخها ، ونتيجة لتلك الحرب التي اشعلها مع الكهنة وانشغاله بإصلاحاته الدينية بعدما غير دينه واعتنق دين الإله آتون بدلا من أمون رع ، بالإضافة لتغييره العاصمة الدينية ومقر الحكم لتكون "آخت آتون" التي عند محافظة المنيا بوسط مصر بدلا من "طيبة " وهي الأقصر التي في أقصى جنوب مصر فقد سقطت ممتلكات مصر في الشام ولاسيما فلسطين وامتنعت الممالك والمدن التي كانت تابعة للإدارة المصرية عن دفع الجزية وتمردت ، لكن أخطر ما في الأمر كان ظهور مجموعات غريبة عن تلك المناطق وقتها تسمى "العبيرو" أخذت تتحالف مع الممالك والمدن المتمردة على المملكة المصرية

وظلت تهاجم مدنا أخرى وتستولي عليها ، مما عرض الحاميات المصرية والمستعمرات في فلسطين والشام للخطر والخروج من الحظيرة المصرية.

وقد حفظت لنا الألواح الطينية المحروقة بعددها الكبير والمشهورة أثريا باسم "ألواح تل العمارنة" والتي كانت تمثل مجموعة مراسلات موجهة إلى ملك مصر بدءا من عهد أمنحتب الثالث ووصولا إلى عهد إخناتون ، حفظت لنا الاستغاثات والرجاء المستمر لفترة طويلة من أمراء وولاة بعض الممالك والمدن الكنعانية الخاضعة للحكم المصري وقتها ومنها أورشاليم نفسها ، وأشهر تلك الأسماء "عبدي خيبا" و "عبدي أشرتا" اللذان كانا يحكمان إثنين من تلك الممالك الكنعانية.

وقد وصل الأمر بهذين الواليين إلى التوسل إلى ملك مصر الذي فيما يبدو تخلى عن مسؤولياته بالكامل تجاه كنعان أن يرسل لهم قواتٍ مصرية وفيالق من الجيش لتصد هجمات قبائل "الـــعبيرو" ، وتعيد الأمن والنظام إلى تلك النواحي لكن الملك إخناتون الذي كان في سكرة نشوته بدينه الجديد لم يحرك ساكنا و لم يعبأ بتوسلات هؤلاء الولاة الذين كانوا تحت الهجوم المتواصل من قبائل العبيرو.

وقد صال الكثير من المؤرخين وجالوا في أبحاثهم وأفردوا لها الكثير من الصفحات البحثية للوصول إلى حقيقة العبيرو الذي ظهروا فجأة على مسرح الأحداث ، واضطر بعضهم إلى اعتبار أن العبيرو هم أنفسهم الخابيروا الذين تم ذكرهم قبل ذلك العصور بقرون في الكتابات الأكادية المعثور عليها في بابل القديمة ، وقام غيرهم بإنكار أي صلة بين العبيرو والعبرانيون أي بني إسرائيل لمجرد اعتقادهم جميعا أن العبرانيين لا يمكن أن يتواجدوا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد في فلسطين لأنهم يعتقدون بأن موعد خروجهم من مصر قد أتى بعد ذلك التاريخ بقرنين تاليين وذلك لتصديقهم الكامل للتفسيرات والقناعات التوراتية التي تدعي بأن فرعون الذي شهد خروج بني إسرائيل هو الملك رمسيس الثاني.

أما نحن فنستطيع الآن تعيين العبيرو بكل ثقة على أنهم بنو إسرائيل الذين خرجوا من مصر في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وبدأو بعد خروجهم بحوالي قرنين من الزمان وخلال العصر الذي يسمى بعصر القضاة تكوين قوة ضاربة وجيش منظم لم يلبث وأن بدأ في مهاجمة الممالك والمدن الكنعانية بتحالفه مع بعض القبائل الكنعانية والعمليقية لمهاجمة البعض الآخر.

وبالرجوع إلى نصوص الكاهن الأوجاريتي ميلكو الذي كان يعاصر عهد الملك إخناتون نجدها تؤكد الخروج المبكر لبني إسرائيل إذ أنهم بدأوا يشكلون تهديدا لممالك سواحل البحر المتوسط وخاصة بالجانب الآسيوي منه فضلا عن بعض جزر بهذا البحر مما يعني أن بعضهم كان يملك قوة عسكرية مؤثرة وهي بطبيعة الحال لا تظهر إلى حيز الوجود إلا بعد سنوات طوال من الإعداد والتجهيز مما يؤكد خروجهم في عهد سابق لفترة العمارنة ، وإنهم بعد انقضاء فترة التيه البالغة أربعين عاما استطاعوا أن يدخلوا أرض فلسطين ويسيطروا على بعض الأراضي الصحراوية التي تعتمد الحياة فيها على الآبار وعلى الرعي وكانت هذه الأرض لا تشكل مطمعا للممالك المجاورة لها ولذا فقد استمر بنو إسرائيل في هذه الأرض لسنوات عديدة قبل قيامهم بمهاجمة الممالك والإمارات المجاورة لهم وخاصة بعد قيام مملكتهم الموحدة على يد طالوت ومن بعده داوود ثم ابنه سليمان والذي استطاعوا فرض سلطانهم على ممالك بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية.[58]



لوحه رسالة من رسائل العمارنة من عصر اخناتون اكتشفت في تل العمارنه تمثل شكوي من حكام كنعان المتحالفين مع مصر بسبب العبرانيين الذين كثروا و انتشروا في ارض كنعان وهاجموا المدن الكنعانية وهددوا الحاميات المصرية في فلسطين.

[58] ملوك مصر القديمة – د.محمد راشد حماد – دار الكتاب العربي

من كان فى القدس وفلسطين عند دخول بني إسرائيل إليها؟

إن الإجابة عن هذا السؤال لا تحتاج إلى الكثير من البحث والتمحيص، وقد سبق لنا في الفصول الأولى إثبات عروبة فلسطين وسكانها منذ أقدم العصور وحتى قبل ظهور بني إسرائيل في التاريخ بقرون طويلة تصل إلى آلاف السنين.

وقد تعرضنا في الفقرة السابقة لألواح رسائل تل العمارنة، وتحدثنا عن "عبدي خيبا" وهو أحد الحكام الذين كانوا يحكمون ممالك ومدن فلسطين في عصر إخناتون.

والجدير بالذكر أن "عبدي خيبا" / عبدي هيبا (Abdi-Heba) أو (Abdi-Hebat) أو عبدو خيبا، هو أحد الملوك (الحكام) لمدينة أورشليم (القدس والمناطق حولها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. نعلم عنه من الرسائل التي وجهها إلى الملك المصري إخناتون، وعددها ستة رسائل (من EA 285 إلى EA 290) وجدت ضمن أرشيف رسائل تل العمارنة، كما أنه يذكر في رساتين أخرتين. ومعنى اسمه عبد (خادم) الإلهة هيبا (أو هبا أو هبة) وهي إلهة حورية.

ويمكن أن نلاحظ من الرسائل رغبة عبيدي خيبا في تأكيد ولائه للملك المصري الذي كان يتحكم بمنطقة غرب الهلال الخصيب ويأخذ من حكامها الذين يسمون (حزانو) الجزية، وبالمقابل يساعدهم في توطيد حكمهم عن طريق حاميات عسكرية يرسلها لمساعدت من يرضى عليه كما نلاحظ أن عبدي هيبا يحذر الملك من فقدانه السيطرة على أرض مملكته حول أورشليم وبالتالي سيطرة "العبيرو" أي العبرانيين وهم بني إسرائيل الذين وصفتهم الأدبيات الكنعانية وقتها كجماعات خارجة عن النظام السياسي والاجتماعي وترتبط بأعمال السرقة وقطع الطرق والنهب والفوضى، ويستنتج عدم اهتمام الملك المصري في هذه المنطقة الفقيرة كما نقرأ عن محولات عبدي هيبا توسيع نفوذه في المنطقة الشمالية بعد موت لابعيا ملك شكيم القوي، ففي رسالة "شوارداتا" (Suwardata) (الرسالة EA 280) يشتكيه بها للملك المصري إلا أن "شواداتا" عاد وأشاد به لوقوفه بجنابه ضد العبيرو (الرسالة EA 366) ولا نعرف للأسف ماذا حصل بالنهاية لعبدي هيبا.

وهذا الملك "عبدي خيبا" قد تعين على أنه رجل يبوسي كنعاني من عرب الشام القدماء شأنه في ذلك شأن كل حكام وولاة الممالك والمدن الفلسطينية في ذلك الوقت

وقد تبين ذلك من تحقيق أسمائهم واضحة الدلال على عروبتهم وانتمائهم إلى الجنس الكنعاني والعمليقي العربي القديم.

فإن فعروبة تلك الأرض منذ تلك العصور والعصور الأقدم منها لا تحتاج إلى تأكيد كبير للوصول إلى حالة يقينية بعروبتها وعروبة سكانها منذ آلاف السنين التي سبقت وجود بني إسرائيل في الحياة فضلا عن أنها سبقت دخولهم إلى الأرض المقدسة بأحقاب طويلة بكل تأكيد.

بنو إسرائيل في عصر القضاة وحتى قيام مملكة داود وسليمان

"فعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب" (سفر القضاة 2 : 11).

بهذه العبارة الجامعة المقدَّسة يتحدث سفر القضاة عن تلك الفترة الطويلة في تاريخ بني إسرائيل ، فبعد موت "يشوع / يوشع بن نون" تبدأ فى التاريخ اليهودى / التوراتى الحقبة المسماة: "عصر القضاة" وقد خصَّهم العهد القديم بسفرٍ خاص، جاء فى أوله أن الرب أمر اليهود بحرب العرب الكنعانيين، وإبادتهم، لكنهمً بدلاً من ذلك فرضوا عليهم الجزية ومالوا إلى نسائهم، وعبدوا تماثيل الإله الكنعانى «العربى» المسمى "بعل"

وكانت فترة ظهور القضاة فترة محزنة بعد موت يشوع ، فإن كان سفر يشوع قد أظهر حياة الجهاد والنصرة، نجد أنه بعد موته أن بني إسرائيل قد إنصرفوا إلي اللذات الوقتية ومشاركة الأمم عبادتهم الوثنية، وكان القاضي ليس لهُ أن يسن شرائع أو يضع أثقالًا على الشعب وإنما يحكم ويؤدب خاصة المنحرفين إلى العبادة الوثنية، ويقود المعارك ضد الأمم وكان ينظر للقاضي كمخلص يخلص الشعب من سطوة الأمم الوثنية ويكون ذلك بقيادتهم عسكريًا خلال التوبة والرجوع إلى الله مع الجهاد.

وقد غزا بنو أسرائيل خلال الخمسة قرون التالية للخروج من مصر معظم أنحاء أرض كنعان أو فلسطين القديمة، وتخلوا عن حياة الترحال ليصبحوا مزارعين وعمالا ، ونتيجة لذلك بلغوا درجة أرقى من التماسك الإقتصادي والإجتماعي ، وتوالت عهود من السلام النسبي وفترات من الحروب خاضتها القبائل الإسرائيلية بقيادة زعماء عُرفوا بالـــ "قضاة"، وكلا مِن هؤلاء القضاة مَن عرف بالنبوة وتم اختيارهم باصطفاء إلهي فضلا عن مهاراتهم السياسية والعسكرية، وكذلك بفضل كفاءاتهم القيادية.

وقد ظهر هؤلاء القضاة في الفترة ما بين موت يشوع وبدء عصر الملوك (بداية بشاول) فكانوا ذوى سلطة ولكن ليس كالملوك، فكان الحكم إلهيًا. بمعنى أن الله هو الملك الخفي للشعب، والقاضي يعمل كنائب لله. وكان كل سبط له رئيسه الذي يدبر أموره الخاصة، أمّا الأمور الكبرى التي تمس الجماعة على مستوى جميع الأسباط أو بعضها معًا كمحاربة الأعداء والتخلص من نيرهم فيرجع إلى القاضي.

وهكذا بدأ عصر القضاة الذى امتد باليهودية خمسة قرون ، حتى انتهى هذا العصر بوفاة الرجل اليهودى المهم «شمشون الجبار» الذى تابع هواه وتزوَّج بامرأة فلسطينية فغدرت به، فانتقم من أهلها ثم ذهب إلى «غزة» ودخل على امرأةٍ بغىٍّ، وزنا بها (وفقا لرواية التوراة) وبعد ذلك أحب شمشون فلسطينيةً أخرى، لها اسمٌ عربىٌّ صريح «دليلة» وهى التى مكرت به وأوقعته بعدما عرفت أن سرَّه يكمن فى شعره. يقول سفر القضاة، إن الفلسطينيين جاءوا بشمشون وهو مسلوب القوى، ليلعبوا به ويهزأوا، لكنه بعون الرب أسقط عامودَىْ البيت ومات مع أعدائه الفلسطينيين.. وبهذه القصة (الدراماتيكية) ينتهى عصر القضاة، ويدخل التاريخ اليهودى العام فى حقبة أخرى «ملوكية» بدأت بتتويج «شاؤل / طالوت» ملكا على اليهود، فى فلسطين.

وخلال عصر القضاة توالت الهزائم على بني إسرائيل وزاد اضطهادهم من ملوك وأمراء كنعان بسبب انحرافهم عن منهج الله ، لكن في عهد بعض قضاتهم أو أنبيائهم في منتصف عصر القضاة وخلال القرن الرابع عشر ق.م حدثت صحوة مؤقتة لبني إسرائيل وبدأوا في سلسلة من الغارات على بعض القبائل والمدن الكنعانية وتزامن ذلك مع غياب الدور المصري في كنعان بسبب انشغال ملك مصر إخناتون / أمنحتب الرابع وقتها بإصلاحاته الدينية وإهماله للمستعمرات المصرية في فلسطين ، فسقطت بعضها في أيدي العبرانيين وتمردت باقي المدن والمقاطعات على حكم المصريين وانفصلت عن الحكم المصري كما امتنعت عن دفع الجزية.

ويقال إن «سفر القضاة» كتبه صموئيل النبى، ويقال إن كاتبه هو فنحاس الكاهن، وهو يحكى قصص هؤلاء القضاة (بالعبرية: شوفيطيم) الذين كان زمانهم زمن بؤسٍ يهودى، لأن أبناء الرب كانوا عُصاة .. زناة.. عبدة أوثان.. غير طائعين لأوامر ربهم القاضية بإبادة الآخرين! وقد تشرذم اليهود خلال هذه الحقبة، وكان لكل جماعة منهم قاضٍ (شوفط) يتولى شئونهم. ولا يجب أن نفهم من كلمة «القضاة» المعنى المعاصر

لهذه الكلمة، إذ أن دلالتها لا ترتبط عندهم إطلاقاً بهذا المعنى، وإنما يعنى لفظ «القضاة» شيئاً قريباً من مشايخ القبائل، أو الكهنة الكبار.. وهم فى هذا السِّفر (الكتاب) المقدّس، ما كانوا يتورَّعون عن الأعمال المنافية للشريعة والأخلاق، كالزنا والقتل. و لم يكن حكمهم وراثياً، ولا سلطة لهم على القوانين ولا يجوز لهم وضعها، كما لا يحق لهم فرض الضرائب على أتباعهم. . فهم ليسوا «قضاة» إلا بالاشتراك اللفظى مع المعنى الذى نفهمه الآن من كلمة «قاضٍ».

و لم يكن القضاة يخلفون بعضهم الآخر بل كانَ يعاصر أحدهم الآخر ، وكان كل قاضى مسئول عن جزء من البلاد وليس كل البلاد، أي أن سلطة القاضي كانت لا تشمل كل الأسباط. إذاً سلطة القضاة كانت محلية وليس على مستوى الشعب كله و لم يمثل القضاة حلقة متصلة كالملوك.

ومفسرو الكتاب المقدس من المسيحيين، ينظرون إلى سفر القضاة وما احتواه من فوضويات واضطرابات ومآس كثيرة، على اعتبار أنه كان مقدمةً لظهور يسوع المسيح. أما اليهود أنفسهم، فيرون فيه تاريخاً تُستفاد منه العبر والدلائل على سوء المصير، عند الابتعاد عن أوامر الرب.. «رب اليهود».

وبعد أن إتضح ضعف هيكلة العشائر في مواجهة تهديد كل الخصوم التقليديين من سكان فلسطين الأصليين اقتضت الضرورة إلى ظهور حاكم يوحد العشائر ويكون قادرا على تحقيق الإستقرار والى تحديد انتقال الحكم بالوراثة، وبذلك انتقل بنو إسرائيل من نظام حكم العشائر وفترة القضاة إلى فترة الملوك والتي بدأت بتولي شاؤول/ طالوت الملك وفقا للآيات القرآنية :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ سورة البقرة

وبحسب الحسابات التأويلية لسفر القضاة، فإن هذا العصر الذى امتد قروناً، انتهى فى حدود القرن الثانى عشر قبل الميلاد. أى قبل استيلاء داود الملك على مقادير المملكتين اليهوديتين (مملكة يهوذا، مملكة إسرائيل) وبالطبع، فإن هذه الروايات جميعها تظل تاريخاً خاصًّا يُروى بطريقة مخصوصة لأناس مخصوصين بالإيمان.. وهو إيمانٌ يستوجب إفناء المخالف له والمختلف معه، والتقرُّبٍ إلى الله بمحوه من الحياة.[59]

ونقرأ في رواية التوراة في سفر الخروج وعصر القضاة وصولا للعهد مملكة إسرائيل في عهد داوود وسليمان عليهما السلام أن بني إسرائيل كانوا في صدام شبه دائم مع سكان فلسطين وأرض كنعان دون أن يقابلهم أي تدخل حقيقي من جيوش أحد الامبراطوريات المعروفة في المنطقة في ذلك الوقت وعلى رأسها الامبراطورية المصرية وهو ما يختلط فيه الإنكار المتعمد من كاتب السفر حتى لا يلفت النظر للحقبة الحقيقية للأحداث ، مع معاصرة فترة القضاة لفترة تراخي الهيمنة المصرية على أرض فلسطين لاسيما في عهد إخناتون ومن جاء بعده من الملوك.

ويمكننا القول أن فترة القضاة إتسمت بالارتداد، ولكن وُجدت قلة من المؤمنين عبدو الله كما يشهد بذلك وجود خيمة الاجتماع في شيلوه والاحتفال بالعيد السنوى ووجود رئيس الكهنة والاهتمام بتابوت العهد وتقديم ذبائح لله وممارسة الختان والنذور ، ومع أن هناك بعض النواحي الإيجابية التي تشير لوجود بعض المؤمنين إلا أنها في مجملها تظهر بصورة باهتة جدًا حتى أننا لا نسمع عن اللاويين سوى مرتين اقترنوا بفضائح وظهر وجود رئيس الكهنة كمرور عابر وهذا يعبر عن انحدار الحالة الدينية عند بني إسرائيل وقتها.

وجدير بالذكر أن فترة القضاة استمرت لمدة 480 سنة منذ خروجهم من مصر وحتى إقامة الهيكل بواسطة النبي سليمان عليه السلام ، يضاف إليها الأربعون عاما التي قضاها بنو إسرائيل في التيه في برية سيناء بالإضافة إلى ما يقترب من ثلاثين عاما هي

---

[59] أغلب تلك الفقرة منقول من مقال للدكتور يوسف زيدان بتصرف – صحيفة الأهرام – العدد 46510 – 9 إبريل 2014

فترة حكم شاؤول الذي قادهم خلال الصحراء حتى أدخلهم أرض كنعان ، وبالتالي فإن مجموع تلك الفترات يزيد عن 550 عاما تقريبا منذ عبورهم البحر وحتى إقامة الهيكل وفقا للتوراة والذي كان إقامته في القرن العاشر قبل الميلاد على أرجح الأقوال وبالتالي فإن ذلك يشير إلى أن خروجهم من مصر كان في القرن السادس عشر قبل الميلاد وهي نفس النتيجة التي توصلنا إليها في هذا الفصل والفصول السابقة بحسابات أخرى.

القسم الرابع : مسائل متعلقة بقضية الخروج

معنى النجاة بالبدن والعظة من ذلك

زعم علماء اليهود والباحثين الغربيين وحتى من أيد نظريتهم من العرب والمسلمين في تفسير قوله تعالى :

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ سورة يونس، يتطابق مع حالة مومياء الملك رمسيس الثاني الذي تقبع في المتحف المصري بالقاهرة ، ويرون في ذلك معجزة تُحقق المعنى من تلك الآية وتؤكد على النجاة بالبدن وفقا لمفهومهم ومفهوم من زعم ذلك من قبلهم.

لكن خطأ ذلك المفهوم لا ينحصر في خطأ الإسقاط الذي صنعوه من الآية على موضوع النجاة بالبدن وتفسيرهم له بأنه يدل على التحنيط وبقاء المومياء فقط بل يشمل ذلك الخطأ على مفهوم أن تكون النجاة بالبدن آية لمن خلفه.

إن أكبر الأسباب التي تجعلنا نؤمن بأن النجاة بالبدن لا تعني التحنيط ولا تعني بقاء البدن حتى يومنا هذا كما يزعم أنصار نظرية رمسيس ومرنبتاح ، بل إن وجود مومياءات للملوك القبط المصريين تزيد عن خمسين مومياء ملكية موجودة بالمتحف المصري بالقاهرة ، فكيف تكون مومياء رمسيس أو مرنبتاح أو غيره من الملوك المصريين آية للناس مع وجود غيرها من المومياوات الأخرى في نفس الوقت وغالبيتهم موجودون في نفس المكان أيضا.

إن تفسير النجاة بالبدن على هذا النحو السطحي يشكك في صحة القرآن الكريم ذاته وحاشاه وكلا من ذلك ، لكن التفسير الخاطيء لآيات القرآن الكريم وإسقاطها على واقع لا يطابق المراد من الآيات بشكل صحيح يفتح باب التشكيك لكل من أراد مهاجمة القرآن الكريم ونكران معجزاته ودقته ويقينية تفاصيله فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أما النجاة بالبدن لا تعنى أن يبقى البدن حتى يومنا هذا عن طريق التحنيط أو غيره، ولكن النجاة بالبدن تعني أن يظهر للعيان ويبرز لمن حضر الواقعة ولمن تلاهم من

معاصري الواقعة ليتثبت من يقين الخبر ، وذلك جريا على سنن الله في خلقه كما حديث مع سفينة نوح عليه السلام ، فآيات القرآن الكريم توضح ذلك ، قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) ﴾، وقوله تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٥) ﴾ العنكبوت

وليس معنى ترك السفينة آية أن ذلك يستلزم بقاءها ليومنا هذا بل كانت آية للذين عاينوا الواقعة ومن جاء بعدهم من أجيال قريبة ، لذلك فنجد في سورة الشعراء تكرارا لتلك العبارة بعد ذكر العذاب الذي جرى لتلك الأقوام واحدة تلو الأخرى ، فيقول تعالى عن قوم فرعون بعد أن أصابهم الغرق : "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ" الشعراء67 .

وتكررت تلك العبارة على كل من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأقوام البائدة التي استحقت عذاب الله في الدنيا والآخرة ، وهذا التعبير يطابق أيضا ما جاء في سورة البقرة عن الرجل الذي أماته الله ثم بعثه ، حيث يقول تعالى عنه: "وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ "البقرة 259 ، فكونه آية للناس لا يعني بالضرورة أن تكون تلك الآية معاينة منظورة وباقية بقاءا حسيا ملموسا ، ولكنها آية أي عبرة لمن يعتبر ممن يأتي بعده من الناس على مر الزمان ، وهذا أيضا ينطبق على فرعون بعد غرقه ونجاته ببدنه.

والسؤال غرق ام لم يغرق ؟

قال الله تعالى :

"فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ" سورة القصص40

وقوله: فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ ، يقول تعالى ذكره: "فجمعنا فرعون وجنوده، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمّ"، يقول: فألقيناهم جميعهم في البحر، فغرقناهم فيه ، كما قال أبو الأسود الدُّؤَلِيّ:

كَنَبْذِكَ نَعْلاً أَخْلَقَتْ مِنْ نِعالِكا ... نَظَرْتُ إلى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتُه

وذُكر أن ذلك بحر من وراء مصر، حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد، عن قَتادة: فَنَبَذْناهُمْ فِي الْـيَـمّ ، قال:كان الـيـم بحرا يقال له إساف (يم سوف)، من وراء مصر، غرّقهم الله فـيه.

وفي كل من سورة الزخرف والإسراء والشعراء وغافر وسورة البقرة والأعراف وغيرها من السور كلها تذكر بمنتهى الوضوح واقعة غرق فرعون وقومه وجنوده أجمعين ، قال تعالى في سورة الإسراء:

والاسراء103

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾

ويبين القرآن الكريم أن سبب هلاك فرعون وقومه هو دعوة موسى وهارون عليهما السلام حيث قال تعالى :

"وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلأَلِيمَ" سورة يونس 88

وقال تعالى حين استجاب الدعوة :

"قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ "

وهذا ثالث نبي يدعو علي قومه في التاريخ بعد نوح ولوط عليهما السلام وقد استجيب لهم جميعا

وفي كتب التفاسير نجد في الحديث عن تلك الآية في معنى النجاة بالبدن أقوالا متعددة أوردنا هنا الراجح منها ، يقول الطبري وابن كثير والبغوي والقرطبي وغيرهم من المفسرين :قالت بنو إسرائيل:ما مات فرعون، وما كان ليموت أبدا فسمع الله تكذيبهم نبيه، قال: فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر يتراآه بنو إسرائيل.

وعن عبد الله بن شداد:" فالْيَوْمَ نُنَجّيكَ بِبَدَنكَ، قال: بدنه: جسده رمى به البحر.

و عن مجاهد: فالْيَوْمَ نُنَجّيكَ بِبَدَنكَ قال: بجسدك.

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عَباس، قال: لما جاوز موسى البحر بجميع من معه، التقى البحر عليهم يعني على فرعون وقومه فأغرقهم، فقال أصحاب موسى: إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق، ولا نؤمن بهلاكه فدعا ربه فأخرجه، فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه.

وعن قتادة : فالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ببَدنكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً يقول: أنكر ذلك طوائف من بني إسرائيل، فقذفه اللهَ علَى ساحل البحر ينظرون إليه.

وقال آخرون: تنجو بجسدك من البحر فتخرج منه

وقال بن عباس وغيره من السلف إن بعض بني اسرائيل شكوا في موت فرعون فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع ليتحققوا موته وهلاكه ولهذا قال تعالى : فاليوم ننجيك ببدنك أي نرفعك على نشز من الأرض ببدنك.وقال مجاهد : بجسدك.

وقال الحسن : بجسم لا روح فيه.

وقال عبد الله بن شداد : سويا صحيحا أي لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه.

وقال أبو صخر : بدرعك.

وعلى هذا ومع تواتر كلام السلف في تفسير معنى النجاة بالبدن المذكور بالآية ، فالنجاة بالبدن ليس له أية علاقة بمومياء رمسيس الثاني أو غيره من الملوك المصريين كما أوضحنا لأن مومياءي رمسيس ومرنبتاح باقيتان كغيرها من المومياوات الأخرى وهي ليست مخصوصة عن غيرها بأي شيء يميزها عن غيرها لتكون آية[60]

وإذا افترضنا جدلا صحة التهمة الموجهة للملك رمسيس وإذا افترضنا جدلا أيضا أنه قد مات غريقا ، فإن الرأي العلمي يقول أنه إذا جرى تحنيط جثمان الملك بمجرد طفوها على سطح الماء وبسرعة وفي مكان غرقها – وهو الأمر العسير جدا إن لم يكن من المستحيل – فإنه لا بد أن تظل آثار التحلل الرمّي الأولية واضحة على المومياء حتى بعد تحنيطه بجانب بعض المظاهر الهامة ومنها انفصال الجلد عن اللحم وسقوط الشعر والأظافر وجحوظ العينين أو تدميرهما تماما ، بالإضافة لتصلب الجسد على نفس الشكل الذي انتشلت به من الماء أي تكون الأطراف متباعدة والأصابع منفرجة والفم مفتوح والجفنان مفتوحان، وهو مالا ينطبق على موميتي رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح وهما راقدان الآن في سلام داخل متحف الآثار بجسم سليم كامل الأطراف والجلد والأظافر وحتى الشعر والرموش مسبلي العينين ، وتدل شكل وهيئة المومياتين على أن

[60] مؤمن محمد سالم – فرعون وقومه كانوا هكسوسا

طريقة التحنيط تمت كاملة وبطريقة نموذجية وتم البدء فيها بعد ساعة وثلاث ساعات بعد الموت مباشرة.

ومع ذلك خرجت افتراضات ونظريات كاذبة ومزيفة كنظرية موريس بوكاي وغيره ادعوا فيها أن العلماء وجدوا في مومياء رمسيس الثاني أملاح !! وهذا يثبت حسب زعمهم أنه غرق في البحر المالح ، بل والأفدح ادعاء الأفاقين ومن تبعهم وصدقهم من السذج أن هذا الاكتشاف الساذج والمهين كذلك كان سببا في إسلام الطبيب الفرنسي موريس بوكاي وهي المعلومة المغلوطة والخاطئة بأخطاء مركبة!!

ولا نعرف كيف اعتقدوا أن هذا الأمر يعد إثباتا لغرق رمسيس أو غيره من ملوك القبط المصريين في البحر المالح !!! ذلك لأن أي مومياء أثناء تحنيطها توضع في أملاح التحنيط لمدة أربعين يوما ومهما زادت نسبة تركيز ملوحة الملح الذائب في ماء البحر فلن تزيد عن ملوحة الملح الصلب الخام الذي توارت تحته المومياء لمدة أربعين يوما أثناء عملية التحنيط.

إن تفسير النجاة بالبدن والآية التي أوجدها الله عز وجل لمن شهد الواقعة بتلك السطحية والسذاجة لهي أعظم إهانة يمكن أن توجه لكلام الله عز وجل كما أنها إستهانة بالغة بعقول العرب والمصريين والمسلمين على حد سواء.

كتب ومصنفات أكاديمية و أعمال أدبية عن الخروج:

تعددت الكتب والمصنفات التي تم تأليفها عن موضوع خروج بني إسرائيل من مصر بشكل أكبر من أن يسمح بالعد والإحصاء ، وكان للمؤلفات ذات الخلفيات التوراتية واليهودية النصيب الأكبر في تلك الأعمال وهو ما يفسره أن أغلب علماء المصريات والتاريخ الغربيين – إن لم يكن جميعهم – من أصحاب الخلفيات الدينية التوراتية التي تتحيز لرواية التوراة عن الأحداث وتفسيرات علماء الدين اليهود والحاخامات وعلماء التوراة ، ونقدم هنا أمثلة ومختارات من تلك الكتب والمصنفات الأدبية عن الخروج في الأدب العالمي :

قصيدة الخروج Exodus (poem)

قصيدة إنجليزية من الشعر الإنجليزي القديم مجهولة الكاتب وهي واحدة من أطول القصائد وأكثرها تعقيدا في الأدب الإنجليزي القديم وفي اللغة الإنجليزية القديمة بوجه عام، وتصف القصيدة مشاهد التوراة وقد حاول كاتبها ربط أحداث خروج بني إسرائيل من مصر بأحداث طوفان نوح وحياة إبراهيم وإسحق ويعقوب في صحراء كنعان وغيرها من أحداث الكتاب المقدس لكن محور القصيدة يدور حول خروج بني إسرائيل من مصر ، وتتشابه القصيدة مجهولة الكاتب مع الأدب الأنجلوساكسوني.

رواية الخروج Exodus 1958 (novel)

رواية سياسية كتبها الروائي الأمريكي ليون أوريس وتتحدث الرواية في الأساس عن تأسيس دولة الكيان الصهيوني إسرائيل ،وقد نشرت في عام 1958، واستمد الاسم من الاسم الشهير لواقعة خروج بني إسرائيل من مصر لكن التعبير مستوحى أيضا من سفينة الهجرة الكبيرة التي حملت المستوطنين اليهود إلى أرض فلسطين عام 1947. ، وقد قام الكاتب في روايته بتغطية محددات الصراع العربي الإسرائيلي بصفته مراسل حرب عام 1956.

وبعد تاريخ نشرها بعامين انطلقت الرواية في مشوار النشر العالمي ، وأصبحت من أكثر الكتب مبيعا في الولايات المتحدة منذ رواية ذهب مع الريح (1936). وقد باع أوريس حقوق الفيلم مقدما.

والقصة تدور مع بطل الرواية "آري بن كنعان" وتتطرق لتفاصيل التدبير الصهيوني والمؤامرة التي صنعها اليهود لنقل اليهود اللاجئين من البريطانيين من معسكر الاعتقال في قبرص إلى فلسطين.

ونفذت العملية تحت رعاية الموساد.

وبذلك تعتبر الرواية – التي يعبر عنوانها تماما عن المفهوم الحديث للخروج من وجهة النظر اليهودية – تأريخا حقيقيا لفترة الاستيطان اليهودي في فلسطين وإعلان دولة الكيان الصهيوني والصراع العربي الإسرائيلي ، وقد تحولت الرواية إلى عمل فني عندما قام المخرج أوتو بريمنغر بتحويلها إلى فيلم في عام 1960 استنادا إلى أحداث

الرواية ، وقد قام بدور البطولة بول نيومان في دور آري بن كنعان ، وهو يركز بشكل رئيسي على الهروب من قبرص والأحداث اللاحقة في فلسطين.

وقد أصبحت الرواية التي حققت أعلى مبيعات في الولايات المتحدة منذ رواية ذهب مع الريح تسب تعاطفا جديدا وقتها عند الشعب الأمريكي حول نشأة دولة الكيان الصهيوني إسرائيل في العصر الحديث.

وقد قال الناقد الأدبي الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد في عام 2001 أن الرواية لا يزال توفر "النموذج النمطي الذي يسيطر على التفكير الأمريكي" فيما يتعلق بتأسيس إسرائيل.

وقد أمعن الكاتب في تشويه صورة العرب ووصفهم بأسوأ الصفات في تلك الرواية بالإضافة لعدم الدقة التاريخية والتي أصبحت من أبرز الانتقادات التي تم توجيهها لتلك الرواية التي أثرت تأثيرا كبيرا على الوجدان الجمعي الأمريكي والغربي بوجه عام.

رواية الخروج 2002 (novel) Exodus

رواية من الخيال العلمي مكتوبة للشباب البالغين من قبل جولي برتاجنا ، نشرت في أغسطس 2002 ، وتدور أحداث القصة في جزيرة تواجه مشكلة في ارتفاع مستوى سطح البحر الناجم عن ذوبان القمم الجليدية وغيرها من أشكال ظاهرة الاحتباس الحراري ، ويقوم "مارا" بطل الرواية والذي يبلغ من العمر 15 عام بالتفكير في وسيلة لانقاذ نفسه والقرويين الآخرين بل وإنقاذ العالم من ذلك الخطر الذي يتهدده.

وتمثل الرواية جزء من ثلاثية روائية ويعتبر الكتابين التاليين لها عبارة عن تتمة لهذا الكتاب وهما "زينيت" ، التي نشرت في عام 2007، تليها "أورورا" التي نشرت في عام 2011.

وقد استلهمت الرواية من أحداث حقيقية عندما وقع في عام 1999 أن اثنتين من جزر جنوب المحيط الهادي قد انغمرت وغرقت بالكامل عن طريق البحر نتيجة لظاهرة الاحتباس الحراري ، مما اضطر الناس للعثور على أرض أعلى للإقامة فيها ، وبهذا ظهر هذا العمل الأدبي الذي كان الغرض منه هو إطلاع القراء الصغار حول ظاهرة الاحتباس الحراري وإقناعهم بأن شيئا ما يجب القيام به حيال ذلك.

وهذه الرواية كما هو من الواضح لا علاقة لها بالمرة بأي معنى سياسي أو ديني إلا اقتباس اسم "الخروج Exodus " للإيحاء بمعنى النجاة والهروب من الخطر.

رواية الخروج Exodus 2007 (novel)

رواية من روايات الخيال العلمي وهي استكمال لسلسلة "حرب النجوم" لستيف وايت وشيرلي ماير ، وتتحدث الرواية عن شعب من شعوب الفضاء يهربون من مجموعتهم الشمسية بحثا عن كوكب آخر يصلح للعيش على سطحه ويجدون كوكب الأرض مناسبا لهذا الغرض وتشتعل الحروب من أجل تحقيق هذا الغرض ، والفيلم ليس له مدلول ذو علاقة بخروج بني إسرائيل من مصر لكن عنوانه يرمز إلى النجاة والهروب أيضا من الأخطار كما حدث في قصة الخروج.

أفلام علمية ووثائقية عن الخروج

حل شفرة الخروج The exodus decoded

فيلم وثائقي تم انتاجه عام 2006 بواسطة المنتج اليهودي الإسرائيلي الكندي سيمحا جاكوبوفيتشي لإثبات قصة الخروج التوراتية ، وقد تطرقنا في هذا الفصل لبعض التفسيرات التي تناولها الفيلم من الناحية المادية والفيزيائية.

وقد تم عرضه أول مرة في 16 إبريل 2006، على قناة التاريخ History Channel ، والفيلم من إخراج جيمس كاميرون وقد صنع خصيصا كفيلم وثائقي يستكشف الأدلة على صحة رواية الكتاب المقدس عن الخروج .

وتعتمد فكرة الفيلم على تعيين وقت الخروج في حوالي عام 1500 قبل الميلاد بدلا من التواريخ التقليدية التي يؤكدها اليهود في كل مناسبة حيث يعينون فترة الرعامسة في القرن الثاني عشر والثالث عشر قبل الميلاد كفترة معتمدة بالنسبة إليهم لواقعة الخروج ، أما جاكوبوفيتشي فيتحدث عن القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل

الميلاد في عهد الملك أحمس الأول بدلا من رمسيس الثاني ، وأن الخروج تزامن مع
اندلاع الحضارة المانوية .

واعتمد الفيلم الوثائقي على الاستخدام المكثف للرسوم المتحركة والكمبيوتر
والمؤثرات البصرية التي أعطت للفيلم نوع من الجاذبية البصرية والمؤثرات الخاصة
وزمن الفيلم 90 دقيقة وتم بثه لأول مرة في كندا يوم 16 ابريل (خلال عيد الفصح
اليهودي) لسنة 2006 (قناة ديسكفري كندا) ، كما تم عرضه في الولايات المتحدة
في 20 أغسطس لعام 2006 (قناة التاريخ الأمريكية)، وفي المملكة المتحدة في 23
ديسمبر 2006 (قناة ديسكفري المملكة المتحدة)، وفي اسبانيا في 25 ديسمبر لعام
2006 (كواترو) و في دولة الكيان الصهيوني إسرائيل على 3 أبريل 2007 على القناة
الثانية الإسرائيلية.

الكشف عن الخروج The exodus revealed

ويعتبر نسخة أقدم من فيلم حل شفرة الخروج مع الفارق في الإماكانات التي لم
تكن متاحة وقتها .

فيلم الخروج – لرون وايات Exodos – Ron Wyatt Archaeology 2012

وقد تقدم ذكر نظريته عند الحديث عن نظريات الخروج الخاطئة ؛ ويتلخص الفيلم
حول نظرية عبور البحر عند خليج العقبة مصحوبا بأدلة أركيولوجية ادعاها رون
وايات كمحاولة لإثبات نظريته ، وقد تقدم نقد تلك النظرية في هذا الفصل.

أشهر الأفلام السينمائية عن الخروج

أما الأفلام السينيمائية فحدث ولا حرج ، فأعدادها أكثر من أن تحصر ، وقد تحولت معظم الروايات التي حملت نفس الإسم إلى أعمال سينيمائية نخص منها بالذكر ما يلي:

- الوصايا العشرة The ten Commandements
- أمير مصر Price of Egypt
- فيلم الخروج Exodus 1960
- فيلم موسى – الخروج والكتاب المقدس Moses - The holy bible exodus
- فيلم الخروج 2007 (بريطاني) Exodus
- فيلم الخروج 2007 (هونج كونج)
- فيلم الخروج – حكايات من المملكة المسحورة 2005 (فلبيني)
- فيلم الخروج – آلهة وملوك Exodus : Gods and kings 2014

الفصل السادس: مزاعم يهودية وخرافات توراتية .. وأسطورية أرض الميعاد

- مقدمة
- مزاعم يهودية تتعلق بالتفاصيل التاريخية والأرقام والأزمنة.
  - التهويل فى فترة إقامة بني إسرائيل فى مصر.
  - التهويل فى تعداد بني إسرائيل وقت الخروج من مصر.
- مزاعم يهودية ونظريات تتعلق بالجغرافيا والمواقع التاريخية.
  - مصر التي فى الجزيرة العربية !! ونظرية الدكتور كمال الصليبي .. اجتهادات خاطئة ونظريات خيالية.
- مزاعم يهودية تتعلق بالآثار وتفسيرها وترجمة نصوصها.
  - أكذوبة العثور على جيش فرعون تحت البحر الأحمر.
  - أكذوبة صمت الآثار المصرية عن أحداث قصة الخروج.
  - نشاطات صهيونية مريبة فى موقع الأحداث.
  - لوحة إسرائيل المزعومة ... وأكذوبة اسم إسرائيل على الآثار المصرية !
- متهمون بالفرعنة.
  - أحمس الأول.
  - أمنحتب الأول.
  - أمنحتب الثاني.
  - تحتمس الأول.
  - تحتمس الثانى
  - تحتمس الثالث.
  - إختناتون.
  - توت عنخ آمون
  - حورمحب وخمسة ملوك آخرين!
  - براءة رمسيس.

- أكاذيب تتعلق بالحقوق التاريخية.
  - ادعاء اليهود بأحقيتهم فى أرض فلسطين.
- جهود مبتكرة فى التهويد للتاريخ والأرض والتراث.
  - تحليل DNA مزيف للمومياوات المصرية.
  - الهيكل.. عقيدة صهيونية وممارسة عملية.
  - الحفريات.
  - بطلان عقيدة الهيكل.
- أهداف التزوير وأسبابه ونتائجه.
  - قانون معاداة السامية.
  - العنصرية اليهودية.
  - تحريفات وتخريفات إسرائيلية.
  - خطاب الكراهية والتشنيع اليهودي على مصر وبث الكراهية ضد المصريين.
- من رواد التزوير فى التاريخ.
  - عزرا / عزير صاحب التوراة السبعينية.
  - جريمة يوسفوس.
  - أباطيل موريس بوكاي ... وإشاعة إسلامه.
- أعمال فنية تغير الحقائق التاريخية وأخرى تروج للمزاعم اليهودية وتوثق للكذب.
  - فيلم الوصايا العشرة وأثره فى ترسيخ الأكاذيب اليهودية.
  - الفيلم الوثائقي : حل شفرة الخروج ... فيلم جديد وتزوير جديد.
  - الأخطاء التاريخية الفجة لمسلسل يوسف الصديق.
  - أحدث أفلام هوليود عن قصة موسى والخروج .. "الخروج - آلهة وملوك".
- خاتمة ... كلمة من أجل الحفاظ على التاريخ وإحقاق الحق!
  - التهويد المبكر لأرض فلسطين واختراع فكرة أرض الميعاد
  - أكذوبة الأرض الموعودة:
  - السنن الإلهية بوراثة الأرض وحتمية الوعد الإلهي الصحيح:
  - هل لليهود حق فى فلسطين ؟

مقدمة

في مستهل هذا الفصل الهام أود أن أستعير كلمات أعجبتني في خضم هذا البحث الطويل ، وهي كلمات صادقة – أحسبها كذلك من صاحبها – ومعبرة عن الموقف وعن صلب الموضوع الذي نتحدث فيه بل وكانت في نفس السياق الذي قررنا من أجله تصنيف هذا الكتاب ، يقول صاحب الكلمات :

"نجح أصحاب التوراة السبعينية-اليونانية في جعل حكاياتهم مرجعا للتاريخ لدرجة أنه إذا ما واجهتنا أي حادثة في ماضي تاريخ المنطقة نعرضها أولا على حكاياتهم لنرى ماذا قالوا ويكون هذا هو الحق المبدئي بعد هذا نلوي عنق كل شيء ليتماشى مع ما قالوه لدرجة أصبحت كثير من الأحداث والمفاهيم بتأثيرهم مسلمات غير قابلة للنقاش رغم ظهور ووضوح أخطاء فاضحة في مختلف الاتجاهات تاريخياً أو منطقياً أو جغرافياً وبدلا من التوقف وإعادة التفكير ظل كثير من الباحثين يدورون حولها أو يعالجونها بخجل أما رجال الأديان السماوية فقد شكلوا سياج متين يحمي تلك المفاهيم وذلك بإدخالها في صلب عقيدتهم فأصبحوا حائط صد منيع لوجهة نظر أصحاب التوراة السبعينية وظل همهم وشاغلهم ترديد تلك الأساطير وظل همهم وشاغلهم ترديد تلك الأساطير وبذل الجهد في الدفاع عنها وتبريرها".[1]

لقد كانت قصص بنو إسرائيل كما أتت بالقرآن قصص بسيطة وطبيعية وعادية حولها اليهود إلى أساطير ، وحول المسيحيون الأساطير إلى مسلمات وحول المسلمون المسلمات إلى مقدسات فأصبحت هناك قصص دينية بثلاث طبعات وكل طبعة مزيدة ومنقحة عن السابقة ورحب الجميع بهذا".[2]

ونحن وإن بيّنا وأوضحنا بشكل متكرر في معرض حديثنا في الفصول السابقة أدلة إثبات الحقائق التي تعرضنا لها في قضية الخروج وقصة موسى وبني إسرائيل وتاريخهم في مصر وفلسطين القديمة ، إلا إننا وكما ذكرنا من قبل نؤكد على حقيقة جوهرية يجب أن يعيها القاريء جيدا ، ألا وهي أن التصدي لملف التزوير والتبديل والرد على المزاعم اليهودية الصهيونية ونفي خرافاتها وادعائاتها الكثيفة التي طالت التاريخ العام لاسيما

---

[1] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

[2] المصدر السابق

تاريخ مصر وفلسطين على وجه الخصوص يحتاج إلى جهود مضنية ومكثفة في المقابل من العرب والمسلمين وبني أمتنا جميعا حتى يظهر للعالم أجمع حقيقة تلك الإدعاءات والمزاعم وإحباط محاولات التهويد المستمر لكل ما يخص التاريخ والتراث والأرض والحقوق.

وإني وإن حاولت في هذا الكتاب أن أتصدى لأحد أهم تلك القضايا التي تؤثر على جانب هام جدا من التاريخ لما له من نتائج هامة وواقع أصبحنا نعيشه في العصر الحالي، غير أن محاولتي هذه — ومحاولات غيري بالطبع — لا تمثل إلا النزر اليسير والجهد البسيط ، أما حجم التزوير والتشويه وقلب الحقائق الذي تمارسه الصهيونية العالمية لتغيير الواقع من منطلقات تاريخية فلا يمكن حصره ولا إحاطته من كل الجوانب لضخامة التحريفات والافتراءات.

لذلك أحاول في هذا الفصل جاهدا أن أبين بشيء من المنهجية المختصرة مواطن التزوير وأهدافه ونتائجه ، غير أن هذا الباب تحديدا يحتاج إلى تخصيص أبحاث أخرى مستفيضة وبذل جهود جادة وحثيثة واستقبال واعٍ من القراء والجماهير للوقوف على الحقائق التي تنفي كل تلك المزاعم التي ترسخت في وعي الشعوب بشكل عام.

لقد كان للكثير من الباحثين والمؤلفين جهوداً مبذولة في ذلك الصدد ، ومنهم الشرقيين والغربيين على حد سواء ، لكن تناقص القراء وانصرافهم عن الكتب المقروءة إلى الفضاء الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي والمواد المرئية وغيرها كان له الأثر الأكبر في تقلص وعي الجماهير خاصة الجماهير العربية والشرقية حول تلك القضية وغيرها من القضايا الهامة.

وتزامن ذلك — لشديد الأسف — مع الأعمال المبهرة التي يقوم بها المزورون والمدلسون كالأفلام السينمائية والوثائقية والمواد المرئية والإعلامية والتي ملأت ذلك الفراغ الهائل عند الجماهير التي تفضل كل ما هو مرئي ومشاهد عن كل ما هو مطبوع ومكتوب ، فكانت النتيجة هي المزيد من الوعي المغلوط والمعلومات الخاطئة التي تساعد أعدائنا على تحقيق أهدافهم وتسلب من أمتنا حقوقها التاريخية.

إن ملف التزوير والتهويد لحقائق التاريخ القديم والحديث ليس حكرا على المثقفين والمؤرخين من بني أمتنا وشعوبها العربية فقط بل إننا نرى العديد من المؤرخين

والباحثين اليهود أنفسهم قد اكتشفوا حقائق كثيرة تثبت التزوير والانحراف عن الحقائق التاريخية التي جرت في التاريخ الحديث والقديم على حد سواء ، ونعرف من ذلك الكثير من المؤرخين اليهود والغربيين الذين قدموا مؤلفات شهيرة تساهم في هذا الباب مثلما كشف عنه بشفافية كبيرة "شلومو ساند" – وهو يهودي اسرائيلي – في كتابيه "اختراع الشعب اليهودي" و "اختراع الارض اليهودية"، بل وكأنه يطوّر حقائق كشف عنها المؤرخون الجدد في الكيان الصهيوني حول اكاذيب نشأة الكيان بل ويؤكد الكاتب في كتابه أن القومية اليهودية هي ميثولوجيا وخرافة قد جرت فبركتها قبل مائة عام من أجل تبرير إقامة الدولة الإسرائيلية . ويؤكد أن اليهود لم يطردوا من الأراضي المقدسة و معظم يهود اليوم ليست لهم أي أصول عرقية في فلسطين التاريخية، وأن الحل الوحيد هو إلغاء الدولة اليهودية "إسرائيل"[3].

قبل ان ينقلب ابرزهم بيللي موريس على اكتشافاته العلمية في الثمانينات فيما بقي الآخر "ايلان بابي" متمسكاً باستنتاجاته التي اثارت استياء العديد من الصهاينة.

ويبرز كتاب آخر صدر خلال العقد الأخير بعنوان "تزوير التاريخ" للمناضل والطبيب والروائي والكاتب الموسوعي فايز رشيد يكشف فيه الدكتور فايز رشيد في كتابه الشيق العديد من الحقائق التاريخية التي زورها اليهود حول هوية الأرض وتاريخ اليهود وغيرها من القضايا الهامة في هذا الشأن ، فإن المعركة حول التاريخ ليست معركة حول الماضي، كما يظن كثيرون، بل هي معركة حول الحاضر وصولاً إلى المستقبل.. هي معركة قرر ان يخوضها د. فايز رشيد وغيره من المهتمين بقضايا تلك الأمة بكل كفاءة وعلمية وموضوعية فأعطى بذلك نموذجاً لالتزام يتحصن بالموضوعية، وبموضوعية لا تغادر الالتزام، لأن ما أصطلح عليه حقاً بالمفهوم الاخلاقي أو الوطني أو الديني، هو حقيقة بالمفهوم العلمي والموضوعية.

ويعد هذا المؤلَف تحديدا الذي أبرز فيه الدكتور رشيد كل الأسلحة العلمية من وثائق وتقارير ودراسات يمكن لأي مدافع عن القضية الفلسطينية أن يستند إليها لا

[3] حين أصدر شلومو ساند كتابه «اختراع الشعب اليهودي» عام 2008، لم يكن أحد يتصوَّر أنه سيحتل قائمة أفضل الكتب مبيعاً في إسرائيل نفسها، ولمدة 19 أسبوعاً. الكتاب صدر في البداية باللغة العبرية، ثم تمت ترجمته إلى عدة لغات، وصدرت منه ثلاث طبعات في فرنسا وحدها، كما حاز جائزة فيها.

سيّما أمام المحافل الدولية التي علينا أن نلاحظ ملامح تحول هام في بعض أوساطها مما أدى بأكثر من مسؤول صهيوني إلى الاعلان عن مخاوفه من عزلة عالمية تلف الكيان الصهيوني، ومن حركة عالمية لنزع الشرعية عنه، وهي الحركة التي باتت منتشرة في جامعات الولايات المتحدة وأوروبا تحت اسم المقاطعة أو حملات مناهضة "الأبارتايد الصهيوني"، ناهيك عن تعاظم التأييد للقضية الفلسطينية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وصولاً إلى استراليا نفسها، وهو تحوّل من شأنه ان يفقد هذا الكيان أهم ركائزه التي يستند عليها.

هنا تبدو أهمية ترجمة ذلك النوع من المؤلفات إلى العديد من اللغات الحية، لكي يكون المطلعون عليه بحجم الذين تأثروا بالدعايات والتزويرات اليهودية ، واذا كانت المؤسسات العربية المعنية، لا سيّما الرسمية منها، مقصرّة في اعداد كتب رسمية معدة بعناية بمستوى كتاب "تزوير التاريخ" للدكتور رشيد فان احداً لن يعفيها من التقصير اذا لم تصله مترجماً إلى جهات الارض الأرض الأربع.

نحن إذن أمام كتاب يعتبر وثيقة تاريخية، أو بياناً علميًا، يفنّد ادعاءات الصهاينة عن حقيقة التاريخ وهوية الأرض ، وبالتالي أمام كم من الحقائق والوقائع القادرة على دحض اكاذيب العدو في كل محفل أو منبر.

إن هذه القضية تحتاج ربما إلى كتب ومجلدات لفضح هذه اللعبة المزدوجة التي تلعبها الحركة الصهيونية فهي تتحالف مع اعداء السامية لدعم الهجرة اليهودية إلى الأرض المحتلة ، ثم تستغل اضطهادهم لليهود لتبتز دول الغرب وتحركها بموجب "عقدة الذنب" تجاه الكيان الصهيوني وهو ما تفعله دولة الكيان الصهيوني حاليا مع ألمانيا.

إن تسليط الأضواء على الدور الصهيوني في تمزيق المجتمعات العربية والإسلامية، وهو ما نراه جليًا حولنا هذه الايام، أمر بالغ الأهمية في تحصين هذه المجتمعات وفي تعطيل كل الأفكار والاتجاهات والممارسات التي تحرض جماعة على أخرى، واتباع ديانة على اتباع ديانة أخرى، في أمة كل أبنائها ينتمون إلى اكثريات فيها، فالعرب بمسلميهم ومسيحييهم هم أكثرية، والمسلمون بعربهم وغير العرب هم أيضاً أكثرية، والتكامل بين العروبة والإسلام هو الذي يضمن المواطنة الكاملة للجميع، والتفاعل بين الهوية والعقيدة.

أما التصدي لـــ "الدور الاسرائيلي التخريبي في البلاد العربية"، فهو ما ينبغي لنا التوسع فيه لا للتخفيف من مسؤوليتنا، كأمة عريقة في خلق تربة خصبة لهذا التخريب، بل لندرك طبيعتها والآليات وسبل المواجهة.

ويأتي كتاب آخر في هذا السياق وهو كتاب "القدس.. تاريخ مختطف وآثار مزورة" للأستاذ الدكتور عصام سخنيني الذي يقدم إضاءات هامَّة للباحثين والدارسين والحقوقيين والمهتمين بقضية فلسطين والمدافعين عن الحق العربي الإسلامي فيها لما يتضمنه من حقائق علميَّة تسهم في تعرية وفضح المخططات والسياسات الصهيونيَّة التهويديَّة الرامية إلى فرض حقائق ومعطيات جديدة على الأرض.

لقد قام اليهود والتوراتيون بتلفيق تاريخ فلسطين وحملت وسائل الإعلام المسيسة هذا التلفيق وزرعته في الوعي البشري حتى صار دارجا على ألسنة العامة والمختصين. فمثلا المؤرخ يوسفيوس فلافيوس الذي عاش في اوائل القرن الثاني الميلادي في فلسطين كتب كتابا باللغة اليونانية عنوانه "حروب يهوذا" ويهوذا اسم كان يطلق على منطقة في فلسطين وسكان هذه المنطقة كان يطلق عليهم "يهوديون". وهو اسم ليس له أي دلالة عرقية أو دينية، تماما كما نقول اليوم نابلسيون وخليليون. ولكن المترجمين الغربيين أطلقوا على الكتاب اسم "الحروب اليهودية" وعلى مؤرخ الكتاب "المؤرخ اليهودي فلافيوس" مع أن فلافيوس نفسه لم يطلق على نفسه هذا اللقب وكتب في مذكراته أنه من القدس ومن عائلة فريرية ، وهذا مثال من الأمثلة الحية لتهويد التاريخ وتنميط ما يتم ترجمته من الأعمال القديمة التي أرخت لفترات التاريخ القديم الذي يتقاطع من التاريخ اليهودي.

والحقيقة أن مقولة "التاريخ يكتبه المنتصرون" يطبقها اليهود حرفيا ، ومشكلة الصهاينة أنهم ظنوا أن المشروع الصهيوني بعناوينه الأكثر تطرفاً وعنصرية قد انتصر وبالتالي فمن حقهم أن يكتبوا تاريخ الصراع على طريقتهم، ليأتي دور المثقفين والمؤرخين العرب من بني أمتنا العريقة لكتابة التاريخ الحقيقي وإظهار الحقائق الناصعة أمام العالم أجمع.[4]

[4] من مقال "قراءة في كتاب تزوير التاريخ" للدكتور فايز رشيد بتصرف – جريدة القدس العربي

إن دولاً كبرى وأجهزة ضخمة ومؤسسات متخصصة وأقلامًا مأجورة ووسائل إعلام مُسخرّة مغرضة تسهم في تزوير التاريخ لتقدمه لنا مشوهاً وتحيل الصفحات المشرقة من تاريخ أمتنا مظلمة كالحة مما يورث الإحباط ويدعو إلى الانهزام النفسي .

أما المنهج القرآني فله سمة خاصة يتميز بها في دراسة التاريخ ومتابعة أحداثه حيث يركز على ربط دمار الأمم وانهيار المجتمعات بارتكاب المعاصي والإسراف في الترف والظلم .

إن من يكتب تاريخنا لا يخرج عن هذه الأصناف مؤلف كتب لأغراض خاصة مشبوهة ومستشرق أو مبشر ومؤرخون طائفيون ومؤرخون معاصرون - من بني قومنا - غافلون أو حاقدون!! ، وقد اعتمد المزورون في كتابة تاريخ أمتنا منهجية سطحية مغرضة وروحاً طائفية حاقدة بحيث أظهروا العيوب والسلبيات .

أما المستشرقون فعند دراسة تاريخنا أصناف ثلاث : صنف درس واقتنع وأسلم وصنف درس واقتنع وقال كلمة حق وصنف حاقد موتور أعماه التعصب فشوه التاريخ والحقائق ، وأما الطائفيون من الكتاب والمفكرين صنفان: صنف ينتمي إلى الجذور العربية الأصيلة وفريق يرى انتماءه يرجع لجهات أخرى وهو معتز بهذا الانتماء واليهودية وراء المستشرقين والطائفيين .

إن التاريخ الحقيقي لهو أصدق نافذة نطل منها على ماضينا لنبصر مستقبلنا.. والجذور البعيدة تعطي دفعة أو انتكاسة وفقا لحقيقتها التي يجب أن نعيها وتعيها كل الأجيال المعاصرة والقادمة ، فالتاريخ الحقيقي هو البذور وكلما نبتت نبتة كان أصلها يرجع إلى تلك البذور وأصولنا شريفة وجذورنا ضاربة في أرض الحق وفرعها في السماء ولكن مزوري التاريخ من المستشرقين والطائفيين أبوا إلا أن يحاولوا بكل جهدهم طمس بريق تاريخنا المشرق فراحوا تحت ظلمة الحقد الصهيوني وتزوير الاستشراق المقيت جيش طويل يحاول أن يطفئ نور هذا التاريخ العظيم لأمتنا وشعوبنا الشرقية ، وراح أحفادنا لا يرون من تاريخهم إلا قشورًا زائفة وكأننا أمة بلا أصل وبلا تاريخ!!

ونحن في هذا الفصل سنحاول التصدي للعديد من أشكال التزوير وتزييف الحقائق التاريخية التي اصطنعها اليهود في التاريخ بقدر الإمكان لكننا سنحاول اختصار ذلك ،

لأن هذا الباب – كما قلنا – يحتاج لجهود بحثية متخصصة ومتفرغة ويستحق العديد من المؤلفات المرصودة لهذا العنوان تحديدا.

مزاعم يهودية تتعلق بالتفاصيل التاريخية والأرقام والأزمنة:

- **التهويل فى فترة إقامة بنى إسرائيل فى مصر:**

وقد سبق لنا التعرض لتلك النقطة في الفصول السابقة عند الحديث عن الخروج وزمانه ومدة الإقامة المؤقتة لبني إسرائيل في مصر ، وقد بينا كيف أن الحاخامات التلموديون أنفسهم قد وقعوا في مأزق تبرير الفترة الطويلة جدا والمبالغ فيها والتي وردت بالتوراة عن مدة إقامة بني إسرائيل بمصر ، حيث ذكر سفر الخروج أن بني إسرائيل قد أقاموا مدة 430 عاما كاملة منذ دخولهم وتغربهم في أرض مصر وحتى خروجهم منها.

على أننا أثبتنا وبالأرقام الواقعية أن إقامتهم المؤقتة لم تتعدى بأي حال المائة وثمانون عاما في مصر وقعت كلها داخل فترة حكم الهكسوس العماليق لمصر ، فقد دخلوا بعد دخول الهكسوس وخرجوا منها قبل طرد بقاياهم من مصر.

يقول ابن خلدون في المقدمة : "وكثيرا ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمّة النّقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرّد النّقل غثّا أو سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النّظر والبصيرة في الأخبار فضلّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ولا سيّما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنّة الكذب ومطيّة الهذر ولا بدّ من ردّها إلى الأصول وعرضها على القواعد".

أما الحاخامات وأصحاب التلمود فيحاولون تبرير ذلك وتفسيره بأن فترة الغربة تحسب منذ خروج إبراهيم عليه السلام من أور أرض الكلدانيين وارتحاله في البلاد واغترابه فيها حتى إقامته في صحراء كنعان ، وليس منذ دخول يعقوب عليه السلام إلى مصر وبالتالي تصبح الفترة المذكورة في التوراة وهي 430 عام مقسمة كالتالي (215 منذ تغرب إبراهيم عليه السلام وقدومه المفترض إلى مصر وحتى دخول يعقوب وبنيه

إليها + 175 عام هي فترة إقامتهم المؤقتة أي غربتهم في مصر حتى خروجهم إلى سيناء + 40 عام فترة إقامتهم بسيناء أو سنين التيه كما يسميها المسلمون) وبالتالي فمجموع هذه الفترات الثلاث تساوي الرقم التوراتي وهو تفسير مقبول كما نرى ويتوافق مع الطريقة التي قمنا بحساب تلك الفترات بها لكن اليهود لا يمتلكون الدليل من كتبهم لإثبات هذا التقسيم إلا كلام الحاخامات القدامى في التلمود وياله من دليل !.

يذكر الشيخ عبدالمعز عبدالستار، في كتابه (اقتربَ الوعدُ الحقُّ يا إسرائيل) قائلاً:"لو كانت الأرض تُملك بطول الإقامة في زمن الغُربة، لكانَ الأوْلى بهم أن يُطالبوا بِمِلْكيَّة مصر التي عاشوا فيها (430) سنة، بَدَلَ فلسطين التي عاش فيها إبراهيم وأولاده بالتقدير(280) سنة، وخرجوا منها (70) نفسًا هم "ذرية يعقوب وأبناؤه وأحفاده"، ويضيف: "لو جَمعتَ كلَّ السنواتِ التي عاشوها في فلسطين، ما بلغت المدَّة التي قضاها الإنجليز في الهند أو الهولنديون في إندونيسيا، فلو كان لمثل هذه المدَّة حقّ تاريخي لكان للإنجليز والهولنديين أن يُطالِبوا به مثلهم ."

أما المدة الزمنية التي تفصل بين سيدنا يوسف وسيدنا موسى عليهما السلام فوفقا لبحثنا الذي تحدثنا عنه في الفصول السابقة وتكذيبنا للفترة التي ادعاها كاتبوا التوراة في سفر الخروج إلى أنها تصل إلى 480 سنة ولو صح هذا الرأي لكانت بنو إسرائيل وقتذاك أمةً عظيمةً ولا ينطبق عليهم قول فرعون : "إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ "الشعراء: 54 ، وقد فصلنا فيها القول وبينّا أنها لا تزيد عن 180 عام بل وأقل من ذلك قليلا بفارق ثلاثة قرون عن الإدعاء التوراتي المذكور في سفر الخروج.

❊ التهويل فى تعداد بني إسرائيل وقت الخروج من مصر

وقد سبق لنا أيضا التعرض لتلك النقطة في الفصول السابقة وأثبتنا أن أقصى عدد لهم في فترة تقدر بحاولي قرنين من الزمان لا يمكن أن يزيد بأي حال من الأحوال عن الأربعة آلاف 4000 نسمة على أقصى تقدير ، فأقصى معدلات الزيادة السكانية لا تجعل من سبعين نفسا هم جملة من دخلوا مصر مع يعقوب عليه السلام عددا أزيد من ذلك ، فضلا عن أن يصلوا إلى التعداد التوراتي الذي إدعاه كاتبوها حين قالوا أنهم 600 ألف محارب ما عدا الأطفال والنساء أي أن العدد الإجمالي بزعمهم يزيد عن

ذلك بمقدار مماثل مما يجعل جملة تعدادهم يقترب من المليون ونصف نسمة وهو الأمر الذي يرفضه اليهود أنفسهم قبل غيرهم !.

يقول بن خلدون : "وقد ذكرنا ما في هذا العدد من الوهم والغلوّ في مقدّمة الكتاب، فلا نطوّل به. ووقوعه في نصّ التوراة لا يقضي بتحقيق هذا العدد لأنّ المقام للمبالغة، فلا تكون اعداده نصوصا"[5]

وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرّخين في جيوش بني إسرائيل :

"إنّ موسى عليه السّلام أحصاهم في التّيه بعد أن أجاز من يطيق حمل السّلاح خاصّة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستّمائة ألف أو يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشّام واتّساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش لكلّ مملكة من الممالك حصّة من الحامية تتّسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عمّا فوقها تشهد بذلك الغوائد المعروفة والأحوال المألوفة ثمّ إنّ مثل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها وبعدها إذا اصطفّت عن مدى البصر مرّتين أو ثلاثا أو أزيد فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصّفّين وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر والحاضر يشهد لذلك فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء.

ولقد كان ملك الفرس ودولتهم أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلب بخت نصّر لهم والتهامه بلادهم واستيلائه على أمرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملّتهم وسلطانهم وهو من بعض عمّال مملكة فارس يقال إنّه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان وما وراء النّهر والأبواب أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قطّ مثل هذا العدد ولا قريبا منه وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسيّة مائة وعشرين ألفا كلّهم متبوع على ما نقله سيف (هو سيف بن عمر الأسدي) قال وكانوا في أتباعهم أكثر من مائتي ألف وعن عائشة والزّهريّ فإنّ جموع رستم الّذين زحف بهم سعد بالقادسيّة إنّما كانوا ستّين ألفا كلّهم متبوع وأيضا فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد لاتّسع نطاق ملكهم

---

[5] مقدمة بن خلدون

وانفسح مدى دولتهم فإنّ العمالات والممالك في الدّول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها في قلّتها وكثرتها حسبما نبين في فصل الممالك من الكتاب الأوّل والقوم لم تتّسع ممالكهم إلى غير الأردنّ وفلسطين من الشّام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف."[6]

ويقول أيضا :"وأيضا فالّذين بين موسى وإسرائيل إنّما هو أربعة آباء على ما ذكره المحقّقون فإنّه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهت بفتح الهاء وكسرها ابن لاوي بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو إسرائيل الله هكذا نسبه في التّوراة والمدّة بينهما على ما نقله المسعوديّ قال دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى عليه السّلام إلى التّيه مائتين وعشرين ، ويبعد أن يتشعّب النّسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد وإن زعموا أنّ عدد تلك الجيوش إنّما كان في زمن سليمان ومن بعده فبعيد أيضا إذ ليس بين سليمان وإسرائيل إلّا أحد عشر أبا ، ولا يتشعّب النّسل في أحد عشر من الولد إلى مثل هذا العدد الّذي زعموه اللّهمّ إلى المائتين والآلاف فربّما يكون وأمّا أن يتجاوز إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا."[7]

وهكذا نرى من كلام ابن خلدون والمسعودي وغيرهما كيف أنه يستنكر التهويل الذي وقع في إحصاء وتعداد بني إسرائيل حين خروجهم من مصر ، أن فترة جيلين من الأجيال لا تكفي لتحول سبعين نفسا إلى ستمائة نفس من حملة السلاح ما عدا الأطفال والشيوخ والنساء !

أما الدكتور أحمد داود فقد بالغ وأمعن بدوره في التقليل من عددهم وإحصائهم ، وقدم دراسة سكانية بسيطة في دراسة النص التوراتي دراسة من الناحية السكانية حيث يقول :

1. إن عدد بني إسرائيل (يعقوب) في مصر زمن يوسف بن يعقوب الذي هو أحد الأسباط الاثني عشر ، كان سبعين نفساً فقط.

---

[6] مروج الذهب للمسعودي

[7] المصدر السابق بتصرف

2. إن الفترة الزمنية لتكاثر تلك الأسرة المقصودة في النص هي الفترة المحصورة ما بين الجيل الأول (جيل أبناء يعقوب الاثني عشر) ومرحلة البدء بقتل الأطفال من الذكور ، أي زمن موسى عليه السلام وإذا ما علمنا أن موسى هو حفيد "لاوي بن يعقوب" الذي هو أحد الأسباط الاثني عشر كما تؤكد التوراة ، وأن لاوي هو الجد الثاني لموسى حسب ما تؤكده التوراة وكل المصادر التاريخية العربية ، فإن هذا يعني أن الفاصل الزمني بين لاوي وموسى لن يتعدى المئة عام ، إذ أننا إذا ما اعتبرنا السن الوسطي للزواج هو 25 سنة فيكون الرجل الذي يبلغ سنه المائة لديه ابن في الخامسة والسبعين و حفيد في الخمسين و الحفيد الثالث في الخامسة و العشرين الذي إذا ما تزوج في هذا السنن أيضاً يكون ابنه في عامه الأول، و هذا هو الجيل الرابع لأن موسى عند كل المؤرخين العرب و في التوراة هو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب.

3. ونحن إذا ما أجرينا تقاطعاً في أنساب ملوك العماليق كما أوردها كل المؤرخين العرب نحصل على النتيجة نفسها ، وبكلمة أخرى إذا ما حسبنا الفترة من الأجيال ما بين الملك المعاصر ليوسف و"فرعون" ملك مصر المعاصر لموسى لرأينا أن فرعون ينتمي إلى الجيل الرابع أيضاً بعد الملك في عصر يوسف عليه السلام.

يقول الطبري : "وكان الملك على مصر يومئذ الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح "

"وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد ابن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول".

إذن فقد كانت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون كما هو واضح تنتمي إلى الجيل الرابع من جدها الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول وهي نفس عدد الأجيال التي تفصل موسى عليه السلام عن جده لاوي بن يعقوب.

4. إن نسبة الزيادة السنوية للسكان في أقصى حدودها لا تتجاوز العشرة في المئة ، وهي بالتالي، لن تجعل أية جماعة سكانية تزيد خلال مئة عام أكثر من عشرة أضعاف ، و بهذا فإن عدد سكان بني يعقوب (إسرائيل) في مصر لن يتجاوز الـــ700 نفس من زمن يوسف إلى زمن موسى عليهما السلام!.

5. سوف نفترض تجاوزاً أن الفارق الزمني هو مائتا سنة وأن عدد النفوس تضاعف عشرين مرة – وهذا مستحيل – فسيكون عدد بني يعقوب (إسرائيل) في مصر 1400 نفس فقط!!!.

6. إن فرعون قال لشعبه كما في التوراة (إن شعب بني إسرائيل أكثر و أعظم منا هلمّ نحتال عليهم) فهل هذه هي مقولة ملك مصري يتحدث عن شعبه الذي كان جيشه فقط يصل لعشرات الآلاف بالمقارنة بقبيلة بني إسرائيل التي لا يتعدى عددها بضعة مئات ؟؟! ، وكيف بنا إذا علمنا أن الكهنة و الخدم و الحراس في قصر ملك مصر وحدهم يصلون لبضعة آلاف!!

7. أن أعلى نسبة من الرجال القادرين على الحرب و القتال وسط ذلك العدد من عشيرة بني إسرائيل لن يتجاوز نسبة العشرة في المائة ، و بالتالي فلن يتجاوزوا السبعين شخصاً كحد أدنى ، و المئة و أربعين شخصاً كحد أعلى، وهؤلاء هم الذين خرج بهم موسى إلى أرض الكنعانيين، أضف إلى ذلك أنهم جميعاً من الرعاة الذين لا يملكون في معظمهم من السلاح غير العصي و المقاليع حتى زمن داود كما تؤكد التوراة[8].

وأن خروجهم كان خروجاً رعوياً بأغنامهم و أبقارهم و حميرهم ، بنسائهم و أطفالهم ، لا خروج حملة قتالية تقتصر على المحاربين ، فانظر ماذا فعل التزوير الاستشراقي الصهيوني في تاريخ مصر !!!

قد ضخم كاتبوا التوراة تعداد جماعة موسى عليه السلام والتي لم تكن تتجاوز ال 700 شخص و اعتبروها شعباً يهودياً يضطهده ملوك مصر و يسخرهم في بناء الأهرام وفقا لدعاويهم الحديثة وتحت هذا الاضطهاد يقوم موسى بالهجرة من مصر وادي النيل إلى فلسطين في جنوب سوريا ، إن تصحيح تلك الأباطيل اليهودية يدحض مرة واحدة وإلى الأبد مقولة دولة بني صهيون المزعومة[9].

---

[8] انظر سفري القضاة والملوك الأول

[9] الدكتور أحمد داوود – فضائح من التوراة – بتصرف

متهمون بالفرعنة[10]

كان من المنطقي نتيجة انتشار النظريات المختلفة حول هوية فرعون وقومه أن يكثر الكلام ويتشعب في هذا الموضوع ، فتعددت الفرضيات والتخمينات والاستنتاجات التي تحدد شخصيته ، وتكاثرت تلك المحاولات للدرجة التي نتج عنها اتهام مالا يقل عن 20 ملكاً من ملوك العالم القديم ، في كل مرة يتهمون ملكا مختلفا عن غيره بحجج وأدلة وبراهين يزعم أصحابها أنها براهين صحيحة وحجج قوية وقاطعة للدلالة على ملك أو حاكم بعينه من ملوك العالم القديم.

والقائمة طويلة تهافت في ادعائها الكثير من المؤرخين والمفكرين والأثريين والكتاب وأغفل كلهم أو تجاهلوا الأدلة التاريخية والأثرية والدينية الواضحة التي تشير إلى عدم مصرية فرعون الهكسوسي ، وتضم تلك القائمة العديد من ملوك القبط المصريين ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

سنوسرت الثالث ، أمنمحات الرابع، أحمس الأول، أمنحوتب الأول، حتشبسوت، تحوتمس الثالث، أمنحوتب الثاني ، أمنحوتب الثالث ، أمنحوتب الرابع / إخناتون ، حور محب ، رمسيس الثاني ، تحوتمس الرابع، مرنبتاح، سيتي الثاني، رمسيس الثالث .. وغيرهم من ملوك وادي النيل .

ونحن إذ نتعرض لنفي التهمة عن كل ملك على حدة إلا أننا يجب أن نبين أنه يوجد ما ينفي التهمة عن كل هؤلاء الملوك جملةً واحدة قبل حتى أن نتطرق للدفاع عن كل واحد منهم على حدى ، فالأدلة التي قدمناها في الفصل الرابع والتي تؤكد عدم انتماء "فرعون" لملوك القبط المصريين تنفي تلك التهمة عنهم جميعا ، وبالتالي فالأمر لا يحتاج توضيحات إضافية لنفي التهمة عن كل ملوك المصريين دفعة واحدة.

يقول الدكتور محمد راشد حماد أستاذ الآثار المتخصص :

"تبين أن هؤلاء الملوك جميعا قد تركوا كثيرا من أفراد أسراتهم سواء أكانوا أولادا من الذكور أو الإناث أو زوجات وجواري وإماء أو إخوة أو أخوات وغيرهم ممن

---

[10] غالبية هذه الفقرة الطويلة منقولة بتصرف من كتاب قصص الأنبياء والتاريخ – موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟ تأليف الدكتور رشدي البدراوي الأستاذ بجامعة القاهرة.

يتصلون بهم بصلات القرابة والنسب ، كما اتضح أن انتقال العرش من أسرة إلى أخرى لم يكن بسبب غرق أفراد أسرة ملكية في البحر ، فمثلا انتقال حكم البلاد من ملوك الدولة الوسطى إلى ملوك الهكسوس بسبب انتصارهم وانتقال الحكم من المولك الرعاة إلى أحمس الأول وأفراد أسرته بسبب انتصاره على الهكسوس والقضاء على ملكهم وانتقال الحكم من ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلى الاسرة التاسعة عشرة بسبب تعرض الملك توت عنخ آمون لمرض شديد أو لحادث أليم أدى إلى وفاته في ملحة شبابه و لم يترك ذرية تخلفه.[11]

أما ملوك الأسرة التاسعة عشرة الذين لم يترك المؤرخون أحدا منهم إلا واعتبروه فرعونا للاضطهاد والتسخير أو فرعون الخروج إلا أن هذه الأسرة لم تنهار و لم ينتقل العرش والسلطة منها إلى أسرة أخرى جديدة بسبب الوفاة المفاجئة لأحد ملوك هذه الأسرة ولكن استمر حكم هذه الأسرة استمرارا طبيعيا لتنتهي بامرأة ينتقل الحكم بعدها للأسرة العشرين".[12]

ويقول الأستاذ نديم السيار:

"وبرغم ذلك كله مازال اليهود مصرين على إلصاق فرعون بملوك قدماء المصريين بأية وسيلة ، فبرغم خزى الله لهم فى اتهامهم للملك رمسيس الثانى إلا أنه لم يهن عليهم أن يتركوا هذا الملك العظيم فوجهوا إصبع اتهامهم إلى ولده وقالوا : "ان فرعون هو ابن رمسيس الثانى" الملك مرنبتاح ، وتكررت نفس القصة السابقة إذ نشطت دعاياتهم لترويج هذه الأكذوبة الجديدة حتى انطلت على الكثيرين خارج مصر[13] وداخل مصر ايضاً[14].

---

[11] عبد الحليم نور الدين — تاريخ مصر

[12] ملوك مصر القديمة — د.محمد راشد حماد — دار الكتاب العربي

[13] دراسة الكتب المقدسة / موريس بوكاى / 261

[14] جريدة الاهرام عدد 4 / 2 / 1985 م

ثم اكتشف علماء الاثار مومياء مرنبتاح كما قام بعض العلماء ايضاً بفحصها فلم يجدوا بها اى علامات للموت غرقاً [15] وبذلك تم تبرئة الملك مرنبتاح ايضاً[16].

ولكن ولأنه لابد من الصاق التهمة بأى ملك مصرى راح اليهود يوجهون أصابع اتهامهم إلى العديد والعديد من ملوك مصر ، من الأسرة 19 والـ 20 والـ 18 ويكاد لم يسلم أحد من ملوك هذه الأسرات جميعاً من اتهامهم [17] حتى اخناتون [18]، بل وحتى الملكة حتشبسوت لم تسلم منهم ونسوا ان التوراة تتحدث عن ملك مذكر و لم تذكر فى نصوصها لقب "الملكة".[19]

وبسبب تعدد الأبحاث والمؤلفات في هذا الموضوع وقائمة المتهمون الطويلة فقد وجب علينا حين تطرقنا إلى هوية فرعون وقومه أن نبين خطأ كل تلك النظريات والفرضيات التي تصدرت لتعيين شخصية فرعون وبالتالي استلزم علينا تناول كل فرضية منهم على حدى.

وقد تصدى لذلك بعض الباحثين والمتخصصين وغيرهم من العلماء في نفي تهمة الفرعنة ، غير أن الدكتور رشدي البدراوي قد قطع شوطا كبيرا وكتب بحثا مستفيضا عن هذا الأمر نورد جانبا كبيرا منه هنا في كتابنا هذا بشكل مختصر وبتصرف يسير مستعينين بما توصل إليه في نفي الحجج التي ذهب إليها جمع كبير من الباحثين.

---

[15] موسوعة الطب المصرى القديم / د.حسن كمال / جـ2 / ص 664 ودراسة الكتب المقدسة / بوكاى/ 270 – 271

[16] قصة الحضارة / ديورانت / مج 1 / جـ2 / ص 324 – مصر الفرعونية / د.احمد فخرى / ص 359 – اضواء / السحار / 1 / 31

[17] انظر قاموس الكتاب المقدس / ص 339 – 933 – دراسة الكتب المقدسة / بوكاى / 259 – مصر الفرعونية / د.فخرى / 359 – مقدمة لويس عوض / 21 – جريدة الاهرام / عدد / 4 / 2 / 85م و عدد 6 / 2 / 85م

[18] قصة الحضارة / ديورانت / مج1 / جـ2 / ص 326 – أضواء / السحار / 1 / ص30 الاهرام / عدد / 85/2/4م

[19] قدماء المصريين أول الموحدين – نديم السيار

وقدم الدكتور رشدي البدراوي في كتابه قصص الأنبياء والتاريخ[20] عرضا مستفيضا عن كل ملوك القبط من المصريين القدماء الذين تناوب الكثير من المؤرخين والمفكرين الحكم على كل منهم بأنه "فرعون ذو الأوتاد" دونما أدلة قوية تضع كل النقاط المطروحة موضع الاعتبار ، وقد تناول الدكتور رشدي كل تلك الدعاوى وفندها واستبعد كل ما تم نسبته إلى كل هؤلاء المصريون ، غير أنه عاد في النهاية واتهم رمسيس الثاني بالفرعونية وزعم بأنه فرعون ذو الأوتاد!!!! ، لكنا سنستعين بما كتب الدكتور رشدي في هذا الباب حيث قام بالرد على مزاعم كثيرة من التي ادعت أن فرعون هو أحد الملوك المصريين أمثال أحمس الأول وتحتمس الثاني والثالث وغيرهم من ملوك القبط المصريين.

وفيما يلي نورد جانبا من ذلك البحث الذي ينفي التهم عن ملوك القبط المصريين المتهين بالفرعنة:

*** اتهام أحمس الأول بأنه "فرعون":**

يزعم المؤرخ اليهودي يوسيفيوس "يوسف بن متى" ، الذي عاش في القرن الأول الميلادي أن مانيتون – المؤرخ المصري الذي كتب تاريخ مصر القديم حوالي عام 280 ق.م – قد ذكر أن بنى إسرائيل هم الهكسوس الذين حكموا مصر ، وأن طرد الهكسوس من مصر بواسطة أحمس هو نفسه خروج بني إسرائيل من مصر، وبالتالي فإن أحمس هو "فرعون"! وما دمنا لا نستطيع الرجوع إلى كتاب مانيتون الذي فقد في حريق مكتبة الإسكندرية عام 48 ق.م فلا نستطيع التأكد من صدق هذا القول بل ويساورنا الشك في صحته إذ الهدف السياسي من وراء هذا الزعم واضح إذ هو يرمي إلى القول بأن الهكسوس – الذين هم بنو إسرائيل من وجهة نظر يوسفوس – قد حكموا مصر فترة طويلة من الزمن (من 1780 ق.م حتى حوالي 1560 ق.م أي حوالي 220 عاماً) ومن ثم يحق لليهود الادعاء بأن لهم حقوقاً تاريخية في أجزاء من

---

[20] قصص الأنبياء والتاريخ – الجزء الخامس –موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟ – الدكتور رشدي البدراوي الأستاذ بجامعة القاهرة – دار النهضة

أرض مصر، وقد تبنى هذا الرأي عدد من المؤرخين أغلبهم من اليهود أو المشايعين لهم .

والثابت تاريخيًّا هو أن أول قدوم بني إسرائيل – كفئة متميزة ومستقلة في معيشتها عن المصريين – كان عند مجيء يعقوب وبنيه بدعوة من يوسف الصديق الذي كان نائباً للملك خيان / الريان بن الوليد ملك الهكسوس العماليق وأسكنهم أرض جاسان وهذا ينفي نفياً قاطعاً أن إسرائيل هم أنفسهم الهكسوس، إذ هم قد وفدوا عليهم واحتفى بهم الهكسوس إكراماً لنائب الملك (يوسف) ولأنهم أهل بداوة مثلهم ورأوا فيهم سنداً يعينهم فيما لو ثار المصريون ضدهم ، وهذه النظرية تتعارض مع ما هو معروف من أن "فرعون" كان يتمسك ببقاء بني إسرائيل في مصر بالرغم مما أتى به موسى من آيات فهل كان أحمس يتمسك ببقاء الهكسوس المحتلين بلاده ؟ ، سبب آخر ذلك أن أحمس كان يحكم من طيبة في أقصى جنوب مصر في حين أن بني إسرائيل كانوا يعيشون في أرض جاسان شرقي الدلتا فكيف يتأتى لأم موسى أن تلقيه في النهر فيلتقطه آل فرعون القاطنون على بعد ألف كيلو متر إلى الجنوب !

ولهذه الأسباب يمكن باطمئنان استبعاد الرأي القائل بأن أحمس هو فرعون.

* اتهام أحمس الأول بأنه "فرعون" الاضطهاد وتحتمس الأول بأنه "فرعون" الخروج (فرعونين بدلا من واحد !!!):

قائل هذا الرأي هو الدكتور محمد وصفي في كتاب (الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل ص 156) ويرى أن أحمس هو الذي عذب بني إسرائيل واضطهدهم وله مبرراته السياسية والاجتماعية والحربية والوطنية ، فيقول إنَ أحمسَ هو محرر مصر من المحتلين الهكسوس الذين كانوا غزاة من الشرق فكان من الطَبَيعَي أن يعمل على القضاء على العناصر الموالية لهم أو على الأقل أن يسلبهم سَلطَانَهم الذي كانوا قد وصلوا إليه بواسطة (يوسف) وبرضاء ملوك الهكسوس، فكان يذبح أبناءهم حتى لا يكبروا فيصبحوا قوة تعمل على هدم ما بناه من تحرير بلاده من الأجانب وكان يستعمل بني إسرائيل في بناء المدن فلم يكن من السياسة أن يبيدهم كلهم، ويقول إن بني إسرائيل ظلوا في التعذيب منذ أن تولى أحمس الحكم في الفترة ما بين عام

1580وعام 1560 ق.م وأن موسى ولد سنة 1571 وفقا لنظريته ، ويقول إن موسى عاصر ثلاثة ملوك هم بالترتيب :

أحمس مدة14 عاماً .

أمنحتب الأول 16 عاماً .

ثم تحتمس الأول مدة 39 عاماً .

وأن موسى لما قتل المصري كان عمره 61 عاماً وتغرب في أرض مدين 8 سنوات ثم عاد وعمره 69 عاماً ودعا الملك سنة واحدة ثم كان الخروج، وهذا الرأي يتعارض مع عدة حقائق تاريخية ومنها مايلي:

1. كيف التقط أحمس موسى من النهر وأحمس كان يحكم من طيبة في الجنوب .
2. إن سنة واحدة بين عودة موسى من أرض مدين والخروج لا تتسع لإظهار الآيات التسع الثابتة في الكتب المقدسة .
3. إن تحتمس الأول ابن امرأة من دم غير ملكي (هي الملكة سنى سونب) وكان سنده في الوصول إلى العرش هو زواجه من أخت له تجري في عروقها الدماء الملكية من ناحية الأب والأم، ولعله كان يشعر بنقص من هذه الناحية فحاول أن يزجي لنفسه ألقاباً ملكية فأطلق على نفسه (ملك من ابن ملك) محاولاً بذلك الانتساب إلى سلسلة الملوك المصريين ذوي الحق الشرعي[21] ولما كان الأمر كذلك ، وبالكاد وصل إلى العرش فإنه لم يكن ليتجاوز ذلك ويدّعي الألوهية كما هو ثابت في حق فرعون .
4. لم يرد أن تحتمس الأول مات ميتة فجائية أو غير طبيعية، بل مات ميتة عادية وخلفه ابنه تحتمس الثاني مستنداً إلى زواجه من الوريثة الشرعية (حتشبسوت).

وهذه النقاط السابقة تستوجب رفض هذه النظرية أيضاً كسابقتها.

---

[21] د. نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم ج3 ص23

*** اتهام تحتمس الثاني بأنه "فرعون" :**

وهذا الرأي قال به (ج. دي ميسلي J.De Micelli ، (1960 الذي يدعي أنه توصل إلى تحديد زمن الخروج بهامش تقريبي يصل إلى يوم واحد وهو 9 أبريل عام 1495 ق.م)، وهذا من خلال حساب التقويمات، وعلى ذلك يكون تحتمس الثاني – وكان ملكاً في هذا التاريخ – هو فرعون ، ومما أورده تأييداً لنظريته أن مومياء تحتمس الثاني مكتوب عليها وصف لأورام جلدية ، وبما أن واحداً من ضربات مصر التي تذكرها التوراة هي طفح جلدي فهذا في رأيه دليل مادي على أن تحتمس الثاني هو فرعون الخروج ! وفي رأينا أن هذا مثال للنظريات (أحاديثة النظرة) إذ تأخذ من حدث واحد أساساً لنظرية مع تجاهل باقي الأحداث ومدى توافقها مع هذا الافتراض حتى أن موريس بوكاي نفسه الذي ذكر هذا الرأي وصفه بأنه من أغرب الفروض[22] وقال إنه لا يأخذ في اعتباره مطلقاً الأمور الأخرى في رواية التوراة وخاصة بناء مدينة بي رعمسيس، تلك الإشارة التي تبطل كل فرض عن تحديد الخروج قبل أن يكون أحد الرعامسة قد ملك مصر .

أما فيما يتعلق بأورام تحتمس الثاني الجلدية فإن ابنه – تحتمس الثالث وحفيده أمنحتب الثاني كانا أيضاً مصابين بأورام جلدية يمكن مشاهدتها على مومياواتهم بمتحف القاهرة. ويحدث هذا في الأورام العصبية الليفية المتعددة التي تصيب الجلد (Mutiple neuro Fibromatosis) والمعروفة بظهورها في أكثر من جيل في العائلة .

*** اتهام تحتمس الثالث بأنه "فرعون" :**

ومعتقدو هذه الفرضية يعتمدون على فقرة في التوراة تقول :"وكان في السنة الـ 480 لخروج بني إسرائيل من مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على بني إسرائيل في شهر زيو هو الشهر الثاني أنه بني البيت الرب" (ملوك أول 1:6).

---

[22] دراسة الكتب المقدسة ص 259

ولما كان حُكم سليمان قد بدأ عام 970 ق.م فالعام الرابع هو 966 ق.م فإذا أضفنا إليها الـ 480 سنة لعاد ذلك بنا إلى عام 1446 ق.م أي تقريبا في أواخر حكم تحتمس الثالث (1468 – 1436 ق.م).

والحقيقة أن فترة الـ 480 عاماً هذه قد أثارت جدلاً كثيراً وسببت بلبلة في حساب الأزمنة ، وهي تختلف في بعض ترجمات التوراة عما جاء في ترجمات أخرى، فمنها يجعلها 440 سنة فقط، ومنهم من يزيدها 580 عاماً ! وعلى هذا يرى كثيرون أن هذا الرقم كان تخميناً من أحد كتبة التوراة لأن هناك 12 جيلاً تقع بين الخروج وبين بناء هيكل سليمان وافترض واضع هذا الرقم لكل جيل 40 عاماً فيكون 12 × 40 = 480، ولو افترضنا لكل جيل 25 عاماً بافتراض أن الأبناء سيتزوجون في سن الخامسة والعشرين وهو افتراض معقول لكان 12 × 25 = 300 وهذا يقودنا إلى تاريخ الخروج في عام 1270 ق.م، أثناء حكم رمسيس الثاني ، وهو أيضا تقدير خاطيء كما سنرى !.

ومعتقدوا الفرضية أن تحتمس الثالث هو "فرعون" يقولون إن موسى عليه السلام انتشلته من الماء الملكة حتشبسوت عام 1527 ق.م، وأنه تربى في حاشيتها وبلاطها، ولما تولى تحتمس الثالث العرش – ولما هو معروف عنه من عداوة لحتشبسوت فإن موسى خشِيَ غضبته وفر من مصر، ثم عاد وكان الخروج في عام 1447 ق.م.

وهذه النظرية تتعارض مع كثير من الحقائق مثل أن فرار موسى من مصر كان بسبب قتله للمصري، كما أنه في عهد تحتمس الثالث كان النفوذ المصري قوياً في فلسطين إذن أن تحتمس الثالث أسس إمبراطورية واسعة وطيدة الأركان واستمر النفوذ المصري قوياً في منطقة الشرق الأدنى وفي فلسطين بالذات أثناء حكم من خلفه من الملوك أمثال أمنحتب الثاني 23 عاماً – تحتمس الرابع 8 أعوام – أمنحتب الثالث 37 عاماً أي لمدة 68 عاماً، فلم يكن باستطاعة بني إسرائيل بعد فترة التيه أن يضعوا قدماً واحدة في أرض فلسطين وحتى إن كان النفوذ المصري قد ضعف قليلاً أيام حكم أختاتون فإنه عاد ثانية بعد انتهاء ثورته الدينية وبلغ أوجه ثانية أيام سيتي ورمسيس الثاني .

زد على ذلك أن تحتمس الثالث لم يدعِ الألوهية بعكس "فرعون" الذي قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ كان تحتمس الثالث على درجة عالية من الأخلاق والتواضع، يقول عن نفسه: "إني لم أنطق بكلمة مبالغ فيها ابتغاء الفخر بما عملته فأقول إني فعلت شيئاً دون أن يفعله جلالتي و لم آت بعمل فيه مظنّة، وقد فعلت ذلك لوالدي الإله آمون لأنه يعرف ما في السماء ويعلم ما في الأرض ويرى كلِ العالم في طرفة عين"[23].

وكان تحتمس الثالث رجل حرب قضى كثيراً من سنوات عمره في ميادين القتال وليس أدل على تواضعه من أنه لم يُرجع الفضل في انتصاراته إلى مهارته بل أرجعها كلها إلى تأييد إلهه آمون كما تشهد بذلك اللوحة التي أمر بإقامتها في معبد الكرنك وكتب عليها قصيدة على لسان الإله آمون مخاطباً ابنه تحتمس الثالث .

وهذه القصيدة تبين تواضح الملك تحتمس الثالث واعترافه بفضل معبوده "آمون" عليه في انتصاراته، فهو ليس ذلك المتكبِّر، المتجبر، مُدَّعي الألوهية، كما هو الحال مع فرعون.

اتهام أمنتحب الثاني بأنه فرعون:

وهو تحوير بسيط في الفرضية السابقة إذ يزيد من فترة غياب موسى ويجعله يعود أثناء حكم أمنتحب الثاني، وهذا الرأي قال به دانييل روبس Daniel Rops في كتابه شعب التوراة .Le people de la Bible ولسنا في حاجة للإطالة في نقد هذه الفرضية إذ هي واهية كسابقتها.

*** الادعاء بأن إخناتون هو نفسه موسى عليه السلام ورمسيس الأول هو فرعون:!**

وهذه إحدى الفرضيات أحادية النظرة إذ ما دام إخناتون دعا إلى التوحيد — وفقا لما اشتهر بالخطأ عن دعوته لعبادة إله الشمس - وموسى كان أيضاً يدعو إلى التوحيد فهما شخص واحد !!

وهذه النظرية في الأساس هي نظرية سيجموند فرويد عالم النفس اليهودي الذي ألف كتابه المشهور "موسى والتوحيد" ترجمة جورج طرابيشي ، وهو من اخترع أسطورة أن موسى النبي الرسول هو إخناتون وأنه كاهن وليس نبياً! ، وتلك ليست

[23] سليم حسن، مصر القديمة، جـ 4 ص 511 – الهيئة العامة المصرية للكتاب

الإشكالية بالطبع ، لكن الإشكالية الحقيقية هي أننا نجد أحد المصريين المعاصرين — وهو الدكتور سيد القمني — يتبنى نفس النظرية في كتابه " النبي موسى وآخر ايام تل العمارنة" ، والذي أخذ فيها فكرة فرويد عن النبي موسى على أنه مصري قح ليس من بني اسرائيل والبسها لباسا جديدا -باطلا زيادة على باطل فرويد-واعلن ذلك-في جملة مقالات متتابعة كسلسلة في مجلة اكتوبر أولا تحت عنوان "الاصول المصرية لليهودية" ثم صدرت المقالات في كتاب طبع دار الانتشار العربي لعام 2004 واضاف اليها زيادات من أخرى وادعى بأن موسى هو ابنا للملك رمسيس الثاني وتحديدا ابن ابنته على الحقيقة لا المجاز وان فرعون هذا هو جده الفعلي وانه مصري الجنس والعنصر-كما قال فرويد عن جنسية النبي موسى وأضاف أن الكاهن الامير ابن ابنة رمسيس اتفق مع جده سرا على اخراج بني إسرائيل من مصر بالسحر ونسخة مشوهة من التوحيد ولمانجح في المهمة رجع الى مصر واحتفل به المصريون فيما ظنه اليهود انه مات! وهنا يبرز موسى عليه السلام بزعمه مخادع ذكي وساحر — حاشا لله وعصمة لنبيه عليه السلام - ونجح في تطهير مصر من بني إسرائيل بالاتفاق مع جده الملك وبمساعدة السحرة من جنده! ، وقد جعل الدكتور سيد القمني من الملك اخناتون أنه هو الاصل لقصة موسى عليه السلام وان اليهود اخترعوا قصة موسى اخذا عن قصة اخناتون وجعل من قصة اخناتون الذي هو موسى وفقا لنظريته ونظرية فرويد مصدرا لقصة "اوديب اليوناني" وهو ما يضع النظرية في خانة إهانة الأنبياء فضلا عن خطئها وإغراقها في الخيال والوهم بلا أي دليل على كل ما ادعاه فرويد وسيد القمني.

أما احمد عثمان فقد أخذ نفس فكرة فرويد عن النبي موسى عليه السلام ، وهو مصري سافر إلى إنجلترا عام 1964 ودرس المصريات وأقام هناك، وألف كتابين: مضمون الأول يويا المصري هو نفسه ((يوسف)) عليه السلام وفقا لزعمه ، والثاني نشره عام 1989 شرح فيه نظريته من أن أخناتون هو نفسه موسى عليه السلام واختار له عنوانا جذاباً هو:

، Pharaoh of Egypt-The mystery of Akhenaten resolved.. ،Moses

وترجمته " موسى .. فرعون مصر — سر إخناتون قد تم اكتشافه ".

وبالرغم من وضوح فساد هذا الزعم فلا بأس من إيراد التصور الذي أورده كاتبه لبيان كيف يجنح الخيال بالبعض فيجعلهم يضعون تصورات غاية في الغرابة ويجعلنا نتساءل عن الدافع وراء كل هذا الافتعال.

حيث يقول صاحب هذه الفرضية إن موسى قد أمضى طفولته في شرق الدلتا حيث تأثر بمعتقدات بني إسرائيل عن الإله وتشبع بها، ثم عاد إلى طيبة عاصمة مصر ومركز عبادة آمون وكان والده أمنحتب الثالث قد تدهورت صحته، وكان موسى هو الابن الثاني لأمنحتب الثالث من الملكة ((تي)) التي يقول إنها نصف مصرية ونصف إسرائيلية ! وأن الابن الأول لأمنحتب الثالث قد اختفى بطريقة غامضة، ومن هنا تخوّفت الأم أن يصيب ابنها الثاني الذي هو موسى مكروه من كهنة آمون، ويرى أن كهنة آمون خافوا مغبة اعتلاء العرش شخص غير نقي الدماء المصرية تماماً أما وأباً، ورأى أمنحتب الثالث ما يتهدد العرش من غضب كهنة آمون فشايعهم في عدم تولي هؤلاء الأبناء العرش بل وأوحى إلى القابلات بقتل ابن الملكة إن كان ذكراً، ولما وُلد الابن الثاني — الذي هو موسى — ألقته أمه في النهر حيث سار به التيار من طيبة إلى أرض جوشن / جاسان حتى التقطته أسرة من بني إسرائيل وتربى معها وتأثر بأفكار الإسرائيليين التوحيدية ولما ضعفت صحة أمنحتب الثالث استدعت الملكة ((تي)) ابنها من الأسرة الإسرائيلية التي التقطته، ولكي تكسبه صفة لولاية العرش زوجته من أخته غير الشقيقة ((نفرتيتي)) فهي ابنة امنحتب الثالث من زوجة مصرية وتولى موسى عرش مصر باسم أمنحتب الرابع ثم قام بثورته الدينية، وأعلن عن فكر التوحيد وحرَّم عبادة آمون وجميع الآلهة الأخرى، وتآمر عليه كهنة آمون، وأخبره الكاهن ((آي)) بالمؤامرة ونصحه بالهرب إلى سيناء وتولى توت عنخ آمون العرش ثم الكاهن ((أي)) ثم ((حورمحب)) ثم بدأت الأسرة التاسعة عشرة وتولى رمسيس الأول العرش، وهنا عاد موسى ليطالب بحقه في العرش، ولما لم يفلح في ذلك طلب من رمسيس الأول أن يسمح له بخروج بني إسرائيل من مصر تحت إمرته.

وهذه الفرضية المغرقة في الخيال مبنية على لخبطة الأوراق وقلب الأوضاع، فالأب المصري هو الذي يوحي بقتل ابنه أو يوافق الكهنة على فعلهم، والأم المصرية ألقت ابنها في النهر، والتيار يسير به حوالي 1000كم من طيبة حتى أرض جاسان في الشرقية،

وأسرة إسرائيلية هي التي تلتقطه وتتبناه، والملك – الذي هو أخناتون – يهرب من مصر ثم يعود ليطالب بالعرش!

والهدف السياسي وراء كل هذا الافتعال غير مستتر ، فما دام موسى هو أخناتون، وأخناتون حكم مصر 17 سنة فإن لبني إسرائيل حقوقاً في مصر، ليس لأن موسى عاش بها، بل لأنه حكمها !!! ، وياله من فارق كبير!!.

توت عنخ آمون هو "فرعون":

وهي فرضية معدلة القائل بها أيضا عالم النفس اليهودي سيجموند فرويد ، بعدما قام بتعديل نظريته السابقة التي قالت بأن موسى عليه السلام هو الملك المصري إخناتون، فبعد أن ادعى أيضاً أن موسى مصري وليس من بني إسرائيل وأن الديانة الموسوية مستقاة من عقيدة أخناتون[24]، عاد ليقول في نظريته المعدلة : إن موسى كان أحد الأمراء المصريين المقربين من أخناتون ولكن لما حدثت الرِّدّة بعد أخناتون تم استبعاد موسى، ولما انهار أمله في حكمٍ بلاده أراد أن يوجد لنفسه دوراً ما كزعيم، فتزعم بني إسرائيل وأعطاهم ديناً جديداً استقاه من عقيدة أخناتون التوحيدية، ثم قاد بني إسرائيل للخروج من مصر خروجاً سلمياً – ليس فيه مطاردة – إلى أرض فلسطين التي كان النفوذ المصري قد انحسر عنها أيام أخناتون لانشغاله بأفكاره الدينية، وكان الخروج في عهد توت عنخ آمون، ويقول جون ويلسون المؤيد لهذه النظرية إن موسى انتهز فرصة الضعف الذي ساد أخريات أيام أخناتون وعهد خليفتيه الضعيفين: ((سمنخ كارع)) و ((توت عنخ آمون)) ونجح في الخروج ببني إسرائيل من مصر وذلك بأن خادعوا الملك وهربوا إلى صحراء سيناء، ويوافق على هذه الفرضية آرثر ويجال[25] ، ويحدد تاريخ الخروج بالعام 1346 ق.م ويرى أنه تم في آخر عهد توت عنخ آمون ، كذلك يرى المؤرخ ويتش[26] أن موسى الذي قد أمضى طفولته وصباه وشبابه في قصر

---

[24] سيجموند فرويد – موسى مصريًا – ترجمة محمد العزب موسى.

[25] تاريخ مصر القديمة، باريس، ص146، A. Weigal, 1986

[26] حضارة الشرق الأدنى، ص88، E.H. Weech

أخناتون، فقد عرف هذه العقيدة وآمن بها، فاستقى منها الديانة التي أعطاها لبني إسرائيل.

وهذه النظرية أيضاً تتجاهل حقائق تاريخية كثيرة مثل سابقتها:

1. أن موسى من بني إسرائيل وليس مصريًا، وإن كان قد تربى في مصر لكن ذلك لا يعني أنه من القبط المصريين.
2. تتجاهل الاضطهاد الذي نزل ببني إسرائيل، إذ أن طبيعة إخناتون المسالمة لا تتفق مع ذلك فضلاً عن بُعد مكان إقامتهم في شرق الدلتا عن العاصمة التي عاش فيها إخناتون، طيبة في أول أيامه ثم بعد ذلك في عاصمته الجديدة في تل العمارنة في وسط مصر عند المنيا بالصعيد.
3. مما لا يعقل أن يقبل شعب أن ينصِّب على نفسه زعيماً وقائداً من جنس آخر، إلا أن يكون مفروضاً عليهم بالقوة – أو ارتضوه حتى يخرج بهم من مصر وما إن يتم لهم الخروج حتى يكون من الطبيعي أن ينتقضوا عليه برئيس من بني جنسهم.
4. إن التوحيد كان عقيدة بني إسرائيل أخذاً عن يعقوب أبيهم وإبراهيم جدهم و"الإخناتونية" وإن كانت في نظر المصريين في ذلك الوقت توحيداً إلا أنها في نظر بني إسرائيل وقتها رِدَّة عن التوحيد لتجسيدها الإله في قرص الشمس.
5. تدعى هذه النظرية أن الخروج تم بسلام وبدون مطاردة في حين أن الثابت في القرآن الكريم هو أن فرعون الذي طارد موسى قد مات غرقاً، وقد أثبت الفحص الطبي لمومياء توت عنخ آمون أنه مات مقتولاً بضربة على الرأس وفقا لأغلب التصورات.

ولما رأى فرويد المعارضة الشديدة لنظريته هذه تراجع عنها وقال إنه من المحتمل أن موسى قد عاش في عصر لاحق لأخناتون وتوت عنخ آمون!!

ويحق لنا أن نتساءل: كيف يتأتى لعالم مثل فرويد أن يقول بهذا الرأي، وتزول الغرابة إذا علمنا هويته اليهودية، إذ ما دام موسى مصريًا فإن لبني إسرائيل حقوقاً تاريخية في مصر ! وهذا هو الهدف السياسي الذي يرمي إليه كما فعل سلفه يوسف بن متى / يوسفوس عندما زعم أن الهكسوس الذين حكموا مصر هم أنفسهم بنو إسرائيل.

لكن الاستنكار الأكبر يبقى دائما عندما نعلم بتأييد بعض المصريون لتلك النظرية وقيام بعض الباحثين بتصنيف المصنفات لتلك النظريات وطرح الفرضيات التي تمعن في الخيال بل والأدهى من ذلك أن يقوم بعضهم بإلحاق الأفعال المهينة والمخجلة بمقام الأنبياء كزواج الأخت وإلحاق بعض الأفعال الجنسية الفاضحة بهم وحاشاهم من ذلك فهم بريئون من تلك الأفعال التي تتعارض مع مقام الأنبياء وعصمتهم.

*** اتهام الملك المصري حورمحب وأربعة ملوك مصريين آخرين بالفرعنة ... أي خمسة !!:**

يقول نيكولاس جريمال[27] إن موسى عليه السلام تلقى تعليمه في سنواته الأولى في قصر الملك حورمحب ورمسيس الأول ، ثم عرف أنه من بني إسرائيل وانضم إليهم في عهد الملك سيتي الأول ، ثم فر من مصر إلى مدين بعد مقتل المصري، ثم كان تلقيه الوحي والرسالة والأمر بالعودة إلى مصر في السنوات الأولى من حكم رمسيس الثاني، ثم هو يوافق على ما يقوله كثير من المؤرخين من أن "فرعون " هو مرنبتاح.

ولو فرضنا أن الملك المصري حورمحب قد تبنى موسى في منتصف مدة حكمه ورباه 13 عاماً يضاف إليها سنتان مدة حكم رمسيس الأول + 20 عاماً سيتي الأول + 67 عاماً مدة حكم رمسيس الثاني + 10 سنوات حكم مرنبتاح فيكون عمر موسى عند الخروج ببني إسرائيل هو 112 عاماً فإذا أضفنا إليها سنوات سيناء ثم التيه 40 عاماً ثم المسيرة حول أرض أدوم لبلغ عمر موسى عند وفاته حوالي 170 عاماً في حين أن عمر موسى لم يزد عن 120 عاماً وفقا لرواية التوراة نفسها!.

ولا داعي لمزيد من مناقشة تلك النظرية ونقدها حيث أنها سقطت فيما سقط فيه معظم نظريات تحديد شخصية فرعون ، حيث افترضت كغيرها أن فرعون ملك من ملوك القبط المصريين سكان وادي النيل ، كما أنها افترضت وجود ملكين أحدهما للاضطهاد والآخر للخروج ، كما انها أخفقت إخفاق تام في ضبط الفترة الزمنية

[27] Nicolos Grimal, A History of Ancient of Ancient Egypt 1997. Blackwell, p 259

لوقوع الأحداث وبالتالي الملوك المعاصرين لها ، كما أن الردود القادمة على بعض النظريات الشهيرة ستنفي الكثير من المزاعم التي اعتمد عليها تلك النظرية وغيرها من النظريات الوهمية.

*** الادعاء بوجود ملكين أحدهما للاضطهاد والآخر للخروج (رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح):**

وهذه النظرية ذائعة الصيت بسبب عبارة واحدة في سفر الخروج حيث تقول التوراة :

"وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى فِي مِدْيَانَ: اذْهَبْ ارْجِعْ إِلَى مِصْرَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ جَمِيعُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَكَ."سفر الخروج 4

ومن تلك العبارة قام العديد من العلماء والباحثين وعلماء التوراة بافتراض بوجود ملكين أحدهما قام باضطهاد بني إسرائيل والآخر خرجوا في عهده ، وهو الأمر الذي لا تذكره التوراة بل تؤكد عكسه تماما من أن فرعون هو شخص واحد فقط وليس شخصين وهو من قام باضطهاد بني إسرائل وهو من خرجوا في عهده وهو أيضا من غرق في البحر ولا شك في ذلك.

هذا بالإضافة إلى تحديدهم للملك الذي اضطهدهم بأنه رمسيس الثاني أما الملك الذي خرجوا في عهده فهو مرنبتاح ابن رمسيس وفقا لنظريتهم الشهيرة.

وفي رأينا أنهم اضطروا لهذا القول لسببين:

- أن يتمشى ذلك مع عمر موسى الذي قرروه في إصحاح 7 خروج7: "وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حينما كلّما فرعون" ، ولما كان موسى قد فر من مصر وعمره 45 سنة كان معنى ذلك أنه أمضى في مدين 35 سنة، وهي مدة طويلة جداً لا يستقيم معها أن يفكر موسى بعد ذلك في العودة إلى مصر، ويكون بنو إسرائيل في هذه الفترة قد نسوا بطلهم ولا يعود لهم الحماس لقيادته لهم بعد أن غاب عنهم هذه الفترة الطويلة.
- أنهم أيضاً قالوا بموت الملك حتى يتمشى مع ما جاء بالإصحاح خروج 19:4 : "وقال الرب لموسى في مديان، اذهب ارجع إلى مصر لأنه قد مات جميع القوم

الذين كانوا يطلبون نفسك" والواقع أن كلمة ((جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك)) لا تعني فرعون بقدر ما تعني أهل القتيل، فهم الذين كانوا يطلبون نفس موسى وكان فرعون ينفذ طلبهم بالثأر لهم والأخذ بدمهم، فلما ماتوا لم يعد لدى فرعون دافع قوي، وفي رأينا أن الفقرة 23 من الإصحاح 2 خروج كانت ((وحدث في تلك الأيام أن القوم الذين كانوا يطلبون نفس موسى ماتوا)) وليس : ملك مصر مات[28] .

وأصحاب هذا الرأي يعتقدون أن خروج بني إسرائيل من مصر كان خروجاً سلمياً ليس فيه مطاردة، وأن مرنبتاح تعقبهم بعد أن وصلوا فعلاً إلى فلسطين، ويعبر عن هذا الرأي ما يراه ((چان يويوت)) [29] من أن بني إسرائيل انتهزوا فرصة انشغال جيش مصر في صد غزوة الليبيين لحدود مصر الغربية في السنة الخامسة من حكم مرنبتاح فهربوا من مصر، ثم بعد أن فرغ مرنبتاح من حربه مع الليبيين جرد حملة إلى فلسطين وأباد بني إسرائيل هناك.

ويعتمد أصحاب هذه النظرية على عدة نقاط:

ما ورد في التوراة (خروج 23:2) من أن ملك مصر قد مات، أي أن رمسيس الثاني مات وتولى الحكم بعده ابنه مرنبتاح، وقد ذكرنا أن المفهوم الآخر الوارد في الإصحاح 9:4 هو الأقرب للصحة وأن من مات حقيقة هم أقارب الرجل الذي قتله موسى وليس الملك نفسه وبالتالي لا يمكن أن يتم بناء نظرية كاملة على عبارة تحمل أكثر من معنى بهذا الشكل.

الأبلغ في العبرة من أن يكون الذي تكبر وتجبَّر واضطهد قد مات في سريره ميتة طبيعية في حين يكون الغرق من نصيب ابنه، فهذا ليس من العدالة الإلهية في شيء وحاشا لله أن يكون الأمر كذلك ، فالذي تكبر وتجبر واضطهد يجب أن ينال ما يستحقه من عذاب في الدنيا قبل الآخرة.

---

[28] رشدي البدراوي – قصص الأنبياء والتاريخ

[29] مصر الفرعونية، مترجم، القاهرة 1966 ص40

- تستند هذه النظرية بشكل أساسي على تفسير اللوح المسمى "لوح مرنبتاح" أو "لوحة إسرائيل " كما يحلوا للبعض تسميتها وقد تعرضنا لها في هذا الفصل، لكنا نتحدث هنا عن تلك اللوحة كدليل يستند إليه أنصار هذه النظرية ، وهذا اللوح عبارة عن لوحة تذكارية منقوشة على الجرانيت الأسود مكتوب عليها قصيدة تسجل انتصار مرنبتاح على أعدائه من الليبيين والآسيويين واللوح محفوظ بالمتحف المصري30 ، وأهمية هذه القصيدة في نظر المؤرخين هي ذكر قوم بني إسرائيل وبخاصة لأنها المرة الأولى والوحيدة التي يأتي فيها ذكرهم بالاسم- من وجهة نظرهم - في الآثار المصرية ، ولما كان بنو إسرائيل قد بدأوا إقامتهم بمصر أيام يوسف ولم يذكر عن ذلك شيء في الآثار المصرية، فإن ذكر اسمهم هنا لابد له علاقة بخروجهم من مصر.

وقد اختلف العلماء حول ما يفهم من هذه العبارة.

فبعضهم مثل پتري(Petrie ، Israel in Eygpt ، p.35) يرى أن إسرائيل كانو في الوقت الذي كتبت فيه هذه اللوحة في فلسطين.

أما البروفيسير ناڤيل(Naville ، Archeology of the Old Testament) فيرى أن اللوحة تدل على أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر قبل ((مرنبتاح)) أو في أوائل حكمه، ولكن هذا الافتراض الأخير يتنافى مع الحقيقة المؤكدة وهي أن فرعون الذي خرج بنو إسرائيل في عهده قد غرق أثناء مطاردته لهم، فلا يمكن أن يكون الخروج حدث في أوائل حكم مرنبتاح بل يكون قد حدث في أواخر حكم رمسيس الثاني الذي يفترض وفقا لاعدائاتهم أنه قد غرق أثناء مطاردتهم، وهكذا نرى أن لوح مرنبتاح الذي اتخذوه دليلاً لإثبات أن مرنبتاح هو "فرعون" قد أصبح دليلا ضد النظرية بأكملها بل وينفيها أيضا.

ويقول البروفيسير ناڤيل أيضا أنه لا يعتقد أن الإشارة إلى سوريا في اللوحة تشير إلى حرب حقيقة وقعت في سوريا. والحقيقة أنه لا يوجد ما يدل على أن مرنبتاح قد غزا أو سيّر حملة إلى سوريا، كما أن ما ذُكر من أن ((بلاد خاتي / خيتا)) أصبحت

---

[30] كتاب مصر القديمة (سليم حسن) جـ7 ص96

مسالمة – هو – كما يقال: من قبيل تحصيل الحاصل لأنها كانت مسالمة منذ المعاهدة التي وقعها والده رمسيس الثاني مع ملكها ويكون ذكر ذلك على أنه من أعمال مرنبتاح هو مبالغة من مبالغات الملوك المصريين التي اشتهروا بها عند تدوين سجل أعمالهم من باب التمجيد والافتخار، ولعله أراد الإشارة إلى أنه لم يهمل الجبهة الشرقية وكانت له فيها انتصارات كما أحرز الانتصارات في الغرب على الليبيين.

ويذكر سليم حسن عالم المصريات : "أن علماء الآثار واللغة قد ترجموا الجملة التي وردت عن إسرائيل ((وليس لها بذر)) على وجهين بعضهم قال إن محاصيلهم قد ذهبت أو ليس لهم غلة"[31].

ويَجُبُّ هذا كله أن سنوات التيه ثابتة لورودها في القرآن الكريم وفي التوراة أيضاً فلا محل لإسقاطها أو إنكارها، وما دام الأمر كذلك كيف تسنى لمرنبتاح أن يذكر في اللوح أنه أباد بذرة إسرائيل في حين أنهم كانوا لا يزالون في التيه في سيناء ؟

ويقول الدكتور محمد بيومي مهران[32]: "إن لوح مرنبتاح قد حدد البعض تاريخ كتابته بالعام الخامس من حكم مرنبتاح، وحملة مرنبتاح على الشام كانت في العام الثالث لحكمه وبما أن الثابت أن "فرعون" قد غرق أثناء مطاردته لبني إسرائيل كان معنى ذلك أن هذا اللوح – وفقا لزعم التوراتيين بأن مرنبتاح هو فرعون – قد كتب بعد غرق "فرعون" وكتبه خَلَفه تخليداً لذكرى انتصاره على الليبيين، وأضاف إليهم ((بذرة إسرائيل قد أُبيدت)) كنوع من الافتخار الكاذب إذ كيف يتأتى للملك وقد غرق أثناء مطاردتهم أن يدعى أنه أبادهم ؟"

وما دام الافتخار الكاذب قد وُضع في الاحتمالات فلماذا لا يكون كاتب اللوح هو مرنبتاح نفسه لا خلفه، وأنه هو صاحب الافتخار الكاذب ويكون فرعون هو رمسيس الثاني وهو الذي غرق أثناء مطاردته لبني إسرائيل ، لكن نظرية رمسيس الثاني هي الأخرى تلاقي مشاكل كبيرة جدا من حيث الحقائق التاريخية وعلى رأسها موت رمسيس الثاني على فراشه وفي سن كبير يعاني من أمراض الشيخوخة !!! فضلا عن

---

[31] مصر القديمة جـ7 ص111

[32] مصر والشرق الأدنى القديم جـ3 ص506

عدم مرور أربعين عاما وهي فترة التيه بين موت رمسيس الثاني وبين حملة مرنبتاح التي كتب بعدها لوحته الشهيرة !!!!

إذن فاتهام رمسيس الثاني ومرنبتاح بأنهما فرعوني الاضطهاد والخروج هي أكذوبة كبرى !!! وأن لفظة "إسرائيل" المزعومة ليست هي "إسرائيل" كما روجوا لها ، بل هو لفظ مختلف تماما سنقوم ببيانه هنا في هذا الفصل بشكل مستفيض.

ومما سبق نرى أن لوح إسرائيل أو لوح مرنبتاح – وهو السند الأكبر لنظرية أن مرنبتاح هو ما أسموه بـــ "فرعون الخروج" فقد تأكد عدم صدق الفقرة الواردة به والمتعلقة ببني إسرائيل ويصبح هذا اللوح في حقيقته – إذا صح ذكر إسرائيل في اللوحة - دليلاً على أن الخروج تم قبل عصر مرنبتاح، وقد أشار چيمس بيكي – عالم الآثار الشهير – إلى ذلك إشارة مقتضبة بقوله – وإن مركز مرنبتاح كـ"فرعون الخروج" - ولا يصح هذا التعبير لأن فرعون شخص واحد وليس شخصين - قد اهتز بسبب كشف لوحة النصر (أي اللوح المسمى بلوحة إسرائيل).[33]

وبالرغم من كل ذلك فإن هذه النظرية – "مرنبتاح هو فرعون الخروج" – تلقى قبولاً واسعاً لدى علماء الآثار المصريين والأجانب على السواء، وبلغ التعصب ببعض مؤيدي هذه النظرية إلى حد أن ينكروا غرق "فرعون" الذي خرج بنو إسرائيل في عهده.

فنرى الدكتور سليم حسن نفسه يقول: "والواقع أنه لا يمكن للإنسان أن يتصور غرق فرعون وعربته في ماء ضحضاح لا يزيد عمقه عن قدمين أو ثلاث، بل المعقول أن خيل فرعون وعرباته قد ساخت في الأوحال وسقط بعض ركابها وهذا يفسر ما جاء في سفر الخروج 25:14. "وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله"

ويستمر قائلاً: "هذا فضلاً عن أن ما جاء في القرآن الكريم لا يُشعر بأن "الفرعون" الذي عاصر موسى وطارده قد غرق ومات، بل على العكس نجّاه الله ببدنه ليكون آية

[33] الآثار المصرية في وادي النيل جـــ3 ص171

للناس على قدرة الخالق. والتعبير: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس: 92] تعادل التعبير العامي ((خُلُص بجلده)) !!"[34]

وهذا منتهى التعسف في تفسير آي القرآن الكريم، إذ أن آيات القرآن الكريم تؤكد بصراحة ووضوح غرق فرعون هو وجنوده، كما أن مكان الغرق لم يكن قدمين أو ثلاثا كما يدَّعون بل كان: ﴿ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: 63][35].

وهناك دليل أخير يستند إليه أصحابُ نظرية ((مرنبتاح فرعون الخروج)) الكاذبة هو ما يشير إليه عالم الآثار ((سايس)) إذ يقول إن الآثار المصرية تحصر حادثة الخروج في حكم مرنبتاح ولدينا بين الأوراق البردية المحفوظة في المتحف البريطاني وثيقة تعرف بورقة ((أنسطاسي السادسة)) وتشمل خطاباً من كاتب الملك مرنبتاح كتبه لرئيسه يقول فيه: إن بعض بدو ((شاسو)) – أدوم – قد سُمح لهم حسب التعليمات التي لديه أن يجتازوا الحصن الذي في إقليم سكوث (تل المسخوطة) في وادي طميلات ليُتاح لهم رعي ماشيتهم بالقرب من بتوم. ونص الخطاب كالآتي: أمر آخر يا سيدي، لقد انتهينا من ملاحظة مرور قبائل ((شاسو)) .. التابعين ((لأدوم)) من حصن ((مرنبتاح حتب حرماعت)) له الحياة والفلاح والصحة في ((سكوث)) نحو برك ((بيتوم)) لأجل أن يطعموهم ويطعموا قطعانهم في ضياع الملك له الحياة والفلاح والصحة وهو الشمس الطيبة لكل أرض مصر.[36]

---

[34] مصر القديمة جـ7 ص135

[35] كانت هذه من وجهات النظر القليلة جدا للدكتور سليم حسن التي جانبه فيها الصواب ، فاعتبر "فرعون" ملكا مصريا واعتبر اسم "فرعون" لقب ، ونراه يكتب صيغة الاسم كلقب معرف بالألف واللام وفقا لكلامه المنقول في هذه الفقرة ، ولكننا نلتمس لهذا العالم الكبير العذر في ذلك فعدم توفيقه في الوصول إلى حقيقة فرعون لا تضر العلم الغزير والتراث العريض الذي تركه وبلغ الآفاق ، وربما لم تنل تلك الجزئية الوقت الكافي لديه بجانب الأبحاث المستفيضة والمرهقة التي خاضها طوال تأليفه لموسوعة مصر القديمة والتي استهلكت عقدين من الزمان لتخرج إلى النور.

[36] مصر القديمة، سليم حسن، جـ6 ص588

وتدل وثائق أخرى على أن الحراسة في هذا الوادي كانت شديدة إلى حد بعيد، كذلك كانت المراقبة عظيمة على الطريق الرئيسية إلى آسيا في قلعة ((سيلة)) (تل أبو صيفة الحالي) إذ وصل إلينا أجزاء من يوميات موظف في إحدى المدن الواقعة على حدود فلسطين في عهد مرنبتاح دوَّن فيها أسماء المبعوثين والأعمال التي كُلِّفوا أداءها ممن يجتازون هذا الحصن في طريقهم إلى فلسطين، وكان المرور منه محرّماً في عهد رمسيس الثاني إلا لمن كان لديه تصريح بالخروج. ويقول الأستاذ ((سايس)). وهذ الخطاب ((ورقة أنسطاسي السادسة)) كتب في السنة الثامنة من حكم مرنبتاح. ومن البدهي أن هذا لا يمكن أن يحدث إذا كان بنو إسرائيل لا يزالون يقيمون في أرض ((جاسان)). وعلى ذلك فلابد أن واقعة الخروج قد حدثت في وقت ما قبل هذا التاريخ. ، أي أنه يستنتج أن هذا الخطاب يؤيد أن الخروج حدث في عهد مرنبتاح في السنة الخامسة من حكمه ولكنه يختم استنتاجه قائلاً عن زمن الخروج: بل يجوز أن يتقدم عن هذا التاريخ.

ومن المؤكد أن الخروج – استنتاجاً من هذا الخطاب يتقدم عن هذا التاريخ إذ أن وسائل الاتصالات في ذلك الزمن كانت بطيئة، فإذا فرضنا أن الخروج حدث في زمن ما. فقد يمر عام قبل أن تدري الدول المجاورة التي تقع خارج النفوذ المصري – بخروج بني إسرائيل من مصر. وقد يمر عام آخر حتى يتأكد أنهم قد خرجوا من مصر إلى غير رجعة. وقد يمر عام ثالث إلى أن يقرر رؤساء ((آدوم)) إرسال بعثة إلى فرعون ملك مصر ليسمح لرعاتهم بالرعي في الأرض التي كان يقطنها بنو إسرائيل ويمر وقت آخر قبل أن يدرس فرعون الموضوع مع مستشاريه والتحقق من أن هؤلاء الرعاة ليسوا جواسيس أو أعوان لدولة أجنبية تخطط لغزو مصر. فإذا وضعنا مجموع هذه الأوقات في الاعتبار لعاد بنا زمن الخروج إلى أول عصور مرنبتاح أي آخر عصر رمسيس الثاني .

وهكذا يتضح لنا أن هذا الدليل الأخير (ورقة أنسطاسي السادية) تشير أيضاً إلى أن مرنبتاح ليس هو فرعون[37] .

---

[37] قصص الأنبياء والتاريخ – د.رشدي البدراوي

ويحق لنا بعد هذا الكلام أن نعلق بأن الأدلة قد تواترت بعد هذا العرض بأنه لا يمكن لمرنبتاح ولا لوالده رمسيس الثاني أن يكون أحدهما أو كلاهما هو فرعون ، وبالتالي تبطل نظرية وجود "فرعونين" بدلا من واحد لكل ما تقدم من أدلة وبراهين تبرئ رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح اللذين ماتا ميتة طبيعية جدا في شيخوختهما.

وكل المتهمين "بالفرعنة" كما ذكرنا هنا بريئون ، وينفي كل تلك المزاعم نوع واحد من الأدلة يبرئهم جملة واحدة وهو النوع الذي نفينا فيه أن يكون "فرعون" مصريا من ملوك القبط المصريين وهو ما تقدم إثباته في الفصول السابقة ، ولا يحتاج الأمر المزيد من الاستفاضة في هذا الباب أكثر من ذلك ، غير أنه قد بقي لنا أهم جزء في هذه الفقرة والتي نتحدث فيها عن براءة الملك المصري رمسيس الثاني.

* براءة رمسيس !!!

أتذكر منذ أعوام أن طُلب منا كحضور في أحد الدورات التدريبية التي أقيمت في هيلتون رمسيس بميدان التحرير بالقاهرة أن أقوم بتحضير عرض تقديمي قصير من عشرة شرائح أو أقل لعرض فكرة من الأفكار واستعراض مهارات العرض والإلقاء كمدربين محترفين ، ووقتها قضيت ليلتي أفكر في ذلك العرض الذي يحتاج إلى مهارة خاصة لإقناع المدرب والحاضرين بما سأعرضه ويكون في كلمات قليلة مقنعة وبطريقة عرض متقنة ، وفكرت أن أجعله عرضا مهنيا يتحدث عن مهنتي أو بعض فروعها لكني ما لبثت وأن عدلت عن الفكرة ، حتى طرأت في ذهني فكرة مميزة جدا وقد كنت في ذلك الوقت منشغلا بموضوع فرعون وحقيقته ، ولم تمر دقائق طويلة حتى تحمست للفكرة وشرعت في العمل لإنهاء العرض وكان العرض مميزا في كل شيء حتى أنني الوحيد من جملة الحاضرين في ذلك اليوم الذي حصل على الدرجة الكاملة ونال العرض الخاص بي تصفيقا حادا من كل الحضور ، أما عنوان العرض فكان نفس العنوان الذي عنونت به هذه الفقرة "براءة رمسيس" .

يومها كانت الأدلة واضحة ومقنعة وقاطعة للدرجة التي أقنعت كل الحضور مسلمين ومسيحيين بنظريتي لأني استشهدت بآيات القرآن وإصحاحات وأسفار العهد القديم أيضا.

واليوم وبعد مرور كل تلك السنوات أرى أنه من الهام جدا والضروري إثبات نفس الأمر مرة أخرى بتوسع أكبر لأن الإثبات بأن رمسيس الثاني الملك المصري الشهير بريء من تلك التهمة هو نصف الجهد اللازم لإقناع الجميع بهوية فرعون الذي نبحث حقيقته في هذا الكتاب.

إنه "رمسيس الثاني" ... ذلك الملك المفترى عليه والذي لم يحظ أي ملك من ملوك التاريخ القديم بكل ما حظى به الملك رمسيس الثاني ، وقد تم تناول سيرته ما بين إتهام له بالفرعنة تارة ، وما بين اتهامه باضطهاد بني إسرائيل تارة وبين تمجيده وتخليد سيرته تارة أخرى.

ففي جزء من مقال للدكتور يوسف زيدان المتخصص فى التراث والمخطوطات بعنوان "خطورة القشرة المعلوماتية" يقص الدكتور واقعة حدثت له حين كان يزور المتحف المصري بالقاهرة وتحديدا قاعة المومياوات فى الطابق الأعلى حيث الملوك سيتى، رمسيس الثانى ، مرنبتاح ، وغيرهم ، أنه حين أوشك على الخروج من القاعة ، اقترب منه شابٌّ فى زىٍّ رسمى يميز موظفي المتحف هامسا فى أذنى بما نصه : "هل تعرف هذا الملك ، إنه رمسيس الثانى ... فرعون!."

ويقول الدكتور زيدان معلقا ومستنكرا :

"أدهشتنى المعلومة ، وأدهشنى الموظّف حين سألته عن المصدر الذى جلب منه هذه المعلومة السوداء، فقال ما نصه : هذه حقيقةٌ علمية مؤكّدة ! سألته عمن أكدها، قال: الأساتذة الكبار فى علم المصريات ! "

ويستكمل الدكتور زيدان قائلا :

"وهكذا يتم الترويج لمزاعم اليهود .. فى قلب القاهرة ، بل فى قلب التاريخ المصرى القديم الذى يصرُّ يهودُ اليوم على تزييفه بمختلف السبل ؛ وهاهم يجدون منا ، وفى قلب قلعتنا الأثرية ، منْ يروِّج تزييفهم .. ، أفهمتُ الشابَّ المتحذلق ، الجاهل ، المرشد المدعى؛ أن ما يقوله: لا هو مطلوب منه أصلاً ولا هو علمى أصلاً ، ولا هو متفق عليه أصلاً .. والأصل فى الأمر أن اليهود يريدون اليوم أن يكسروا شوكة الاعتزاز المصرى بالتاريخ القديم ، بإحداث تناقض لدى معاصرينا بين انتمائهم التاريخى وانتمائهم الدينى .. هَزَّ الشاب كتفيه ! وخرجتُ أتأمَّل هذه الحالة ، التحتية ، من

عدم الوعى بأثر المعلومة فى تأسيس الرؤى والتوجُّهات ، وعدم الانتباه إلى الدور الخطير الذى يمكن أن تلعبه معلومةٌ سوداء واحدة يتم الترويج لها ...." أ. هـ

وإلى هذا الحد وأكثر أصبحت معلومات وثقافة الشعب المصري والشعوب العربية سطحية و"مُقوْلبة" وضحلة فيما يتعلق بالتاريخ القديم والحديث على حد سواء ، وتزول الدهشة حين نعرف بأن الكثير من علماء الآثار أنفسهم وعلماء الإعجاز يعتقدون بأن رمسيس الثاني هو فرعون فهل حقاً ما يعتقدون؟

لقد ظهرت الكثير من الدراسات الأجنبية واليهودية التي تؤكد أن فرعون هو رمسيس الثاني على الرغم من أنه لا يوجد دليل قاطع على ذلك حتى الآن[38] .

يقول الدكتور رشدي البدراوي صاحب كتاب قصص الأنبياء والتاريخ: "وأصحاب هذا الرأي كثيرون: منهم أولبرت — إيسفلت - روكسي — أونجر — الأب ديفو.. ويتفق هذا الرأي مع حقيقة معيشة بني إسرائيل في أرض جاسان، وعاصمة رمسيس الثاني الجديدة في الشمال التي تتيح إلتقاط موسى من النهر...والحقيقة أن هذه النظرية " أن فرعون هو رمسيس الثاني " تتفق مع كثير من النقاط التي يجب توافرها في ذلك الملك.).أ.هـ

وهذا الكلام الذي يقوله الدكتور رشدي نفسه هو تأييد لنظرية "فرعنة" رمسيس الثاني ، رغم أنه فند الكثير من المزاعم في كتابه الرائع قصص الأنبياء والتاريخ ونفى التهمة عن الكثير من ملوك القبط المصريين ، إلا إنه عاد ووقع في خطأ أفدح حين اتهم الملك "رمسيس الثاني" البريء بتهمة "الفرعنة" وساق على ذلك الكثير من الأدلة التي رأى فيها أسبابا كافية لتثبيت التهمة على رمسيس!!!.

لقد بحث اليهود عن أعظم رموز مصر القديمة من ملوك القبط المصريين فلم يجدوا أنسب من الملك رمسيس الثاني ، وكانت الفرصة مناسبة لتشويهه والافتراء عليه ، فادعوا بأنه هو الذي سخر بني إسرائيل وحارب موسى عليه السلام ، ولما كان هو أعظم البنائين في مصر القديمة فقد كانت الفرصة أعظم للظهور على أن بني إسرائيل هم الذين قاموا ببناء آثار هذا الملك تحت التسخير ، وإن لم يكن هو فابنه مرنبتاح ،

---

[38] من مقال : رمسيس الثاني المفترى عليه... هل هو فرعون ؟ - نهى داود

ولا يوجد مستحيل عند اليهود ولا يحملون هماً ما داموا يجدون من يردد كلامهم خلفهم دون تفكير.[39]

وقد ظهرت منذ فترة طويلة اتجاهات فكرية دينية يهودية مصممة على أن رمسيس الثاني أو ابنه مرنبتاح هما فرعون الاضطهاد والآخر فرعون الخروج ، وكالعادة اتبع العرب والشرقيون هذه الأفكار و اقتنعوا بها كعادتهم كشعوب لا تحمل مشعل المبادرة في الفكر والبحث العلمي بل يعيشون علي بقايا الأمم المفكرة حتي في مجال الدراسات الدينية والأثرية، لكن فيما بعد اتضح زيف تلك الأفكار بأدلة كثيرة أكثر من أن تحصى.[40]

أما لماذا اختاروا رمسيس الثانى بالذات ، فذلك لانه فى التراث العالمى ومنذ اقدم العصور يعتبر اشهر واعظم ملوك مصر على الاطلاق.

وبذلك تكون الضربة حين توجهت اليه بالذات اشد وانكى واكثر تأثيراً فها هو اعظم ملوك مصر قد صُور للعالم اجمع كافراً جباراً مدعياً للربوبية وملعوناً فى جميع الكتب السماوية ، وبالتالى فجميع ملوك مصر الاخرين لابد وان يكونوا من نفس الشاكلة أو أضل سبيلا وكذلك قومهم القدماء المصريين.

وبرغم ان التوراة نفسها حتى بعد كل تحريفات اليهود الاقدمين لم تحدد إسماً لفرعون – بل اعتبرت إسم فرعون لقبا وعممته على حكام مصر القدماء - كما لم تشر ولو بكلمة واحدة الى انه كان من قدماء المصريين وانما كل ماذكرته التوراة فقط هو أنه "فرعون ملك مصر" وكذلك نجده فى القرآن الكريم.

إلا أن اليهود المعاصرين برغم ذلك يرون انهم يعرفون مالاتعرفه الكتب السماوية وتشبثوا بزعمهم ان فرعون هو رمسيس الثانى.

وحتى يلصقوا تهمة الشرك والجبروت والفرعنة بالملك رمسيس على وجه الخصوص أطالوا الفترة التي تفصل ما بينَ عصر يوسف عليه السلام الذي جاء في زمن الهكسوس كما تقدم في الفصول السابقة وبين عصر موسى عليه السلام حتى يخرجوه من عصر

---

[39] فرعون من قوم موسى – عاطف عزت

[40] إثباتات بأن فرعون موسي ليس رمسيس الثانى – أحمد السنوسي - باحث أثرى

الهكسوس أي أنهم قاموا بمط المدة ومدوا الفترة ما بين الجد والحفيد ، فبدلا من أن تكون 65 سنة على حدها الأقصى وتقع في عهد الهكسوس أطالوها ومدوها لتتخطى كل الحدود وتصل لملك مصري بعينه هو رمسيس الثاني وجعلوا هذه الفترة تمتد لحوالي الخمسة قرون ، عبروا بها الباقي من عصر الهكسوس ثم دخلوا إلى عصر ما بعد الهكسوس وهو عصر الأسرة ال18 المصرية البالغ عددهم 14 ملك من ملوك القبط المصريين حكموا لفترة تزيد عن 272 سنة وكل هذا وموسى حفيد قاهث بن لاوي بن يعقوب لم يأت بعد !!!![41]

لقد كان الملك رمسيس الثاني أشهر البنائين وأعظم ملوك المملكة المصرية القديمة وقد بدا مناسبا جدا للخطط اليهودية ليتلبس بجريمة "الفرعنة" ويصبح هو فرعون بدلا من ملك الهكسوس ويصبح "الرعامسة" هم "الفراعنة" ، ويصبح الخروج بالزور والبهتان في آخر عصره عام 1224 قبل الميلاد بدلا من التأريخ الراجح للخروج في أوائل أو منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد وهو أواخر عصر الهكسوس ، أي أنهم مطوا المسافة الزمنية بين العصر الحقيقي والعصر المزيف لأكثر من ثلاثة قرون كاملة.

فهل هناك مثل هذا الملك الفائق العظمة الذى كاد ان يسيطر على العالم المعمور كله والذى كان يقود جيوشاً تقرب من ثلاثة ارباع المليون يجتاح بها كل ارجاء الارض ويخضع له اكابر الملوك ؟[42] ... هل يعقل ان ملكاً بهذه الضخامة والعظمة يتدنى إلى حد تجميع الجيوش لملاحقة بضع آلاف [43] أو مئات من البدو المدنيين الذين يصفهم القرآن الكريم ذاته بأنهم كانوا "شرذمة قليلون"[44].

---

[41] انظر كتاب فرعون موسى من قوم موسى للمهندس عاطف عزت - بتصرف

[42] لمزيد من التفاصل حول براءة رمسيس يرجى مراجعة آراء الدكتورة الفرنسية نوبلكور أحد أعضاء الفريق الذي قام بفحص وترميم مومياء رمسيس الثاني في فرنسا كما جاء في كتاب "الفرعون الذي يطارده اليهود – سعيد أبو العينين

[43] يذكر د.حسين محمود اعتماداً على مصادر يهودية أن تعداد بنى اسرائيل عند الخروج كان حوالى ستة آلاف 6000 – حضارة مصر والشرق القديم 357

[44] سورة الشعراء

لن نقول مستحيل او غير منطقى .. بل من العبث ان نناقش اصلاً مثل هذا الافتراء اليهودى الساذج.

فما فعله فرعون هو تصرف لايمكن ان يصدر الا عن فرعون هزيل احمق من ملوك اجلاف البدو الهكسوس ، ثم الاهم من ذلك ... فالتاريخ المصرى يفيدنا بأن رمسيس الثانى قد مات بعد عمره الحافل ميتة طبيعية على فراشه وتم دفنه فى مقبرته الى جوار آبائه وأجداده [45] أى انه لم يمت غريقاً كما حدث لفرعون.

ولكن اليهود المعاصرين برغم كل الأدلة استمروا راكبين رؤوسهم ومصرين على أن رمسيس الثانى هو فرعون ، واستمرت دعاياتهم فى الترويج لهذه الاكذوبة سنيناً طويلة ... حتى انطلت على الكثيرين وصدقوها وليس فى الخارج فقط بين مسيحي اوروبا وغيرها[46] ، بل داخل مصر ايضاً للاسف. بل وتسربت هذه الاكذوبة الاسرائيلية الى بعض كتبنا الدينية الاسلامية [47] وسجلها المؤلفون المسلمون على انها حقيقة واقعة.

لكن برغم هذا لم يكف اليهود عن ادعائاتهم ، فإذا كانت التوراة قد خذلتهم فهنالك فى نصوص القرآن ما يمكن ان يعينهم على حفظ ماء وجوههم ومواصلة ادعائهم حيث هنالك آية تقول : "فاليوم ننجيك ببدنك" يونس / 92

وهكذا لبس حاخامات اليهود عباءة الاسلام وتمسكوا بهذه الاية من القرآن لاستخدامها بما يخدم مصالحهم — فقوله تعالى لفرعون: "فاليوم ننجيك ببدنك" يعنى أنه قد غرق ولكن جثته قد خرجت من الماء.

وبذلك قالوا ان مومياء رمسيس الثانى هذه هى جثة فرعون التى خرجت من الماء بعد الغرق.

ولكن حتى فى هذا الاحتمال خذلهم الله ، إذ قام فريق من العلماء بفحص مومياء رمسيس الثانى بأحدث الأجهزة العلمية فلم يجدوا بها أى دليل على الموت غرقاً .

---

[45] مصر الفرعونية / د.احمد فخرى / ص 357

[46] دراسة الكتب المقدسة / موريس بوكاى / 256 / 261

[47] انظر على سبيل المثال : قصص الأنبياء / الشيخ عبد الوهاب النجار / ص 202 – مع الأنبياء / عفيف طبارة / ص217

وبذلك انسد هذا الباب ايضاً فى وجه الكاذبين المفترين وهكذا تمت تبرئة رمسيس الثانى من إتهام اليهود له بأنه فرعون الذى أغرقه الله و لم يجد اليهود أنفسهم فى النهاية بدًّا من الاعتراف بذلك.

هذه هى قصة اتهام رمسيس الثانى ، ذلك الشامخ الضخم الذى اراد اليهود تحطيمه والنيل منه فنطحوا جبلاً.

وسبحانه مظهر الحق مهما طال المدى ، فإذا كانت نفوس اليهود المريضة قد سولت لهم ظلم مثل هذا الشامخ العظيم وتلويث سيرته و تشويه صورته بقذفه ظلماً وافتراءً بالكفر والتجبر ، فإن داء الظلم هذا ليس بجديد عليهم ، أليسوا هم الذين خاطبهم نبيهم "موسى" نفسه بقوله "أنتم ظالمون" [48]



مومياء الملك رمسيس الثاني المحفوظة بقاعة المومياوات بالمتحف المصري بالقاهرة – وأشهر المتهمين بالفرعنة!!

[48] نديم السيار – قدماء المصريين أول الموحدين

ولكي نرد تلك التهمة الباطلة عن الملك رمسيس الثاني — لا لقومية مزيفة ولا لعصبية للمصريين القدماء ولا للدفاع عن حضارة وثنية أو ملوك أشركوا في عبادهم بالله — لكن إحقاقا للحق ولرد الأكاذيب اليهودية إلى أصلها لأن أكاذيبهم يترتب عليها سلب حقوق عن أصحاها واكتساب أخرى لغير أصحاها كما سنبين في خاتمة الكتاب ، ومن تلك الأدلة والبراهين التي تنفي تلك المزاعم في اتهام رمسيس الثاني ما سنسوقه هنا وساقه غيرنا في العديد من المؤلفات ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

1. لا يستقيم التدمير الكامل لصناعات "فرعون" وقومه وما كانوا يعرشون مع آثار القبط ملوك مصر القديمة من معابد وأبنية ومقابر وقصور ، فلا يستقيم الأمر حين نشاهد بأنفسنا آثار القبط المصريون مازالت باقية حتى يومنا هذا في طول البلاد وعرضها وخاصة آثار الملك رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح بل وسافرت آثار الملك رمسيس لكل أنحاء العالم ووصلت مسلاته لقلب روما وباريس وغيرها من العواصم الأوروبية والغربية ، كما أن تدمير الله لكل ما صنع فرعون حيث ورد فى القران الكريم هذة الاية : " ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون " يؤكد بأن الله تعالى انتقم من فرعون وقومه بأنه دمر كل ما شيدوه من آثار ومنشات معمارية وكلمة "دمرنا" تعنى التدمير الكامل وذلك تحقيرا من شأنه الوضيع وحتى يبقى نكرة بعد هلاكه هو وقومه ،أما رمسيس الثاني الذي يصفه المؤرخون بأنه "الملك البناء" أو "البناء العظيم" فلا تكاد تخلو منطقة أثرية مصرية من أثر يحمل اسمه، لأنه كان مغرما بالعمارة والبناء، وقد كشف الأثريون لهذا الملك الآلاف من التحف والقطع الأثرية المتنوعة، وكذا عشرات المعابد ويبدو كثير منها في حالة معمارية شبه كاملة، لاسيما معابده في بلاد النوبة وأبو سمبل والأقصر وأبيدوس ..إلخ ، وقد ترك عدد غزير من المباني والعمارات الرائعة التي قد يعجز القلم عن حصرها بدقة ويمكننا القول أنه لايوجد ملك مصري مثله حفظت لنا الأيام **مبانيه** وآثارة كالمعابد والمسلات والتماثيل وأغلبها فى حالة جيدة من الحفظ مثل معبد أبوسمبل ومعبد الرمسيوم وغيرهم.

2. لقد كان الملك رمسيس صاحب أكبر عدد يمكن تخيله من الأبناء والأحفاد بسبب كثرة الزوجات والسريرات وهو مالا يتناسب مع قول امرأة فرعون لزوجها " قرة عين لي ولك عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا"
3. يكاد تاريخ رمسيس الثاني أن يكون معروفا يوما بيوم منذ ولادته وحتى وفاته ولم يحدث في عصره أي بؤس أو شقاء أو ماشية مقتولة أو نهر تحول إلى دم ، بل وجدنا رفاهية ورخاء لم يسبق عصره وبناء وعمران في كل شبر وانتصارات عديدة وشهرة ومجد غطى آفاق الأرض.
4. حكم رمسيس الثاني حتى بلغ الرابعة والتسعين من عمره بعد فترة حكم مديدة وصلت ل 67 عاما كاملة ، ولا يمكن إقناع أحد بأنه قاد عجلته الحربية وجيشه وطاردهم وهو في هذه السن الطاعنة بجسد يملؤه أمراض الشيخوخة والروماتيزم والتهاب المفاصل والظهر المنحني ،إن الصورة النمطية التي نستطيع أن نتصورها من خلال المشاهد التي صورتها لنا آيات القرآن وإصحاحات العهد القديم تجعلنا نتخيل صورة لفرعون كملك راكبا عجلته الحربية ويقود جيشه في خلال طرق غير ممهدة ودروب صحراوية وعرة (منطقة القناة الحالية) وبسرعة كبيرة ليتمكن من اللحاق بالهاربين، و في نهاية المطاردة يغرق الملك هو وجنوده في البحر لأحمر وفقا لرواية التوراة وهذا لا يمكن تصوره عن رمسيس الثاني الذي مات بعد التسعينيات من عمره بعد فترة حكم لا تقل عن 67 سنة، و الدراسات علي مومياؤه اثبتت انه كان يعاني من أمراض الشيخوخة كالروماتيزم والتهاب المفاصل وانحناء الظهر وضعف النظر وكان يسير متعكزا على عصاه بصعوبة فما بالنا بركوب عجلة حربية و قيادة جيش في طرق وعرة و دروب صحرواية غير ممهدة !! ، وهذه النقطة بالتحديد تنسف نظرية أن يكون رمسيس الثاني تحديدا هو فرعون ذو الأوتاد.[49]

---

[49] إثباتات بأن فرعون موسي ليس رمسيس الثانى – أحمد السنوسي – باحث أثرى

5. لم يمت الملك رمسيس بإسفكسيا الغرق كما ادعى بعض المتعالمين وذلك بعد تعرضها للعديد من الفحوصات التي جرت على مومياء الملك في فرنسا وفي المتحف المصري أيضا[50] وهو ما جرى على ابنه مرنبتاح أيضا وتبين عدم موته بالغرق.

6. أغلب الدراسات التوراتية تدعي أن الخروج المذكور في العهد القديم غالبا حصل في القرن ال13 ق.م أثناء فترة حكم الأسرة ال19 التي هيمن رمسيس الثاني علي اغلب فترة حكمها ونسبوا وفقا للتوراة للعبرانيين بناء مدينتي غلال بيتوم ورعمسيس وقرنها الباحثون بمدينة "برعمسس" التي بنتها أسرة الرعامسة التساعة عشر والتي بدأت انشاءاتها في عهد رمسيس الأول مؤسس الأسرة ال19 و اكمل بنائها سيتي الأول و ابنه رمسيس الثاني، لكن اغلب العمل قد تم في عهد رمسيس الثاني حيث تذكر التوراة :

7. "فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم، فبنوا لفرعون مدينتي مخازن: بيثوم، ورعمسيس" (خر 1 : 11) ، وهي أكذوبة كبرى أثبتنا زيفها وأن بني إسرائيل لم يُسَخَّروا أبدا في أعمال البناء والتشييد لمدن كبيرة كهاتين المدينتين وذلك لقلة عددهم ولعدم حاجة المصريين لأي أيدي عاملة أخرى من خارج البلاد.

8. في عهد ملوك الأسرة التاسعة عشر الأقوياء كان من المستحيل حدوث مثل تلك الفوضى العارمة التي تطالعنا بها قصة الخروج في التوراة والقرآن أيضا ، بل كان الحكم مستقرا وثابتا ويدوم لفترات طويلة ويتم توريثه من كل ملك لابنه دون أي قلاقل أو نزاعات أو حوادث كما هو معروف وثابت من شواهد الأحداث وتوالي الحكم بين ملوكها من بدايتها وحتى انتهائها.51

9. أصبح لدى القبط المصريون حساسية كبيرة من الآسيويين بعد فترة حكم الهكسوس ولم يكن من الممكن أبدا السماح لأي. تواجد أسيوي على أرض

---

[50] إثباتات بأن فرعون موسي ليس رمسيس الثانى – أحمد السنوسي – باحث أثرى

[51] إثباتات بأن فرعون موسي ليس رمسيس الثانى – أحمد السنوسي – باحث أثرى

مصر ولو على سبيل التسخير أو العبودية كما يدعي علماء التوراة وكما أثبتنا من قبل أن تواجد بني إسرائيل في مصر كان خلال فترة حكم الهكسوس وقد خرجوا قبل انتهائها وقد جاء في بردية أنستازيا رقم 6 التي تعود للقرن ال13 ق.م ما يفيد أنه كان من العسير دخول أو خروج اي جماعات غير مصرية من الحدود الشمالية الشرقية تحديدا ، تقول البردية علي لسان قائد الحامية التي رصدت مجموعة بسيطة من البدو داخلين لرعي ماشيتهم : " لقد انتهينا من ادخال قبائل الشاسو (البدو) الأدوميين، من خلال قلعة "مرنبتاخ" الموجودة في "سكوت" عند مستنقعات "بيتوم" التي يدخلوها لرعي قطعان ماشيتهم"[52]

10. إن طريق الخروج من مصر عبر سيناء وخاصة من الشمال كان في عصر الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة طريقا حربيا مصريا وكان يطلق عليه "طريق حورس الحربي" و كانت عليه حراسات مشددة جدا في عصر الدولة الحديثة بأكملها فضلا عن القلاع والحصون والاستحكامات الأمنية الشديدة و في عصر الأسرتين ال18 و ال19 بشكل خاص وكان هذا شيئا طبيعيا لأنه الطريق الرئيسي لخروج القوات المصرية الإمبراطورية اللي كانت تخرج دائما في حملات مستمرة على كنعان ومستعمرات مصر في الشام مما يستحيل معه خروج أية جماعة أو طائفة من البشر أثناء حكم رمسيس الثاني أو مرنبتاح أو غيرهما من ملوك الدولة الحديثة ، وقد كان طريق حورس الحربي يحتوي علي نظام معقد جدا من المحطات، ما بين كل محطة و الثانية مسيرة يوم تقريبا مما يعني اقتراب المحطات من بعضها البعض ، وهذه المحطات كانت تتكون من 3 عناصر هي قلعة محكمة البناء تمثل مقر الحامية العسكرية ملحقا بها مخازن للغلال لتخزين المؤن الغذائية اللازمة للجنود بالأضافة إلي بئر وصهاريج لتخزين المياه، وهذه المحطات ظهرت بوضوح في كتابات موجودة في معبد الكرنك ترجع لعصر سيتي الأول و في سبعينات القرن الماضي اكتشف عالم الأثار الإسرائيلي "إليعازر أورين" البقايا الأثرية لهذه المحطات في شمال سيناء و

---

[52] إثباتات بأن فرعون موسي ليس رمسيس الثاني - أحمد السنوسي - باحث أثرى

تمكن من ربط اسمائها بالأسماء المذكورة في نقش معبد الكرنك. وهذه المحطات كان لها الفضل في مساعدة الجيوش المصرية في عبور الطريق في فترة سريعة جدا، فذكرت مدونات تحتمس الثالث أنه قام بعبور الطريق مع جيشه في خلال 10 أيام فقط! وهذا يوضح بجلاء مدي إحكام و سيطرة المصريين علي هذا الطريق فكيف بأي حال من الأحوال أن تتمكن جماعة من العبيد الهاربين من السلطة المصرية – وفقا لافتراض التوراتيين – من عبوره في فترة تعتبر هي قمة مجد العسكرية المصرية القديمة وقمة التشدد في حراسة الحدود الشرقية![53]

11. كانت أرض كنعان في فترة الدولة الحديثة ولاسيما فترة حكم رمسيس الثاني ومرنبتاح تحت الحكم المصري و لم يكن من الممكن بأي حال من الأحوال أن تقوم بمجموعة هاربة من مصر بإقامة مملكة لهم داخل اراضي تحت السيطرة المصرية أو حتى بالإغارة على أي مدينة داخل كنعان أثناء الهيمنة المصرية على أغلب تلك الأراضي مع العلم أن رسائل العمارنة اللي تعود لمائة عام على الأقل قبل عصر رمسيس الثاني تخبرنا بوضوح أن فرقة عسكرية مكونة من خمسين جنديا مصريا كانت كافية جدا لتهدئة الإضرابات في أرض كنعان، و علي الرغم من أن السلطة المصرية في كنعان اهتزت في عصر العمارنة بسبب سياسة إخناتون المهملة إلا أن السلطة المصرية في آسيا عادت كسابق عهدها في عصر سيتي الأول و ابنه رمسيس الثاني لدرجة أنه كان من العبث و الخيال افتراض تكوين أي كيان سياسي معادي لمصر في هذه المنطقة التي كانت واقعة تحت السلطة المصرية في هذه الفترة وحتى نهايَة عهد الأسرة التاسعة عشرة لملوك الرعامسة.

12. من أطرف الإدعائات التي خدع بها الطبيب موريس بوكاي غير المتخصصين ممن قرؤوا كتابه أو سمعوا بنظريته هو ادعاءه أن فحص موميائي رمسيس الثاني و مرنبتاح ابنه قد أثبت أن المومياءان فيهما آثار وبقايا ملح وهذا حسب ادعاءه يثبت أنه (رمسيس أو ابنه مرنبتاح) قد غرق في البحر، وهذا ادعاء

---

[53] إثباتات بأن فرعون موسي ليس رمسيس الثاني – أحمد السنوسي – باحث أثرى

ساذج جدا أستعجب كيف انطلى على كل من قرأ الكتاب أو سمع هذا الادعاء وصدق هذا الكلام المثير للسخرية ، فأي طالب آثار مبتديء يمكنه أن يفنده ، بل أي إنسان غير متخصص يمكنه أن ينفي ذلك بعقله ومنطقه، لأنه وببساطة أن أي جسم عضوي تعرض للتحنيط علي الطريقة المصرية القديمة (بما في ذلك مومياوات الطيور و الحيوانات المقدسة عند المصريين القدماء) يجب أن تحتوي علي الملح و بنسبة كبيرة جدا ، فأهم وأطول مراحل التحنيط على الإطلاق هي مرحلة دفن المومياء في الملح وغمرها بالكامل داخل حجرة مليئة بملح النطرون الجاف لمدة أربعين يوما لتجفيف الجسم تماما من كل السوائل الموجودة بداخله لتجنب تعفن الجسم قبل أن تبدأ باقي المراحل الأخرى الخاصة بالتحنيط ، ومن هنا يتبين لنا كيف أن جميع المومياوات تحمل بقايا الملح في جلدها وداخل انسجتها حيث حدث للانسجة عملية استبدال خلوي للملح بدلا من السوائل التي كان يحتويها ، وعلى ذلك فإن بلورات الملح الموجودة على مومياء رمسيس الثانى هى من ضرورات التحنيط و ليست نتيجة الغرق، و لو أنه غرق فى البحر المالح لكانت رئته هى التى امتلأت ببلورات الملح داخل حويصلاتها و لكن المصريون كانوا يترعون الأحشاء الداخلية كلها من البدن عند التحنيط و يضعونها فى اوعية جنائزية، و لم أسمع أن رئتى رمسيس الثانى قد ثبت أن بهما آثار لملح البحر ، فالغرقى لا يتيبسون و لو انتشلوا بعد غرقهم مباشرة، و قصة الدفاع بدرعه ضد المياه قصة طفولية جدا ، ولكى يتكسر العظم نتيجة لضغط الماء فهذا يعنى أن الجثة كانت على عمق سحيق و لا يستقيم هذا مع علمنا أنه قد تم تحنيطه بعد غرقه مباشرة، و لو أن كل جنوده كانوا قد غرقوا معه فمن الذى انتشل جثته و أوصلها لتحنط بالسرعة المزعومة.

13. ظهر أيضا من فترة ادعاء جديد و هو أن وضع يد الملك متسبسة في حالة تشنج بشكل غير طبيعي و فسروا هذا بأنه كان يقاوم في لحظاته الأخيرة بحركة انفعالية حينما انطبقت مياه البحر الأحمر على الملك وجنوده رفع ذراعه بشكل غريزي ليحمي نفسه بدرعه من اصطدام المياه ، وعلى الرغم من

سذاجة هذا الأدعاء إلا أنه هناك أيضا من يصدقه، و ليس علينا سوي أن نقول أن هذا الوضع كان يعرف بالوضع الأوزيري وهو تقاطع اليدين على الصدر وكان المحنطين يعدلون وضع الجثمان علي هذا الوضع تشبها بالأله أوزيريس لأن الملك يتحول لصورة أوزيريس بعد الموت وفقا للمعتقدات المصرية القديمة ، ولم يكن الملوك المصريون ممن يحملون الدروع أصلا بأنفسهم بل كان هناك جندي مخصوص لحمل الدرع و الدليل علي هذا يمكن رؤيته في المناظر التي تصور الحروب في مصر القديمة، بالإضافة إلى أننا نجد في نصوص معركة قادش التي ترجع لعصر رمسيس الثاني نفسه أن الملك في أحرج لحظات الحرب تم حصاره و عزله عن جيشه ولم يكن معه غير حرسه الخاص و "حامل الدرع المسمي مينا ، وهذا كله يدل على زيف الادعاء بأن رمسيس قد مات غرقا كما يدعون بل مات رمسيس في شيخوخته وفاة طبيعية تماما ولم يتعرض لأي حوادث تذكر".

14. وجد البعض في التناقض مابين القصة التوراتية والقصة القرآنية إعجازا تاريخيا مزعوما، والرد على هذا الزعم أن القصة التوراتية تقول إن التي التقطت الطفل موسي من النهر هي ابنة الملك بينما تقول القصة القرآنية أن التي التقطت الطفل كانت زوجة الملك فأدعى البعض ان هذا يعد دليلا قاطعا علي ان رمسيس الثاني هو فرعون لأنه معروف عن رمسيس الثاني انه تزوج ابنته من زوجته المحبوبة "نفرتاري" و تدعي "ميريت أمون" و ادعوا أن هذا هو السبب أن العهد القديم ذكر ابنته و القرآن ذكر زوجته، وتناسوا نقطة هامة جدا وهي أن رمسيس الثاني كان لديه من الذرية ما يتعدى ال 150 ابنا وابنة بينما كان فرعون ذو الأوتاد عقيما بنص القرآن.[54]

15. وظهر ادعاء آخر وهو أن القرآن الكريم ذكر أن فرعون ادعي الألوهية المطلقة، فقال المدلسون إن هذا اثبات قاطع علي أن رمسيس الثاني هو "فرعون" وهذا لأنه صور نفسه في معبد (أبو سمبل) بالسمات الفنية التي تميز

---

[54] إثباتات بأن فرعون موسي ليس رمسيس الثانى - أحمد السنوسي - باحث أثرى

الألهة ووضع لنفسه تمثالا وسط تماثيل الآلهة في قدس أقداس المعبد ، وقد استعانوا بالألقاب الملكية مثل "حورس" و "سا رع" (ابن رع) علي أنها دلائل لإدعائه الألوهية وتناسوا أن هذه الألقاب كانت ألقابا أساسية لكل ملوك مصر القديمة من القبط و أن كل ملوك مصر القديمة كانوا ممثلين للآلهة من وجهة نظر عقيدتهم الشمسية وأن هذا كان جزءاً لا يتجزأ من عقيدة المصريين، أما بالنسبة لوضعه تمثالا له وسط تماثيل الألهة في قدس أقداس معبد أبو سمبل و تصويره لنفسه بسمات الألهة فإنه لم يكن أول ملك قام بتلك الفعلة فأبوه سيتي الأول صور نفسه بالسمات الألهية في أبيدوس، و أمنحتب الثالث وضع تماثيل لشخصه في قدس أقداس معبد "سوليب" بالنوبة العليا، كما تم تأليه العديد من الملوك في حياتهم و بعد مماتهم و كان لهم طقوس عبادة و تأدية قرابين لكن أحدهم لم يقل أبدا "أنا ربكم الأعلى"![55] بينما وصف القرآن لفرعون أنه كان يدعي الألوهية قال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ فهل كان يدعي رمسيس الثاني الألوهية ؟!. إن رمسيس الثاني كان مثله كمثل الملوك من قبله حيث يعبدون الآلهة المتعددة (" أمون ورع وست وبتاح وسوتخ" وسمى فرق جيشه في معركة قادش بأسماء هذه الآلهة). كما أن رمسيس الثاني لم يدعِ الولادة الإلهية مثل ما فعل أمنحتب الثالث مثلا أو الملكة حتشبسوت ، وإن من هذا حاله، لا يمكن أن يعود بعد زمن مهما طال عليه **الأمد** فيدعي الإلهية.

16. أما كونه كان يطلق عليه من أنه ابن الإله رع، أو أمون فذلك مثله كمثل كل الملوك المصريين الذين كانوا ينسبون أنفسهم إلى الآلهة لتساعدهم وتقف معهم وفقا لمعتقداتهم ، وكانوا يعتقدون أن الآلهة تختارهم كملوك لقيادة البلاد وحمايتها من المعتدين ليس أكثر من ذلك ، لقد كان رمسيس الثاني يقدس الآلهة المصرية حيث نجده في في أحد الأعياد الدينية الكبرى في مصر وعيد أوبت يقوم بدور الكاهن الأكبر لآمون بنفسه وهو مالم يفعله أي ملك

[55] إثباتات بأن فرعون موسي ليس رمسيس الثانى – أحمد السنوسي – باحث أثرى

قبله.[56]، كما أنه أنفق بسخاء منقطع النظير على إقامة دور العبادة للآلهة المختلفة لكي تبجل فيها وتقدم لها القرابين وتقام فيها الشعائر والطقوس الدينية ولا يمكن لأحد الادعاء بأن الملك رمسيس الثاني قد أعلن نفسه إلها واحدا مطلقا كما فعل فرعون الذي ذكره القرآن الكريم عن شخصيته الذي كان يعتبر نفسه إلها أكبر لقومه ولا يحق لأحد منهم أن يدين بالولاء أو العبادة لغيره وإلا كان مصيره القتل فقد قتل الكثرين من قومه ومن بني إسرائيل بسبب عدم الاعتراف به إلها من دول الله ومنهم الماشطة وأطفالها الثلاثة والسحرة وأبناء الذين آمنوا من بني إسرائيل.[57]

17. تزوج رمسيس الثاني من زوجة شرعية وأنجب ذرية كثيرة تصل إلى مايزيد عن مائة وخمسون من الذرية من الذكور والإناث على حد سواء وبعد وفاته تولى من بعده ابنه مرنبتاح ثم حفيده سيتي الثاني ثم بقية أسرته وحينما انتقل كرسي العرش إلى الأسرة العشرين فقد حمل أغلب ملوكها اسم رمسيس الذي حمله مؤسس الأسرة السابقة وحفيده.[58]

18. رمسيس الثاني الملك الكهل ... وقد كان من مجريات الأحداث التي وردت في قصة فرعون ما يؤكد أن فرعون طارد سيدنا موسى وقومه مع جنوده بعرباتهم الحربية حتى اليم أى البحر الذى حدثت عنده معجزة انشقاق البحر وبذلك تمكن موسى وقومه عبور اليابسة ومعنى هذا أن فرعون كان رجلا صحيح البدن لديه مقدرة وقوة كافية لتجعله يقود عربته الحربية فى مقدمه جيشه لعشرات الكيلومترات أما الملك رمسيس الثاني فنعرف جيدا من تاريخه أنه مات وقد تجاوز التسعين من العمر فهل من المنطق أن ملكًا طاعنًا فى السن لايقدر على الحركة يمكنه قيادة عربة حربية فى الصحراء لمسافات طويلة وفي طرق وعرة ونعرف كذلك أن رمسيس الثاني فى أواخر أيامه قد ترك شؤون الحكم إلى ابنه مرنبتاح وهذا يوكد أنه لم يكن أبدا ذلك الملك الذى طارد

[56] ملوك مصر القديمة – محمد راشد حماد – دار الكتاب العربي

[57] ملوك مصر القديمة – محمد راشد حماد – دار الكتاب العربي

[58] عبد الحليم نور الدين – تاريخ وحضارة مصر – الجزء الأول

النبى موسى عليه السلام ، ولا نستطيع أن نتخيل أن يفعل ذلك رجل تسعيني مثل رمسيس الثاني في أواخر أيامه ، وقد تم فحص مومياء رمسيس الثاني واختُبرت وكشف التحليل العلمي لها الكثير من الجروح التي تخلفت عن الحروب وكسور بالإضافة إلى إصابته بالروماتيزم فضلا عن دورة دموية ضعيفة لا تمكنه من مطاردة موسى وقومه على عجلة حربية لمسافة يومين على الأقل من السفر الشاق!! ، وقد أصيب رمسيس في آخر عشر أعوام من حياته بالروماتيزم وكان يمشي بظهر منحنٍ ، كما تؤكد دراسة حديثة أنه قد أصيب بمرض التهاب المفاصل المزمن بسبب الروماتيزم ويوجد ثقب كبير في فك مومياء الملك اثبتت الأبحاث انه ناتج من خراج كبير في الأسنان لدرجة أنه يحتمل أن الوفاة قد نتجت بسبب العدوى البكتيرية.

19. ورد فى الآيات القرآنية أن لفرعون زوجة وحيدة مذكورة في القرآن بـــ"امراة فرعون" وقد ذكرتها الاحاديث النبوية باسم "آسية بنت مزاحم" وكانت نموذجا فريدا للنساء الصالحات فقد آمنت برسالة موسى عليه السلام وساندته فى دعوته إلى التوحيد رغم ما لاقته من عذاب ، أما الملك رمسيس الثاني فنعرف جيدا من تاريخه أنه كانت له زوجات كثيرات تجاوزن العشرين زوجة بخلاف السرائر والجواري.

20. ورد فى القرآن الكريم أن امرأة فرعون لما وجدت موسى عليه السلام طفلا أرادت أن تجعل منه ابنا لها ولزوجها "فرعون" الذى كان على ما يبدوا عقيما، أو أبتر على أفضل تقدير كما سبق وأوردنا في بحثنا بالفصل الرابع ، والمعروف تاريخيا أن رمسيس الثانى كان كثير الزوجات فله بالتبعية عدد كبير من الأبناء ، و البعض يقول أن ذريته تجاوزت 150 من الأبناء وهذا يعنى أن فرعون المقصود فى هذه الايات الكريمة لم يكن رمسيس الثانى ولا يوجد أي تقارب بين الشخصيتين وظروفهما.

21. لم يُعثر على أي دليل أثري أو حفري علي وجود العبرانيين في زمنه ولايوجد أي دليل في زمنه علي حدوث البلاءات العشرة ، هذا بالإضافة إلى حروب رمسيس الثاني الكثيرة وبخاصة مع الحيثيين ، كما لا يثبت تاريخيا وجود أي

مشاكل داخلية مع العبرانيين أو غيرهم ، فقد كانوا خارج مصر قبل زمان طويل من زمن رمسيس الثاني ، إذن فالخروج قد تم قبل عهد رمسيس الثاني بفترة طويلة جدا وهذا تؤكده القرائن المتواترة [59] .

22. بعيدا عن التوراة الملفقة : في التاريخ المصري كله فلم يقل أبدا أي ملك أنه إله يُعبد ... إنما كان يقول أنه "ابن آمون" او "ابن الإله كذا" و عندما ننظر الي الآية ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ ﴾. يونس 79 ، إذن فمعني الكلام أننا امام ملك كان لديه آلهة يعبدها ثم تطور معه الأمر تدريجيا ليدعي الألوهية لنفسه وهو ما لم يحدث مع رمسيس الثاني بالطبع ولا مع أي ملك آخر من ملوك القبط المصريين.

23. سبق لنا الحديث في الفصل الرابع عن كتاب " توت عنخ آمون و مؤامرة الخروج" ترجمة دار العلوم للنشر ، تأليف : "أندرو كوليتر - كريس هيراليد و"الكتاب عبارة عن بحث قام به العالمان الانجليزيان يثبتان فيه أن هوارد كارتر مكتشف مقبرة توت عنخ آمون قد قام بسرقة و إخفاء بردية تحتوي علي معلومات كانت ستغير خريطة الشرق الأوسط ، وأن بها قصة خروج بني إسرائيل و بأسلوب و أحداث تنافي التي ذكرت في التوراة (راجع الفقرة التي تتحدث عن الكتاب في الفصل الرابع من هذا الكتاب) ، ونعتقد أن لو هذا البحث الذي في الكتاب صحيح فإن مجال البحث عن فرعون سوف يتغير تماما لأن معني هذا أن البحث يجب أن يتحول إلى الأسرة الثامنة عشر و ماقبلها وليس الأسرة الـــ 19 التي ينتسب إليها رمسيس الثاني و مرنبتاح ، وقد علمنا من أبحاثنا التي أفردناها في هذا الكتاب أن الخروج قد وقع في عصر الهكسوس وهو ما يتوافق مع ما ورد في الواقعة المذكورة.

24. يقول الدكتور سليم حسن: (ولا يفوتني هنا أن أشير.....إلى كشف جديد يظهر أنه مضاد للفكرة القائلة بصحة الخروج التقليدي، وذلك أن الحفائر التي

---

[59] من كتاب رمسيس الثانى وفرعون - إسماعيل حامد

قام بها الأستاذ "فشر" في بيسان بفلسطين قد وجد فيها قلعة مصرية، وعثر فيها على لوحات من عهد "سيتي الأول " و"رعمسيس الثاني" وأهم من ذلك تمثال لرعمسيس الثالث. ويقول "فشر"{وأن هذه الآثار المؤرخة تُقَدِمُ لنا برهاناً كافياً على أن البلدة قد بقيت في أيد مصرية من عام 1313 حتى عام 1167 ق م. وعلى ذلك فإن بني إسرائيل كانوا قد هاجروا في عهد ملك ما قبل عهد الرعامسة بكثير ، قبل أن تصبح فلسطين في حوزة مصر ، فالهجرة في زمن الرعامسة يجعلهم عندئذ كمن يستجير من الرمضاء بالنار ، فلو كان مرنبتاح قضى علىٰ بذرة إسرائيل في فلسطين فكيف هربوا إلى فلسطين وهي التي كانت تحت السيطرة المصرية؟!. ولو كان الأمر كذلك فلا بد وأن يكونوا في فلسطين في وقت ما قبل مرنبتاح بكثير ، حتى يتمكن مرنبتاح من أن يقضي على بذرتها. ونحن نعلم أن رعمسيس الثاني وحسب النظرية قد مات قبل ثلاث سنوات من حكم مرنبتاح، ذلك العام الذي قام فيه مرنبتاح بحملته على فلسطين.

25. في دراسة قام بها الباحث لأثري إسماعيل حامد المتخصص في بحث تاريخ القضايا الدينية، خاصة في عهد المصريون القدماء، يقول :"ولعل الربط بين كل من رمسيس الثاني وفرعون موسي لا يعدو أن يكون افتراءً يهوديًا كالعادة بهدف تشويه الحضارة المصرية القديمة بالإساءة لأهم رموزها ، والزعم أنه كان ملكا طاغية آذي أنبياء الله ورسله، وأساء إليهم ثم ادعى الألوهية وهو ما ينطبق علي غيره من ملوك مصر القديمة حسب الزعم اليهودي " .

26. يجدر بالذكر أن رعمسيس الثاني 1303 ق.م - يوليو أو أغسطس 1213 ق.م يُشار إليه أيضًا بـــ"رمسيس الأكبر"، كان الملك الثالث من حكام الأسرة التاسعة عشر والذي حكم 1279 - 1213 ق.م. ينظر إليه على أنه الملك الأكثر شهرة والأقوى طوال عهد الإمبراطورية المصرية ، وقد سماه خلفائه والحكام اللاحقين له بالجد الأعظم ، وقد قاد رمسيس الثاني عدة حملات عسكرية إلى بلاد الشام وأعاد السيطرة المصرية على كنعان ، كما قاد كذلك

حملات جنوبًا إلى النوبة حيث ذهب معه أثنين من أبناءه كما لوحظ منقوشًا على جدران معبد بيت الوالي .

27. يبرر التوراتيون حين يحاولون اهام رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح ما جاء بسفر الخروج 23:2 ((وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات)) إذ معناها أن الملك (رمسيس الثاني قد مات وتولى ابنه ((مرنبتاح)) العرش، وفي رأينا أنهم اضطروا لهذا القول لسببين : أن يتمشى ذلك مع عمر موسى الذي قرروه في إصحاح 7 خروج: 7 وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حينما كلّما فرعون، ولما كان موسى قد فر من مصر وعمره حوالي 40-45 سنة كان معنى ذلك أنه أمضى في مدين 35 سنة، وهي مدة طويلة جدًا لا يستقيم معها أن يفكر موسى بعد ذلك في العودة إلى مصر، ويكون بنو إسرائيل في هذه الفترة قد نسوا بطلهم ولا يعود لهم الحماس لقيادته لهم بعد أن غاب عنهم هذه الفترة الطويلة ، وهذا الدليل ينسف نظرية اهام رمسيس الثاني أو ابنه مرنبتاح بالفرعنة.

28. قال التوراتيون أيضاً بموت الملك حتى يتمشى مع ما جاء بالإصحاح خروج 19:4 ((وقال الرب لموسى في مديان، اذهب ارجع إلى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك)) والواقع أن كلمة ((جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك)) لا تعني فرعون بقدر ما تعني أهل المصري القتيل، فهم الذين كانوا يطلبون نفس موسى وكان فرعون ينفذ طلبهم بالثأر لهم والأخذ بدمهم، فلما ماتوا لم يعد لدى فرعون دافع قوي، وفي رأينا أن الفقرة 23 من الاصحاح 2 خروج كانت ((وحدث في تلك الأيام أن القوم الذين كانوا يطلبون نفس موسى ماتوا)) ولا تعني أن "فرعون ملك مصر مات" والفارق بين العبارتين كبير كما هو واضح !!!.

كانت هذه بعض الأدلة وقليل من كثير كبرهان ساطع على براءة رمسيس من التهمة التي نسبوها إليه هو وابنه مرنبتاح ، وأن كل ما ادعاه هؤلاء لا يغني من الحق شيئا.

مزاعم يهودية تتعلق بالآثار وتفسيرها وترجمة نصوصها:

* أكذوبة العثور على جيش فرعون تحت البحر الأحمر

طالعنا التليفزيون الصهيوني ذات يوم من خلال القناة العاشرة الإسرائيلية أنه تم العثور علي بقايا حيش "فرعون" المصري في البحر الأحمر!!! مما قد جذب انتباهنا لمعرفة باقي ذلك الخبر لعله يحمل في تفاصيله الجديد من الأخبار والمعلومات ولعله كشفا مثيرا يستحق الاهتمام.

لكن وبعد أن أوضحت القناة أن طاقمًا من علماء الآثار المصريين الذي يعملون تحت البحر اكتشفوا ما تبقى من الجيش المصري الكبير في عهد الملك إخناتون بالقرن 14 قبل الميلاد ، علمت وقتها فورا بزيف الخبر وأنه من المستحيل أن يكون الكشف صحيحا خاصة أن وزارة الآثار المصرية لم تعلن شيئا عن ذلك وخاصة أيضا أن الحديث عن الملك إخناتون ما هو إلا إعادة لنظرية سيجموند فرويد عالم النفس اليهودي الشهير الذي ادعى أن إخناتون هو موسى عليه السلام ، وقد قمنا بالتعرض لتلك النظرية من جملة النظريات الباطلة في الفصل الخامس من هذا الكتاب الذي تحدثنا فيه عن ملحمة الخروج.

وادعت القناة أن بقايا جيش فرعون تم إيجادها في القسم الأسفل من خليج السويس على بُعد 1.5 كيلو متر من الشاطئ من مدينة رأس غارب أثناء التفتيش عن سفن غارقة أثرية ترتبط بالعهد الحجري والبرونزي في منطقة البحر الأحمر حيث تم اكتشاف كتلة كبيرة جدًا من العظام والجماجم الإنسانية!!!

وأضافت القناة أن طاقم الآثار المصري بقيادة البروفيسور محمد عبد القادر من كلية الآثار في جامعة القاهرة عثر على أكثر من 400 هيكل عظمي مختلف ومئات قطع الأسلحة والدروع وبقايا مركبتين حربيتين منتشرة على مساحة 200 متر مربع.

كما ادعت القناة أن فريق العمل يعتقد أن هناك أكثر من 5000 هيكل عظمى آخرين منتشرة في مساحة أوسع في نفس المكان، مما يدل على أن جيشًا كبيرًا جدًا قد دُمّر في هذه المنطقة.

ولعل رواية اكتشاف جنود فرعون ليست سوى محض خيال وإغراق في الكذب من القناة الصهيونية ، إذ أن ملوحة مياه البحر عبر آلاف السنين لا تبقي أية آثار وهياكل عظمية ، وهذه حقيقة علمية لا لبس فيها وفق المتخصصين.

ولا يخفى على عاقل أن ظهور مثل تلك الادعاءات والنظريات الكاذبة والكشوف الوهمية من وقت لآخر هو من باب ذر الرماد في العيون والتضليل وإخفاء الحقائق بشكل مستمر لصرف النظر وتشتيت الانتباه عن القصة الحقيقية التي تختلف في تفاصيلها ومضمونها عن تلك القصص المزيفة.

*** أكذوبة صمت الآثار المصرية عن أحداث قصة الخروج:**

وقد تقدم لنا خلال الفصل الخامس حين تحدثنا عن ملحمة الخروج الحديث عن بردية "إيبوير" وأنها تعد وثيقة مصرية فريدة من نوعها تتحدث فيها عن البلاءات التي أصابت فرعون وقومه قبل خروج بني إسرائيل من مصر وهي تمثل وجهة النظر المصرية من حكيم مصري شهد الأحداث وعاشها ورواها من وجهة نظره ونظر قومه القبط المصريين الذين لم يكونوا طرفا في النزاع من الأساس.

أما ورقة ساليه فقد ذكرت ضمنيا وفقا لما أوردناه أيضا في نفس الفصل ما يسمى بـــ "الجائحة الشنعاء" التي أصابت أرض الهكسوس في الدلتا وخلو منصب الملك قبل أن يتولى المسئولية أميرا هكسوسيا يسمى "أبوفيس" ليقوم بالمهام الملكية بدلا من الملك المفقود في ظروف غامضة وغير واضحة!.

فضلا عن الكثير من الإشارات والدلائل التي وردت في الآثار المصرية وفقا لما أوردنا كثيرا منه في الفصول السابقة والتي أشارت بشكل أو بآخر إلى قصة الخروج وأحداثه.

إن العبارة المتكررة التي تدعي "صمت الآثار المصرية" عن قصة الخروج وصراع موسى عليه السلام مع فرعون هي عبارة غير دقيقة ومضللة كذلك ، فمعرفتنا بواقعة "هوارد كارتر" مكتشف مقبرة توت عنخ أمون وإفصاحه عن "بردية الخروج" وتهديده بالإفصاح عنها وتفجير مفاجأة مدوية تشتمل على الرواية الرسمية للحكومة المصرية القديمة عن أحداث الخروج تلزمنا بالاعتقاد بنقطتين هامتين جدا ، أولهما أن أحداث

الخروج قد وقعت بالضرورة قبل عصر توت عنخ آمون لأن كتابة القصة في عصره يعني أنها قد وقعت في تاريخ سابق عن توليه الحكم بكل تأكيد وبالتالي فإن ذلك يبريء كل الملوك المصريين الذين أتوا بعد عهد توت عنخ آمون بالضرورة.

أما النقطة الثانية والهامة جدا هو أن الآثار المصرية لم تصمت كما يدعون دائما حيال واقعة الخروج لكن الأجدر بنا أن نقول أن هناك أيادٍ خفية وبشكل متعمد وصريح قد امتدت على الآثار والكتابات المصرية القديمة وقامت بإخفاء وطمس وتزوير ما تبقى من آثار تشير إلى واقعة الخروج حتى لا تظهر الحقيقة ، وقد تناولنا كلا النقطتين في الفصلين السابقين حين تحدثنا عن "بردية الخروج" التي أخفاها كارتر وهدد القنصل البريطاني بإخراجها في حال استمرار إيقاف تصريح الحفر في مقبرة توت عنخ آمون ، والنقطة الثانية تناولناها في معرض حديثنا عن الإخفاء والإتلاف المتعمد لكل أثر أشار بشكل مباشر إلى واقعة الخروج وأحداثه ، وليراجع القاريء ما كتبناه في هذا الصدد في الفصل الرابع والخامس.

نشاطات صهيونية مريبة فى مواقع الأحداث التاريخية الهامة:[60]

* علماء يهود ينقبون عن "دور اليهود" في الحضارة المصرية!!

قمنا في الفصل الثالث بالكشف عن نشاطات البعثة النمساوية في محافظة الشرقية المصرية برئاسة البروفيسير اليهودي النمساوي مانفريد بيتاك وتحديدا في مواقع عزبة حلمي وتل الضبعة في مدينة فاقوس المصرية بمحافظة الشرقية ، وقد بيّنا أهمية وخطورة ما يقوم به بيتاك وبعثته ، وأهداف البعثة والغرض منها والذي يتعلق بشكل مباشر باكتشاف مسرح الأحداث – وهي عاصمة فرعون – والتي كان يعيش بالقرب منها بنو إسرائيل ، حيث يعتقد اليهود بأن هذا المكان قد شهد أحداث قصة يوسف عليه السلام بالإضافة لأحداث قصة موسى مع فرعون حتى الخروج من مصر.

وتكمن الخطورة في غفلة الجميع عن هذه الحقائق التي يجمعون عنها المعلومات المؤكدة ، ويكونون خبرات متراكمة عن تاريخ الأحداث والموقع والآثار المكتشفة ،

---

[60] انظر كتاب الاختراق اليهودي للآثار المصرية للباحث علي القماش

حيث تخضع كل المكتشفات الأثرية في تلك المناطق تحت أيديهم وبشكل رسمي بتصريح من الدولة ، وقد يُظهرون بعض ما يكتشفونه ويخفون الكثير مما قد لا نسمع عنه أو نراه ، بالإضافة للطامة الكبرى وهي أنهم الجهة الوحيدة التي من حقها إلى جانب هيئة الآثار ووزارة الآثار المصرية بإدلاء التصريحات وإقرار المعلومات عن تلك الحفائر والآثار وإصدار التقارير الفنية الأثرية ، فلهم السبق في إعلان معلومات وتصريحات تأخذ في النهاية مجرى الحقائق لأن نشاطهم معتمد حكوميا ! ، وبالتالي فإن كل تلك الأسباب تجعلنا نعتقد أن هدف تلك البعثات ليس بريئا وليس أثريا كما يدعون ولكنه هدف ديني بحت يمس معتقدات اليهود عن تاريخ بني إسرائيل القديم ويساهم لديهم في إثبات صحة التوراة المختلقة لكن الكارثة الكبرى أننا كمصريين نساعدهم على ذلك ربما دون أن نعي حجم الكارثة والأهداف المخفية من وراء تلك النشاطات المشبوهة.

وليس أدل على ذلك من ظهور مانفريد بيتاك في الفيلم الوثائقي الذي صنعته قناة ديسكفري باسم " حل شفرة الخروج " "The Exodus decoded" والذي نتحدث عنه في هذا الفصل ، والذي قام فيه بالإدلاء بمعلومات وتصريحات تخدم الغرض الذي أنتج من أجله الفيلم الذي يدعي بأن الملك المصري أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة وطارد الهكسوس هو نفسه "فرعون" صاحب قصة الصراع مع موسى عليه السلام ، وبالتالي أصبحت معلومات بيتاك ومصادر المعرفة التي تحت يده نتيجة توليه رئاسة البعثة مصدر خطر كبير وشوكة في ظهر التاريخ المصري وخاصة حين يقوم بالإدلاء بتلك المعلومات التي يتم توجيهها لأغراض تخدم اليهود والمجتمعات الصهيونية الدولية ، وهو بذلك يمشي على نهج سلفه من علماء المصريات التوراتيين في اتهام ملوك القبط المصريين بالفرعنة !

أما الأفدح من ذلك هو أنه قد كشفت مصادر بالمجلس الأعلى للآثار عن وجود علماء آثار من إسرائيل يعملون في مصر ولا يمكن كشفهم إلا إذا افتضح أمرهم بـــ"كارثة علمية" أو "تصرفات وخطوات مريبة" وقد أضافت المصادر أن الأربع سنوات الماضية أفصحت عن وجود ثلاثة عشرة منهم والعدد مرشح للزيادة ويعملون تحت ستار جنسيات أخرى خصوصًا الأمريكية والفرنسية والألمانية والنمساوية منها في

سيناء ومحافظات الإسكندرية والشرقية والجيزة وبالأخص الهرم وسقارة وأسوان والفيوم بالإضافة إلى فاقوس وبلبيس بمحافظة الشرقية! ، ويركزون عملهم فيها لإثبات جغرافية وجودهم على الأرض.

ففي محافظة الشرقية توجد بعثتان الأولى تعمل في تل الضبعة التابعة لمركز فاقوس ويديرها البروفيسير اليهودي مانفريد بيتاك سالف الذكر والذي يحمل الجنسية النمساوية واختارت تلك المنطقة لإثبات وجود بني إسرائيل هناك والربط بينهم وبين الهكسوس الذين احتلوا المنطقة لأن عاصمتهم كانت في نفس المنطقة وهو ما يتوافق مع مساعيهم نحو إثبات وجود أرض "جاسان" الواردة في التوراة على المكان ذاته والمثير أنه يعمل في المنطقة بشكل رسمي منذ فترة تزيد عن خمس سنوات ، فضلا عن حفرياته القديمة والتي ترجع إلى ثلاثين عاما مضت قبل ابتعاثه بشكل رسمي ، أما البعثة الثانية ففي نفس المحافظة وهي محافظة الشرقية لكن في بلدة قنتير ويديرها اليهودي الألماني إدجار بوش ويسير على نهج سابقه محاولاً إثبات وجود أي إسهام لليهود في الحضارة المصرية القديمة وخصوصًا يهودية مدينة "برعمسيس" إحدى عواصم مصر القديمة.

وتتعدد نشاطات اليهود الأثرية في مصر ففي محافظة الإسكندرية توجد بعثة تديرها "كوليوني بابا كوستا" وهي تحمل الجنسية اليونانية وشغلت وسائل الإعلام المصرية مؤخرًا بما سمته قرب العثور على مقبرة الإسكندر الأكبر في الإسكندرية عقب اكتشافها تمثالا بلا رأس في منطقة الشلالات ونسبته إلى الإسكندر وسط خلاف شديد بين علماء الآثار حول الأمر وفرحة الجمعيات المحبة للإسكندر المقدوني بالحديث للوصول إلى مقبرته التي لم يعثر عليها إلى اللحظة في ظل ندرة الآثار الباقية الخاصة به بينما هي تحاول البحث عن آثار جبانة الحي اليهودي في العصر البطلمي الموجودة في المنطقة نفسها والتي تضم بالمناسبة اثنين من أهم مقابر اليهود المصريين في الشلالات والشاطبي.

بينما عملت في منطقة فج الجاموس بمحافظة الفيوم بعثة أخرى تضم أثريًا صهيونيًا خطير التوجه يدعي جيجز ويركز عمله على المومياوات الآدمية المصرية القديمة في إطار مشروع إسرائيلى لإرجاع أصول المصريين القدماء للعبرانيين وهو ما بدأوه بسرقة

شعره من رأس رمسيس الثاني وإعادة تشكيل ملامح وجه الملك توت عنخ آمون وفقًا لأصول غربية وليس مصرية إضافة إلى إثبات وجود "تمركز" لليهود هناك لكونها "كانتونة" أو ما يطلق عليه هذه الأيام "جيتّا" أي مجتمع منعزل داخل المجتمع في منطقة معزولة بمقاييس تلك الأزمنة مع احتوائها على جميع المؤهلات لإقامة مجتمع وإنتاج حضارة.

وفي محافظة أسوان وتحديدًا جزيرة "ألفنتين" توجد بعثة تعمل بها "توجيا ميشيل فيديتس" والتي تعمل على إثبات "شتيمتها" للمصريين الحاليين بأنهم ليسوا من نسل المصريين القدماء وأن المنطقة تضم وجود آثار تخص اليهود ونشاطاتهم منذ القدم وبالمناسبة تسعى "توجيا" ولا تزال إلى الحصول على تصريح للتنقيب في منطقة "تل اليهودية" بمحافظة القليوبية – والتي كانت سابقا تتبع محافظة الشرقية إداريا –على أمل إثبات كونها "بيتوم" وهي المدينة الوارد ذكرها في التوراة كمخزن للغلال والتي تدعي التوراة بأن بني إسرائيل قد تم تسخيرهم في بنائها في عصر المصريين القدماء ، ورغم أنه يعمل بميت رهينة على مقربة من الموقع المستهدف من "توجيا" أحد أشهر العلماء الأثاريين اليهود ويحمل الجنسية الإنجليزية وهو "ديفيد جيفري" ويعمل للأهداف ذاتها وإن كان يحاول البعد تمامًا عن وسائل الإعلام أو أن يكون محورًا لأحاديثها.

أما مواقع سيناء الأثرية فحدث ولا حرج حيث بدؤوا حملات النهب والسلب لآثارها وتشويها منذ سنة 1956 أي وقت العدوان الثلاثي على مصر مرورًا باحتلال إسرائيل للمنطقة عام 1967 حتى تحريرها عام 1973 حيث تم تشويه طريق الحجاج المسيحي بنحت نجمة داوود على إحدى الهضاب المطلة على الطريق إضافة إلى تدمير المسرح الروماني بتحويله معسكرًا للجنود الإسرائيليين غير صولات وجولات وزير الدفاع وقتئذ "موشى ديان" في نقل وسرقة الآثار المصرية لإسرائيل وهو ما تشهد عليه مذكراته المنشورة حين قامت عشيقته "راحيل" التي تزوجها قبل وفاته ببيع عدد من مقتنياته من الآثار المصرية لأحد المتاحف هناك وقد تم نشر قائمة من الآثار التي لم تعد من هناك مدعومة بالتفاصيل إلا أن بعثة الأمريكي "جيمس هوفماير" اليهودي أيضا وهو أستاذ العلوم التوراتية بالكلية اللاهوتية في جامعة ترينتي والتي عملت في سيناء في أكثر من موقع وآخرها "تل البرج" في القنطرة شرق بشمال سيناء وأنهت أعمالها

التنقيبية منذ عام حين ارتكبت بحق العلم والتاريخ المصري أكثر ما يمكن وصفه بالكارثة حيث زعم هوفماير أكثر من مرة أن إسرائيل حكمت مصر ولها أصول تاريخية "ثابتة" تعطيها الحق في استعادة مصر، ليس هذا فحسب فقد اعتبر وفقًا لشواهده وحفرياته أن الحدود المصرية تنتهي عند منطقة أبو صوير بالإسماعيلية وأن أرض سيناء ليست مصرية خالصة، نشر ذلك أكثر من مرة وإن كانت البداية في كتابه الشهير "إسرائيل في مصر."

بينما يبدو الوضع أكثر خطورة في محافظة الجيزة حيث عمل ستة من أخطر علماء الآثار اليهود في أغنى وأهم منطقتين تاريخيًا وأثريًا هما الهرم وسقارة وبعضهم لا يزال موجودًا للحظة، ففي منطقة الهرم عملت بعثة يديرها الأمريكي اليهودي الغامض "إد بروفسكي" وبجوارها بعثة أخرى "لمارك لينر" اليهودي الأمريكي أيضًا ومدير منظمة الآيرو لاستكشاف منطقة الأهرامات بتمويل رئيسي من "بيل جيتس " شخصيا عملاق البرمجيات وأغنى رجل في العالم اليهودي كذلك لإثبات أن اليهود هم من بنوا الأهرامات بحسب مقولة مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق في أثناء زيارته للمنطقة بينما تحظى منطقة سقارة بوجود أربعة منهم الأول يدعى "مارتن ريفين" ويحمل الجنسية الهولندية و لم تتضح أهدافه بعد، والثانية تدعي "جانين بوريو" وتحمل الجنسية الإنجليزية وهي على علاقة قوية بعدد من المسئولين الإسرائيليين الحاليين والسابقين بحسب المصادر، إضافة إلى بعثة أمريكية ثالثة يديرها اليهودي "ديفيد سيلفرمان" الأستاذ بجامعة بنسلفانيا ، وتثير البعثة الرابعة في المنطقة برئاسة اليهودي الفرنسي ذي الأصول المغربية "آلان زيفي" أكثر من سؤال حول استمرار وجودها حتى اللحظة رغم ادعاء زيفي وصول بعض بني إسرائيل إلى مناصب مهمة وحساسة ووزارية في مصر القديمة بل وأورد ذلك في كتاب إبان كشفه لمقبرة أحد الوزراء المصريين في سقارة ويدعى "عبريا" فحرفه ليصبح عبرائيل بما يخدم مخططه والمفاجأة هي قيام د.زاهي حواس قبل أن يكون أمينًا للمجلس الأعلى للآثار بكتابة مقدمة لكتابه المتاح باللغتين العربية والفرنسية والموجود على أرفف مكتبة الإسكندرية ينتقده فيها ، لذا لم يكن غريبًا أن تنشر صحيفة الدايلي ميل تقريرًا مفاده تعاقد المجلس الأعلى للآثار

مع شركة سينتيك في نيوبورت البريطانية لإنقاذ هرم زوسر من الانهيار في لحظة بحسب "بيتر جيمس" المدير التنفيذي للشركة مقابل 1.8 مليون جنيه إسترليني.

أما التقرير الذي حمل عنوان، "بعثات أثرية في مصر تزيف التاريخ لصالح إسرائيل"، فقد أحدث أصداءً واسعة في إسرائيل، فخصصت صحيفة "جيروزاليم بوست"، الإسرائيلية تقريراً مطولاً لعرضه والتعليق عليه، وحصد مئات التعليقات الغاضبة على موقع الصحيفة.

وقد اتهم الكثيرون من المهتمين والباحثين والأثريين بعض البعثات الأثرية الأجنبية التي تنقب عن الآثار في مصر بالعمل لصالح إسرائيل، مشيرين إلى أن تلك البعثات تحاول إثبات يهودية الحضارة المصرية القديمة، وأن اليهود هم بناة الأهرام ، وأن بعض ملوك مصر القديمة قد نهبوا أموال بني إسرائيل أثناء الخروج الأول ، وأحدثت تلك التصريحات أصداء واسعة، وتناقلتها بعض وسائل الإعلام المصرية، والإسرائيلية أيضاً.

وقالت صحيفة "جيروزاليم بوست" العبرية في تقرير بعنوان "جواسيس إسرائيل يزوّرون التاريخ المصري لإظهار اليهود كبناة للأهرام"، إن مصر مازالت تتهم إسرائيل أنها تتعاون مع بعثات أثرية من أجل تزييف تاريخها، وإثبات أن اليهود هم بناة الأهرام.

وأبدت الصحيفة "دهشتها" من اتهامات الباحث الأثري أمير جمال، في تصريحاته لـجريدة "إيلاف"، بإستغلال إسرائيل للبعثات الأثرية الأجنبية، وأنها تضع على رأسها علماء آثار يهوداً أو آخرين متمثلين في تلك البعثات.

ووصفت ذلك بالقول إن "هناك مزاعم في مصر تشير إلى أن إسرائيل تقود مؤامرة لتزوير التاريخ المصري لصالحها" ، كما زعمت الصحيفة الإسرائيلية أن "إيلاف" صحيفة مصرية، ونقلت عن جمال تصريحاته التي نشرت بتاريخ 8 سبتمبر/ أيلول الجاري، وقال فيها: "إن إسرائيل لا ترسل الفرق الأثرية اليهودية الخاصة بها إلى مصر، لأن ذلك من شأنه فضح مؤامرتها في التجسس وتزوير التاريخ المصري، بل ترسل بعثات إلى مصر تحت ستار من جنسيات أخرى، مع ضرورة أن يكون قيادتها من اليهود".

وقد وضعت الصحيفة في صدر الخبر بمنتهى التبجح صورة في صدر التقرير للهرم الأكبر وإلى جواره أبو الهول، وعليه نجمة داوود السداسية الزرقاء ، كما نقلت

"جيروزاليم بوست" تصريحات جمال لـ"إيلاف" التي اتهم فيها إسرائيل بأنها "تسعى إلى إثبات أن الملك شيشنق الأول، وهو أحد ملوك الأسرة 22، استولى على آثار وذهب الهيكل، لإعتقادهم في التوراة أن الملك شيشنق الأول كانت له علاقة مع الملك سليمان، وعندما مات الملك سليمان، حارب شيشنق الأول ابنه واحتل فلسطين، واستولى على كنوز بيت الرب، ولهذا يعتبرون الكنوز التي اكتشفت في العام 1940 في صان الحجر هي كنوز بيت الرب ملك لهم".

وقالت الصحيفة الإسرائيلية إنها ليست المرة الأولى التي يثير فيها دور بنو إسرائيل في التاريخ المصري القديم جدلاً في مصر، مشيرة إلى أن صحافيًا يدعي أحمد جمال، طالب بمقاضاة إسرائيل، متهماً إياها بنشر عشرة أوبئة فتاكة أضرت بالمصريين خلال عهد نبي الله موسى على حد قول الصحيفة.

وأثار التقرير الكثير من ردود الفعل لدى القرّاء على موقع الصحيفة الإسرائيلية، بعضهم اتهم مصر بالسطو على مجهود آبائهم وفقا لزعمهم !! ، وذكر بعض المعلقين أنهم تعلّموا في مدارسهم أن اليهود هم بناة الأهرامات، وأن الكتاب المقدس أخبرهم بذلك أيضاً.

وكتب أحدهم يقول: "أنا مسيحي، وتعلمنا في مدارس الأحد عندما كنّا أطفالاً أن اليهود كانوا عبيداً لدى المصريين، وأنهم هم من بنوا الأهرامات، وليس الجن أو الكائنات الفضائية".

كتب آخر: "هذه هي الحقيقة لماذا يحاول علماء الآثار المصريون إخفاءَها؟... هذه حقيقة تاريخية، كان العبيد والعمال في عهد المصريون القدماء من اليهود الإسرائيليين، وهم من بنوا الأهرامات"، "المصريون الحقيقيون ليسوا عرباً، المصريون الحقيقيون هم بدو سيناء والنوبيون!!! ، واليهود الذين بنوا الأهرامات، أما العرب فقد غزوا مصر واستولوا على تاريخها.. المصريون لم يكونوا عرباً".

وتثار من حين لآخر قضية مشاركة اليهود في بناء الأهرام، وتحدث جدلاً واسعاً في مصر وخارجها وتزعم إسرائيل أن اليهود هم من بنوا الأهرام، إلا أن علماء الآثار المصريين ينفون ذلك حيث تعارضه الحقائق التاريخية والحقبة الزمنية التي سبقت ظهور بني إسرائيل في الوجود بأكثر من ألف عام كاملة!!.

وقال الدكتور عصام أمين، الخبير في الآثار إن المزاعم الإسرائيلية ليس لها أساس من الصحة، مشيراً إلى أن الأهرام قد بنيت قبل ولادة نبي الله موسى بأكثر من ألف سنة كاملة!!! ، مؤكدًا أن إسرائيل تحاول التشكيك في هوية مصر الحضارية، وتعتمد إستراتيجية طويلة الأمد في ذلك، من أجل زعزعة ثقة المصريين في أنفسهم، وفي تاريخهم القديم.

وزعم عالم آثار يهودي في شهر أبريل/ نيسان الماضي أن "كائنات فضائية هي من بنت الأهرامات في مصر"، وقال يسرائيل فينكلشتاين، رئيس معهد الآثار فى جامعة تل أبيب، إن البشر لا يمكنهم نقل 6.5 ملايين حجر، يبلغ وزن بعضها 9 أطنان، لبناء "هرم خوفو"، متوقعاً أن تكون الكائنات الفضائية هي من قامت بهذا العمل الضخم!!!.

ومن صور تزوير الصهاينة للتاريخ فى مصر أيضا نجد محاولات عديدة لتزوير الأماكن ومنها تزوير تاريخ مناطق بسيناء مثل الإدعاء بأن جزيرة فرعون بطابا كانت ميناء موسى القديم أيام نبي الله سليمان بينما النصوص التأسيسية التى عثر عليها كشفت أنه كان للجزيرة دور بارز أيام صلاح الدين فى مقاومة الصليبيين ، أيضا فى سيناء حاولوا تزوير طريق الحج المسيحى بوضع نقوش على بعض الصخور تحمل رموز وكأنها ترمز لمرور اليهود مثل الشمعدانات ونجمة داوود وغيرها ، والمعروف أن الصهاينة حضروا أكثر من 700 موقع فى سيناء وقاموا بنقل مواقع كاملة بطائرات الهليوكوبتر ، وفى سياق تزوير مناطق الأثار زعم الصهاينة العثور على دلائل أثرية تثبت أن قرية قنتير بفاقوس بمحافظة الشرقية ومنطقة تل الضبعة تحتها قصر لنبى الله موسى وقام بعض الحاخامات وأفراد البعثات بشراء مقابر بمبالغ طائلة وصلت إلى أكثر من 300 ألف جنيه للمقبرة الواحدة للتنقيب تحتها وكان هذا محل استجواب أمام مجلس الشعب!!!.

وتكرر الأمر فى أبو حصيرة للأسف تواطؤ بعض المسئولين بالأثار لإثبات هذا التزيف إلا أن القضاء قضى بعدم أثرية الضريح المزعوم وحاولوا إعادة زرع مثل هذا" المسمار" ك"مسمار" جحا فى شمال سيناء.

وتستمر تلك المزاعم ولعل من أشهرها ترويج بيجن عند زيارته مصر بأن الإسرائيليين هم بناة الأهرام!... وللأسف تواكب هذا كله مع استهتار أو تواطؤ من بعض المسئولين بوزارة الثقافة وبالأثار وبرزت صور عديدة لهذا الاهمال ومن أبرز صور ذلك: ما أكده عدد من كبار علماء الأثار بأن الأثار التى عادت من إسرائيل ما هى إلا بعض الأثار المكررة ووصل الاستهتار إلى إرسال أحذية بعض الشهداء فى حرب 56، 67 ضمن صناديق الأثار!.. وللأسف لم تكن هناك متابعة جادة وتجدر الإشارة إلى ما سبق أن ما ذكره الأثرى النشط نور الدين عبد الصمد أن أحد المسئوليين بالأثار قام بنقل الآثار العائدة من إسرائيل من بدروم المتحف المصرى إلى ما أسماه بالمركز العلمى بالقنطرة دون جرد أو تسجيل أو تحريز.

وإذا كانت إسرائيل قد نقلت مواقع ومعابد أثرية بأكملها من سيناء فمن غير المتصور أن الصناديق القليلة التى تحمل بداخلها بقايا فخار مهشم هو كل ما سرقته إسرائيل.. وقد سبق نشر آراء علماء الأثار التي تؤكد ذلك في صحف ومواقع مختلفة ، فقد أكد د. على رضوان بأن هناك أثارا لم تعد من إسرائيل وهو ما أكدته أيضا د. تحفة هندوسة وهما من كبار علماء الأثار فى مصر والمشهود لهما بالنزاهة، وقد سبق أن صرح د. زاهى حواس نفسه قبل تولية موقع الأمين العام لمجلس الأعلى للأثار بأنه يطالب بتشكيل لجنة أو مجموعة عمل من الأثريين الوطنيين لدراسة الحوليات "وكتالوج" المتحف المصرى والمقالات التى نشرت للتعرف على ما لدى إسرائيل من أثار مصرية ونطالب باستردادها ، وإذا كان هذا عن الأثار التى سرقت لمدة 15 سنة أثناء إحتلال سيناء أى من عام 1967 حتى عام 1982 فإن هناك شبهات لسرقة الصهاينة وعملائهم لكافة الأثار المتعلقة باليهود فى مصر ، ومن ذلك سرقة برديات من المتحف المصرى بعد فترة قليلة من طلب مسؤول بالبعثة النمساوية الاطلاع عليها وتصويرها والعجيب أن نفس الشخص المشكوك فيه هو البروفيسير اليهودي مانفريد بيتاك سالف الذكر !!! وقد تمكن من عمل معرض وقتها داخل المتحف المصرى عن الآثار اليهودية!! .

كما زعم يهودى آخر من البعثة النمساوية وهو ديفيد رول بأحقية اليهود فى تاريخ مصر القديم وأطلق على منطقة بالشرقية إسم أرض جاسان!.. بينما تم بناء استراحة

للإسرائيلي هوف ماير فوق قلعة أثرية بمنطقة تل أبو صيفي رغم ما هو معروف عنه بالعداء لمصر وهو صاحب كتاب إسرائيل فى مصر.

كما تم العثور على خصلات من شعر رمسيس الثانى بحوذة بعض علماء اليهود ، وبات من الواضح أن سفر المومياء إلى فرنسا في عهد الرئيس أنور السادات بزعم العلاج بينما ما حدث أن السفر للأبحاث اليهودية وليس لترميم مومياء الملك كما كان معلنا !

وللأسف تم السماح لعملاء الصهاينة بالتنقيب داخل الهرم فى وقت زعموا فيه ببنائه ووجود مزامير داود بداخله أو تحت أقدام تمثال (أبو الهول) وفق لادعائاتهم ! كما تم تكريم فنانة بينالى تدعى ليتا كانت طلبت تصوير الأهرامات من طائرة وعملت خطوط تحيطها خلية نحل واكتشف المساح المصاحب لها ويدعى معروف ضيف أنها تضع منظر لنجمة داود السداسية الشهيرة وبخطوط زرقاء تشابه لون العلم الإسرائيلى وتصورها من الطائرة بجانب الأهرامات لترمز إلى دلالات خبيثة واعترض المساح وقتها، إلا أن وزارة الثقافة وقتها قامت بإرضائها بمنحها جائزة للبيانلى!

ومنذ فترة تم نقل عمود مرنبتاح من منطقة أثار المطرية وهو العمود الذى يحمل نقوشا يرى البعض أنها تتعلق بخروج الاسرائيليين من مصر وتم نقله بحجة ترميمه بالقلعة رغم وجود منطقة ترميم بالمنطقة وقد حدث تدمير بقاعدة العمود ، كما سبق محاولات لسرقات الأثار بالمنطقة لولا تصدى بعض الشرفاء بالمنطقة.. وقد تم نقل العمود إلى منطقة القلعة دون اتخاذ ما سبق إعلانه من احتياطات لتأمين الأثر أثناء النقل ولا يعرف أحد هل سيعود أم سيذهب إلى إسرائيل أو سيكون مصيره الإهمال كما حدث بعد ضجة نقل تمثال رمسيس ليتم إلقائه فى منطقة الأهرام.. و لم يسمع أحد عن الترميم الذى زعموا بأنه سيتم لإنقاذه!.. وبالمناسبة رمسيس الثانى مثله مثل عمود مرنبتاح يرى الصهاينة أنه يرتبط بتاريخهم وفى نفس السياق نجد محاولات خبيثة فى تل العمارنة حيث مقبرة إخناتون والتى تتصدرها تراميم يقال أن اليهود نقولها إلى التلمود وإلى المزامير المنسوبة لداوود عليه السلام ، وتستمر المحاولات فى نسب نفرتارى إلى التاريخ اليهودى حتى إنهم وصفوا صورها على سلع إسرائيلية وسارعوا لتسجيلها ليكون لهم الأسبقية فى الملكية الفكرية ونحن مازلنا نقف متفرجين على ما يحدث !

وسبق إن كانت هناك محاولات مشبوهة لاختراع تاريخ للصهاينة على لوحة مرنبتاح بأحد المعابد وقد كشف العلماء هذا الزيف بينما يشاهد المسئولون عن الآثار ووصل التراخى إلى درجة أنه عندما اكتشف المرافقون لمعرض الآثار المصرية أن تاجر آثار يدعى "روبرت شمل" يعرض آثار وكتب عليها إسم إسرائيل اكتفى الوفد المصرى بطلب عدم ذكر إسم إسرائيل على قائمة الآثار حتى لا يضعوهم فى حرج! أما العلاقات بين وزارة الثقافة وبين إسرائيل فى مجال الآثار فهى" سمن على عسل" خلال السنوات العشر السابقة رغم المزاعم المعلنة من وزارة الثقافة وقتها أنها ضد التطبيع!!!.

وتحت أيدينا محاضر سابقة للجنة الدائمة للآثار تطلب إسرائيل بموجبها استعارة بعض القطع الأثرية برغم أن النقوش الموجودة عليها عبرية! كما يذكر محضرا آخر للجنة الدائمة للآثار طلب "السيد/ أميرد رورى" من متحف روكفلر للآثار الإسرائيلية بأنه بناء على اتفاقية بين هيئة الآثار المصرية والإسرائيلية سيرسل إلى مصر كل الاكتشافات العلمية ، وجاء فى طلبه: أنه يوجد فى متحف إسرائيل مكتبة صغيرة من الآثار عثر عليها بموقعين فى سيناء ومعروضة بالمتحف ويطالب بإعارتها ويدعو أثنين من مفتشى الآثار المصرية لهم رخصة غوص ليكونوا ضيوف على إسرائيل فى قسم الآثار البحرية ووجه الدعوة لأمين مجلس الآثار وقتها لحضور معرض فى إسرائيل يحمل عنوان "معرض سيناء فى المتحف الإسرائيلى بالقدس"!!!!!!

إن صور تزوير الصهاينة للتاريخ لا تنتهى وصور التراخى من المسؤولين بوزارتي الثقافة والآثار متواصلة وصلت إلى حد أنه تم تسجيل كل المعابد اليهودية فى مصر فى تعداد الآثار رغم إنها غير أثرية و لم يمر على بنائها مائة عام ولكن تحت ابتزاز أن مصر لا تتسع لرسالات بجانب الدين الإسلامى رضخت الحكومة لهذا الابتزاز وتم ترك مفاتيح المعابد والتى أصبحت مفترض أثريتها فى يد سيدة يهودية تدعى كارمن.

علما بأن مصر لم تكن أبدا ضد أى رسالة سماوية وكان اليهود يعيشون فى مصر! فى تسامح إلى أن جاءت الحركة الصهيونية وصفت الديانة بالمشروع الصهيونى الخبيث ومزاعم أرض الميعاد من أجل تجميع شتاتهم تحت ستار دينى علما بأن هرتزل أبو الصهيونية فى العصر الحديث ذاته لم يكن فى باله فى البداية أرض فلسطين بل بحث فى أفريقيا عن موطن لتجميع اليهود!.. بالطبع هناك نماذج مشرفة من علماء الآثار

للتصدى لهذا الزيف الصهيونى للتاريخ والأثار ومن بينم د. أحمد قدرى رحمه الله أول من طالب بعودة أثارنا التى نهبتها إسرائيل.. والعديد من العلماء الذين تصدوا خاصة من خلال المقالات والأبحاث ومن بينهم د. أحمد الصاوى أستاذ الأثار الإسلامية و د. على رضوان أستاذ الأثار المصرية والباحث عبد الرحيم ريحان وغيرهم وممن حضروا الندوة التى عقدتها نقابة الصحفيين وعلى رأسهم العالم الكبير د. عبد الرحمن العايدى والأثريين المحترمين نور الدين عبد الصمد ومحمد حامد ود. محمود رمضان وأحمد دسوقى وغيرهم.

وفي هذا الصدد فقد صدر حديثا كتاب للصحفي علي القماش يتناول فيه دور الصهيونية في العبث بالآثار المصرية، ويشير الكاتب في مقدمته إلي أنه " تحت ستار العلم" جندت إسرائيل بعض المصريين لإثبات وجود آثار يهودية في كل مناطق أطماعها من النيل للفرات وخاصة بمصر، وكان هؤلاء المجندون يعلمون أحيانا الهدف من كشوفاتهم وأحيانا أخري يجهلون أن ذلك يصب لصالح إسرائيل جهلا منهم بذلك!

و يشير الباحث بكتابه لما أسماه بـــــ"التبجح" الصهيوني في استخدام آثار مصر ومزاراتها السياحية كعلامات تجارية للسلع الصهيونية ومنها الأهرام كشعار لقناة فضائية إسرائيلية، كما أن مدينة سفاجا تتصدر الدعاية الإسرائيلية في مكاتب الأطباء في أوروبا كمركز لعلاج الأمراض الروماتيزمية وتضعها ضمن برامج رحلات إسرائيل السياحية وكأنها داخل إسرائيل في ظل الجهل بجغرافية مصر!!!

أما البرتقال الإسرائيلي المصدر لأوروبا علامته التجارية الملكة نفرتيتي، وقد صمم خبراء يهود مدينة لاس فيجاس بأميركا أشبه بمدينة الأقصر مطالبين باتخاذ جميع التدابير القانونية حرصاً علي الملكية الفكرية !

ويتضمن الكتاب حصرا لكل الأماكن التي يدعي اليهود أنهم أقاموا بها ولهم آثار فيها ، ثم يقوم المؤلف في كتابه بتكذيب كل الادعاءات بالوثائق والصور والمستندات كما يقدم قائمة شرف بالمناضلين الذين تصدوا لتهويد الآثار العربية ، ويحوي خمسة فصول يتضمن الأول "حقائق التاريخ والادعاءات الصهيونية"، والثاني "وسائل الاختراق الصهيوني للآثار المصرية"، والثالث يتحدث عن رموز الآثار والحضارة

المصرية والادعاءات الإسرائيلية، أما الرابع فحول المناطق والمواقع الأثرية في مصر التي يزعم اليهود بتعلقها بتاريخهم وأخيرا يتناول الفصل الخامس مخاطر صهيونية تستوجب التحرك العاجل .

ويتناول المؤلف الرموز المصرية الخالصة والادعاءات الصهيونية حولها ومنها لوحة "مرنبتاح" بالمتحف المصري المعروفة باسم لوحة النصر ويطلق عليها البعض خطأ لوحة إسرائيل وهي الوثيقة المصرية الوحيدة التي يدعي اليهود أنه جاء فيها ذكر بني إسرائيل، كما يشير د. رمضان عبده في كتابه "تاريخ مصر القديم" إلي أن هذه اللوحة لا علاقة لها بأحداث الخروج نهائياً وأن ترجمة الاسم بإسرائيل خطأ تاريخي والأصح تسميتها بلوحة انتصارات مرنبتاح التي يشار فيها لحملته علي الحدود الغربية وجنوب فلسطين . أما الادعاء بأنهم بناة الأهرام فقد أشار مؤلف الكتاب إلي حقائق التاريخ التي تؤكد أن العبرانيين دخلوا مصر كخدام وعبيد ولم يسخروا في البناء كما يدعون وكان ذلك بعد 1000 عام من بناء الأهرام.

كما ادعوا أن هرم أوناس الواقع جنوب الهرم المدرج بسقارة كشفت داخله نصوص سامية وهذا ما ذكره الخبير الأمريكي اليهودي "راؤبين شتاينر" المتخصص باللغات السامية، وأثبتت الاكتشافات الأثرية أن هرم أوناس يرجع إلي عام 2400 قبل الميلاد أي قبل وجود العبرانيين في مصر مع نبي الله يعقوب عليه السلام .

ومن بين الإدعاءات الأخري استغلال اسم مقبرة عبريا بسقارة علي أنها تخص اليهود استناداً إلي اسم "عبريا" وهذا ما أشاعه في المحافل الدولية الأثري زيفي رئيس البعثة الفرنسية بسقارة والتي تعمل بمقبرة عبريا رغم أن نقوش المقبرة بالهيروغليفية وكذلك التوابيت لا تتضمن اسم عبرائيل الذي ادعاه الدكتور "زيفي"، كما أن ربط زيفي اسم "عبريا" بالإله إيل غير علمي لأن إيل إله سامي كنعاني أي فلسطيني قبل وجود اليهود بنحو ألف عام .

ولقد روج الكاتب الصهيوني فلايكوفسكي أفكاراً تشير إلي أن تصميم معبد حتشبسوت بالدير البحري بالأقصر منقول عن تصميم معبد سليمان رغم أنه لا يوجد أي دليل تاريخي أو أثري لهذا الهيكل المزعوم ، ورغم أن حتشبسوت سبقت تاريخياً نبي الله سليمان عليه السلام بنحو 600 عام كما أن الكاتب الصهيوني خلط بين بلقيس

ملكة سبأ وبين حتشبسوت وادعي أن حتشبسوت هي التي ذهبت لزيارة نبي الله سليمان ليبرر تزويره للتاريخ !

ويشير المؤلف بكتابه إلي نماذج عديدة من تزييف التاريخ بواسطة الصهيونية في مناطق مصر المختلفة ؛ ففي سيناء ادعوا أن قلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون بطابا هي ميناء عصيون جابر المذكور في التوراة (لم يثبت وجود ميناء هناك بهذا الاسم) في عهد نبي الله سليمان ، وقد أكدت حفائر منطقة جنوب سيناء كذب هذه الادعاءات وجاء تأكيد بناء القلعة في عهد صلاح الدين من خلال لوحات تأسيسية تشير لإنشاء أسوار وفرن لتصنيع الأسلحة داخل القلعة ودور القلعة العظيم في صد غارات الصليبيين والتمهيد لانتصار صلاح الدين في حطين واسترداد القدس .

كما جرت محاولات لتزوير طريق الحج المسيحي بسيناء فادعوا أنه طريق حج لليهود وأثبتت أعمال المسح والدراسات الأثرية لهذا الطريق كذب الادعاءات من خلال النقوش الصخرية المسيحية الموجودة علي طول هذا الطريق .

أما في مدن القناة فقد ادعي اسرائيليون أن تل دفنة بالقنطرة شرق "أثر يهودي" رغم كشف حفائر بعثة آثار منطقة الاسماعيلية عن بقايا مدينة عسكرية بتل دفنة من عصر أسرة 26 والتي تقع علي طريق حورس الشهير وهي محطة استراتيجية هامة استغلها ملوك العصر المتأخر للدفاع عن البلاد وحماية الحدود الشرقية لمصر ، كما تم الكشف عن معبد كبير بتل دفنة وكلها آثار مصرية خالصة.

أما أكبر جهود التزوير فكانت من نصيب محافظة الشرقية والتي يشير مؤلف الكتاب إلي أنها محط لأطماع اليهود بالزعم بوجود قصر لنبي الله موسي عليه السلام بها ، وهناك محاولات يهودية لربط تاريخ اليهود بتاريخ الهكسوس بالإدعاء بوجود آثار يهودية بقرية قنتير بالشرقية، وهو تاريخ حقيقي لكن يراد به باطل حيث تروح المزاعم اليهودية بأن الهكسوس هم بنو إسرائيل ، بينما نحن نعلم الآن من خلال بحثنا هذا والأدلة التي قدمناها أن بني إسرائيل قد عاشوا فقط خلال عصر الهكسوس المذكور كقبيلة مقيمة بشكل مؤقت في مصر والفرق بين الفرضيتين كبير جدا ، فالتصديق بأن الهكسوس هم بنو إسرائيل يجعلهم ملوكا لمصر وهو ادعاء مزيف يجعل اليهود

المعاصرين يطالبون بملك لم ينالوه يوما ويقوي ادعائهم المزيف بأحقيتهم في أرض تمتد من النيل للفرات !

ويشير المؤلف كذلك إلي أنه في محافظة القليوبية يوجد تل يطلق عليه "تل اليهودية" يقع جنوب شرق مدينة شبين القناطر يحظي باهتمام الصهيونية وهذا التل كان معسكراً للهكسوس وجبانة للبطالمة لكن أطماعهم في هذا الموقع تتمثل في اعتقادهم بأنه كان جزء من أرض جاسان التي سكن فيها يعقوب عليه السلام والأسباط ويقال أن بعض الأسباط مدفونون في هذا الموقع .

ويشير د. عبد الحليم نور الدين إلي أنه تل كان يضم معسكراً للهكسوس ومعبد لرمسيس الثاني وآخر لرمسيس الثالث علاوة علي مقابر صخرية من عصر الهكسوس وعصر البطالمة ، ويؤكد محمد شعراوي – مفتش آثار بالقليوبية -أن السبب في إطلاق هذا الاسم علي التل يمكن استنباطه من مأثورات شعبية عن وجود كتر مدفون في باطن التل خاص باليهود لأنهم يتميزون بالبخل واكتناز الأموال وكانت السيدات اليهوديات في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين يأتين للتبرك بهذا المكان وراجت أفعالهن بين عامة السيدات البسطاء فأطلق عليه هذا الاسم .

ويشير الصحفي علي القماش بكتابه إلي أنه رغم وفود اليهود للإسكندرية بعد فتح الإسكندر لفلسطين ومصر 331-330 قبل الميلاد إلا أن التنقيب الأثري لم يكشف لهم أي آثار بها ورغم ذلك تقوم جمعية النبي دانيال برعاية الآثار اليهودية (إن كانت هناك آثارا حقيقية) في أنحاء العالم وهي جمعية يهودية تتخذ من باريس مقرًّا لها ومن أعضائها 34 مصريا، ويؤكد د. عبد المنعم عبد الحليم أستاذ التاريخ بآداب الإسكندرية إلي أن إضفاء اسم النبي دانيال هو خداع ؛ فالنبي دانيال ليس له دخل باليهود وقد أشار الكتاب القدماء مثل "السربون" الذي زار مصر في القرن الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد إلي أن مقبرة الإسكندر بين شارع كانوب (أبو قير حالياً) وشارع ثوما وكلمة الثوما تعني جثمان الإسكندر (وهو شارع النبي دانيال حالياً) وهو وصف يعني عدم علاقة اليهود بأي شئ، ويضيف د. عبد الحليم أن اليهود لا يوجد لهم بالإسكندرية غير معابد حديثة وليس لها قيمة أثرية وأربعة بيوت مؤجرة، مؤكدا أن إدعائهم امتلاك فندق سيسل أو أراضي بمنطقة سموحة مجرد ابتزاز..

وفي الفيوم ادعي اليهود أن قارون هو أمنمحات الثالث وبالتالي تنسب بحيرة قارون وآثار أمنمحات الثالث بالفيوم لليهود ولكن يشير العلماء أن اسم بحيرة قارون يرجع لشكل نهاية البحيرة التي تشبه القرون فأطلقوا عليها هذا الاسم وأن القصر الذي يطلق عليه قصر قارون علي أطراف البحيرة من بناء أمنمحات الثالث بهدف عبادة "الإله سوبك التمساح" في اعتقاد المصريين القدماء، وأن الامبراطور الروماني بطليموس استخدمه لنفس العبادة وقد عثر علي خزينة سرية بأرضية القصر وبداخلها أوراق بردي تشير إلي تاريخ القصر ، ومن هنا فإن ارتباط اليهود بالفيوم قائم علي الدعاية الصهيونية ونسب ما صنعه ملوك مصر لأنفسهم لأنهم شعب بلا حضارة.

هذا جزء من كل وجانب من النشاطات اليهودية على أرض مصر وغيرها من البلاد العربية وهو ما تم اكتشافه ، لكن يبقى الكثير من جهود التهويد والنشاطات المشبوهة طي الكتمان لا يعلم عنها الكثير من الناس شيئا ولا نسمع عنها إلا بعد أن تتحول إلى واقع يحرز به اليهود هدفا جديدا في كل مرة في ظل غفلة كبيرة من المصريين والعرب بوجه عام عما يحاك لهم في الخفاء وعن عمليات التزوير والتهويد التي تجري على قدم وساق لتبديل التاريخ وإعادة كتابته بطريقة يهودية.

لوحة إسرائيل المزعومة ... وأكذوبة اسم إسرائيل على الآثار المصرية !

لوحة مرنبتاح أو لوحة النصر المعروفة أيضاً بـــ "لوحة انتصار مرنبتاح" ويسميها التوراتيون ومن على نفس أفكارهم "لوحة إسرائيل" ، وهي لوحة تذكارية لملك مصر مرنبتاح الذي حكم مصر بين 1213 - 1203 قبل الميلاد، وهي عبارة عن لوح سميك من حجر الجرانيت يذكر انتصار الملك أمنحتب الثالث في بلاد الشام واستخدمها مرنبتاح لتسجيل انتصاراته على شعوب اللوبيين وشعوب آسيا في الشام وغيرهم من الشعوب ، وقد اكتشفها المؤرخ "فلندرز بيتري " في طيبة -الأقصر حالياً- عام 1896 بعد الميلاد.

توجد اللوحة الآن في المتحف المصري بالقاهرة تحت رقم CG 34025. والتاريخ المكتوب عليها بالكتابة الهيروغليفية هو: شيمو اليوم (أي في اليوم الثالث من الشهر الثالث من فصل الصيف "شيمو")، وهذا التاريخ يعادل حسابيا 8 أبريل، وطبقاً

لمخطوطات معبد الكرنك فقد حدث في هذا التاريخ الحرب ضد اللوبيين / الليبين عام 1208 قبل الميلاد، وكانت المعركة في السنة الخامسة لحكم هذا الملك.

يبلغ ارتفاع اللوحة 310 سنتيمتر وعرضها 160 سنتيمتر وسُمكها 32 سنتيمتر، وكانت أساساً لمعبد الموتى لأمنحتب الثالث من الأسرة الثامنة عشر ومكتوب على خلفيتها تقرير عن المنشآت التي قام بها الملك في غرب طيبة وفي سوليب والأقصر والكرنك ، وفي عهد العمارنة أزيل جزء من الصيغة المنحوتة عليها، واستخدمها الملك سيتي الأول والد رمسيس من الأسرة التاسعة عشر بعد ترميمها كلوحة تذكارية للإله آمون، وتوجد على مقدمتها وعلى خلفيتها رسماً مزدوجاً يظهر فيه الإله آمون رع واقفاً في الوسط، وفي نصف الصورة إلى اليمين يقدم الملك أمنحتب الثالث ماءً بارداً "قبحو" ونبيذ "يرب" إلى أمون رع ويتبعه الإله خنسو.

وفي نصف الصورة الآخر إلى اليسار يُرى مرنبتاح يستقبل السيف المقوس "شيبش" من أمون رع، وتتبعه الإلهة "موت" في الكتابة على هذا المشهد يقول آمون رع: «خذ سيف الشبش لكي تنتصر على جميع بلاد الغرباء. »

وقد قام مرنبتاح بصناعة تلك اللوحة فوق نقش قديم للملك أمنحتب الثالث ، وكان هذا في العام الخامس من حكمه الذي استمر لعشر سنوات قبل وفاته ، واستمر يحكم بعد تاريخ نقش اللوحة خمسة سنوات أخرى ولو كان مرنبتاح هو فرعون وفقا لبعض المدعين لكان قد مات في السنة الخامسة من حكمه الذي انتهى بغرقه وفقا لمزاعمهم ، ولم يكن ليكتب لوحة النصر بسبب وفاته.

نعم انها لوحة فريدة فعلي وجهيها الاثنين نصا لملكين مختلفين من أسرتين مختلفتين متتابعتين سجل كل منهما على أحد وجهيها إنجازاته و إن كنا لا ندري ما هو السبب الحقيقي وراء استيلاء مرنبتاح علي هذه اللوحة من معبد أمنحتب الثالث ؟ ربما يرجع ذلك إلي أن الامكانيات المادية في عهده كانت محدودة (ليس تخمينًا و لكنها قرينة تاريخية ثابتة) و. الدليل علي ذلك أنه سلب أحجارا متعددة من معبد أمنحتب الثالث لتكملة معبده الجنائزي و مما ساعد علي عملية نقل هذه اللوحة الي معبده هو قربه من معبد أمنحتب الثالث ويبدو أيضا أن إمكانيات النحت قد قلت كثيرا في عهده و في عهد سيتي الثاني و رمسيس الثالث.

ونلاحظ أيضا أن مرنبتاح لم يحاول أن يمحو ويطمس النص الخاص بأمنحتب الثالث مما يدل علي أن هذه اللوحة كانت قائمة في مكان ظاهر في معبده الجنائزي و لم تكن ملصقة إلي جدار أو حائط في المعبد و إلا لأثر ذلك علي سلامة نص أمنحتب الثالث الذي عثر عليه في حالة جيدة و مما يدل على أنها كانت مقامة في مكان ظاهر حتي يتمكن من يدخل معبده الجنائزي من أن يقرأ النصين معا و ربما يقارن أيضا بين ما حققه أمنحتب الثالث من إنجازات معمارية وبين ما حققه مرنبتاح من فتوحات عسكرية.



صورة للوحة مرنبتاح المسماة بلوحة "إسرائيل" في المتحف المصري بالقاهرة

ويعتبر ذكر " إسرائيل / يز-ر-ئر" على اللوحة وفقا لترجمة بتري هو الدليل الأوحد- لو جاز لنا اعتباره كذلك - بخلاف ذكرها في التوراة من مصدر تاريخي، وترجع تلك الفقرة إلى عهد الرعامسة ، ولا وجود لذكرهم بعد ذلك إلا أثناء حكم النبي داود الذي حكم فلسطين في القرن العاشر قبل الميلاد.

وأما مطابقة "إسرائيل" التي يزعم التوراتيون أنها مذكورة في لوحة مرنبتاح إلى "إسرائيل" المملكة التي تأسست في عهد الملكين داود وسليمان فيختلف المؤرخون بشأنها ، والمتابع للتاريخ يجد أن منطقة الشام وعلى الأخص منطقة فلسطين كانت غالباً تحت الحكم المصري منذ طرد الهكسوس من مصر في عهد أحمس، بسبب الفترة التي عاشها القبط المصريون خلال حكم الهكسوس الذين أتوا من الشرق وسيطرتهم على المملكة المصرية ، فكان المصريون حريصون على السيطرة على تلك المناطق كإجراء احترازي ووقائي ومنعا لتكرار تلك التجربة مرة أخرى.

* نص اللوحة :

والقصيدة التي دونها مرنبتاح على تلك اللوحة في مجموعها افتخار بالنصر العظيم الذي أحرزه الملك على أعدائه في السنة الخامسة من حكمه ، والقصيدة تزخر بالاستعارات والتشبيهات المختارة مما أسبغ عليها صورة أدبية أكثر من أن تكون وثيقة تاريخية خالصة، وقد وصف فيها الشاعر هزيمة الأعداء بمهارة والأعمال الجسام التي قام بها ((مرنبتاح)) للذود عن حياض بلاده وتخليصها من غارات الليبيين وكسر شوكتهم، ولم يفته أن يصف الملك بالعدل والاستقامة[61] فيقول:

"فهو يعطي كل ذي حق حقه، فالثروة تتدفق على الرجل الصالح، أما المجرم فلن يتمتع بغنيمة ما"

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف السلام والطمأنينة والرخاء الذي ساد البلاد بعد هذا الانتصار فيقول:

---

[61] قصص الأنبياء والتاريخ – د.رشدي البدراوي

"فحتى الحيوان قد ترك جائلاً بدون راع في حين أن أصحابها يروحون ويغدون مغنيين، وليس هناك صياح قوم متوجعين"

وفي ختام القصيدة يُعدِّد الشاعر القبائل والأقاليم التي أخضعها مرنبتاح وهذا نصها – لأن هذا الجزء هو بيت القصيد:

"ويقول الرؤساء المطروحين أرضاً: السلام! ولم يعد يَرفع واحد من بين قبائل البدو تسعة الأقواس رأسه (وهذا اسم قديم لجيران مصر المعادين لها)".

"التحنو" قد خربت (بلاد التحنو هي منطقة بليبيا والتحنو في الأصل هي إحدى القبائل التي كانت تسكن ليبيا في تلك المنطقة تحديدا)

وبلاد ((خاتي)) قد أصبحت مسالمة.

وأزيلت ((عسقلان))

و ((جازر)) قبض عليها.

و ((بنوم)) أصبحت لا شيء.

و"يسرئرو / يزرعير" خربت وليس لها بذر.

و ((خارو)) أصبحت أرملة لمصر.

وكل الأراضي قد وجدت السلم.

وكل من ذهب جائلاً أخضعه ملك الوجه القبلي والوجه البحري ابن ((رع)) محبوب ((آمون)) ابن الشمس ((مرنبتاح)) منشرح بالصدق ، معطى الحياة مثل ((رع)) كل يوم.

* تحليل النص وتحقيق كلمة "إسرائيل" المزعومة:

والآن نأتي لترجمة عبارة "إسرائيل / ئسرئر سحقت ولم يعد لها بذور" و ما يحتمل قراءته حرفيا وفقا للكتابة الهيروغليفية : " يسيرارو/ ئسرئرو / يزرعير / يسرعيرو فكت بن برت إف"

ومنطوقها بالأحرف اللاتينية " y-sy-ri3-rw " هكذا يمكن أن تنطق الكلمة بطرق متعددة مثل: (يسيرارو) او(يزيرارو) أو (يزرير) أو (ئسرئرو) أو (يزرعير) أو (يسرعيرو).

وطبقا لآراء بعض العلماء في اللغة – التوراتيون طبعا - فإن (يسيرارو/ ئسرئرو) يمكن أن تقرأ (إسرائيلو) و منهم من قرأ التسمية (يسيرا –ئي–لو) = (يسرا–ئي–لو) = (إسرائيل)!!! .

لكن المفاجأة التي أقدمها للقارئ وتنسف ذلك الاستنتاج من القواعد هو إجماع علماء اللغات على أن اللغة المصرية القديمة لم تكن تحتوي على حرف اللام في الأصل[62] ، ومما تجدر الإشاره له أيضا أن الأبجدية الهيروغليفية لا تحتوي أيضا علامات ألف الوصل و ياء المد (حركة الكسر الطويلة) التي تحتويها كلمة إسرائيل.

ولسبب مفهوم – وهو خلفيته التوراتية بالطبع - نعرف كيف ترجم العالم فلندرز بتري عالم المصريات الشهير كلمة "يزرعيل" والتي كانت مكتوبة بصيغة "يسرائير / يسرائر / يزرعيرو/يزرير / يسرعيرو " لأن اللغة المصرية القديمة لم تكن تحتوي على حرف "اللام" !!!

إذن فقد قصد كاتب اللوحة "مكانا" أو "إقليما" وليس "قوما" أو "شعبا" كما ادعى هؤلاء العلماء ذوي الخلفيات التوراتية وكل من سار على رأيهم ، بل إن السكان المقصودين من النص قد تم تسميتهم بإسم المكان وليس العكس ، والمؤسف أن ترجمة بتري قد تقننت وأصبحت حقيقة واقعة قامت عليها كل الدراسات اللاحقة.[63]

ولقد قرأ جوتيه هذا الاسم (isrealou) لكن هذه القراءة ليس لها علاقة بالمرة بالكلمة التي وردت بالنص فهو محض اجتهاد حركته أهواء كل هؤلاء العلماء

---

[62] اعتقد بعض علماء المصريات أن حرف اللام في المصرية القديمة يمثله في الكتابة الهيروغليفية علامة الأسد الرابض E23 والتي ترجمـــها شامبليون نفسه على أنها حرف لام (ل) ثم تراجع وترجمها على أنها حرف الراء ثم تراجع إلى اللام مرة أخرى ويجمع معظم علماء المصريات واللغة المصرية على أنها حرف الراء وليس اللام ، لذلك فلا وجود لحرف اللام في المصرية القديمة وكل نصوصها التي بقيت إلى اليوم وترجمت للغات عديدة بالإضافة لكل الأسماء تخلو من هذا الحرف حيث لن يتمكن شامبليون وكل من على مدرسته اللغوية إلى اليوم في اكتشاف حرفي اللام والزين في اللغة المصرية القديمة؟ وبالكشف عن ذلك بواسطة أي قاموس للكتابة الهيروغليفية في قسم حرف اللام فلن تجد له أي أثر!!!

[63] فرعون من قوم موسى – عاطف عزت

والباحثين التوراتيين ليزعموا أن اسم إسرائيل قد ورد بالآثار المصرية ، أما الحقيقة هي أنه ينبغي قراءة وكتابة هذا الاسم كما جاء في النص المصري دون أي تحريف أو تعديل لفظ (يسيرارو/ يزرير/يسرعير) أي "يزريل" والمقصود بها كما بينّا هو وادي "يزرعيل" في فلسطين والقبائل التي كانت تعيش به.

*** "يزرعيل" وتصحيفها عمدا إلى "إسرائيل"!!!**

ووادي "يزعريل / يزرعير / يزرعين / جزريل" هو أخصب وادي في فلسطين على الإطلاق ومشهور بالبذور والغلال ويوجد في شمال فلسطين.

واسم "يرزعيل / يزرعئيل / يزرعير / زرعين " اسم كنعاني قديم معناه "الله يزرع" أو "زرع الله" " المزروع من الله" أو "الزرع الإلهي"، و وأصبح يعرف فى العصر اليونانى باسم " سهل "أسدرالون / عزريلون" أما اسمه الحالي فهو "مرج بن عامر" وهو سهل مثلث في فلسطين الوسطى ويسمى السهل الكبير ويمتد من البحر المتوسط إلى الأردن حيث يصل الساحل بغور الأردن ، ومن الكرمل وجبال السامرة إلى جبال الجليل وطوله من الغرب إلى الشرق نحو 25 ميلًا ومن الجنوب إلى الشمال 12 ميلًا ، ويمثله حاليا "مرج بن عامر "[64] بتسميته العربية وفي هذا السهل مدينة "بيسان" الحارسة التي هي "بيت شان" القديمة وسماها اليونان سكيثوربلس ، ومن الأودية

---

[64] "مرج ابن عامر" بالمسمى الحالي أو سهل زرعين "عيمق يزرعيل" أو "يزرعئيل" حسب تسميته في التوراة ، هو مرج واسع بين منطقة الجليل وجبال نابلس في شمال فلسطين التارخيّة وتحديدًا في لواء الشمال حسب التقسيم الإداري الإسرائيليّ صورته على شكل مثلث أطرافه: حيفا، جنين وبحيرة طبرية أما أضلاع هذا المثلث فيمثل ضلع قاعدتهُ من سفوح جبال الكرمل غربًا وحتّى مدينة جنين شرقًا، وطوله حوالي 46 كم وضلعاه الآخران يكادان أن يكونا مُتساويين وطولهما حوالي 20 كم لكلّ منهما. الضلع الشرقي يمتد من سفح جبل الطور شمالاً بعد أن يُلامس جبال الدحي وينتهي بجوار مدينة جنين. أمّا الضلع الغربي فيمرّ بمُحاذاة سفوح جبال الجليل ، وكانَ مرج إبن عامر حتّى عام 1947م يُعد سلّة خُبز فلسطين، حيث أن فلسطين بتضاريسها الجبليّة والصحراويّة بالإضافة إلى الغور وقلّة مساحة سهولها ومروجها مُقارنةً مع مساحة التضاريس الأخرى، جعل من مرج إبن عامر وكما يُقال من أجمل سُهول العالم. يبلغ مُعدّل الليالي التي يتكوَن فيها الندى في هذا المرج حوالي 200 ليلة ولهذا تأثير كبير على الزراعة في أشهر الصيف الجافّة.

المتسعة المتصلة به جاء الغازون من كل جهة لأن جميع الطرق الهامة تصل إليه ، وعلى حده الغربي كانت الطريق الساحلية بين مصر وفينيقية.

وفروع الطريق الشرقية تصل إليه من ثلاث ممرات ، أحداها من الوادي بين سهل شارون وطرف جبل الكرمل الجنوبي الشرقي ، وثانيهما من السامرة مارًا بحصن مجدو، والثالث كان إلى الشرق مارًا بسهل دوثان العريض إلى جنين ، وكان سهل "يزرعيل" باب فلسطين ومفتاحها أيضًا، منه دخل الفاتحون الأولون لاحتلال الأرض ، وعلى آكامه المنحدرة من أيام تحتمس الثالث إلى نابليون احتدمت نار المعارك والحروب العظيمة التي انتهت بتملك الأرض مثل موقعة داوود عليه السلام حين قتل جالوت أحد الملوك الكنعانيين ومرورا بموقعة عين جالوت التي هزم فيها المسلمون التتار بقيادة سيف الدين قطز رحمه الله ، ووصولا إلى معارك العصر الحديث.

وكان وادي يزرعيل / مرج بن عامر يقع في سبط "يسّاكر" وفقا لتقسيم التوراة لأرض فلسطين على الأسباط، وفي هذا الوادي انتصر القضاة دبورة وباراك على سيسرا وجيشه (قضاة ص 4 و5) في عصر قضاة بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر.

وبجانبه في جبل جلبوع هزم الفلسطينيون شاؤول ويوناثان ، وفيه انتصر جدعون على المديانيين كما في سفر القضاة (6: 33 - 7: 23) ، وفيه قتل الملك نخو الملك يوشيا سفر الملوك (2 - 23: 29) ، ومن مجدو في هذا السهل اشتق الاسم الرمزي لميدان الموقعة العظمى بين الأمم وهو "هرمجدّون / أرمجدو" (سفر الرؤيا 16: 14-14).[65]

[65] انظر قاموس الكتاب المقدس – بتصرف



مرج بن عامر / زرعين / يزراعيل / يزرعئيل وكلها أسماء السهل الخصب الواسع الذي يقع في شمال فلسطين وشهد كل المعارك التاريخية في فلسطين القديمة وهو ممر هام يربط الطرق القديمة ببعضها واشتهر بالبذور والغلال منذ العصور القديمة



صورة من وادي يزرعيل الخصيب بفلسطين والذي شهد معارك متعددة في كل عصور التاريخ

اما كلمة "فكت" (fk3) = فتعني يحطم أو يشرد وبعض الباحثين قال إن كلمة "فكت" المصرية تعادل "فتك" العربية أي أن مرنبتاح قد فتك بمنطقة "يزرعيل".

اما كلمة "برت" (prt) = فهي تعبر هنا عن البذرة الضرورية للانبات و يؤكد العلامة المصري د/ عبدالحميد زايد في كتابه مصر الخالدة ان كلمة برت هنا بمعني حبوب و لا تعني نسل لأن المخصص الذي كتبت به كلمة حبوب هو عبارة عن حَب من القمح ينتهي بثلاثة خطوط هي التي يكتب بها الجمع في اللغة المصرية القديمة ، و بذلك تكون ترجمة العبارة "وأرض وادي يزرعيل سحقت و لم يعد لها بذور حبوب" و ليست إسرائيل كما ادعى كل علماء الغرب ومن نحى نحوهم.

ومن هذه الترجمة الدقيقة للنص السابق يتبين لنا أن ما ورد في لوحة مرنبتاح والمسماة زورا بلوحة "إسرائيل" لم يأت بها ذكر لإسرائيل لا من قريب ولا من بعيد ، إنما تتحدث عن محطة من محطات الحملة التي خاضها مرنبتاح لقمع التمردات التي ثارت ضده في فلسطين وجاء ذكر "يزرعيل" على أنه محطة من محطات تلك الحملة وفقا لما هو وارد في النص.

إذن فاللوحة تؤرخ للمعركة التي خاضها مرنبتاح في فلسطين وضمنيا المعركة الفرعية التي خاضها في وادي "يزرعيل" الفلسطيني ضد سكانه ، والمواقع التي ذكرت في اللوحة تتحدث عن المسار المعتاد لملوك مصر في الدولة الحديثة المصرية بعد طرد الهكسوس وهو مسار طريق حورس الحربي والممتد من دلتا النيل ثم غزة ثم السهل الساحلي الفلسطيني ثم عسقلان ثم أسدود ثم يافا ثم مجدو ثم وصولا إلى سهل يزرعيل ثم عكا صعوداً إلى الشمال للطريق البحري.

ووفقا لهذا المسار فقد قام الملك بشق طريقه على الساحل المصرى حتى وصل إلى غزة أولا ، ثم عسقلان كما يذكر نص لوحته فأدب المتمردين هناك ثم سار بمحاذاة الشاطئ إلى الشمال ثم توجه بعدها إلى مدن الداخل ووادى يزرعيل / مرج بن عامر ووصف نتائج حملته على الوادي بأن تلك المنطقة "يزرعيل" والتي وردت في النص "يزرعير" قد خربت ولم يعد لها بذرة وهو أمر منطقي في سياق النص حين يصف منطقة خصبة وغزيرة البذور والغلال بأنها قد خربت وانقطعت بذرها ، ولا علاقة للجملة بأي حال ببني إسرائيل وبذرهم أو ذريتهم كما حاول التوراتيون بوصفها.

وكما أخبرنا النص أن جيش الملك بدأ بمعاقبة اهل كنعان و يقصد بها هنا مدينة غزة ثم عسقلون و هما تقعان علي الساحل الجنوبي لفلسطين ثم سار بمحاذاة الشاطيء إلى الشمال ثم توجه بعدها إلى مدن الداخل جازر و بنوعام (ينعم) ووصل إلى منطقة مرج بن عامر أي اجتاز فلسطين بأكملها و تقابل مع سكان سهل (يزريل / يزرعيل) أي المنطقة التي تفصل بين تلال الجليل في الشمال عن مرتفعات فلسطين في الجنوب ثم أخيرا أطراف وادي الأردن ويلاحظ أن كاتب النص قد اتبع الترتيب الجغرافي أي ذكر مدن جنوب الساحل ثم الموجودة في الداخل جهة الشمال الشرقي.

أضف إلى ذلك أن هناك نصا مؤرخا من العام الثامن من حكم رمسيس الثاني جاء فيه التعبير الجغرافي "يزري" الذي كان يطلق علي منطقة جنوب فينيقية (سوريا) و هذا التعبير قريب الصلة بكلمة "يزرير" علي لوحة مرنبتاح (يلاحظ وجود مخصص العصا المعقوفة و الجبل معا في نهاية الكلمة).

و علي ذلك فان كلمة يزرير / يزريل yezraeer /yezraeel وهي مرج بن عامر في شرق شمال جبال الكرمل يقصد بها سكان هذه المناطق و لا يقصد بها كما فهم أو فسره أغلب علماء الدراسات المصرية بكلمة أو اسم (إسرائيل) و مما يعزز هذا الرأي هو ما جاء في نهاية الفقرة (وخارو أصبحت أرملة لمصر) و كما نعلم أن كلمة خارو يقصد بها جنوب فينيقية وجزء من فلسطين فإن ذلك يؤكد أن المقصود هنا بكلمة "يزرير" هم قبائل سهل جزريل الذي أرادوا أن يحتكوا بجيوش الملك مرنبتاح فأنزل بهم أشد العقاب وإذا نظرنا إلى ترتيب ذكر مدن الساحل علي لوحة مرنبتاح نجده يذكر كنعان وعسقلون وجازر وينعم ويبدو أن جيوش الملك بعد أن أخضعت مدن الساحل اتجهت إلى الناحية الشرقية الشمالية من سهول فلسطين لإخضاع القبائل هناك الذين ربما تعرضوا لسبل التجارة المصرية والدليل علي ذلك أن نهاية النص تخبرنا (وبالنسبة لأي من أقوام الرحل الخارجين عن الطاعة فإنه سوف يقضى عليه بواسطة ملك مصر) وتختلف قبائل سهل يزرير/يزرعيل عن جماعات البدو المتعددة التي كانت تغطي جنوب فلسطين و تغير علي الحدود الشرقية لمصر مثل الشاسو و البديوشو و قد فرق الكاتب المصري في نصوص الدولة الحديثة بين هذه القبائل خارج حدود مصر الشرقية.

وكما ذكرنا من قبل أن هناك تعبير جغرافي "يزري" قريب الصلة من كلمة "يزرير" ظهر مرة واحدة في نص من عهد رمسيس الثاني وكان يطلق علي المنطقة جنوب فينيقية ثم ظهر التعبير الجغرافي "يزرير" مرة أخري في نص مرنبتاح للدلالة علي القبائل أو الاقوام التي تعيش في سهل يزرعيل في شرق شمال جبال الكرمل ولم يظهر أي من التعبيرين في المصادر التاريخية أو الاثرية المصرية من العصور اللاحقة مما يشير إلى ان هذا التعبير كان يطلق في هذه الفترة علي قبائل سهل يزرعيل الذين عاقبهم الملك ولم يعد للسهل بذرة أي إن الحديث هنا ينطبق علي سهل كانت به زراعة فخربت وانعدمت البذور التي كانت وفيرة وأن المنطقة أصابها عقابا شديدا علي الرغم من أن النص لم يذكر السبب الحقيقي وراء معاقبة هذه الجماعة أو السكان.

والواقع الذي تأكدنا منه الآن أن اسم إسرائيل لم يرد في الآثار إلا في مصادر التوراة في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حين ذُكر أن ميشع ملك مؤاب حارب مع إسرائيل.

والخلاصة أن نص لوحة انتصارات مرنبتاح وأمنحتب الثالث ليس له صلة على الإطلاق بأحداث الخروج و ذلك لأننا نعلم أن الظروف التي مهدت للخروج و أسبابه معروفة في آيات القران الكريم و كذلك المعجزة التي وقعت خلال الخروج فكلمة خروج أو خرج أو طرد لم ترد في نص اللوحة بالنسبة لقبائل سهل يزرعيل داخل فلسطين القديمة.

من هنا جاء التشكيك من كثير من علماء اللغة في كون الاسم المذكور على لوحة النصر لمرنبتاح يشير إلى إسرائيل - وقد تكرر مرتين باللوحة - ومن هنا أثبتنا أن الكلمة لا تمت إلى"إسرائيل" بأية صلة ، وإذا افترضنا أنها تشير إلى إسرائيل كقبيلة فإنه وحسب هذه النصوص لم تكن هذه القبيلة تقيم في داخل مصر بل خارج الحدود المصرية.[66]

[66] ملوك مصر القديمة – د.محمد راشد حماد – الناشر : دار الكتاب العربي



"يسرائر " أو "يزرير" أو "يزرعير " بالكتابة الهيروغليفية حيث كانت الكتابة المصرية القديمة تخلو من حرف



ترجمة حروف الكتابة الهيروغليفية للفظ الذي ادعى علماء المصريات التوراتيون أنه يمثل اسم "إسرائيل" وكما هو واضح فإن اللفظ حرفيا "يسيرعير / يزرير" وهو المسمى المصري لوادي "يزرعير / يزرعيل" الفلسطيني والمتمثل حاليا في مرج ابن عامر بشمال فلسطين

والنتيجة التي توصلنا إليها أن "يزرعيل" الواردة في نص اللوحة التي وصف فيها مرنبتاح انتصاراته في فلسطين وغيرها هو اسم وادٍ فلسطيني قد تم تصحيفه عمدا ليصبح إسرائيل وفقا لأهواء علماء المصريات التوراتيين !!!

*** دليل جديد من المعثور عليه في العصر الحالي يؤكد سيطرة ملوك مصر القديمة على وادي يزرعيل:**

أما الدليل الجديد الذي يعضد ما ذهبنا إليه في أن حملات ملوك قدماء المصريين إلى وادي يزرعيل كانت متتالية في عهودهم منذ تأسيس أجمس للإمبراطورية المصرية في آسيا وأفريقيا فهو إعلان إسرائيل عن اكتشاف تابوت مصري قديم ونادر عمره 3300 عام داخل مستوطنة في مرج بن عامر ، ويحتوي التابوت على كتابات تعود لعهد الملك المصري "سيتى الأول" والد "رمسيس الثانى" وتل أبيب تتحفظ على المومياء.

وقد ذكرت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية، فى تقرير لها أن سلطات الآثار فى إسرائيل أعلنت عن اكتشافها للتابوت الذي يحتوى على مومياء مصرية تعود لفترة العصر البرونزى المتأخر أى منذ حوالى 3300 عام تقريبا، وذلك خلال حفر خط غاز طبيعى في منطقة يزرعيل وهي مرج بن عامر الفلسطينية ، وتحديدا داخل مستوطنة "ساريد" الصهيونية بالضفة الغربية، وعثر بداخل التابوت على خاتم من الذهب مع اسم الملك المصرى سيتى الأول، والد الملك"رمسيس الثانى" الذى يزعم اليهود أنه فرعون الذي تحدى النبى "موسى" – عليه السلام – .

وقد عثر على التابوت مع عدد من الأوانى الفخارية بجانب المومياء كجزء من مراسم وطقوس الدفن، وأن هذه الطقوس كانت تتوقف على ممارسة طقوس الدفن المصرية القديمة، لتهدئة الآلهة وتوفير الغذاء فى الحياة الأخرى ، بالإضافة إلى قطع برونزية وخنجر ووعاء من البرونز وكل هذه الأدوات التى تم العثور عليها بجوار التابوت مصنوعة محليا في فلسطين القديمة ، ويفترض أن المومياء تعود لأحد الأثرياء الذى فضل أن يدفن وفقا لعادات المصريين القدماء.

وبالطبع فإن العثور على هذا التابوت في مرج بن عامر / وادي يزرعيل يدل على السيطرة المصرية فى وادى يزرعيل خلال العصر البرونزى المتأخر وتحديدا منذ عهد

أحمس الأول الذي طرد من تبقى من الهكسوس ، وأنه فى عهد المصريين القدماء أثرت الثقافة المصرية بشكل ملحوظ على النخبة الكنعانية التى كانت تعيش فى تلك المنطقة.

ويبدو أنه فى العام الأول من حكم سيتى الأول (1294 قبل الميلاد) اندلع تمرد ضده وتحديدا فى منطقة "بيت شان / بيسان" تم على إثره احتلال هذه الأراضى ونقل تبعيتها للملكة المصرية، وأن الكتابة التى وُجدت مع التابوت أكدت ذلك.

وقد تم نقل المومياء إلى سلطة الآثار الإسرائيلية فى القدس، للتحقق منها وأخذ عينة من الحمض النووى من القبر، لمعرفة ما إذا كان المتوفى كنعانى الأصل أو رجل مصرى عاش فى كنعان.

وما يعنينا في هذا الخبر أن نثبت بالدليل القاطع معرفة المصريين القدماء وسيطرتهم على إقليم يزرعيل الخصيب في فلسطين القديمة منذ عهود قديمة وتحديدا منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة التي أنشأها أحمس الأول ، واستمرت تلك السيطرة حتى عصور متأخرة من التاريخ المصري مرورا بعصر الأسرة التاسعة عشر المصرية وهي أسرة الرعامسة التي كان منها الملك سيتي الأول – والذي ينتمي هذا التابوت إلى عصره – ثم رمسيس الثاني الملك الشهير الذي يتمهمه اليهود بالفرعنة ، وابنه مرنبتاح أيضا صاحب اللوحة المشهورة التي نتحدث بصددها ويدّعي علماء المصريات التوراتيون أنها تذكر إسرائيل ، لكنا قد كشفنا الآن بكل وضوح أن الكلمة المقصودة هي "يزرعيل" أي مرج بن عامر في فلسطين وليس "إسرائيل" كما يدعون.

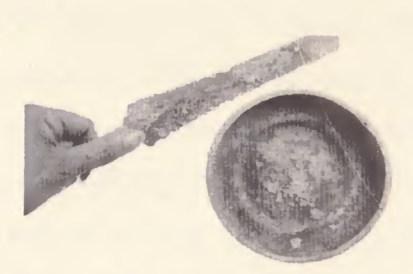


جعران يحمل اسم الملك سيتي الأول ثاني ملوك الرعامسة في الأسرة التاسعة عشر وعلى اليسار جزء من التابوت المكسور الذي تم العثور عليه في وادي يزرعيل بفلسطين



التابوت كما عثر عليه وبداخله المومياء وقد تم جمع القطع المكسورة بواسطة سلطة الآثار اليهودية والتحفظ على المومياء





جزء من التابوت المكسور والذي قد تم جمعه بغرض ترميمه وعلى اليسار الخنجر البرونزي والآنية التي عثر عليها بجوار التابوت

لوحة النصر تمثل دليلا على براءة رمسيس ومرنبتاح:

والجدير بالذكر أن هذه اللوحة التي اعتبرها العلماء التوراتيون دليلا على أن "فرعون" هو أحد الملكين المصريين مرنبتاح أو رمسيس الثاني هي نفسها الدليل الأكبر على أن مرنبتاح ووالده رمسيس الثاني بريئان من هذه التهمة لأن اللوحة لا تحتوي على اسم إسرائيل كما برهنا على ذلك ، حيث أننا أمام افتراضين اثنين لا ثالث لهما أولهما :

- دعنا نفترض جدلا أن الكلمة الواردة في اللوحة تدل فعلا على"إسرائيل" كشعب أو قبيلة وفي هذه الحالة يكون مرنبتاح ليس هو فرعون بكل تأكيد لأن انتصاراته الموصوفة في اللوحة قد وقعت في العام الخامس من حكمه الذي امتد لعشر سنوات منذ بداية حكمه وحتى وفاته ، وبالتالي فإنه عاش لمدة خمس سنوات أخرى بعد تسجيل تلك الانتصارات أي أن صدامه المفترض مع قبائل بني إسرائيل — هذا إن صحت العبارة — لم ينته بغرقه مثلما حدث مع فرعون ، فضلا عن أن هذه القبائل التي يتحدث عنها النص كانت في فلسطين وليس في مصر كما هو واضح من الترجمة ، وبالتالي إذا أكملنا هذا الافتراض يكون الخروج قد تم من مصر إلى فلسطين في وقت سابق لعهد الملك مرنبتاح صاحب اللوحة ، يقول الأثري سليم حسن:. "ولا جدال في أن هذا برهان على أنهم استوطنوا بلاد فلسطين قبل عهد مرنبتاح بزمن بعيد"[67] ، لكنه أيضا يدل على أن رمسيس الثاني الذي سبق ابنه مرنبتاح على العرش ليس هو فرعون بكل تأكيد لأن بني إسرائيل قد قضوا في صحراء التيه بسيناء أربعين سنة قبل أن يتواجدوا في فلسطين وبالتالي فإن الخروج يكون قد سبق حملة مرنبتاح بأكثر من أربعين سنة على أقل تقدير ، أي أنه يعود بالزمن بنا إلى منتصف عهد رمسيس الثاني وهو أيضا ما يبرئ رمسيس الثاني لأن رمسيس الثاني مات ميتة عادية لا دخل للغرق بها وفي عمر يزيد عن التسعين عاما ، وقد أوردنا في هذا الفصل تحت عنوان "براءة رمسيس" ما يبرهن على أنه قد توفي وفاة عادية على فراشه في أرذل العمر حيث كان يعيش شيخوخة متأخرة لا تؤهله لمطاردة بني إسرائيل على عجلة حربية كما زعم

[67] موسوعة مصر القديمة — الجزء الخامس — د. سليم حسن

التوراتيون ، وبالتالي يسقط هذا الافتراض في حال ثبوته ونفيه فكل القرائن تنفي أن يكون أحد هذين الملكين هو "فرعون ذي الأوتاد" المذكور في القرآن.

إن معنى سياق اللوحة على أقصى تقدير (وذلك في حالة إذا ما ثبت أن الكلمة فعلا يقصد بها إسرائيل) يشير إلى أن "إسرائيل" التى تم تأديبها خرجت من مصر قبل ذلك الوقت بكثير وكانت ضمن شعوب فلسطين والقبائل الساكنة هناك، وهو الأمر الذي يرجحه د. عبدالحليم نور الدين فى كتابه «تاريخ وحضارة مصر القديمة، حيث يؤكد طبقاً لنص اللوحة أن إسرائيل التى ورد ذكرها على اللوحة — لو ثبت اللفظ بالطبع — فهى لا تمثل إلا قبيلة كغيرها من القبائل التى استقرت فى فلسطين منذ بضعة قرون قبل ظهور الملك مرنبتاح وكانت خاضعة للحكم المصرى ، وعندما ثارت كغيرها من القبائل قام مرنبتاح / منفتاح بتأديبها معهم. وهذا هو الرأي المرجح في حالة ثبوت الإسم حيث أن المصادر العبرية فى العهد القديم تشير إلى أن بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر ودخولهم إلى فلسطين لم يكونوا دولة أو مملكة إلا بعد عصر القضاة وهو ما يعنى أن تمردهم فى عهد مرنبتاح كان تمرداً فى شكل قبيلة وليس فى شكل دولة.

ولو أننا افترضنا أن موسى عليه السلام عاش مع قومه أربعين سنة في التيه وعاش أربعين سنة أخرى بعد سنوات التيه وأن موسى بُعِثَ وهو في سن الأربعين، فيكون مجموع عمره مئة وعشرين عاماً مات بعدها وهو في أرض موآب كما تقول التوراة: (فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب...وكان موسى ابن مئة وعشرون سنة حين مات و لم تكل عينه ولا ذهبت نضارته) ، إذن فثمانين سنة من عمر موسى بعد أن خرج بقومه من مصر بعد مطاردة فرعون لهم وغرقه وبغض النظر عن السنين التي مضت من عمر النبي يوشع بعد أن تولى أمر النبوة بعد موسى، حتى تمكن من أن يدخل فلسطين ويكَوِّن نظاماً ما، يحتوي الإسرائيليين ثمانون سنة من عمر موسى، كيف يمكننا أن نحسبها؟

يقول الدكتور رشدي البدراوي:

"وهنا تبرز مشكلة سنوات التيه إذ الثابت دينياً أن بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، لم يتوجهوا إلى أرض فلسطين فإذا افترضنا سنة قبل التيه، وسنة بعد التيه

للإعداد لدخول الأرض، لكان المجموع 42 سنة، وفي أثنائها كان قد توفى ستة من الملوك: "مرنبتاح حكم 10 سنوات - سيتي الثاني حكم 6 سنوات - أمنوس حكم سنة واحدة - سابتاح مرنبتاح حكم 6 سنوات - الملكة تاوسرت حكمت 8 سنوات - ست نخت حكم سنة واحدة = 42 سنة .أي إن بني إسرائيل لما بدءوا دخول أرض فلسطين، كان رعمسيس الثالث هو ملك مصر (افتراضا على تلك النظرية فقط) ، أما قبل ذلك فلم يكن لهم وجود في فلسطين فكيف يحق لمرنبتاح أن يذكر في أنشودة النصر "وإسرائيل خربت وليس لها بذر" أو كما ترجمت: "وقد أبدت بذرة إسرائيل".

ولو أننا أضفنا عدد الثمانين سنة التي عاشها موسى بعد الخروج من مصر إلى العام الذي تولى فيه مرنبتاح عرش مصر لكان الجمع يسفر عن: 1224 ق م + 80=1304 ق م وهذا العام يقع في عهد سيتي الأول والد رمسيس الثاني 1306-1290 ق م.

وهذا يعني أن رمسيس الثاني ليس هو فرعون أما التبريرات التي وضعها الدكتور البدراوي فهي افتراضات خيالية محضة محاولاً من خلالها تطويعها لخدمة نظريته التي يقتنع هو بها في أن رمسيس الثاني هو "فرعون"، فيحاول من خلال نظريتهَ استخدام لوح إسرائيل كدليل عليها، وما درى أن لوح إسرائيل ينفي أن يكون أياً من مرنبتاح أو أبيه رمسيس الثاني هو فرعون.

- الافتراض الثاني أن اللفظة هي كما ترجمناها وأوردنا سابقا لا تدل على "إسرائيل" كما ادعى علماء الآثار التوراتيون وإنما تدل على وادي وسهل "يزرعيل" الخصيب الذي يدعي مرنبتاح في لوحة انتصاره أنه قضى على محاصيله وأدب سكانه ، وبالتالي فلا علاقة لها بموضوع خروج بني إسرائيل من قريب أو من بعيد وهو الراجح والأكيد.

إذن اللوح كتب في السنة الخامسة من حكم مرنبتاح والحملة قام بها في السنة الثالثة لحكمه. وما بين تولى مرنبتاح العرش وقيامه بالحملة على فلسطين كان الإسرائيليون — لو فرضنا صحة تلك النظرية - في سيناء يعانون بداية سنوات التيه، فكيف أباد مرنبتاح بذرهم في فلسطين وهم لم يدخلوها بعد على حد زعم تلك النظرية؟؟

هل قام بحملة تفتيش في كل ربوع سيناء شبراً شبراً وأخرج كل من هو إسرائيلي، ثم قام بقتله، وبذلك اطمأن على أنه قضى تماماً على بذرة إسرائيل؟! أم ماذا حدث؟! وما هي حقيقة الأمر؟

مما سبق نرى أن لوح إسرائيل أو لوحة مرنبتاح وهو السند الأكبر لنظرية أن مرنبتاح هو فرعون كما يدعي اليهود وكما يدعي الطبيب الفرنسي موريس بوكاي ، قد تأكد عدم صدق الفقرة الواردة به والمتعلقة بإسرائيل حيث اتضح أنها وادي "يزرعيل" الفلسطيني والقبائل التي عاشت فيه، أما في حالة الاحتمال الأضعف بثبوت اسم إسرائيل – والذي قد أثبتنا عدم ثبوته أصلا – في حقيقته دليلاً على أن الخروج تَمَّ قبل عصر مرنبتاح بزمن طويل لا يقل عن عدة قرون !!.

من رواد التزوير في التاريخ:

• عزرا / عزير صاحب التوراة السبعينية:

قام عزرا بدور البطولة الكبرى على مر تاريخ بني إسرائيل كله ، وقاد عملية التزوير والتحريف منذ عهد مبكر جدا – وهو عهد السبي البابلي – وهو العصر الذي تم أسر بني إسرائيل وقتلهم بأعدادٍ كبيرة من بيت المقدس وترحيلهم أسرى إلى بابل في عهد نبوخذنصر الملك البابلي المشهور.

وقد قاد عزرا عملية التزوير والتحريف الممنهجة التي ضمت سبعين حاخام من حاخامات اليهود وقام بتوزيع الأدوار عليهم لكتابة الأسفار التوراتية والتي كان أغلبها مفقودا أو ناقصا نتيجة الحملة الطاحنة التي قادها نبوخذ نصر على بني إسرائيل في بيت المقدس وتدمير مقدساتهم وكتبهم المقدسة.

وكان فقدان التوراة الحقيقية في تلك الأحداث فرصة حقيقة لعزرا وأعوانه من الحاخامات في إعادة كتابة التوراة ومنهجتها على المنهجية التي يريدون أن تسير الأحداث وفقا لها في المستقبل ، فقد بذروا بذور التهويد في الكتاب الذي هو مقدس في عيون كل المؤمنين به وبالتالي كان لا بد لهم من وجهة نظرهم أن يتم تهويد تلك الأرض التي أخرجوا منها ، وتهويد كل التاريخ الذي عاصره أسلافهم بحيث يكون لهم

الحق في دولة كبرى من النيل للفرات وفقا لأهدافهم التي طمحوا إليها منذ ذلك العصر المبكر.

إن قول إرميا – الذي شهد كتابة عزرا للتوراة – بأنه " قد سمعت ما قالته الأنبياء الذين تنبؤوا باسمي بالكذب قائلين : حلُمتُ ، حلُمتُ " (إرميا 25/23).

ويقول إرميا أيضا : " كيف تقولون : نحن حكماء ، شريعة الرب معنا حقّا ، إنه إلى الكذب ، حوّلها قلم الكتبة الكاذب "(إرميا 8/8). ويؤكد وقوع التحريف، فيقول: "أما وحي الرب فلا تذكروه بعد. إذ قد حرفتم كلام الله الحي"(إرميا 36/23)

ومثله وقع التحريف في سفره: " فأخذ إرمياء درجاً آخر ، ودفعه لباروخ بن نيريا الكاتب ، فكتب فيه عن فم إرميا كل كلام السفر الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهوذا بالنار ، وزيد عليه أيضاً كلام كثير مثله " (إرميا 32/36)

و لم يذكر السفر من الذي زاد على قول إرميا النبي ، كما تحدث إرميا عن أولئك الذين يدعون النبوة ويسطرون نبوءاتهم ومناماتهم في الكتاب قائلا:

"قال رب الجنود إله إسرائيل : لا تغشكم أنبياؤكم الذين في وسطكم وعرافوكم ، ولا تسمعوا لأحلامهم التي يتحلمونها، لأنهم يتنبؤون لكم باسمي الكذب، أنا لم أرسلهم يقول الرب " (إرميا 8/29 – 9).

ويواصل إرميا الحديث عن أولئك الذين رآهم يكتبون الكتب وينسبونها لله، فيقول: " وصار في الأرض دهش وقشعريرة .الأنبياء يتنبئون بالكذب ، والكهنة تحكم على أيديهم ، وشعبي هكذا أحب " (إرميا 30/5 – 31)

لقد تمالأ الجميع على هذا التحريف، الأنبياء الكذبة والكهنة والشعب اليهودي. وجاء في المزامير شهادة أخرى تتحدث عن تحريف بني إسرائيل للكتب " ماذا يصنع بي البشر، اليوم كله يحرفون كلامي " (مزمور 4/56 – 5) .

ويقول النبي إشعياء: "ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب، فتصير أعمالهم في الظلمة، ويقولون : من يبصرنا، ومن يعرفنا؟: يالتحريفكم" (إشعيا 15/29 – 16).

وفي حزقيال " القائلون : وحي الرب. والرب لم يرسلهم .. وتكلمتم بعرافة كاذبة قائلين: وحي الرب . وأنا لم أتكلم " (حزقيال 6/13 –7).

وهكذا تعرض التوراة نوعين من التحريف : تحريف الكتبة الذين يدعون الوحي ، وتحريف بني إسرائيل وهم يحرفون كلام الله الذي جاء على لسان أنبيائه .

لقد وقع ما توقعه موسى عليه السلام حين قال : " خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ..لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق " (التثنية 24/31 - 29) .

وهذا كله يمثل مصداقا لكلام الله عز وجل حين قال :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ سورة البقرة

إذن فقد أشار القرآن الكريم لهؤلاء إشارة واضحة وقال إنهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا أنه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا والثمن القليل الذي اشتراه عزرا ورفاقه هو تهويد أرض فلسطين وتزوير أحقيتها منذ ذلك الوقت المبكر ، وهو ثمن قليل فعلا حتى لو كان معادلا لأرض في قيمة فلسطين وبيت المقدس لأن المقابل هو تلفيق كلام ونسبته إلى الله عز وجل وهي جريمة لا يعادلها أية جريمة أخرى عبر تاريخ البشرية جمعاء ، ولا يجرؤ عليها إلا سفلة اليهود المرتدين الذين تجرأوا كل تلك الجرأة على الذات الإلهية والوحي الرباني.

* جريمة يوسفوس:

– إدعاء يوسيفوس أن الهكسوس هم بنو إسرائيل:

ادعى المؤرخ اليهودي يوسفوس أن طرد حكام مصر مجموعة من قبائل البدو إلى بلاد الشام اعتبرهم يوسفوس في زمنه مؤسسوا أورشليم وادعى استمرار بقية قبائل بني اسرائيل في مصر إما بسبب الأسر أو الرغبة في الإقامة في مصر ، حتى عهد ملك يدعى أمنحوتب عاملهم بوحشية ، مما جعلهم يستعينون بإخوانهم في أورشليم الذين أعادوا الاستيلاء على مصر وحكموا أهلها لمدة ثلاثة عشر عاما أخرى ثم طردوا من مصر مرة

أخرى على يد هذا الحاكم وهذا كله من نسج خيال يوسفوس ولا يمت للحقيقة في شيء رغبة منه في الإعلاء من شأن اليهود وجعلهم ملوكا على مصر [68]

وقد ثبت بالدليل القاطع كذب هذا المؤرخ اليهودي وافتراؤه على تاريخ مصر وسرقته لتاريخ مانيتون حيث نسب إلى مانيتون مالم يذكره هذا الأخير. [69]

كان اليهود هم الهكسوس حسب زعم يوسفوس المؤرخ اليهودي الذي يدعي أنه ينقل كلام مانيتون المؤرخ المصري الذي عاش خلال نهاية القرن الثالث قبل الميلاد وهو كذب محض وافتراء يهدف من وراءه لأهداف خبيثة منها إعلاء قدر قومه والادعاء بأن بني إسرائيل قد حكموا مصر وأن قومه كانوا ملوكا ولإخفاء حقيقة الهكسوس الذين كانوا من العماليق الكنعانيين وغيرهم وإخفاء حقيقة أن الكنعانيين

---

[68] نور الدين عبد الصمد – العبرانيون وبنو إسرائيل واليهود في مصر –الأصول التاريخية والدينية والسياسية لقضية الشرق الأوسط

[69] مانيتون مؤرخ مصري من مدينة سمنود، محافظة الغربية؛ كان كاهناً في عهد الملك بطليموس الثاني "حوالي 275 – 280 .ق.م" الذي كلفه بكتابة تاريخ مصر القديمة. أخذ مانيتون هذه المهمة على عاتقه واعتمد في كتاباته على الوثائق التي خلفتها الحضارة المصرية والتي كانت تضمها دور حفظ الوثائق بالمعابد بالإضافة إلى كل ما وجده في متناول يديه من وثائق الإدارات الحكومية وغيرها. فقدت النسخة الأصلية من تاريخ مانيتون أثناء حريق مكتبة الإسكندرية، ولم يصل من هذا التاريخ إلا مقتطفات نقلها بعض المؤرخين ، وعرف مؤلفه الأشهر بعنوان «جبتانا / إيجبتاكا» ، وقد كان مانيتون عارفا باللغة المصرية القديمة والكاهن الأكبر في معبد مدينة «ثب نثر» أو «سبينيتوس» أو «سبنيتس» التي هي مدينة «سمنود» الحالية. وقد عاش في الفترة من سنة 323 إلى سنة 245 قبل الميلاد، أثناء ولاية (بطليموس الثاني) في حكْم مصر. وتذكر بعضُ المراجع أنه كتبَ ثمانية مؤلفات أشهرها هو «تاريخ مصر» أو «إيجبتياكا»، إلا أن مؤلفاته قد ضاعت جميعًا ما عدا أجزاء من كتابه الشهير هذا، وقد وُجدت منقولة منه إلى مؤلفات مؤرخين آخرين مثل (يوسيفوس) و (أفريكانوس) و (يوسيبيوس) و (سينكلوس)، أما أبرز الذين نقلوا عنه هو المؤرخ اليهودي يوسيفوس في كتابه "الرد على أبيون" الذي حاول أن يدافع فيه عن اليهود ذاكراً أنهم هم الهكسوس الذين غزوا مصر بعد انهيار الدولة الوسطى. ومن المؤرخين كذلك المؤرخ الإفريقي جوليوس الذي نقل في مؤلفه بعض أسماء الملوك التي كانت مدونة في تاريخ مانيتون الأصلي ، وكان مانيتون أول من يكتب التاريخ المصرى القديم كله، وقد ذكر فى تاريخه بالنص ما يلى (ابن الماء قصة حقيقية من قصص الادب المصرى فى عهد الدولة الوسطى بل من روائع الادب المصرى و لم تكن شخصية اسطورية بل مصرية حقيقية).

حكموا مصر وفلسطين والشام منذ أقدم العصور وأن أرض فلسطين هي أرض عّربية كنعانية يحكمها أهلها منذ قديم الزمان قبل أن يوجد بني إسرائيل في الأرض بآلاف السنين.

كان يوسفوس مؤرخا يهوديا كاذبا مثل أقرانه من كتبة التوراة حيث إنه تعمد تشويه الحقائق حينما قام بالاقتباس مما كتبه المؤرخ المصري القديم مانيتون كما أنه لم يعر ما حرره كتاب التوراة عن خروج بني إسرائيل من مصر أي اهتمام يذكر ومنها ما نصه:

"فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت مع غنم وبقر ومواش وافرة جدا" الخروج 12 – 37:38

ولكن يوسفوس أكد على عكس ذلك أن الملك المصري الذي أطلق عليه اسم أمنحوتب قد قام بإعادة تسكين من تخلفوا عن الخروج من مصر مع اليهود من بني إسرائيل في مدينة أواريس التي قاموا بتشييدها أثناء فترة إحتلالهم الأول لمصر ، كما أسكن معهم على حد زعم يوسفوس بعض المصريين الذين أعلنوا التمرد والعصيان على حكمه بقيادة أحد كبار الكهنة المدعو أوزيرسيف الذي تزعم في نفس الوقت بني إسرائيل وقام باستدعاء الجيش اليهودي من أورشليم وسهل دخوله واحتلاله لمصر مرة ثانية لمدة ثلاثة عشر عاما ثم ما لبث الملك أمنحوتب أن قام بطردهم جميعا من بلاده.

وهذا الاحتلال الثاني لمصر قد أنكره أغلب الباحثين و لم يعترفوا به إذ لم يعثر على أية نصوص قديمة تثبت ذلك.

ومن الملفت للنظر أن المؤرخ اليهودي يوسفوس لم يشر إلى مدينة رعمسيس كما ذكرت التوراة لكنه أشار إلى أواريس المدينة التي أسسها الهكسوس – أو حسب زعمه اليهود – وأن الملك أمنحوتب قد نفى بني إسرائيل وبعض المصريين بها حيث اتصلوا باليهود في أورشليم وسهلوا دخولهم مصر وسيطرتهم عليها واتخذوا أواريس عاصمة لهم مرة ثانية [70] وحكموا مصر لمدة ثلاثة عشر عاما. [71]

---

[70] محمد راشد حماد – النص السابق من كتاب ملوك مصر القديمة

[71] سيد القمني – النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة –الجزء الأول





بالأسفل رسم تصويري ليوسفوس فلافيوس في سن متأخرة نسبيا وبالأعلى تمثال على الطراز الروماني يقال إنه ليوسفوس المؤرخ اليهودي

ويوسفوس هو مؤرخ يهودى مصرى من مدينة الإسكندرية ويعتبر الأب الثانى للتاريخ المصرى القديم — كما يريده اليهود بالطبع - وثانى شخصية فى التاريخ يكتب عن التاريخ المصرى وكان ذلك فى عام 70 م وهو عام تدمير بيت المقدس على يد الرومان وقبض عليه وسحب مسجونا كيهودى الى روما.

وفى سجنه كتب التاريخ المصرى وكان يحاول الظهور في مظهر أنه شديد الدقة فى موضوع اليهود وظهر كتابه الشهير باسم (الرد على أبيون) المؤرخ المصرى الذى كان يحقر من اليهود انذاك ومما قاله فى هذا الموضوع (إن اليهود كانوا عبيدا فى مصر بالرغم من أنهم لم يسيؤوا إلى مصر المعتزين بها ومن قبل كان أوزرسيف معلم الزراعة الأول للمصريين وكان وزيرا فى مصر. وأن اليهود ليسوا قوم نجس كما يدعى أيبون وأن قصة موسى أو ابن الماء لم تكن قصة أدبية بل حقيقة تاريخية وكان نبيا لبنى اسرائيل والذى على يديه تم هلاك مصر وكما جاء من قبل فى نبوات الكنعانيين).

وقد ظهر "يوسيفوس" ووضع كتبه في القرن الأول المـــــيلادي وعلى رأسها كتابه " الرد على ابيون " وكان ذلك ردًّا على المؤرخ المصري الإغريقيٍ أبيون الذي سب اليهود ونسب إليهم كل عيب ونقيصة ، ولم يجد يوسيفوس مرجعاً ينتسب إليه ويزعم أنه قد نقل منه خيراً من كتاب للمؤرخ المصري" مانيتون" عن الهكسوس كتبه حوالي عام 280 ق.م ، وقد حاول فيه الدفاع عن قومه وعشـــيرته من اليهود واثبات أن لهم أصل وتاريخ وقد كتب يوسيفوس عن الهكسوس في كتابه "الرد على أبيون" مجادلاً مانيتون فى نسب هذه السلالة وأنهم من نفس بنى جنسه وهم بنى إسرائيل.

يقول يوسفوس فيما زعم نقله عن مانيتون: " فى عهد توتيمايوس (ددومس) أصابنا، ولست أدرى لماذا؟ نقمة من الإله ، فاندفع نحونا أقوام آسيويون من أصل وضيع جاءوا من المناطق الشرقية ، هذة الأقوام كلها كانت تدعى هكسوس ومعناها الملوك الرعاة، والبعض يقول أن هؤلاء الناس كانوا عرباَ".

بيد أن يوسيفوس اليهودي استشهد بكتاب مانيتون ليؤكد أن بنى إسرائيل كانوا هم أنفسهم الهكسوس ، ليتباهى باحتلالهم لمصر ، ويقول عالم الآثار مارييت :إن قبائل

الهكسوس كانوا خليطاً من العرب وأهل الشام وأكثرهم من الكنعانيين وفى التواريخ العربية العمالقة .[72]

ويرى بريستد أن أبناء يعقوب (إسرائيل) كانوا على أصح الاحتمالات عرباً تابعين لإمبراطورية الهكسوس مؤيداً بذلك نظرية يوسفوس القائلة بأن بنى إسرائيل قوم من الهكسوس ولا يبعد عن أن يكون وجود هؤلاء الأعراب بمصر سبباً فى تلقيب تلك الإمبراطورية بدولة الرعاة.

ويؤكد د.أحمد شلبى فى كتابه مقارنة الأديان: الهكسوس هم قوم من الأعراب الذين ذكرهم القرآن الكريم بقوله :"الأعراب أشد كفراً ونفاقاً" 97 التوبة

ويؤكد ذات المعنى (زينون كاسيدوفسكى) فى قوله:

"ويتوقع أن تكون عشيرة يعقوب قد جاءت مصر مع زحف الهكسوس أو بعد أن أقاموا سيطرتهم فيها وقد أستُقبل يعقوب ومن معه استقبالاً طيباً فى مصر لأنهم كانوا أقرباء المحتلين ،ومن جهة أخرى ليس من الصعب أن نتوقع أن الفراعنة الهكسوس لم يثقوا بالمصريين ، وكانوا يثقون بأنسبائهم الآسيويين الذين يجمعهم معاً المنشأ واللغة "

إذا وكما أثبتنا فالهكسوس العماليق لم يكونوا شعباً واحداً بل أحلاف من شعوب وجماعات متنوعة كانوا قبائل شتى من العماليق والأعراب والعبرانيين من بني إسرائيل وكل ما فعله يوسفوس هو أنه بدلا من أن يجعل بني إسرائيل فرعا من فروع الهكسوس أو جزء من الشعوب التي زحفت إلى مصر في زمنهم جعل من بني إسرائيل الشعب العريض المسمى بالهكسوس عند الإغريق أو العماليق عند العرب وهي معلومة يكمن خلفها هدف خبيث كما هو واضح.

- **تضخيم يوسفوس لأعداد بني إسرائيل أثناء إقامتهم في مصر وعند الخروج منها:**

ويذكر اليهود في كتابهم أن عدد الرجال عند الخروج دون النساء والأطفال نحو ستمائة ألف رجلٍ، وهذا عدا بني لاوي أيضاً الذين لم يحسبوهم، وهو عدد مبالغ فيه

---

[72] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

جدًّا؛ إذ معنى ذلك أن عددهم كان وقت خروجهم بنسائهم وأطفالهم قرابة مليوني نسمة، وهي دعوى مبالغ فيها جدًّا ولا يمكن تصديقها؛ إذ أن ذلك يعني أنهم تضاعفوا خلال فترة بقائهم في مصر قرابة ثلاثين ألف ضعف؛ إذ كان عددهم وقت الدخول سبعين نفساً، والله عز وجل قد ذكر قول فرعون: "إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ".الشعراء: 54، ومليونا شخص لا يمكن أن يعبَّر عنهم بهذا، كما أن تحرك مليوني شخص في ليلة واحدة مستحيل، إذا علمنا أن في هذا العدد أطفالاً ونساءً وشيوخاً.

كما يقول يوسيفوس عن ما اقتبسه من مانيتون :

"وبعد ذلك قام ملوك طيبة ثم سائر البلاد المصرية بثورة على الرعاة وشبت حروب عظيمة طالت مدتها. وفى عهد ملك يدعى مسفراجموثيس هُزم الرعاة وطردوا من مصر كلها وحوصروا فى مكان يدعى أواريس ومساحته عشرة آلاف أرورا. وكان الرعاة أحاطوا كل هذه المساحة بجدران عظيمة مبنية حماية لكل متاعهم وغنمهم. ثم جاء توموس ابن مسفراجموثيس وحاصر الجدران بجيش تعداده 480 الف رجل وحاول ان يجعلهم يستسلمون بالحصار. ولكنه يئس من بلوغ غرضه فعقد معهم معاهدة تقضى بأن يخلوا كل ارض مصر. وان يذهبوا حيث شاءوا دون ان يضيق عليهم. وبمقتضى هذه الشروط غادر مصر مالايقل عن 240 الف من الأسرى جميعاً يحملون متاعهم ومخترقين الصحراء إلى سوريا. ولما كان الرعب قد أخذ منهم كل مأخذ خوفا من بطش الآشوريين الذين كانوا فى هذه الفترة أصحاب السيادة فى آسيا، فانهم قد أقاموا مدينة فى الإقليم الذى يدعى يودا صالحة لإيواء جميعهم وقد أطلقوا عليها أورشليم"

وقد سبق لنا التعرض لكلام يوسفوس وقمنا بنقده نقدا موضوعيا وتاريخيا ، بأنه لايمكن بأى حال من الأحوال فى هذا التاريخ أن يكون الآشوريين بهذه القوة التى وصفها مانيتون كأسياد لآسيا ، ومساحة مدينة أواريس لم تكن كبيرة بهذا الحجم الضخم كما وصفها يوسفوس ، وكذلك العدد الهائل من المسلحين أو المدنيين الذين لا يستطيعون تحطيم أواريس وخاصة أن الهكسوس كانوا فى أضعف حالاتهم من الناحية الحربية ، لكن ما نريد الاستدلال به هنا هو تضخيم يوسفوس لأعداد قومه حين حاول الخلط بينهم وبين الهكسوس الذين تم حصارهم في أورايس ، وقد أطلق عليهم لفظ الأسرى ليوحي بأنهم بنو إسرائيل الذي كانوا أسرى بالفعل عند فرعون

حين استعبدهم ، كما أنه ضخم العدد حين وصفهم بأهم قد بلغوا ما لا يقل عن 240 ألف ، وهو بالطبع رقم يقل عن التعداد التوراتي الذي ادعى بأن عدد الجنود فيهم بخلاف النساء والأطفال قد وصل إلى 600 ألف رجل ، لكن تبقى المبالغة ومحاولة التهويل كما هي والتي تحمل الإيهام بضخامة العدد فضلا عن ادعاؤه المذكور بأن بني إسرائيل هم الهكسوس.

- حريق مكتبة الإسكندرية وتزوير يوسيفوس للتاريخ المصرى لمانيتون:

والأغرب أن المؤرخ اليهودى (يوسفوس) ادعى أنه ينقل عن المؤرخ المصرى (مانيتون) علماً بأن كتابات (مانيتون) قد احترقت فى حريق مكتبة الإسكندرية!!

حيث يقول يوسيفوس بأنه أخذ ماكتبه من المعلومات التاريخة مما كتبه المؤرخ المصرى مانيتون والذى فقدت مؤلفاته التاريخية فى حادثة حريق مكتبة الإسكندرية ، فأين الدليل على صحة ما نقله (يوسفوس) اليهودى عن (مانيتون) ؟[73]!

ومن هنا يأتى التساؤل، من أين حصل يوسيفوس على ما كتبه مانيتون وخاصة أن الحقبة الزمنية بينهما تقدر بحوالى قرنين من الزمان بينه وبين زمان مانيتون ، بجانب أن ما كتبه مانيتون قد أُحرق فى حريق مكتبة الإسكندرية فى عهد الملكة كليوباترا.

ومن الغريب أيضاً أن يوسيفوس لم يعرض الكتابات الأصلية لمانيتون التى تتحدث عن أنبياء بنى إسرائيل "يعقوب ويوسف وموسى" وبالرغم مع أنها معروفة فى التوراة، وكتب التاريخ العربية مثل "تاريخ الطبرى" وغيرهم لا يذكرون شيئاً مما ذكره مانيتون.

وقد ادعى يوسيفوس ما وصفه مانيتون في كتابه عن تاريخ مصر غزواً خارجياً للبلاد من الجهة الشرقية قامت به مجموعات يدعوها باسم الهكسوس، وهي كلمة يونانية كما ذكرنا سابقاً.

ويصف يوسيفوس أيضاً بإستفاضة تفاصيل حادث الحريق وماقاله الناس بالتوارث عن هذا الحريق حتى سمعه يوسيفوس بالرغم من أن هذا الحادث كان قبل مولد يوسيفوس بحوالى 200 عام وهو مالايمكن تواتره بشكل سليم خلال 200 عام ،

---

[73] مقال بعنوان : الهكسوس ... مصريون رغم أنف يوسفوس اليهودى! - للباحث خالد نبهان

وبالتالي فإن نسخة كتاب تاريخ مصر القديمة الذي كتبه مانيتون وكان من ضمن مقتنيات مكتبة الإسكندرية قد فُقد قبل مولد يوسفوس بقرنين من الزمان مما يستحيل معه اطلاع يوسفوس على هذا الكتاب.

أما النسخة الأخرى التي كان يقال أنها كانت محفوظة في بلاد اليونان من تاريخ مانيتون فقد اختفت عن الوجود ولم يعد لها أثر ولا يعلم أحد من الناس مكانها حتى يومنا هذا ، فمن أين إذن حصل يوسفوس على كتاب تاريخ مانيتون المندثر ؟

لقد ارتكب يوسفوس جرائم متعددة حين ادعى نقله عن مانيتون رغم أنه أغلب الظن لم يطلع على كتابه لا في مصر ولا في اليونان ، ومرة أخرى حين ادعى نقله لتاريخ الهكسوس الذين قال عنهم انهم هم بعينهم بني إسرائيل وأنهم اليهود من بني قومه ، ومرة أخرى ليلعب على وتر أنهم حكموا مصر فترة ليست بالقصيرة من الزمان وأنهم كانوا يمثلون جزءا كبيرا من التركيبة السكانية لشعب مصر وأن عددهم كان يقدر بمئات الآلاف من البشر وغيرها من المبالغات والتهويلات الكبيرة التي تعمد يوسفوس كغيره من اليهود تعميمها في كل مصادر التاريخ القديم كخطوة استباقية للتهويد المبكر ولادعاء دولتهم المزعومة فيما بعد من النيل للفرات!.

* أباطيل موريس بوكاي! ... وإشاعة إسلامه الكاذبة

انتشرت أكاذيب موريس بوكاي[74] في كل مكان سواء في المنتديات أو في مواقع التواصل الاجتماعي وفي الكتب المطبوعة التي تنقل دون تحقيق وطارت أخباره في كل

[74] موريس بوكاي : بالفرنسية Maurice Bucaille يوليو 1920 – 17 فبراير 1998 طبيب فرنسي نشأ مسيحيا كاثوليكيا، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود ومع عمله في المملكة العربية السعودية وبعد دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أشاع كذبا أنه أسلم وقام بتأليف كتاب "التوراة والانجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث" الذي ترجم لسبع عشرة لغة تقريبا منها اللغة العربية ، وحقق الكتاب نسبة مبيعات كبيرة ومعدلات انتشار واسعة وانتشرت نظريته انتشار النار في الهشيم للدرجة التي أصبح المصريون والعرب يرددون ما قاله بوكاي في كتابه دون علم الكثير منهم أنها منقولة منه بسبب انتشار مقاطع من كتابه على المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت.

مكان تقريبا حتى صارت على ألسنة عامة الناس خاصة المصريين عن نظريته العبقرية وعقله الراجح وإيمانه بالكتب السماوية وغيرها من العبارات المكررة التي يرددها الناس بلا تحقيق أو وعي.

وحتى أولئك الذين لا يعرفون موريس بوكاي ولم يقرأوا كتابه الشهير الذي حقق مبيعات خيالية في بلاد العرب قبل أوروبا وبلاد الغرب ، فإنهم يرددون أكاذيبه دون أن يشعروا بذلك ، فمجرد ترديدهم بلا وعي أن "فرعون" هو الملك المصري "رمسيس الثاني" أو ابنه "مرنبتاح" هو نجاح كبير لفكرة بوكاي الخبيثة التي بثها من خلال كتابه "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم" أو من خلال مقالاته اللاحقة التي تؤكد فكرة الكتاب وتنشرها في كل مناسبة وظل كذلك في كل المناسبات حتى وفاته في عام 1998م.

كان المدخل الخبيث لموريس بوكاي هو أنه كلم المسلمين بالقرآن ، وهو قمة الاستهتار بالعقول والمشاعر الدينية حين تحدث عن أدلة مزيفة ومثيرة للسخرية عن بقايا الملح في المومياء ، وقد قيل الكثير من المعلومات الكاذبة عن بوكاي نفسه قبل أن تقال عن فرعون وليس من المستبعد أن يكون هو من أطلق تلك الشائعات من أجل مزيد من الخداع ، فقيل عنه أنه كان كبير الأطباء المشرفين على فحص وعلاج مومياء رمسيس الثاني في حين أنه لم يكن إلا مجرد طبيب باطني ، وقيل أيضا أنه أسلم وأعلن ذلك في مؤتمر صحفي كبير وقد كان بعيدا كل البعد عن الإسلام ، كما أنه ادعى مطابقة رواية القرآن لما تم اكتشافه بعد فحص مومياوات رمسيس ومرنبتاح ، وأن القرآن قد أكد رواية التوراة في وجود فرعونين أحدهما للاضطهاد والآخر للخروج!!!

كل تلك الادعاءات تم ابتلاعها من قبل المسلمين ، هكذا بمنتهى البساطة فقط من أجل أن بوكاي قال لهم تلك الكلمات السحرية التي هي من أشهر كلماته :

"فالقرآن فوق المستوي العلمي للعرب، وفوق المستوى العلمي للعالم، وفوق المستوى العلمي للعلماء في العصور اللاحقة، وفوق مستوانا العلمي المتقدم في عصر العلم والمعرفة في القرن العشرين ولا يمكن أن يصدر هذا عن أمي وهذا يدل على ثبوت نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنه نبي يوحى إليه".

هكذا وبهذه الكلمات الناعمة ضحك علينا بوكاي وخدعنا وقد دس السم في العسل دون أن نشعر بذلك ، وكانت تلك الكلمات وغيرها هي البوابة السحرية لقلوب وعقول العرب العاطفيين الذين يحبون كل من يمدح دينهم وقرآنهم ونبيهم دون أن يدققوا فيما بعد ذلك من كلام قد يكون هو عين الباطل! وياله من وعي مسلوب!!!.

دعونا نعرف قصة بوكاي بالتحديد ونوعية الأكاذيب البارعة التي روج لها وانطلت على أغلب من سمع بها أو قرأها ، وبداية فإن الدكتور "موريس بوكاي" هو طبيب أمراض باطنية و لم يكن أبدا كبيرا للجراحين كما زعمت القصة ولا كبيرا للأطباء الذين أشرفوا على فحص مومياء رمسيس وعلاجها ، وهو في الغالب يهودي ومستشرق فرنسي من أصل مغربي وكلمة بوكاي أو بوكايا الداخلة في اسمه هي نطق فرنسي لاسم قبيلته أو عائلته "بوخية" وهو اسم مركب من كلمتين مثل "بورقيبة".."بومدين".. ، لكن دينه المعلن هو المسيحية الكاثوليكية.

كان "بوكاي" لامعا في مجاله كطبيب باطني في سبعينيات القرن العشرين وكانت له علاقات واسعة بشخصيات مرموقة في العالمين العربي والإسلامي ومنهم الرئيس المصري الراحل "محمد أنور السادات" حيث كان بوكاي طبيبا معالجا لعديل "السادات" آنذاك والمدعو"محمود أبووافية" وكان بوكاي الذي تردد بكثرة على مصر آنذاك على صلة بكثير من الشخصيات المهمة في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر وكانت له إهتمامات خاصة بفحص ودراسة المومياوات المصرية الملكية لاسيما مومیائي الملكين المصريين " رمسيس الثاني" وولده الملك "مرنبتاح" فكان دائم التردد على المتحف المصري بالقاهرة حيث غرفة المومياوات الملكية التي تضم المومياتين وكانت هناك توصيات من كبار المسئولين في مصر ومن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالإحتفاء به وتسهيل مهامه البحثية.

أما الكتاب الذي ألفه بوكاي بعنوان "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" فلقد انقسم إلى موضوعين:

الأول: تناول فيه حقائق العلم في القرن العشرين وما تعالجه القصص المقدسة بالرسالات السماوية/الإبراهيمية (يهودية_مسيحية_إسلام) كخلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان..الخ

أما الموضوع الثاني: فلقد قدم فيه دراسة مقارنة بين روايتي القرآن والتوراة عن قصة فرعون والخروج مشيرا إلى إتفاق الروايتين في الخطوط العريضة لهما ومبينا لأوجه الخلاف بينهما كذلك مشيرا إلى ماتحدث به القرآن منفردا عن نجاة فرعون ببدنه بالرغم من عدم علم محمد صلى الله عليه وسلم آنذاك بأن جثث الملوك القدماء مدفونة بوادي الملوك وهي التي لم تكتشف إلا منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

لكنه ادعى أنه توصل في نهاية كتابه على الرغم من ملاحظته الأخيرة تلك عن آية نجاة فرعون ببدنه في القرآن إلى الأخذ برأي التوراة في وجود فرعونين لقصة موسى (فرعون اضطهد بني إسرائيل ومات أثناء وجود موسى في مدين وفرعون ثان طارد موسى وبني إسرائيل أثناء خروجهم من مصر) وليس فرعون واحد كما تحدث بذلك القرآن ، وبالتالي فبوكاي كيهودي كان مؤمنا بالتوراة لا القرآن بعكس ما تحدثنا القصة الملفقة عنه وعن إسلامه المزعوم ولم يكن كتابه إذا عن إعجاز القرآن وحده كما توهمنا بذلك تلك القصة !!!.

أما الطامة الكبرى هو تقديم بوكاي لكذبة كبرى هي أن التوراة قد حددت بالإسم الملك الذي اضطهد اليهود وهو"رمسيس" واعتبر ذلك مذهلا للعقل من وجهة نظره!!!، فالإعجاز إذا ليس قرآنيا فقط عند بوكاي!!! ، وعليه ينتهي بوكاي إلى القول بوجود فرعونين بدلا من فرعون واحد أحدهما قام بالاضطهاد والآخر وقع الخروج في عهده.

وأولهما :الملك "رمسيس الثاني" والذي ولد موسى في عهده والذي سخر بني إسرائيل بحسب التوراة فقط في بناء مدينتي بيتوم وبررعمسيس والذي مات أثناء وجود موسى في مدين و لم يقل القرآن بذلك.

وثانيهما : مرنبتاح والذي تقع باقي القصة الموسوية المزعومة في عهده والتي تنتهي بحدث الخروج.

وكان "بوكاي" قد حصل في يوليو1975 على موافقة السلطات المصرية لدراسة مومياني "رمسيس الثاني" وولده "مرنبتاح" داخل المتحف المصري بالقاهرة وهو عكس ما وصلنا في القصة الملفقة إذ لم يقم بوكاي بدراستهما إذا بفرنسا سنة 1981م في عهد ميتران بحسب القصة الملفقة بل درسها في القاهرة سنة 1975م في عهد فاليري جيسكار ديستان ولم تكن مومياء لملك واحد كما يفهم من القصة المتداولة ، ومع ذلك تصفه تلك القصة بأشهر طاغوت في الأرض!!!.

وفي هذا السياق يتحدث الدكتور "جمال مختار " رئيس هيئة الآثار المصرية آنذاك عن اتصال تلقاه من "محمود أبو وافية" وهو عديل الرئيس السادات رحمه الله ، للتوسط عنده لتسهيل مهمة "بوكاي" البحثية وعن إتصالات مماثلة تلقاها من "المجلس الأعلى للشئون الإسلامية" للغرض نفسه ، وبحسب رواية د.مختار فإن "بوكاي" قد تقدم بطلب لهيئة الآثار المصرية للكشف على مومياء مرنبتاح في القاهرة طبعا ، لرغبته في معرفة ما إذا كان مرنبتاح هو "فرعون" ، والذي تحدث القرآن عن نجاته ببدنه أم لا؟ وبعد فحص المومياء بالأشعة وتصويرها بالمنظار .. زعم"بوكاي" بأنه قد عثر على آثار تدل على غرق "مرنبتاح" وأن "مرنبتاح " هو فرعون "الخروج" — على حد زعمه بوجود فرعون للخروج وآخر للاضطهاد وهو زعم كاذب كما برهنا من قبل - ويضيف د.مختار بأنه لايثق فيما يقوله بوكاي حيث كان قد قابله كثيرا وتحدث معه طويلا وأدرك أنه ليس موضع ثقة وليس مؤهلا علميا فيما يتحدث عنه وهو يريد الدعاية لنفسه فقط!!

هذا هو حجم بوكاي الحقيقي والذي جعله الناس صاحب إحدى الفتوحات الظافرة كما صور لنا ولعب بعواطفنا الدينية .. والذي تم تصويره على أنه مكتشف فرعون القرآني الناجي ببدنه في فرنسا!! ، فبوكاي إذا كان مجرد رجل غير متخصص يهم الرئيس الراحل السادات أمره فاضطر د.جمال مختار إلى التعاون معه على مضض وقد ذكر د.جمال مختار أن فحص المومياء قد قام به أساتذة وأطباء مصريون بالأشعة والمنظار ، بناءا على طلب بوكاي الذي لم يلمس المومياء وهو الطلب الوحيد لبوكاي الذي تمت الموافقة عليه ضمن عدة طلبات أخرى له تم رفضها!! ، حيث رفض

د.جمال مختار ورجاله أن يأخذ بوكاي عينة من جسم المومياء أو من الكتان الملفوفة به ورفضوا تحريكها له من مكانها أو حتى أن يلمسها!!

ومن هنا نرى كيف أن بوكاي لم يحظ بتلك الصلاحيات الواسعة التي تم إيهام الجميع بها كما زعموا وصوروه لنا ككبير جراحين يمارس عمله بصلاحيات واسعة كرئيس لفريق البحث الفرنسي ، كما رفضوا أن يقلبوا له المومياء على وجهها بحجة أنه كان يظن في وجود ضربة على ظهر المومياء وأنها كانت قبل الغرق ..

والواقع إن نتيجة الكشف السابق الذي طلبه بوكاي على مومياء مرنبتاح قد لفتت أنظار د.جمال مختار ومعاونيه إلى الحالة السيئة التي كانت عليها المومياء وهوما دفع الدكتور مختار إلى الكشف على مومياء "رمسيس الثاني" في حضور كثيرين من بينهم"بوكاي" ليطمئن عليها فوجد المومياء بحالة أقل سوءا من حالة مومياء مرنبتاح..ولنتوقف مؤقتا عن الحديث عن (كبير الجراحين المزيف!!) بوكاي لنعود إليه بعد قليل في حينه.

إذ أننا وفي العام نفسه عام 1975 (تحديدا في 1975/12/11م) أي بعد ما يقرب من خمسة أشهر من أبحاث بوكاي بالمتحف المصري يأتي الرئيس الفرنسي آنذاك (فاليري جيسكار ديستان) في أول زيارة له إلى مصر بل وأول زيارة لهذا الرئيس لدولة من دول المنطقة وكان ترحيب الرئيس السادات بضيفه كبيرا متمثلا في الحفاوة التي قوبل بها الرئيس الفرنسي وفي الصخب الإعلامي المرحب به ضيفا عزيزا على مصر وتم وضع التلفاز الملون حديث العهد في مصر بالميادين لينقل وقائع استقبال الرئيس الفرنسي! ومنح الدكتوراة الفخرية في الاقتصاد من جامعة القاهرة وثوب الجامعة ودرعها تقديرا لجهوده في إقرار السلام وكانت مصر آنذاك قد خرجت لتوها من حرب أكتوبر 1973م وتتطلع لمعاونة فرنسا في تعمير القناة والصناعات العسكرية وتجديد الأسطول البحري..

وقد نجح الرئيس الفرنسي في استثمار هذا الظرف ليطلب من السادات نقل مومياء الملك "رمسيس الثاني" من مصر لتكون ضمن معرض مسرحي خاص بباريس حيث ستعرض بصورة مبهرة هناك (تحدث ديستان عن الأضواء المبهرة التي ستسقط على وجه رمسيس بشكل يجعله كالمبتسم..الخ) مما ينتظر معه رواجا سياحيا كبيرا لمصر وقد

قبل الرئيس السادات وقتها هذه الفكرة بشكل مبدئي تاركا للأثريين والفنيين من مصر وفرنسا مناقشة التفاصيل وكيفية التنفيذ..وكان وزيرا الثقافة المصري والفرنسي قد اتفقا على تكليف عالمة المصريات المرموقة الفرنسية"كريستيان ديروش نوبلكور"بإقامة معرض لرمسيس الثاني في باريس يحتوي على 52 قطعة من آثار هذا الملك فرأت "نوبلكور" أن تضم مومياء رمسيس الثاني إليه فسعت لدى رجال هيئة الآثار المصرية لتقنعهم بأهمية عرض مومياء رمسيس الثاني ضمن هذا المعرض إلا أن محاولاتها باءت بالفشل فرأت أن تلجأ مباشرة للرئيس "ديستان" ليتوسط لدى الرئيس السادات في هذا الأمر وكان ديستان خلال زيارته للمتحف المصري بالقاهرة قد إصطدم مباشرة برفض د.جمال مختار رئيس هيئة الآثار المصرية لسفر مومياء رمسيس إلى باريس خوفا عليها من المخاطر (كاليهود المتعصبين مثلا) ورفضا لإهانة رمسيس بعرض مومياثه عارية في معرض عام هذا الرفض الذي عبر عنه كذلك الأثري "لبيب حبشي" للرئيس "ديستان" أثناء زيارته لآثار الأقصر بإيعاز من د.جمال مختار بشكل استفز "ديستان" وقتها إلا أن كل محاولات منع سفر المومياء قد باءت بالفشل وبدأت الإستعدادات لسفرها إلى باريس إلا أن الرأي العام الخارجي خارج مصر مارس ضغوطا كبيرة على ديستان لاسيما في فرنسا وأمريكا وبريطانيا إستهجانا لفكرة عرض مومياء ملك عظيم في معرض عام وفضحت الصحف العالمية إستغلال ديستان لحاجة مصر للمساعدات الفرنسية بعد حرب أكتوبر للحصول على هذا الطلب مما جعل "ديستان" يرسل رسالة للسادات يعلن فيها عدوله عن طلبه أبرزتها الصحف العالمية مع صور لرمسيس.

إلا أنه وبعد أسابيع قليلة من تلك المحاولة الفاشلة لنقل مومياء رمسيس الثاني إلى باريس بحجة العرض ارتفعت نداءات استغاثة من الصحف الفرنسية للعالم كله لإنقاذ مومياء "رمسيس الثاني" من التحلل والفناء بفعل البكتيريا والفطريات المنتشرة فيها .. وكان صاحب النداء الأصلي هذه المرة هو"موريس بوكاي " نفسه والذي كان يعلم أن حالة مومياء رمسيس الثاني رغم سوئها أحسن حالا من مومياء مرنبتاح بحكم ما سمح له به من أبحاث في المتحف المصري؟؟ !!

وتقدم الفرنسيون آنذاك في عام 1976 (وليس في نهاية الثمانينيات وفقا للقصة المزعومة !) وفقا لذلك بطلب لعلاج رمسيس في باريس ورفضت هيئة الآثار المصرية

ذلك وطالبوا بأن يكون هذا في القاهرة إلا أن د.باللو رئيس متحف الإنسان بباريس والذي أُعد كمكان لعلاج المومياء برئاسة د. باللو نفسه (فمعالجة رمسيس لم تكن إذا بجناح خاص بمركز الآثار الفرنسي تحت رئاسة كبير الجراحين "بوكاي"!!؟؟ كما ذكر بوكاي وكما ورد· بالقصة الملفقة).

إلا إن باللو قد بين للمصريين عدم توافر الإمكانات لمثل هذه العملية لديهم والمتضمنة لما يقرب من 15-20 معملا متخصِّصا فضلا عن ميكروسكوب إليكتروني متطور تولى فحص أول عينة من تراب القمر سيستخدم في فحص الفطريات الموجودة بالمومياء دون أخذ أي شريحة من المومياء نفسها ..و في خلال ذلك كله نجح "بوكاي" في إقناع الرئيس السادات بضرورة سفر المومياء للعلاج بعد أن عرض عليه صورا لها تؤكد ما وصلت إليها من حالة خطيرة وأن ذلك سيكون بمتابعة مصرية من علماء مصريين متخصصين فوافق الرئيس السادات ليسافر الملك رمسيس الثاني على متن طائرة من سلاح الجو الفرنسي إلى باريس من القاهرة في يوم 1976/9/26 حيث كان ضمن مرافقي رمسيس بالطائرة من القاهرة بالإضافة للدكتور باللو السيدة"نوبلكور" المشار إليها سابقا و اختفى تماما أي دور لبوكاي بعد ذلك في علاج رمسيس بباريس (فلم يكن إذا كبيرا لمعالجي مومياء رمسيس بفرنسا!!) وربما ساهمت نوبلكور بنفوذها الواسع في إقصائه بعد صراع محتمل معه للاستئثار برمسيس؟! المهم أن "بوكاي " لم يكن إطلاقا ضمن الوفد المشرف على علاج رمسيس في متحف الإنسان بباريس والذي بلغ عدد أعضائه 105 أشخاص فضلا عن عشرين معهدا متخصصا !!!!!

وحين وصل رمسيس إلى باريس استُقبل وفقا لمراسم إستقبال رؤساء الدول وكانت وزيرة التعليم العالي الفرنسية في إستقباله نيابة عن الرئيس "ديستان"(لم يكن الرئيس الفرنسي موجودا إذا لإستقبال رمسيس ولا منحنيا كما تزعم القصة الملفقة) .

ولنتوقف إذا عند بعض النتائج التي جاءت بها أبحاث هؤلاء الفرنسيين المتخصصين في متحف الإنسان بباريس برئاسة د.باللو عن مومياء رمسيس الثاني قبل ترميمها بباريس : فطول المومياء حوالي 173 سم· ملامحها بيضاء قريبة الشبه بسكان البحر المتوسط بشعر أشقر حريري الملمس ربما بفعل الحناء ، وتشير الأشعة السينية التي فُحصت بها المومياء آنذاك إلى سلامة مدهشة لهيكلها العظمي بصفة عامة بخلاف بعض

المظاهر المرضية والمتمثلة في وجود بعض التكلس في غضاريف العمود الفقري والجمجمة وأعراض التهاب المفاصل الفقارية وتصلب في الشرايين ووجود جيوب في جذور الأسنان تشير لوجود خراريج بها وهو ما يعني أن شيخوخة "رمسيس" في العشرين سنة الأخيرة من عمره المديد والذي زاد عن التسعين كانت شيخوخة غير مريحة بسبب الآلام الشديدة التي عانى منها في أسنانه ومفاصله الملتهبة فكان في أواخر عمره يمشي منحنيا متكئا على عصا.

ولوحظ كذلك وجود شرخ بين الفقرتين السادسة والسابعة العنقيتين رَجَح أنه بسبب المحنطين أثناء وضع مادة الراتنج في التجويف الجمجمي حيث كان الرأس بالغ الإنحناء للأمام بسبب كبر السن كما لوحظ وجود أجسام غريبة من حبوب الفلفل الأسود بالرقبة والأنف حشرت أثناء التحنيط كما عثر على بقايا لنبات الدخان بمعدة الملك فضلا عن العثور على حشرة محنطة تتغذى عليه في بقايا الأحشاء المحنطة للمومياء، وهوما يشير لإعتياد رمسيس لمضغ هذا النبات آنذاك ويبدو أنه كان يستخدمه بوصف من الأطباء كمسكن للآلام.

كما ذكرت التقارير آنذاك أن هناك ما يقرب من تسعين نوعا من الفطريات (بعضها خطرة) قد غزت جسد الملك ،لم تتحدث تلك التقارير إذا عن وجود أية أملاح عالقة بالمومياء تشير لغرق صاحبها !!

والغريب أن بقايا الملح التي يحدثنا عنها كاتب القصة المزيفة الملفقة والعالقة بمومياء فرعونه الطاغوت المزعوم (والذي سافر إلى فرنسا بحسب القصة للعلاج وطبعا لم يسافر هناك للعلاج إلا رمسيس) هذه البقايا التي تشير إلى غرق صاحبها في البحر المالح في نظر البعض قد أشار لوجودها بعض الباحثين (وربما كان بوكاي منهم؟) بمومياء مرنبتاح لا رمسيس (فمومياء مرنبتاح عثر بها على نسبة عالية من الأملاح وفقا لزعمهم !) .

ويزيد كاتبنا العبقري – صاحب القصة المزيفة – الطين بلة بقوله بأن مومياء رمسيس قد اكتشفت عام 1898م وهوما ينطبق أيضا على مومياء مرنبتاح و التي اكتشفت في ذلك العام ضمن خبيئة المومياوات التي عثر عليها الفرنسي فيكتور لوريه

في مقبرة الملك "أمنحتب الثاني" ..بينما اكتشفت مومياء رمسيس الثاني الذي سافر إلى فرنسا للعلاج ضمن خبيئة مقبرة بمنطقة الدير البحري في عام 1881م!!!

وبمزيد من القراءة تكشفت الحقيقة شيئا فشيئا، فلم يكن الاضطراب في التواريخ إلا أول السيل، وقبل أن أنتهي من مقدمة مترجم الكتاب وجدت الشيخ حسن خالد يشير إلى أن "هذا الكتاب دراسة موضوعية مجردة من شخص يدين بالمسيحية"، فموريس بوكاي لم يشهر إسلامه قبل تأليف الكتاب كما تدعي القصة المزورة.

وإذا كانت القصة المزورة قد كذبت بشأن تاريخ تأليف الكتاب وديانة المؤلف فمن البديهي أن صلب الموضوع - وهو قصة مومياء فرعون المزعوم واكتشاف الملح فيها - يصبح محل شك، وبالفعل بقراءة الفصل الخاص بخروج بني إسرائيل من مصر في كتاب موريس بوكاي يتضح أنه لا يعرف على وجه اليقين أي ملك من ملوك مصر القديمة هو فرعون الذي خرج بنو إسرائيل في عهده فهو يقول: "أيا كان من هو "فرعون"، فإنه اليوم في صالة المومياءات الملكية في المتحف المصري في القاهرة"، ورغم أنه يذكر لاحقا أن أدلة مقنعة تشير إلى أن "مرنبتاح" ابن "رمسيس الثاني" هو "فرعون" نفسه وأن جهودا بدأت لفحص مومياءه إلا أنه يُتبع ذلك بقوله أنه لا يتوقع الحصول على نتائج التحاليل قبل انتهاء تحرير الكتاب، أي أنه وقت تأليف الكتاب لم يكن يعلم على وجه اليقين هل مات "مرنبتاح" غرقا أم لا، فكيف تدعي القصة الملفقة أن ذلك الاكتشاف المزعوم كان سببا في إسلام بوكاي (المزعوم أيضا) وأن ذلك هو ما دفعه لتأليف ذلك الكتاب؟ !!!

وحتى لو كانت نتيجة التحاليل جاءت بالإيجاب بعد ذلك فالقصة المزورة عن دهشته من النتائج وجهله بنصوص القرآن المتعلقة بها هو كذب مفضوح، لأنه في كتابه يذكر أن القرآن الكريم يؤكد نجاة بدن فرعون بعد هلاكه غرقا، وذلك قبل أن تظهر نتائج التحاليل أصلا.

بقي أن نعلم أن الرئيس الفرنسي الذي زار المومياء في متحف الإنسان الفرنسي خلال ترميمها (وهو ديستان وليس فرانسوا ميتران كما تقول القصة الملفقة) قد نشرت صحيفة "لو جورنال دي ماتش" الفرنسية على لسانه أن مومياء رمسيس الذي كان يسجد له الناس بوضع جباههم على التراب لن تعرض وهي مريضة على الملأ

وتحدث د.باللو عن المعنى نفسه مشيرا لإتفاق مماثل مع الحكومة المصرية على قائمة ممنوعات منها العرض الصحفي والتلفزي إلا أن ذلك كله قد ضرب به عرض الحائط حين ظهرت مومياء "رمسيس" عارية تماما من أكفانها في فيلم تسجيلي بالتلفاز الفرنسي لمدة عشرين دقيقة يصاحبه تعليق عصبي لمذيع فرنسي :

"إليكم فرعون مصر الشهير ! إليكم ملك ملوك الفراعنة الذي طارد اليهود قبل أكثر من 3 آلاف عام !الملك الذي اضطهد بني إسرائيل وسخّرهم في أعمال البناء والتشييد وسقاهم سوء العذاب ! ها هو الآن أمامكم انظروا ..شاهدوا"

مما أثار حملة إستياء واسعة داخل وخارج فرنسا على المستويين الرسمي المصري والشعبي الفرنسي تبين بعدها ضلوع الفريق المعالج للمومياء في صناعة هذا الفيلم بالمخالفة لما تم الإتفاق عليه بين مصر وفرنسا كما انفردت الصحف اليمينية الصهيونية وقتها بتصوير الملك والإشارة له باعتباره طارد اليهود من مصر مما جعل صحيفة "الهيرالد تريبيون" الأمريكية واسعة الإنتشار ومن بعدها الصحف الأوروبية تتحدث صراحة عن مؤامرة يهودية لإخراج رمسيس من مصر لاصلة لها بما قيل عن مرض المومياء الذي روج له اليهودي "بوكاي" كحجة لإخراج المومياء من مصر وهو ماكان حتى الآن أساسا لشكوك كبيرة حامت حول ما فعله الفريق المعالج برمسيس وحول عدم إختصاصهم من الأصل في علاج المومياوات ، لنجد لاحقا و بعيدا عن حملة الإستنكار هذه "موشى ديان" يزور رمسيس الثاني سرا أثناء علاجه بباريس بالتواطؤ مع السلطات الفرنسية رغم رفض السفارة المصرية لطلبه بهذا الخصوص ، ذلك الرفض الذي أعلنت السلطات الفرنسية إلتزامها به!! وهذه التحركات اليهودية المريبة والتي أحاطت بخروج رمسيس من مصر وعلاجه بباريس تكشف لنا طبعا عن مدى الارتباط الوهمي لدى "بوكاي" بالإسلام كما ورد بالقصة المزيفة.

وتنتهي قصة علاج "رمسيس" بعودته إلى المتحف المصري بعد سبعة شهور ونصف قضاها في باريس للعلاج داخل صندوق خاص مغطى بخيمة من البلاستيك يعمل بالكهرباء له نظام تهوية خاص لحفظ حرارة الجو ورطوبته للمومياء بشكل معين للحفاظ عليها و قتل الجراثيم ..ليصدر الرئيس السادات بعدها قرارا بعدم عرض رمسيس بالمتحف المصري بل وصل به الأمر إلى المطالبة بإعادة دفنه وهوما عدل عنه

بعد ذلك، فلم يشاهد رمسيس بعيد ذلك إلا الشخصيات الكبيرة من ضيوف مصر .. وحاليا يمكن لأي زائر لمصر مشاهدة مومياء رمسيس الثاني المعروضة بالقاعة العلوية بالمتحف المصري بالقاهرة.

وفي النهاية فإن ما يتكشف لنا في ختام ذلك العرض المقارن لوقائع قصة علاج رمسيس الثاني في باريس وصلة" موريس بوكاي" بها وبين القصة الملفقة عن إسلام بوكاي على خلفية تيقنه الوهمي من إعجاز القرآن أثناء مشاركته المزعومة في ترميم مومياء رمسيس بباريس إن ما يتكشف لنا هو حجم التشويش المعلوماتي الهائل الذي يتمتع به كاتبنا الإعجازي المرموق واضع هذه القصة الملفقة إستنادا على معلومات مشوشة عن سفر مومياء مصرية للترميم بفرنسا وتم الخلط في سرد القصة بين رمسيس ومرنبتاح بشكل فاضح وجعلت القصة من "بوكاي" بطلا لرواية مختلقة تماما من نسج الخيال اعتمادا على جهل غالبية من سيسمع تلك القصة أو يقرأها بحقيقية الأمور مستغلا التلهف الشديد لمستمعيه وقارئيه لإسلام بطل الرواية كنهاية سعيدة لهذه الرواية المؤتفكة.

إن الهدف من وراء كتاب بوكاي كان هدفا خبيثا جدا حقق من ورائه العديد من الغايات أهمها زيادة الاعتقاد بالتزوير القديم الذي ألبس رمسيس الثاني وابنه التهمة وترسيخ الفكرة في الأذهان لصرف أنظار الجميع عن الأحداث الحقيقية ، وإيهام المسلمين بإيمانه وتصديقه بآيات القرآن ومعجزاته واللعب على مشاعرهم الدينية والعقائدية بل والاستخفاف بها وبعقول قارئيه، ثم والأدهى من ذلك تمجيد بني إسرائيل بتأكيد الفكرة الملفقة التي بثتها التوراة بأنهم كانوا تحت التسخير وقاموا ببناء مدنا مصرية لرمسيس الثاني صاحب الآثار والإنشاءات العظيمة وابنه مرنبتاح، وبذلك تتأكد الفكرة بأنهم بناة أعظم آثار مصرية شيدت بتاريخ مصر وهذا ما يحتاجونه لاكتساب بعدا حضاريا ليس لديهم بكل تأكيد.

لقد حقق موريس بوكاي هدفه من كتابه في خداع المسلمين والعرب بطريقة غاية في البراعة، وقد ضمن تزييف وعي جيل بأكمله بل أجيال كثيرة قادمة طالما عرف جيدا كيف يصل إلى وجدان الشعوب العربية العاطفية التي تتأثر بالكلام الجيد المعسول، فكلمتين في مقدمة الكتاب وبضع كلمات أخرى محشوة في ثناياه عن إعجاز القرآن

وعظمة الإسلام ، بالإضافة إلى إشاعة تروج لتحول موريس بوكاي إلى الإسلام تجعل العرب والمسلمين يتهافتون على كتابه ويصبح بوكاي من أشهر الكتاب الغربيين في عالم الشرق.

إن بضع كلمات سحرية استغلها بوكاي ليخدع بها الجميع كانت كفيلة بأن تصل شهرته للآفاق وأن يبتلع الجميع بما فيهم الشرقيين أنفسهم كل الأباطيل التي ادعاها بوكاي في كتابه ليجعل فرعون مصريا ويجعل المصريين يعتقدون أنهم "فراعنة" بنفوس تحمل كل الرضا !.

مزاعم يهودية ونظريات تتعلق بالجغرافيا والمواقع التاريخية:

* مصر التي في الجزيرة العربية !! ونظرية الدكتور كمال الصليبي .. اجتهادات خاطئة ونظريات خيالية

التوراة لم تأت من جزيرة العرب ... بل نزلت على موسى في الجبل المقدس

هذه حقيقة يعلمها الجميع ... لكن نظرية شاذة وعجيبة حاولت أن تدعي العكس وهي نظرية الدكتور كمال الصليبي ... ويبدو أن نظريته قد نجحت في إقناع الكثيرين رغم بعدها الكبير عن الحقيقة والمنطق وصحيح التاريخ.

فقبل حوالي عقدين من الزمن أثار الدكتور كمال الصليبي من الجامعة اللبنانية فرية أن التوراة جاءت من جزيرة العرب وتحديداً من جنوب (الطائف) امتدادا إلى (اليمن) واستند في نظريته المتهافتة على معاجم جغرافية ألفها عدد من الباحثين السعوديين فأخذ منها بعض الأسماء للجبال والأودية والقرى المشابهة إلى حد ما لأسماء أماكن في أرض (فلسطين) المحتلة وحاول إقناع الكثير من العقول التي ربما تجهل الحقائق لكي يثبت أن الأماكن الحقيقية هي التي وردت في (التوراة) وليست الموجودة في الواقع وما ورد في المراجع الصحيحة وعلى رأسها (القرآن الكريم). وأصدر الصليبي ثلاثة كتب متوالية للترويج لأباطيله وتبنت طباعتها ونشرها بست لغات حية منها العربية

مؤسسات غربية مشبوهة وبإمكانات مادية ضخمة لا يحتملها راتب أستاذ جامعي في لبنان[75].!

ومختصر تلك النظرية أن الدكتور كمال الصليبي صاحب الكتاب الذي يحمل عنوانا يشرح محتوى الكتاب بشكل مباشر " التوراة جاءت من جزيرة العرب" قد نقل جغرافيا الأنبياء تماما إلى موقع آخر مختلف كل الاختلاف ، فبدلا من الحقيقة الثابتة التي نعرفها بأن أحداث قصة بني إسرائيل قد وقعت في مصر القديمة وفلسطين القديمة ، يدعي الصليبي بأن القصة بأكملها قد وقعت في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية وتحديدا في عسير القريبة من اليمن !!! ، وقد ألف الصليبي مؤلفات عديدة بعناوين مختلفة وبلغات مختلفة أيضا للترويج لتلك النظرية الخارجة عن المألوف والتي يترتب عليها نتائج خطيرة جدا.

ولد كمال الصليبي في 2 مايو 1929 ببلدة حمدون في جبل لبنان ببيروت لأبوين مسيحيين بروتستانتيين وتخرج في الجامعة الأمريكية بعد حصوله علي بكالوريوس في التاريخ والعلوم السياسية ، ثم انتقل إلي لندن ليحصل علي دكتوراة في تاريخ الشرق الأوسط من دائرة دراسات الشرق الأوسط هناك بعنوان "المؤرخون الموارنة وتاريخ لبنان في القرون الوسطى" بإشراف برنارد لويس.!![76]

وهو أستاذ جامعي ومؤرخ لبناني. قام بأبحاث تاريخية عن لبنان والوطن العربي وتاريخ التوراة والإنجيل. كان رئيس دائرة التاريخ وعلم الآثار في الجامعة الأميركية في بيروت وكان في آخر أيامه مدرساً جامعياً فخرياً فيها، حتى وفاته في الأول من أيلول/سبتمبر عام 2011. وهو من مؤسسي المعهد الملكي للدراسات الدينية. وله العديد من الأبحاث التاريخية من أشهرها نظريات جديدة حول جغرافيات وشخصيات التوراة وحول الأناجيل و السيد المسيح والتي أثير العديد من الجدل حولها.

وقد عمل في الجامعة الأميركية في بيروت في برنامج الدراسات العربية ثم كمدرس في دائرة التاريخ وعلوم الأثار حيث أصبح من أعمدتها مع صحبه الكبار مثل نقولا

[75] من وحي الوطن ، محمد بن عبدالله الحميِّد

[76] اشتهر برنارد لويس بنظرياته المشهورة وخططه الأشهر لتفتيت الدول العربية والإسلامية ، وقد تتلمذ الصليبي على يديه ما يثير الشبهات حول أهداف تلك النظرية المشبوهة.

زيادة وزين زين. وفي عام 1994 تقاعد من الجامعة الأميركية في بيروت وبطلب من الأمير حسن بن طلال أسس المعهد الملكي للدراسات الدينية في عمان، الأردن وأصبح مديرا له من 1994 وحتى 2004م. ومنذ ذلك التاريخ، أصبح مستشارا لمؤسسة التراث الدرزي. وعاش في لبنان حتى وفاته وبعد تقاعده أسس الصليبي المعهد الملكي للدراسات الدينية في عَمَّان في الأردن بطلب من الأمير حسن بن طلال، وعمل مديرا له نحو عشر سنوات، ثم أصبح مستشارا لمؤسسة التراث الدرزي وله العديد من الأعمال باللغتين العربية والإنجليزية التي ترجمها بنفسه أو أشرف علي ترجمتها ومن كتبه :حرب داود – خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل – تاريخ لبنان الحديث وغيرها.

رحل الصليبي وخلف أبحاثاً أثارت جدلاً واسعاً بين أوساط المؤرخين والتوراتيين فكانت له العديد من النظريات الجديدة حول جغرافيات وشخصيات التوراة منها السيد المسيح وجاءت معظم أبحاثه مخالفة للسائد والمعروف، وقال عنه ناشره في مقدمة أحد كتبه "عندما يكتب كمال الصليبي في أي موضوع، وهو لا يكتب إلا ضمن تخصصه، فإنه يثير كثيرًا من الغبار، العالق في عقولنا ونمط تفكيرنا، وفي المقام الأول المستقر على ما كنا نعده بدهيات علمية غير قابلة للنقاش[77] ."

وقد نعت الجامعة الأمريكية ببيروت وفاة الصليبي الذي رأس دائرة التاريخ وعلم الآثار بها لمدة طويلة وتقاعد في 1994 ثم أصبح أستاذاً فخرياً بها في أواخر أيامه .

ولم تأت رؤى ونظريات الصليبي المختلفة من فراغ إذ أنها كانت نتاجاً لمنهجيات مختلفة حيث استعمل أدوات وطرقا تختلف عن تلك التي اعتادت المدرسة التاريخية الفرنسية إستخدامها لفهم التاريخ ودراسة حركته وكانت مسيطرة علي المشهد التأريخي .

وقد أثارت كتبه العديد من العواصف الفكرية، ففي الوقت الذي تعد فيه كتبه عن تاريخ لبنان مرجعاً لا غني عنه للدراسين، فإن كتبه عن التوراة التي أعاد فيها قراءتها

---

[77] طبعا هذا رأي الناشر الغربي في الصليبي وهو أيضا ما يثير الشبهات حين يمدح ناشر غربي في نظريات شخص عربي وشرقي ويتبنى مؤلفاته جميعا ، فلا بد أن من وراء ذلك ما يؤكد الشبهة

جغرافياً وثقافياً أثارت عواصف فكرية استدعت هجوماً عنيفاً عليه من مفكري وعلماء التوراة، وأوضح الصليبي أن سوء تأويل نصوص التوراة ناتج عن ضعف الترجمات الموجودة لها الآن ويتعرض في كتابه إلي تناقضات روايات العهد القديم .

إن "المؤرخ الإشكالي" هي إحدى مسميات الصليبي الذي "أعاد النظر بتاريخ الجغرافيا بواسطة تأويل اللغة، أو اللغات الشرقية القديمة، كاشفاً عن اتجاهات لدى البعض إلى تحويل الوقائع وتحويرها إلى أساطير". وقال إن "طائر السنديانة تجرأ على الأسئلة أكثر من الاسترخاء في الأجوبة ."

لا سيما كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب" الذي ناقش أصول اليهودية والمسيحية، وقلب النظرية التاريخية التقليدية رأساً على عقب.

كما عَبَر النقاش من آراء الصليبي ليصل إلى كتاب التاريخ المدرسي، الذي يختلف اللبنانيون حول نظرتهم إليه لغاية اليوم .

ونظرية الصليبي وغيره اعتمدت على أساس واحد فقط - اعتبره الكاتب قمة الأدلة والبراهين – وهذا الأساس هو التشابه والتقارب بين أسماء الأماكن في جنوب وغرب الجزيرة العربية مع تلك التي أتت في التوراة عن الشام وشرق مصر[78]، وجدير بالذكر أن الأسماء اليمنية كانت تنقل إلى الشام وفقا لحركات التجارة القديمة خلال رحلات الشتاء والصيف.

وبوفاة كمال الصليبي سكت البوق الذي كان يردد بإصرار نظرية مغلوطة تماما تزعم أن (التوراة جاءت من جزيرة العرب.. تحديداً بلاد عسير واليمن !) متجاهلاً الحقائق العلمية التاريخية والجغرافية والآثارية في (مصر، فلسطين) وما ورد في (القرآن الكريم) عن أنبياء (بني إسرائيل) وحاول تبرير ادعاءاته بما تشابه من أسماء القرى والبلدات (العسيرية) وما ورد بـــ (التوراة) المحرفة والأساطيرالإسرائيلية.

ولشديد الأسف - ومثلما يحدث مع أي أفكار شاذة تظهر في هذه الأيام – فقد ظهر الكثير من المؤيدين لنظريته من بني جلدتنا انضموا لجوقة العازفين على أوتار

---

[78] يقول كمال الصليبي في مقدمة الكتاب : " التوراة جاءت من جزيرة العرب: كان هذا عنوان كتـــابي الســـابق حول الجغرافيا التاريخية للتوراة، وهو يختصر القناعة التي توصّلت إليها في هذا الشأن، أكثر ما يكون عن طريق المقابلة اللغوية بين أسماء الأماكن الواردة في التوراة، وتلك التي موجودة في جنوبي الحجاز وبلاد عسير."

الصليبي ، لكن المثير للدهشة حقا أن نجد الكثير من العلماء قد التزموا الصمت المريب دون الرد على تلك النظرية الشاذة.

لكن وعلى الجانب الآخر عندما تصدى لتلك النظرية — التي ظلت آخذة في الانتشار خاصة خلال العقدين الماضيين - نخبة من الباحثين الأعلام في طليعتهم الأستاذ (حمد الجاسر) رحمه الله من المملكة السعودية وأخرين من بعض الدول العربية، بل وصدر كتاب جمع كل تلك الردود وكل آراء النقد بعنوان (افتراءات الصليبي)[79] ، لكن الغريب في الأمر أن تجد بعض مؤيدي نظرية الصليبي يكلف نفسه للدرجة التي تجعله يسافر خصيصا إلى (لبنان) كي يُعد تحقيقاً صحفياً مع (الصليبي) حين كان على قيد الحياة وقتها لإبراز اسمه من جديد وتسليط الضوء على نظريته التي تدمر القصة الحقيقية وتجعلها أثرا بعد عين بل وتفرغ القضية الفلسطينية من محتواها .[80]

لكنا نواجه مصيبة أكبر من التحقيقات الصحفية حينما نعلم أن هناك من يحاول استكمال مسيرة كمال الصليبي في الترويج لتلك النظرية القديمة والتي لم يكن الصليبي نفسه أول من روج لها حتى يكون أخرهم ، فقد صدر قبل سنوات قليلة من وفاة كمال الصليبي وتحديدا في عام 2009 كتاب آخر يروج لنفس النظرية القديمة الحديثة في ذات الوقت ، وهو كتاب "نداء السُراة — اختطاف جغرافيا الأنبياء" الصادر من دار كيوان والذي وضعه قسم الدراسات والبحوث بجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية بمملكة البحرين وهو جزء من سلسلة كتب تسمى سلسلة" عندما نطق السُراة"[81].

---

[79] انظر كتاب *افتراءات الصليبي* – محمد عبدالله الحميد

[80] من وحي الوطن – جريدة الوطن أونلاين

[81] السراة هي سلسلة جبال بعسير وهي ممتدة من شمال مكة إلى أقصى اليمن ، وقد قاموا تسمية الكتاب بهذا الإسم للتعبير عن نظريتهم التي تنص على وقوع أحداث الخروج وصراع فرعون مع موسى عليه السلام في عسير بجنوب الجزيرة العربية وأن جبل السراة هو الجبل الذي شهد تلك الأحداث وفيه تقع "مصر العسيرية" التي تختلف عن "مصر القبطية" وفقا لزعمهم ، وفوقه نزل الوحي والشريعة على موسى عليه السلام وفقا لزعمهم الوهمي أيضا بل ويعينون أيضا جبل السراة على أنه الجبل الذي يحتوي على الجنة الأرضية التي نزل منها آدم وزوجته عليهما السلام.

فضلا عن كتاب أقدم يتناول نفس ذات النظرية وهو كتاب للدكتور أحمد داوود بعنوان : "العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود"[82] الذي عين موقع الأحداث أيضا في جنوب غرب الجزيرة العربية في المساحة التي تشمل كامل حوض وادي بيشة بالإضافة إلى حوض وادي رانية إلى الشمال ، في غرب شبه الجزيرة العربية وهي نفس المنطقة التي عينها كمال الصليبي ومجموعة الباحثين بجمعية التجديد الثقافية البحرينية سالفة الذكر ومن قبل كل هؤلاء النظرية التوراتية القديمة التي تحدث عنها الدكتور جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" في حديثه عن الدولة المعينية باليمن وجنوب الجزيرة العربية.[83]

أما كتاب الباحث الفلسطيني الدكتور "زياد منى" بعنوان "جغرافية التوراة — مصر وبنو إسرائيل في عسير" فعنوانه يشرح محتواه وهو لا يتخير كثيرا عن كل العناوين السابقة التي تتناول نفس النظرية ويعتبر الكتاب استمرارا وتوسعا فيما طرحه كمال الصليبي في كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب» ويعتمد في طرحه على الاستدلال اللغوي اضافة الى قراءة التوراة بحروفها العبرية دون الاعتماد على الترجمات للغات الأخرى .

الجدير بالذكر في هذا الأمر أن موقعاً ناشطاً في الإنترنت بعنوان (أرض الميعاد) يعمل بقوة ليلاً ونهاراً على تكريس ما بدأه (الصليبي) واستقطاب الأعداء والأصدقاء معاً من أجل إثبات أن لـــ(إسرائيل) جذوراً في قلب (جزيرة العرب) .[84]

وبعد مرور عقدين من الزمان على إطلاق كمال الصليبي موضوعه عن "أرض التوراة" في عسير، تنهض مجددا، لكن هذه المرة في شكل رواية، بوليسية مثيرة، بقلم الكاتب الأميركي المعروف ستيف بري بعنوان "الحلقة السكندرية".

أما أقدم من تكلم في تلك المزاعم فكانوا التوراتيين ، حيث يبدو أن ما اجتهد فيه الدكتور كمال الصليبي في بناء نظريته التي تعين "مصر" مسرح أحداث القصة في جنوب الجزيرة العربية وتحديدا في عسير بجنوب المملكة العربية السعودية بدلا من مصر

[82] دار المستقبل — دمشق - 1991

[83] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام — جواد علي - الفصل التاسع عشر: الدولة المعينية

[84] من وحي الوطن ، محمد بن عبدالله الحميِّد

الأفريقية ، هو كلام له جذور سابقة من أبحاث بعض الغربيين والعرب على حد سواء، فهي نظرية قديمة وليست نظرية حصرية أو فرضية جديدة أتى لنا بها مَن تحدث في ذلك في العصر الحالي ، فلقد أفرد الدكتور جواد علي في كتابه "المفصل" جانبا للحديث عن الذين حاولوا قديما ترويج هذا الأمر ، وأردنا أن ندرج بحثه هنا لأهميته البالغة حيث يقول :

"ومعنى هذا أن دولة معين، كانت تحكم من معين كل ما يقال له الحجاز في عرف هذا اليوم إلى فلسطين، وأن هذه الأرضين كانت خاضعة لها إذ ذاك، ولكننا لا نجد في النصوص الآشورية أو العبرانية مثل التوراة ولا في الكتب الكلاسيكية ما يشير إلى ذلك. ولكن القائلين بالرأي المذكور يرون أن حكم معين كان في أوائل عهد معين، أي قبل أكثر من ألف سنة قبل الميلاد فلما ضعف ملوكها تقلص سلطان المعينيين عن الحجاز وبقي نافذًا في المنطقة التي عرفت بـــ "معن مصرن"، أي "معين المصرية"، ثم ضعف سلطان المعينيين الشماليين عن هذه الأرض أيضًا بتغلب السبئيين على معين، ثم بتغلب اللحيانيين في القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، حيث استقلوا وكونوا "مملكة لحيان".

وقد أثارت "معن مصرن" / "معين مصران"، جدلًا شديدًا بين العلماء، ولا سيما علماء التوراة، فذهب بعضهم إلى أن "مصر" "مصرايم" Mizraim الواردة في التوراة ليست مصر المعروفة التي يرويها نهر النيل، بل أريد بها "معين مصران"، وهو موضع تمثله "معين" في اليمن في الزمن الحاضر.[85]

وأن لفظة "برعو" pero التي ترد في التوراة أيضًا لقبًا لملوك مصر، والتي تقابلها لفظة "فرعون" في عربيتنا، لا يراد بها فراعنة مصر، بل حكام "معين مصران" وأن عبارة "هاكرهم مصريت" Hagar Ham- Misrith، بمعنى "هاجر المصرية"، لا يعني "هاجر" من مصر المعروفة، بل من مصر العربية، أي من هذه المقاطعة التي نتحدث عنها "معن مصرن" وأن القصَصَ الوارد في التوراة عن "مصر" وعن "فرعون، هو قصَصَ يخص هذه المقاطعة العربية، وملكها العربي ، وقالت هذه الجمهرة: إن ما ورد

---

[85] وردت في بعض النسخ "معان" في الأردن

في النصوص الآشورية من ذكر لـــ Musri لا يعني أيضًا مصر المعروفة، بل مصر العربية، وأن ما جاء في نص "تغلاتبلسر الثالث" الذي يعود عهده إلى حوالي سنة "734" قبل الميلاد، من أنه عين عربيًّا Arubu واسمه "ادبئيل" "ادب ال" "ادب ايل" "Idiba'il" حاكمًا على "مصري" "Musri" لا يعني أنه عينه حاكمًا على "مصر" الإفريقية المعروفة، بل على هذه المقاطعة العربية التي تقع شمال: "نخل مصري" أي "وادي مصري". ويرى "وينكر"، أن "سبعة" "Sib'e: الذي عينه "تغلاتبلسر" سنة "725 ق. م" على "مصري"، والذي عينه "سرجون" قائدًا على هذه المقاطعة، إنما عين على أرض "مصر" العربية و لم يعين على "مصر" الإفريقية.

وقد ورد في أخبار "سرجون" أن من جملة من دفع الجزية، إليه "برعو" Pir'u وقد نعت في نص "سرجون" بـــ "برعو شاروت مصري"، أي "برعو ملك أرض مصري". وورد ذكر "برعو" هذا في ثورة "أسدود" التي قامت سنة "711 ق. م" وورد ذكر "مصري" في أخبار "سنحريب" ملك آشور، وكان ملك "مصري" وملك "ملوخة" قد قاما بمساعدة اليهود ضد "سنحريب"، وذلك في عام "700 ق. م"، وقد انتصر "سنحريب"

ويرى "ونكلر" أن كل ما ورد في النصوص الآشورية عن "مصري" مثل: "شراني مت مصري" "Sharrani Mat Musri"، أي "ملوك أرض مصر" إنما قصد به هذه المقاطعة العربية.

ويثير هذا الرأي مشكلات خطيرة لقائليه ولعلماء التوراة، فرأي "شرادر" و"ينكلر" وأضرابهما المذكور يتعارض صراحة مع الرأي الشائع عند اليهود وعند التوراة والتلمود والمنشا والكتب اليهودية الأخرى في هذا الموضوع، ويتعارض كذلك مع رأي أهل الأديان الأخرى في الموضع نفسه، و لم يلق هذا الرأي رواجًا بين الباحثين، وهم يرون أن وجود أرض عربية عند "معان" في الزمن الحاضر، تسمى "مصري" وهي تسمية "مصر" في اللغات السامية ، ووجود حاكم عليها اسمه "برعو"، و"برعو" لقب ملوك مصر"، ويقابل "فرعون" في لغتنا ، لا يحتم علينا التفكير في هذه الأرض العربية، ومن الجائز على رأيهم أن يكون الآشوريون قد استولوا على هذه المقاطعة وحكموها ونُصّبوا حكامًا عليها على حين كانت الحوادث الأخرى قد وقعت في مصر الإفريقية،

وبناء على ذلك فليس هناك أي داع للإدعاء أن الإسرائيليين لم يكونوا في مصر، وأن فرعون لم يكن فرعون مصر، بل فرعون مصري، التي هي "معين المصرية"، وليستبعد أيضًا أن تكون تسمية "مصري" العربية قد أخذت من مصر، فقيل "معين مصرن" لقربها من مصر، ولتمييزها عن "معن" أي "معين" اليمن."[86] ا. ه

إذن فلم يكن كمال الصليبي أول من تحدث في هذا الموضوع ولا هو صاحب النظرية أو الاكتشاف المزعوم ، بل هي نظرية يهودية قديمة كما نرى وكل ما هنالك أن الصليبي وأحمد داوود ومن سار على منهجهم قد أعادوا نشر النظرية وصنفوا فيها المصنفات الجديدة وجددوا بذلك تلك الدعوى سيئة السمعة.

وقد كتب الإعلامي اللبناني المعروف (سمير عطا الله) بصحيفة (الشرق الأوسط) بتاريخ 5 سبتمبر 2011 بعنوان (غياب مؤرخ مثير للجدل) في مناسبة وفاة الصليبي عام 2011 قال فيه: "أعتقد أن (الصليبي) قلب الأشياء في مطالعته، وحاول أن ينقل فلسطين كلها لــ(جزيرة العرب)، ولم يرد في التوراة اسم (عسير) ولا أي كلمات عربية أخرى، فكيف تكون (التوراة) قد جاءت من جزيرة العرب"؟!

إن مزاعم تلك النظرية لاتمت للحقيقة بأية صلة ، وقد وضع الكثير من ركائز تلك النظرية على غير هدى أو بصيره ومثل هذه النظريات تجعل من صاحبها مشهورا وتوسع من مساحة شهرته عن طريق مخالفة ما عليه إجماع الخاصة والعامة من أجل مزيد من الشهره بطريقة (خالف تعرف) ونجد بين الفينة والفينة أمثال تلك النظريات التي تجد من يؤيدها ويوافقها حتى وإن كانت منفصلة عن الواقع .

ولكل من لم يطلّع على نظريات كمال الصليبي التي طرحها قبل ثلاثين عام واصر عليها مؤخرا- قبل وفاته بالطبع - فالمختصر المفيد هو أن الدكتور كمال الصليبي قد أقدم بمنتهى الجرأة على تحطيم تاريخًا ثابتا ومتواترًا دون حياء كبير ومن غير برهان ساطع وتجاسر على تهميش بديهيات وطبيعيات ومسلمات توصل اليها جهابذة التاريخ وتواتر في نقلها كتب التراث والتفسير والتاريخ وغيرها من نتاج التراث الإنساني عبر قرون طويلة بإدعاؤه بأن التوراة جاءت من جزيرة العرب وأن أحداث قصة موسى

---

[86] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – جواد علي

عليه السلام وبني إسرائيل مع فرعون وقومه قد جرت كلها بالكامل على أرض الجزيرة العربية وتحديدا جنوب الجزيرة العربية بمنطقة عسير واليمن وأن الأرض المقدسة التي هي أرض فلسطين وفقا لمعتقد الجميع لا تقع في فلسطين وإنما هي جزء من الجزيرة العربية و لم يخطوا بنو إسرائيل – وفقا لنظريته – خطوة واحدة فوق أرض فلسطين خلال أو بعد تلك الأحداث.

وقد صدر الكتاب أولا بالألمانية، بواسطة مجلة "دير شبيغل" الألمانية المرموقة حينئذ، تحت عنوان "الكتاب المقدس جاء من عسير"، ثم صدرت كتابا، باللغة الألمانية، وبعدها باللغة الإنجليزية، وأخيرا بالعربية، هي أن "العهد القديم" تسجيل لتجربة بني إسرائيل التاريخية، ليس في فلسطين وجوارها، وإنما في جنوب غربي جزيرة العرب، أي بلاد عسير الممتدة من جنوب مدينة الطائف إلى اليمن.

وأثار الموضوع وقتها زلزالا علميا على الصعيد العالمي، وعاصفة إعلامية لم تندثر، مما يعكس برأي البعض آثارها السياسية المعاصرة ، أما "علماء التوراة" الغربيون فقد رفض الكثير منهم الموضوع برمته، لكنهم لم يتمكنوا من دحضها علميا ، بالإضافة لرفض الموضوع من قبل كتاب عرب كثيرون ، لا يحمل أي منهم مؤهلا أكاديميا للتعامل معها على أسس علمية.

وقد تبدو تلك النظرية في مظهرها العام نظرية بريئة تنفي أي حقوق لليهود في أرض فلسطين وتبعدهم هم وتاريخهم تماما عن تاريخ فلسطين وتدمر أحقيتهم المزعومة في الأرض المقدسة ، لكن المتأمل يدرك أن كمال الصليبي بهذه النظرية أيضا قد فرغ القضية من محتواها وجرد أرض فلسطين وحرماتها ومقدساتها من قدسيتها وحرمتها وجعلها أرضا كغيرها من الأراضي لا تحمل قدسية ولا حرمة ولا فضيلة مخصوصة وهو أمر خطير جدا يجعل من تلك الأرض مجرد أرض كغيرها وتتحول القضية الفلسطينية من قضية عقيدة ومقدسات إلى قضية سياسية بحتة لاسترداد أرض محتلة كغيرها من البلاد المحتلة التي لا تحتاج لأكثر من حل سياسي وتقسيم للأرض ليتعايش فوقها الجميع بسلام ويالِه من حل يقدمه الصليبي للأمة العربية والإسلامية وللصهاينة أيضا على حد سواء !.

وفوق ذلك يحاول الصليبي من خلال نظريته في إقناع الاخرين بصوابها وهي النظرية التي لا يوافقه عليها إلا بسطاء أو جهلة أو من يحمل فكرا غير سوي أو موقفا متناقضًا أو معاندًا على غير صواب.

أما وجهة النظر الإسلامية والتاريخية فالمنطلق فيها هو أن هذه النظرية تمنح أرضية "شرعية" لليهود للمطالبة بأراضي غربي جزيرة العرب ويالها من نتيجة فادحة ، لكن كمال الصليبي وغيره رفضوا ذلك المنطق من باب أنه يضفي شرعية تاريخية ودينية على اغتصاب اليهود لفلسطين في المقابل ، وهو مبرر غير كافٍ لتأييد النظرية كما نرى ، لكن كتابا عربا آخرين "ثمّنوا" الموضوع وأيدوه، ولكن وبكل أسف، من الموقع السياسي ذاته، بينما ثمة حاجة ماسة للتعامل مع التاريخ على أسس علمية محضة.

والإشكالية تكمن حاليا أنه لم ينشر عن المسألة أي عمل علمي متزن يدحضها ، بأي لغةٍ كانت، وصاحبها كمال الصليبي لم ينظر بعين إيجابية إلى ما نشر عنها باستثناء مؤلفَين: أولهما بالعربية والثاني نشر أخيرا باللغة الإنجليزية ، بل إن كمال الصليبي لم يتوقف عن الكتابة عن موضوعاته حتى قبيل وفاته ، حيث نشر بعدها كتبا أخرى عنها بالعربية وبغير العربية.

وقد أورد كمال الصليبي في كتابه "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"[87] والكلام الآتي في مقدمته ما نصه :

"وقد حاولت في ذلك الكتاب إقامة البرهان، بمجموعة من الأمثلة، على أن مضمون التوراة لا يستقيم إلا إذا أعيد النظر فيه جغرافيًا على هذا الأساس ، وعبثا حاول ويحاول علماء التوراة فهم مضمونها، من الناحية التاريخية، باعتبار أنها جاءت من فلسطين، حسب المفهوم التقليدي لجغرافيتها. فالأكثرية الساحقة من أسماء الأماكن التوراتية لا وجود لها في فلسطين. والأقلية الموجودة منها هناك لا تتطابق من ناحية الحدث مع تلك المذكورة بالأسماء ذاتها في التوراة ، وما زال علماء الآثار يبحثون في فلسطين عن دليل واحد قاطع على أن البلاد التوراتية كانت هناك، فلا يجدونه ،

---

[87] خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل – دار الساقي الطبعة الخامسة / 2002 مقدّمة الطبعة العربية

والأمر ذاته ينطبق على العراق والشام وسيناء ومصر، أي على الأرض "من النيل إلى الفرات" التي يفترض بأن التاريخ التوراتي كان له شأن مباشر بها".

هذا ما فصلته في كتابي السابق ، وما القصد من الكتاب الحالي إلا وضع نظريتي الجديدة حول الجغرافيا التاريخية للتوراة على المحك للتأكد من صحتها على وجه العموم، ولتصحيح ما ورد من أخطاء تفصيلية في الكتاب السابق على وجه الخصوص، وذلك عن طريق إعادة النظر في مجموعة من القصص التوراتية المألوفة على ضوء جغرافية جزيرة العرب."أ.هـ

وهذا كلام نختصر الرد عليه بأنه لايمكن الركون في تحقيق تاريخ مجيء الكتب السماوية من أي مكانٍ كان بالقناعات الشخصية أو عن طريق المقابله اللغوية بين أسماء الأماكن سيما وأن المؤرخ يجهل بتخريج وظبط الأسماء التي أوردها لغويًا وجغرافيًا وتاريخيًا كما لا يمكن الركون إلى مثل هذه المقابلات اللغوية في ظل وجود مراجع ومصادر وكتب وجهود لم تشر جملة وتفصيلا إلى ما ذهب اليه ومصدره هذا: المقابلات والتشابهات اللغوية لأسماء المواقع مرفوض من وجهة البحث العلمي ولا يُعتمد على المقابلات اللغوية والتشابه بين أسماء مواقع وأسماء أخرى في تحققيق أسماء الأمكنه أو في وصول كتب معينه في ظل وجود ما أشرنا إليه.

وفيما يلي أيضا بعض الحقائق والنقاط التي تتعلق بالرد على تلك النظرية التي ابتعدت عن الصواب من كل جانب [88]:

- مما لا شك فيه لدى الباحثين أن التوراة التي بين أيدي الناس اليوم، ليست الكتاب الذي أُنزل على موسى – عليه السلام – وإنما ألفها الأحبار وجمعوها في فترات مختلفة، كما يعترف بذلك علماء اليهود أنفسهم كالعالم الصهيوني (سيجموند فرويد) صاحب كتاب ((موسى والتوحيد)) وغيره من العلماء من أهل الملل الأخرى، بل إن هناك من العلماء من يرى بأن من بين أسفار التوراة ما هو عربي الأصل ضمه الأحبار إليها، مثل ((سفر أيوب)) الذي أوضح بعض العلماء المعاصرين أنه نقل إلى العبرية من اللغة العربية كالمستشرق الانجليزي

[88] حمد الجاسر

(مرجليوث)[89] وفي الأسفار الأخرى كثير مما أدخله الأحبار من عادات الشعوب وأخبارهم ومن ذلك أسماء مواطنهم، بسبب المخالطة والاتصال أثناء الأسفار، ولهذا فإن استناد الدكتور الصليبي على التوراة المعروفة الآن استناداً كليا هو على غير أساس ، ثم الاستدلال بما فيها من الأسماء مع ما هو معروف من أسماء المواضع تتشابه وتتكرر مع اختلاف مواقعها – استدلال غير صحيح، وهذا من الأمور البدهية.

- مما فات الدكتور الصليبي – أثناء استنتاجاته لآرائه تلك – محاولة الربط الزمني بين مواضع ورد ذكرها قبل أكثر من ثلاثة آلاف من السنين، وبين مواضع قائمة في زمننا، أكثرها نشأ في عصور متأخرة، فهو لَمْ يحاول عند إيراد اسم من أسماء المواضع التي ذكرها البحث عن نشوء ذلك الاسم ومتى كان؟ وما هو معناه! ولماذا سمي الموضع بهذا الاسم؟ ، ولو بحث هذا الأمر بتعمق لأدرك أنه يسير – فيما استنتج على غير هدى.
- إن أسماء المواضع التي أوردها محاولاً الربط بينها وبين ما ورد في التوراة – مما نشرته الصحف التي عرضت خلاصة آرائه وأفكاره – لا نجد لها ذكراً في الكتب القديمة باستثناء اسم فرع حديث لإحدى القبائل، ظنه اسم موضع، فكيف يصح له أن يستنتج فكرة بدون أن يستكمل قواعد استنتاجها؟!
- لم يفرق الصليبي بين أسماء المواضع وأسماء أفخاذ العشائر والقبائل، فقد أورد منها ما ظنه من أسماء المواضع، فيأتي في نهاية القرن العشرين ليستند على أسماء أماكن بعضها حديث وأسماء أفخاذ قبائل عربية بعضها لا يعود إلى أكثر من قرنين من الزمان ليلصقها بأسماء توراتية تسبقها في القدم بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، والجهل بالأسماء إلى هذه الدرجة يحول دون استنتاج نتائج ذات قيمة علمية ، لقد اتخذ الدكتور الصليبي من تشابه الأسماء وتقاربها في الكتابة والنطق أساساً لأرائه ، وما أوسع هذا الباب لو أردنا الدخول منه، لحكمنا بأن آلاف الكلمات الأعجمية وما هو أكثر من آلاف، هي كلمات عربية متى أغفلنا ما

---

[89] أنظر كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي 252/1

يوضح الكلمة المراد فهمها وإيضاحها من قرائن، أو أردنا صرف فحوى تلك القرائن إلى ما نهواه ونريده بطريق التعنت وتحميل الألفاظ من المعاني ما لا تحتمل[90].

- لا يزال العديد من المدن والقرى تحمل أسماءً تعود إلى قديم الأزل ، وهذا ما توهمه الدكتور الصليبي حين قال أنه كان يبحث عن أسماء الأماكن ذات الأصل غير العربي في غربي شبه الجزيرة، وادعى كذلك أن جميع أسماء أماكن التوراة كانت مركزة في منطقة طولها ست مئة كيلومتر وعرضها مِئَتَا كيلومتر ، ومن هنا وقع في الخطأ حيث ظن أن أسماء تلك الأماكن موغلة في القدم، وأنها من غير أصل عربي، ومن ثَمَّ راح يحملها من المعاني ما لا تحتمل ويصرفها عما وضعت له في الأصل، ويخلط بين أسماء القرى وأسماء السكان ، إنه لم يدرك أن أكثر المدن والقرى تحمل أسماء حديثة وأن كثيراً من المواضع عُمِرت وأنشئت في أزمنة متأخرة، وليس الأمر كذلك بالنسبة لكثير من الأقطار الأخرى كالشام (سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) ومصر وغيرهما، إذ تلك الأقطار غالب سكانها من الحضر المستقرين الثابتين فيها، على توالي العصور، فتبقى أسماء المدن والقرى ثابتةً، بخلاف سكان الجزيرة الذين أكثرهم عرضة للتنقل والارتحال من منطقة إلى أخرى، فينشأ عن ذلك إحداث أسماء جديدة للمواضع والمياه والقرى وتُجْهل أسماؤها القديمة ، وقد اتضح أن جميع أفكاره تقوم على (دليل لغوي في الدرجة الأولى يتعلق بتحليل أسماء الأماكن) .[91]
- أما هذه الأسماء فهي نوعان: أحدهما ما استقاه من النص العبري للتوراة مما مكث تتلاقفه الألسن أحقاباً طويلة حتى بلغ من التحريف درجة تحمل كل باحث يحترم نفسه من عدم الثقة بصحته، فضلاً عن التعويل عليه في استخلاص ما سماه الدكتور الصليبي حقائق لا نظريات.

---

[90] من وحي الوطن ، محمد بن عبدالله الحميِّد

[91] كلام الدكتور الصليبي المذكور أشارت إليه جريدة ((صنداي تايمز)) اللندنية في مقال نشرته عن كتابه بتاريخ 1984/8/12م

- والنوع الثاني: أسماء حديثة لم يفهم الباحث كثيراً من مدلولاتها، ولم يدرك أنها - لِحداثة عهدها - لا يصح أن تُتخذ أساساً للمقارنة بأسماء موغلة في القدم مع تحريفها، بمجرد اتفاق بعض الحروف أو التقارب في النطق.
- ثم إنه يقيم تلك المقارنة على فهمه هو وحده لمعاني تلك الأسماء بدون رجوع إلى الآراء التي لا تتفق مع هذا الفهم لأنه يعتقد بخطأ كل ما كتب في هذا الموضوع وأن (اكتشافاته) تكفي للإقناع!! ، كما يعبِّر .[92]
- اعتمد كمال الصليبي كليًّا على المقاربات اللغوية، وهذه حجة ليست كافية حتى لو تطابقت الأسماء، فهناك الكثير من الأسماء المتطابقة في أنحاء مختلفة من الشرق الأدنى القديم والتكرار شيء معروف وله أسباب بسيطة مباشرة، ، فعلى سبيل المثال هناك أماكن كثيرة في جزيرة العرب لها نفس الاسم تماماً ومتعاصرة مثل ظهران الجنوب والظهران وتربة في منطقة الطائف وتربة شمال حائل والجوف في شمال المملكة العربية السعودية والجوف في اليمن وباحة ربيعه والباحة التي سميت بها المنطقة المعروفة في المملكة وظفار حضرموت وظفار عمان وغيرها من الأمثلة الكثير، ولكن الصليبي يعتمد على التشابه غير الدقيق في بعض الأسماء ولا مجال هنا لذكر كثير من الأسماء التي يلوي الصليبي حروفها كي تتوافق مع ما يراه مقارباً لها في التوراة[93].
- إن نظرية كمال الصليبي في أن عسير هي موطن بني إسرائيل الأوائل وأن التوراة خرجت منها وأن الديانة اليهودية نشأت فيها قول يبتر أعضاء الجسد التاريخي القديم ويشوهه تشويها كاملاً فكيف نفسر الأحداث التاريخية الجسام التي تعرض لها بني إسرائيل في ذلك العصر مثل علاقتهم بمصر القديمة وعلاقتهم بآشور والسبي البابلي، فهل كان مثلاً السبي البابلي لليهود في عسير؟
- ولكن مما لا شك فيه أن السبي البابلي حدث لشعب بني إسرائيل الذي كان في مكانه في فلسطين قبل هذا السبي بمئات السنين، وإذ سلمنا بأن الخلط حصل في

---

[92] حمد الجاسر ، مجلة العرب-العدد2

[93] المصدر السابق

التوراة بين فلسطين وجنوب الجزيرة العربية. فهل كانت النصوص المصرية القديمة والنصوص الآشورية لا تميز أيضاً بين فلسطين وجنوب جزيرة العرب؟

- يفترض كمال الصليبي بأن عسير هي موطن بني إسرائيل والتوراة والديانة اليهودية التي يتفق على أنها كانت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد أيام موسى عليه السلام بل ويرى ان منطقتهم «جنوب الجزيرة العربية» كانت مزدهرة في ذلك الزمن، إلا أننا نقف حيارى أمام هذا الازدهار الذي لم يُعثر على أي من آثاره في جنوب الجزيرة العربية أو يرد أي من النصوص العربية القديمة «السبئية، الحضرمية، القتبانية، المعينية، الأوسانية» والتي تنوف على العشرة آلاف نص يتحدث لا من قريب ولا من بعيد عن بني إسرائيل ولا عن التوراة ولا اليهود ولا اليهودية ولا موسى عليه السلام ولا أنبياء بني إسرائيل ولا دولهم ولا تاريخهم، وإن قال الصليبي أن زمن هذه النصوص العربية الجنوبية متأخر عن موسى، فلا شك أنه لا يستطيع أن ينكر بأنها أقدم من القرن العشرين بحوالي ألفي عام وأنها أقرب إلى حفظ أسماء الأماكن والشعوب لقربها الزمني منها، والنصوص السبئية منها على وجه الخصوص التي تحدث بعضها عن غزوات شنها ملوك سبأ على أنحاء مختلفة من الجزيرة.
- إن نظرية كمال الصليبي المذكورة تتعارض كلياً مع ما ورد في القرآن الكريم بربط موسى عليه السلام بفرعون «الذي لم يحدد حتى اليوم من هو بشكل قاطع»، وقصة العبور للبحر أو اليم (والذي هو بلا شك مفهوم بعربية القرآن ولا يعني السُراة كما يقول الصليبي) ولا ما ورد في القرآن عن سيناء ولا مصر، وكذلك تعارض هذه النظرية مع مجمل الأحاديث الواردة في موسى عليه السلام والتي لا تفيد بأنه كان في جنوب جزيرة العرب.
- لم يُعثر على أي أثر توراتي واحد في عسير أو جيزان أو اليمن وإن اتفقنا بأن الحفريات الأثرية لم تكشف الكثير من مناطق الجزيرة العربية سواء في الجنوب أو غيره.

- وخلاصة القول ان نظرية الدكتور كمال الصليبي لا تعتمد المنهجية العلمية المعروفة وإنما تستند على صروح من الخيال والهوى وتوجيه النصوص بما يحقق توجهاته التي لا تقوى على النقد العلمي الجاد.

أهداف التزوير وأسبابه ونتائجه:

* الهدف من تزوير قصة فرعون وهوية قومه:

بعد أن قدمنا جميع الإثباتات والأدلة التي توصلنا إليها وتوصل إليها غيرنا من كتاب ومؤرخين ومفكرين قديما وحديثا عن تلك الخدعة الكبرى التي دبرها كاتبو التوراة واليهود منذ القدم نستعرض هنا أهداف التزوير التي ترمي لإخفاء جملة من الحقائق وتمويد التاريخ المصري والفلسطيني وإخفاء حقيقة فرعون وقومه بالإضافة لإخفاء هوية سكان فلسطين والشام منذ أقدم عصور تلك الأرض وحتى يومنا هذا.

وبعد أن أدركنا أن حجم التزوير والتزييف في التاريخ أكبر بكثير من أن تستوعبه كل جهود التصحيح والتصويب وأن ذلك يتطلب جيشا من المفكرين والمؤرخين لإعادة كتابة التاريخ وتصحيح أحداثه ونتائجه فضلا عن الحاجة الماسة لضرورة معالجة وعي أبناء أمتنا أنفسهم ومحو جميع الأفكار الخاطئة التي تربَوا عليها وترسخت في أذهانهم وتسربت إلى عقولهم عن هذه الأحداث التاريخية ونتائجها التي انعكست على جميع الأوضاع الحالية من أوضاع سياسية واجتماعية وإنسانية أصبحت تمس جوهر ورسالة تلك الأمة وتعرِّض بقائها وسط الأمم لخطر داهم ، حيث نجح أعداؤها في زرع كمية مذهلة من الأفكار السلبية عن تاريخهم وتاريخ أسلافهم بل وأحقية أراضيهم ومعنى وجودهم في هذا العالم ، وجب علينا بعد ذلك أن نبين لماذا ندافع عن تلك الحقيقة ونكافح من أجل إثباتها وإظهار تلك الحقائق.

إن إثبات حقيقة فرعون وقومه وتصحيح المفهوم حول هويتهم ليس بمجرد انتصار منا لنزاهة العنصر المصري كما فعل غيرنا من أصحاب نفس النظرية فوقعوا في الدفاع عن القومية البغيضة ، وليس ذلك أيضا لتبرئة المصريين من تلك النقيصة التي قد تلحقهم بانتساب فرعون إلى القبط المصريين وما يتبع ذلك من لعنات قد صبتها

الكتب المقدسة على قوم فرعون وجرائمهم في حق الرسل والأنبياء وأتباعهم وما قد يطال المصريين من جرّاء ذلك والذي دفع الكثير من الكتاب والمفكرين للدفاع المستميت عن العنصر المصري والهوية المصرية وكأنها هوية مقدسة في ذاتها لا تستمد قدسيتها من الأمة الكبرى التي تنتمي إليها وهي الأمة الإسلامية والعربية ، فالهوية المصرية لا تختلف كثيرا في نظري أو في نظر أي عاقل صاحب وعيٍ سليم عن الهوية الكنعانية أو الفلسطينية أو العروبية التي ينتمي إليها فرعون وقومه وفقا لكل ما أثبتناه وطرحناه من أدلة دامغة على ذلك.

لكن ذلك التزوير الذي تعمده اليهود وكتاب التوراة كان يخفي خلفه ما هو أغلى بالنسبة إليهم من مجرد هوية لملك سامهم سوء العذاب في التاريخ القديم ، فتهويد الأرض التي يعتبرونها موعودة بالنسبة لهم أغلى لديهم من كل ثمن آخر بل أغنى لديهم من كتابهم المقدس الذي جائهم من عند الله قبل أن يزوروه ويحرفوه ، لكنهم نسوا أنهم بذلك يشترون به ثمنا قليلا وهو تهويد الأرض ، بل وحققوا من وراء ذلك التزوير هدفين بل أهداف عديدة بدلا من هدف واحد وعلى رأس تلك الأهداف هو شيطنة المصريين جميعا ونعتهم بالفرعنة والتجبر واللعنة وفي نفس الوقت إنكار الوجود الكنعاني الفلسطيني على أرض فلسطين وإخفاء هوية أصحاب الامبراطورية الشاسعة التي حكمت مصر والهلال الخصيب ثم انزوى حكمهم لتلك الأراضي لأنهم لم يتبعوا الرسل و لم يستمروا على طريق الهداية فترع الله منهم الملك إلى حين وسلم الراية لبني إسرائيل الذين كانوا على التوحيد في ذلك الوقت ويتبعون مناهج الرسل التي بعثت فيهم.

لكن هذا الحال لم يستمر طويلا بعد أن صنع بنو إسرائيل نفس الذي صنعته الشعوب الوثنية القديمة من مخالفة منهج الله ورسله وتكذيب الرسالات والانحراف عن أوامر الخالق ، فلم يلبث المُلك الذي أُعطي لهم أن سقط وانتهى في ظرف قرون قليلة وتسلطت عليهم الأمم وكتب عليهم الشتات وتحولت الشعوب التي نُزع منها الملك قديما بسبب إشراكها بالله إلى دين الله بعد إيمانهم بالرسالة الخاتمة التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم والتي لم يؤمن بها بنو إسرائيل فانعكست الآية واستحق المؤمنون ميراث الأرض.

إن انتساب فرعون وقومه للمصريين القبط أو للكنعانيين أو لغيرهم ليس ذو شأن كبير ولا يضير الشعب المصري أو الشعب الفلسطيني أن يكون آل فرعون ينتسبون لمصر أو لفلسطين أو إلى غيرها من البلاد ، فـ"آل فرعون" كانوا مجرد عائلة مالكة أو قبيلة حاكمة مكونة من أسرة يربط بين أفرادها أواصر النسب والقرابة ، ثم لم يلبثوا بعد أن آتاهم الله الملك أن هلكوا جميعا ونزع الله منهم السلطان لكنهم أصابوا أقوامهم وباقي عشائرهم بوصمة كبيرة من جَرّاء شركهم بالله ومعاندتهم للرسل فسقط ملكهم في جميع أنحاء الأرض التي تملكوا عليها ، لكن المغزى الحقيقي من وراء القصة والذي يجب أن يدركه كل عاقل هو أن الدائرة تدور مع الأمة التي تتبع منهج الله تعالى، فوقتما كان بنو إسرائيل على منهج الله ورسالته الحقة دارت معهم الدائرة وكانت لهم الغلبة على غيرهم ، أما بعدما حرفوا الكتاب المترل عليهم وانحرفوا عن منهج الله فقد سلط الله عليهم باقي الأمم ، بل وعادت الراية إلى الشعوب الأخرى التي نُزع منها ذات يوم ملكها لعدم إيمانهم فلما دخلوا في دين الله أفواجا أصبح الوعد مستحقا لأصحاب الإيمان الحقيقي وأتباع الرسالة الحقة.

إن أحقية أرض فلسطين التي لا جدال حولها لا يمكن اختزالها في أحقية تاريخية أو اعتبارها قضية قومية تخص العرب دون سواهم من الأمم ، وإن كنا قد أثبتنا عروبة تلك الأرض منذ فجر التاريخ وقدمنا الأدلة القاطعة على أنها أرض الكنعانيين الساميين العروبيين منذ آلاف السنين وأنها أرض الفلسطينيين بلا منازع ولا شريك ، لكن الأحقية التي تزيد عن ذلك قوةً ويقيناً واستحقاقاً هي أحقية الدين والعقيدة ، فالقانون الإلهي الذي وضعه الله تعالى في الأرض هو أن تلك الأرض يورثها الله من يشاء من عباده المتقين ، والأمة المؤمنة الموحدة بالله تعالى حق التوحيد هي التي تستحق أن تحكم تلك الأرض وتعمرها وهي أمة الإسلام بلا منازع.

ونحن هنا نقولها جلية وواضحة وصريحة أن هوية أرض فلسطين هي هوية إسلامية خالصة لأتباع الدين الخالص دين التوحيد وهو دين الإسلام ، الدين الخاتم الذي ارتضاه الله تعالى لعباده بعد تحريف كل ما سبقه من شرائع وكتب مترلة إلى البشر ، ومهما زاد تأكيدنا لأحقية أرض فلسطين وعروبتها التاريخية وأحقيتها للكنعانيين وأحفادهم الفلسطينيين فلا يوجد تأكيد لدينا أكبر من أن الأرض المقدسة لم ولن

تكون إلا للموحدين أتباع الرسالة الصحيحة النقية التي لم يطالها التحريف والاعوجاج.

ومن جملة الأهداف الأخرى التي نوجزها هاهنا في ذلك الفصل ما يلي :

- استهدف اليهود تلويث وتشويه تاريخ مصر وجميع ملوكها بأى شكل ، فهاهم ينثرون غبار الشبهات على كل ملوك مصر ويجعلون العديد منهم موضع شك فى أن يكون هو فرعون رمز الكفر والتجبر فإن كانوا لم يفلحوا فى تثبيت الإتهام على رمسيس الثانى أو ابنه فليكن كل ملوك مصر إذن هم فرعون.
- ونتيجة ذلك أن يبغض الناس كل ملوك مصر وتاريخها بأكمله بل ويبغضه المصريون أنفسهم نتيجة لذلك ، وأن يقترن اسم كل واحد من هؤلاء الملوك القدماء بالكفر والظلم والتجبر وكذلك قومهم ، وتبعا لذلك بالطبع تشويه الحضارة المصرية القديمة بأسرها وجعلها ممقوتة بغيضة عند الكثيرين ، وهذا مايريده اليهود.
- من ضمن أهداف التزوير أيضا هو جعل حضارة مصر القديمة "فرعونية" بزعمهم بحيث يصبح العبيد من بني إسرائيل هم بناة الحضارة طبقا لنص التوراة، حتى حجارة الأهرام خرج علينا في الآونة الأخيرة من يقول أنها مصنوعة من طين كي يصبح بنو إسرائيل حينما أقاموا في مصر هم وبناة الأهرام المبنية من الطين وفقا لزعمهم !!!.
- التاريخ المصري القديم بأكمله مزور وتم وضع تواريخ كاذبة لآثار مصر في أحيان كثيرة بحيث تكون ملائمة لقصص التوراة.
- إطلاق العنان للمزاعم اليهودية التي تتعلق بالهوية والأصول للفلسطينيين القدماء وإخفاء هوية أجداد الفلسطينيين والتعتيم على أصول الهكسوس العماليق و إخفاء حقيقة أن الكنعانيين والعماليق هم سكان فلسطين منذ أقدم العصور ، لأن ذكرهم في قصة فرعون لن يخدم غرض اليهود في التهويد بل سيثبت على العكس الأحقية التاريخية للكنعانيين في تلك الأرض وهو ما لا يريده المزورون اليهود.

- إخفاء حقيقة أن الكنعانيين القدماء قد حكموا امبراطورية واسعة تضم مصر وبلاد الشام والرافدين لأن الكنعانيين من وجهة نظر التوراة اليهودية ليسوا ساميين وإنما هم حاميين جاؤا دخلاء على أرض الشام وبالتالي يحق لليهود كما يروجون عند الغرب طرد الفلسطينيين المعاصرين من أرضهم وإجلائهم خارجها بحجة أنهم دخلاء محتلين لأرض اليهود — وهي فلسطين — وأنهم جاؤا من خارج بلاد الشام وفلسطين وبالتحديد من أرض "حام" وهي أفريقيا.
- إكساب اليهود لتاريخهم بعدا حضاريا كاذبا بادعائهم بأنهم قد تم تسخيرهم في البناء والتشييد وهي أكذوبة كبرى أثبتناها في صفحات هذا الكتاب ، ولهم من خلف ذلك الادعاء هدفًا خبيثا ألا وهو محاولة ظهورهم في هيئة بناة الحضارة ومؤسسوا الدول الكبرى كمصر في عهدها القديم ، وليس أدل على ذلك من تبجحهم في الادعاء بأنهم قد بنوا الأهرام وغيرها من المعابد والمنشآت العظيمة ولاسيما التي أقامها الملك رمسيس الثاني أعظم ملوك مصر والذي اتهموه بالفرعنة كما أسلفنا في هذا الفصل والفصول السابقة.

تزوير التاريخ واصطناعه ... مهنة يهودية أصيلة

"إن من يكتب التاريخ هو من يحكم ويتحكم ويجلس على الكرسي فى قصور الحكم ، ولهذا فإن فالتاريخ المكتوب يظل مجرد وجهات نظر".[94]

عبارة استوقفتني كثيرا تبين مدى أهمية التاريخ والحرص على تنقيته وتحقيقه ، فالتاريخ المكتوب ليس مجرد ذكريات عابرة نقرأها على سبيل التندر والتفاخر والتسلية، لكن التاريخ يصنع أجيالا من حملة اللواء يرفعون قدر أي أمة ينتمون إليها ، ويجعل أصحابه يقودون الأمم والشعوب الأخرى ، وهو ما أهملناه كعرب ومسلمين واهتم به أعداؤنا فهزمونا وأصبحوا في الصدارة في حين بقينا نحن في المؤخرة.

إن إهمال المسلمين لتاريخهم قد بدأ بهجران القرآن الكريم وهو كتابهم المنزل نفسه ، فهجروا قرائته وتلاوته وهجروا فهمه الصحيح والتدبر بمعانيه ، وبالتالي استطاع

---

[94] مقولة منقولة عن الكاتب الأستاذ منصور عبد الحكيم

أعداؤهم دس الإسرائيليات المفتراة والقصص الأسطورية في التفاسير بعدما عجزوا عن تحريف القرآن نفسه وتزوير السنة النبوية الصحيحة التي في الكتب الصحاح.

لذلك لجأوا إلى التفسير كأرض خصبة لتزوير فهم المسلمين لقرآنهم فدسوا فيه تلك القصص الخيالية والمعلومات الخاطئة المنحرفة عن الحقيقة وبالتالي تم تزوير وعي المسلمين تجاه قضايا كثيرة هامة أغلبها قضايا تاريخية محورية.

لذلك عندما يريد المسلم الواعي أن يحقق في قضية ما يجب عليه أن يرجع إلى القرآن والسنة الصحيحة أولا قبل أن يلجأ إلى التفاسير ، وحين يلجأ للتفاسير ينبغي عليه أن يتخير التفاسير الصحيحة المحققة التي تم تنقيتها من تلك الإسرائيليات والخرافات المضللة ، وبذلك يستطيع أي مسلم يريد أن يصل إلى الحقيقة أن يصل إلى المصادر المختارة حتى يستطيع تفهم المعلومات القرآنية بطريقة نقية لا تشوبها المدسوسات والمكذوبات التي ملأت الكثير من كتب التفاسير.

إن فالرواية القرآنية عن هذا القصص لا غنى عنها ويجب إعادة قرائتها من البداية مرة أخرى بتجرد تام وبعد الاستعانة بالأحاديث الصحيحة والتفاسير الموثقة المحققة حتى يستطيع القاريء الوصول إلى قراءة صحيحة للقصص القرآني.

وحتى بالنسبة للمؤرخين المعاصرين والقدماء على حد سواء كأن غلالة من الظلام قد وضعت فوق أعينهم وأعين كتبة قصص الأنبياء ومروجيها عبر وسائل الإعلام ومعظم مفسري القرآن الكريم فلم يبصر أيا منهم الآيات على وضعها السليم واتبعوا سيناريو قميء أدانوا به أهل بلادنا ذات التاريخ العريق بدلا من الأعراب وبني إسرائيل في موقف شاذ غريب.[95]

ولما كانت الحكمة الإلهية في التحذير من مصير الظالمين في قرآنه العظيم لا ترتبط بزمان ولا بمكان ولا بأشخاص بعينهم ، فإن الله تعالى لم يول ذكر الكثير من التفاصيل اهتماما في قصص قرآنه العظيم ، فهو ليس بكتاب تاريخ أو سرد ، ولا هو بكتاب منزل لتوثيق تفاصيل الماضي ، وإنما هو هدى ورحمة للعالمين ، ونذيرا وبشيرا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وهو في ذات الوقت إن جنح إلى ذكر بعض

---

[95] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

التفاصيل في سياق القصص لم نجد أدق منه سردا ولا أقوى منه تفصيلا ولا أعجز منه بيانا لدقائق الأسرار وعجائب الأخبار .

وإن كان الله تعالى قد ذكر فيه في كثير من المواضع أخبارا لأمم عاشت في الماضي، فإنه بحكمته أراد ان يحذرنا من أن تؤول بنا الأحوال إلى ما آلت إليه أحوال هذه الأمم البائدة المكذبة التي ذهبت مع الدهر ، واستحقت عذاب الله في الدنيا والآخرة.

وإن كان القرآن الكريم قد أنزل ليقرر العبرة والعظة فإنه مع ذلك أيضا لم يكن في ذات الوقت كتابا قائما على الخيال والمجاز فيما يرتبط بمسألة القصص ، بل هو أدق ما يمكن الرجوع إليه في ذلك إذا اقتضى الأمر.

غير أن الكثير من المغرضين عبر التاريخ - وعلى رأسهم اليهود - قد تلقفوا الكثير من القصص القرآني ، وجعلوه مادة لهم في تغيير التاريخ وتزوير الحقائق وطمس الهوية الإسلامية والعربية خدمة لأغراضهم الدنيئة ، فعاثوا فسادا في التاريخ القديم وما زالت أيدي الفساد والعبث تمتد إلى كل مصادر التاريخ القديم والحديث على حد سواء ، فقديما امتدت أيديهم إلى الكتاب المترل عليهم نفسه ، ولم يسلم من تحريفهم وتبديلهم حتى حرفوا كلام الله عن مواضعه ، واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ، فهانت عليهم آيات الله بعدما قست قلوبهم، ولم يكن من العسير عليهم بعد ذلك أن يحرفوا تاريخنا بين تقصير الآباء وغفلة الأبناء ، فغيروا الكثير من التفاصيل خدمة لأغراضهم ، فتأصلت تحريفاهم في المدونات والكتب ، وخاصة مع ما تزامن حديثا من سيطرهم على وسائل الإعلام في العالم أجمع ، فكانت تحريفاهم بمثابة عقائد راسخة حتى عند جمع غفير من أبناء أمتنا الإسلامية والعربية ، حتى أصبحت تلك المدسوسات مسلمات عند الكثير من الناس لا تقبل الجدل ولا مجرد النقاش.

وفي هذا الإطار نقتبس كلاما يصف ما فعله اليهود بالتاريخ بدقة كبيرة: "ولايعرف التاريخ أمة وضعت تاريخها اصطناعا بيدها كما فعل اليهود ، فقد صاغته فى إطار من المقدسات والغيبيات وجعلته كله وحيا من السماء نافذا بإرادة الله ، ومن ثم فهو فوق كل جدل ونقاش ، وكان من الطبيعى أن يلجأ اليهود فى تدوين نشأهم الأولى إلى مزيج من الخرافات والأساطير والمأثورات الشعبية للأمم القديمة ، ثم يضيفون عليه ماتبقى فى ذاكرهم المريضة من الحكايات الفلكلورية منذ بداياهم الأولى ، والهدف من

ذلك هو ترسيخ فكرة اختيار بنى إسرائيل واصطفاؤهم الأبدى وتسليمهم دور البطولة على مسرح الإنسانية، مع إبراز غير عادي لأفكارهم العنصرية تمهيدا لأن يكونوا هم - وهم وحدهم - من لهم الأحقية في ميراث الحضارة والأرض والتراث، أما باقى الأمم والشعوب فهى ليست إلا شخوصا مكملة لملحمتهم التخريفية."[96]

"وإذا سلمنا جدلا بهذا التاريخ الأسطورى الذى اصطنعوه بخيالهم السقيم ، نجد أنهم هم أنفسهم قد اختلفوا فيه ، فتباينت آراؤهم عن أصولهم الأولى وعن لغتهم العبرية القديمة أو الحديثة التى أخذت اسمها من تسمية اغتصبوها وحصروها على أنفسهم زورا وبهتانا وهي تسمية "العبرانيين" .. مع أن تلك المجموعة البشرية قد أخذت أسماءً مختلفة عبر التاريخ كما سنرى ، فقد سُموا أولا "عبريون" ، ثم قيل عنهم "بنو إسرائيل" ، ثم عُرفوا "باليهود" .. ".[97]

لقد نجح أصحاب التوراة السبعينية اليونانية في جعل حكاياتهم مرجعا للتاريخ لدرجة أنه إذا ما واجهتنا أية حادثة في ماضي تاريخ المنطقة نعرضها أولا على حكاياتهم لنرى ماذا قالوا ويكون هذا هو الحق المبدأي بعد هذا نلوي عنق كل شيء ليتماشى مع ما قالوه لدرجة أصبحتْ كثير من الأحداث والمفاهيم بتأثيرهم مسلمات غير قابلة للنقاش ، رغم ظهور ووضوح أخطاء فاضحة في مختلف الاتجاهات تاريخيا أو منطقيا أو جغرافيا ، وبدلا من التوقف وإعادة التفكير ظل الكثير من الباحثين يدورون حولها أو يعالجونها بخجل أما رجال الشرائع السماوية فقد شكلوا سياج متين يحمي تلك المفاهيم وذلك بإدخالها في صلب عقيدتهم فأصبحوا حائط صد منيع لوجهة نظر أصحاب التوراة السبعينية وظل همهم الشاغل ترديد تلك الأساطير وبذل الجهد في الدفاع عنها وتبريرها.[98]

---

[96] هذا بلاغ للناس : بنى إسرائيل واليهود والحركة الصهيونية – عاطف هلال انظر :
http://atef.helals.net/mental_responses/jewish_history/index.html

[97] المصدر السابق بتصرف

[98] فرعون موسى من قوم موسى – عاطف عزت

وقد قمنا بالتفصيل بتوضيح أصل تلك التسميات ونشأتها ، كما أثبتنا أنها تسميات غير مترادفة ، فكل تسمية منها لها تاريخا مختلفا ، ولها معنى وظروف نشأة تختلف فيها عن الأخرى .

والعجيب أن من جملة التشويهات والتحريفات التي أحدثوها هي تلك التي دسوها في بعض التفاسير ، أو ما تم تناقله عن بعض مسلمة أهل الكتاب ، وما حاولوا وضعه في بعض كتب السنة ، بعد أن فشلوا في تحريف كتاب الله تعالى المحفوظ بحفظه ، وبعد أن فشلوا في العبث به ، فما كان لهم إلا أن حاولوا دس افتراءاتهم في كتب التفاسير ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته الكرام ، غير أن الله تعالى أبى إلا أن يحفظ هذا الدين من عبث العابثين ، فقيد لهذا الدين علماء أجلاء حاذقين كانوا من أذكياء العالم فدأبوا على تنقية كتب السنة والتاريخ والتفسير من تلك الافتراءات والأكاذيب والأباطيل الشنيعة التي أحدثها بنو إسرائيل.

وعلى ذلك يجب علينا أن نسلم بأن هناك الكثير من تلك الأباطيل تملأ الكتب والمؤلفات – إلا ما رحم ربي وعصم – حتى إنها طالت كتب التفسير والتاريخ الإسلامي وغير الإسلامي على مر العصور ، وهو مايلزمنا بألا نأخذ العلم إلا بعد تمريره على هؤلاء المحققين والمتخصصين الذين لديهم المقدرة على التفريق بين الخبيث والطيب.

والجدير بالذكر أن تاريخ الشرق القديم والتاريخ المصري القديم كجزء من تاريخ العالم القديم كان بالطبع أيضا من أكثر المواضيع الخصبة التي اهتم اليهود بتحريفها لصالحهم ، بل إن محور تحريفاتهم انصبت حوله لعلاقتهم غير الخفية به ، ولا شك في أن لهم من ذلك أغراضا تخدم مصالحهم بشدة، فهم كشعب – إن جاز لنا هذا التعبير – ليس لهم تاريخ عريق اللهم إلا في الإفساد والضلال منذ أن وُجدوا وحتى أن يشاء الله لهم الفناء من على وجه البسيطة، وإلصاقهم أنفسهم بتاريخ مصر القديمة تحديدا يكسبهم عمقا تاريخيا وحضاريا يفتقرون إليه بكل تأكيد.

غير أن مسألة نشأة بني إسرائيل في أيامهم الأولى، وأماكن تواجدهم حينذاك، وطبيعة الأحداث التي جرت في تلك الأزمان هي النواة الأولى التي بنى عليها اليهود إفكهم وأباطيلهم لإعداد السيناريو الملفّق الذي يجعل من استيلائهم على الأرض أمرا

مشروعا وتاريخيا بل ومقدسا بنص الكتب السماوية المزعومة ، وكان المنطلق الأول الذي انطلقوا منه في ذلك أثناء كتابة التوراة الملفقة هو ما أسموه "بعصر الآباء" وهو عصر إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام وهو العصر الذي نجد في توراهم المزعومة بداية ذلك الإعداد والتمهيد لتزوير أحقيتهم في أرض ليس لهم فيها شبر واحد، ثم تجلت تلك الافتراءات والأباطيل في روايتهم لواقعة دخولهم مصر ومعيشتهم فيها ثم خروجهم منها إلى الأرض المقدسة ، فقاموا بالكذب في هوية فرعون وقومه وفي مدة بقائهم في مصر وتعدادهم وقت الخروج كما قاموا بتبديل أسماء الأماكن التي تواجدوا فيها للإيحاء بفترة تاريخية مغايرة عن فترة تواجدهم الحقيقية وللإشارة إلى أشخاص آخرين غير هؤلاء الحقيقيون ، وعلى رأس هؤلاء الأشخاص الذين أرادوا أن يزيفوا حقيقته "فرعون" ، ذلك الملك الطاغية الذي سامهم سوء العذاب ، وخاصة بعد أن جعل الله تعالى هويته مفقودة ، فكانت فرصتهم السانحة في استغلال هذا الغموض حول شخصيته في العزف على الأوتار التي تروق لهم ، وتحديد هويته على الوجه الذي يخدم أغراضهم أجل خدمة ، فصالوا وجالوا في التاريخ ، ثم انتقوا منه أعظم الملوك في التاريخ المصري على الإطلاق ، وأجل الحقب التي مرت بها البلاد ، ليلصقوا تاريخهم المخزي بهذا التاريخ العريق ، ويصبحوا بذلك — شئنا أم أبينا — جزءا من منظومة حضارية بلغت الآفاق في وقت كان الجهل والظلام هما السائدين في الشعوب المحيطة بهم.

ولا شك أن جملة هذه التحريفات تشكل نسيجا متشابكا من الأكاذيب يضع قارئها في موضع المعترف والمقر والمؤمن بأن بني إسرائيل هم الأمة المختارة بلا شك وأنهم كذلك شعب مقدس بنص الكتاب ، بل وأن أرض فلسطين هي ملكهم بشهادة الكتاب المقدس المنحول ، فكتابهم المكذوب قد تمت صياغته للتأكيد على إبراز جنسهم دون سواهم ، والتأكيد على الوعد الموروث و الممنوح لهم منذ إبراهيم عليه السلام ، وإغتصاب الانتساب إلى السامية — التي اخترعوها في الأساس - لهم وحدهم دون سواهم ، وسلب الأصول السامية عمن سواهم وخاصة الفلسطينيين ، والتلميح المتكرر لأحقيتهم في أرض تبدأ من فلسطين كمحور ثم تمتد لأرض كبرى تصل من النيل للفرات.

والعجيب في الأمر – وعلى عكس الحقيقة – أن العالم يصدق ما يقولونه عن تخلف الشخصية العربية الشرقية ، وتفوق العقلية اليهودية بالرغم ما يدين به الغرب نفسه للشرقيين والعرب والمسلمين من إسهامات أساسية يرجع لها الفضل في بناء ما يتمتعون به إلى الآن ، ومما يُؤسَف له أنهم يصدقون في الوقت ذاته تفوق العقلية اليهودية وفضلها في إقامة الحضارات بالرغم من أن براعة اليهود عُموما – والصهاينة خصوصا – قد انحصرت عبر كل العصور في السلب والنهب والقتل والتدمير وتدبير المؤامرات والتمردات ، وإثارة القلاقل والفتن ، وإشعال نار الحروب ، والإفساد في الأرض ، فلا تكاد تجد عالما صهيونيا على وجه الخصوص – ولا أقول يهوديا – قد نبغ في أحد العلوم الإنسانية ، أو خرج للعالم بأحد المخترعات النافعة اللهم إلا تلك المخترعات والأفكار التي تخدم الحروب والدمار والفساد والإفساد في الأرض.

يقول العالم اليهودي الكبير زئيف هرتسوج:

"إنني أدرك باعتباري من أبناء الشعب اليهودي وتلميذا للمدرسة التوراتية حجم الاحباط الناجم عن الفرق بين الآمال في إثبات كون التوراة مصدرا تاريخيا وبين الحقائق التي تتكشف على أرض الواقع ، إنني أحس بثقل هذا الاعتراف على جسدي."[99]

* جذور العنصرية اليهودية في التوراة

بدأ التأصيل للعنصرية والادعاء بتفوق الجنس اليهودي وسيادته لغيره من الأجناس منذ عصر مبكر جدا وتحديدا منذ عصر كتابة التوراة السبعينية على يد عزرا وأتباعه من الحاخامات الذي كتبوا الكثير من أسفار التوراة التي بين أيدي الناس في هذه الأيام، وقد بدأ الأمر بوصف لعنة كنعان – وهو حفيد نوح من ابنه حام وفق التوراة – وقد تم تشويه كنعان في التوراة منذ كتبت وتم زرع مبدأ العنصرية منذ بداية الخليقة حيث دعا نوح ربه أن يجعل نسله عبيداً لأبناء عمومته أبناء سام و يافث وفقا لأسفار

[99] مجلة العصور الجديدة العدد 8 السنة الأولى ص 293 مقالة هرتسوج بعنوان " التوراة لا إثباتات على الأرض" نقلا عن جريدة "هاآرتس" في 18 نوفمبر 1999

التوراة، غير أنه لا دليل إلا التوراة فقط على أن كنعان هو ابن حام بن نوح ، فالأمر قد تم وضعه بمكر كبير لتصوير كنعان – وهو الجد المفترض للكنعانيين – على أنه عبد لبني سام وبني يافث كما تقول التوراة ، بل وفيه إقصاء للكنعانيين خارج نسل سام بن نوح وبالتالي إقصائهم خارج أرض الشام بالكامل!!!.

فحام – وهو أبو الأفارقة وفقا للتوراة – وابنه المزعوم كنعان وقد كان له نصيب كبير من الإقصاء والتشويه حيث نسبت له التوراة أنه حام قد ترك والده نوح عليه السلام عاريا – وحاشا لله من ذلك – وأبصر عورته.

تقول التوراة في سفر التكوين:

وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا ، وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ .فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا ، فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ : مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ.

وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ ،لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ".سفر التكوين 9 - 20:27

وغني عن القول أن كل ما ورد في تلك الإصحاحات باطل بالمرة ولا يليق بمقام الأنبياء حيث نسبوا النقيصة والخطيئة لنوح عليه السلام وادعوا بأنه قد شرب الخمر وانكشفت عورته ليس لشيء إلا لوضع كنعان بن حام الذين اخترعوا له هذا النسب الخاطيء في خانة الملعونين وجعلوا خطيئة حام المفترضة زريعة للعنة كنعان ابنه المزعوم أيضا ، وهو الأمر الذي لا يليق بالعدالة الإلهية المتزهة عن كل نقيصة وعنصرية حيث لا تزر وازرة وزر أخرى ولا يتحمل الإبن كنعان – لو وجوده تاريخيا وصح نسبه – وزر أبيه حام.

إن تلك الذريعة واضحة التزوير والانحراف كانت من أهم مباديء العنصرية اليهودية ومن أهم مباديء تهويد الأرض حيث يترتب عليها اعتقاد قاريء العهد القديم أن كنعان – جد الكنعانيين الفلسطينيين- ملعون ويجب أن يكون عبدا لأبناء عمومته الساميين واليافثيين وهو إدعاء باطل كما ذكرنا ، بالإضافة فإن تلك الواقعة المخترعة

فيها إقصاء واضح لكنعان كجد مفترض للفلسطينيين وطرد نسله بالكامل خارج حدود أراضي سام بن نوح الواقعة في الشام والجزيرة العربية ، وهي معالم واضحة جدا وجلية في التهويد المبكر للأرض المقدسة.

* احتكار الأصل وتأصيل مبدأ "معاداة السامية" في التوراة وأثر ذلك في الحياة السياسية المعاصرة:

يبدو أن تكرار المزاعم دون كلل، وتأصيل المباديء العنصرية في الكتاب المقدس بتحريفه، والدعاية لتلك المزاعم تؤتي ثمارها في نهاية المطاف خاصة مع تغافل أهل الحقوق عن حقوقهم وتهاونهم في تاريخهم، فعلى مر الزمان أخذ اليهود يدعون بأنهم هم — وهم وحدهم دون سواهم - امتداد الساميين، وأن هؤلاء الساميون قد ظلموا وتعرضوا للاضطهاد عبر حقب مختلفة في التاريخ، وأنهم هم كيهود على وجه الخصوص قد ظلموا أكثر من غيرهم وأنهم تعرضوا للاضطهاد والحرمان والتشريد والطرد عبر أزمنة متباينة، وأنهم أقلية قابلة للانقراض والاندثار وأن هذا خطر على العالم أجمع، ومع تأثر الغرب بهذه الدعايات وإيمانهم المستمد من كتاب العهد القديم الذي يقرر بأن بني إسرائيل هم أصحاب الوعد والحق التاريخي في الأرض الموعودة، رضخ العالم لتأثير دعاياتهم ، وأقروهم على ادعائهم باستئثارهم بالأصل السامي دون غيرهم، بل ووصل تحكم اليهود وتوغلهم في أوروبا لدرجة أنهم استصدروا قوانين تجرم اضطهاد اليهود أو الإساءة إليهم أو المساس بهم تحت مسمى كاذب يدعى "قانون معاداة السامية".

وتجرم قوانين معاداة السامية أي جهة أو فرد يسيء إلى اليهود أو يحرض ضدهم ، أو حتى يحاول مجرد المحاولة أن ينكر تعرضهم للاضطهاد والمذابح وهذه القوانين سارية بالفعل في معظم دول أوروبا ويُعاقب بموجبها بين الحين والحين كاتبا أو مفكرا أو أديبا أو باحثا يحاول بشكل أو بآخر أن يبين الحقيقة ثم لا يلبث إلا وأن يعاقب بموجب هذه القوانين لاقترابه من التابو المحرم ، كما تستخدم تلك القوانين للضغط على الساسة

والرؤساء وأصحاب القرار وإجبارهم على انتهاج سياسات تخدم مصالح اليهود والصهاينة في كل مكان.

ولبيان الكذب على هذه الافتراءات والادعاءات الكاذبة أحيل القارئ إلى غير كتاب يفضح حقيقة صارخة غابت عن أذهان الناس لفترة طويلة ، ثم قام ببيانها المؤرخ المصري جمال حمدان رحمه الله والذي كان صاحب السبق في فضح أكذوبة أن اليهود الحاليين هم أحفاد بني إسرائيل الذين خرجوا من فلسطين خلال حقب ما قبل الميلاد ، حيث أثبت في كتابه" اليهود أنثروبولوجيا "الصادر في عام 1967 ، بالأدلة العملية أن اليهود المعاصرين الذين يدعون أنهم ينتمون إلى فلسطين ليسوا هم أحفاد بني إسرائيل الذين خرجوا من فلسطين قبل الميلاد ، وإنما ينتمي هؤلاء إلى إمبراطورية "الخزر التترية" التي قامت بين "بحر قزوين" و"البحر الأسود" ، واعتنقت اليهودية في القرن الثامن الميلادي ، وهو ما أكده بعد ذلك بعشر سنوات الكاتب الانجليزي الجنسية اليهودي الديانة آرثر كويستلر مؤلف كتاب القبيلة الثالثة عشرة الذي صدر عام 1976 ، والذي لم تشفع له يهوديته بتصنيفه من الكتّاب المعادين للسامية ، والذي فجر قنبلته المدوية في كتاب " القبيلة الثالثة عشر " ، والذي أثبت فيه أن غالبية اليهود الذين يعيشون اليوم في العالم وفي إسرائيل على وجه الخصوص لا ينتمون إلى أبناء يعقوب الاثنى عشر، بل إنهم ينحدرون من سلالات الخزر، وهي المملكة التي كانت في شرق أوروبا في العصور الوسطى قبل قضاء الروس عليها، وكان شعبها معتنقا للديانة اليهودية، وبعد قضاء الروس عليها تشتت شعبها في بلاد أوروبا وآسيا ومنهم نزح اليهود إلى إسرائيل فيما بعد.

وأما اليهود المنحدرين من أبناء يعقوب فهم قلة قليلة في العالم وغير معروفين على وجه التأكيد في أيامنا الحالية فقد انصهروا وذابوا في كل اليهود ، وأما من ظل منهم محتفظا بطابعه الشرقي فقد أصبح لزاما عليه أن يكون في مترلة أقل بين باقي اليهود رغم أن مثل هؤلاء – وفي الحقيقة – هم نسل يعقوب الحقيقيون - وبذلك يكون هؤلاء اليهود وشعب إسرائيل شعب غير سامي على الإطلاق وتنقطع الصلة تماما بينهم وبين بني إسرائيل الحقيقيون أبناء يعقوب، وتنهار بذلك أسطورة الشعب المختار.

وعلى ذلك تنتفي صفة السامية عن اليهود الذين يعيشون اليوم في فلسطين أو غيرها، ويكون العرب الحاليين أكثر سامية من اليهود الذين اخترعوا المسمى ثم احتكروه واغتصبوه وقصروه على أنفسهم وسلبوه من غيرهم لأغراضهم العنصرية الدنيئة.

وقد كان التمهيد لذلك في عهد مبكر جدا ربما في إحدى حقب ما قبل ميلاد السيد المسيح ، وبالتحديد في وقت كتابة التوراة، حيث حرص هؤلاء الكتاب على إبراز بني إسرائيل والتركيز على مبدأ الأحقية التاريخية المزعومة، كما حرصوا على سلب السكان الأصليين أي حق لهم في الأرض المقدسة، ثم ترسيخ مبدأ التفوق اليهودي ، والاصطفاء الإلهي والاختيار الرباني، وحتمية استيطان اليهود في أرض الميعاد ، حتى تصطبغ مطامعهم وأغراضهم في الأرض بالصبغة الإلهية المقدسة، ويكون ادعائهم نابعا من الإيمان بالكتاب المقدس ذاته، وشرطا على كل من يؤمن بالكتاب المقدس أن يؤمن بأحقية اليهود في أرض الميعاد، وياله من إيمان![100][101]

و لم يكتف اليهود بما وصلوا إليه فاخترعوا هذا المبدأ العجب العجاب استغباءا لكل عقلاء الأرض وهو موضوع الإتهام بالعداء للسامية .. طامعين فى استتراف البشر أينما حلوا استترافا فكريا ومعنويا وماديا، واستصدروا قانونا غبيا وافق عليه الكونجرس الأمريكى يسمى بالقانون العالمى لمعاداة السامية Global anti-Semitism Law، وصدر القانون باعتباره قانونا كونيا عالميا، وكأن أمريكا بهذا الشكل ودون تفويض

---

[100] يؤصل الأستاذ منصور عبد الحكيم في كتابه القبيلة الثالثة عشرة تحكم إسرائيل والعالم – ط دار الكتاب العربي، يؤصل لهذا لمفهوم أن يهود اليوم الذين يحكمون دولة إسرائيل ليسوا ساميين أى ليسوا من نسل يعقوب أو بمعنى آخر ليسوا من الأسباط الاثنى عشر أبناء يعقوب النبى وإخوة يوسف (عليه السلام) ولكنهم من يهود الخزر، وقام بالتعريف بقبائل بنى إسرائيل الاثنى عشر والفرق بين اليهود والعبرانيين والإسرائيليين وتعريف مملكة بنى إسرائيل الموحدة و(القبائل العشر) المفقودة بعد دمار مملكة السامرة اليهودية على يد الأشوريين قبل الميلاد،كما تطرق لموضوع قبيلة الخزر التي اعتنقت اليهودية وصارت القبيلة الثالثة عشرة أو اليهود الاشكناز وهم حكام إسرائيل اليوم، والتعريف بدولة الخزر ودورها التآمرى على العرب ثم نهايتها على يد الروس الجدد وتشتتهم فى أوربا ثم تآمرهم على العالم بالتحالف مع المسيح الدجال واحتلالهم أرض فلسطين كما هو واقع اليوم .

[101] راجع أيضاكتاب "الخزر لا بنو اسرائيل – للاستاذ غسان عاطف بدران وهو يتحدث عن نفس الموضوع.

من أحد جعلت من نفسها وصيا على أقدار الكون وسكانه، فظهرت مكشوفة بقبح وجهها كحارس فاسق للنظام العالمى يشكله بإرادته المنفردة لصالح الصهاينة وأطماعهم.

فما كان من بوش رئيس البيت الأبيض الصهيونى تلبية لرغبة الكونجرس الأمريكى إلا أن وقع القانون العالمى لمعاداة السامية فى 16 أكتوبر عام 2004 ، وقال : " لقد وقعت القانون الذى يُلزم حكومة الولايات المتحدة بمراقبة وتسجيل كل نشاط معاد للسامية فى جميع أنحاء العالم ، وتسجيل الإجراءات التى تم اتخاذها تجاه ذلك النشاط ".

وأصبح بموجب القانون المذكور مجرد التفكير بطريقة معادية لتصرفات دولة إسرائيل أن يُتهم الشخص بمعاداة السامية .. وإذا تجرأ هذا الشخص فعرض أدلة تنفى مزاعم الصهيونية فى بعض أساطيرها كأسطورة المحرقة التى كان يحرق فيها هتلر النازى يهود ألمانيا والتى يسميها اليهود الهولوكوست ، فالويل له من الحكومة الأمريكية وحكومات الغرب!!! .[102]

وقد أصبحنا للأسف – بموجب هذا القانون الغبى – عاجزين فى بلادنا حتى على مجرد التعليق على خرافات مثل خرافات شارون رئيس إسرائيل الحالى .. فقد قال شارون (على سبيل المثال) فى حوار له مع واحد من العجزة المصريين (منشورا فى جريدة الأهرام المصرية عدد 19 فبراير 2005) : أن أمه وأبيه قد علماه منذ صغره أن هناك فارقا بين الحقوق على الأرض والحقوق فى الأرض ، وأن كل الحقوق على أرض فلسطين هى حقوق يهودية ، ولكن الحقوق فى الأرض هى حقوق كل من يعيش عليها ... وأن بابا الفاتيكان الكاثوليكى (الذى لاحيلة له) قال له عندما زاره عام 2000 أن أرض فلسطين موعودة فقط لليهود .. ويعلق شارون فى حواره مع محاورنا العاجز بجريدة الأهرام " وهذا هو الفارق بين الأرض المقدسة والأرض الموعودة " – باعتبار أن الأرض وإن كانت موعودة لليهود فقط ، إلا أنها مقدسة لليهود والمسيحيين والمسلمين . وكانت مصادر شارون فى تخريفاته هى : مقولة أبيه وأمه ، ومقولة بابا الفاتيكان له عندما زاره وهو وزير لخارجية إسرائيل عام 2000 .. !!! .. وهى

---

[102] هذا بيان للناس – بنو إسرائيل واليهود والحركة الصهيونية – عاطف هلال – بحث على الشبكة المعلوماتية.

تخريفات لاسند لها فى التاريخ أو الجغرافيا أو القانون أو حتى فى أساطير اليونان القديمة. وهى - أى تلك التخريفات - ليست أكثر من صورة مضللة استغبائية يتم تحويلها بمنطق الهيمنة والقوة والجبروت من خرافات إلى حقائق فى خيالات الضعفاء والمتخاذلين .

والعجب والغرابة والإستغباء فى شأن الإتهام بالعداء للسامية .. هو أن يتبنى الشعب الأمريكى ممثلا فى مجلس نوابه وشيوخه وحكومته هذا الإتهام .. وليس لى تعليق فى شأن هذا الإتهام التخريفى المختلق سوى ماكتبته قبل ذلك على صفحة من صفحات منتدى أبناء مصر كما يلى :

إن الاتهام التخريفى بالعداء للسامية .. لايعنى أبدا العداء للجنس للسامى .. فأين هو الجنس السامى أصلا لكى يعاديه الناس أو البعض منهم .. أين هو هذا الجنس بعد أن اختلطت أجناس الأرض جميعا وخاصة فى المنطقة العربية وشمال أفريقيا وشرق وغرب أوروبا ، نتيجة للهجرات الجماعية ونتيجة للحروب والغزوات المصحوبة باغتصاب النساء وأسر الرجال ، ونتيجة لتزاوج الحضارات بالمنطقة وكثرة الترحال عبر تاريخ المنطقة الطويل .

واليهود بصفة خاصة بعيدون كل البعد تاريخيا وأنثروبولوجيا عن أسطورة نقاء الجنس .. فقد نشأوا فى مصر كقوم "بنى إسرائيل" .. ثم حكم الله عليهم بعد ذلك بالشتات والتوهان والذوبان فى جميع أنحاء الأرض ، وذلك بدءا بالشتات البابلى ومرورا بالشتات الهللينى ثم الشتات الرومانى ثم الشتات الوسيط وانتهاءاً بالشتات الحديث .. وتعرضوا للتنصير الإجبارى عندما كانت تتحكم الكنيسة الكاثوليكية فى أقدار أوروبا فى عصور ظلامها .. وأصبح يهود اليوم بعد تاريخ شتاتهم وذوبانهم الطويل لاتربطهم أى علاقة بيهود التوراة الذى حكم الله عليهم بالتيه أربعين عاما بأرض سيناء عقابا لضلالهم وكفرهم . ولايستطيع أن يثبت علماء الأنثروبولوجيا أى علاقة بين يهود اليوم — يهود القرن الواحد والعشرين بعد الميلاد — وبين يهود "بنى إسرائيل" القرن العشرين قبل الميلاد .. ولسنا نحن عرب اليوم — كما يدعى بعض ملوكنا ورؤسائنا — "أبناء عمومة " مع صهاينة اليوم الكلاب .

وليس يهود اليوم ومنذ تم إطلاق لفظ "اليهود" عليهم تاريخيا أينما كانوا هم النسل المباشر لبنى إسرائيل التوراة .. صحيح هم طائفة دينية واحدة ولكنهم ليسوا مجموعة جنسية واحدة أو حتى يمثلون قومية تاريخية واحدة .. فكيف يستغبينا هؤلاء الفسقة الصهاينة بدعاوى مضللة مثل قضية النقاوة الجنسية .. وهذا الإستغباء قد تم اصطناعه لأغبياء وضعفاء العالم ومنافقيه من منطق المنفعة والسيطرة والجبروت ، ولا لشيء إلا ليخلصون منه إلى تدعيم أسطورتهم عن "الشعب المختار" التى اصطنعوها كما اصطنعوا تاريخهم المزيف كله ومعه عقيدتهم المحرفة فى شكلها الجديد .

وكيف يكون اليهود جنسا نقيا ومنهم من هو أسود من الحبشة وأسمر من أرض مصرية أو غيرها وأشقر وأبيض .. وأين هو النقاء الجنسى وهم على عدة أنماط مختلفة فى الطول والقصر وشكل الجباه والأنوف وألوان العين والشعر ومقاييس الرأس .. إذن فهم يمثلون أكثر من نوع ونمط جنسى ويتألفون من دماء مختلطة أفسدها حقدهم الموروث على العالم وكراهتهم للأمن والسلام لشعوب الأرض الآمنة .

نظرية نقاوة الجنس عند يهود اليوم هى نظرية انتهازية ومغرضة ومضللة .. اصطنعتها الصهيونية العالمية لكى تتاجر بها على العالم وتمهد بها لتحقيق اغتصاب فلسطين وإنشاء دولتهم على أرضها .. ويدعمون تلك النظرية دائما بحكاوى الإضطهاد ضمانا لاستمرار دعم دولتهم وبقائها ، وضمانا لإستنزاف الغرب بالتعويضات ..وعن حكاوى الاضطهاد التى يصطنعونها نتساءل : من هو الذى اضطهدهم تاريخيا ؟! - فى مملكة سليمان على سبيل المثال حين انقسمت على أهلها أشطارا ، ومن هو الذى اضطهدهم يوم تمردوا على كل نبى من أنبيائهم ، ومن هو الذى اضطهدهم فجعلهم ينتقلون من شتات إلى شتات آخر عبر التاريخ كله - إلا أن تكون العلة فيهم وليست فى غيرهم ، حيث كانت ومازالت آفتهم الكامنة فيهم أنهم كائن ممسوخ اجتماعيا ونفسيا وفى حالة عداء واشتباك مستمر مع العالم كله ، وأصبح كل علاج لهذا الكائن ميئوس من جدواه ، مالم يغلبه العالم على طبعه ويُخضِعه لأمره، أو أن يَخضع العالم كله وبرمته لشيطانه وعبثه الكريه ... !!

وبعد أن سيطر اليهود وعبثوا بمراكز صنع القرار بالولايات المتحدة الأمريكية .. فرضت الأخيرة على العالم كله المغالطة الكبرى بعنوان "العداء للسامية" .. عندما أطلقت مصطلح "العداء للسامية " بديلا عن مصطلح "العداء لإسرائيل والصهيونية" .. وقد وصل حد استغبائها للعالم وفرض تخريفها عليه إلى حد اتهام أى شخص بالعداء للسامية ، إذا لم يقبل أو يقتنع بأسطورة المحرقة الهتلرية (الهولوكوست) ، أو بخرافة غرف الغاز الهتلرية .. التى تستخدمها الحركة الصهيونية لإبتزاز الدعم المادى والمعنوى الأوروبى ... وبهذا الشكل أصبحت تهمة "العداء للسامية" جزءا من لعبة التضليل الكبرى التى تلعبها أمريكا الصهيونية .. !!! .[103]

* خطاب الكراهية والتشنيع اليهودي على مصر وبث الكراهية ضـــد المصـــريين والفلسطينيين

أصلت التوراة المكتوبة بأيدي اليهود الصهاينة القدماء للكره ضد المصريين والفلسطينيين بطريقة خبيثة جدا وماكرة ومنذ وقت مبكر جدا ، فالمصريين القدماء والكنعانيين وفقا لنص التوراة من أبناء حام وهو ما يخالف حقيقة أن الكنعانيين ساميين بل ويشتركون معهم في الأصل أيضا !

يقول دكتور مصطفى محمود " ويترل لعنته على حام وأولاده من بعده، لأنه نظر إلى عورة أبيه نوح الذي تعرى في خبائه. نظرة طفل إلى عورة أبيه أمر لا يغتفر.. ويستحق اللعنة إلى يوم الدين"، كما يقول الدكتور مصطفى محمود أيضا".. فلما تيقظ الأب وعلم بالأمر دعا باللعنة على حام ونسله من الكنعانيين. يكونون عبيدًا لسام مدى الدهر.. (والغرض السياسي هنا واضح بالنسبة لليهودي الذي كتب هذا الكلام فهو يدعو على أبناء حام وهم الفلسطينيون والمصريون بأن يكونوا عبيدًا للساميين اليهود وتحت حكمهم مدى الدهر).. هل هذا الفعل من ولد صغير.. يستحق من الأب هذه اللعنة عليه وعلى أحفاده ونسله بأن يكون الكل عبيدًا مستعبدين له ولأولاده مدى الدهر".

---

[103] عاطف هلال – هذا بلاغ للناس

وأيضًا يقول الدكتور مصطفى محمود " لا تذكر مصر في التوراة إلاّ ويهددها رب إسرائيل بالويل والثبور وعظائم الأمور، وتكاد تكون التوراة منشورًا سياسيًا ضد مصر. من أيام نوح وبدون سبب واضح يلعن نوح أبناء ولده حام (وهم الفلسطينيون والمصريون من وجهة النظر التوراتية) ، ويدعو عليهم بأن يكونوا عبيدًا لنسل ابنه الآخر المحبوب سام (وهم اليهود) ومستعبدين لهم مدى الدهر.. ولكن الذي يقرأ التوراة كلها يكتشف أن الحكاية ليست حكاية نوح وإنما هناك ثأر قديم وحقد دفين بين شعب إسرائيل وأرض مصر منذ أيام المصريين القدماء.. وكان مفهومًا بعد أن بعث الرب موسى وهارون إلى فرعون، وقضي على مصر بآيات مدمرة مهلكة.. كان المفروض بعد هذه النكبات التي ثأر بها الرب لشعبه من مصر، أن ينتهي الحقد، وينتهي الثأر، ولكن قارئ التوراة يكتشف العكس.. يكتشف أن شعب إسرائيل قد حمل حقده معه، ووضع ثأره بين عينيه، ولم يكفه ما أنزله الرب بمصر من نكبات.. وبطول التوراة وعرضها لا يأتي ذكر مصر إلاّ ومعه لعنة أو وعيد أو تهديد أو نبوءة بالدمار والخراب..".

ويقول " ليوتاكسل".. " وهكذا نزلت اللعنة على كنعان الشاب الذي لم يقترف أي إساءة بحق جده. فهل كان العجوز (نوح) لا يزال تحت تأثير الخمر لما نطق بلعنته؟ ومع ذلك قد كرسها يهوه".

ويقول الأب سهيل قاشا " إن العبرانيين قد أدخلوا هذا الفصل في القصة لتبرير امتلاكهم لأرض كنعان وطردهم أهلها الذين لعنهم يهوه بسبب رؤية أبيهم كنعان لصورة أبيه".

هكذا حرضت التوراة ضد مصر والمصريين كما حرضت على الكنعانيين والعماليق سواءاً بسواء ، وهكذا طردت الكنعانيين من أرضهم التاريخية ونسبتهم إلى أرض حام في أفريقيا بينما الطبيعي والمنطقي أن تكون أرضهم في أرض سام أي في آسيا الغربية وتحديدا في الشام في أرض فلسطين.

هكذا رسم اليهود خيوط العداوة منذ البداية وفي عصر مبكر كما نرى ، فالمصريون أعداء والكنعانيون محتلين لأرض بني إسرائيل التاريخية وينبغي من وجهة

النظر اليهودية بل والمسيحية أيضا وفقا لما يروج في أوروبا وبلاد الغرب طردهم خارج تلك الأرض وتحريرها منهم مهما كان الثمن.

أما أرض المصريين فوفقا لنفس وجهة النظر اليهودية ينبغي استرداد الجزء الشرقي منها والذي يضم سيناء وشرق الدلتا لتنضم وفقا لتلك الجغرافيا المجرمة إلى أرض إسرائيل الكبرى ، ومن يعارض ذلك فمصيره القتل أو الفناء أو التدمير بنص الكتاب المقدس – الذي رأينا كيف كان منحولا ومختلقا إلى أبعد حد – وهو المصير الذي ينتظره كما وقع لفرعون وقومه وفقا لفكرهم الإجرامي!!!.

أكاذيب تتعلق بالحقوق التاريخية:

* ادعاء اليهود بأحقيتهم في أرض فلسطين:

ملأ اليهود والصهاينة صفحات الكتب والجرائد وشاشات التلفاز والسينما بكل ما يدعون به أحقيتهم في أرض فلسطين زورا وكذبا وبهتانا ، بل وحرفوا كتابهم وتاريخهم واختلقوه منذ زمن مبكر جدا وهو زمان عزار والسبعين حاخام ، ونسبوا إبراهيم عليه السلام لليهودية وجعلوه أباهم الأكبر وجعلوا أنفسهم أحفاده الطبيعيين الأحق بوراثة العهد والأرض ، وجردوا الفلسطينيين من هويتهم ونسبهم وأصلهم وجعلوهم دخلاء بنص الكتاب المقدس وصوروا لكل الأمم أنهم يحررون أرضهم من الاستعمار الفلسطيني لأرضهم التاريخية الموعودة !!!

والقضية من أولها وآخرها باطلة ، فلا هم – كيهود معاصرين – من نسل يعقوب ولا من تبقى منهم من نسل يعقوب له أي أحقية في الأرض المقدسة التي حرمها الله عليهم وكتب عليهم الشتات في الأرض ، ولا حقوق تاريخية أو دينية لهم في تلك الأرض بنص كتابهم نفسه.

لقد نجحوا في إضفاء القدسية على ادعائاتهم الكاذبة حين لفقوا وحرفوا التوراة ، لكنهم لن ينجحوا رغم ذلك في الحفاظ على اغتصابهم للأرض ، وسيأتي اليوم الذي تتحرر فيه تلك الأرض المباركة من ظلمهم وعدوانهم وذلك وعد حقيقي يعلو فوق الوعد الكاذب الذي ينسبونه لأنفسهم كوارثين لميراث أبراهيم عليه السلام والذي لا يمتون له بأي صلة.

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ سورة الإسراء

وهذا يعني أن خروج اليهود من الأرض المقدسة هو أمر حتمي ومسألة وقت ليس أكثر وسوف تعود الأرض المقدسة لأيادي المسلمين وتتحرر من رجس اليهود المزورين وسوف تنكشف مزاعمهم بأحقية الأرض ولا بد ، وهذه عقيدة حتمية يجب أن يؤمن بها كل مسلم يصدق في كتاب الله عز وجل.

ويرجح المؤرخون أن أول من سكن فلسطين هم الكنعانيون، وهي القبائل العربية السامية التي نزحت من الجزيرة العربية (الساحل الغربي للخليج العربي)، وتمركزت في فلسطين، فدعيت هذه الأرض باسم (أرض كنعان)، ليكون بذلك أول اسم تحمله فلسطين . وبقيت للكنعانيين السيادة ما يقرب من ألف وخمسمائة سنة، أي من 2500 ق.م إلى نحو 1000 ق.م، حين تمكن اليهود من إعلان مملكتهم.

ولعل فلسطين أقدم بقاع الأرض التي عرفت التوحيد، عندما هاجر إليها سيدنا إبراهيم (عليه السلام) قادما من العراق في حوالي القرن التاسع عشر ق.م، ومعه زوجته سارة وابن أخيه لوط وغيرهم ليعمل على نشر دعوته، وهي الدعوة الحنفية السمحة، كما جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ {آل عمران: 67}.

ويذهب المؤرخون إلى أن بني إسرائيل كانوا أدنى حضارة ورقياً من الكنعانيين وأنهم اقتبسوا من هؤلاء الكثير من حضارتهم وثقافتهم وآدابهم وطقوسهم، وأن ما شيد في عهد اليهود من قصور وهياكل إنما تم بمساعدة الفينيقيين.

ويبقى التأكيد، على أن اليهود الحاليين ليسوا عنصراً متجانساً، وبالتالي فإن الحنين الصهيوني إلى فلسطين وحق اليهود في العودة إلى صهيون (القدس) -كما سيظهر معنا

لاحقاً- إنما هو خرافة ووهم، فضلاً عن أن عرب فلسطين هم السكان الشرعيون للبلاد منذ أقدم الأزمان، قبل ظهور اليهود فيها وبعد رحيلهم عنها بإذن الله.

جهود مبتكرة فى التهويد للتاريخ والأرض والتراث:

*** اليهود يحاولون إثبات أن ملوك المصريين من بني إسرائيل بتحليل مزيف للحمض النووي DNA :**

يستخدم اليهود والصهاينة حاليا وسائل حديثة ومبتكرة لصنع بروباجندا كاذبة لإظهارها في صورة علمية حديثة ويُروج لتلك العملية على أنها انجاز علمي هام واكتشاف جديد يهز الأوساط العلمية ، والحقيقة انه يمثل خطرا شديدا لأنه منذ سنوات قليلة تم افتتاح معمل لاجراء تحاليل علي المومياوات المصرية وسط اجراء تحليل ال D.N.A للمومياوات الملكية لملوك مصر القديمة يمكن أن تكلفنا الكثير أمام الادعاءات والاكاذيب الصهيونية حول التشكيك في أصولها المصرية القديمة .. فالتحاليل تحمل «ظاهريا» صفة العلم مما يعطي لها مصداقية يصعب التصدي لها وتكذيبها رغم عدم دقة نتائجها بل وتأكيد العلماء أن نسبة الاخطاء المحتملة بها تصل إلي 40%!.. إن أمامنا أمثلة كثيرة لهذه الافتراءات بل وصل الأمر إلي رسم تصور خيالي لمومياء توت عنخ أمون لتظهر بشكل وملامح إنسان غربي وهو ماعرضه موقع «الناشينوال جغرافيك» وهو الموقع الأمريكي الذي يحتكر الإعلام الواسع عن الحضارة المصرية القديمة.. فماذا عن هذه المخاطر؟؟؟؟

بداية نشير إلي أن ملوك الأسرة 18 أهم الملوك المصريين الذين يحاول اليهود التشكيك في أصولهم المصرية والادعاء بأن أصولهم عبرانية يهودية: أحمس - امنحتب الأول - تحتمس الأول والثاني - حتشبسوت - تحتمس الثالث - امنحتب الثاني والثالث - امنحتب الرابع «اخناتون» - توت عنخ أمون - سامنخ - كاو رع - آي- حور محب.

وهي أسرة تركت حضارة متميزة من بناء ومعمار يتمثل في معابد رائعة «أمنحتب» ومن كنوز خلبت أنظار العالم مثل كنوز توت عنخ أمون حتي صار الإعلان عن جنون أو «فوبيا» كنوز توت عنخ أمون أشهر قناع ذهبي في العالم أو معالم دينية مثل ماتركه أمنحتب الرابع «إخناتون» والزعم بارتباطه بسيدنا موسى عليه السلام بصورة أخرى..

أما عن تعرض المومياوات الملكية للفحص والتحليل فقد سبق انتقاد الموافقات الممنوحة للأثريين الأجانب خاصة الأمريكان بالحصول علي عينات D.N.A معظمها في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، حيث حصل الأمين العام للمجلس الأعلي للآثار «وقتذاك» علي موافقة اللجنة الدائمة للآثار بصحبة التليفزيون الياباني للحصول علي عينة من مومياء توت عنخ أمون وامنحتب الثالث وقد تم ايقاف هذا المشروع قبل حدوثه مباشرة أي قبل دخولهم مقبرة توت عنخ أمون وهو مايحمل تدخل أجهزة أمن قومي لايقاف هذا العبث والخطر...

وحدث عام 1996 أن صرح لجامعة «يوتا» المعروفة بميولها الدينية إذ يعتقدون انهم عاشوا في مصر منذ ثلاث آلاف سنة وهي ديانة تسمي «مورمنز» وحصلوا علي عينات من عشرة مومياوات ملكية؟؟؟؟؟

أما عن تبرير البعض لهذه التحاليل بأنها تكشف عن احداث تاريخية فهور تبرير غير مقنع ولا يستحق المخاطرة، إذ من الممكن معرفة الاحداث التاريخية بدون استخدام هذه التحاليل.. وبالطبع تشمل المخاطر تلف المومياوات من ناحية وفتح السبيل للادعاءات الصهيونية بأن جينات المومياء يهودية ولو أعلنوا عن ذلك في وقت لاحق!!! إن هناك خشية من المخاطرة باستخدام تحاليل D.N.A وعلي سبيل المثال من واقع الفيلم التسجيلي لتوت عنخ أمون يدخل جهاز رقيق «مسبار» طوله 50 سم داخل المومياء..

وحول كيفية تهويد المومياوات المصرية، كشف صالح أن المومياوات الملكية المصرية كانت حقلا في إثبات صحة التوراة الإسرائيلية برغم ما يمثل ذلك من خطورة علي الأمن القومي المصري من معرفة الجينات المصرية القديمة ومقارنتها بالجينات الحديثة، مما يعد خطرا في السيطرة علي حرب مستقبلية في الجينات ،وبدراسة هذه المومياوات

أرادوا أن يثبتوا حقيقة التوراة وحقيقة الأراضي التوراتية،ونشروا فكرة أسطورة "الجنس القوقازي" للملوك المصريين وأسطورة توحيد الملوك المصريين القدماء مع الشخصيات التي وردت في التوراة، وحاولوا أن يجدوا "فرعون" الاضطهاد الوهمي و"فرعون" الخروج ، كانت مومياوات رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح هدفا من أهم أهدافهم،برغم انه لم يتأكد من أن هذين الملكين مصريين الجنسية.

وأشار إلى أنه تم العبث كذلك في الأصول التاريخية المصرية ، فشكلت نظرية جديدة تسمي "نظرية التأريخ المصري الجديدة" وقام أنصارها بحذف أربعة قرون كاملة من التاريخ المصري القديم من أجل أهداف صهيونية، وأشاروا الى أن بناء الحضارة المصرية قامت علي أكتاف غير مصرية، واختاروا الهرم الأكبر للبحث عن الغرفة السرية التي تضم وثائق هؤلاء الغرباء الذين بنوا الحضارة في مصر.

* الهيكل..عقيدة صهيونية وممارسة عملية:

عندما قامت الدولة اليهودية، نشطت الحركة الصهيونية في ترويج مسألة الهيكل لليهود من خلال جعله شعاراً رسميًّا للدولة اليهودية (نجمة داود)، وتأويل نصوص توراتية وتلمودية لكي تتواءم ومقتضيات هذه المسألة، وتجنيد الطاقات والإمكانات المادية والبشرية الهائلة، للبدء في مرحلة البحث عن الهيكل وأنقاضه، فأنشئت مراكز الأبحاث الخاصة بذلك، وأقيمت الدراسات المختلفة المتعلقة بمكان وشكل وتصاميم الهيكل.

وعلى الصعيد العملي، فقد قامت العصابات الصهيونية وبدعم حكومي بعمل عشرات الحفريات تحت أسوار وساحات المسجد الأقصى، في الوقت الذي كانت فيه مجموعة هندسية أخرى تشيد هيكلاً جديداً في منطقة وادي عربة مشابهاً للهيكل القديم، وهي بانتظـار اللحظـة المناسبة لنقله وتثبيت أركانه على أنقاض المسجد الأقصى- حسب مصادر صحفية - وعلى الصعيد العملي أيضاً، فقد نشطت عشرات المنظمات المتطرفة والتي تحمل أسماء ذات علاقة بالهيكل المزعوم، في التآمر على المسجد الأقصى وترويع المصلين المسلمين فيه، وكثير هي الحالات التي تم فيها ارتكاب الاعتداء

تلو الآخر، والمجزرة تلو الأخرى على ساحات المسجد وداخل أسواره، ومن أشهر هذه المنظمات:

- جماعة (غوش إيمونيم): ومعناها كتلة الإيمان وتطلق على نفسها حركة التجديد الصهيوني، ومؤسسها موشي ليفنغر.
- منظمة (يشيفات أتريت كوهانين): أي (التاج الكهنوتي)، ومؤسسها الحاخام إبراهام يتسحاق كول.
- حركة الاستيلاء على الأقصى. منظمة (سيودس شيسون): وتظهر بشكل جمعية خيرية تدعمها وزارتي المعارف والدفاع الصهيونيتين.
- مجموعة (أل هار هاشم): ومعناها (إلى جبل الله).
- جماعة (أمناء الهيكل)
- مؤسسة (الهيكل المقدس).
- حركة (إعادة التاج لما كان عليه).
- مجموعة (حشمونائيم).
- حركة (أمنا): أي الأمانة أو الميثاق.
- حركة (كاخ).
- جمعية صندوق جبل الهيكل.
- حركة "الموالون لساحة المعبد."

إضافة إلى العشرات من الحركات والمنظمات السرية والعلنية الأخرى.. أما من الناحية التاريخية فيعد من أشهر الكذبات اليهودية تلك الكذبة التي تزعم أن حتشبسوت نقلت طراز معبدها من معبد النبي سليمان بأورشليم رغم أنها سبقته ب500عام!!!

* الحفريات:

لأهمية الموضوع، لا بد من التعرض للحظة للحفريات الصهيونية المستمرة في منطقة المسجد الأقصى، بحثاً عن آثار الهيكل المزعوم، وفي هذه المسألة موضوعان:

هيكل سليمان عليه السلام: ويعتقد اليهود أنه مكان المسجد الأقصى المبارك وهو اعتماد لا أصل له لأسباب جمة، على رأسها أن مساحته -وفق تقديرات مهندسيهم- تفوق موقع المسجد الأقصى. وثانيها أن لا أثر صغير أو كبير للهيكل في مكان المسجد، وهو اعتراف المسؤولة عن الحفريات الصهيونية في المكان "إيلات مازار" المتخصصة بالبحث عن الهيكل بقولها: "إننا لا نعرف عن مكان الهيكل شيئاً و لم نصل إلى ذلك بتاتاً."

وسبب آخر؛ أن الحفريات لم تقتصر على البحث عنه في حفرية واحدة أو اثنتين، بل تعدّدت لتبلغ أكثر من خمسة وستين حفرية في المدينة منذ العام 1967م، وقد عرض معظمها "دان باهط" في أطلسه عن القدس مع تواريخها.

أما الموضوع الثاني، فهو الحفريات ذاتها، وهي نوعان: الأول ظاهر للناس عامة والثاني خفي عنهم . أما الظاهر فهو النفق الذي افتتح في شهر أيلول من العام 1996م، والواقع تحت سور المسجد الأقصى الغربي، وعلى امتداد بدايته من ساحة حائط البراق وهو ما يدعوه اليهود بالحائط الغربي لهيكل سليمان الذي لا دلالة ظاهرة عليه، وينتهي شمالي مئذنة الغوانمة في طريق المجاهدين المسماة بـــ (طريق الآلام).

وأما الحفريات الخفية -على ما يبدو- فهي أوسع رقعة، ولا تقل عن الأولى خطراً، بل تزيدها، وهي تحت ساحات المسجد الأقصى من الغرب إلى الشرق، وأخرى باتجاه مبنى المسجد الأقصى وأخرى باتجاه قبة الصخرة، وهذه الحفريات لها آثار مادية ومعنوية على المسجدين وساحاتهما وعلى روادهما من المصلين المسلمين.

* بطلان عقيدة الهيكل:

وأخيراً، وبناءً على ما سبق، فإن الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام في بيت المقدس، لم يكن لليهود باعتبارهم يهوداً، ولم يبنه سليمان لهدف عنصري أو طائفي أو قومي .. إنما لعبادة الله وطاعته. وهذا معناه أن الإسلام بمعناه الخاص الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الوارث لحكم سليمان عليه السلام، لأن هدف محمد صلى الله عليه وسلم أن يسلم معه الناس لله رب العالمين.

ورث المسلمون فلسطين وحققوا الهدف السابق لسليمان(عليه السلام)، في إسلام الناس معهم لله رب العالمين، وشيدوا المساجد لتحقيق هذا الهدف، وبنوا المسجد الأقصى في بيت المقدس لتحقيق ذلك، فكان المسجد بيتاً لله، يسلم فيه الناس لله، كما كان هيكل سليمان بيتاً إسلامياً يسلم فيه الناس لله .

فلا حق لليهود في سليمان، ولا في فترة حكمه، ولا في هيكله، ونحن المسلمون الوارثون له..

وأما الادعاء اليهودي بأن الهيكل قبل الأقصى، وأن المسلمين هم المعتدون، لأنهم بنوا المسجد الأقصى مكان الهيكل، وأن اليهود الآن يريدون إعادة الحق إلى نصابه، فإنه لمن الأكيد أن هذه إشاعات وأكاذيب باطلة.. فقد أخبرنا الله أن الأقصى بني قبل الهيكل باعتباره ثاني مسجد بني في الأرض كما قال الرسول عليه السلام في الحديث الشريف. كما أن بين إبراهيم عليه السلام باني الأقصى وسليمان عليه السلام باني الهيكل مئات السنين، وتخبرنا التقريرات الصادقة أن الوجود الإسلامي على أرض فلسطين أسبق زمنياً من الوجود اليهودي، فلا حق ولا ملكية لكل ما يفترون.

أعمال فنية تغير الحقائق التاريخية وأخرى تروج للمزاعم اليهودية وتوثق للكذب:

وقد سبق لنا ذكر تلك الأعمال في نهاية الفصل السابق وسوف نتحدث هنا عن أهم وأشهر تلك الأعمال ومنها :

فيلم الوصايا العشرة وأثره في ترسيخ الأكاذيب اليهودية

يعد فيلم الوصايا العشرة The Ten Commandments النسخة القديمة الصامتة أول عمل درامي يحكي قصة حياة موسى النبي وخروج شعب إسرائيل من مصر تم إنتاجه عام 1923 وكان من إخراج سيسيل بي. ديميل وبطولة تيودور روبرتس في دور موسى النبي.

وتم إعادة إنتاج الفيلم مرة أخرى عام 1956 بالألوان أخرجه أيضاً ديميل وكان من بطولة شارلتون هيستون وكان مقتبسا عن رواية Pillar of Fire للكاتب جي. إتش.إنغرهام ورواية On Eagle's Wing ، مدة الفيلم حوالي4 ساعات، العديد من النصوص في الفيلم والحوار مأخوذة من سفر الخروج في الكتاب المقدس وذلك مع وجود بعض الاختلافات كإضافة شخصيات أو أحداث وحوارات. وتم تصوير الفيلم في مصر في الأقصر وأبو رواش وأبو رديس وبني سويف، كما تم تصويره في مدينة جوادالبي في كاليفورنيا.

وقد تم إنتاج فيلم رسوم متحركة يحمل نفس الاسم أيضا في 2007 بالإضافة إلى بعض المسلسلات أو الأفلام التي تحمل نفس الاسم أو أسماء مشابهة.

ويكرس الفيلم لنفس الأفكار اليهودية النمطية التي ظل اليهود يرددونها من حيث اتهام رمسيس الثاني بأنه فرعون الاضطهاد وأن ابنه مرنبتاح هو فرعون الخروج وفقا للمعتقدات اليهودية التي يتم ترويجها منذ فترة ليست بالوجيزة ، والفيلم مع شهرته وشهرة كل الأعمال المشابهة غني عن التعريف لا يستحق مزيد من التعليق منا على أحداثه فقد قمنا بالرد على كل تلك الادعاءات في فصول الكتاب الحالي وأبرزها بطلان نظرية "فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج" التي يرتكز عليها الفيلم والتي ترسخ لكل تلك الأكاذيب اليهودية المنتشرة.





مشاهد من فيلم الوصايا العشرة



مشهد آخر من الفيلم

*** الفيلم الوثائقي : حل شفرة الخروج ... فيلم جديد وتزوير جديد**

فى عام 2006 قام مخرج أفلام يهودى كندى اسمه "سيمشا جاكوبوفيتشي Simcha Jacobovici بعمل فيلم بعنوان The Exodus Decoded "فك شفرة الخروج " ليخرج بنظرية جديدة عن خروج اليهود من مصر القديمة. ما لفت انتباه المخرج أو الباحث أن قدماء المصريين لم يقوموا بتسجيل "أحداث" أو "انتفاضة" أو "ثورة" اليهود على رمسيس الثانى حسب الرواية التوراتية وتفسيرها اليهودي. كيف يغفل المصريون القدماء عن تسجيل حدث جلل كهذا وهم الذين كانوا لا يفوتون فرصة عن تسجيل سعادة الملك بمذاق الحلبسة على جدران المعابد؟[104]

والفيلم عبارة عن دوكيودراما من إنتاج جايمس كاميرون صانع أفلام تيتانيك وافاتار..يتناول صناع الفيلم نظرية جديدة وهى أنه لم يصلنا من المصريين القدماء اى شئ عن خروج اليهود من مصر بينما تتحدث برديات عن طرد أحمس لمن يسمون

---

[104] جزء من الفقرة منقول من مقال بعنوان : زغلول نجار يهودى – عزت أمين – 19 مايو 2014

"بالهكسوس"...الفيلم طريقة سرده رائعة وبه تفسير علمى للعنات العشر التى اصابت مصر كما وردت فى التوراة بما فيهم شق البحر ومقتل أول طفل ذكر..الفيلم به اول صورة عن تابوت العهد والمكان الذى تلا فيه موسى عليه السلام الوصايا العشر على بنى اسرائيل وهو مكان لا يمت بصلة لجبل موسى المتعارف عليه الآن..أنصح ان تشاهده بشدة لأن به معلومات قد تفيدك والأهم إذا كنت مهتما بصناعة الأفلام .. ها هو فيلم يثبت أن الأفلام التسجيلية ليست مملة على الاطلاق رغم كم التزوير والافتراء الفادح الذي يطفح به العمل بأكمله.

ومن خلال أحداث الفيلم الذى أعتبره من أروع الافلام الوثائقية من ناحية التكنيك والتشويق نذهب مع المخرج فى رحلة طويلة فى متاحف مصر واليونان. طبعاً فى اليونان كان يصور المعروضات فى الفتارين أما فى المتحف المصرى فاضطر للترول فى المخازن للبحث عن مومياء أحد الملوك المصرية. أنا متأكد أن فكرة أن يذهب أحد الباحثين إلى المتحف المصرى ويسأل عن ملك مصرى فينادى أحدهم على أمين المخازن لمعرفة مكان الملك أصابت صناع الفيلم بالدهشة.الفيلم يحمل نكهة يهودية واضحة وفوضى مصرية خالصة وبعض الألعاب التاريخية.

المهم أنه استنتج أن مشكلة عدم وجود أى ذكر لطرد بني إسرائيل من من مصر هو أننا نبحث فى المكان الخاطئ أو للدقة فى الزمان الخاطئ ففى تاريخ مصر القديمة نتحدث كثيراً عن طرد الملك أحمس لمن يطلق عليهم "الهكسوس". وحسب الفيلم فان أحمس هو "فرعون الخروج" وفقا للمصطلح اليهودي والهكسوس هم اليهود وفقا لوجهة نظر منتج ومخرج الفيلم أيضا.

وقد استكمل الرجل نظريته بأن انفجار بركان سانتوريني فى ذلك الوقت هو المسبب لكل اللعنات العشرة على مصر حسب التوراة من تحول مياة النيل إلى الدم والجراد ومقتل الطفل الأول الذكر للأسرة ...الخ وأن انشقاق البحر ونجاة اليهود وغرق فرعون ما هو إلا نتاج تسونامى سببته الزلازل المصاحبة لانفجار البركان. وقد قام بالربط بين التوراة والأسباب العلمية بطريقة منطقية تارة وبلى عنق الحقائق تارة أخرى ، وهي لا تزيد عن كونها نفس المحاولات التي تكلمنا عنها سابقا في الفصل الخامس الذي يتحدث عن ملحمة الخروج في معرض حديثنا عن محاولة بعض اليهود

والعلماء الغربيين لتفسير الآيات التي وقعت قبل وأثناء الخروج تفسيرا علميا على هيئة كوارث وأحداث طبيعية متتالية ومترتبة على بعضها البعض كانتشار الأمراض والأوبئة نتيجة نفوق الحيوانات وانفجار البراكين وغيرها من التفسيرات المادية التي سبق لنا الحديث عنها بالتفصيل.

أما مشكلة هذا الرجل الحقيقية أن المؤمنين بالتوراة والإنجيل أنفسهم قد ادعوا بأن الرجل مهرطق ويدّعى أن بنى إسرائيل قد استغلوا كوارث طبيعية لتصوير أن الرب معهم وهذه لعنة السماء لمن طرد اليهود. أما الملحدون فلقد رأوا فى "سيمشا" مجرد مدعٍ يهودى للإعجاز العلمي في كتابه المقدس يحاول عمل فيلم عن الإعجاز العلمى فى التوراة.

⁕ الأخطاء التاريخية فى مسلسل يوسف الصديق[105]



مشهد من المسلسل الإيراني يوسف الصديق

تخطى الجدل حول المسلسل الإيرانى "يوسف الصديق" حاجز تجسيد شخصية النبى يوسف عليه السلام على شاشة التليفزيون إلى مرحلة أكثر خطورة، هى تقديم حقائق

[105] المصدر: من مقال بالأهرام اليومى بتصرف – سارة سيف الدين

تاريخية لم تُذكر فى القصة القرآنية الشهيرة، وفيما سارعت قناة ميلودى دراما بإنهاء الحلقات فى وقت قياسى تفادياً لصدور أى قرار بمنع استكمال عرض المسلسل ظلت علامات الاستفهام ماثلة أمام الجمهور والمتخصصين عن الكثير من الوقائع التى تضمنتها الحلقات الأخيرة.

لا تتوقف أزمة المسلسل عند تجسيد نبى الله يوسف وإنما تمتد لوجود مغالطات تاريخية كشفها لنا الدكتور عطية القوصى أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة فى النقاط التالية :

- لم يذكر القرآن الكريم كما لم يرد في أي حقائق تاريخية موثوق فيها أن امرأة العزيز قد ألقي بها إلى السجن هى والنسوة اللاتى قطعن أيدهن كنوع من أنواع العقاب، فقد كانت امرأة قوية لها شأنها و لم تُهان فى حياتها على الإطلاق كما صورها المسلسل فى فترة ما بعد خروجها من السجن وإظهارها فى حالة العشق الزائد عن الحد ليوسف.
- لم يذكر فى سورة يوسف، أن يوسف عليه السلام قد أعاد إلى امرأة العزيز أو "زليخة" بصرها وشبابها كمعجزة من معجزات نبى الله، فلم يرد أن ليوسف معجزات سوى تفسير الأحلام، وإعادة بصر أبيه يعقوب عليه السلام بأمر من ربه.
- لم يأت ما يؤكد نزول الوحى ليخبره بضرورة الزواج منها بأمر من الله بعد أن تابت واستغفرت ربها، فقد قطع النص القرآنى العلاقة بها بعد أن اعترفت للملك ببراءة يوسف عليه السلام ، فكما جاء فى الآية 51 فى سورة يوسف ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٔـٰنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ، ولم تأت سيرتها مرة أخرى بعد ذلك في سياق النص القرآني، إذن لم يثبت أنها تزوجت منه.
- عاصر النبى يوسف عليه السلام عهد الهكسوس ولم يكن فى عصر أمنوحتب الرابع / إخناتون كما جاء فى المسلسل، وأن ملك مصر فى ذلك الوقت كان أحد ملوك الهكسوس وليس ملكا مصريا كما ورد فى أحداث المسلسل، ولو افترضنا أن يوسف عليه السلام قد جاء فى عصر إخناتون كما جاء فى

المسلسل، كيف لم يذكره إخناتون على حوائطه وأوراق البردى التى كان يسجل فيها علاقته بالإله آتون، ويوسف كان الرجل الثانى من بعد ملك مصر كما هو معلوم !

- ادعى المسلسل أن الأحداث قد وقعت فى طيبة وكما هى معروفة أنها الأقصر حاليا، كنا نرى صورة الأهرام وأبو الهول بالجهة الأخرى من النيل!! ، ولا ندرى من أتى بالأهرام عند الأقصر!؟

وقد تكون هناك معلومات أخرى كثيرة خاطئة بالمسلسل ، وقد يرى البعض الآخر أننا تناولنا تفاصيل شكلية لم تُخّل بالسياق العام للقصة الأصلية لنبى الله يوسف كما وردت فى القرآن، ولكن على الأقل هناك الآن حقيقة تقول إن مسلسل "يوسف الصديق" عمل دينى تأثر بقواعد الدراما ولا يمكن التعامل معه باعتباره مصدرا موثوقا فى تكوين ثقافة المشاهدين الدينية والتاريخية ، بل إننا نعتبره من الأعمال التي تساهم في تمويد التاريخ المصري والهوية التاريخية لشعوب الشرق بأسرها.



مشهد آخر من المسلسل

* أحدث أفلام هوليود عن قصة موسى والخروج فيلم "الخروج ... آلهة وملوك" Exodus .. Gods and Kings

وسط هذا الجدل الدائر حول سينما الأنبياء الذى لم ينته ينضم كريستيان بيل إلى قائمة ممثلى شخصية «موسى» عليه السلام بعد «دوجراى سكوت» و«شارلتون هيستون» و«بن كينج» و«بيرت لانكستر».. بفيلم «Exodus :Gods and Kings» الذى سيدخل فى مقارنة غاية فى الصعوبة مع «الوصايا العشر» الذى مازال يحقق إيرادات حتى الآن ، إلى جانب إخفاق الكثيرين فى تقديم مشهد غرق فرعون [106].

وفيلم «Exodus :Gods and Kings» صورت بعض مشاهده في مدينة أسوان، والطريف أن مدير عام معابد أبوسمبل والنوبة الدكتور أحمد صالح، صرح حين ذاك: إنه تابع صناع الفيلم خلال التصوير داخل الأماكن الأثرية، حيث كان حريصاً على ألا يتم أي تشبيه بين الملك المصري رمسيس الثاني وبين شخصية "فرعون" لأنه إن حدث ذلك كان سيتم توقيف التصوير فوراً !!!

ولا نعلم حقا أي الأمور يجب أن تسترعي انزعاج الدكتور صالح التزوير التاريخي أم التزوير الديني ؟؟؟ ، فهل يزعجه بكل هذا القدر أن يتم تشبيه فرعون برمسيس ولا يزعجه بالمرة كل الطامات الكبرى التي وردت في حق الأنبياء عليهم السلام في هذا الفيلم الممعن في التعدي على أنبياء الله والرسالات السماوية بل وعلى الذات الإلهية نفسها ؟؟!!!

وأضاف الدكتور صالح أن الدكتور محمد إبراهيم وزير الآثار يتابع فريق العمل الخاص بالفيلم أثناء التصوير داخل الأماكن الأثرية بأسوان، مشدداً على أنه فى حال حدوث أى تشبيه بين الملك رمسيس الثانى وبين فرعون سيتم وقف التصوير فوراً.. وبعيداً عن تلك التصريحات العنترية التى أطلقها المسؤولون المصريون ، فإنه مازال هناك جدل عالمي حول شخصية فرعون ، وهناك من يؤكد أنه رمسيس الثانى معتمداً على مقارنة صفاته بصفات مومياء رمسيس الثاني الموجودة بالمتحف المصري حاليا وهي

---

[106] من مقال بجريدة الوفد بعنوان "الخروج .. أحدث أفلام سينما الأنبياء" بتصرف – حنان أبوالضياء 2014/10/12

مقارنة خيالية لا محل لها من الإعراب وخاصة أننا لا نعلم الكثير عن صفات فرعون الجسدية التي لا يوجد ما يدعو للاعتقاد بأنها لم تكن صفات قوية يغلب عليها طابع القوة الجسدية والطول والمهابة.

ويتناول الفيلم قصة خروج «موسى» عليه السلام مع بني إسرائيل من مصر بمعالجة من إنتاج شركة «فوكس للقرن للعشرين»، وقد جرى بدء عرضه يوم 12 ديسمبر 2014.

واختار سكوت الممثل جويل إدجرتون، بطل فيلم «جيتسبي العظيم» لدور الملك المصري رمسيس الثاني، والممثل كريستيان بيل، ليجسد دور نبي الله «موسى» الذي سار بشعب إسرائيل في صحراء سيناء للبحث عن الأرض الموعودة، وهي فلسطين في اعتقاد اليهود في معالجة سينمائية جديدة كتب لها السيناريو ثلاثة كتاب كبار، هم ستيف زيلين وآدم كوبر وبيل كولاج.



مشهد من فيلم الخروج ... آلهة وملوك

وأعرب كثير من المشاهدين عن دهشتهم البالغة من المبالغة فى مشاهد القتل وتلك القسوة التى تعامل بها موسى عليه السلام – كما في الفيلم – مع أسرى إحدى معاركه حينما سأله أخوه «هارون» عما سيفعلون مع الأسرى.. فيجيبه: «اقتلهم جميعاً.. إنها مشيئة الله».. ولم يكن ذلك فقط ما صدم المشاهدين، بل ضجر موسى برسالته وبالتكاليف الإلهية من الأمور التى لم يتعود عليها المتفرج الذى شاهد الرواية الكلاسيكية المحافظة لدى ميل في فيلمٍ الوصايا العشرة ، فموسى – وفقا للفيلم – يشكو إلى الله بعد إحدى المعارك قائلاً: «لقد حاربنا وانتصرنا.. هل سنظل نحارب لننتصر لنثبت أننا أهل للرسالة؟».. وتقول إحدى المشاهدات: إن هذا الفيلم بعيد عن وقار القصة الدينية، ووصفته بأنه ليس العمل الذى تحب أن يشاهده أبناؤها لأنه لا يرسم الصورة التى تؤمن بها لرواية الكتاب المقدس عن النبى موسى التى تود أن يتربى أبناءها عليها.

ويقول المخرج «روبرت دورهلم»: إنه لا يقدم إعادة للفيلم القديم بل إنه يقدم رواية الكتاب المقدس كما يراها دون تجميل.. ويقول: إنه يحاول إحياء فكرة السلام بين الشعوب من خلال الرواية المقدسة.. ويضيف أنه اختار قصة النبى موسى بالذات لتقديمها لأنها الرواية الوحيدة التى يجمع عليها المسلمون والمسيحيون واليهود.

وقام النجم «عمر الشريف» بدور «جيثرو» والد زوجة موسى، فى حين أدى «نافين أندراوس» أحد أبطال مسلسل Lost دور «ميميرث» ابن الأميرة «بيثيا» التى وجدت موسى فى الصندوق وقامت برعايته فى قصر فرعون، وقام «بول ريز» بدور رمسيس.

تم تصوير الفيلم بالمغرب – كالعادة – وتكلف إنتاجه حولى 30 مليون دولار ذهب جزء كبير منها إلى خدع شق البحر وغرق جيش فرعون ومشاهد المعارك، ورغم أن خدع الجرافيك كانت الأمل فى تقديم شكل جديد مبهر لبعض المشاهد، إلا أن كثيراً ممن شاهدوا الفيلم اعتبروا أن خدع الفيلم القديم كانت أكثر جمالاً وإقناعاً رغم الفارق الزمنى والتكنولوجى الكبير لصالح الفيلم الأخير، ووصلت دقة ملاحظة المشاهدين أن تساءل بعضهم تعليقاً على لون بشرة المصريين البيضاء: ألم تكن بشرة المصريين القدماء سمراء؟

وشهد تصوير مشاهد تيه اليهود فى صحراء سيناء الذى صور بالصحراء المغربية الاستعانة بعدد كبير من المعدات المتنقلة، بالإضافة إلى حولى 150 سيارة تضم 4 عربات مخصصة للتبريد ووحدة إطفاء وسيارة إسعاف و3 قاطرات محملة بمياه الشرب ومطبخاً متنقلاً، ولكن يبدو أن كل هذا المجهود لم يرض المشاهدين الذين آثروا مشاهدة النسخة القديمة للوصايا العشر.. ولقد تعرض المخرج السينمائي ريدلي سكوت، مخرج فيلم «Exodus :Gods and Kings» إلى العديد من الانتقادات، أيضاً بسبب اختياره أبطال العمل من أصحاب البشرة البيضاء، رغم أن الفيلم يتناول قصة خروج سيدنا موسى من مصر، وأن المصريين القدماء كانوا من أصحاب البشرة السمراء، وهو سبب الحملة التي انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» و«تويتر» بعد الإعلان عن أبطال العمل، وخرجت بعض الأصوات تنادي بعدم تزوير التاريخ بعد تقديم الشخصيات بنجوم من أصحاب البشرة البيضاء، في الوقت الذي يقدم فيه المخرج الخدم والعبيد من أصحاب البشرة السمراء، وهو ما اعتبره المشاركون في الحملة نوعاً من أنواع التمييز والعنصرية ضد أصحاب البشرة السمراء، ودشنوا «هاشتاج» بعنوان BoycottExodusMovie# لمقاطعة الفيلم.

ولقد تم تصوير الفيلم فى مدينة ألميريا في إسبانيا، حيث صور ملامح مصر القديمة هناك من خلال بناء ديكورات عملاقة ذات تفاصيل دقيقة جداً يبنيها في منطقة جبال سييرا آلاميا التي تقع جنوب شرق إسبانيا على البحر المتوسط، ثم اتجه طاقم التصوير إلى المغرب ليصور بعض المشاهد الأخرى هناك.

وقد ظهر كريستيان بيل في مجموعة من الصور المأخوذة من موقع التصوير، وقد ارتدى ملابس تعود إلى عصر موسى عليه السلام وأطلق لحية كثيفة وشارباً عظيماً، بينما أمسك في يديه بقوس وحمل على ظهره جعبة سهام بدائية، ومعه ظهر الممثل الاسترالي جويل إدجرتون، الذي يقوم بدور فرعون «رمسيس وفقا للفيلم ووفقا للادعاء اليهودي الكلاسيكي»، في زي مصري قديم وبملامح أقرب لملامح المصريين القدماء، بينما تشارك النجمة سيجوني ويفر في الفيلم من خلال دور «تويا» أم رمسيس، بينما يؤدي دور أبيه «سيتي» الممثل جون تورتورو، كما يشارك النجم

الإنجليزي الكبير بن كينجسلي وكان قد سبق أن قدم دور موسى في فيلم تليفزيوني عُرض عام 1995.

ويبدو أن إيران بعد نجاح مسلسل «يوسف» قررت إنتاج مسلسل عن موسى عليه السلام أيضا ، وقد صرح المخرج الإيراني فرج الله سلحشور بأن آية الله السيد علي خامنئي هو من اقترح إنتاج مسلسل عن "النبي موسى عليه السلام". !!!

وتوقع المخرج سلحشور بدء عملية تصوير مسلسل النبي موسى عليه السلام منتصف العام الإيراني المقبل، مبيناً في الوقت نفسه الانتهاء من مرحلة البحث والتحقيق للمسلسل.

وكان المخرج قد أعلن في تصريح سابق له أن أحداث مسلسل النبي موسى عليه السلام تبدأ من فترة وفاة النبي يوسف عليه السلام وتوقعاته بشأن بني إسرائيل، حيث تتواصل الأحداث مع مولد النبي موسى عليه السلام وهروبه من مصر وإنقاذ بني إسرائيل وتيههم 40 عاماً في صحراء سيناء.

وأضاف: هناك نقاط مظلمة في تاريخ اليهود، إضافة إلى أنهم قد ملأوا التاريخ بالأكاذيب حول حياة النبي موسى عليه السلام وحول بني إسرائيل، وأن التوصل إلى الحقائق من بين ٤ آلاف عام من الكذب على شعوب العالم يعد أمراً صعباً للغاية. وأكد أنه لن يستعين بالمجموعات والشركات الأجنبية في إنتاج المشاهد الخاصة للمسلسل، متوقعاً أن تستغرق عملية تصوير العمل ٥ أعوام، وأن القناة الأولى للتليفزيون الإيراني ستتولى بثه بعد الانتهاء منه.. ويرى أن مسلسل النبي موسى عليه السلام سيكون أفضل وأضخم عمل تاريخي في العالم وسيتم توزيعه على 72 حلقة على أن تكون مدة كل حلقة 55 دقيقة.. وتعهد سلحشور بالعمل مع فريقه على رفع مستواهم الفني لإخراج المسلسل المنشود بأفضل صورة ممكنة.

ويتبني الفيلم نفس النظرية التي يروج لها اليهود منذ زمن بعيد من وجود ملكين أحدهما اضطهد بني إسرائيل والآخر خرجوا في عهده لكن مع اختلاف أنهم جعلوا الملك الذي اضطهدهم هو سيتي الأول والد رمسيس وجعلوا الملك الذي خرجوا في عهده هو الملك رمسيس الثاني وهم بذلك لم يختلفوا كثيرا عن نفس الادعاء التقليدي بتعديل طفيف في الأكذوبة حتى يتلبس رمسيس الثاني بالتهمة.

أما بعد صدور الفيلم فقد قرر وزير الثقافة المصري منع فيلم "الخروج.. آلهة وملوك"من العرض فى مصر لــتزييفه التاريخ !!!

وهو إن كان قرارا مطلوبا فى الوقت المناسب، نحيي عليه وزير الثقافة، ولكن هل يعلم أن الفيلم جزء كبير منه تم تصويره فى مصر تحت رعاية ومساعدة المسؤولين المصريين من مسؤولي الآثار ومرشدي السياحة فى أسوان؟

بل أن نقيب المرشدين هناك كان يمتدح الفيلم، كذلك المصنفات الفنية التى سمحت بتصوير الفيلم بحجة الدعاية لمصر، ولا نعلم أى دعاية تلك التى يروج لها الفيلم، من أن بني إسرائيل هم بناة الأهرامات وأن رمسيس هو "فرعون" أليس هذا تشويها وليس دعاية؟!!

هناك جريمة ارتكبت يجب أن يحاسب عليها وزير الآثار السابق وقيادات الآثار فى أسوان.

وقد امتلأت أحداث الفيلم بالكثير من التشويهات والتزويرات والأباطيل والمغالطات التاريخية التي دأب اليهود منذ زمن طويل على إطلاقها وتعميمها عن قصة موسى عليه السلام حيث تدعي قصة الفيلم أن فرعون هو أخو موسى من الرضاعة، كما يدعي صانعوا الفيلم بأن بناة الأهرامات هم بنو إسرائيل ، كما أن تصويرهم للأحداث يوحي بالاستهانة بمعجزة سيدنا موسى عليه السلام ويدعون أن شق البحر حدث نتيجة زلزال وهو من جملة المحاولات التي تفسر المعجزات بتفسيرات مادية كما سبق وفصلنا في هذا الكتاب ، كما يدعى بطل الفيلم فى تصريح له بنسب الفترة التى حدثت فيها الأحداث إلى رمسيس وعصر الرعامسة رغم أن الأدلة الصحيحة على خلاف ذلك بل وتنفي علاقة رمسيس بتلك الأحداث هو وكل ملوك القبط المصريين.

وهذا ما يعتمد عليه اليهود منذ عشرات السنين، وهو تعزيز مقولة إن فرعون هو رمسيس حتى ينسبوا كل تلك المبانى والمعمار الذى شيد فى عصر رمسيس لهم، فاختاروا أشهر ملك له آثار على أرض مصر لنسب تلك الآثار لهم وأنهم هم من بنوها حيث ان الصحافة الإسرائيلية والقناه العاشرة الاسرائيلية ذكرت ان مؤيدى إسرائيل فى صناعة السينما العالمية بمدينة «هوليود» الأمريكية سيعرضون فيلم «الخروج.. آلهة وملوك» خصوصا لأن الفيلم ينتصر لليهود.

كل هذا تم تصويره فى مصر بتسهيل من المسئولين فى اسوان فمن يحاسب تلك القيادات ؟ وإلى الآن لا يوجد رد من وزارة الآثار وتفسير كيف سمحوا لهم بتصوير أجزاء من الفيلم فى المناطق الأثرية فى أسوان ، وكيف سمحوا لهؤلاء بتعزيز الأعمال التي ترسخ لتزوير التاريخ وتحريف الأديان ، أما عن المغالطات الدينية فحدث ولا حرج ، فالفيلم مشحون بالمخالفات الشرعية والدينية والادعاءات الكاذبة وعلى رأس ذلك تجسيد الأنبياء وتفريغ المعجزات من معناها الروحي والإلهي ، فضلا عن الإساءة البالغة لمقام النبوة وعصمتها وللذات الإلهية .

خاتمة ... كلمة من أجل الحفاظ على التاريخ وإحقاق الحق!

* التهويد المبكر لأرض فلسطين واختراع فكرة أرض الميعاد

ورد في العهد القديم صور متعددة للوعد الإلهي بميراث الأرض فمنها الوعد لإبراهيم الخليل عليه السلام :

* قال الربّ لإبرام بعد اعتزال لوط عنه: (ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، لأنّ جميع الأرض التي أنت ترى لك أُعطيها ولنسلك إلىٰ الأبد...، قم امش في الأرض طولها وعرضها لأنّي لك أُعطيها) [107]

* في ذلك اليوم قطع الربّ مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) [108]

* فلا يُدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأنّي أجعلك أباً لجمهور من الأُمم وأُثمرك كثيراً جدّاً وأجعلك أُمماً وملوك منك يخرجون وأُقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك وأُعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كلّ أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلهم، وقال الله لإبراهيم: وأمّا أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. [109]

---

[107] سفر التكوين

[108] سفر التكوين ، ولهذا الوعد تحديدا وبسبب الوعود المشابهة بالإضافة إلى ما تقدم توضيحه من جهود مبكرة للتهويد بعد اختراع التقسيم التوراتي للأنساب ثم إقصاء الشعوب العربية والشرقية من نسب الساميين كتمهيد لحرمانهم من الأرض والإدعاء بأنهم شعوب حامية تنتمي للشعوب الأفريقية ولا حق لها في أرض الشام وفلسطين ، ثم غرس فكرة الوعد الإلهي لنسل إبراهيم وحصر النسل السامي في اليهود فقط ، وآخر ذلك كله اختراع حدود إسرائيل الكبرى من النيل للفرات وإخراجها في صورة وعد مقدس بنص العهد القديم المخترع والمحرف.

[109] سفر التكوين

ويتباين الكلام عن الوعد الإلهي في كتابهم المقدس كما هو واضح من النصوص فتارة هي أرض الشام والمعبَّر عنها بالأرض المباركة يرثها الصالحون من بني إسرائيل وهي حدود أرض كنعان ، أي أرض فلسطين ، وتارة هي من النيل إلى الفرات ، وتارة أخرى أنّها على مرمى بصـر إبراهيم من الجهات الأربعة، ممَّا يُعطيها بُعداً عامّاً لكلّ الأرض خصوصاً وأنّ الله وعد إبراهيم بأن يُعطي لنسله الأرض ووصف كثرة نسله بكثرة رمل البحر والتراب، والذي لا يمكن لأحد أن يحصيه بقوله: (ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتدُّ غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك فيك جميع قبائل الأرض) ، وقوله: (وأُبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض).

إنّ الفهم اليهودي في تحديد حدود تلك الأرض اختلف عن الفهم المسيحي انطلاقاً من النصوص التوراتية التي ذكرت ذلك كما هو مبيَّن حيث ذكرت التوراة الأرض التي سيعطيها الربّ لإبراهيم عليه السلام ونسله من بعده في عدَّة أسفار، منها قوله: (كان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض وظهر الربّ لإبرام وقال: لنسلك أُعطي هذه الأرض) ، وقوله: (ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأنّ جميع الأرض التي ترى لك أُعطيها ولنسلك إلىٰ الأبد)، وهذا النصّ يحدّد أرض الميراث بأنَّها على مرمى بصـر إبراهيم، وفي نصّ آخر قال: (في ذلك اليوم قطع الربّ مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات).

وهذا الوعد التوراتي ختمت الوعود بالنسبة لإبراهيم الخليل عليه السلام ، وهناك نصوص عديدة في بقيّة أسفار العهد القديم تؤكّد هذا المعنىٰ

ففي مواضع لاحقة نجد أمثلة أخرى على الوعد لإسحق عليه السلام في أسفار العهد القديم ومنها :

* ظهر له الربُّ وقال: لا تنزل إلى مصـر، اسكن في الأرض التي أقول لك، تغرَّب في هذه الأرض فأكون معك وأُباركك لأنّي لك ولنسلك أُعطي جميع هذه البلاد وأفي

بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك، وأُكثر نسلك كنجوم السماء وأُعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أُمم الأرض.[110]

وبهذا انتقل الوعد الخاص بإبراهيم إلى ولده إسحق عليهما السلام ثم إلى يعقوب كما في النص التالي :

* دعا إسحاقُ يعقوبَ وباركه وأوصاه وقال له: ... الله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثرك فتكون جمهوراً من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم.

* وقال له الله: اسمك يعقوب لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل، فدعا اسمه إسرائيل...، والأرض التي أعطيتُ إبراهيم وإسحاق لك أُعطيها ولنسلك من بعدك أُعطي الأرض.[111]

وهكذ تحولت "أرض الغربة" التي سكنها إبراهيم ومن بعده إسحق ثم يعقوب عليهم السلام جميعا إلى "أرض الميعاد" أو "الأرض الموعودة" كما أرادها كاتبوا التوراة حيث خصصوا نسل إسحق تحديدا من دون باقي أبناء إبراهيم عليه السلام ثم نسل يعقوب تحديدا من دون باقي نسل إسحق عليه السلام لوراثة تلك الأرض أي أرض كنعان أو فلسطين !، وبالطبع فإن إدخالهم هذا الوعد في هذا النطاق الضيق داخل دفتي الكتاب المقدس الذي يؤمن به اليهود والنصارى على حد سواء هو بمثابة وعد مقدس واجب التنفيذ في نظر كل المؤمنين بقدسية العهد القديم.

أما في العهد الموسوي اتَّسعت أرض الميراث لتضمّ إلىٰ الأرض التي رآها إبراهيم أراضي شعوب أُخرىٰ كالحيثيين والعموريين والقرزيين والحويين واليبوسيين وذلك لاستكمال مسلسل التهويد فصاغ كاتبوا التوراة سلسلة أخرى من الوعود بما يتناسب مع عهد موسى عليه السلام وقومه بعد خروجهم من مصر حيث يتكرَّر الوعد بوراثة الأرض ستّ مرّات في العهد القديم منها:

---

[110] سفر التكوين

[111] التكوين

* قال الربّ لموسى: اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلىٰ الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أُعطيها.[112]

* قال له الربّ: هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً: لنسلك أُعطيها قد أريتك إيّاها بعينيك ولكنّك إلىٰ هناك لا تعبر.[113]

* في قوله: (في ذلك اليوم قطع الربّ مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصـــر إلىٰ النهر الكبير نهر الفرات القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين)

* وقوله: (اجعل تخومك من بحر سوف إلىٰ بحر فلسطين ومن البرية إلىٰ النهر) ، وتعرف هذه الأرض بأرض كنعان وتخومها.

* كما نصّ علىٰ ذلك سفر التثنية: (الربّ إلهنا كلّمنا في حوريب قائلاً: كفاكم قعوداً في هذا الجبل، تحوّلوا وارتحلوا وأدخلوا جبل الأموين وكلّ ما يليه من القفر والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلىٰ النهر الكبير نهر الفرات، أُنظروا قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملّكوا الأرض التي أقسم الربّ لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يُعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم).

وهنا يرد تساؤل مشـــروع وهو: كيف تتّسع الأرض المحدَّدة بفلسطين أو من النيل إلىٰ الفرات لهذا العدد الهائل من نسل إبراهيم الموعود بوراثة الأرض ؟ وهذا ما دعا إلىٰ تضخّم الحديث عن أرض الميراث وارتباط اليهود بها، فتحوّلت إلىٰ فكرة لاهوتية ونشأ ما يُسمّىٰ: (لاهوت الأرض المقدَّسة) ، لذلك فإن من أهمّ المشكلات التي ناقشها هذا اللاهوت مشكلة اتّساع وضيق حدود أرض الميراث ، واختلاف خريطة تحديدها، والحلّ الذي وصفه الحاخامات لهذه المشكلة هو تشبيه الأرض المقدَّسة بجلد الإبل الذي ينكمش في حال الجوع والعطش ويتمدَّد إذا شبع وارتوىٰ، وهكذا تنكمش الأرض المقدَّسة إذا هجرها ساكنوها من اليهود وتتمدَّد وتتَّسع إذا جاءها اليهود من بقاع الأرض، وعلىٰ الرغم من هذا الاختلاف فإنّ الأرض الموعودة في الفكر اليهودي تكاد

---

[112] سفر الخروج

[113] سفر الخروج

تكون واضحة المعالم معروفة الحدود ، حتَّىٰ أنَّها تُعَدُّ من أهمّ عقائد اليهود التي يؤمنون بها ويبنون سياساتهم وعلاقاتهم عليها ، وحصولهم علىٰ أرض أُورشليم أو أرض كنعان يعني حصولهم علىٰ بقيّة بقاع الأرض، والسبب يرجع إلىٰ أنَّ هذه المنطقة تقع في ملتقىٰ طرق بلاد العالم وتتوسَّط بلاد الدنيا، فإذا ما استقرَّت فيها أيّ شريعة فإنَّ نشـــرها في العالم يكون سهلاً وميسورا.

وهذا الوعد بحدوده الواسعة عبر مراحله أعلاه يشكّل محور المشـــروع اليهودي الاستعماري قديماً وحديثاً الذي أطلقوا عليه اسم أرض الميعاد جاعلين من هذه النصوص التوراتية منطلقهم الديني في الاستحواذ علىٰ تلك الأراضي ، إلَّا أنَّ اليهود تمسَّكوا بالوعد من الله تعالىٰ ونسوا العهد وهذا دأبهم وبالتالي انتفى معه كل حق لهم في تلك الأرض وتبقى تحريفاتهم في كتبهم وفي عقولهم المجرمة.

إن الأحقية التاريخية لأرض فلسطين هو العمود الفقري للقضية الفلسطينية ، فالعالم ينظر للقضية — دون أن ندري — بأن اليهود يستردون أملاكهم التي سلبها منهم الفلسطينيين الغاصبين ، لأنهم بنص الكتاب المقدس الملاك الحقيقيين لهذه الأرض الموعودة لليهود كما رأينا من المقتطفات السابقة ، وأن أسلاف العرب القدماء الكنعانيين واليبوسيين والعموريين وغيرهم من أجداد الفلسطينيين — وفقا لزعم التوراة المحرفة - قد اغتصبوا تلك الأرض لهم وأنها ليست من حقهم لأنهم غير ساميين على حد زعم اليهود ، لذلك ينبغي علينا أن نتيقظ لهذه القضية أيما تيقظ وأن نتصدى لتلك المزاعم بكل قوة ، إذن فموضوع تهويد التاريخ ذو صلة لصيقة بموضوع إدعائهم بأحقيتهم التاريخية في أرضهم الموعودة زورا وبهتانا في أرض يطمحون إليها لتكون دولتهم المنتظرة من النيل للفرات ومركزها القدس الشريف ، فهذا الادعاء الخطير له صلة وثيقة بموضوع قوم فرعون حتى أنهم ليتخذونها ذريعة وحجة لإثبات أحقيتهم الكاذبة للأرض المحصورة بين النيل والفرات ، جاعلين من قصة معيشتهم في مصر واضهادهم على يد فرعون منطلقا لهم في إثبات تلك الأحقية المزعومة ، بل ويحاولون أن يثبتوا تاريخيا أن أسلاف العرب الفلسطينيين — وهم أصحاب الأرض الأصليين — ليس لهم أي أحقية تاريخية في أرض فلسطين بنفي صفة العروبة عن أجدادهم

الكنعانيين واليبوسيين وغيرهم من أعراق ما قبل العروبة التي سكنت تلك الأرض قبل آلاف السنين.

*** أكذوبة الأرض الموعودة:**

إن الادعاء بأحقية اليهود الحاليين لأرض الميعاد وهي أرض فلسطين والقدس يستند على عدة محاور وادعاءات باطلة ادعاها اليهود الحاليين أصحاب الفكر الصهيوني الاستيطاني ، أردت أن أورد أهمها هنا حيث يستندون لعدة أسانيد باطلة يجب التصدي لها والرد عليها بشكل مباشر:

- السند التاريخي:

- الادعاء : أنهم سكنوا فلسطين منذ قبل الألف الأول قبل الميلاد فهم أحق بها.

- الرد: إن العرب الكنعانيين واليبوسيين سبقوا الوجود اليهودي بأكثر من الوجود اليهودي بآلاف السنين وقد قمنا بإثبات ذلك تفصيلا في الفصل السابق والحالي ويكفي أن نعرف أن الهكسوس الذين حكموا مصر هم من الكنعانيين والعموريين أجداد أهل الشام حيث كانوا يحكمون مصر وفلسطين وسوريا وممالك الشام القديم قبل أن تظهر قبيلة يعقوب وأبناؤه إلى الوجود بعصور طويلة.

- السند الديني:

- الادعاء :معتمدين على قول التوراة بأن الله منحهم أرض فلسطين ، إذ قال الرب لإبراهيم: "وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان"

- الرد : قول الله سبحانه وتعالى: "يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين".

- **السند العرقي :**

- الادعاء : إن اليهود الحاليون هم أحفاد بني إسرائيل أبناء يعقوب الذين سكنوا أرض كنعان وتملكوا فيها

- الرد : اليهود الحاليين ليسوا من نسل أبناء يعقوب القدماء ، بل يمثل نحو 90% منهم من ينحدرون من نسل الخزر وهو الشعب الذي كان يعيش في الشرق من أوروبا على حدود روسيا الغربية وقد اعتنقوا اليهودية وتفرقوا في البلاد ومن ثم تجمعوا في فلسطين مدعين أنها أرض أجدادهم!

– **السند القانوني:**

الادعاء :استنادهم على قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1947م، ووعد بلفور الذي أصدره وزير خارجية بريطانيا عام 1917م.

الرد: السند هذا باطل لأنه أعطى حق من لا يملك إلى من لا يستحق.

– **السنن الإلهية بوراثة الأرض وحتمية الوعد الإلهي الصحيح:**

أما إدعاء ملوك مصر في الدولة الحديثة كما ورد في كتاباتهم ، ومن وافقهم من المؤرخين ، أن الهكسوس ومعهم بني إسرائيل كانوا أجانب غير شرعيين هو أمر لا يقرّه القرآن ولا تقره سنن الله عز وجل في خلقه ، فالأرض لله يورثها لمن يشاء وهو أمر مشروط باتباع شرع الله ، وقد مكّن الله ليوسف عليه السلام بمصر، ووصل للعرش بطريقة شرعية وهو غير مصري.

كما أن حكم الهكسوس لمصر وقتها كان في إطار من التمهيد لقدوم أنبياء الله عليهم السلام وإقامة شرع الله في تلك الأرض التي كان سكانها وثنيون يعبدون الآلهة المتعددة ، فكان تمكين العماليق لملك مصر مقدمة لحكم الأنبياء كيوسف ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام ، لذلك استمر ملك العماليق الهكسوس لمصر إلى أن جاء الملك الذي كذب بالبينات واستكبر وطغى وأوقف العمل بشرع الله تعالى وسننه الإلهية فاستحق الغرق والعذاب هو وقومه وكان ذلك إيذانا بنهاية ملكهم في الأرض.

ونستطيع القول بأن حكم العمالقة الهكسوس لمصر كان فرصة من الله لهؤلاء القوم لإقامة شرع الله في الأرض وبالفعل كان منهم من سار على منهج الله واتبع الرسل لكن أتى منهم من كذب بآيات الله وبيناته على رسله فتسبب في زوال الملك ووراثة الأرض.

يقول تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الشعراء: 57 _ 59)، مما يحتمل أن يكون المراد بهذه الأرض الموروثة هي أرض النعيم في الدنيا، وعبّر عنها بالجنّة لوفرة خيراتها.

يقول تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص: 5)، ففي هذه الآية الكريمة وعد صريح من الله سبحانه وتعالى بوراثة الأرض.

وقوله تعالى: (قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا باللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: 128)،

وقوله تعالى: (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) (النور: 55)

وقوله تعالى: (إِنَّ الأَرْضَ لِلهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: 128)

ومن هنا نفهم أن الوعد الإلهي بوراثة الأرض مشروط بالإيمان والصلاح والسير على منهج الله عز وجل ، لكن إذا لم يتحقق الشرط فلن يتحقق الوعد وهو ما حدث مع بني إسرائيل.

فحتى الوعد الإلهي بوراثة الأرض في التوراة نفسها لم يكن مطلقاً ومن دون شروط بل قُيِّدَ بشرط يمكن استظهاره من عموم نصوص التوراة) وهو: طاعة الله تعالىٰ والالتزام بأوامره ونواهيه وعدم التمرّد عليه ومحاربة تعاليمه ، وقد صرّحت نصوص التوراة والتي تعرَّضت لهذا الشرط في أكثر من مورد ، بل إن عاقبة من يخل بهذا الشرط والعهد هو التشرّد والطرد من الأرض ومن عمل بمقتضاه كان له السكن والتطوّر والرقي.

وإذا تأملنا في مسألة وراثة الأرض نجد أن شرط ميراث الأرض لم يكن مخصَّصاً لأُمّة دون غيرها، بل خُصِّصَ لكلّ من انطبق عليه ذلك الشرط المذكور وهو السير على المنهج الإلهي والحكم

بشريعته ، أمَّا من حيث النسب فقد ذكرت التوراة عبر نصوصها أنّ الميراث يكون لنسل إبراهيم عموماً وكان إسماعيل أوّل ولد لإبراهيم فلا معنى لحصر الميراث بنسل إسحاق دون إسماعيل فكلاهما من نسله.

ممّا يعني أنّ الوعد الإلهي بوراثة الأرض هو لأي لطائفة من البشر حدَّد الله سبحانه وتعالى صفاتها وبيَّن خصائصها ووضع لها شروطها ، وكلّ أُمّة تنطبق عليها هذه الصفات وتلك الخصائص تكون لها وراثة الأرض.

إنّ وراثة الأرض من الوعد الواقع لا محالة، ولكن هذا الوعد مشروط بشروط لا بدَّ من توافرها في الأُمّة كي يكون لها ما وعد الله به من الاستخلاف والتمكين والنصر، ولذلك فإنّ هذا الوعد هو الباعث على العمل من أجل تحقيقه وإيجاده.

لكن اليهود حرفوا هذه الحقيقة من ضمن ما حرفوه فجعلوا وراثة أرض كنعان والشام بل وكل المنطقة الواقعة من النيل للفرات وأحيانا ما يربو عنها جعلوه من حق إسحق ثم يعقوب ثم أبناء يعقوب أو بني إسرائيل دون سواهم معتمدة على الإقصاء المتسلسل واحتكار النسب واغتصاب التفضيل الإلهي وحرمان من سواهم منه وكل هذا وضعوه في إطار مقدس يحرم المساس به أو الاقتراب منه لأنه وببساطة في كتابهم المقدس المزعوم.

والعجيب أن العهد الجديد قد اختلف عن العهد القديم في مسألة تحديد الأرض المقدسة ومبدأ وراثة الأرض فقد أعطى لأرض الميعاد بُعداً كونيًّا، إذ جعل من كلّ قطعة أرض موعودة لأن تصبح أرضاً مقدَّسة، وهذه الأرض تتجسَّد في مملكة الله التي لا تعرف حدوداً والتي وعد المؤمنين بوراثتها ، وبذلك أصبحت أرض الميعاد هي بمجمل الخيرات الإلهية التي ترمز لها تلك المملكة ، ولم ترد مفردة وراثة الأرض بهذه الكيفية إلّا مرَّة واحدة في إنجيل متّى في قول المسيح عليه السلام : (طوبى للودعاء لأنَّهم يرثون الأرض) ، (وهذه الأرض هي مملكة الله التي تمتدُّ إلى العالم كلّه والمتميّزة بسيادة السلام والعدل والمساواة لكلّ البشرية فيها).

وبهذا فإنّ الفهم المسيحي لأرض الميراث يتّفق مع الفهم الإسلامي لها في سعتها لجميع أنحاء العالم وعدم تحديدها في منطقة معيَّنة أو محدَّدة مسبقاً، لما في إطلاق لفظ الأرض من عمومية لا يُحدُّ إلّا بقرينة.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن الشعوب العروبية التي كانت ساكنة في شمال الجزيرة العربية والشام والعراق والهلال الخصيب كانوا يعرفون الله عز وجل ولكنهم كانوا وثنيين أي مشركين بالله حيث يشركون معه آلهة أخرى ، وقد أسماه الكنعانيون "إيل"، ويعرفونه بأنه الإله الأعلى ، ومنه اشتقت أسماء كثيرة تدل على أنه من أسماء الله عز وجل ، فكلمة إسرائيل نفسها ارتبط بهذا الاسم في مقطعا الثاني ، ومعناه أسير الله على الطريقة الكنعانية ، ونرى أن أسماء الملائكة كلها تسير على نفس النمط ، ومنها جبرائيل (جبريل) وميكائيل أو ميكال ، وإسرافيل ، وغيرهم من ملائكة الله ، وحتى مدينة القدس نفسها نجد أن من أسمائها " إيليا " ومعناه الكنعاني المدينة الإلهية أو الربانية ، وعلى هذا كان لاصطفاء بني إسرائيل سببا آخر غير عنصريا بالمرة ، وهو ألهم هم دون سواهم كانوا موحدين بالله وبالتالي هم وحدهم من يستحق أن يسكن الأرض المقدسة ، فكما يقول الله تعالى (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده)، وقال تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون).، ولما انتفت عن بني إسرائيل هذه الصفة وغرقوا في الملذات وتنازعوا على الدنيا وتكالبوا عليها سلط الله عليهم ملوك الأرض وجباريها ليطردوهم من الأرض ويستفزوهم منها، وذلك بعد أن استنفذوا كل فرصهم على مدار ما يزيد عن ألف وخمسمائة عام من الزمان حتى ميلاد السيد المسيح عليه السلام.

وخلاصة القول إنَّ الوعد بالأرض الموروثة في الاستعمال القرآني والإنجيلي وحتَّى التوراتي هي مطلق الأرض ولكل الأمم طالما حققت الشرط، إلَّا أنَّ الفهم اليهودي يحدِّدها بحدود معيَّنة بحسب توجيهه لنصوص التوراة كما خصها لأمة دون غيرها ليكتمل مسلسل التهويد

والقراءة التأمّلية لهذا الوعد الإلهي في القرآن الكريم وكتب العهدين تُظهر لنا بعض الحقائق الواضحة وهي سننية الوعد بوراثة الأرض وكونه قانوناً إلهياً من جهة، وحتمية وقوعه من جهة أُخرى بتحقق الشرط وهو اتباع منهج الخالق سبحانه وتعالى والكدح والاجتهاد من أجل تحقيق ذلك الهدف ، وهي الحقائق التي تتعارض تماما مع محاولات التهويد التي حصرت التفضيل في شعب اليهود وحصرت وراثة الأرض في بقعة محددة لصالحهم دون غيرهم ، مما يعني لنا افتضاح التزوير الجلي والتهويد المبكر جدا لأرض

فلسطين والشام بل وحدود أرض الميعاد المزعومة التي تزيد عن حدود النيل للفرات الذي ادعاه اليهود وأكسبوه الطابع المقدس بنص كتابهم المنحول.

* هل لليهود حق في فلسطين ؟

كان لبني إسرائيل الحق في الدخول إلى الأرض المقدسة والمعيشة فيها بل وحكمها أيضا في الزمن القديم لأنهم كانوا هم الشعب الوحيد وقتها الذين يدين بالتوحيد لله عز وجل ، وكان هذا الهدف يقترب منهم ويتحقق لهم كلما ساروا على منهج الله عز وجل ، لكنهم عندما كانوا يبتعدون عن المنهج الصحيح ويخالفون أوامر الله عز وجل يعاقبهم الله بتسليط من حولهم من الأمم والقبائل الوثنية عليهم ، وقد كان ذلك سببا في تأخر دخولهم بيت المقدس لأكثر من خمسة قرون كاملة منذ خروجهم من أرض مصر حتى عهد داوود وسليمان عليهما السلام.

لقد مكن الله لبني إسرائيل حكم الأرض المقدسة حين كانوا برفقة الرسل والأنبياء سائرين على منهج الله وتعاليمه وشريعته التي ارتضاها لهم ، لكن هذه الفترة الذهبية التي حكموا فيها الأرض المقدسة وتمكنوا من الحكم والسلطان وظهروا على أعدائهم لم تدم طويلا فلم تستمر فترة داوود وسليمان عليهما السلام لأكثر من سبعة أو ثمانية عقود ليس أكثر ، واستمرت المملكة من بعد سليمان عليه السلام لولا أنها انقسمت لمملكتين شمالية وجنوبية ، ووقع الانشقاق بين قبائل بني إسرائيل فانضم بعضهم لمملكة الشمال وانضم البعض لمملكة الجنوب ، فضلا عن ابتعاد بني إسرائيل من بعد سليمان عليه السلام عن منهج الله وعن الشريعة الحقة التي أنزلها لهم الله عز وجل على موسى عليه السلام.

ولم يتوقف الأمر عند مخالفة المنهج والأوامر الإلهية فحسب بل إن بني إسرائيل وقعوا في الكثير من المهلكات كالشرك وعبادة الأوثان التي نقلوها ممن جاورهم من شعوب وثنية ، بل ونقلوا منهم شعائرهم وقلدوهم في الطقوس والعبادات وغيرها من الأشياء التي لا يصح لأمة مُوَحدة لله عز وجل أن تقع في مثل تلك الموبقات التي وقع فيها بنو إسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام.

إن القرون القليلة التي حكم فيها بنو إسرائيل الأرض المقدسة أثناء عهود أنبيائهم داود وسليمان لم تأت من كون داوود وسليمان عليهما السلام ملوكا فحسب ، بل إن الأساس الذي قامت عليه تلك السنة الإلهية هو أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

لذلك فإن حكم الأرض المقدسة جاء على يد داود وسليمان عليهما السلام من كونهما نبيان لبني إسرائيل قبل كونهما ملكان ، ولهذا السبب تحديدا أصر اليهود حتى يومنا هذا على اعتبار داود وسليمان تحديدا ملكان ونفوا عنهما صفة النبوة.

وهذا هو المبدأ الذي يتشدقون به حتى اليوم في كل أنحاء العالم ، فيقولون بمنتهى الصلف والغرور أنهم حكموا الأرض المقدسة كملوك وليسوا كأنبياء ، فداوود وسليمان في عقيدتهم ملوكا ولهم خطاياهم القاتلة بل إنهم نسبوا لسليمان عليه السلام ما لا يليق بمقام النبوة حين اتهموه بالشرك والوثنية وممارسة السحر أيضا.

إن معظم التحريفات التي طالت ما تبقى من التوراة القديمة بالإضافة إلى المنحول والمخترع من الأسفار والإصحاحات التي لم تترل من عند الله عز وجل تتمحور بكاملها حول نقطة محددة ألا وهي "تهويد الأرض" ، وهو ما أخبرنا الله عز وجل به حين قال:

"فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ" (79) سورة البقرة

إن الثمن القليل الذي تعرضه الآية هو في معناه العام شراء عرض الدنيا بالآخرة وهو استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير بلا شك، لكن بقليل من التدقيق حول الهدف من كل ذلك التحريف والتزييف في كتاب الله المترل عليهم لا نجد هدفا أكبر من تهويد الأرض الموعودة بزعمهم ، ليأتي مخلصهم الدجال في نهاية الزمان ليحكم العالم وفقا لمعتقدهم من تلك البقعة.

إن اليهود يرون من وجهة نظرهم الدنيئة أن تهويد الأرض تمهيدا لحكم مخصلهم المنتظر من داخل تلك الأرض ليستحق أن يحرفوا كتابهم المقدس منذ عصر مبكر جدا بل ويستحق إخفاء وإضافة الكثير من الأسفار والإصحاحات التي تم اعتبارها أسفارا مقدسة رغم أنها لم تكن موجودة في زمان موسى عليه السلام.

لقد هوّد اليهود تاريخ الأنبياء ، وادعوا بأن الأنبياء أنفسهم يهود ، واعتبروا أنفسهم ورثة لهؤلاء الأنبياء اليهود في حقهم في أرض فلسطين ، وبذلك طعنوا على الأنبياء في دينهم ورتبوا على ذلك الطعن حقوقا لهم.[114]

والمصيبة الكبرى أن كثيرا من أبناء أمتنا سلموا لهم بذلك واعترفوا لهم بحق التواجد على تلك الأرض وحق أقامة دولة يهودية على هذه الأرض ، تصديقا منهم أن إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون كانوا أنبياء يهود وأن داوود وسليمان هما ملكا اليهود وليسا نبيان وفقا للعقيدة اليهودية، وأن الأرض المقدسة هي ميراث هؤلاء الأنبياء لليهود، وذلك على عكس الحقيقية التي تقول بأن كل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام كانوا حنفاء مسلمين لله عز وجل، وأن الأرض هي ميراث المتقين الذين يقيمون العدل والمنهج الرباني على الأرض.

إذن فقد كان تزوير التاريخ سببا مباشرا لتهويد الأرض وتبديل الحقيقية وادعاء الحق في أرض ليست لهم بذلوا من أجلها كل ماهو ثمين وغالٍ لدرجة أن حرفوا كتابهم نفسه وأدخلوا عليه ما ليس فيه ومن أجل ذلك الثمن القليل — وهو اغتصاب الأرض وإقامة ملك دنيوي شرير — وزوروا التاريخ وسفكوا الدماء وأوقدوا نيران الحروب وحاكوا المؤامرات وأشعلوا الفتن وتسببوا في كل خراب منذ قبيل الحروب الصليبية وحتى يومنا هذا.

لقد استطاع اليهود بكل مكر وخديعة وتزوير أن يرسخوا حقهم المزعوم في أرض فلسطين التي أسموها أرض الميعاد زورا وبهتانا ، كما استطاعوا أن يوهموا جميع الأمم بنص كتاب يفترض أنه مقدس بأنهم الورثة الطبيعيين لتلك الأرض المقدسة بل وورثة الدولة الكبرى من النيل للفرات على حد زعمهم ، وبناءا على ذلك التزوير القديم في كتابهم المقدس المزعوم استطاعوا إضافة تفسيراتهم التي ترسخ لنفس المباديء والأهداف بل ولتقوم بتعديل المسار في بعض الأمور التي لم تمشي وفقا لهواهم وادعاءاتهم القديمة ، بل وقاموا بالمزيد من التحريف في الكتب القديمة كأسفار التوراة وغيرها ، كتبديلهم لكلمة بحر البوص / بحر الغاب "يم سوف" إلى "البحر الأحمر" بعد تعديل النسخة

[114] أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ – ليس لليهود حق في فلسطين

الإنجليزية وغيرها من اللغات الغربية لتغيير وجهة الخروج وإرباك كل التصورات عن المواقع الحقيقية لإقامة بني إسرائيل وآل فرعون والمحطات التي مر عليها بنو إسرائيل أثناء الخروج ، وغيرها من التزويرات الحديثة والقديمة على حد سواء ، وكلها تصب في تحقيق هدف تهويد الأرض المقدسة التي لا يرغبون في غيرها بديلا كمركز لإقامة دولتهم التي سيحكمها مسيحهم المخلص – وهو المسيح الدجال ولا شك – ولكي تقوم دولة هذا المخلص فلا بديل عن إقامة الدولة في ذلك المكان تحديدا مهما تكلف الأمر من تضحيات وإثارة للفوضى والقلاقل والحروب الثورات والمؤامرات ومذابح دموية للوصول إلى ذلك الهدف الذي يعتبرونه منتهى الأهداف بالنسبة إليهم.

لقد ادعى اليهود في العصر الحديث ماليس لهم وأقاموا دولتهم المزعومة على أنقاض الأرض المغتصبة بعد ترويجهم في أوروبا وأمريكا وفي الشرق والغرب أنهم هم أصحاب الأرض الحقيقيون بنص الكتاب المقدس الذي لا يجرؤ أحد من الناس وخاصة الغرب المسيحي على الادعاء بتزويره أو تحريفه أو زيفه لأن جزء من عقيدتهم المسيحية التصديق بما ورد في كتاب العهد القديم ، فضلا عن تصديقهم لتفسيرات الحاخامات للتوراة وترسيخ مبدأ الأرض الموعودة الأسطوري والخرافي في عقول ووجدان الغرب بأكمله كجزء من عقيدتهم التي يجب أن يقاتلوا من أجلها ، وقد قاموا بذلك بالفعل ودعموا عقيدة اليهود للدرجة التي دفعت أقوى دولهم على الإطلاق خلال القرن الماضي إلى منحهم وعدا سياسيا مسجلا لإقامة دولتهم على أرض فلسطين - وهو وعد بلفور - ولم يلبث هذا الوعد وأن تمخض عنه ظهور الدولة اليهودية للعالم كأول كيان صهيوني يخرج إلى أرض الواقع على تراب الأرض الفلسطينية وعلى دماء أصحاب الأرض الذين سكنوها منذ آلاف السنين.

إن مسألة تحرير الأرض المغتصبة يجب أن تقوم على ركائز كثيرة ، لكن ركيزة نشر الوعي المضاد وتصحيح التاريخ وإعادة إظهار الحقيقة تعتبر من أهم ركائز تحرير الأرض ورد الحقوق إلى أصحابها وإيقاظ الأمة لمواجهة أعدائها لاستعادة الحقوق المسلوبة.

إن وعي الجماهير العربية والإسلامية بعدم أحقية اليهود لأي شبر في أرض فلسطين أو في الأراضي العربية والإسلامية عموما هو أولى خطوات تحرير تلك الأرض العظيمة المقدسة ، وهذا الموضوع الذي بين أيدينا هو علامة من بين علامات أخرى على الطريق لمن أراد أن يهتدي إلى الحق في تلك المسألة ، وهي مدخل لابد منه لإرساء ذلك المبدأ الهام وهو أحقية الأرض المقدسة للمسلمين أتباع الدين الحق.

تم بحمد الله وتوفيقه

يناير 2015

القاهرة

المراجـــع

• المراجع والأسفار المقدّسة

- القرآن الكريم
- صحيح البخارى
- صحيح مسلم
- التوراة (العهد القديم)
- قاموس الكتاب المقدس
- التوراة السامرية، مع مقارنة بالتوراة العبرانية — ت الكاهن الســامرى — أبــو الحسن
- المواقع الإنجيلية في تركيا، إسطنبول - إيفيرت بلاك، آنا إدموندز

• كتب تفسير وعلوم القرآن الكريم والتراث الإسلامى

- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير
- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم - الآلوسى
- الجامع لأحكام القرآن — القرطبي
- معالم التنزيل — البغوى
- الكشاف — الزمخشرى
- الكشف والبيان - للثعلبي النيسابوري
- بحر العلوم - للسمرقندي
- في بصائر ذوى التمييز البداية والنهاية — ابن كثير
- تاريخ الرسل والملوك — الطبرى
- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم — ابن الجوزى
- البدء و التاريخ — المطهر بن طاهر المقدسي
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور— إبن إياس
- فضائل مصر — إبن زولاق

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر– ابن خلدون
- تاريخ أبي الفداء
- مروج الذهب ومعادن الجوهر – المسعودي
- الكامل في التاريخ – ابن الأثير
- المختصر في أخبار البشر – أبى الفداء
- فتوح مصر والمغرب – بن عبد الحكم
- الإكليل للهمدانى – أبى محمد الحسن
- قصص الأنبياء – د. عبد الوهاب النجار
- قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي
- تلبيس الجهمية – إبن تيمية
- تحذير الساجد – الشيخ الألباني
- التذكرة فى أحوال الموتى وأحوال الآخرة – القرطبى

المراجع والكتب الجغرافية

- معجم البلدان – ياقوت الحموى
- المسالك والممالك – أبو عبيد البكري
- المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار – المقريزي
- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945 القسم الاول، البلاد المندرسة – د.محمد رمزى

كتب اللغة والقواميس والمعاجم

- تاج العروس – مرتضى الزبيدى
- المحيط الجامع
- معجم لسان العرب – إبن منظور

- المعجم الوجيز – هيروغليفى / عربى – سامح مقار
- المعجم الوجيز فى اللغة المصرية بالخط الهيروغليفى – برناديت مونى
- معجم الحضارة المصرية – مجموعة من الباحثين
- آلهة مصر العربية – د / على فهمى خشيم
- اللاتيتنية العربية – د.على فهمى خشيم
- فقه اللغة – علي عبد الواحد وافي
- الآداب السامية – محمد عطية الإبراشي
- اللغة العبرية – ربحي كمال

• المراجع التاريخية والسياسية المعاصرة

- معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم – د .محمد أبو المحاسن عصفور
- قصص الأنبياء والتاريخ – رشدي البدراوي
- طوفان نوح – الأستاذ / منصور عبد الحكيم
- العرب والآراميون – المطران بولس بهنام
- ألف سؤال وجواب عن بيت المقدس – أحمد فؤاد القاسم
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – جواد علي
- فلسطين عبر التاريخ – عبد الرحمن المزين
- لبنان والبلدان المجاورة – د. جواد بولس
- المزاعم الصهيونية – فتحي فوزي عبد المعطي – سلسلة إقرأ
- تاريخ مدينة القدس – معين احمد محمود
- تاريخ مدينة القدس – عواد مجيد الاعظمي
- القدس الخالدة – عبد الحميد زايد
- لورنس العرب على خطى هرتزل – زهدي الفاتح
- فلسطين ارض وتاريخ – الدكتور محمد سلامة النحال
- العرب واليهود في التاريخ – الدكتور احمد سوسة

- في الطريق الى القدس — د. محسن محمد صالح - تقديم الدكتور عماد الـدين خليل
- الموسوم — د.بيان نويهض الحوت
- رجال صنعوا التاريخ - رشيد جبر الاسعد
- المسجد الأقصى مستقبل الأمة " الارتباط التاريخي " ج6- رشيد جبر الأسعد
- القبيلة الثالثة عشر تحكم إسرائيل والعالم — الأستاذ منصور عبد الحكيم
- الخزر لا بنو اسرائيل - الأستاذ غسان عاطف بدران
- عن هاجر عليها السلام — الأستاذ نبيل السيار
- فرعون وموسى — خالد على نبهان
- موسوعة مصر القديمة — سليم حسن - جميع الأجزاء
- اليهود واليهودية — د. عبد الجليل شلبي
- قدماء المصريين أول الموحدين — نديم السيار
- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - فيليب حتي
- اليهودية في العراء - بين الوهم والحقيقة -"أصل اليهود وإخفـاء الحقيقـة" — محسن الخازندار
- الموسوعة الفلسطينية: القسم العام في أربعة مجلدات- الطبعـة الأولى 1984- إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية
- ملوك مصر القديمة من عصر إبراهيم وحتى عصر موسـى علـيهم السـلام — د. محمد راشد حماد
- دراسات في تاريخ العرب — محمد بيومي مهران
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية — دكتور عبد الوهاب المسيري
- هذا بلاغ للناس : بنى إسرائيل واليهود والحركة الصهيونية — عاطف هلال
- تاريخ ملوك مصر القديمة - دكتور محمد راشد حماد
- جزء من نص مستخرج من بردية شستر — متحف انجلترا
- الإسلام والدين المصري القديم — محمد أبو رحمة
- تاريخ اليهود القديم بمصر — د. عبد المحسن الخشاب
- تاريخ اليهود - أحمد عثمان

- فرعون موسى من قوم موسى — م. عاطف عزت
- حضارة مصر القديمة الجزء الثاني - رمضان علي
- مصر والشرق الأدنى القديم — حضارة العراق القديمة - نجيب ميخائيل
- الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم — د. عبد الراضي محمد عبد المحسن
- مصر — الجزء الثالث - محمد بيومي مهران
- التحليل اللغوي لأسماء الهكسوس - خالد علي نبهان
- مصر في القرآن والسنة — د. احمد عبد الحميد يوسف
- جذور الحضارة المصرية — د. إبراهيم يوسف الشتلة
- فرعون وقومه كانوا هكسوسا ولم يكونوا مصريين - مؤمن محمد سالم
- أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق القديم — د.كارم محمود عزيز
- الخلود فى التراث الثقافى — د.سيد عويس
- كتاب الموتى
- الطب المصرى القديم — حسن كمال
- النبي موسى وآخر ايام تل العمارنة — د.سيد القمنى
- رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج — غطاس الخشبة
- فرعون موسى — د.سعيد محمد ثابت
- التوراة بين الوثنية والتوحيد — د.سهيل ديب
- الاصول المصرية فى اليهودية والمسيحية — أحمد عثمان
- موسى وفرعون بين الأسطورية والتاريخية — عصام حفنى
- موسوعة وصف مصر — جمال حمدان — جميع الأجزاء
- الفرعون الذى يطارده اليهود — سعيد أبو العينين
- حكماء وادى النيل — محمد العزب موسى
- حكاية اليهود — زكريا الحجاوى
- رب الزمان — سيد القمنى
- أوهام التاريخ اليهودى — جودت السعد
- الكشف عن مكان عبور موسى — د.مراد محمد الدش
- اليهود بين القرآن والتوراة — عبد الرحمن غنيم

- خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل – كمال الصليبى
- تاريخ فلسطين القديم – خزعل الماجدي
- بلادنا فلسطين – مصطفى الدباغ
- حكاية شعب التوراة – د.علاء أبوعامر
- جنوب غربي آسيا الشمالية وشمال أفريقيا- د. رشيد الفاخوري
- قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير- د. أنور الرفاعي
- مصر الخالده – عبد الحميد زايد
- تاريخ مصر والشرق الأدني القديم – نجيب مخائيل إبراهيم
- فلسطين من فجر التاريخ إلى القرن الأول الميلادي – د.حسين الشريف
- تاريخ الاسرائيليين – شاهين مكاريوس
- عروبة فلسطين في التاريخ – محمد أديب العمري
- آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي – فراس السواح
- من تاريخ سورية الدنيوي والديني – المطران يوسف الدبس
- فلسطين من فجر التاريخ إلى القرن الأول الميلادي – د.حسين الشريف

• المراجع الأجنبية المترجمة

- فلسطين أرض الرسالات الإلهية – روجيه جارودى
- عصور فى فوضى – من الخروج إلى الملك إخناتون – إيمانويل فلايكوفسكى- ترجمة د.رفعت السيد
- الواقع والأسطورة فى التوراة – زينون كاسيدفسكى – ترجمة حسان ميخائيل
- الحياة اليومية للآلهة الفرعونية – ديمترى ميكس وكريستين فافارميكس
- الأدب المصرى القديم – كلير لالويت
- الديانة المصرية القديمة – أدولف إرمان
- معجم المعبودات والرموز فى مصر القديمة – مانفرد لوكر
- وادى الملوك – إريك هونونج
- الديانة المصرية القديمة – ياروسلاف تشرنى

- هيرودوت يتحدث عن مصر – ترجمة د.محمد صقر خفاجة
- الواقع والأسطورة في التوراة – زينون كاسيدوفسكي
- قناصة أهل العصر من خلاصه تاريخ مصر أو تاريخ قدماء المصريين –أغسطس ماربيت بك–ترجمه عبد الله ابو السعود
- الكهان في مصر القديمة –سيرج سونيرون – ترجمة عيسى طنوس
- الرد على أبيون – يوسيفوس
- تاريخ العرب العام – ل. سيديو
- أحجار على رقعة الشطرنج – وليم جاى كار
- آثار فلسطين – د. وليم ف. أولبريت
- في العصور القديمة – المؤرخ برستيد – ترجمة داوود قربان
- آلهة المصريين – والاس بدج
- تاريخ العلم – د. جورج سارتون – دار المعارف بمصر.
- تاريخ اللغات السامية – إسرائيل ولفنسون
- آثار فلسطين – د. وليم ف. أولبرايت ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1971م.

• الصحف والدوريات العالمية والمحلية

- مقالة عن المرويات التاريخية العربية – جريدة الحياة – فاضل الربيعي
- المجاعة في عهد سيدنا يوسف – جريدة الشرق الأوسط – د. زاهي حواس
- نداء السراة واختطاف جغرافيا الأنبياء – جمعية التجديد الثقافية والإجتماعية – قسم الدراسات والبحوث بمملكة البحرين
- الإسلام وفلسطين – منشورات فلسطين المحتلة بيروت/ لبنان – رفيق شاكر النتشة.
- عروبة القدس في ضوء الحقائق التاريخية– مجلة شؤون فلسطينية – الدكتور يوسف غوانمة (رئيس قسم التاريخ في جامعة اليرموك)
- دراسة مترجمة في حضارة العراق والشرقين الأوسطوالأدنى القديمة– مجلة الأقلام، بغداد، العدد السادس – د. وليد الجادر

- الفن التشكيلي في فلسطين عبر التاريخ 1975 - رسالة الماجستير- جامعة حلوان - عبد الرحمن المزين.
- موقع هارون يحيى على الإنترنت.

• المراجع الأجنبية

- The Amalekites... Were they the Hyksos? Debbie Hurn
- Knhon Aren, in the holy land. P
- Knyon, Digging mp Jericho, p23
- Aling, C.F. 1981 Egypt and Bible History. Grand Rapids: Baker Books.
- Archer, G.L. 1974 a Survey of Old Testament Introduction, rev. ed. Chicago: Moody Press.
- Battenfield, J.R. 1972 a Consideration of the Identity of the Pharaoh of Genesis 47. Journal of the Evangelical Theological Society 15: 77-85.
- Bell, B. 1975 Climate and the History of Egypt: The Middle Kingdom. American Journal of Archaeology 79: 223-69.
- Bietak, M. 1990 Der Friedhof in einemPalastgartenaus der Zeit des spatenmittlerenReiches und andereForschungsergebnisseausdemoestlichenNildelta (Tell el-Dab'a 1984-1987). Aegypten und Levante 2: 47-75.
- Bimson, J.J. 1978 Redating the Exodus and Conquest. Sheffield: Journal for the Study of the Old Testament.
- Emery, W.B.; Smith, H.S.; and Millard, A. 1979 the Fortress of Buhen, the Archaeological Report. London: Egypt Exploration Society.

- Franke, D. 1984 PersonendatenausdemMittleren Reich. Wiesbaden: Otto Harrassowitz.
- Gardiner, A.H. 1947 Ancient Egyptian Onomastica, Vol. 1. Oxford: Oxford University Press. 1961 Egypt of the Pharaohs. Oxford: Oxford University Press.
- Grimal, N. 1992 a History of Ancient Egypt. Oxford: Blackwells.
- Hayes, W.C. 1949 the Career of the Great Steward Henunu under NebhepetreMentuhotpe. Journal of Egyptian Archaeology35:43-49.

  1955 A Papyrus of the Late Middle Kingdom in the Brooklyn Museum. Brooklyn: Brooklyn Museum.

  1966 Egypt: Internal Affairs from Tuthmosis I to the Death of Amenophis III. Cambridge: Cambridge University Press.
- Kitchen, K. 1962 Joseph. P. 290 in New Bible Dictionary, ed. J.D. Douglas. Grand Rapids: Eerdmans.

  1966 Ancient Orient and Old Testament. Downers Grove: Intervarsity Press.
- Lichtheim, M. 1975 Ancient Egyptian Literature, Vol. I. Berkeley: University of California Press.
- Redford, D.B. 1970 a Study of the Biblical Story of Joseph. Leiden: E.J. Brill. 1992 Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times. Princeton: Princeton University Press.
- Simpson, W.K. 1957 Sobkemhet, a Vizier of Sesostris III. Journal of Egyptian Archaeology 43: 26-29.
- Stigers, H. 1976 a Commentary on Genesis. Grand Rapids: Zondervan.

- Valloggia, M. 1974 Les Vizirs des XIeetXIIe Dynasties. Bulletin de I'Institutfrancaisd'archeologieorientale 74: 123-34
- Van Den Boom, G.P.F. 1988 The Duties of the Vizier London: Kegan Paul International.
- Van Seters, J. 1966 The Hyksos: A New Investigation. New Haven: Yale University Press.
- Vergot, J. 1959 Joseph en Egypte. Louvain: OrientaliaetBiblicaLovaniensia.
- Ward, W.A. 1957 Egyptian Titles in Genesis 37-50. Bibliotheca Sacra 114:54-55
  1960 The Egyptian Office of Joseph. Journal of Semitic Studies5:146-50.
  1982 Index of Egyptian Administrative and Religious Titles of the Middle Kingdom. Beirut: American University of Beirut.
- Weil, A. 1908 Die Veziere des Pharaonenreiches. Strassburg: Schlesier and Schwekhaardt.
- Wood, B.G. 1993 Oldest Statue of Domesticated Horse Found in Syria. Bible and Spade 6:58-61
- Wood, L. 1986 a Survey of Israel's History, rev. by D. O'Brien. Grand Rapids: Academic Books

فهرس الموضوعات

<u>الفصل الرابع : فرعون ذو الأوتاد ملك الهكسوس العماليق</u>

قائمة التصويبات والتصحيحات اللغوية والتاريخية

م	الفصل	رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ / الملاحظة	التصحيح / التصويب	ملاحظات
1	الأول	٣٥	٣	أسمى	اسْمُنْ	
2	الأول	٤٥	٩	آرآم	آرام	
3	الاول	٤٦	١٢	وتوارثوا	وتوارثوه	
4	الأول	٥٨	٥	إن	أنّ	
5	الأول	٥٩	١٢	البيوسين	البيوسيون	
6	الأول	٦٠	١٥	كلام المؤرخ أرنولد ديبجل	يقصد الهجرات العربية في عصر ما قبل الأسرات المصرية	
7	الأول	٦١	٢	آلاف الثالث	الألف الثالث	
8	الأول	٦٩	١٦	(شرارشيب)	(شراشيب)	
9	الأول	٧٤	١	لأقاليم	بأقاليم	
10	الأول	٧٦	١٨	يهوذا	لاوي	
11	الأول	٧٧	٨	وثقافة كلغة	كلغة وثقافة	
12	الأول	٧٧	٢٠	في نظرها	في نظرهم	
13	الأول	٧٩	٦	أو	أول	
14	الثاني	٨٧	٨	الراعاة	الرُعاة	
15	الثاني	١١٠	الأخير	الذي	والذي	
16	الثاني	١١١	٢	الأكادين	الأكاديين	
17	الثاني	١١٢	٧	اليهد	اليهود	الهامش
18	الثاني	١١٢	٨	وكانت	وكان	
19	الثاني	١١٧	الاخير	والهند	والشام	
20	الثاني	١٢٢	٢	لا كيش	لاكيش	
21	الثاني	١٢٢	٢	لا خيش	لاخيش	
22	الثاني	١٢٤	١١	أنتظمت	انتظمت	الهمزة
23	الثاني	١٢٨	٩	عن	على	
24	الثاني	١٣٥	١٥	سارة	رفقة	
25	الثاني	١٣٨	٧	وغيرهم	وغيرها	
26	الثاني	146	21	حشره	حشرها	الهامش
27	الثاني	١٥٦	١٥	مَخيلة	مُخيلة	
28	الثاني	١٦٤	٢٣	وهو	وهي	
29	الثاني	١٦٨	١٩	الذى	الذين	
30	الثاني	١٨٢	٥	والرِحّالة	الرَحّالة	حاء مفتوحة بدلا من الكسر
31	الثاني	١٨٥	١١	فاتخذوا	فاتخذ	
32	الثاني	١٨٩	١٣	مسجّلة	مسجَّلة	جيم مفتوحة بدلا من الكسر
33	الثاني	١٩٢	١٥	نحو إلى الشرق	إلى الشرق	

34	الثاني	١٩٧	١١	بزوان	زوان	الهامش
35	الثاني	١٩٩	٢	لهم	لها	
36	الثاني	٢٠١	١٧	باطراد	بإطراد	
37	الثاني	٢٠٦	٢٠	البري	الطبري	
38	الثاني	٢٠٦	٢٢	أول العماليق	أولى ملوك العماليق	
39	الثاني	٢٠٧	٢	بدات	بدأت	
40	الثاني	٢١٣	٧	حوالي ٢ كيلومترين مربعين	حوالي كيلومترين مربعين	
41	الثاني	٢١٩	٢	خلال هذا الفصل	خلال الفصل السابق	
42	الثالث	٢٢١	٣	فى هذا الفصل	فى الفصل السابق	
43	الثالث	٢٢٥	٢٠	وقبيل	وقبل	بالهامش
44	الثالث	٢٢٥	٢١	بعدهه	بعده	بالهامش
45		٢٢٥ : ٢٢٦	--	الفقرات الأربعة التي تتحدث عن أحد الطقوس القديمة في دفن الجزء الخلفي للعجول والمعثور عليها في مواقع تل الضبعة	يأتي ترتيب هذه الفقرات منطقيا بعد الفقرة الخامسة في صفحة ٢٢٧	
46						
47	الثالث	٢٢٧	١٤	جنى	جنّي	
48	الثالث	٢٢٨	١١	لهذة	لهذه	
49	الثالث	٢٣٢	١١	أساسيًا	أساسيًا	
50	الثالث	٢٣٣	٧	كل	كل من	
51	الثالث	٢٣٣	٢٣	فأتي	فأتى	
52	الثالث	٢٣٥	١٣	انقطاء	انقطاع	
53	الثالث	٢٣٧	٢٢	المناطق مأهولة	مناطق مأهولة	
54	الثالث	٢٣٨	١٠	نسل	نسلهم	
55	الثالث	٢٣٩	٥	ولك	ولكن	
56		٢٣٩	١٨	قَالَ إِنِّي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣)	قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣)	خطأ مطبعي أسقط كلمة لَيَحْزُنُنِي من سياق الآية
57	الثالث	٢٤٠	١٨	التكيون	التكوين	بالهامش
58	الثالث	٢٤١	٢٠	ملوكبابل	ملوك بابل	بالهامش
59	الثالث	٢٤١	٢٩	الملوك أو الملوك	الملوك	تكرار
60	الثالث	٢٤٢	٦	لهم زوجات لهم زوجات	لهم زوجات	تكرار
61	الثالث	٢٤٢	٨	هرون	هارون	
62	الثالث	٢٤٢	٢٧	كم	كما	
63	الثالث	٢٤٢	٣٠	الهامش بالكامل من منقول نصاً من قاموس الكتاب المقدس وليس من كلام المؤلف		توضيح
64	الثالث	٢٤٨	١٤	احداها	أحدها	

65	الثالث	٢٤٨	١٥	لحرارة	حراره	
66	الثالث	٢٤٨	١٩	الآ	إلا	
67	الثالث	٢٤٨	٢٠	قصرة	قصره	
68	الثالث	٢٤٩	السطر قبل الاخير	سفر التكوين		توضيح
69	الثالث	٢٥٠	٢٣	سفر التكوين		توضيح
70	الثالث	٢٥٢/٢٥١	٧	سفر التكوين		توضيح
71	الثالث	٢٥٥	٩	حتشسوت	حتشبسوت	
72	الثالث	٢٥٨	٤	عند ما	عندما	
73	الثالث	٢٥٩	١٦	عن	عند	
74	الثالث	٢٦١	٩	الآرامين	إنتساب يوسف للآراميون من جهة الثقافة واللغة فقط وليس من جهة الإنتماء العرقى	توضيح
75	الثالث	٢٦٣	١	المكسوس	المكسوس غافلون	إضافة
76	الثالث	٢٦٣	١٣	الواقعين	الواقعون	
77	الثالث	٢٦٣	٢٥	خلال الخمسون	خلال الخمسين	
78	الثالث	٢٦٤	٢٢	يعقول	يعقوب	
79	الثالث	٢٦٥	١٣	وتبوؤوا	تبوءُوا	
80	الثالث	٢٦٦	٢٠	الآثرين	الآثاريين	
81	الثالث	٢٦٧	قبل الاخير	الكثيرة	الكثير	الهامش
82	الثالث	٢٦٩	٢٠	تدوّن	تُدوّن	
83	الثالث	٢٧٢	١٣	كانوا ادعاء	كانتا ادعاءًا	
84	الثالث	٢٧٦	١٧	والعافة	والعرافة	العرافة جمع عراف وليس مؤنث
85	الثالث	٢٧٨	١١	المورخون	المورخين	
86	الثالث	٢٧٨	١٧	عند ما	عندما	
87	الثالث	٢٨٣	٥	الخليفة	الخليقة	سفر الخليقة هو سفر التكوين
88	الثالث	286	4	لصورة	على صورة	
89	الثالث	٢٨٩	الاخير	بعد ما	بعدما	
90	الثالث	٢٩١	٤	١٦٢٠- ١٥٨٠ قبل الميلاد	هذه الفترة غير صحيحة , بل اقدم من ذلك التاريخ	توضيح
91	الثالث	٢٩٤	٥	وآسية الصغرى	آسيا الصغرى	
92	الثالث	٢٩٤	٦	الفراعنة المصريين	المقصود : الملوك المصريين	تصحيح للمصطلح
93	الثالث	٢٩٥	٦	الخطب	الخطط	
94	الثالث	٢٩٦	١٨	الراعي الصالح	تحذف لتكرارها	مكررة
95	الثالث	٣٠٠	١٦	اسهلاك	استهلاك	
96	الثالث	٣٠٠	٢٠	مواجهة	مواجهتها	
97	الثالث	٣٠١	٧	لهم	تحذف لتكرارها	مكررة
98	الثالث	٣٠١	الاخير	هما	هى	

99	الثالث	٣٠٣	٩	خلق وخلق	مكرر	حذف التكرار
100	الثالث	٣٠٤	١٤	[7]	رقم مرجعي خطأ	حذف الرقم المرجعي الخطأ
101	الثالث	٣٠٦	١	أدفوا	إدفو	مدينة بأسوان المصرية
102	الثالث	٣٠٧	٢	أدفوا	إدفو	مدينة بأسوان المصرية
103	الثالث	٣٠٧	٤	وخبرة	وخبره	
104	الثالث	٣٠٨	٩	أبلاغة	إبلاغه	
105	الثالث	٣٠٩	قبل الاخير	الغير مستغلة	غير المستغلة	
106	الثالث	٣٢٣	١٨	ما	من	
107	الثالث	٣٢٤	١٧	ترجع	تحذف لتكرارها	بالهامش
108	الثالث	٣٢٥	٦	الراعي الصالح	تحذف لتكرارها	
109	الثالث	٣٣٣	١	التي	الذي	
110	الثالث	٣٣٣	١٤	ظلماً	ظلما : اسم	ظلما هو اسم ملك ورد في التراث العربي
111	الثالث	٣٠٣	١٥	سيرت	سيرة	
112	الثالث	٣٣٦	قبل الاخير	الآلهة	الإلهة	بالهامش
113	الثالث	٣٣٩	قبل الاخير	قارون بن قاهث	قارون بن يصهار	بالهامش
114	الثالث	٣٤٠	٧	الناس	الماء	
115	الثالث	٣٤٦	١٦	الملك	الملك	
116	الرابع	٣٥١	٢١	٧٣ مرة	٧٤ مرة	
117	الرابع	٣٥٣	٦	كتاب	كتابة	
118	الرابع	٣٦٥	٧	التي	الذي	
119	الرابع	٣٦٧ : ٣٧١	---	سبب اضطهاد بني إسرائيل (لماذا اضطهد فرعون بني إسرائيل دون سواهم؟)	روايات مختلفة عن رؤية فرعون المشهورة بهلاك ملكه بسبب مولود من بني إسرائيل وروايات أخرى عن تنبؤ الكهنة	أصدق الروايات وأصحها تتحدث عن نبوءة إبراهيم عن هلاك حاكم مصر على يد مولود من ذريته ولا تصح روايات الرؤية المشهورة ولا روايات نبوءات الكهنة
120	الرابع	٣٧٠	٩	وبديل	وبيدل	
121	الرابع	٣٧٦	٢٢	أي يتركوهم أحياء	أي يتركوهن أحياء	
122	الرابع	٣٧٧	١٧	قبل عهدهم ب٢٥٠٠ عام	قبل عهدهم ب ١٠٠٠ عام	بنيت الأهرام في غضون القرن ال٢٥-٢٦ قبل الميلاد بينما تواجد بنو إسرائيل في مصر في غضون القرن ال١٦ قبل الميلاد
123	الرابع	٣٧٨	٨	قومية	قومه	
124	الرابع	٣٨٢	٤	في	تحذف لزيادتها	
125	الرابع	٣٨٢	٩	كاتبوا	كاتبوها	
126	الرابع	٣٨٢	١١	لاوي أخو يعقوب	لاوي أخو يوسف	
127	الرابع	٣٨٢	١٩	قد	وقد	
128	الرابع	٣٨٤	١٤	تجاوزا	تجاوزوا	

129	الرابع	٣٩٧	٢	؟	تحذف	علامة زائدة
130	الرابع	٤٠٢	٦	لاختلاق	لاختلاف	
131	الرابع	٤٠٧	٢	لقته	لغته	
132	الرابع	٤٠٨	١	فنكلمه	فتكلمه	
133	الرابع	٤٠٨	١١	فارسل الى هارون اخي	فأرسل إلى هارون	وفقا للآية ١٣ سورة الشعراء
134	الرابع	٤٠٩	٢	وتوضع	وتضع	
135	الرابع	٤١٠	الاخير	القغنى	القعنى	
136	الرابع	٤١١	١٩	وهو	وهُم	
137	الرابع	٤١٩	٢	عن	عند	
138	الرابع	٤١٩	٥	برعا	بر- عا	مصطلح مصري يعني البيت العالي
139	الرابع	٤١٩	٥	ملوك	وملوك	
140	الرابع	٤١٩	٩	هذا اللقب	هذا اللقب (بر – عا)	إضافة
141	الرابع	٤١٩	الاخير	فرعون	بيعون / فيعون	إضافة
142	الرابع	٤٢٠	١	وتليد	وتقليد	
143	الرابع	٤٢٧	١٠	جالوت	طالوت	
144	الرابع	٤٢٩	١٣	الأعمل	الأعمال	
145	الرابع	٤٣٢	١٣	أو تمت بصلة	وتمت بصلة	
146	الرابع	٤٣٣	٢	إله	الله	
147	الرابع	٤٣٥	١٤	ابن	إبن	
148	الرابع	٤٣٥	١٩	يعرفوها	يعرفونها	
149	الرابع	٤٣٦	١٢	يستند	يُستند	
150	الرابع	٤٣٦	١٨	أبن	إبن	
151	الرابع	٤٣٧	٦	مثلاً	مثلاً	
152	الرابع	٤٣٧	٨	مثلاً	مثلاً	
153	الرابع	٤٣٧	٨	ترغيبا	ترغيباً	
154	الرابع	٤٣٧	١١	وقبل	وقيل	
155	الرابع	٤٣٧	١٣	رباً	رباً	
156	الرابع	٤٣٧	١٤	اوتادا	اوتاداً	
157	الرابع	٤٣٧	٢٠	ترائنا	تراثنا	
158	الرابع	٤٣٧	الاخير	الربوبية	الربوبية	
159	الرابع	٤٣٨	٢	وهم	وليس	
160	الرابع	٤٣٨	٤	مثلا	مثلاً	
161	الرابع	٤٤٥	٤	صورته	صوته	كلما وردت بكل الأصول تارة صوت وتارة صورته ويبدو أنه تصحيف والأصوب صوته
162	الرابع	٤٥٥	١٧	حاصر	عاصر	
163	الرابع	٤٥٥	١٨	علية	عليه	

164	الرابع	٤٥٦	٨	قتلة	قتله	
165	الرابع	٤٥٨	٨	أظهار	إظهار	
166	الرابع	٤٥٩	١٦	طول	أطول	
167	الرابع	٤٦٣	١٧	الرعاء	الرعاة	
168	الرابع	٤٦٣	١٨	المملاك	الممالك	
169	الرابع	٤٧١	٥	أواسط آسيا	أواسط وغرب آسيا	
170	الرابع	٤٧٣	قبل الاخير	المملكة	المملكة	
171	الرابع	٤٨٢	٤	الذهبية	الذهنية	
172	الرابع	٤٨٢	١٦	يتسطيع	يستطيع	
173	الرابع	٤٨٢	١٧	حيامهم	خيامهم	
174	الرابع	٤٨٢	١٩	الأعتكدة	الأعمدة	
175	الرابع	٤٨٨	٨	الطبي	الطيبى	أي ينتمي إلى طيبة
176	الرابع	٤٨٨	١٠	التساعة	التاسعة	
177	الرابع	٤٩٥	٢٢	وورثها	وورثوها	
178	الرابع	٤٩٦	الاخير	لم يكونا	لم يكونوا	
179	الرابع	٤٩٧	٢	إسرائل	إسرائيل	
180	الرابع	٥٠٤	١٩	ابتر	أبترأ	
181	الرابع	٥٠٦	١٢	الأسرى	الأسرة	
182	الرابع	٥٠٩	٩	سماهم	سمائهم	
183	الرابع	٥١٤	١٤	كان	وكان	
184	الرابع	٥١٦	١٥	من	في	
185	الرابع	٥١٧	٦	ألبنى	البُنى	
186	الرابع	٥١٧	٦	لديانائم	لديانتهم	
187	الرابع	٥١٧	٩	تملا	تملأ	
188	الرابع	٥١٧	١٥	قدر	قد	
189	الرابع	٥١٨	١٩	قرية فرعون	تل فرعون	
190	الرابع	٥١٨	٢٣	ويقع	وتقع	
191	الرابع	٥١٨	٢٥	لكونه موقع	لكونها مركزاً	
192	الرابع	٥١٩	٣	خرائب المدينة القديمة أمنت بعناصرها	خرائب المدينة القديمة بعناصرها	حذف كلمة أمنت
193	الرابع	٥١٩	١٠	لوم	ولم	
194	الرابع	٥٢٠	٨	ما أصباب	ما أصاب	
195	الرابع	٥٢٠	١٨	لم	ولم	
196	الرابع	٥٢١	٦	لعنه	لعنة	
197	الرابع	٥٢١	١٠	من بيارهم	من بئرها	
198	الرابع	٥٢١	الفقرة الاخيرة	مكررة	حذف التكرار	
199	الرابع	٥٢٢	الفقرة الاولى	فقرة مكررة	حذف التكرار	

200	الرابع	٥٢٣	١٠	صناعاهم	صناعاتهم	
201	الرابع	٥٢٣	قبل الاخير	معاول	ومعاول	
202	الرابع	٥٢٦	١٦	إلنا	إلينا	
203	الرابع	٥٣١	٣	ندر كان	ندرك أن	
204	الرابع	٥٣١	١٧	التقربي	التقريبي	
205	الرابع	٥٣٤	٣	وعدوانا	عدواناً	
206	الرابع	٥٣٤	٩	ظهورهم	ظهورها	
207	الخامس	٥٥٠	١٠	بما	بمصر	
208	الخامس	٥٦٢	٢٢	مثل	مَثَّل	
209	الخامس	٥٦٣	٧	الشرق	الغرب	
210	الخامس	٥٦٣	١٩	مياة	مياه	
211	الخامس	٥٧٠	١٢	جعل من الماء	جعل الماء	
212	الخامس	٥٧٢	١٤	جاكوبوفيك	جاكوبوفيتش	
213	الخامس	٥٧٣	٥	وقد	وقد تم	
214	الخامس	٥٧٣	قبل الاخير	للمياة	للمياه	
215	الخامس	٥٧٥	٢	أحد	إحدى	
216	الخامس	٥٧٦	قبل الاخير	بنى	بنو	
217	الخامس	٥٧٧	٣	كرونولوجية (أثرية)	كرونولوجية (زمنيا)	الكرونولوجيا هي علم التسلسل الزمني
218	الخامس	٥٧٩	١٣	أان	أن	
219	الخامس	٥٧٩	٢٢	برعمسيس	رعمسيس	
220	الخامس	٥٨٢	٦	الميلادى	قبل الميلاد	
221	الخامس	٥٨٢	١٧	وأخو	وأخوه	
222	الخامس	٥٩٠	٢١	رابطا	رابطاً	
223	الخامس	٥٩٦	١٠	لسيت	ليست	
224	الخامس	٦٠١	٢١	التى	والتى	
225	الخامس	٦٠٢	١٣	من من	من	حذف التكرار
226	الخامس	٦٠٣	٧	بأضافة	بإضافة	
227	الخامس	٦٠٨	١٧	المترهات	المتنزهات	
228	الخامس	٦١٠	١	رضي الله عن	﵁	
229	الخامس	٦١١	٩	واسعة	الواسعة	
230	الخامس	٦١٥	٥	مدينة مدينة	مدينة	
231	الخامس	٦١٥	٦	وكا	وكان	
232	الخامس	٦١٥	٦	ذت	ذات	
233	الخامس	٦١٧	١٢	أقم	أقلم	
234	الخامس	٦٢٦	قبل الأخير	أحمد حمدي توجد	أحمد حمدي حيث توجد	
235	الخامس	٦٢٩	٨	هرون	هارون	
236	الخامس	٦٣٤	١٤	٨، ٥٥٠ قدما	٨٥٥٠ قدما	

237	الخامس	٦٣٤	١٤	٧،٣٧٠ قدما	٧٣٧٠ قدما	
238	الخامس	٦٤١	قبل الأخير	أيام الملك سليمان	أيام الملك النبي سليمان	
239	الخامس	٦٤٢	قبل الأخير	ويصب في من الشرق	ويصب من الشرق	حذف حرف في
240	الخامس	٦٤٦	٣	لكنا بعج لنا أن أوضحنا	لكنا بعد أن أوضحنا	
241	الخامس	٦٤٨	٢٠	حتى يتجرأوا	يتجرؤوا	
242	الخامس	٦٤٨	٢١	وبالتالي يحاولون	وبالتالي يحاولوا	
243	الخامس	٦٥٣	قبل الأخير	ومياها عذبما	ومياهها عذبة	
244	الخامس	٦٥٤	٢٥	والعرب يسونخ	والعرب يسمونه	بالهامش
245	الخامس	٦٦٣	١٦	وصطحب	واصطحب	
246	الخامس	٦٦٥	٣	مسارا	مسار	
247	الخامس	٦٦٨	٤	البحر الحمر	البحر الأحمر	
248	الخامس	٦٦٩	٩	بقايا حيش فرعون	بقايا جيش فرعون	
249	الخامس	٦٧٣	٣	رون وايت	رون وايات	
250	الخامس	٦٨١	٢٠	وبيان خطأ	وبيان خطئه	
251	الخامس	٦٨٥	١٣	خطئا	خطأ	
252	الخامس	٦٨٦	٢٢	المبدأي	المبدئي	
253	الخامس	٦٨٩	١٨	فإنهم	فإنه	
254	الخامس	٦٩٥	٢٣	فيمدينة	في مدينة	
255	الخامس	٦٩٦	٨	الحديث مقسم إلى جزئين (لم يذكر الجزء الثاني)	الجزء الثاني يقص عن القدوم الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بعد حجة الوداع	إضافة
256	الخامس	٦٩٨	١٧	فرعون الخروج	فرعون الاضطهاد	وفقا لمصطلح اليهود
257	الخامس	٧٠٦	١	وتحمس	وتحتمس	
258	الخامس	٧٠٦	٢١	في ظروف غير استثنائية	في ظروف استثنائية	
259	الخامس	٧٠٧	٣	وبدأوا	وبدؤوا	
260	الخامس	٧٠٧	٣	استعادة ملكهم	استعادة مُلكهم	
261	الخامس	٧٠٨	١٢	الإله ستخ	الإله سوتخ	
262	الخامس	٧١٢	١٩	وقامت كلا والدته	وقامت كلا من والدته	
263	الخامس	٧١٢	٢٢	بالزحف على الطيبة	بالزحف على طيبة	
264	الخامس	٧١٣	١٤	بإنهاء ملكهم	أي مُلك الهكسوس	توضيح
265	الخامس	٧١٤	٩	وتجروا	وتجرءوا	
266	الخامس	٧١٦	٢٠	وثرورواتهم	وثرواتهم	
267	الخامس	٧١٨	١٨	بخااااللسي	تحذف	خطأ مطبعي
268	الخامس	٧٢٠	٩	بالمدنية	بالمدينة	
269	الخامس	٧٢٠	٢٢	ضخمة أسوار	ضخمة بأسوار	
270	الخامس	٧٢٥	١١	والذي	والذين	
271	الخامس	٧٢٦	١١	رساتين	رسالتين	

272	الخامس	٧٢٦	١٣	عبيدي خيبا	عبدي خيبا	
273	الخامس	٧٢٦	١٦	لمساعدت	لمساعدة	
274	الخامس	٧٢٦	٢٠	في هذه	بهذه	
275	الخامس	٧٢٦	٢٠	محولات	محاولات	
276	الخامس	٧٢٧	١	واضحة الدلال	واضحة الدلالة	
277	الخامس	٧٢٧	٣	فإن فعروبة	إذن فعروبة	
278	الخامس	٧٢٧	١٥	إنصرفو إلي	انصرفوا إلى	
279	الخامس	٧٢٨	٢	بشاول	بشاؤول	
280	الخامس	٧٢٨	١٢	ويهزأوا	ويهزؤوا	
281	الخامس	٧٣٩	٤	تسب	تسبب	
282	الخامس	٧٣٩	٧	لا يزال	لا تزال	
283	الخامس	٧٤٢	٣	أعمال سينيمائية	أعمال سينمائية	
284	الخامس	٧٤٢	٦	Price of Egypt	Prince of Egypt	
285	الخامس	٧٤٥	١٣	وظل همهم وشاغلهم ترديد تلك الأساطير	حذف التكرار	جملة مكررة
286	الخامس	٧٤٧	السطر الأول في الهامش	لم يكن أحد يتصوّر	لم يكن أحد يتصوّر	
287	الخامس	٧٤٧ + ٧٤٨	٧٤٧ السطر الأخير ٧٤٨ السطر الأول	لا سيما	لاسيّما	كلمة واحدة
288	الخامس	٧٤٨	١٠	لا سيّما	لاسيّما	كلمة واحدة
289	الخامس	٧٤٨	١١	فان	فإن	
290	الخامس	٧٤٨	١٢	تصله	توصله	
291	الخامس	٧٤٨	١٣	علميِّا	علميًّا	
292	الخامس	٧٤٨	٢١	جليِّا	جليًّا	
293	الخامس	٧٥٢	١٣	سيدنا يوسف	سيدنا يعقوب	
294	الخامس	٧٥٧	١٦	على حدة	على حدى	
295	الخامس	٧٥٨	٣	المولك	الملوك	
296	الخامس	٧٦١	٦	إسرائيل	بني إسرائيل	
297	الخامس	٧٦٣	٢٠	ومعتقلو	ومعتقلوا	
298	الخامس	٧٦٤	١٨	بسبب قتله للمصري	بسبب قتله للهكسوسي	هكذا في الأصل ولكن الارجح هو التصويب وفقا لنظرية المؤلف
299	الخامس	٧٦٥	١٠	تواضح	تواضع	
300	الخامس	٧٦٦	قبل الأخير	Moses, Pharaoh of Egypt-The mystery of Akhenaten resolved	Pharaoh of Egypt-The mystery of Akhenaten resolved, Moses	
301	السادس	٧٦٨	٤	إسرائيل	إسرائيل	
302	السادس	٧٧١	١٣	إسرائل	إسرائيل	
303	السادس	٧٧١	١٨	يتمشى	يتماشى	
304	السادس	٧٧١	٢٤	يتمشى	يتماشى	

305	السادس	٧٧٢	١١	جرد	جرّد	
306	السادس	٧٧٢	١٥	مرنيتاح	مرنبتاح	
307	السادس	٧٧٣	١١	لابد له	لابد أن له	
308	السادس	٧٧٣	٢٠	لاعدائاتهم	لادعاءاتهم	
309	السادس	٧٧٤	٦	أن	إن	
310	السادس	٧٧٧	١٧	آدوم	أدوم	
311	السادس	٧٨١	٩	لانه	لأنه	
312	السادس	٧٨١	١١	اليه	إليه	
313	السادس	٧٨١	١٣	وان	وأن	
314	السادس	٧٨١	١٩	انهم	أنهم	
315	السادس	٧٨٦	١٦	لأحمر	الأحمر	
316	السادس	٧٨٩	١٤	الإضرابات	الاضطرابات	
317	السادس	٧٨٩	٢١	الادعائات	الادعاءات	
318	السادس	٧٩١	١	الأدعاء	الادعاء	
319	السادس	٧٩٢	٧	الألهة	الآلهة	
320	السادس	٧٩٢	٨	الألهية	الإلهية	
321	السادس	٧٩٢	١٨	الإلهية	الألوهية	
322	السادس	٧٩٢	قبل الأخير	في في	في	حذف المكرر
323	السادس	٧٩٣		من زوجة شرعية	من زوجة شرعية وغيرها الزوجات	
324	السادس	٧٩٤	١٨	يبلوا	يبلو	
325	السادس	٧٩٤	٢٢	الايات	الآيات	
326	السادس	٧٩٥	٣	تؤكده	ما تؤكده	
327	السادس	٧٩٦	١٤	لأثرى	الأثرى	
328	السادس	٧٩٨	٤	حيش	جيش	
329	السادس	٨٠١	٣	أنهم	أنها	
330	السادس	٨٠٣	١٧	وتشويها	وتشويهها	
331	السادس	٨٠٩	٨	وفق	وفقاً	
332	السادس	٨١٠	١	إن	أن	
333	السادس	٨١٠	٨	برغم	بزعم	
334	السادس	٨١١	٢٣	بقوم	يقوم	
335	السادس	٨١٤	٢٣	شارع النبي دانيال	شارع النبي دانيال بمدينة الإسكندرية	توضيح
336	السادس	٨٢٠	٥ بالهامش	لن يتنمكن	لم يتمكن	
337	السادس	٨٢١	١ بالهامش	التارخية	التاريخية	
338	السادس	٨٢٥	١٧	الذي أرادوا	الذين أرادوا	

339	السادس	٨٢٥	٢٢	يقضي عليه	يُقضي عليهم	
340	السادس	٨٢٩	١٤	يتمهمه	يتهمه	
341	السادس	٨٣٧	١٤	تجرأوا	تجرؤوا	
342	السادس	٨٤١	٩	أبيون	أبيون	
343	السادس	٨٤١	١٣	ردًا	ردّاً	
344	السادس	٨٤٤	١٧	وغيرهم	وغيره	
345	السادس	٨٤٥	١٢	الآلالف	الآلاف	
346	السادس	٨٤٥	١٤	المزوعومة	المزعومة	
347	السادس	٨٤٦	٤	لم يقرأوا	لم يقرؤوا	
348	السادس	٨٤٨	٢٢	وبرعمسيس	ورعمسيس	لم تذكر التوراة برعمسيس
349	السادس	٨٥٨	٢١	العديد	الكثير	
350	السادس	٨٥٨	٢٣	ألأثار	الآثار	
351	السادس	٨٦٨	١٠	وظبط	وضبط	
352	السادس	٨٦٨	١٤	تحقيق	تحقيق	
353	السادس	٨٧٠	٧	ست مئة	ست مائة / ستمائة	
354	السادس	٨٧٦	١٦	وبناة الأهرام	بناة الأهرام	
355	السادس	٨٧٧	١٦	فإن فالتاريخ	فإن التاريخ	
356	السادس	٨٧٨	١٢	إن فالرواية	إذن فالرواية	
357	السادس	٨٨٠	١٣	المبدأي	المبدئي	
358	السادس	٨٨٤	٦	أنه حام	أن حام	
359	السادس	٨٨٤	١٩	زريعة	ذريعة	
360	السادس	٨٨٤	٢١	لو	لو ثبت	
361	السادس	٨٩٥	٢١	سامنخ —كاو رع	سمنخ كا رع	
362	السادس	٨٩٦	٢	<<أمنحتب>>	ك <<أمنحتب>>	
363	السادس	٩٠٣	٦	"ثورة" اليهود	ثورة بني إسرائيل	لم يعرفوا قبل التاريخ باليهود
364	السادس	٩٠٤	٢٢	ونجاة اليهود	ونجاة بني إسرائيل	لم يعرفوا قبل التاريخ باليهود
365	السادس	٩١٠	٢٠	تم تصوير الفيلم بالمغرب	تم تصوير بعض مشاهد الفيلم بالمغرب	
366	السادس	٩١٨	١١	جبل الأموين	جبل الأموريين / العموريين	
367	السادس	٩٢١	٢	الحاليون	الحاليين	
368	السادس	٩٢٢	١٤	آية سورة الأعراف مكررة	حذف الآية المكررة	مكررة

ساحر الكتب

فرعون ذو الأوتاد

تهويد التاريخ والأرض والتراث وأكذوبة الأرض الموعودة

هذا الكتاب يمثل انقلاباً مدوياً على التاريخ التقليدى الذى يتبناه الجميع ، ويقلب كل المسلمات رأساً على عقب فيما يتعلق بالتاريخ اليهودى وحقوق اليهود المزعومة في أرض الميعاد.

يطلعنا هذا الكتاب على أسرار الماضى السحيق ، حيث يبحر بنا فى أغوار التاريخ مرتحلاً فى جغرافيا الأنبياء نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام وصولاً إلى يوسف والأسباط ثم يكشف اللثام عن الأحداث الحقيقية لقصة موسى وهارون مع فرعون التى طالها الكثير من التزوير وتم إخفاء الكثير من أسرار تلك الحقبة التاريخية عمدًا!!.

أسئلة كثيرة ظلت حائرة وتخبط الكثير من الناس في إجاباتها :

- هل زار إبراهيم عليه السلام مصر وادي النيل ؟ وأين نزل بها ؟
- من هو الملك الذى عاصر إبراهيم عليه السلام ؟
- من هو الملك الشهير الذى رأى فى منامه سنوات المجاعة واستوزر يوسفَ وآمن على يد يعقوب عليهما السلام ؟ وهل هو إخناتون كما تدعي الأعمال الفنية ؟
- من هو فرعون ؟؟ الملك الطاغية الذى عذب بنى إسرائيل وأغرقه الله في اليم ؟
- هل كان فرعون مصريًا من القبط ؟؟ وهل هو رمسيس الثاني أو مرنبتاح كما يدعي اليهود ؟؟ وماهو أصل فرعون الحقيقي إذن إن لم يكن من القبط المصريين ؟
- هل تم خداعنا حقا حول هوية "آل فرعون" وتم إقناعنا أن المصريين "فراعنة" بخدعة متقنة على خلاف الحقيقة ؟ نعم يبدو أن هذا ما حدث فعلا!!
- إذن .. من هم "الفراعنة" الحقيقيون أو بالأحرى "قوم فرعون وهامان" أو "آل فرعون" الذين حكموا إمبراطورية شاسعة تضم مصر وفلسطين والشام والرافدين والجزيرة العربية ؟ ولماذا ولمصلحة مَن تم محوهم من التاريخ ؟

فضلاً عن الإجابة على أهم الأسئلة على الإطلاق .....

- لماذا زور اليهود هوية فرعون وقومه ولماذا روجوا أن المصريين فراعنة ؟؟ وماهى أهدافهم من وراء ذلك التزوير ؟؟

أسئلة حائرة وإجابات شافية تجدها بين دفتيْ هذا الكتاب الذى يكشف جزءًا هامًّا وخطيراً من ملف تهويد فلسطين وشيطنة وتشويه صورة المصريين والشعوب العربية وسرقة التاريخ والتراث ، ويحطم أسطورة الأرض الموعودة تاريخيًّا وعقائديًّا وأثريًّا .









www.nwf.com






That Al Salasil
ذات السلاسل

www.darketab.com darelkitab@yahoo.com

Design: Mostafa Ahmed & Design:Dar Alketab Alarabe



I.S.B.N. 978-977-376-881-4